

السنة الخامسة عشرة

العدد التاسع والخمسون

مجلة

مركز دراسات الكوفة

مجلة فصلية محكمة تعنى بالدراسات الإنسانية

اقرأ في هذا العدد

- أثر التخطيط الاستراتيجي المستدام في جودة التعليم العالي
- المتغيرات المؤثرة في القرار الاستراتيجي للأمن الوطني العراقي
- العلاقة السببية بين تغيرات أسعار الصرف وتغيرات هيكل التمويل
- اتفاقيات صندوق النقد والبنك الدوليين في العراق بعد عام ٢٠٠٢



مجلة مركز دراسات الكوفة

الترقيم الدولي ISSN :1993-7016

العدد ٥٩ السنة الرابعة عشرة ٢٠٢٠

جمهورية العراق النجف الأشرف – جامعة الكوفة

المراسلة

Website : www.ksc.kufauniv.com

Email : kufascenter@gmail.com

Mobile : 07400665815

جميع الحقوق محفوظة © مركز دراسات الكوفة

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. رضا صاحب أبو حمد / كلية الإدارة والاقتصاد / جامعة الكوفة

أ.د. عبد الصاحب البغدادي / كلية التخطيط العمراني / جامعة الكوفة

أ.د. رزاق كردي العابدي / كلية الآثار / جامعة الكوفة

أ.د. محمد علي أذرشب مدير مركز الحوار الفارسي / إيران

أ.د. حسن جابر حسن / الجامعة اللبنانية / لبنان

أ.د. محسن خنياب الميالي / كلية التربية للبنات / جامعة الكوفة

أ.د. عامر عبد زيد البديري / كلية الآداب / جامعة الكوفة

أ.د. وهاب فهد الياسري / كلية الآداب / جامعة الكوفة

أ.د. حيدر ناجي الشاوي / كلية التربية للبنات / جامعة الكوفة

أ.د. حسين لفته حافظ / مركز دراسات الكوفة / جامعة الكوفة

رئيس التحرير:

أ.د. عدي جواد الحجار

مدير التحرير:

أ.د. عقيل جاسم دهن

مسؤول الحسابات

السيدة ولاء فيصل محسن

الإخراج الفني:

المهندس أسامة عادل الشماع

تعليمات

١. أن لا يكون البحث قد نشر أو قبل للنشر في مجلة أخرى.
٢. قبل البحوث المكتوبة باللغة العربية فقط.
٣. يشترط في البحث المقدم للنشر أن يكون مراعيًا لقواعد البحث العلمي وأن يكون مرتبًا على النحو الآتي: عنوان البحث- اسم الباحث- درجته العلمية- خلاصة البحث باللغتين العربية والانجليزية - المقدمة- متن البحث- الخاتمة والنتائج- قائمة الهوامش- المصادر والمراجع.
٤. يرفق مع البحث السيرة الذاتية الموجزة للباحث التي تتضمن ما يأتي حصراً: اسم الباحث ومكان عمله، واختصاصه العلمي ونتاجاته البحثية وأهم مشاركاته العلمية ووسيلة الاتصال به.
٥. يلزم ألا تزيد عدد صفحات البحث عن ٢٠ صفحة، وإذا زاد عدد الصفحات عن ذلك يستحصل مبلغ قدره ٣٠٠٠ دينار عن كل صفحة إضافية.
٦. يخضع البحث للتحكيم السري من الخبراء المختصين لتحديد صلاحيته للنشر ولا يعاد البحث إلى صاحبه سواء قبل للنشر أم لم يقبل، ولهية التحرير صلاحية نشر البحوث على وفق الترتيب الذي تراه منسباً.
٧. تقدم البحوث مطبوعة باستخدام برنامج (Microsoft Word) بخط (Arabic Transparent) باللغة العربية بحجم (١٦) للعنوان الرئيس و(١٤) للبحث و(١٢) للهوامش، وبخط (Time New Roman) باللغة الانكليزية.
٨. تكون فقرة المسافات البادئة والتباعد قبل النص وبعده صفراً وتباعد الأسطر يكون (واحد ونصف).
٩. تنسق الأبيات الشعرية باستخدام الجداول.
١٠. تترك مسافة بمقدار (٢٠٥) على الجوانب الأربعة للصفحة.
١١. تقدم البحوث مطبوعة بنسختين على ورق قياس (A4) مع قرص صلب (CD) مسجل عليه البحث على وفق المطلبات.

١	خطاب الأنبياء لأقوامهم- منهج حياة وطريق أ.د. رحيم خريط عطية	١
	نجاة	
٢٣	قوانين التنافس في رسائل أبي العلاء المعري أ.د. عباس علي حسين الفحام	٢
	الباحثة إيناس محمد مهدي	الإخوانية
٤١	موقف الحرب النازي من الاقلية الالمانية في أ.د. عماد هادي عبد علي	٣
	الباحثة حوراء رزاق حسن	تريستا وترنتينو الإيطالية
٥٩	دراسة العلاقة السببية بين تغيرات أسعار أ.د. صاحب نعمة العكايشي	٤
	الباحث حسين عبد الله سدخان	الصرف وتغيرات هيكل التمويل وأسعار الأسهم
٨١	التخطيط الاستراتيجي المستدام وتأثيره في أ.د. عمار عبد الأمير زوين	٥
	الباحث محمد حسن صاحب ظاهر	ضمان جودة التعليم العالي
١٢٣	المتغيرات المؤثرة في القرار الاستراتيجي للأمن أ.م.د. صباح صاحب العريض	٦
	الباحث ذو الفقار علي هندول	الوطني العراقي
١٥١	الأساس القانوني للمياه العراقية أ.م. حسين عليوي عيشون	٧
	الباحث ياسين غانم ردام	
١٧١	برامج اتفاقيات صندوق النقد والبنك أ.م.د. إياد خلف العنبر	٨
	أ.م.د. أكرم نعمة الجياشي	الدوليين في العراق بعد عام ٢٠٠٣
	الباحثة هند عدنان شراد	
١٩١	مدى فاعلية مجلس الدولة العراقي في ظل أ.م.د. فارس عبد الرحيم حاتم	٩
	قانون مجلس الدولة رقم ٧١ لسنة ٢٠١٧-	دراسة مقارنة
٢٤٣	دور محاسبة استهلاك الموارد في ترشيد تكاليف أ.م.د. عقيل حمزة الحسناوي	١٠
	الباحث منتظر إسماعيل محمد	الزبون وتحسين الميزة التنافسية الدراسات العليا في العراق
٢٧٣	دلالات النوستالجيا في قلعة كركوك أ.م.د. عامر شاكر الكناني	١١
	الباحث صواش خطاب عمر	

- ١٢ موقف مجلس الشورى الوطني من سياسة أ.م.د. أحمد شاكر عبد العلق ٢٩٧
استقدام الموظفين الأجانب في إيران ١٩٢٨ -
١٩٣٠م
- ١٣ إيقاع التكرار أسلوبياً في الأجوبة المسكتة في أ.م.د. ناهضة ستار عبید ٣٤٣
كتاب ابن أبي عون (٣٢٢هـ) الباحثة محمد ألينا محمد عبد
- ١٤ الصراع السياسي بين تيمور لنك والمماليك أ.م.د. علي زهير الصراف ٣٨٣
والعثمانيين وأثره على البلدان التي دار فيها
هذا الصراع
- ١٥ الارتجال الاستراتيجي ودوره في تحقيق التميز أ.م.د. هاشم فوزي العبادي ٤١٩
التنظيمي أ.م.د. عبد الأمير عبد كاظم زوين
الباحث علي زيدان فنجان
- ١٦ دراسة وظيفية في ديوان (في البدء كانت أ.م.د. مهدي شاهرخ ٤٤٥
الأنثى) لسعاد الصباح على ضوء نظرية د.م. فرحان گل مغاني زاده
التواصل لرومان جاكبسون د.م. علي بابايي دم طسوج
- ١٧ أنماط المساحات النصية للأسماء التراثية- م.د. علي صادق جعفر ٤٨٩
ديوان ما دونته نور على خد العذراء أنموذجا
- ١٨ الزخارف الهندسية لجامع الحيدر خانة في م.د. علاء حسين اللامي ٥٠٩
مدينة بغداد
- ١٩ أثر استراتيجية يوازي في تحصيل طالبات م.د. رشا عبد الهادي صالح ٥٤١
الصف الثاني متوسط
- ٢٠ الإفصاح المحاسبي في القوائم والتقارير المالية م.م. تيسير جواد كاظم ٥٧٣
الحكومية- أنموذج حديث مقترح للوحدات م.م. حيدر كريم كاظم
الحكومية في العراق م.م. عبد الزهرة سلمان الروازق

خطاب الأنبياء لأقوامهم - منهج حياة وطريق نجاة

أ.د. رحيم خريبط عطية

مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

المقدمة:

يبحث هذا الموضوع في الطريقة التي يتوجّه بها الأنبياء عليهم السلام في مخاطبة أقوامهم وكيفية الحوار الذي ينشأ نتيجة لهذا الخطاب . ويتابع البحث الأساليب التي يتبعها النبي لإيصال رسالة السماء . ومن الطبيعي أن يختلف أسلوب كل نبي عن الآخر تبعاً للمستوى الفكري والعلمي والاستعداد لدى قومه ودرجة تطورهم واستقبالهم الرسالة . فضلاً عن أن الأنبياء من أصحاب الرسالات السماوية والكتب التي نزلت عليهم أو الصحف يختلفون في توجيه أقوامهم عن الأنبياء الذين لم يحملوا كتباً منزلة أو صحفاً . ولكن المنهج يبقى واحداً قد صدر من لدن حكيم عليم ، لا يتغير بتغير الزمن ، ولا بتطور الحياة . وبشكل عام فإن الأنبياء توجهوا إلى قومهم بالحوار ونهيه عن الطريق غير المستقيم وقدموا الأدلة تلو الأدلة كي يقنعوهم بالطريق القويم الذي أراده الله تبارك وتعالى لعباده ، وكانوا يتبعون الحكمة والموعظة الحسنة لهم ؛ من أجل الرجوع إلى طريق الحق . وإن الأنبياء عليهم السلام لم يملّوا من دعوة أقوامهم إلى هذا الطريق ولم ينتابهم الضجر أو التعالي ، وبذلوا كل شيء من أجل أن ينجحوا بمهمة الرسالة والنهوض بأعباء النبوة ، وفضلاً عن هذا أنهم كانوا لا يطلبون أجراً على هداية أقوامهم أو إبلاغ الرسالة . ويكفي مثلاً واحداً من أن النبي نوح عليه السلام - وهو من أولي العزم من الرسل - بقي يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، قال تعالى: ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ))^(١)

في هذه الآية دلالة واضحة على أن النبي لم يستطع النجاح - دائماً - إلا بهداية الله تعالى لقومه مثلما حصل الأمر مع رسول الله "ص" إذ نجح خلال ثلاث وعشرين سنة من هداية العرب جميعاً وخلق آخرين ، ومثلما تمكّن النبي سليمان من النجاح في هداية قومه - علماً أنه لم يكن من الأنبياء من أولي العزم

من الرسل ! ونراهم يعتمدون على أعمالهم ؛ من أجل قوت يومهم ، ونراهم يتحملون وزر إعالة عوائلهم ، فكان النبي زكريا عليه السلام يشتغل نجاراً والنبي عيسى يشتغل نجاراً أيضاً في أرض الجليل ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرعى الأغنام . قال تعالى - عن لسان هود عليه السلام الذي أرسل إلى قومه عاد : ((يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ))^(٢) وقال تعالى مخاطباً رسوله الكريم : ((أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ))^(٣)

وقد أمر الله سبحانه وتعالى البشر بأن يتبعوا الأنبياء جميعاً بقوله تعالى على لسان الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى : ((اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون))^(٤)

وهذه الآية صريحة في أن الاصطفاء الإلهي على منهج واحد . ونجد خطاب الأنبياء يختلف من قوم إلى آخرين - بحسب مستوياتهم الفكرية ومستوياتهم المعاشية أيضاً - وكل الأنبياء باستثناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتشابهون من قبيل بعثتهم إلى أقوامهم ، ولكن النبي الكريم بعث إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً وربّما يشبهه - إلى حدّ ما النبي سليمان ، وقصّته مع الجنّ معروفة لكنّه لم يصل إلى مسؤوليّة الرسول الكريم بهداية الناس جميعاً فضلاً عن أن رسالته خاتمة الديانات وأن لا نبي بعده . لذلك نرى النبي الكريم خاطب الناس بأصناف الخطاب وكان يعلم أن رسالته هي خاتمة الرسالات وأنها ديانة تشريع فمن الطبيعي أن يختلف الخطاب ؛ لأنّ الناس الذين يأتون بعده "ص" بهم حاجة إلى خطابه . وباستثناء النبي عيسى "ع" أيضاً : ((لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ))^(٥)

وقوله تعالى ((وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ))^(٦) وكذلك نجد الخطاب يختلف بين نبي وآخر من أصحاب الرسالات السماوية أنفسهم ، ومن الأمثلة على ذلك ما وجّهه

فرعون من خطاب إلى موسى وما كاله من تهم تمثلت في أنّ موسى كان ساحراً ، بل هو كبير السحرة الذين جاؤوا لنصرة فرعون موسى عليه السلام ، قال تعالى ((قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي أَنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى))^(٧)

وأنت ترى كيف حاول فرعون بذكاء الشياطين - أن يقلب إيمان السحرة وتركهم حاكمهم والتوجّه إلى النبي إلى الالتفاف على ما حصل وإقناع قومه بأنّ موسى هو كبير السحرة لتكون الفكرة منسجمة و مقبولة لدى قومهم الذين استخفّهم فرعون فأطاعوه ، قال تعالى : ((فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ))^(٨)

وقد رأيت أنّ فرعون اتهم موسى "ع" بتهمة من جنس المعجزة التي غلب فيها موسى السحرة ، ولكنّ ما قام به السحرة من خداع يختلف عن معجزة موسى فاختلط الأمر على الناس ، فحبال السحرة انقلبت إلى حيّات تسعى في عيني موسى تخيلاً وليس حقيقة لكنّ عصا موسى انقلبت إلى حية تلقف ما يأفكون . في حين نجد أنّ قريشاً اتهموا الرسول الكريم بأكثر من تهمة ، اتهموه بالكهانة ظناً منهم أنّ القرآن يشبه سجع الكهان في الجاهليّة ، واتهموه بالسحر واتهموه بالشعر ظناً منهم أنّ القرآن يشبه الشعر ؛ لما من مجازات واستعارات وكنائيات وغيرها من الصور التي كان الشعر الجاهلي يحفل بها ، واتهموه بالجنون ظناً منهم أنّ ما يعتري الرسول لحظات نزول جبريل "ع" عليه بالوحي يعدّ ضرباً من الجنون ، وظنّ بعض المستشرقين أنّ ما يعتري النبي - لحظات نزول الملك عليه بالوحي - هو ضرب من الصرع وهم لا يعرفون أنّ الذي يمرّ بنوبات الصرع لا يتذكّر أي شيء بعد النوبة ! واتهموه أنّ القرآن لا يأتيه من وحي ، بل من غلام حدّاد رومي كان الرسول يجلس إليه ويحدّثه ظناً منهم أنّ الغلام يعلمه الإنجيل ! هذه التهم - وربما غيرها - لا تستقرّ على حال مثلما ذهب فرعون ، فهي كثيرة وأتّى لرجل أُمّي لا يقرأ ولا يكتب - وهم يعرفون ذلك - أن يتقن هذه الأشياء كلّها ؟ والتهمة التي تشبه تهمة فرعون وتدخل في

"خانة" الذكاء هي أن النبي شاعر ، أو ما يقوله يشبه سجع الكهان ؛ لأنّ العرب كانت أمة بيان لا تدانيها قديماً إلا الإغريق ووصلت مراتب متقدمة من الخطابة والشعر حدّاً عجبياً . ولكنهم لم يثبتوا عليها ؛ لأنّهم - فيما يبدو - كانوا غير متأكدين ، فالقرآن في طروحاته التي طرحها وفي نظريّاته ما يربو على الشعر درجات كبيرة فليس فيه خطأ فضلاً عن التحدي الذي عرض عليهم وما طرق من نظريات تتعلّق بالفلك وبخلق الجنين والتارات التي تطرأ عليه وجريان الشمس لمستقرّها وتقدير القمر على منازل ونزول المطر وغيرها من الآيات والحجج الدامغة وما قاله الوليد المخزومي حين أرسلوه إلى الرسول الكريم لقومه من انبهار وتعجب ما جعلهم متحيرين - حقّاً - أنّهم أمام شيء جديد لا يشبه ما علموه وما فقهوه وأُخرس خطبائهم ومصاعقهم وشعراؤهم وذهلوا أمام الإعجاز القرآني فضلاً عن الأسلوب الراقي المتأنق في التعبير ودقّته التي عبّر عنها عبد القاهر الجرجاني بنظرية "النظم" وكيف أنّ القرآن توخّى معاني النحو أو الإعراب في طريقة نسجه ونظمه .

التمهيد:

يختلف القرآن الكريم - كونه نصّاً - عن النصوص الأخرى من زاوية مهمّة جدّاً تتمثّل في أنّه نصّ إلهي دقيق في مراميه ؛ لأنّه صدر من الله تعالى - عن طريق الوحي - وبناء على هذه الحقيقة فهو باقٍ إلى أن يرث الأرض ومن عليها ، في حين أنّ النصوص الأخرى لا تستطيع أن تبقى بقاء الإنسان من دون أن تتغيّر النظرة إليها سلباً أو إيجاباً . ولا يُطلب من البشر اقتفاؤها أو تطبيقها - مهما كان منشؤها - ومع هذه الدقّة المتناهية في أحكامه وتشريعاته إلا أنّه نصّ جاذب للقارئ من حيث جريانه على سنن العرب في الكلام ومن حيث بلاغته وبراعة أساليبه التي تأتت له من طريقة نظم العجيب . فضلاً عن التعبد في تلاوته ، بل التعبد في تلاوة أيّ حرف من حروفه ؛ لذا نجد المؤلفين القدماء كالثعالبي وغيره^(٩) - حين يشيدون بفضل اللغة العربية وتفضيلها على أيّة لغة أخرى - يأتي من هذه الناحية ويمكننا أن نبعد التعصّب في هذا التفضيل - إذا عرفنا أن اللغة طريقة للتفاهم بين الناس أو أنّها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم - وهذه خصلة لا نجدها في أيّ كتاب مؤلّف على وجه البسيطة . فإنّك تجد سموّاً

في تعبير القرآن الكريم وقرب مأخذه ، فإنك لا تجد صعوبة في فهمه ولا تجد وعورة في ألفاظه ولا في معانيه ، فهي على العموم مفهومة للناس إذا ما قُورن بالنصوص الجاهلية المعاصرة لنزول القرآن . إن النبوة لم تكن منصباً وضعياً يأتي عن طريق الانتخاب - مثلاً هو حاصل في العصر الحديث - ولا هو منصب يحصل عليه من يقوم بثورة أو من يقوم بانقلاب أو نحوه ، ولا هو يأتي بالبيعة سلفاً إذ حصل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على بيعة المسلمين بعد أن بعثه الله نبياً لآخر الزمان . إنما هو شيء لا يشبه ما يحدث للبشرية وما يتعلق بنظام الحكم . هو اختيار إلهي ، جاء ذلك بنصوص آيات صريحة في القرآن الكريم ، تثبت أن النبي لا يمكن أن يدعي النبوة بل هي اصطفاء سماوي لا دخل للنبي المبعوث فيه ولا دخل لقومه فيه أيضاً ، قال تعالى ((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ))^(١٠)

فجاءت بعثة رسول الله "ص" من الله تعالى ولا دخل له فيها أو قومه الذين وصفهم بالأميين ووصفهم - قبل أن يأتي الرسول "ص" - بأنهم كانوا في ضلال مبين مؤكداً ذلك باللام المؤكدة . وكانت بعثة الرسل رحمة من الله تعالى لإنقاذ الناس من ضلالتهم وما يجرون على أنفسهم من ويلات نتيجة تعاملهم مع بعضهم . بدليل قوله تعالى بعد الآية المذكورة ((وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ))^(١١)

فالله عزّ وحكم وقضت عزّته وقضى حكمه أن يبعث واحداً من القوم ليقوم بتبليغ قومه بما ينزله الله لهم حتى يعيشوا باطمئنان تام وهذه الرحمة الالهية عبر عنها الحق بالفضل والله ذو الفضل العظيم . وهذا الفضل الالهي لا يخصّ قوماً دون قوم ولا ملة دون أخرى ، إنما هو فضل عام بقوله تعالى ((وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ))^(١٢)

وبهذا تندفع حجة كل قوم على الله تعالى . وأخبر القرآن الكريم أن ما لاقاه الانبياء - وهم يبلغون رسالات ربهم - يكاد يكون متشابهاً مع اختلاف في نسبة العنت الذي يواجهه الأنبياء ودرجة تسلط الحكام أو المتنفذين من الناس حرصاً على مصالحهم الخاصة ، وبين القرآن الكريم ذلك في آيات كثيرة منها ((وَلَقَدْ

كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيٍّ الْمُرْسَلِينَ ((^(١٣))

وقوله تعالى ((وَلَقَدْ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ))^(١٤) ولو ترى أَنَّ القرآن الكريم يتحدث طويلاً عن " السخرية " من السفهاء - وهم يقفون عقبة كؤود - بوجه الأنبياء الذين أرسلوا إليهم ووجود هذه السخرية دليل على أَنَّها مؤلمة وَأَنَّ الله تعالى يمقتها ولا يريد لها لعباده ، بل يريد منهم التقوى وأخذ الأمور على محمل الجد .

وحيث بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين يتمثل في مغزى بعيد الأهمية من أجل هداية الناس وقد أخذ النبي "ص" على نفسه تحمّل أعباء الرسالة والعفو عن الناس من أجل إقامة الدين وجمع الناس على كلمة التوحيد ، فقد عفا "ص" عن الصحابي "حطاب" إذ بعث رسالة إلى أهله ينذرهم بقدوم المسلمين ليفتحوا مكة وأخبره الوحي بذلك أو جاء الخبر عن طريق القوافل إذ كشف سرّ المسلمين واعترف بذنبه ، ونحن نعلم أَنَّ الدول اليوم تحاكم من يقوم بمثل ما قام به بإعدامه بتهمة الخيانة العظمى للبلاد .وعفا أيضاً عن الصحابة الذين " حاولوا " اغتياله "ص" بما سمي بتفسير الناقة في طريق عودته من غزوة تبوك مع الروم وألقوا صخرة لتقع في طريقه "ص" فتتفر الناقة ويسقط "ص" في الوادي وأمر حذيفة بن اليمان بالصعود إلى الجبل وكان حذيفة قد عرفهم من رواحهم مع أَنهم كانوا ملتئمين لكنّه "ص" أمر حذيفة بكتمان الخبر وكنتمه رغبة منه "ص" بالمحافظة على أصحابه وطمعاً في أَن يرجعوا إلى جادة الصواب بعد زيغ أو انحراف وحتى لا يقولون إِنَّ مُحَمَّدًا "ص" يقتل أصحابه وأن لا ينكّد النصر الذي تحقّق من تبوك من غير قتال ، وهذه العقلية " الاستراتيجية " هي التي مكّنته "ص" من كسب القلوب والعقول على حدّ سواء وأنّه نجح على الصّاعدين الديني والدنيوي على السواء .

ويصادف النبي من قومه - إذا كانوا جبلوا على الخبث والمكر - عنناً ما بعده عننت مثلما مرّبه موسى "ع" حين عبد بنو اسرائيل العجل من بعده ، فقد تناول الزمخشري وهو يفسر قوله تعالى ((وَإِذْ قَالَ مُوسَى

لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ))^(١٥)

ذلك بقوله : حمل قوله : { فاقتلوا أنفسكم } على الظاهر وهو البع وقيل : معناه قتل بعضهم بعضاً . وقيل : أمر من لم يعبد العجل أن يقتلوا العبد . وروى أن الرجل كان يبصر ولده ، ووالده وجاره وقريبه ، فلم يمكنهم المضي لأمر الله ، فأرسل الله ضباباً وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها ، وأمروا أن يختبوا بأفنية بيوتهم ، ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم ، وقيل لهم : اصبروا ، فلعن الله من مدّ طرفه أو حلّ حبوته أو اتقى بيد أو رجل ، فيقولون : آمين فقتلهم إلى المساء حتى دعا موسى وهارون وقالوا : يا رب ، هلك بنو إسرائيل ، البقية البقية ، فكشفت السحابة ونزلت التوبة . فسقطت الشفار من أيديهم ، وكانت القتل سبعين ألفاً . فإن قلت : ما الفرق بين الفاءات؟ قلت : الأولى للتسبيب لا غير ، لأن الظلم سبب التوبة . والثانية للتعقيب لأن المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم ، من قيل أن الله تعالى جعل توبتهم قتل أنفسهم . ويجوز أن يكون القتل تمام توبتهم . فيكون المعنى : فتوبوا ، فأتبعوا التوبة القتل تنمة لتوبتهم ، والثالثة متعلقة بمحذوف ، ولا يخلو إما أن ينتظم في قول موسى لهم فتتعلق بشرط محذوف ، كأنه قال : فإن فعلتم فقد تاب عليكم . وإما أن يكون خطاباً من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات . فيكون التقدير : ففعلتم ما أمركم به موسى فتاب عليكم بارؤكم . فإن قلت : من أين اختص هذا الموضع بذكر الباري؟ قلت : الباري هو الذي خلق الخلق بريئاً من التفاوت { ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت }^(١٦) وامتيازاً بعضه من بعض بالأشكال المختلفة والصور المتباينة ، فكان فيه تقريب بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي برأهم بلطف حكمته على الأشكال المختلفة أبرياء من التفاوت والتنافر ، إلى عبادة البقرة التي هي مثل في الغباوة والبلادة . في أمثال العرب : أبلد من ثور حتى عرضوا أنفسهم لسخط الله ونزول أمره بأن يفك ما ركبه من خلقهم ، وينثر ما نظم من صورهم وأشكالهم ، حين لم يشكروا النعمة في ذلك ، وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شيء منها^(١٧).

فلم يكن لدى النبي من بدّ إلا أن يطلب منهم ما أمر به الله سبحانه وتعالى وهو القتل حتى يتقبل منهم توبتهم ؛ وبذلك ندرك مدى ارتكاب اولئك القوم الآثام والموبقات .

ويلقانا النبي موسى مرّة أخرى في مخاطبته فرعون ، بقوله ((وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ))^(١٨)

وقال القرطبي وهو يفسر قوله تعالى { حقيق على } أي واجب ومن قرأ على ألا فالمعنى حريص على ألا أقول وفي قراءة عبد الله حقيق ألا أقول بإسقاط على وقيل : على بمعنى الباء أي حقيق بألا أقول وكذا في قراءة أبي و الأعمش بألا أقول كما تقول : رميت بالقوس وعلى القوس فحقيق على هذا بمعنى محقوق ومعنى { فأرسل معي بني إسرائيل } أي خلهم وكان يستعملهم في الأعمال الشاقة ^(١٩) وأنت إذ تلاحظ الطريقة التي تكلم بها موسى "ع" مخاطباً فرعون بأدب وبلقبة الملكي ؛ حتى يلقي الحجة عليه أولاً وأن لا يعطيه فرصة لترك الامر المهم والذهاب إلى أمر ثانوي للتأثير في النبي وحرف مسار الخطاب الاصلي . فكان الكلام على هذه الحال مقبولاً ويتماشى مع أمر الله تعالى ((فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى))^(٢٠)

ونلاحظ بمرّة فرعون ((قَالَ إِنْ كُنْتُ جِئْتُ بِآيَةٍ فَأَتِ بِهَا إِنْ كُنْتُ مِنَ الصّٰدِقِينَ))^(٢١) وفي ردّه نكاه ؛ فلم يشتم أو يأمر الحرس مثلاً بقتل النبي ، وكان قد اعتمد هنا على ذهنه وعلى فراسته بأن طلب من النبي الآية وهي البرهان والدليل ؛ لاعتقاده بأن النبي لا يملك أي شيء فقد كان مقتنعاً بأنه هو الإله وأن الانهار تجري من تحته - كما أخبرنا القرآن في آيات أخر ! ولم يخاطب موسى باسمه أو أي لقب آخر مع علمه باسمه ولم يكن خطابه موازياً لخطاب النبي المؤدب . فجاء ردّ موسى "ع" من دون كلام هذه المرّة ((فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ))^(٢٢)

إذ لم يكن النبي محتاجاً إلى الكلام ، بل هو محتاج إلى الاقناع أولاً وإلى كسب الوقت ثانياً ، فإنه يعرف فرعون جيداً ، وثالثاً هو يريد - فيما يبدو - أن يلفت الانتباه فهناك جمع من الناس - بحسب دلالة الآية الآتية بعد قليل . وبعد أن ألقى عصاه أتى بآية مماثلة ((وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ))^(٢٣)

وهنا يسكت فرعون ويبهت ويسقط في يده . فينبري الذين أفادوا من جبروته وهم من قومه ليحرفوا الخطاب وشروطه فقد طلب فرعون من النبي فأتاه باثنتين معا لكنهم أرادوا أن يحرفوا مسار الخطاب ((قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَزْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغْلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ))^(٢٤)

فأول ما نطقوا به - ردّاً على الآية التي طلبها سيدهم فرعون أن اتهموه بالسحر ، فهذه تهمة جاهزة تمكنهم من الهرب وعدم مواجهة النبي ؛ لحجته الدامغة . ثم وجهوا للنبي تهمة ثانية بأنه يريد إخراج الفراعنة - قوم فرعون - من أرضهم وطلبوا بعد ذلك المشورة والأمر من قوم فرعون وكأن فرعون بعيد عن هذا وهم تبّنوا القضية ! وبد المداولة - فيما يبدو - طلبوا من فرعون التريث بالأمر وأن يؤخر النبي موسى وأخاه هرون وأن يبعث في المدن لإحضار السحرة ؛ كون عمل موسى السحر ولا يرد إلا بالسحر وبعد أن اختاروا السحرة فرعون طلبوا منه أجراً إذا غلبوا موسى - ويبدو أنهم متمكنون من سحرهم . فوافق على الاجر وزيادة . وهو بعمله هذا قدر الخطر المحقق به وقدر موهبتهم السحرية - إن صح التعبير - فقالوا - بتمكّن - لموسى من يبدأ أولاً فقال انتم من يبدأ فألقوا وسحروا أعين الناس وخوفوهم بسحر عظيم ! فجاء الوحي لموسى أن ألقى فألقى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون وغلبهم موسى بمعجزة إلهية من

جنس ما كانوا يسحرون به الناس . ولم يكن هذه الآيات كافية لفرعون ولا لملئه ولا لقوم موسى ، فهتد فرعون السحرة بعدما آمنوا برب موسى وهرون ، ولم يقبل قوم فرعون منه أن يذر موسى وقومه "يفسدون" في الارض - كما يقولون ، فاستعمل فرعون - بدفع من قومه - واستمر في أذية بني اسرائيل . وفي المقابل يطلب النبي من قومه الصبر والاستعانة بالله وهم يقولون لنبيهم أودينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا فيقول لهم : عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعلمون . وكان قضاء الله أن يأخذ آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات تأديباً لهم لعلهم يذكرون ولكنهم يدعون أن الحسنات من صنع أيديهم وكانوا يطّيرون بموسى ومن معه . واستبدوا بعد كل هذا واتهموا النبي مرة أخرى بالسحر وبأتهم "مهما" يأتيهم به لا يؤمنون فعندها جاء الامر الالهي بعذابهم وبإغراقهم وبالآيات التسع المعروفة (٢٥)

وقال سيد طنطاوي حين ذكر الآية ((ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)) (٢٦)

بعد هذه الآيات : والمعنى : ثم بعثنا من بعد أولئك الرسل الذين سبق الحديث عنهم - وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب - بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا التي تدل على صدقه فيما يبلغه عن ربه إلى فرعون وملئه ، وهم أشرف قومه ، ووجهاء دولته . قال بعض العلماء : " ولم يقل - سبحانه - إلى فرعون وقومه ، لأن الملك ورجال الدولة هم الذين كانوا مستعبدين لبني إسرائيل ، ويبددهم أمرهم ، وليس لسائر المصريين من الأمر شيء ، ولأنهم كانوا مستعبدين - أيضا ولكن الظلم على بني إسرائيل الغرباء كان أشد " (٢٧).

وقد يكون الطرف الثاني صادقا في مقابل خطاب النبي، على غرار ما نجد ذلك واضحا جليا عند مخاطبة أولاد يعقوب "ع" له ((وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ)) (٢٨)

فأولاد النبي يعقوب ذكروا لأبيهم ما رأوه ماثلا أمام أعينهم مثلما رأى الناس الذين كانوا يرافقونهم في القافلة ، ونوه الالوسي إلى ذلك وهو يفسر الآية المذكورة وهو يتحدث عن الشيء الذي إذا اتضحت

معالمه وبان جلياً: ((ظهر ظهوراً كاملاً فقد يقال فيه : سل السماء والارض وجميع الاشياء عنه ، والمراد أنه بلغ في الظهور إلى الغاية التي ما بقي للشك فيه مجال)) (٢٩)

وكان النبي إبراهيم "ع" اتخذ طريقاً في مخاطبة قومه ابتداء من عمه الذي سمّاه القرآن أباه معتمداً على وصفهم بانهم في ضلال مبين ، وما من شك في انك حين تصف أحداً بالضلالة سيصدم وسيفكر بطريقة جدية فيما تقوله له ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)) (٣٠) وذكر ابن عبد السلام في تفسيره : أن أزر اسم أبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان من أهل كوثى قرية من سواد الكوفة أو أزر ليس باسم بل هو سب وعندما وعيب معناه "معوج" كأنه عابه في اعوجاجه عن الحق وضاع حق أبوته بتضييعه حق الله تعالى أو أزر اسم صنم وكان اسم أبيه "تارح" (٣١) ينظر في النجوم ، رأى الكواكب تأفل ثم رأى القمر يأفل حوّل نظره إلى الشمس فهي أكبر وإذ هي تأفل قال يا قوم : إني بريء مما تشركون ، أي أنه نظر مثلما نظروا ولم يقف عند حدّ سلفاً ، لكنّ نظريته نظرة المتفحص المتدبر العاقل غي المقلد ((فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ)) (٣٢)

وبعدما أخبرهم النبي ببراءته من شركهم لم يسكتوا ولم يطيعوه ، بل تراهم يحاجونه ((وَحَاجُّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)) (٣٣)

فأخبرهم بأنه لا يخاف ما يشركون به من أصنام من غير هدى ولا سلطان ، ولم يكتف بهذا ، بل راح يفنّد طرقهم بشكل علمي مبني على البراهين والادلة الساطعة التي لا تبقى عندهم ذريعة يتذرّعون بها ، وهي انه لم يخاف مما أشركوا به ولم ينزل به سلطان بين ، بينما هم لا يخافون مما آمن به النبي مع أدلته وبراهينه . وبعد هذا الحوار الدقيق الذي يخرج عن أيّة مصلحة يروجها النبي سوى رضا الله تعالى ، وصل إلى نهاية الحجاج والخطاب بطريقة علمية دقيقة وهو مطمئن : من ينعم بالامن : أنا الذي معي

برهان وسلطان وعلى بيّنة من أمري أم أنتم من لا تملكون شيئاً من ذلك ؟ وهذه النتيجة - من دون شك - صادمة لهم . وسمى إبراهيم ما يعبدون من دون الله أصناماً ويسميتها مرة أخرى تماثيل بقوله ((إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ))^(٣٤)

على سبيل الاستفهام فهو ((يثير في النفس التفكير ويدفعها إلى تدبر الامور حتى تقتنع بتفكيرها الخاص ، بأنه ما كان ينبغي أن يقع ما وقع أو كان الصواب أن يقع ما لم يقع))^(٣٥)

ووجه إبراهيم "ع" خطابه أول الامر قبل هذه الآية وفي قوله تعالى ((وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا))^(٣٦)

إلى أبيه أول مرة ؛لانه ((رأى ان من أولى مهماته في الدعوة إلى الله أن يبدأ بدعوة أبيه لان بقاء أبيه على الكفر يخلق نقطة ضعف في موقفه وقد يسبب له مصاعب داخلية تعطل خطواته أو تجلب له مشاكل غير منتظرة))^(٣٧)

وهذا يندرج في الحقيقة في جانب الذكاء الذي يتمتع به إبراهيم "ع" و ((عن طبيعة التأمل لديه وتدرجه في عملية الاستدلال من الاصغر إلى الاكبر ، من الكواكب إلى الشمس ، مما يجعل المتلقي يشعر أنه يستبطن عقل الشخصية الايجابية بحيث يتصور أنه يرافقه في رحلته هذه وفي تأمله ذاك حتى وصوله عليه السلام إلى النتيجة النهائية في وعي تام ومكتمل))^(٣٨)

ويبدو أنّ قوم النبي إبراهيم تناسبهم مثل هذه الطريقة . إذ أنّه استعمل مع النمرود خطابا يختلف مع خطاب النبي موسى "ع" وكذلك استعمل مع قومه خطابا يختلف مع خطاب قوم موسى أيضاً ((أَلَمْ تَرَ

إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ))^(٣٩)

فأنت إذ تلاحظ أن الله تعالى لم يذكر النمرود باسمه أو لقبه احتقاراً له على جبروته ، إذ كان تافهاً مدّعياً الألوهية ، فخاطبه النبي خطاباً يليق بذهنه إذ قال له جواباً على سؤاله وسؤال كل من يطلب الميرة من الملك ، يقال له : من ربك فيقول : ربي النمرود ، لكن إبراهيم لم يقل : النمرود لم يكن ربي ، بل قال : ربي الذي يحيي ويميت فجاء به إلى النمرود فحاوره ، ولما قال للنبي : أنا أحيي وأميت ، عندها أراد النبي أن يفحمه ويبين عجزه وحقاقته فقال له : فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأنت بها من المغرب ، فبهت . بينما كان حوار فرعون مختلفاً مع موسى "ع" ويدل على ذكاء بين مع اتفاق الطاغيتين على العجرفة والتعالي . وتعرض الآلوسي إلى النمرود واسمه وحقاقته وأنه أول من ادعى الربوبية بقوله :

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ } بيان لتسديد المؤمنين إذ كان وليهم وخذلان غيرهم ولذا لم يعطف ، واهتم ببيانه لأن منكري ولايته تعالى للمؤمنين كثيرون ، وقيل : استشهاد على ما ذكر من أن الكفرة أولياؤهم الطاغوت وتقرير لهم كما أن ما بعده استشهاد على ولايته تعالى للمؤمنين وتقرير لها ، وبدأ به لرعاية الاقتران بينه وبين مدلوله واستقلاله بأمر عجيب حقيق بأن يصدر به المقال وهو اجتزاؤه على المحاجة في الله عز وجل ، وما أتى به في أثائها من العظمة المنادية بكمال حماقته ، ولأن فيما بعد تعداداً وتفصيلاً يورث تقديمه انتشار النظم على أنه قد أشير في تضاعيفه إلى هدايته تعالى أيضاً بواسطة إبراهيم عليه الصلاة والسلام فإن ما يحكى عنه من الدعوة إلى الحق وادحاض حجة الكافرين من آثار ولايته تعالى ولا يخفى ما فيه ، وهمزة الاستفهام لإنكار النفي وتقرير المنفي ، والجمهور على أن في الكلام معنى التعجب أي ألم تنتظر ، أو ألم ينته علمك إلى قصة هذا الكافر الذي لست بولي له كيف تصدى لمحاجة من تكفلت بنصرته وأخبرت بأني ولي له ولمن كان من شيعته أي قد تحققت رؤية هذه القصة العجيبة وتقررت بناءً على أن الأمر من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على أحد ممن له حظ من

الخطاب فلتمكن في الغاية القصوى من تحقق ما ذكرته لك من ولايتي للمؤمنين وعدمها للكافرين ولتطب نفسك أيها الحبيب وأبشر بالنصر فقد نصرت الخليل ، وأين مقام الخليل من الحبيب ، وخذلت رأس الطاغين فكيف بالأذنان الأذنين ، والمراد بالموصول نمرود بن كنعان بن سنجاريب وهو أول من تجبر وادعى الربوبية ، كما قاله مجاهد وغيره وإنما أطلق على ما وقع لفظ المحاجة وإن كانت مجادلة بالباطل لإيرادها موردها ، واختلف في وقتها ف قيل : عند كسر الأصنام وقبل إلقائه في النار وهو المروي عن مقاتل وقيل : بعد إلقائه في النار وجعلها عليه برداً وسلاماً وهو المروي عن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام تشريف له وإيدان/ من أول الأمر بتأييد وليه له في المحاجة فإن التربية نوع من الولاية (٤٠).

وحاور إبراهيم قوم نمرود بشكل لا يختلف كثيراً عن حوار ملكهم ((قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَا يَا إِبْرَاهِيمَ)) (٤١)

ورد هذا الخطاب عندما سمع بأن فتى يقال له إبراهيم هو الذي حطّم الاصنام وهو سؤال يبدو منطقياً يريدون أن يعرفوا الفاعل الحقيقي. فأجاب النبي "ع" ((قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطَفِقُونَ)) (٤٢)

فاستعمل النبي "ع" أسلوب السخرية يريد أن يؤثّر فيهم عن طريق الاقتناع والمحاجة ، فإذا كان كبير الاصنام إلهاً فمن باب أولى سيتكلم وسيدافع عن نفسه وسيدل على الفاعل . وقد أفلح في ما قصد إليه مع أنه كان يقول ببساطة : أنا الفاعل ، لكنه أراد أن يلفت انتباههم إلى ضلالتهم ((فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ)) (٤٣)

((قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفَبِكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ)) (٤٤)

فبعد رجوعهم إلى أنفسهم واعترافهم بظلمهم عندها قال النبي "ع" أتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم بدليل لو كان ينفع أو يضر لتكلم كبيرهم، وقد تناول الزمخشري هذه الآيات بقوله :

((هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها إلا أذهان الراضة من علماء المعاني . والقول فيه أنّ قصد إبراهيم صلوات الله عليه لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم ، وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم ... ، ولقائل أن يقول : غاظته تلك الأصنام حين أبصرها مصطفة مرتبة ، وكان غيظ كبيرها أكبر وأشدّ لما رأى من زيادة تعظيمهم له . فأسند الفعل إليه لأنه هو الذي تسبب لاستهانتها بها وحطمه لها ، والفعل كما يسند إلى مباشره يسند إلى الحامل عليه))^(٤٥)

وبعد هذا الحوار المنطقي الهادف ورجوع قوم إبراهيم إلى أنفسهم ما لبثوا أن صدوا عن السبيل وقالوا : حرّقوه ، وهذا ديدن الأمم والأقوام السابقة .

والذي جاء به الرسول "ص" يكون وزره أكبر من الانبياء السابقين - مع أنّ المنهج واحد - حتى من الانبياء من أولي العزم من الرسل ؛ لسبب موضوعي يتمثل في أنّه صلى الله عليه وآله وسلّم ختم رسالات السماء وأنّه مبعوث رحمة للعالمين جميعاً ، فلم تكن بالبشرية حاجة إلى رسالة أخرى ، فرسالته صالحة لكلّ زمان ومكان . وهو قد تحمّل عبء قومه وعبء اتباع الديانات السابقة السماوية وغير السماوية ، ودخل في معترك الحجاج مع النصارى ، وآية المباهلة صريحة مثلما دخل في خطاب وحوار مع اليهود ، فقد مسّهم مسّا مباشرا عندما يكتبون الكتاب بأيديهم ثم ينسبونه إلى الله ظلماً ويدعون أيضاً بأنّ النار لا تمسّهم إلّا أياماً معدودة ، تمثّل ذلك بقوله تعالى ((فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْشْتَروا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ))^(٤٦)

وهذا الخطاب يدلّ على ماكان اليهود عليه من مكر واحتيال وتزييف الحقائق ، ليس على البشر وإنّما ما يتعلق بالله تعالى . ولما جاءهم القرآن وهو مصدق لما معهم ومتوافق مع التوراة وهو يعرفون ذلك ومع ذلك كفروا به وإذا طلب منهم الايمان بالقرآن قالوا نؤمن بما أنزل علينا فيأتي الرد الحازم الذي لا جدال

فيه يتمثل بقول النبي لهم : فلم تقتلون أنبياء الله وأنهم اتخذوا العجل من بعد موسى . قال تعالى ((وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ))^(٤٧)

والملاحظ على هؤلاء اليهود أنهم يعتمدون على الخديعة بقولهم : نؤمن بما أنزل علينا مع أنهم قتلوا أنبياءهم واتخذوا العجل من بعد موسى ، وكان الاولى أن يحترموا الرسول الذي بعث فيهم وهو رسول الله الذي بشرت به التوراة وبشر به الانجيل وانه يسير على منهج النبوات وكان يقول نحن أولى بموسى من اليهود . وكان عبء دعوته مع قومه "ص" ثقيلًا إذ وصل بهم الامر أنهم يفعلون الفاحشة ولا يستحون منها ويقولون إنهم وجدوا آباءهم عليها وأن الله هو الذي أمرهم بها فيأتي الرد المناسب في أن الله تعالى لا يأمر ((وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ))^(٤٨)

وقد تناول التستري هذه الآية على النحو الآتي: اعلم أن في الناس من حمل الفحشاء على ما كانوا يحرمونه من البحيرة والسائبة وغيرهما، وفيهم من حمله على أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء ، والأولى أن يحكم بالتعميم، والفحشاء عبارة عن كل معصية كبيرة ، فيدخل فيه جميع الكبائر ، واعلم أنه ليس المراد منه أن القرم كانوا يسلمون كون تلك الأفعال فواحش . ثم كانوا يزعمون أن الله أمرهم بها ، فإن ذلك لا يقوله عاقل. بل المراد أن تلك الأشياء كانت في أنفسهم فواحش، والقوم كانوا يعتقدون أنها طاعات، وإن الله أمرهم بها ، ثم إنه تعالى حكى عنهم أنهم كانوا يحتجون على إقدامهم على تلك الفواحش بأمرين . أحدهما : أنا وجدنا عليها آباءنا . والثاني : أن الله أمرنا بها.

أما الحجة الأولى: فما ذكر الله عنها جواباً، لأنها إشارة إلى محض التقليد، وقد تقرر في عقل كل أحد أنه طريقة فاسدة ، لأن التقليد حاصل في الأديان المتناقضة ، فلو كان التقليد طريقاً حقاً للزم الحكم بكون كل واحد من المتناقضين حقاً ومعلوم أنه باطل ، ولما كان فساد هذا الطريق ظاهراً جلياً لكل أحد لم يذكر الله تعالى الجواب عنه .

وأما الحجة الثانية : وهي قولهم: {والله أَمَرْنَا بِهَا} فقد أجاب عنه بقوله تعالى: {قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ} والمعنى أنه ثبت على لسان الأنبياء والرسول كون هذه الأفعال منكراً قبيحاً ، فكيف يمكن القول بأن الله تعالى أمرنا بها؟ وأقول للمعتزلة أن يحتجوا بهذه الآية على أن الشيء إنما يقبح لوجه عائد إليه ، ثم إنه تعالى نهى عنه لكونه مشتملاً على ذلك الوجه ، لأن قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ} إشارة إلى أنه لما كان ذلك موصوفاً في نفسه بكونه من الفحشاء امتنع أن يأمر الله به ، وهذا يقتضي أن يكون كونه في نفسه من الفحشاء مغايراً لتعلق الأمر والنهْي به ، وذلك يفيد المطلوب .

وجوابه : يحتمل أنه لما ثبت بالاستقراء أنه تعالى لا يأمر إلا بما يكون مصلحة للعباد ، ولا ينهي إلا عما يكون مفسده لهم ، فقد صح هذا التعليل لهذا المعنى. والله أعلم .

ثم قال تعالى: {أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} وفيه بحثان :

البحث الأول: المراد منه أن يقال: إنكم تقولون إن الله أمركم بهذه الأفعال المخصوصة فعلمكم بأن الله أمركم بها حصل لأنكم سمعتم كلام الله تعالى ابتداء من غير واسطة، أو عرفت ذلك بطريق الوحي إلى الأنبياء؟

أما الأول: فمعلوم الفساد بالضرورة .

وأما الثاني: فباطل على قولكم، لأنكم تتكبرون نبوة الأنبياء على الإطلاق، لأن هذه المناظرة وقعت مع كفار قريش، وهم كانوا ينكرون أصل النبوة ، وإذا كان الأمر كذلك، فلا طريق لهم إلى تحصيل العلم بأحكام الله تعالى ، فكان قولهم أن الله أمرنا بها قولاً على الله تعالى بما لا يكون معلوماً . وإنه باطل .

البحث الثاني: نفاة القياس قالوا: الحكم المثبت بالقياس مظنون وغير معلوم ، وما لا يكون معلوماً لم يجز القول به لقوله تعالى في معرض الذم والسخرية : { أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } وجواب مثبتتي القياس عن أمثال هذه الدلالة قد ذكرناه مراراً . والله أعلم ^(٤٩).

وقال ابن كثير في تفسيره : ((الفاحشة هنا في قول أكثر المفسرين طوافهم بالبيت عراة وقال الحسن : هي الشرك والكفر واحتجوا على ذلك بتقليدهم أسلافهم وبأ الله أمرهم بها وقال الحسن : والله أمرنا بها قالوا : لو كره الله ما نحن عليه لنقلنا عنه {قل إن الله لا يأمر بالفحشاء} بين أنهم متحكمون ولا دليل لهم على أن الله أمرهم بما ادعوا وقد مضى ذم التقليد وذم كثير من جهالاتهم وهذا منها)) ^(٥٠)

وختام القول ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ينطلقون من منهج واحد وأمرنا بأن لا نفرق بين أحد من رسل الله وجميع رسالاتهم موضع احترام وإجلال .

الخاتمة:

- إن خطاب الانبياء أوثق خطاب ؛ لأنه صدر من لدن حكيم عليم .
- إن الاعباء التي تحمّلها الانبياء من أولي العزم من الرسل أكبر من غيرهم من الانبياء الآخرين وبطبيعة الحال كان خطابهم يستوعب ما كلّفوا به واستوعبوه .
- إن الخطاب الموجّه لليهود يختلف عن الخطاب الموجّه لغير هذه الديانة، سواء أكان صادرا من نبيهم موسى "ع" أو من الرسول محمد "ص" ؛ لما عرفوا من مكر وخبت وتحين السقطات لمصالحهم الشخصية وحبهم الشهوات ورضاهم بأدنى درجات الدنيا من ذلّ وهوان .
- كانت الاقوام ترسخ إذا واجهتها أنبياؤها بالمعجزات وبالبراهين العميقة، لكنها سرعان ما تتقلب على عقبيها وتعود سيرتها الاولى في ارتكاب المعاصي والآثام .
- لم يطلب أي نبي أجراً على رسالته إنّما كان يقوم بهذا العبء العظيم طلباً لوجه الله تعالى، ولم يطلب رسول الله "ص" أجراً إلا المودة في القربى .

-كان الانبياء "ع" يواجهون مشكلة كبيرة حين يأتيهم الامر الالهي بالتصدي للطواغيت إلا أنهم كانوا على دراية كبيرة وذكاء حاد في اتخاذ أفضل الطرق لئلا يصرف الطاغوت الحوار إلى أشياء يضعف معها دعوة النبي، وقد نجحوا نجاحا عظيما في السيطرة على أولئك الطواغيت وأفحموهم .

-توصل البحث إلى أن الاقوام يقومون بمقابلة النبي بأساليب بعيدة عن موضوع الحوار؛ لأنهم لا يستطيعون إقامة الحجة على نبيهم فتراهم يلصقون به تهما بعيدة عن شخصه من مثل الفساد أو الإخراج من الارض أو السحر أو الكذب .

الهوامش:

- (١) العنكبوت / ١٤ .
- (٢) هود: ٥١.
- (٣) الانعام / ٩٠ .
- (٤) سورة يس / ٢١ .
- (٥) المائدة : ٧٢ .
- (٦) الصف : ٦ .
- (٧) سورة طه : ٧١ .
- (٨) الزخرف / ٥٤ .
- (٩) في مقدّمة كتابه فقه اللغة وسرّ العربيّة .
- (١٠) الجمعة / ٢ .
- (١١) الجمعة / ٣ - ٤ .
- (١٢) الرعد / ٧ .

- (١٣) الأنعام / ٣٤ .
- (١٤) الرعد / ٣٢ .
- (١٥) البقرة : ٥٤ .
- (١٦) الملك : ٣ .
- (١٧) الكشاف ٩٢/١ .
- (١٨) الاعراف ، الآيتان : ١٠٤ و ١٠٥ .
- (١٩) تفسير القرطبي : ٧ / ٢٢٨ .
- (٢٠) سورة طه : ٤٤ .
- (٢١) الاعراف : ١٠٦ .
- (٢٢) الاعراف : ١٠٧ .
- (٢٣) الاعراف : ١٠٨ . وقال الشنقيطي : ذكر تعالى هنا أن موسى نزع يده فإذا هي بيضاء ولم يبين ان ذلك البياض خال من البرص ولكنه بين ذلك في سورة النمل والقصص في قوله فيهما "تخرج بيضاء من غير سوء" أي من غير برص . الشنقيطي : ١٣١/٢ .
- (٢٤) الاعراف : الآيات من : ١٠٩ - ١٢٠ .
- (٢٥) تنظر الآيات من سورة الاعراف : من ١٢١ - ١٣٦ . إذ تحدثت عن ذلك بالتفصيل .
- (٢٦) الاعراف : ١٠٣ .
- (٢٧) تفسير سيد طنطاوي : ١٦٦٣ .
- (٢٨) يوسف : ٨٢ .
- (٢٩) روح المعاني : ١٨ / ١٩٤ .
- (٣٠) الانعام : ٧٤ .
- (٣١) تفسير ابن عبد السلام : ٢ / ٥١ .
- (٣٢) الانعام : ٧٨ .
- (٣٣) الانعام : ٨٠ - ٨١ .
- (٣٤) الانبياء : ٥٢ .

(٣٥) من بلاغة القرآن : ١٢٦ .

(٣٦) مريم : ٤١ - ٤٨ .

(٣٧) الحوار في القرآن الكريم : ٢٦٣ .

(٣٨) جماليات التلقي في السرد القرآني : ٩٩ .

(٣٩) البقرة : ٢٥٨ .

(٤٠) روح المعاني : ٣٢٦ .

(٤١) الانبياء : ٦٢ .

(٤٢) الانبياء : ٦٣ .

(٤٣) الانبياء : ٦٤ .

(٤٤) الانبياء : ٦٦ - ٦٨ .

(٤٥) الكشاف : ٢٣٩/٤ .

(٤٦) البقرة : ٧٩ - ٨٠ .

(٤٧) البقرة : ٨٩ - ٩٢ .

(٤٨) الاعراف : ٢٨ .

(٤٩) تفسير التستري : ٧٣/٧ .

(٥٠) تفسير ابن كثير : ٧ / ١٦٦ .

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم .

- تفسير التستري : أبو محمد سهل بن عبد الله التستري ، علّق عليه ووضع حواشيه : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧١ .

- التفسير الوسيط للقرآن الكريم : محمد سيد طنطاوي ، الناشر : دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٧ .

- تفسير القرآن بالقرآن من أضواء البيان : الشيخ محمد الامين بن أحمد المختار الشنقيطي ، إعداد سيد محمد الشنقيطي ، دار الفضيلة (د.ت) .
- تفسير القرآن العظيم : ابن كثير الدمشقي ، وضع حواشيه وعلق عليه : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية (د.ت) .
- تفسير القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي ، ضبطه وحققه وقابل مخطوطاته : سالم مصطفى البدري ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠١٠ .
- تفسير العزّ بن عبد السلام - تفسير القرآن ، دار ابن حزم ، ١٩٩٦ .
- جماليات التلقي في السرد القرآني : يادكار لطيف الشهرزوري ، دار الزمان للطباعة والنشر ، دمشق ، ط١ ٢٠١٠ .
- الحوار في القرآن الكريم (قواعده - أساليبه - معطياته) : محمد حسين فضل الله . دار الملاك - بيروت ، ط١ ١٩٩٦ .
- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين الآلوسي . دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ت) .
- فقه اللغة وسر العربية : أبو منصور الثعالبي ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، الناشر : إحياء التراث العربي ، ط١ ٢٠٠٢ .
- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل : أبو القاسم جار الله الزمخشري ، تحقيق وتعليق : الشيخ عادل عبد الموجود والشيخ علي معوض ، مكتبة العبيكان ، ط١ ١٩٩٨ .
- من بلاغة القرآن : أحمد أحمد بدوي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ٢٠٠٥ .

قوانين التناص في رسائل أبي العلاء المعري الإخوانية

أ.د. عباس علي حسين الفحام

الباحثة إيناس محمد مهدي

كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة

المقدمة:

نقصد برسائل أبي العلاء الإخوانية هي الرسائل التي أنشأها في أوقات متفاوتة ومناسبات مختلفة لمُرَاسلة أقربائه وأصدقائه وذوي السلطان في زمانه، وهي نصوص فنية بلغت شأواً عظيماً، لما تتميز به من فنون انفراد بها أسلوب أبي العلاء، وكان أظهرها التفاعل النصي مع نصوص التراث العربي، وساعده على استحضار تلك النصوص ذاكرة حادة ومعرفة غزيرة بعلوم كثيرة، كانت نتيجة اطلاع واسع على اللغة وعلومها والأخبار والأمثال والأديان وغيرها، وقد جُمعت هذه الرسائل بين دفتين على شكل كتاب منفرد وُسِمَ بعنوان: (رسائل أبي العلاء المعري)، بعضها يحمل عنواناً، كرسالة المنيح ورسالة الإغريض ورسالة الأخرسين ورسالة الهناء، وكثير منها من دون عنوان مصدرةً بعبارة: (ومن كلامه) أو (ومن كلامه إلى فلان). ولا يقوم هذا البحث على وضع اليد على النصوص المتناصّة في رسائل أبي العلاء وإرجاعها إلى أصولها فحسب، بل يعمل على تحديد قوانين التناص، وهي: الاجترار والامتصاص والحوار^(١)، للكشف عن الكيفية أو التقنية التي تم بها الأخذ من نصوص أخرى، وللقارئ النموذجي أثرٌ جوهري في هذه العملية، لما يقوم به من تلقٍ واسترجاع وموازنة ومقارنة، ومن ثم ((بتأويل المعنى المطلوب، وهذا هو الأسلوب الحديث في التأويل، إنه يزيل ويحفر وبينما هو يحفر فإنه يدمر، إنه يحفر خافي النص للعثور على نص فرعي هو النص الحقيقي))^(٢) ولذلك فإنك إذا ((فتشت أشعار الشعراء كلها وجدتها متناسبة، أما تناسباً قريباً أو بعيداً))^(٣).

ولابد من التنبيه إلى أن قوانين التناص (الاجترار، الامتصاص، الحوار) لا تتحقق في النص الجديد إلا بعد التحرر والانفلات من قوالب النص القديم ؛ ليصبح بعدها نصاً يمكن أن يتفاعل من خلال إعادة

ترتيب البنى النصية بينه وبين النص المرجعي، وهي بذلك لا تشكل حضوراً نصياً إلا بعد تحقق التناس، ومنه يتضح أن علاقة التفاعل النصي الحاصلة بين العناصر الداخلية للنص والعناصر الخارجية له يمكن وصفها بأنها علاقة غير مباشرة ؛ لأجل ذلك ف((الفرق بين العلاقتين (الميتانص / التعلق النصي) تكمن في أن الأول يقوم بعملية توصيف للنص بينما يقوم الثاني بعملية تحويل له "transformation" مهما كان نوع هذا التحويل))^(٤)، وهو فرق دقيق بحاجة إلى قراءة متأنية.

المبحث الأول: قانون الاجترار:

إن الاجترار هو استحضار للنص الغائب من دون تغيير أو تحوير، وهذا القانون يسهم في مسخ النص الغائب، لأنه لا يطوره و لا يحاوره، بل يكتفي بإعادته كما هو أو مع إجراء تغيير طفيف لا يمس جوهره، لعدة أسباب، كالتقديس والاحترام لبعض النصوص والمرجعيات لا سيما الدينية منها من جهة، وقد يعود الأمر إلى ضعف المقدرة الفنية والإبداعية لدى الأديب في تجاوز هذه النصوص شكلاً ومضموناً من جهة أخرى، بحيث يمارس النص سيطرته على الذات المبدعة، وتبقى النصوص الجديدة أسيرة النصوص السابقة، ف((يتعامل الشعراء مع النص الغائب بوعي سكوني لا قدرة له على اعتبار النص إبداعاً لا نهائياً، فساد تمجيد بعض المظاهر الشكلية الخارجية في انفصالها عن البنية العامة للنص، حركة وسيرورة وكانت النتيجة أن أصبح النص الغائب انموذجاً جامداً تضحل حيويته مع كل إعادة كتابة له بوعي سكوني))^(٥)، وكأنه استنساخ وتكرار واستنكار للنص القديم يحدث دون إجراء تغييرات جوهرية عليه، فهو تناس مباشر ((مع تغيير طفيف جداً، يحذف حرفاً يثبت بعد نفي أو العكس))^(٦)، فالنص الغائب يصبح نموذجاً خالياً من الحيوية يوحى بالجمود في أغلب الأحيان.

ويمكن أن نتلمس هذا النمط من التناس في قول أبي العلاء من رسالة بعث بها إلى رجلٍ يبدو أنه أديب يُعرف بأبي الحسين أحمد بن عثمان النُّكَّتي البصري^(٧)، معاتباً إياه على عدم معرفة اسمه على وجه الدقة، فتارةً يسميه أحمد، وتارةً يسميه محمد، وهذا آلمه كثيراً، لأنه دليلٌ على نسيان هذا الرجل لأبي العلاء مع كونه أديباً يُشار إليه بالبنان في عصره، فقال: ((... أَنَّهُ أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ لَمْ يُثَبِّتْ اسْمِي^(٨) جَعَلَنِي

مُحَمَّدًا، وَاسْمِي أَحْمَدُ فَإِنْ أُحْتَجَّ بِأَنَّ هَذَيْنِ الْإِسْمَيْنِ سَوَاءٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى [مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ]^(٩) ، وَلِقَوْلِهِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ [بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ]^(١٠) فَإِنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ خَاصَّةٌ ؛ لِأَنَّهُ قَالَ (اسْمِي فِي السَّمَاءِ أَحْمَدُ، وَفِي الْأَرْضِ مُحَمَّدٌ)^(١١) ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّ الْعَرَبَ قَدْ يَكُونُ لِلرَّجُلِ مِنْهُمْ الْأَسْمَانِ وَالثَّلَاثَةِ ... فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَخْلُو مِنْ أَحَدِ أَمْرَيْنِ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ لِلرَّجُلِ أَسْمَانٌ وَلَسْتُ كَذَلِكَ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الشَّاعِرُ غَيَّرَ اسْمَهُ صَرُورَةً، وَلَوْ كَانَ غَيَّرَ اسْمِي فِي النَّظْمِ دُونَ النَّثْرِ، لَكَانَ عُذْرُهُ فِي ذَلِكَ مُنْبَسَطًا ...)^(١٢)، إِذْ جَمَعَ الْمَعْرِي بَيْنَ نَصِيْنِ إِسْلَامِيَيْنِ أَسْهَمَا فِي تَشْكِيلِ بَنِيَةِ النَّصِّ الْجَدِيدِ ؛ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَالْحَدِيثَ النَّبَوِيَّ الشَّرِيفَ، وَاسْتَعْمَلَ آليَةَ الْاجْتِرَارِ ضَمْنَ التَّنَاصِ التَّوْلِيْفِيِّ الَّذِي يَعْمَلُ ((عَلَى جَمْعِ الْخَطَابَاتِ أَوْ الْجُمْلِ أَوْ الْعِبَارَاتِ الَّتِي تَحْتَوِي عَلَى مَقَارِبَةِ نَصِيَةِ يُمْكِنُ أَنْ تَتَدَاخَلَ مَعَ النَّصُوصِ الْآخَرِ وَأَنْ تَتَشَكَّلَ مَعَهَا))^(١٣)، وَقَدْ اتَّصَلَ النَّصَانِ فِي فِضَاءِ النَّصِّ الْجَدِيدِ عِنْدَمَا اسْتَحْضَرَ النَّصِّ الْمَرْجِعِي فِي عِلَاقَةِ ضَمْنِ النَّصِّ الْجَدِيدِ، وَلَمْ يَطْرَأُ تَغْيِيرٌ عَلَى الْجَانِبِ التَّرْكِيبِيِّ فِيهِمَا، فَالْتَنَاصُ هُنَا اقْتِبَاسُ قُرْآنِي وَحَدِيثِ نَبَوِيٍّ لَيْسَ إِلَّا، أَوْرَدَهُمَا لِلتَّدْلِيلِ عَلَى صِحَّةِ مَا يَدَّعِيهِ فِي مَسْأَلَةٍ تَعَرَّضَ لَهَا الْمَعْرِي، وَكَانَ لَهَا أَثَرٌ وَاضِحٌ فِي نَفْسِهِ، عِنْدَمَا نَسِيَ (النَّكْتِي) اسْمَ أَبِي الْعِلَآءِ فَسَمَّاهُ مُحَمَّدًا بَدَلًا مِنْ أَحْمَدَ، فَرَدَّ عَلَيْهِ الْمَعْرِي وَأَخَذَ يَعِدُّ الْإِحْتِمَالَاتِ الَّتِي مِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ تَوْجَدَ لَتَبْرِيرِ ذَلِكَ السَّهْوِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ الْمَعْنَى بِالرَّسَالَةِ، وَيُقَدِّدُهَا وَاحِدًا وَاحِدًا، لِيُوصَلَ رِسَالَةٌ إِلَى النَّكْتِي مَفَادُهَا أَنَّهُ غَيْرُ رَاضٍ عَنْ ذَلِكَ، بَلْ تَعَجَّبَ مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ الْأَجْدَى أَنْ لَا يَقَعَ النَّكْتِي فِي هَذَا السَّهْوِ، وَلَا سِيَّمَا أَنْ أَبَا الْعِلَآءِ شَاعِرٌ مَعْرُوفٌ فِي عَصْرِهِ، وَقَدْ تَعَامَلَ الْمَعْرِي مَعَ النَّصِّ الدِّينِيِّ تَعَامُلًا مُتَقَنًا عَلَى الرَّغْمِ مِنْ صَعُوبَةِ هَذَا الْأَمْرِ.

فَهُوَ يَجْتَرُّ بَعْضَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَةِ، وَقَدْ يَجْرِي عَلَيْهَا تَغْيِيرٌ طَفِيفٌ، لِأَنَّهُ يَهَابُ النَّصِّ الْقُرْآنِيَّ وَيَحْذَرُ الْمَسَاسَ بِتَرْكِيبِهِ، فَلَيْسَ كُلُّ تَحْوِيلٍ يَصْلَحُ لِلتَّطْبِيقِ عَلَى النَّصِّ الْمُقَدَّسِ، إِذْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ التَّنَصُّفُ بَعْنَايَةً فَائِقَةً لِلْمَحَافَظَةِ عَلَى الْمَضْمُونِ الْقُرْآنِيِّ الثَّرِيِّ بِالدَّلَالَاتِ، فَالْتَنَاصَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ تَرْدُ فِي رِسَائِلِهِ دُونَ تَغْيِيرِ غَالِبًا.

وَاسْتَشْهَدَ الْمَعْرِي بِالْأَبْيَاتِ الشَّعْرِيَّةِ فِي نَصِّهِ الْجَدِيدِ بِاللَّفْظِ وَالْمَضْمُونِ، مُضِيفًا عَلَيْهَا بَنِيَّةَ مِيتَانَصِيَّةٍ (تَعْلِيقِيَّةٍ) تَتَرَجَّمُ مَقْصِدِيَّتُهُ مِنْ ذَلِكَ التَّنَاصِ مُسْتَعْمِلًا آليَةَ الْاجْتِرَارِ، لِيُحْمَلَ بَنِيَّةُ النَّصِّ الْلاحِقِ الدَّلَالَاتِ

التي يريدها، إذ قال في رسالة كتبها إلى خاله أبي القاسم، يصفُ العلم في مدينة السلام: ((... وَوَجَدْتُ الْعِلْمَ بِبَغْدَادَ أَكْثَرَ مِنَ الْحَصَى عِنْدَ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ، وَأَرْخَصَ مِنَ الصَّيْحَانِي بِالْجَابِرَةِ^(١٤)، وَأَمَكْنَ مِنَ الْمَاءِ بِخُصَّارَةِ^(١٥)، وَأَقْرَبَ مِنَ الْجَرِيدِ بِالْيِمَامَةِ^(١٦)، وَلَكِنْ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ مَانِعٌ، وَدُونَ كُلِّ دُرَّةٍ خَرَسَاءٌ مُوَحِّيَّةٌ^(١٧) أَوْ خُضْرَاءٌ طَامِيَّةٌ^(١٨) [الوافر]

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئاً فَدَعُهُ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ^(١٩)
يَكْفِيكَ مَا بَلَغَكَ الْمَحَلَّ، وَإِنْ عَجَزَ ظِلٌّ عَنْ شَخْصِكَ، فَلَا يَعْجِزَنَّ عَنْ غُضُوِّ مِنْكَ^(٢٠)، نجد المعري قد أستخدم هذا البيت بلفظه ومعناه مما شكل اجتراراً قائماً على أساس الاتحاد في مقصدية الموقفين ؛ فهو يريد أن يقول: أنه وجد العلم كثيراً ببغداد، ولكن حال دون الانتفاع به أمرٌ عظيم داهم المعري ، وهو موتُ أمه ؛ فرجع مسرعاً إلى وطنه، وهو آسفٌ متحسّرٌ على ذلك.

ومثل ذلك اجتراره لبيت زهير بن أبي سلمى وبعض الأمثال المعركة في التراث العربي في رسالة بعث بها إلى خاله يذكر فضلَه عليه ويُكَبِّرُ سؤاله الدائم عنه، بل ويحثُّ أصدقاءه ومعارفه للسؤال عن أبي العلاء ومداومة وصاله وتفقد أحواله: ((... وَمَا وَرِثَ بَرِّي عَنْ كَلَالَةٍ، وَلَا أَخَذَ تَقْطِدِي مِنْ دَارِ غَرْبَةٍ، شَنْشِنَةً مِنْ أَحْزَمٍ، وَنَشْنِشَةً مِنْ أَحْشَنَ^(٢١) ، إِنَّمَا تَقِيلُ أَبَاهُ، وَالشَّكِيرُ نَابِتٌ مِنَ الْعِصَةِ، وَالْبَرُّ مِنَ السَّلَمِ، وَمَنْ أَشَبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ، مَا زَالَتْ كُتُبُهُ تَطْرُقُ أَصْدِقَاءَهُ، مُحَافِظَةً عَلَى الْمَكَارِمِ، وَمُرَاعَاةً لِأَمْرِ غَيْرٍ لِأَزِمٍ حَتَّى جَعَلَهُمُ إِلَيَّ كَغَرْفِ الْفَرَسِ، أَوْ قُوَى الْمَرَسِ، كُلَّمَا عَرَضُوا قَضَاءَ حَاجَةٍ، أَعْرَضْتُ عَنْ تَكْلِيفِ الْمَشَقَّةِ، لِأَنِّي أَعْتَقِدُ حِكْمَةَ زُهَيْرٍ فِي قَوْلِهِ:

[الطويل]

وَمَنْ لَا يَزَلْ يَسْتَحْمِلُ النَّاسَ نَفْسَهُ وَلَا يُعْفِيهَا يَوْمًا مِنَ الدِّمِّ يُسَامُ^(٢٢)
وَلَوْ عَلِمْتُ أَنِّي أَرْجِعُ عَلَى قُرَوَائِي^(٢٣)، لَمْ أَتَوَجَّهْ لِهَذِهِ الْجَهَةِ، وَلَكِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ^(٢٤)، وَالْخَيْرُ مُعَبَّئٌ، وَالْخُطُوبُ مِثْلُ دَوَكِ النَّوْفَلِ (...))^(٢٥)

في النص أعلاه نصوص مرجعية اجترها المعري، واتخذها حكمة صرح بها، عندما أسند لنفسه الزهد والكفاف واتخذ منهما شعاراً له، وأكد ذلك بالنص المرجعي، فاستقدم بيتاً لزهير فيه حكمةً بليغة، على

المرء أن لا يكون عالة على الآخرين ؛ لأن ذلك الأمر ليس من شيم الكرام، وهو أمرٌ لا تحمد عقباه، فالناس يسأمون ويضجرون منه مهما كان عزيزاً، فعليه أن يلتمس العفاف كوسيلة لتفادي مئة الآخرين، وهذا الشعور يلوح لنا أكثر من مرة في رسائل أبي العلاء، فلا غرؤ أن يتبنّاه في جميع جزئيات حياته، ومع جميع الناس، ولعل من أوضح مصاديق التعفُّف لديه هو رفضه الدائم للتكسب بأدبه والتزلف إلى الحكّام، وكذلك اختياره العزلة والابتعاد عن الناس الذين كانوا يمثلون مصدر إزعاج يربك الحياة الهادئة التي اختارها، وقد سبب له ذلك التعفف متاعب كثيرة ؛ منها سفره إلى بغداد وحسد الناقمين عليه ومعاناته من التنقل بين البلدان وكفاف العيش، فلم يصبح من أصحاب الثروات مع أن الأبواب كانت مشرّعة أمامه ؛ لكنه تبنّى الإباء والكبرياء فلسفةً ما فتئت تلوح في أدبه، فهو يرى أن لنفسه قيمة أكبر وثمناً أعلى من أي شيءٍ آخر، و لم يطرأ على النصوص المرجعية أي تغيير، فقد استقدمها وفق قانون الاجترار (الاستشهاد). وتجدر الإشارة إلى أن التناص الذي حصل مع أغلب الأمثال في رسائل أبي العلاء المعري تمّ بقانون الاجترار.

المبحث الثاني: قانون الامتصاص:

إن الامتصاص ((مرحلة أعلى في قراءة النص الغائب وهذا القانون الذي ينطلق أساساً من الإقرار بأهمية هذا النص وقداسته، فيتعامل وإياه تعاملًا حركياً تحويلياً لا ينفي الأصل بل يسهم في استمراره جوهراً قابلاً للتجديد ومعنى هذا أن الامتصاص لا يُجِدّ النص الغائب ولا ينقده إنه يعيد صوغه فحسب على وفق متطلبات تاريخية لم يكن يعيشها في المرحلة التي كتب بها وبذلك يستمر النص غائباً غير محو ويحيا بدل أن يموت))^(٢٦)، وفيه ((ينطلق الأديب من الإقرار بأهمية النص الغائب، وضرورة امتصاصه ضمن النص المائل كاستمرار متجدد))^(٢٧)، ويتم التعامل في هذا المستوى مع النص تعاملًا تحويلياً لا يمحو الأصلي، بل يستجلب الناص تجربته في صياغة متجددة، ويغدو النص المرجعي غائباً حاضراً، وهنا يبرز أثر المبدع في كيفية تصرّفه بالنص المسافر، أي كيف يستثمر طاقاته ويضيف دلالات النص الجديد، ثم يمزجها بأفكاره ورؤاه، بحيث تعبّر عن مشاعره وتوجهاته وهي في الوقت ذاته تبدو أكثر عمقاً

وأشدُّ توهجاً وجمالاً ، سواءً أكان هذا النصُّ أسبق منه أم معاصراً له، كما في رقعةٍ بعث بها يشفعُ في إطلاق محبوس: ((قَدْ نَفَذْتُ رُفْعَتِي بِالْأَمْسِ إِلَيْهِ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ، أَحْتُثُّ فِيهَا عَلَى إِطْلَاقِ مَحْبُوسٍ فِي إِطْلَاقِهِ صَلَاحٌ، وَمَا سَأَلْتُهُ أَنْ يَصْفَحَ عَنْ جِنَايَتِي، وَلَا يَتَجَاوَزَ عَنْ ذَنْبِي، وَفِي هَذِهِ السَّبْرَةِ^(٢٨) جَاءَتْ أُمُّهُ مَحْزُونَةٌ كَنِيْبَةً، تَرْعُمُ أَنْ طِمْلًا^(٢٩) دَخَلَ عَلَيْهَا فِي الْجُهِمَةِ^(٣٠) فَذَبَحَ لَهَا وَلَابِنَهَا أَرْبَعًا مِنْ أُمَمَاتِ الْكَيْكِ^(٣١)، وَهِيَ مُتَفَجِّعَةٌ لَذَلِكَ ... وَالذَّجَاجَةُ إِذَا سَمَحَتْ بِذَوَاتِ الْعَزْقِيِّ^(٣٢) فَهِيَ عِنْدَ الْفَقِيرِ أَكْرَمُ مِنَ النَّاقَةِ الْغَزِيرَةِ، وَالْجَدْيِ عِنْدَ الْمُعْدَمِ مِثْلُ عُلْيَانٍ عِنْدَ كُليْبٍ وَائِلٍ، وَشَاةٌ أَمَّ مَعْبَدَ لَدَيْهَا خَيْرٌ مِنْ رَبَاءِ نَاقَةٍ أَبِي دَوَادٍ الَّتِي كَانَتْ إِذَا حَلَّ عِقَالُهَا تَبِعَهَا الْحَيُّ أَيْنَ اتَّجَهَتْ ...))^(٣٣)

استدعى أبو العلاء أسماء حيوانات اشتهرت في البيئة العربية بحدثٍ ما، فأصبحت دوالاً أو رموزاً لمداولات تقبع في الذاكرة، ما أن تُذكر ؛ حتى تقفز إلى الذهن قصص قديمة، كعليان جمل كُليْبٍ وائل، وناقاة أبي دؤاد الزباء، التي كانت في نظر الإياديين ناقاة ميمونة يرسلونها وحيث توجهت يتبعونها ، وكذلك كانوا يفعلون إذا أرادوا نجعة^(٣٤)، وتماهت النصوص التاريخية الغائبة وذابت في نصِّ الرسالة، وأحالت إلى مرجعيات غائبة لم يظهر منها إلا اسم يشكل بؤرة الحدث التاريخي، لا نستطيع القول أنه حوَّرها أو غيرها، وقد أسهمت في تشكيل بنية النصِّ الدلالية بواسطة قانون الامتصاص، وتداخلت الأسماء والأحداث والشخصيات، فأصبحت لوحة فسيفسائية، ((وهكذا يبدو أن لذة النصِّ ليست قطيعة مع التراث، بل هي التراث ممتداً إلى ما لا نهاية))^(٣٥)، ولهذا السبب تتجلى نصية النصِّ من خلال التناس كتمارسه تنمُّ عن قدرة الكاتب أو الأديب على التفاعل مع نصوص أخرى، وإنتاجه لنصٍّ جديد، ونقول: (قدرة)، لأن هذا لا يتأتى إلا بامتلاء خلفية الكاتب النصية بما تراكم قبله من تجارب نصية، وقدرته على تحويلها إلى تجربة جديدة قابلة لأن تُسهِم في التراكم النصي القابل للتحويل والاستمرار بشكل دائم^(٣٦).

وعمد المعري إلى مجموعة من الاقتباسات القرآنية وزين بها نصّه بحيث مزجها مزجاً فنياً مع نصِّ الرسالة التي بعث بها إلى الوزير المغربي يصف بلاغته وفصاحته، يقول: ((... أَحْسَبُ سَلَامَهُ السَّلَامَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْبَارِئُ . جَلَّ اسْمُهُ . فِي قَوْلِهِ: ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ، أَفَبَلَدُنَا جَنَّاتٌ، أَمْ وَصَحَ لِأَهْلِهَا الْغُفْرَانُ، أَمْ

نُشِرُوا بَعْدَمَا قُبِرُوا، أَمْ جُزُوا الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا، فَهُمْ يُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً، وَإِنْ نَالُوا بِمَنِّهِ أَوْصَافَ الْأَتَقِيَاءِ الْأَبْرَارِ، فَقَدْ نَزَلَتْ بِهِمْ خَلَّةٌ مِنْ خِلَالِ الْأَشْقِيَاءِ الْكُفَّارِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ بِأَسَدِ الْبَلَاغَةِ افْتَرِسُوا، وَبِأَسْبَابِهَا عَقِدَتْ أَلْسِنُهُمْ فَخَرِسُوا، فَكَأَنَّمَا قِيلَ لَهُمْ: هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِفُونَ، وَلَا يُؤَدُّنَ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ))^(٣٧).

استعملت في النص أعلاه آليات متعددة ضمن الفضاء النصي، إذ انتقل المعري بين مستويات النص معلقاً تلك الآيات القرآنية التي اقتبسها بعضها ببعض بواسطة العبارات التي تحيل المتلقي على الدلالة السيميائية للنص المرجعي؛ لاسيما أن النص المرجعي متداولٌ إلى الحد الذي جعل من تلك العبارات دلائل عليه وعلى ما يحيل إليه من معنى، وقد برع الكاتب في ربط النص، والخروج من قانون إلى آخر، عندما استعمل جملاً قرآنيةً قصيرة، كجملة (أدخلوها بسلام آمنين) التي تحيل إلى نص مرجعي وتعمل في الوقت نفسه على ربط المقطع النصي بالتركيب والكلمات السابقة لها: (أحسب سلامه)، واللاحقة (الجنان)، فالجنة هي دار السلام، وعبرة (أم جزوا الغُرْفَةَ) التي اختزلت قوله تعالى: [أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً]^(٣٨) الموجودة ضمن النص، ثم يربطها بالمقطع الأخير عن طريق علاقة التضاد بين وصفي: (الأتقياء الأبرار . الأشقياء الكفار)، فالمغايرة بينهما أدت إلى تماسك النص، لأن أحدهما استدعى الآخر بشدة، وكلُّها أوصاف استقاها المعري من القرآن الكريم، وهكذا تألَّف نصٌ مرجعي متلاحم متن السبك يصف الجنة، وغرضه المدح الذي لا يخلو من المبالغة في، وقد تشكَّلت الصورة النهائية بواسطة قانون الامتصاص.

وقد يختزل نصُ المعري قصصاً قرآنية طويلة بوصفٍ واحد أو بعبارات قصيرة، كما في قوله: ((...)) وصاحبُ النَّارِ الْمُوقَدَةِ الَّتِي بَرَزَ مِنْهَا سَلِيمٌ وَمَا وَجَدَ حَرَّهَا أَلِيمٌ، إِلَّا أَنَّ الْحَتَفَ جَمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النُّمُودِ، فَنَعُوذُ بِاللَّهِ الْوَاحِدِ مِنْ عِشَارِ النَّوْبِ وَالْعُودِ، وَأَخُو الظُّلَّةِ^(٣٩) شَرِيفٌ كَرِيمٌ، فِي الرِّيمِ اضْطَجَعَ فَمَا يَرِيْمُ^(٤٠)، وَالَّذِي رَأَى النَّوْرَ فَحَسِبَهُ نَاراً، أَسْرَى فَكَشَفَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ شَنَاراً ... وَقَارِئُ زُبُورٍ مُكْرَّمٌ، فِي عَصْرِ شَبَابِهِ وَالْهَرَمِ^(٤١)، شَاكِلٌ بِهِ أَصْوَاتُ الطَّيْرِ إِيثَاراً لِلرُّشْدِ وَالْخَيْرِ، وَسَلِيمَانُ الَّذِي قُرِنَتْ لَهُ النُّبُوَّةُ إِلَى الْمُلْكِ، مَا أَنْقَذَهُ ذَلِكَ مِنَ الْهَلَكِ، وَمَنْ ادَّعَى لَهُ رُدُّ الشَّمْسِ^(٤٢)، وَجَبَ فَنَوَى فِي رَمْسٍ ...))^(٤٣).

إن غرض الرسالة التعزية، ومفادها: أن الموت ينزل بكلّ حي مهما طال به الزمن، ولا فرق في ذلك بين سيّد وعبد أو غنيّ وفقير، حتى الأنبياء يطالهم الموت، وبدأ يذكر قصص الأنبياء (ع) واحداً تلو الآخر، فبدأ بـ (صاحب النار)، وهو نبي الله إبراهيم (ع)، وقصة إحراقه بنار النمرود مشهورة، ثم ذكر بقية الأنبياء، وقد وقع التناص مع قصصهم (ع) ضمن آلية الامتصاص، فكانت العلاقة النصية بين النص المرجعي المتمثل بالقصة القرآنية والنص الجديد (علة الموت)، واكتفى بذكر عبارة موجزة تشير إلى الأحداث كاملة؛ أي بؤرة كل قصة (إحراق إبراهيم، يوم الظلّة، عبادة بني إسرائيل للعجل بع إيمانهم، ملك سليمان، ردّ الشمس)، وهذا ما أراده المعري من استدعاء النص المرجعي.

المطلب الثالث: قانون الحوار

أما قانون الحوار ((فهو أعلى مرحلة في قراءة النص الغائب إذ يعتمد النص المؤسس على أرضية عملية صلبة تحطم مظاهر الاستلاب، مهما كان شكله وحجمه، فلا مجال لتقديس كل النصوص الغائبة مع الحوار. فالشاعر أو الكاتب لا يتأمل هذا النص وإنما يغير في القديم أسسه اللاهوتية^(٤٤) ويعري في الحديث قناعاته التبريرية والمثالية وبذلك يكون الحوار قراءة نقدية لا علاقة لها بالنقد مفهوماً عقلياً خالصاً أو نزعة فوضوية عدمية^(٤٥)، فشعرية النص تقوم على ((القراءة الواعية المعمقة التي ترفد النص المائل ببنيات نصوص سابقة معاصرة أو تراثية وتتفاعل فيه النصوص الغائبة والمائلة في ضوء قوانين الوعي واللاوعي^(٤٦)، ويحذر (غادامير) أن يقع القارئ في خطأين، أولهما: أن يعتقد أن الحوار مع التراث يأخذ شكل علاقة بين ذات وأخرى. والخطأ الثاني: هو أن يأخذ الحوار شكل علاقة بين ذات وموضوع^(٤٧)، فالحوار تغيير للنص الغائب وقلبه وتحويله بقصد قناعة راسخة في عدم محدودية الإبداع ومحاولة لكسر الجمود الذي قد يغلف الأشكال والقيمات والكتابة في الجديد وتناسي الاعتبارات الدينية والعرفية والأخلاقية والخوض في المسكوت عنه لضرورة الأدب لمثل هذه الحالة الصحية في الإبداع والانفتاح نحو فضاءات نصية جديدة، و((النص السابق بقدر ما يكون عائقاً أمام "القدرة الضعيفة" عند المبدع الذي يعيد إنتاج المَقُول، يكون مدعاةً للإبداع والتجاوز عند المبدع ذي "القدرة الهائلة" على قول

أبدع مما قيل. وتاريخ الإبداع العربي يمدُّنا بنماذج ثرَّة وغنية بخصوص هذين الوجهين، وهناك فرقٌ شاسع بين الشاعر الميداني الذي يقع حافره على حوافر غيره، والمتنبّي وأبي تمام في هذا المجال^(٤٨). ومن هنا كان الحوار أو القلب أو العكس (Interrerslon) أو التناص العكسي^(٤٩) هو الصيغة الأكثر شيوعاً في التناص وخصوصاً في المحاكاة الساخرة لما فيه من عمل للتضاد يذهب عكس الخطابات الأصلية المستدخلة في علاقة تناصية^(٥٠)، وترى كرستيفا أن ((هناك ثلاثة أنماط للحوار بين المقاطع بين المقاطع الشعرية والنصوص الملموسة والقريبة من صيغتها الأصلية))^(٥١) قائمة أساساً على النفي بمعناه النحوي أو اللغوي وهذا الأمر غير مقبول منطقياً لأن الحوار لا يقوم على النفي فحسب، كما سنرى لاحقاً إنما بآليات وطرق عدة أما هذه الأنماط كما تراها كرستيفا فهي:

١. النفي الكلي

٢. نفي التوازي

٣. النفي الجزئي

ويمكن القول: إن التناص إجمالاً نوعان : ((هما تناص الخفاء، وتناص التجلي وإذا كان الأول هو عملية لا شعورية، فإن الثاني هو عملية واعية))^(٥٢) ؛ في النوع الأول يكون امتصاصاً وتحويلاً لنصوص أخرى متداخلة ومتفاعلة معه، أما في النموذج الثاني فإن الشاعر أو الأديب يلجأ إلى التناص الواعي بعد أن يمنحه رؤيته الخاصة وذلك بهدف صدم القارئ والتأثير فيه من أجل خلخلة وعيه، ليشارك في تلقي النص وإنتاجه، فالنص المنتج هو الذي يشارك المتلقي في تأويله وفهمه، ولا يتحقق قانونا الامتصاص والحوار إلا بعد التحرر من السيطرة التي يمارسها النص المرجعي على الأديب ؛ بحيث يفككه إلى وحداته الأساسية تفكيكا جمالياً واعياً يؤدي وظيفة بلاغية أو تواصلية، وهو التفاعل بإعادة ترتيب البنى النصية بينه وبين النص الجديد.

ومن أمثلة الحوار في رسائل أبي العلاء قوله: ((... وَإِنَّمَا كَانَتْ أَوْلِيَاءُ سَيِّدِنَا . جَعَلَ اللَّهُ لِشَانِيهِ كَوْكَبُ الرِّجْمِ وَحَادِي النَّجْمِ . تَنَيَّرُ^(٥٣) عَلَى إِقَامَةِ الصَّحِيفَةِ فِي الْمَنَازِلِ لِلْأَنْسِ الْمَطْلُوبِ، لَا عَلَى مَقَادِيرِ

السَّحَاءِ^(٥٤) مِنْ ذَلِكَ الطَّرْسِ الْمَكْتُوبِ، وَأَحْسَبُهُمْ يُوقِعُونَ عَلَيْهَا السُّهُمَةَ^(٥٥) الْوَاقِعَةَ عَلَى كِفَالَةِ الْبَتُولِ، وَالْحَاكِمَةَ فِي السَّفَرِ بَيْنَ صَوَاحِبِ الرُّسُولِ، فَيَا شَرْفَهُ مِنْ صَكِّ بِالْفَخْرِ نَنْجَحُ^(٥٦) بِهِ عَلَى النُّظَرَاءِ حِيرِيٍّ الدَّهْرِ^(٥٧) (...)»^(٥٨)، إن هذا النص أنشئ لإظهار الفرح والابتهاج والغبطة بكتاب الوزير المغربي، وقد بالغ أبو العلاء في ذلك كما لا يخفى، إذ جعل مريدي الوزير المغربي ومحبيه يتياسرون أيهم يفوز بوضع رسالته في منزله طلباً للأُنس، ولا يتياسرون على مقدار ما شغلته السطور من ذلك الطرس، والبتول التي يذكرها النص هي مريم العذراء (ع)، وقد حاور نصُّ أبي العلاء ما ورد من قصتها في القرآن الكريم من أنَّ الاقتراع قد وقع في كفالة السيدة مريم (ع) وذلك بعد وفاة أبيها عمران، لتكون الكفالة من نصيب نبي الله زكريا (ع) الذي غمرها بحنان الأبوة حتى نشأت العذراء مقدسةً ببيت المقدس ربينة الطهر والفضيلة عابدة زاهدة، فشعرية هذا النص تقوم على طريقة المعري في اقتناصه للفظ (السُّهُمَةُ) التي تشير إلى القصة القرآنية الماثلة في ذهن المتلقي، ومقصديته من هذا التناسل المبالغة في تبجيل كتاب الوزير المغربي، وإضفاء القدسية عليه بواسطة التشبيه الذي تخيله هو من أن أولياء الوزير من شدة حرصهم على كتابه يقتربون عليه كما اقترب علماء بني إسرائيل على كفالة البتول (ع)، وشتان بين الأمرين، فقد كانت (سُّهُمَةُ) البتول توجيه رباني وتسديد إلهي، لحلِّ هذا النزاع حلاً هادئاً يرضي الجميع، وقد طبَّق المعري قانون الحوار مستنداً إلى إيحائية العبارة الواردة في نصه التي ألمحت إلى الحدث بواسطة ألفاظ قليلة واختزلت عناصره داخلها، وبذلك يتحقق التناسل بالشكل الذي أراده الكاتب من تكثيف المعنى مع الاقتصاد في استعمال الألفاظ في الوقت نفسه.

وحاور المعري نصّاً تراثياً آخر في المثال أعلاه، وهو قوله: ((والْحَاكِمَةَ فِي السَّفَرِ بَيْنَ صَوَاحِبِ الرُّسُولِ))، فهو يشير هنا إلى حديث السيدة عائشة، فعنها أنها قالت: ((كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج (أي يسافر) أقرع بين نسائه، فأيتهنَّ يخرج سهمها خرج بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم))^(٥٩)، وهنا لابدّ من كدِّ الذهن لفهم المعنى الدقيق، فقد زاد إبهام النص عندما عبّر المعري عن

أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) بقوله: (صواحب)، وهو يلمح إلى القرعة التي كانت تُحدّد من تسافر معه في حروبه وغزواته.

ومن النصوص التي ورد فيها تناس وفق قانون الحوار قول المعري معرياً: ((إِنْ فَازَ مِنْ دِمَشْقَ رَبْوَةٌ دَأَتْ قَرَارٍ وَمَعِينٍ، فَقَدْ وَرَدَ مَعَ الْخُورِ الْعَيْنِ، كَأَسَا كَانَ مِرَاجُهَا كَأُفُورًا^(٦٠)، زُودَ لِرَجِيلِهِ مَلْبَسًا، فَقَدْ عَوَّضَ مِنْهُ سُنْدُسًا^(٦١)، وَإِنْ رَحَلَ عَنْ جَوَارِ الْإِخْوَانِ، فَقَدْ جَاوَرَ رَبَّهُ فِي دَارِ الْحَيَوَانِ^(٦٢)، وَظَعَنَ مِنْ مَنَازِلِ الْحَرَجِ إِلَى مَنَازِلِ الْبَقَاءِ وَالْفَرَجِ^(٦٣)، تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْتَقِنِ^(٦٤)، كَمْ ضَالَّةً أَنْشَدَهَا^(٦٥) فَهَدَّاهَا، وَأَمَانَةً حَمَلَهَا فَأَدَّاهَا، وَعَهْدٍ رَعَاهُ وَحَفِظَهُ، وَلَغْوٍ امْتَنَعَ أَنْ يُلْفِظَهُ، فَإِنْ كَانَ تَعَالَى مِنَّا أَبْعَدَهُ، فَقَدْ أَرْزَقَهُ وَأَسْعَدَهُ...))^(٦٦)، نجد المعري يحاور نصوصاً قرآنية تتحدث عن الجزء الإيجابي في الدار الآخرة، و تتحد جميع التناسات في مرجعيتها النصية، وهي آيات القرآن الكريم، ولكنها في الوقت ذاته تختلف في الانتماءات داخل تلك المرجعية وآلية التعامل مع كل واحدة منها والعلاقة التي ترسمها مع النص الإبداعي الجديد؛ نتيجة لاختلاف قوانين التناس المستعملة داخل النص نفسه، لأن قوانين التناس قد تضافرت جميعها لإعطاء النص المُنتَج شكله الجديد، فقد استعمل المعري الاجترار والامتصاص والحوار بحذقٍ وذكاء، فأنتج لنا نصاً يتضوُّع من أجزائه عبق القرآن الكريم، وكانت بؤرة النص (الجنة) وصفاتها، التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمنتقِن، وأبرز صفاتهم هداية الضالَّة وتأدية الأمانات إلى أهلها و رعاية العهود والترُّع عن لغو الحديث، وكلها مفاهيم قرآنية حصَّ القرآن عليها في مواضع كثيرة، فعمد المعري إلى مزجها مزجاً فنياً، وتنفَّل بينها ضمن الفضاء النصي معلقاً تلك التناسات بعضها ببعض بواسطة الكلمات والعبارات التي تحيل المتلقي على الدلالة السيميائية للنص المرجعي؛ و لا سيما أنه نصٌّ متداولٌ إلى الحد الذي جعل من تلك العبارات دلائل عليه وعلى ما يحيل إليه من معنى.

ويرتقي نصُّ أبي العلاء إلى مواطن الشعرية بفعل تجاوره مع نصوصٍ لها قيمة دلالية متميزة تسهم في إثرائه، ويعمل تمازجها مع النص الجديد على اختراق مناطق العتمة في عقول المتلقين، ولكن لا يمكن

تذوقها والاستمتاع بقيمتها الفنية إلا بالقراءة الدقيقة المتأنية، لأن المنشئ قد أحكم النسج حولها، فغدت جزءاً من النص الجديد، تمنحه توهجه ورونقه، كما في قول أبي العلاء يحتفي برسالة وصلتته من الوزير المغربي: ((... وَلَمَّا وَرَدَتْ، مَعَ عَبْدِهِ مُوسَى، تِلْكَ الْغَرَائِبُ الْمُؤْنَسَةِ وَالْقَلَائِدُ الْمُنْفَسَةُ، كَانَتْ بِمَنْزِلَةِ الْآيَاتِ النَّسْعِ الَّتِي أَلْقَاهَا الرَّحْمَانُ، عَلَى ابْنِ عِمْرَانَ، أَبْطَلَتْ كَيْدَ السُّحَّارِ، وَعَصَفَتْ بِهَشِيمِ الْأَشْعَارِ، وَوَرَدَ فِي الْوَاحِ عَصَوَانِ ؛ الْمِيمِيَّةُ وَالْوَاوِيَّةُ، فَوَجَدَ فِي وَطْنِهِ أَشْبَاحَ أَوْزَانٍ تَتَخَيَّلُ، وَأَنْقَاءَ أَذْهَانٍ تَتَهَيَّلُ^(٦٧)، فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ^(٦٨)، مَا خَبَرَ عَبْدُهُ حَتَّى اخْتَبَرَ، وَلَا عَبَرَ إِلَّا بَعْدَمَا اعْتَبَرَ، شَاهَدْنَا فِيمَا سَمِعْنَاهُ الْمَعْنَى الْحَصِيرَ فِي الْوَزْنِ الْقَصِيرِ، كَصُورَةِ كِسْرَى فِي كَأْسِ الْمَشْرُوبِ، وَتِمثال قَيْصَرَ فِي الْإِبْرِيزِ الْمَضْرُوبِ، لَمْ يُزِرْ بِهِ ضَيْقُ الدَّارِ، وَقِصْرُ الْجِدَارِ، إِنْ تَعَزَّلَ فَحَنِئُ الْعُودِ، أَوْ تَجَزَّلَ فَهَدِيرُ الرُّعُودِ،))^(٦٩).

وأنت تقرأ النص يُخَيَّلُ إليك أنه لا يتحدث عن رسالة حَوَتْ النثر والشعر، بل كأنه يتحدث عن هدايا ثمينة، وتحف غريبة أو نادرة بعث بها ذلك المُرسِل، ثم إنه مزج بين مفاصل هذه القطعة من النثر مزجاً عجيباً، إذ وظَّف اسم الخادم الذي وردت معه الرسالة (موسى)، فذكره في البدء، وأشار إلى الآيات التسع التي أنزلها الله . سبحانه . على عبده ونبيه موسى (ع) فنصره وأيده بها على السحرة وألقاهم ساجدين، ومازج بين الموقفين وقرب بينهما على الرغم من اختلافهما كُلَّ الاختلاف، فقصة موسى (ع) تُحَدِّدُ أمراً مصيرياً وفيها تجلٍ للقدرة الإلهية اللامتناهية، أما قضية الرسالة ومُرسِلها ومستلِمها أمرٌ عادي يحدث كل يوم، وشتان بين الاثنين، ففي نصّه جعل القصيدتين ؛ الميمية والرائية تحلُّ محل عصا موسى (ع) وهي أهم آية في نبوّته، مثلما لقفّت الأخيرة إفاك السحرة، عصفت الميمية والرائية كلٌّ ما زوّر الشعراء، فهما معنًى كبير مختزل في وزن قصير، لكن أبا العلاء استطاع أن يجمعهما في ذهن القارئ، وترى القارئ يتقبل النص ولا يرفضه، بل على العكس أجد النصّ مُعجِباً، واستأثر بنصيب كبير من الشعرية.

وفي قوله: (كَصُورَةِ كِسْرَى فِي كَأْسِ الْمَشْرُوبِ، وَتِمثال قَيْصَرَ فِي الْإِبْرِيزِ الْمَضْرُوبِ) ثمة تناص وفق قانون الحوار، ولكن هذه المرة مع التاريخ، فالمعنى المختزل في قصيدة الوزير المغربي يشبه ((اختزال

كسرى بكل عظمته في صورة في كأس، وسك صورة قيصر على قطعة نقد^(٧٠)، فتوقد ذهن أبي العلاء يُمكنه من انتقاء ما يريد من مخزونه الثري الضخم، وتوظيفه متى شاء وكيف شاء، وهذا هو المقصود بشعرية التناص تماماً.

هوامش البحث:

- (١) ينظر: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب . مقارنة بنيوية تكوينية، محمد بنيس، دار التنوير للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٨٥: ٢٥٣.
- (٢) ضد التأويل، سوزان سونتاغ، ترجمة باقر جاسم محمد، مجلة الثقافة الأجنبية، العدد: ٣، سنة ١٩٩٢: ٦٧.
- (٣) عيار الشعر، محمد بن طباطبا العلوي، شرح وتحقيق عباس عبد الساتر، مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط١، ١٩٨٢: ٨١.
- (٤) شعرية التناص في الرواية العربية، د. سليمة عذاوري : ٨٢.
- (٥) ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب . مقارنة بنيوية تكوينية: ٢٥٣.
- (٦) التناص مقارنة معرفية في ماهيته وأنواعه وأنماطه . حسان بن ثابت نموذجاً، يحيى بن مخلوف، دار قاعة للنشر والتجليد، الجزائر، ٢٠٠٨: ٤٧.
- (٧) لم أعتز على ترجمة له، غير أنه كان شاعراً أديباً راوية، وله كتاب في تفسير سورة الإخلاص، ولعله من تلامذة ابن خالويه، ينظر: أبو العلاء وما إليه، عبد العزيز الميمني الراجكوتي الأثري الهندي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، (د. ط)، ١٩٨٣: ٧٩.
- (٨) لم يُثبت اسمي: لم يعرفه.
- (٩) سورة الفتح : ٢٩.
- (١٠) سورة الصف : ٦.
- (١١) ينظر: السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط٢، ١٤٢٧هـ: باب: تسميته صلى الله عليه وسلم محمداً وأحمداً، ١/ ١٢١.١١٦.
- (١٢) رسائل أبي العلاء المعري، شرح وتحقيق: د. عبد الكريم خليفة: ٢ / ٤١٠ . ٤١١.

- (١٣) التناس في شعر العصر الأموي، د. بدران عبد الحسين محمود البياتي، أطروحة دكتوراه بإشراف د. عمر محمد الطالب، كلية الآداب / جامعة الموصل، ١٩٩٦: ١١٨.
- (١٤) الصّيحاني: ضربٌ من تمر المدينة المنورة، أسود صلبٌ عند المضغ.
- (١٥) حُصارة: علمٌ للبحر.
- (١٦) الجريد: سعف النخل.
- (١٧) خرساء مُوجّية: سحابة مُعجلة ليس فيها برقٌ ولا رعد.
- (١٨) خضراء طامية: لُجة مرتفعة.
- (١٩) شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، جمعه ونسّقه: مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق - سوريا، ط٢، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥: ١٤٥.
- (٢٠) رسائل أبي العلاء المعري، شرح وتحقيق د. عبد الكريم خليفة: ١ / ١٩٥. ١٩٦.
- (٢١) الشنْشَنَة، والنشْشَنَة : الطبيعة أو السجّية، وهو مثلٌ يُضرب لُقرب الشَّبه، ينظر: مجمع الأمثال للميداني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، [القاهرة، مصر]، ١٣٧٤هـ = ١٩٥٥: ١ / ٣٦١.
- (٢٢) ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدم له الأستاذ علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨: ١١٢.
- (٢٣) قروائي: قفائي.
- (٢٤) هو مثل أول من قاله أبو بكر الصديق، ومعناه : ألاَّ يعجلَ المرءُ على نفسه بالكلام فيكونَ فيه هلاكُه، ينظر: مجمع الأمثال للميداني: ١ / ١٧.
- (٢٥) رسائل أبي العلاء المعري، شرح وتحقيق د. عبد الكريم خليفة : ١ / ١٩٩. ٢٠٢.
- (٢٦) ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب . مقارنة بنيوية تكوينية، محمد بنيس: ٢٥٣.
- (٢٧) النص الغائب . تجليات التناس في الشعر العربي، محمد عزام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١: ٥٥.
- (٢٨) السبرة : الغداة الباردة.
- (٢٩) طِمْلًا : لصاً فاسقاً.
- (٣٠) الجُهمَة : آخر الليل.

- (٣١) الكَيْك : البيض ومآتها الدجاج.
- (٣٢) الغرقى : قشرة البيض التي تحت القيض أو البياض الذي يؤكل.
- (٣٣) رسائل أبي العلاء المعري، شرح وتحقيق د. عبد الكريم خليفة: ٣ / ٦٢٧ . ٦٢٨.
- (٣٤) ينظر: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، أحمد إسماعيل النعيمي، سينا للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٥: ١٨٨.
- (٣٥) لذة النص، رولان بارت : ١٥.
- (٣٦) ينظر: الرواية والتراث السردي . من أجل وعي جديد بالتراث، سعيد يقطين : ١٠ . ١١.
- (٣٧) رسائل أبي العلاء المعري، شرح وتحقيق د. عبد الكريم خليفة : ١ / ١٨ . ٢٠.
- (٣٨) سورة الفرقان : ٧٥.
- (٣٩) أخو الظلة : شُعيب (ع)
- (٤٠) الرِّيم : القبر، ما يُرِيم : أي لا يبرح .
- (٤١) قارئ زبور : داوود (ع).
- (٤٢) مَنْ ادَّعَى له رُدُّ الشمس : يوشع بن نون.
- (٤٣) رسائل أبي العلاء المعري، شرح وتحقيق د. عبد الكريم خليفة: ٣ / ٥٠٠ . ٥٠٣.
- (٤٤) أي المقدسة الثابتة القارة في ذهن المتلقي.
- (٤٥) ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب . مقارنة بنيوية تكوينية، محمد بنيس: ٢٥٣.
- (٤٦) النص الغائب، محمد عزام: ٥٦.
- (٤٧) ينظر: استراتيجية التسمية في نظام الأنظمة المعرفية، مطاع صفدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد . العراق، ط٢، ١٩٨٦: ٢٣٢.
- (٤٨) الرواية والتراث السردي . من أجل وعي جديد بالتراث، سعيد يقطين : ١٦ . ١٧.
- (٤٩) ينظر: التلقي والتأويل (مقاربة نسقية)، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت . لبنان ؛ الدار البيضاء . المغرب، ط١، ١٩٩٤: ١٨٨.
- (٥٠) أدونيس منتحلا . دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة يسبقها ما هو التناس؟، كاظم جهاد، مكتبة مدبولي، [القاهرة . مصر]، ط٢، ١٩٩٣: ٥٥.
- (٥١) علم النص، جوليا كرسيفا: ٧٣.

- (٥٢) التناس ومفهوم التحويل في شعر محمد عمران، مفيد نجم، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق . سوريا، العدد: ٣١٧-٣١٨، السنة ٢٧، أيلول . تشرين الأول، ١٩٩٧ : ٤٧ .
- (٥٣) تَيَسَّرُ: من يسرَ الرجل، إذا لعب بالقдах.
- (٥٤) السِّحَاءُ : قشُرُ كلِّ شيء، المراد ما شغلته السطور من ذلك الطرس.
- (٥٥) السُّهُمَةُ : القرعة.
- (٥٦) نَنْجَحُ : أوردتها الدكتور إحسان عباس (ببجح)، ورجَّح أن تكون (نَّبجح) أي: نفخر، ينظر: رسائل أبي العلاء المعري، تحقيق د. إحسان عباس، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ : ١ / ١٥٥ (الهامش).
- (٥٧) جِيرِي الدَّهر: طول الدهر.
- (٥٨) رسائل أبي العلاء المعري، شرح وتحقيق د. عبد الكريم خليفة : ١ / ١٢ . ١٤ .
- (٥٩) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للعلامة القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٦، ١٣٠٤ هـ : ٥ / ٨٣ .
- (٦٠) سورة الإنسان : ٥ [إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا]
- (٦١) سورة الإنسان : ٢١ [عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ...]
- (٦٢) سورة العنكبوت : ٦٤ [... وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ]
- (٦٣) سورة الحديد : ٢١ [وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا]
- (٦٤) سورة الأعراف : ١٢٨ [إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ]
- (٦٥) أَنَشَدَهَا : طلبها، أي هو يسعى لفعل الخير ويطلبه طلباً حثيثاً.
- (٦٦) رسائل أبي العلاء المعري، شرح وتحقيق د. عبد الكريم خليفة : ٣ / ٦١٠ . ٦١١ .
- (٦٧) أنقاء : جمع نقاء، وهو الكثيب من الرمل. والأذهان : جمع ذهن، وهو الفهم والعقل. وتتهيل : تتصبَّب، وفي هذه العبارة على قصرها استعارة دقيقة، وهي تصريحية ، إذ شبَّه الأفكار والمعاني بالكتبان الرملية التي تتصبَّب في شعر الوزير المغربي، وحذف المشبَّه (الأفكار) وذكر لازمة من لوازمه، وهو الذهن.
- (٦٨) سورة الشعراء : ٤٥ .
- (٦٩) رسائل أبي العلاء المعري، شرح وتحقيق د. عبد الكريم خليفة : ١ / ٢٨ . ٣٠ .
- (٧٠) رسائل أبي العلاء المعري، تحقيق د. إحسان عباس : ١ / ١٤٨ .

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

أولاً: الكتب:

١. أبو العلاء وما إليه، عبد العزيز الميمني الراجكوتي الأثري الهندي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، (د. ط)، ١٩٨٣.
٢. أدونيس منتحلاً . دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة يسبقها ما هو التناس؟، كاظم جهاد، مكتبة مدبولي، [القاهرة . مصر]، ط٢، ١٩٩٣.
٣. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للعلامة القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٦، ١٣٠٤هـ.
٤. استراتيجية التسمية في نظام الأنظمة المعرفية، مطاع صفدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد . العراق، ط٢، ١٩٨٦.
٥. الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، أحمد إسماعيل النعيمي، سينا للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٥.
٦. التلقي والتأويل (مقاربة نسقية)، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت . لبنان ؛ الدار البيضاء . المغرب، ط١، ١٩٩٤.
٧. التناس مقارنة معرفية في ماهيته وأنواعه وأنماطه . حسان بن ثابت نموذجاً، يحيى بن مخلوف، دار قاعة للنشر والتجليد، الجزائر، ٢٠٠٨.
٨. ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدم له الأستاذ علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨.
٩. رسائل أبي العلاء المعري، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢.
١٠. رسائل أبي العلاء المعري، شرح وتحقيق: الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، منشورات اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر، عمان . الأردن، (د. ط)، ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦.
١١. الرواية والتراث السردى . من أجل وعي جديد بالتراث، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت . لبنان، ط١، ١٩٩٢.
١٢. السيرة الحلبيّة = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط٢، ١٤٢٧هـ.

١٣. شعر عمرو بن معدى كرب الزبيدي، جمعه ونسقه: مطاع الطرايشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق . سوريا، ط٢، ١٤٠٥هـ. = ١٩٨٥.
١٤. شعرية التناس في الرواية العربية، الدكتورة سليمة عداوري ؛ تقديم: الدكتور واسيني الأعرج، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٢.
١٥. ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب . مقارنة بنيوية تكوينية، محمد بنيس، دار التنوير للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٨٥.
١٦. علم النص، جوليا كرسيتفا، ترجمة: فريد الزاهي ؛ مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال، الدار البيضاء . المغرب، ط٢، ١٩٩٧.
١٧. عيار الشعر، محمد بن طباطبا العلوي، شرح وتحقيق عباس عبد الساتر، مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط١، ١٩٨٢.
١٨. لذة النص، رولان بارت، ترجمة : الدكتور منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، بيروت . لبنان، ط١، ١٩٩٢.
١٩. مجمع الأمثال للميداني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، [القاهرة، مصر]، ١٣٧٤هـ. = ١٩٥٥.
٢٠. النص الغائب . تجليات التناس في الشعر العربي، محمد عزام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١.
- ثانياً: الرسائل الجامعية:
٢١. التناس في شعر العصر الأموي، د. بدران عبد الحسين محمود البياتي، أطروحة دكتوراه بإشراف د. عمر محمد الطالب، كلية الآداب / جامعة الموصل، ١٩٩٦.
- ثالثاً: المجلات والدوريات:
٢٢. التناس ومفهوم التحويل في شعر محمد عمران، مفيد نجم، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق . سوريا، العدد: ٣١٧-٣١٨، السنة ٢٧، أيلول . تشرين الأول، ١٩٩٧.
٢٣. ضد التأويل، سوزان سونتاغ، ترجمة باقر جاسم محمد، مجلة الثقافة الأجنبية، العدد: ٣، سنة ١٩٩٢.

موقف الحزب النازي من الاقلية الالمانية في تريستا وترنتينو الايطالية

أ.د. عماد هادي عبد علي

الباحثة حوراء رزاق حسن

كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة

المقدمة:

اتصف الفكر القومي في القرن العشرين بأنه صار أكثر دموية عن أي وقت مضى، بل ان القومية ومحاولة بعثها من جديد ظهرت في أكثر من بقعة من بقاع العالم، بل انها ظهرت في اوربا تحديداً، اذ ان الدول الكبرى ولاسيما المانيا سعت الى تسخير فكرة القومية وراحت تعمق الفروق والتمييزات داخل الدول الأكثر ضعفاً في اوربا داعية الى تفتيتها وتفكيكها مستخدمة المسالة القومية والعرقية واللغوية والطائفية فخلقت بذلك أزمت متعددة مثلت خطراً داهماً على وحدة الدول وتماسكها وقدرتها على الاستمرار الامر الذي أدى الى نشوب الحرب العالمية الثانية.

واجهت الأقليات العرقية تحدياً مستمراً من خلال منظورين يهددان بالقدر نفسه- الحفاظ على أصلهم العرقي والإصرار على تميزهم الثقافي ينطوي على خطر التهميش في دولتهم المضيفة، في حين أن المحاولات الرامية إلى الاندماج تنطوي على احتمال لا يقل إثارة للقلق "من استيعابها في ثقافة الأغلبية وما يترتب على ذلك من فقدان هويتهم الخاصة إذا نظرنا إلى أقصى الحدود، فإن الجهود التي تبذلها الأقليات الأتنية لتعبئة أفراد جماعتها على أساس الهوية الجماعية وتمييز الخصوصية الثقافية التي تستند إليها هذه الهوية ، يمكن أن تؤدي ليس فقط إلى التفرقة ولكن أيضاً إلى الفصل.

طرح البحث رؤية منسقة عن صياغة صورة واضحة ومتكاملة للاختيار في النزعة القومية بناءً على مسلمات الخيار التاريخي، بل اننا لم نكد نقرب من الوصول الى تفسير تاريخي يحظى باعتراف الجميع عن العوامل التي تجعل النزعة القومية تفصح عن نفسها، وعن أسباب التعصب العرقي المقيت واللاتسامح العرقي، أو العوامل التي دفعت القومية الى درجة العنف تتصف بعدها بالقسوة والوحشية، اذ

سعت الباحثة في محاولة لنسج صورة متكاملة في مختلف مباحث الدراسة لفهم ظاهرة القومية في المدة ما بين الحربين العالميتين وأثر القادة والافراد في صياغة مطالب الاقليات الالمانية والتي استمدت من عدة قوى هي:

١- الاقصاء السياسي للأقليات الالمانية من الحياة السياسية والانشطة مما سبب اعمال عنف لدى الاقليات الالمانية.

٢- النظام القمعي المتمثل في قوات الشرطة والجيش لدى الدول المستضيفة لهذه الاقليات في مختلف البقاع في اوربا.

٣- التميز في النظام القضائي في الدولة المستضيفة.

٤- التميز في الحياة الثقافية المتعلقة باللغة والعادات والتقاليد لهذه الأقليات. اذ اتخذت هذه الاشكاليات بناءً وشكلاً هرمياً بحسب الحالة السياسية في الدول المستضيفة لهذه الاقليات والحالة السياسية في المانيا وحاجاتها القومية، اذ شاع في الكتابات التي تناولت القومية فكرة مؤداها ان الاسباب الكامنة وراء الصراع ليست اسباباً قوميه بل اسباباً اقتصادية، فالكثير من القوميين المتشددين يعانون من معتقدات مبنية على افكار موهلة في القدم والانانية واقصاء الاخر، فالأفكار القومية اثرت على شحذ همة المؤمنين بها لتحقيق اوضاع اقتصادية افضل وليس الأمر مجرد أثارة للنعرات القومية ومعاداة الاجانب وسياسة الاستئصال العرقي.

اعتمد البحث على مجموعة من المصادر، شكلت المؤلفات باللغة الإنكليزية رافداً مهماً وعُدّت من المصادر الرئيسية في البحث، وكان في مقدمة هذه الكتب مؤلف ستيفان وولف Stefan Wolff المعنون الأقليات الألمانية في أوروبا: الهوية العرقية والانتماء الثقافي German Minorities in Europe: Identity and Cultural Belonging Ethnic، تألف الكتاب من ثلاث أجزاء، تناول الجزء الأول (الاقليات الالمانية في اوربا الغربية) منها الأقلية الالمانية في الدانمارك وفي بلجيكا وفي الالزاس وفي جنوب التيرول (تريستا وترنتينو).

أخذت الأقليات القومية الألمانية في أوروبا بين الحربين موقعاً متميزاً بين الجماعات القومية الاغلبية، اذ قدمها الباحث كجماعات اجتماعية ترسخت كشعور مشترك من الانتماء بهوية مشتركة (اصل عرقي مشترك واصل لغوي واحد) اقل عدداً بالنسبة للأكثرية، فهي وان كانت كثرة الا انها غير كافية كما في اقلية السوديت ودانتزيغ والالزاس واللورين الا ان المعيار العددي يجب ان يكون مطلقاً في أوروبا اذ ان عدداً لا بأس به من الالمان هم أنفسهم في الوقت ذاته اكثرية في أوروبا.

المبحث الأول: الأقلية الألمانية في تريستا وترنتينو واطضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية:

١- الأطضاع السياسية:

تعهدت دول الحلفاء بموجب معاهدة لندن السريه London Treaty^(١) في ٢٦ نيسان ١٩١٥ بمنح ايطاليا تريستا (Trieste)^(٢)، وهي مدينة تقع في شمال شرقي تل فريولي-فينيسيا Friuli-Venice، تقع على رأس بحر الأدرياتيكي شمال شرق مدينة البندقية، ومعظم سكان المدينة من الإيطاليين، أحتلت ايطاليا المدينة في عام ١٩١٨ وحصلت عليها رسمياً بعد عام من معاهدة سان جيرمان ١٩١٩، اما ترنتينو (Trentino) (٣) وهي مدينة ساحلية تقع على بعد ٤٣٠ كم جنوب شرق خليج تارانتو، وتمتلك المدينة صيداً بحرياً، وتعليب المواد الغذائية بما في ذلك الصناعات التحويلية وصناعة الصلب، وكانت المدينة قاعدة مهمة للبحرية الاطالية، وتزود المنطقة ايطاليا بالطاقة الكهربائية والمعادن، وقد تم ضم المنطقة الى النمسا عام ١٨١٤ كجزء من التيرول، وتم التنازل عنها لإيطاليا في عام ١٩١٩، يتحدث معظم سكان مقاطعة ترنتينو الألمانية، بينما يتحدث معظم سكان المقاطعة الجنوبية اللغة الإيطالية والعديد من جزر دلماشيا Dalmation Islands وبعض الجزر في بحر الادرياتيكي كجزيرة فالونا Valona وجزير سازينو Sazino فضلاً عن بعض الجزر الاخرى^(٤).

دخلت ايطاليا الحرب العالمية الاولى للحصول أولاً على المستعمرات وانتزاع الأشراف على البحر الأدرياتي من النمسا والمجر، وحصلت ايطاليا بعد الحرب العالمية الأولى على أرض مساحتها ٩٠٠ ميل

مربع سكانها البالغ عددهم ١,٠٠٠,٠٠٠ نسمة، وحصلت إيطاليا من ضمن غنائمها على تريستا وترنتينو الذين يشكل الإيطاليين واليوغسلاف جزء كبير منها فيما يشكل الألمان أقلية هامة في المقاطعتين^(٥). احتلت القوات الإيطالية تريستا وترنتينو في ٣ تشرين الثاني ١٩١٨ ، وضمّت رسمياً إلى مملكة إيطاليا في ٢٦ أيلول ١٩٢٠ ، إذ اضطرت النمسا إلى التنازل لإيطاليا عن هذه الأقاليم، بل امتدت حدود إيطاليا إلى ممر برنر Brenner Pass وذلك لاعتبارات دفاعيه وهجوميه إذ كفّلوا ميزة القدرة على مهاجمة النمسا بعد أن اقتطعت جزءاً من إقليم التيرول النمساوي، والذي أصبح يعرف بأقليم التيرول الجنوبي The South Tyrol، وقد كان هذا الإقليم يضم ٢٨٨,١٩١,٢٤٦ الماني، وعدها جزءاً من الثمن الذي طالبت به إيطاليا نظير وقفها إلى جانب الحلفاء في الحرب^(٦).

عملت الحكومة الفاشية في إيطاليا على التمسك بنضالها السياسي والثقافي ضد الأقليات المختلفة ولاسيما ضد الأقلية الألمانية في المنطقة، إذ واصلت العمل ضد الأقليات في الشمال^(٧). كانت المشاكل مختلفة وترتبط بشكل أساسي بحقيقة أن السكان كانوا يتحدثون الألمانية في جزء كبير منهم ومعادون لإمكانية ضمهم إلى إيطاليا، وفقاً للتعداد النمساوي لعام ١٩١٠ ، كان هناك ٢٣٧,٨٠٠ نسمة ، منهم ٢٢١,٢٠٠ (٩٣٪) ألمان ، ٦,٩٥٠ (٣٪) إيطاليون و ٩٣٥٠ (٤٪)، وفي مناسبات عديدة أكدت الحكومة الإيطالية والقيادة العليا على أهمية السلوك الحكيم والمعتدل في الأراضي المحتلة ، وخاصة في جنوب التيرول ، التي يسكنها سكان بلغة أخرى لا يريدون استعدادها للدفع في هذا الاتجاه ، لم يكن هناك فقط إملاء الهدنة والاتفاقيات الدولية التي كانت تتطلب الحفاظ على الهيكل الإداري والجهاز التشريعي ، ولكن أيضاً أسباب للراحة ، لأن سياسة تحترم الأقلية الألمانية كانت ستعزز طلب دولي على المستوى الإيطالي للضم مع الأخذ كمؤشر مهم على الموقف من الموظفين العموميين الذين تستخدمهم بالفعل الملكية النمساوية - المجرية ، يمكن القول بالتأكيد أن المحافظة على الوضع الراهن انذاك حدثت من تلقاء نفسها^(٨).

ينتمي جنوب تيرول ، قبل ضم إيطاليا للحرب العالمية الأولى ، إلى مقاطعة تيرول النمساوية التاريخية كمكافأة للقتال على الجانب المنتصر ، حصلت إيطاليا على الجزء الجنوبي من المقاطعة ، وهي ترينتينو، التي لا جدال فيها إيطالية في التكوين العرقي، ولكن الجزء الشمالي، كانوا معظمهم من الألمان ، مجموع سكانها الألمان بلغ حوالي ٢٦٠,٠٠٠^(٩).

لجأت الحكومة الإيطالية بعد الحرب العالمية الأولى إلى احتواء الاقليات الجديدة في إيطاليا ولاسيما الاقلية الالمانية التي اضيفت الى الدولة الإيطالية بكل الطرق السياسية والاقتصادية والثقافية، اذ اتجهت الادارة الإيطالية الى احكام قبضتها على هذه الاقاليم التي تتواجد فيها اقلية المانية واتبعت سياسة تقوم على:

١- الغاء القوانين والاعراف المحلية واحلال قوانين واعراف إيطاليا واجبار الاهالي على الموافقة على هذه القوانين من دون تعديل أو مناقشة.

٢- ادخال التشريع الايطالي في تريستا وترنتينو وسريانه فيها.

٣- وضعت صلاحيات تنفيذ القوانين الإيطالية بيد الحكام الايطاليين الذين عينتهم الدولة، ورغم مشاركة الاقلية الالمانية في تنفيذ هذه التشريعات والقوانين الا ان مشاركتهم كانت ضئيلة جداً قياساً الى عدد الالمان الموجودين فيها.

٤- محاولة محو الصيغة القومية للسكان الالمان في المدينتين وانهاء الاستقلال الذاتي التشريعي في المنطقتين عبر سياسة صارمة تجسدت مع وصول الفاشية للسلطة مما ادى الى اخضاع الاقلية الالمانية للسياسات الإيطالية بصورة شبه كاملة^(١٠).

كانت الشائعات كثيرة في جنوب التيرول بأن موسوليني عرض المنطقة على هتلر كبادرة حسن نية، لكن هتلر كان مستعداً لتقديم تنازلات ، والتنازل عن المبادئ الإيديولوجية ، والتخلي عن الادعاءات التحريرية من أجل الحصول على الدعم لعملية الضم(النمسا)، دعم موسوليني للعلاقة كان أكثر أهمية لهتلر من استعادة التيرولييين الجنوبيين أو تصحيح الظلم الذي عانوه في ظل الحكم الإيطالي بالنظر إلى هذه

الأولويات ، بحلول منتصف كانون الأول ١٩٣٧ ، كان المكتب المركزي الألماني للشعب قد عكس سياسته تجاه الجنوب التيرولي وحاول تهدئتها بدلاً من التحريض عليها^(١١).

كان من المتوقع في ظل نظام موسوليني الفاشي أن يصبح السكان الناطقين باللغة الألمانية إيطاليين فتبنت خطة الديكتاتور لإضفاء الطابع الإيطالي على المنطقة الألمانية عن طريق هجرة الإيطاليين من أجزاء أخرى من شبه الجزيرة وتصنيع المدن الكبرى فمنذ أن أدرك موسوليني بحلول نهاية الثلاثينيات أن هذه الخطة ستفشل ، فقد وافق مع هتلر على إعادة توطين الناطقين باللغة الألمانية الذين أرادوا الحفاظ على ثقافتهم ولغتهم الألمانية في الرايخ الثالث، وقد تم تقديم هذا الخيار المزعوم للناس في عام ١٩٣٩، ويمكن لجميع الذين رفضوا البقاء بشرط أن يصبحوا إيطاليين ، مستخدمين اللغة والثقافة الإيطالية، وبسبب الحرب العالمية الثانية ، لم يتمكن الألمان تنفيذ هذه الخطة إلا جزئياً لأن معظم السكان الذين اختاروا ألمانيا (٨٦ بالمائة) لم يهاجروا^(١٢).

ان استمرار الصداقة الإيطالية الألمانية كان أكثر أهمية للرايخ من مصالح التيروليين الجنوبيين، ولم يعد الرايخ يعترف بهم كمجموعة وطنية رسمية، إذ أرسل هيرمان بهرنرز (Hermann Behrends) ^(١٣) إلى المنطقة لتحديد القيادة المحلية وقد تطلع إلى ما يجب القيام به مع الأقلية وقادتها إلى برلين حتى يتمكن هتلر من إقناعهم شخصياً بالحقائق الجديدة للحياة السياسية في بلده^(١٤).

ويتضح مما سبق ان الحكومة الألمانية ضحت بمصالح الاقلية الألمانية في تريستا وترنتينو القومية رغبة منها في الحصول على حليف قوي يؤازرها في المجالات السياسية والعسكرية، ويبدو ان رؤية الزعيم الألماني كانت فوق رغبات الاقلية الألمانية القومية، إذ ان إيطاليا كانت الأسوأ في مجال رعاية حقوق الأقلية الألمانية في غرب أوروبا.

٢- الأوضاع الاقتصادية:

تعرض النشاط الاقتصادي بعد الحرب العالمية الاولى لأضطرابات واسعة نتيجة تقسيم الامبراطوريه النمساويه واقتطاع اراضيها وتقسيمها بين الدول الجديدة التي ظهرت بعد الحرب العالمية الاولى ونتيجة

للتقسيم الجديد في خارطة الاوربيه الجديد، شهدت الاقاليم المنفصلة والمشكلة حديثاً تغيرات اقتصادية خطيره ادت الى اعادة النظر في الاسس الاقتصادية لهذه الاقاليم، فالنظام الاقتصادي فيها كان يشكل منطقه اقتصاديه واحدة تدار تجارتها الخارجيه بواسطة شبكه واسعه للسكك الحديديه مرتبطه بموانئ تريستا وفيومي على بحر الادرياتيک Adriatic Sea^(١٥)، وبنشوء الدويلات الحديثه وترسيخ حدودها السياسيه وارتفاع حواجزها الكمركيه اصاب الدمار هذه الوحده الاقتصادية مما اثر سلباً على اقتصاد اوربا الوسطى بصوره عامه، اما مقاطعات تريستا وترنتينو فكانت الاسوء وضعاً من بينها بفقدانها مراكز نشاطها الصناعي في الامبراطوريه النمساويه، إضافة الى ان انتاجها الزراعي لم يكن افضل حالاً، فقد كانت تريستا وترنتينو تعتمد على الموارد الغذائية التي تزودها به المناطق التي اصبحت بعد الحرب تابعه الى الدول المجاورة كتشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا، وفي ظل هذا الوضع فقدت اقاليم تريستا وترنتينو اهميتها كمركز صناعي ونقطه اساس في شبكة المواصلات الرئيسيه في وسط وغرب أوربا، ولم تعد هذه الاقاليم قادرة على توافر الوظائف لمواطنيها، بل ان الكثير من الالمان فقدوا وظائفهم لان الدولة الايطالية لم تعد بحاجة اليهم مع هذا العدد الهائل بالنسبة لمدينة صغيرة^(١٦).

انعكست الاوضاع الاقتصادية السيئه في اوربا بعد الحرب العالميه الاولى على وضع الاقلية الالمانية في تريستا وترنتينو والتي باتت مهدده للاستقرار السياسي، الا ان الحكومة الايطالية بذلت جهوداً كبيرة لاستيعاب هذا الركود الاقتصادي وتحسين حال الاقلية الالمانية فيها، وعملت في هذا الاتجاه على اتخاذ مختلف السياسات الاقتصادية لاحتواء الاقلية الالمانية فيها عن طريق التخفيف عن القيود ووسائل حمايه لاقتصاد الاقلية الالمانية والمساهمه في حمايه منتوجاتها الزراعيه فيها والصناعيه^(١٧)، فضلاً عن ذلك سعت الى اعاقه الانتقال الحر للعمال ورؤوس الاموال الالمانية منها، وبذلك خلقت الدوافع الاساسية لحمايه صناعتها الناشئة وتدعيمها لحمايه سوقها من الاغراق، أو لتوزيع منتجاتها حتى لا تتعرض اقتصاديات الاقلية الالمانية لهزات قويه نتيجة اعتمادها على انتاج واحد، مما يفسر بقاء هذه الاقليات الالمانية في مناطقها دون الرجوع أو الهجرة الى بلدها الام، الا ان هذا الوضع الاقتصادي دفع الكثير من

الألمان في هذه المناطق إلى الاعتقاد بأن الحل الأفضل لمشاكلهم الاقتصادية يتمثل بالرجوع إلى البلد الأم النمسا الألمانية، وأن هذا الحل منسجماً مع رغبات الأقلية الألمانية والذي يتمثل في الاتحاد مع ألمانيا، ذلك لأن اقتصاد الأقلية الألمانية في تريستا وترنتينو تعرض للخراب والدمار نتيجة الحرب، ذلك لأن الدولة الإيطالية سعت في ذلك الوقت لإعادة بناء صناعاتها الوطنية وارتفاع الحواجز الجمركية العالية فقدت هذه الأقاليم إمكانية النمو الاقتصادي الأمر الذي أثر سلباً على حياتها الاقتصادية^(١٨).

ويبدو أن سوء الأوضاع الاقتصادية في تريستا وترنتينو بالنسبة للأقلية الألمانية ساهمت وبشكل مباشر في زيادة المطالب للعودة إلى الوطن الأم، إلا أنها واجهت عقبة عدم الرغبة الألمانية في استقراز الإيطاليين للمحافظة على الوضع الراهن بالنسبة للأقلية الألمانية في إيطاليا.

٣- الأوضاع الاجتماعية:

انتهجت إيطاليا سياسة جامدة لصبغ التيرول بالصبغة الإيطالية، إذ عملت على

١- جعل المدارس في التيرول باللغة الإيطالية.

٢- منع الجامعات الإيطالية بالتدريس إلا باللغة الإيطالية.

٣- الإصرار على إلغاء العادات والتقاليد الألمانية في التيرول.

٤- تحديد الهوية الإيطالية في التيرول من خلال تدريس الثقافة والفكر الروماني القديم ومنع الأقلية الألمانية واليوغسلافية من ممارسة عاداتها وتقاليدها^(١٩).

مارس الفاشيين سياسة عدوانية في إضفاء الطابع الإيطالي على السكان الناطقين بالألمانية، مما أجبر الألمان على تغيير أسمائهم، وتمت إعادة كتابة أسماء الأماكن، وتم حظر استخدام اللغة الألمانية وأصبح التحدث باللغة الألمانية جريمة وتم تطبيق قوانين تمييزية عنصرية إذ تم إلغاء المؤسسات والمدارس والجمعيات والأحزاب السياسية وفي عام ١٩٣٩ أجبر الأشخاص الذين يتحدثون الألمانية على الاختيار بين إيطاليا وألمانيا^(٢٠).

كان الانتقال من ملكية هابسبورغ إلى مملكة إيطاليا بمثابة نقطة تحول هامة للحكم الإداري والهيكل الإداري لجنوب تيرول، إذ كانت ملكية نهر الدانوب إمبراطورية متعددة الأعراق منظمة على المستوى الفدرالي ، فقد واجه الألمان في جنوب تيرول النموذج المركزي للدولة القومية الإيطالية ، التي كانت فكرتها السياسية قائمة على الوحدة اللغوية والثقافية لسكانها، ومع ذلك ، فقد تصرفت السلطات العسكرية والمدنية لإيطاليا في السنوات الأربع الأولى بعد نهاية الحرب العالمية الأولى في جنوب تيرول في ظل النظام الإداري آنذاك على حاله إلى حد كبير ، ولم يكن هناك "تطهير" للعاملين من الموظفين الإداريين المحليين ، وتم السماح للمدارس الألمانية بالاستمرار دون رادع^(٢١).

بدأت الحكومة في روما محادثات مع الممثلين السياسيين لجنوب تيرول لاستكشاف المشاكل من أجل نظام الحكم الذاتي في المستقبل على الرغم من هذا التوازن الإيجابي العام ، فإنه لا يمكن إغفال أنه في السنوات الأربع السابقة للاستيلاء على السلطة الفاشية تعارض الميول والتطورات، لسبب واحد ، لم يكن من الممكن في هذا الوقت استرداد الوعد الذي تم تجديده مرارًا وتكرارًا بالحكم الذاتي، من ناحية أخرى ، لم تستطع القيادة السياسية لإيطاليا الاتفاق على نهج مشترك في سياسة الأقلية ، حيث رفعت قبلها عام ١٩٢٢ أصواتًا دعت إلى الاستيعاب اللغوي والثقافي للألمان في جنوب تيرول^(٢٢).

عُدت معاملة إيطاليا للأقليات القومية من بين الأسوأ في أوروبا، لم يكن الإيطاليون على حالهم كما كانوا على طاولات مؤتمرات ما بعد الحرب ، وكانوا يغامرون ببعض إحباطاتهم من خلال تجاهل حقوق رعاياهم الجدد غير الإيطاليين، اذ رفضوا الالتزام بمعاهدات أو إعلانات ملزمة في أقاليمهم الجديدة ، وتابعوا بلا كلل سياسة إزالة اللغة الألمانية، كما حل الإيطاليون محل المسؤولين والمعلمين الألمان ، وتم اختيار المؤسسات الاقتصادية الألمانية لمضايقتها البيروقراطية الإيطالية، الأمر الذي جعل اللغة الحصرية للتعامل مع الأعمال الرسمية، لا تقتصر على إضفاء الطابع الإيطالي على المعيشة في البلاد، فقد استخرجت بعض السلطات المحلية الجنود الألمان من المقابر التيرولية^(٢٣).

عرفت الأقليات القومية الألمانية في غرب أوروبا محددات التعبئة العرقية بصورة بسيطة وذلك بسبب الأنظمة الليبرالية والديمقراطية، معزز بقاء الأقليات في الدول المستضيفة لهم رغم بعض التفاوتات المتباينة ذات الجذور التاريخية والتهديدات الثقافية المتعلقة بالتعليم واستخدام اللغة الألمانية والهوية الجمعية للأقلية، إلا أن الأقلية الألمانية في غرب أوروبا استطاعت أن تتلائم بشكل عقلاني مع بيئاتها المستضيفة بشكل مؤقت^(٢٤).

أصبح ضبط النفس والاعتدال شيئاً مطلوباً بالنسبة للأقلية الألمانية في إيطاليا، إذ عكس نهج (المكتب المركزي للشعب الألماني) تجاه التيروليين الجنوبيين، سياسة متوازنة بعد سنوات من الحكم الإيطالي القمعي، كما لم يعترف التيروليين الجنوبيين بالقيادة الإيطالية التي فرضتها الحكومة الإيطالية عليهم، رغم طلب المكتب المركزي للشعب الإيطالي الامتثال لقرارات الدولة الإيطالية، إذ عدت الحكومة الألمانية أن التيرول لم ينتمي إلى ألمانيا أبداً فقد منحها الرايخ وسيلة فعالة لتأمين ولاء جنوب التيرول تمثلت في الدعاية التحررية للثقافة واللغة الألمانية، ورغم ذلك فقد المكتب المركزي للشعب الألماني الكثير من نفوذه في تريستا وترنتينو بسبب عدم فاعليته في معالجة مشاكل الأقلية الألمانية في تريستا وترنتينو وذلك طبعاً بحسب رغبات الحكومة الألمانية والزعيم الألماني^(٢٥).

وصفوة القول أن ألمانيا النازية غضت الطرف عن ضم الأقلية الألمانية في إيطاليا على الرغم من ضم النمسا إلى ألمانيا، وعد ذلك حاجة أساسية لمبدأ الأقلية الألمانية، إلا أنها أمام رغبات الزعيم في تحقيق تحالف عظيم مع إيطاليا، رغم أن إيطاليا كانت الأسوأ في تطبيق مبدأ حقوق الأقليات القومية في أوروبا، لكنها لم تسع لتحقيق رغبات الأقلية الألمانية في تريستا وترنتينو في الاندماج مع الدولة الألمانية، ويبدو أن الفكرة القومية بالنسبة للنازيين ورغم أهميتها إلا أنها كانت سلعة استهلاكية تهدف إلى حشد الشعب الألماني لرغبات وإرادات الزعيم، بمعنى أن الجماعة العرقية المعنيه عوملت باعتبارها آلة للتغلب على المشكلات السياسية التي واجهت الحكومة النازية ورغبات الزعيم الذي مثلها وعد صفوتها.

ويبدو ان الاقليات الألمانية في غرب اوربا تمتعت ببعض حقوقها السياسية والاجتماعية والاقتصادية في ظل نظام الحكم الديمقراطي الليبرالي في غرب اوربا الا انها ظلت ترنو ببصرها الى هدف تتوجه اليه بأخلاصها وولائها والذي يعد تعبيراً اساسياً عن حاجة ماسة للاقليات في الانتماء الى دولة الامة التي تحلم بها، فضلاً عن عدم رغبة القيادة الألمانية في ضم هذه الاقليات في غرب اوربا الى دولتها القومية وذلك بسبب قلة اعدادها أولاً واهميتها الاقتصادية الضئيلة ثانياً مما جعلها لاتدخل في مجالات اهتمام الدولة الألمانية فضلاً عن عدم قدرة الحكومة الألمانية في معالجة هذه الاوضاع لانها ستستفز الدول الاوروبية في غرب أوربا، لذا كان الاهتمام ينصب حول دول شرق اوربا التي عدت المجال الحيوي الاكثر اهمية لألمانيا بإمكاناته البشرية والاقتصادية الهائلة فضلاً عن ضعف الدول في شرق اوربا وامتلاكها مساحات واسعة من الاراضي الزراعية التي تحقق الاكتفاء الذاتي للدولة والامة الألمانية.

المبحث الثاني: موقف النازية من الأقلية الألمانية في تريستا وترنتينو:

ترتب على أستلام النازية للسلطة في ٣١ كانون الثاني ١٩٣٣ بتجديد الأمل في خلق تعاون ألماني-إيطالي، وقد عنى ذلك ازدياد مركز ايطاليا أمام الأقليات الألمانية في التيرول وتمخض عن ذلك محاولات الحكومة النازية التضحية بمتطلبات الأقلية الألمانية في التيرول نصير حصول الالمان على حليف قوي متمثل في الحكومة الإيطالية، وقد انعقد في ٩-١٢ تشرين الثاني ١٩٣٦ مؤتمر فينا بين ممثلي ايطاليا والمجر والنمسا وترتب على هذا المؤتمر تدعيم مركز ايطاليا تدريجياً في حوض الدانوب ومنطقة تريستا وترينتينو على رأس البحر الأدرياتيكي، كما طبقت إيطاليا في ظل محاولاتها تعزيز دور الإيطاليين في المنطقتين اللتين حظيتا بأوضاع خاصة في ايطاليا، إذ طبقت في ٣ آب ١٩٣٧ برنامجاً عنصرياً ضد اليهود في ايطاليا، وذلك برغم سياستها القديمة وتعهداتها في مؤتمر السلام في باريس بحماية الأقليات فصدرت تعليمات هامة تتضمن سيطرة الدولة الإيطالية على معظم الأقليات في ايطاليا عن طريق

١- مغادرة الأقليات التي لم تكن ترغب في البقاء في ايطاليا.

٢- التدريس باللغة الإيطالية حصراً في كافة أنحاء البلاد.

٣- التعليم يكون حصراً باللغة الإيطالية مما يعني أن الأقلية الألمانية تحديداً حرمت من ممارسة التعليم بلغتها وكذلك حرمت من إنشاء مدارس باللغة الألمانية والتعليم على وفق أساليب الحياة الألمانية^(٢٦). حاول المكتب المركزي للشعب الألماني خلال الفترة المتبقية من عام ١٩٣٨ التراجع عن العمل الدعائي الذي قام به بنجاح، كما طلب إصدار المراجعة الخاصة بالأقليات في إيطاليا فقد تراجعت ١٢ مسألة إلى حد ما حتى آذار ١٩٣٩ ، عندما لم يؤد الحل النهائي لتشيكوسلوفاكيا إلى إشعال آمال جنوب تيروليين فحسب بل أثار قلقاً جديداً في عقل موسوليني حول نوايا صديقه الألماني، وبحلول أوائل عام ١٩٣٩ قرر هتلر مدرّكاً لمخاوف موسوليني إعادة التوطين، فقد كان الرايخ مستعداً لإعادة توطين التيروليين الجنوبيين ، وفي عام ١٩٣٩ وافق موسوليني إلى جانب هتلر على (اتفاقية الخيار) ، والتي كانت تسهم في إضفاء الطابع الإيطالي الكامل على ترينتينو، إذ كان لدى السكان الخيار: إما وضع لغتهم وثقافتهم وطريقة حياتهم والاستسلام للإيطاليين أو مغادرة البلاد والهجرة إلى الرايخ الألماني وقبول الجنسية الألمانية^(٢٧) ففي آذار ١٩٣٩ أصدر هتلر تعليمات إلى قادة الأقلية من خلال بدء الاستعدادات السرية للمكتب المركزي للشعب الألماني لإعادة التوطين عندما حث موسوليني هتلر في شهر أيار على تسريع العملية ، فأصبحت إعادة التوطين رسمية ، فسياسة الرايخ لا تقتصر فقط على جنوب التيرول ولكن أيضاً على المناطق الواقعة في شمال شرق إيطاليا^(٢٨).

انتقل بعض التيروليين إلى برلين للشكوى ولم يتلقوا سوى ردود مراوغة من وزارة الخارجية والمكتب المركزي للشعب الألماني، في ٧ تموز ١٩٣٩ أصدر المكتب المركزي للشعب الألماني تعليمات إلى جميع مكاتب الرايخ والحزب للتعامل مع إعادة التوطين في جنوب التيرول ، الذي سيتم مناقشته لاحقاً ، ينهي وضع التيروليين الجنوبيين ليس فقط كمجموعة عرقية متميزة ولكن كأقلية قومية معترف بها رسمياً، وفقاً لاتفاقية إعادة التوطين ، كان للأفراد خيار إعادة التوطين في الرايخ أو البقاء في إيطاليا ثم التخلي عن وضعهم الألماني و سيتم الاعتراف من قبل الرايخ والسلطات الإيطالية بالاختيار لأولئك الذين اختاروا إيطاليا أو الرايخ^(٢٩)، لم يتعاون التيروليون الجنوبيون ضد إيطاليا، فكانوا متفرجين على هذه

الأحداث ، الا ان هتلر تجاوزهم وتعامل مع الإيطاليين مباشرة ، كعنصر أساسي في مخطط السياسة الخارجية الشامل لهتلر، فكانت الردود المشتركة على إعادة التوطين هي المماثلة ، اذ شعر الكثيرون بالمرارة لما اعتبروه خيانة ، ولم يكونوا على استعداد للتضحية بمنزلهم ووطنهم من أجل القضية النازية ، ورفضوا استدعاء الدعوة من هتلر^(٣٠).

لم تحاول السلطات الرسمية استعادة مناطق الأستيطان الألمانية المفقودة منذ مدة طويلة، بل حاولت فقط تعزيز وتثبيت وجود اللغة الألمانية والوعي الشعبي الألماني، كما عملت على زيادة رجال الدين والمسؤولين وأعضاء هيئة التدريس بجنوب التيرول، وهذه السياسة مثلت بداية نشاط قوي لتأمين ونشر الألمان في التيرول^(٣١).

الخاتمة:

توصل البحث الى جملة من النتائج في ضوء ما توافر من معلومات:

١- ظهرت النزعة القومية في سنوات ما بين الحربين وذلك يعود إلى القصور الذي شاب العلاقة بين الدولة والأمة، فالدولة عبارة عن وحدة ادارية وسياسية تحتكر الاستخدام الشرعي للسلطة على مجمل سكان اقليم جغرافي محدد، بينما الأمة مجتمع يرتبط ببعضه بأواصر القرابة والاشتراك في اللغة والعادات والتقاليد التي تميز هذا المجتمع وهذه القومية عن غيرها من القوميات، فيمكننا أن نرى قومية دون دولة أو دولة تضم بين جنباتها عدة قوميات تضم أقليات متعددة إذ ضمت الدول التي أنشأت على أثر معاهدة فرساي أكثر من أقلية قومية وذلك ما جعل القومية الألمانية تفقد أجزاء واسعة من شعوبها لتنظم إلى دول خارج عن قوميتها.

٢- نفذت الدول الدكتاتورية الجماعية الشعبية التي ظهرت للوجود بعد الحرب العالمية الاولى التعاليم التي دعا اليها القوميون الحقيقيون بحذافيرها ومع ان القومية في المانيا النازية وايطاليا الفاشية غلفت بغلاف الاطماع الشخصية الا انها وعن طريق التعليم والدعاية اصبحت تمثل مجموع الشعب بأكمله

وعملت من اجل هذا المجموع سواء رضي الشعب أم ابى، واعتبروا امتهم اعظم الامم واحسنها، كما اعتبروها امنع حصن ضد الشر واسمى مصدر للبهجة والسعادة.

٣- كانت اوضاع الاقلية الالمانية في ايطاليا من بين الاسوأ في غرب اوربا، اذ عانت هذه الاقليات من محاولات الدولة الايطالية القومية ادماجها في اطارها القومي عن طريق التضييق عليها اقتصادياً واجتماعياً من خلال حرمانهم من ممارسة عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم وفرضت عليهم اللغة والثقافة الايطالية والتي شكلت عاملاً حاسماً في التضييق عليهم.

٤- ضحى الحزب النازي بمصالح الاقلية الالمانية في ايطاليا والمتمثلة بالالمان في تريستا وترنتينو في الانضمام للدولة الالمانية، اذ تغافل النازيون الالمان ومؤسستهم (المكتب المركزي للشعب الالمانى) الذي عُنِي بشؤون الاقليات الالمانية والذي كان له دور فاعل في معالجة اوضاع الاقليات الالمانية في شرق اوربا ووسطها عن حماية الاقلية الالمانية في ايطاليا، واقتنع بوضعهم امام خيار قومي صعب جداً اما الهجرة الى المانيا والاستغناء عن ممتلكاتهم واموالهم واما البقاء في ايطاليا والاستغناء عن قوميتهم والتنازل عن هويتهم.

٥- مثلت مصلحة الدولة الالمانية العامل الاهم في التعامل مع الاقلية الالمانية في تريستا وترنتينو اذ ضحى الحزب النازي والزعيم الالمانى بمصالح الاقلية الالمانية في ايطاليا من اجل مصلحة الدولة الالمانية وذلك في محاولة لعدم اثاره الزعيم القومي الايطالي ومحاولة الاستفادة منه لكسب حليف قوي في القارة الاوربية استعداداً لجولة جديدة من الحرب كان مقرراً لها عام ١٩٤٥.

المراجع والاحالات:

(١) معاهدة لندن السريه: عقدت بين الحلفاء وايطاليا اثناء الحرب العالمية الاولى، فقد حصلت ايطاليا من الحلفاء على وعود من الحلفاء بالحصول على مساعدات مالية، الجزء الايطالي من ترنتينو وميناء تريستا وما جاورها من الاراضي في الداخل وجزء من مقاطعة دلماشيا وجزر دودوكانيز والبانيا، كل ذلك مقابل دخول ايطاليا في الحرب بجانب الحلفاء. ينظر: محمد

حمزه الدليمي ولبنى رياض عبد المجيد الرفاعي، تاريخ العالم المعاصر، تاريخ العالم المعاصر، ط١ (الموصل: دار غيداء للنشر والتوزيع، ٢٠١٤)، ص ٤٤.

(٢) Academic American Encyclopedia, Vol. 18, Arete Publishing Company, New Jersey, 1981, p. 297.

(٣) Ibid, pp. 291.

(٤) Nicola Fontana and Mirko Saltori, Trentino, International Encyclopedia of the First World War 1914–1918, Version ١ Last updated ١٨ April 2016, p. 1

(٥) Ibid.

(٦) Ibid, p. 2

(٧) Barbara Bergler, Germanophone Sprachinseln In Norditalien Walser, Zimbern und Fersentaler – eine soziolinguistische Analyse, Bachelorarbeit im Studiengang Deutsch–Italienische Studien, Universität Regensburg, 2018, p. 31.

(٨) Adolf Leidlmair, Bevölkerung und Wirtschaft 1919–1945, in Franz Huter a cura di, München, Verlag, 1965, p. 363.

(٩) Valdis O. Lumans, Himmler's Auxiliaries : The Volksdeutsche Mittelstelle and the German National Minorities of Europe, 1933–1945, University of North Carolina Press, London, 1993, p. 76.

(١٠) Barbara Bergler, Germanophone Sprachinseln In Norditalien Walser, Zimbern und Fersentaler – eine soziolinguistische Analyse, Bachelorarbeit im Studiengang Deutsch–Italienische Studien, Universität Regensburg, 2018, p. 22.

(١١) Valdis O. Lumans, Op. Cit, p. 79.

(١٢) Stefan Wolff, German Minorities in Europe Ethnic Identity and Cultural Belonging, Berghahn Books, United States, 2000, p. 65.

(١٣) هيرمان بهرنرز: ولد هيرمان بهرنرز ابن أحد النازيين في روستينغن Rustingen في ١١ آيار ١٩٠٧. درس الحقوق في جامعة ماربورغ ، لكنه حصل على الدكتوراه في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣١ ، أنضم الى الحزب النازي واصبح زعيماً خاصاً في قوات الأمن الخاصة. ينظر:

Jefferson Adams, Historical Dictionary of German Intelligence, The Scarecrow Press, Toronto, 2009, p. 27.

(١٤) Valdis O. Lumans, Op. Cit, p. 79.

(١٥) بحر الادرياتيک: هو خليج فينيزيا Venezia مشتق من البحر الابيض المتوسط يمتد على طول ٧٥٠ كيلومتر بين تركيا واوربا واوستريا وايطاليا، عليه عدة موانئ منها فينيزيا وتريستا وانسوم وفيوم، وماؤه اكثر ملوحيه من ماء البحر الابيض نفسه، ويحدث فيه مد وجزر ظاهران وخاصة في فينيزيا. ينظر: محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، مج ٢، (بيروت: دار الفكر، ١٩٧١)، ص ٣٦١.

(١٦) Arnold Toynbee, Survey of International Affairs 1920-1923, Oxford University Press, London, 1923, pp. 318-322.

(١٧) Bertold Spuler, Rulers and Governments of The World , Vol. 2, Bowker Publishing Coltd, London, 1977, pp. 52-55.

(١٨) Ibid, pp. 55-59.

(١٩) Ibid, pp. 80-85.

(٢٠) Barbara Bergler, Op. Cit, p. 32.

(٢١) Deutscher Bundestag, Op. Cit, p. 24.

(٢٢) Ibid, p. 24.

(٢٣) Valdis O. Lumans, Op. Cit, p. 77.

(٢٤) Manfred Tschaikn, Deutsche Volkstumspolitik in Tirol 1850-1918 , Diplomarbeit, Universitat Prof. Dr. Johann Rainer, Innsbruck, 1980, p. 12.

(٢٥) Ibid, p. 79.

(٢٦) فرقد عباس قاسم راشد، موقف بريطانيا من التوسع الالمانى في اوربا ١٩٣٨-١٩٣٩ النمسا - تشكوسلوفاكيا ،رسالة ماجستير ، جامعة البصرة:كلية التربية، ١٩٩٩، ص٢٨٦.

(٢٧) Barbara Bergler,Op.Cit,p.31.

(٢٨) Valdis O .Lumans,Op.Cit,p.79.

(٢٩) Ibid.

(٣٠) Ibid,p.80.

(٣١) Manfred Tschaikn,Op.Cit,p.13.

دراسة العلاقة السببية بين تغيرات أسعار الصرف وتغيرات هيكل التمويل وأسعار الأسهم للمدة (٢٠١٧-٢٠٠٥)

أ.د. صاحب نعمة العكايشي

الباحث حسين عبد الله سدخان

كلية الادارة والاقتصاد/ جامعة الكوفة

المقدمة:

أصبحت التقلبات المستمرة في أسعار صرف العملة المحلية تستوجب اهتمام الباحثين بالإضافة الى اهتمام المستثمرين نتيجة لانعكاس هذه التقلبات على التدفقات النقدية المتوقعة من الاستثمارات كما تحظى هذه التقلبات باهتمام أصحاب رؤوس الأموال نتيجة تأثيرها في الارتفاع او الانخفاض على أسعار أسهم الشركات التي تؤدي بالنتيجة الى ارتفاع او انخفاض قيمة المنشأة .

من هذا المنطلق جاء هذا البحث ليسلط الضوء على تناول أسعار الصرف وكيف تؤثر أسعار الصرف على قيمة المنشأة، وهل يؤدي التأثير الى اعتماد المنشأة على اصدار أسهم جديدة بغية الحصول على التمويل او البحث عن مصادر تمويل اخرى متمثلة بالاقتراض او حق التملك.

لذا فإن المشكلة المطروحة تتعلق بمعرفة طبيعة تقلبات أسعار الصرف وأثرها على مصادر التمويل المختلفة للمنشآت المالية لكون ذلك يمثل أهمية كبيرة في معرفة الطرق المناسبة للتمويل عند ارتفاع أسعار الصرف او انخفاضها وهذا يعتبر أحد الاهداف المهمة للإدارة المالية في المنشآت المالية، ومن خلال ما تقدم نفترض: هل توجد هنالك علاقة سببية بين متغيرات الدراسة وما نوع هذه العلاقة هل تكون باتجاه واحد ام باتجاهين؟.

ولغرض الوصول الى طبيعة العلاقة بين المتغيرات والحصول على النتائج واختبار فرضية البحث تم الاعتماد على منهج التحليل الكمي والاختبارات القياسية باستخدام نموذج السببية Causality Method

وقد اثبتت الدراسة بانه هنالك علاقة سببية بين تغيرات اسعار الصرف وتغيرات هيكل التمويل واسعار الاسهم.

وتضمن تبويب البحث مبحثين، تضمن المبحث الاول: الاطار النظري للتحليل القياسي وفق نموذج السببية ، بينما تضمن المبحث الثاني: تحليل النتائج وفق النموذج المذكور للمصارف التجارية المختارة والمدرجة في سوق العراق للأوراق المالية وللمدة (٢٠٠٥ - ٢٠١٧) ، وختم البحث بالنتائج والتوصيات.

المبحث الأول: الإطار النظري للتحليل القياسي وفق نموذج السببية:

أولاً : مفهوم العلاقة السببية.

يوضح مفهوم السببية بحسب جرانجر (Granger) على انها التغير في القيم الحالية والقيم الماضية لمتغير معين يسبب التغير في متغير آخر، أي ان التغير في قيم (X_t) الحالية والماضية يسبب حدوث تغير في (Y_t) ، ويستخدم هذا المفهوم لمعرفة طبيعة العلاقة بين المتغيرات الاقتصادية كون ان هذه المتغيرات لا تتحرك بالاتجاه نفسه لتحقيق حالة التوازن، بسبب تأثيرها بظروف وعوامل مختلفة، لذا فأن هنالك مدد للارتداد الزمني توضح الفارق الزمني في مدى استجابة المتغير التابع لأثر التغير في المتغير المستقل او العكس تماماً^١.

ان استخدام اختبار السببية يؤدي الى الابتعاد وتلافي عدم الدقة والوضوح في نموذج الانحدار الخطي والذي قد يؤدي الى حدوث ظاهرة العلاقة الزائفة*، مما يعني ان المتغيرات المستقلة لا توضح التغير في المتغيرات التابعة^٢.

ويتضمن اختبار سببية جرانجر تقدير نموذج انحدار ذاتي^٣ :

$$Y_t = \delta_0 + \sum_{i=1}^p \delta_i Y_{t-i} + \sum_{j=1}^q \lambda X_{t-j} + \mu_t \dots (١)$$

$$X_t = \alpha_0 + \sum_{i=1}^n \alpha_i X_{t-i} + \sum_{j=0}^m \beta_j y_{t-j} + v_t \dots (٢)$$

إذ ان : $(\beta, \delta_i, \lambda, \alpha_i)$ معلمات يراد تقديرها ، بينما (μ_t, v_t) متغيران عشوائيان بتباين ثابت ومتوسط حسابي يساوي صفر .

ويتم تقدير المعادلتين (١) و (٢) باستخدام طريقة المربعات الصغرى (OLS) ، وعلى وفق ذلك يمكن ان نلاحظ هنالك اربعة احتمالات لسببية كرانجر وهي ٤ :

١- نموذج السببية باتجاه واحد Unit-Directional Model .

وفق هذا النوع من السببية يكون التأثير ذات اتجاه واحد ، أي تأثير المتغير المستقل بالمتغير التابع وعدم حدوث العكس .

$$\rightarrow \times \quad y$$

٢- سببية الارتداد .

وفق هذا النوع من السببية ونتيجة تداخل مجموعة من المتغيرات التي تؤثر فيه ، أي انها تظهر مره بشكل متغير مستقل ومرة اخرى بشكل متغير تابع .

$$\leftarrow \times \quad y$$

٣- انعدام العلاقة بين متغيرات الدراسة عندما تكون قيمة F غير معنوية في النماذج المقدره .

$$\times \quad y$$

٤- والحالة الاخيرة: وما تعرف بسببية التغذية العكسية وهي ماتهم دراستنا ، ووفق هذا النوع من السببية ان المتغير المستقل يسبب التغير في المتغير التابع والعكس صحيح. أي انه المتغير التابع كذلك يسبب التغير في المتغير المستقل ، اذ ينتقل الاثر باتجاهين .

$$\rightleftarrows \quad y$$

ثانيا : مفهوم استقرارية السلاسل الزمنية

تعد استقرارية السلاسل الزمنية ذات اهمية كبيرة في كثير من المجالات التي يعتمد فيها على البيانات الزمنية مثل البيانات الاقتصادية والبيانات المالية ، بسبب كون اغلب السلاسل الزمنية تتميز بعدم الاستقرار

لأنها تنمو مع الزمن ، وهذا يؤدي الى ان الوسط الحسابي والتباين غير مستقرين ومرتبطين بالزمن ، مما يستوجب استعمال اختبار السلاسل الزمنية للتحديد درجة تكاملها من اجل بيان وجود ارتباط زائف من عدمه ^٥.

ولاجل تحديد استقرارية السلاسل الزمنية للبيانات يتطلب الامر اجراء اختبار جذر الوحدة للسلاسل الزمنية ^٦ ، ومن الاختبارات المستخدمة لمعرفة وجود الاستقرارية من عدمها الاختبارين الآتيين ^٧:

- اختبار ديكي - فولر البسيط (Dickey - Fuller test 1979) (DF).
- اختبار ديكي _ فولر الموسع (Augmented Dickey - Fuller test) (ADF).
- ١- اختبار ديكي فولر البسيط (Dickey - Fuller test 1979) (DF).

في عام ١٩٧٩ قاما ديكي وفولر بوضع هذا الاختبار من اجل اختبار فرضية ان السلسلة تحتوي على جذر الوحدة من عدمها، بمعنى انها غير ساكنة مقابل الفرضية البديلة سكون السلسلة ^٨ ، ويحتوي هذا الاختبار على ثلاث نماذج هي :

النموذج الاولى : من دون حد ثابت واتجاه زمني .

$$\Delta y_t = \delta y_{t-1} + \mu_t$$

حيث ان : y_t = السلسلة الزمنية للمتغير المراد اختباره ، اما δ = تمثل معلمة المتغير المتباطأ، بينما μ_t = المتغير العشوائي (Random Variable) ، الذي يفترض ان يتوزع توزيعاً طبيعياً بوسط حسابي مساوي للصفر وبتباين ثابت مقداره σ_M ، و Δ = الفرق الاول للسلسلة ، ($\Delta y_t = y_t - y_{t-1}$).

النموذج الثانية : تحتوي على حد ثابت و بدون اتجاه زمني .

$$\Delta y_t = \beta_1 + \delta y_{t-1} + \mu_t$$

حيث ان : β_1 = تمثل معلمة الحد الثابت (المقطع الصادي) .

النموذج الثالثة : تحتوي على حدث ثابت واتجاه زمني.

$$\Delta y_t = \beta_1 + \beta_2 t + \delta y_{t-1} + \mu_t$$

إذ ان : t = تمثل الاتجاه الزمني ، اما β_2 = تمثل معلمة الاتجاه الزمني .

يتطلب اختبار (DF) باستخدام الصيغة الأولى بحساب ما يعرف بقيمة $(\tau^{\wedge})$ من أجل اختبار الفروض الآتية :

١- فرضية العدم : $(H_0: \delta = 0)$.

٢- الفرضية البديلة : $(H_1: \delta < 0)$.

وبعدها يتم المقارنة بين قيمة $(\tau^{\wedge})$ المحتسبة وقيمتها الجدولية المعده من قبل (Dickey-Fuller) والمسماة بالقيمة الحرجة (Critical Values) ، عند حجم معين n ومستوى معنويه $(1\% ، 5\% ، 10\%)$ ، فإذا كانت القيمة المحتسبه اقل من القيمة الجدولية تقبل فرضية العدم ، وهذا يعني عدم سكون السلسلة الزمنية ، اما في حالة العكس تقبل الفرضيه البديلة ، مع الاخذ بنظر الاعتبار للقيم المحتسبه والقيم الجدوليه القيمة المطلقة والمقارنة بينها.

٢- اختبار ديكي _ فولر الموسع (Augmented Dickey -Fuller test) (ADF).

يعتمد اختبار ديكي _ فولر الموسع (ADF) في دراسة استقرارية السلاسل الزمنية على عملية تقدير النماذج الآتية وبطريقة المربعات الصغرى وكما يأتي ^٩ :

$$\Delta X_t = \rho X_{t-1} - \sum_{j=2}^p \phi_j \Delta X_{t-j+1} + \varphi_t$$

$$\Delta X_t = \rho X_{t-1} - \sum_{j=2}^p \phi_j \Delta X_{t-j+1} + C + \varphi_t$$

$$\Delta X_t = \rho X_{t-1} - \sum_{j=2}^p \phi_j \Delta X_{t-j+1} + C + b + \varphi_t$$

إذ ان : φ_t = يمثل حد الخطأ العشوائي ، اما Δ = يمثل الفرق الاول .

ويتم حساب الفرق الاول من خلال المعادله الآتية .

$$\Delta X_{t-1} = X_{t-1} - X_{t-2}$$

اما حساب الفرق الثاني من خلال المعادلة الآتية:

$$\Delta X_{t-2} = X_{t-2} - X_{t-3}$$

وتقدير النموذج بطريقة المربعات الصغرى (الغنام ، ٢٠٠٣ : ٨) ، ففي حالة كون ($H_0 = \varphi = 0$) فهذا يشير الى عدم الاستقرارية (فرضية العدم) مما يعني وجود جذر الوحدة، اما في حالة ($H_0 = 0 \neq \varphi$) فهذا يشير الى الفرضية البديلة، ومن خلال قيمة (τ) المحتسبة والمقارنة مع الجدولية يتم تحديد قرار استقرار السلاسل الزمنية من عدمها، فاذا كانت قيمة (τ) المحتسبة اكبر من الجدولية ، فهذا يعني استقرار السلاسل الزمنية ورفض فرضية العدم التي تعبر عن وجود جذر الوحدة ، وقبول الفرضية البديلة التي تعبر عن عدم وجود جذر الوحدة واستقرار السلسلة الزمنية للبيانات ، اما في حالة كانت قيمة (τ) المحتسبة اقل من القيمة الجدولية فيحدث العكس ° .

ثالثا : مفهوم التكامل المشترك للسلاسل الزمنية .

يعرف التكامل المشترك بأنه عبارة عن عملية تزامن او ترافق بين سلسلتين زمنيتين (X_t, Y_t) ، إذ ان التقلبات في احد السلسلتين تؤدي الى إلغاء التقلبات في السلسلة الاخر بطريقة تجعل النسبة بين قيمتهما ثابتة، بحيث ان بيانات السلاسل تكون غير مستقرة (غير ساكنة) اذا ما اخذت على حده ولكنه تكون مستقرة (ساكنة) كمجموعة ١٠ .

وللتكامل المشترك مجموعة من الاختبارات وهي كالآتي :

١- اختبار أنجل _ كرانجر .

ان منهجية أنجل _ كرانجر للتكامل المشترك التي قدمت عام ١٩٨٧ والقائمة على تقدير معادلة انحدار التكامل المشترك بين المتغيرات (X_t, Y_t) من خلال العلاقة طويلة الاجل بينهما ومن خلال استخدام طريقة المربعات الصغرى الاعتيادية (OLS).

$$y_t = \beta_0 + \beta_1 X_t + e_t$$

حيث ان : β_0, β_1 = تمثل المعلمات المقدرة ، اما e_t = يمثل حد الخطأ العشوائي .

وان التحقق من شرط استقرار السلاسل الزمنية الخاصة بمتغيرات الدراسة يتم ذلك من خلال استخدام اختبار جذر الوحدة ، بمعنى ان تكون متكاملة تكاملاً مشتركاً من نفس الدرجة سواء أكانت مستقرة عند المستوى او عند الفروق (الفروق الاول او الفرق الثاني) ، ومن ثم يتم اختبار مدى سكون البواقي التي تم الحصول عليها من الفرق الاول^{١١}.

ومن ثم يتم مقارنة قيمة ($\hat{\tau}$) المحسوبة مع قيمتها الحرجة التي لها جدول خاص اعده خصيصاً من قبل انجل وجرانجر ، فإذا كانت القيمة المحسوبة اقل من الحرجة ، فهذا يؤدي الى قبول فرضية العدم وبالتالي تكون سلسلة (e_t) غير مستقرة (غير ساكنة) ، والبيانات لكل من (Y_t ، X_t) لا تتصفان بخاصية التكامل المشترك ، وهذا يعني ان نموذج تصحيح الخطأ لا يصلح في تفسير سلوك هذه الظاهرة .
اما اذا كانت القيمة المحسوبة اكبر من القيمة الحرجة فيحدث العكس^{١٢}.

٢- اختبار جوهانسون _جسليوس.

يعد اختبار جوهانسون _جسليوس (Johansen & Juselius) من اهم اختبارات التكامل المشترك بسبب تميزه بالتلائم مع العينات الصغيره كذلك مع العينات الكبيرة ، ويتم اجراء اختبار جوهانسون _جسليوس للتكامل المشترك بالصورة الاتية :

الاختبار الاول : اختبار الاثر (λ trace) trace test .

ان هذا الاختبار يختبر فرضية العدم والفرضية البديلة ، اذا تنص فرضية العدم بان متجهات التكامل المشترك تكون مساوية او اقل من العدد (r) ، اما بخصوص الفرضية البديلة فتتنص على ان المتجهات للتكامل المشترك يكون عددها مساوي ل ($r=n$) ، وهذا يعني وجد تكامل مشترك بين متغيرات الدراسة ويتم حساب هذا الاختبار وفق الصيغة الاتية^{١٣}:

$$\lambda trace(r) = -T \sum_{i=r+1}^n \ln(\lambda^i r + 1)$$

حيث ان : T = حجم العينة.

الاختبار الثاني : اختبار القيم المميزة العظمى λ MAX.

وفقا لهذا الاختبار يتم اختيار فرضية العدم على اساس انها عدد متجهات التكامل المشترك يساوي r ($n=r$) ، مقابل البديله التي عدد متجهات التكامل يساوي $(n = r + 1)$ ، ويتم حسابها على وفق الصيغة الاتية ^{١٣} :

$$\lambda \max(r, r_+, 1) = -T \ln(1 - \hat{\lambda}r + 1)$$

ان اختبار جوهانسن هو عبارة عن اختبار لرتب المصفوفة (II) ، ويجب وجود التكامل المشترك بين متغيرات الدراسة وان لا تكون المصفوفة ذات رتبة كاملة ($n > r$ $II = r < n$) .

رابعا : نموذج الانحدار الذاتي ذي الفجوات الموزعة ARDL

طور هذا النموذج من قبل Pesaran وآخرون عام ١٩٩٧ ، وما يميز هذا النموذج بانه لا يتطلب ان تكون متغيرات الدراسة متكاملة من نفس الدرجة ، فضلا عن انه يمكن تطبيقه بغض النظر عما اذا كانت السلاسل الزمنية مستقرة عند المستوى (١٠) او عند الفرق الاول (١١) او خليط من الاثنين ، والشرط الوحيد في عدم استعمال هذه الطريقة هو عندما تكون السلاسل الزمنية مستقرة عند الفرق الثاني (١٢) ^{١٤} .

ويعد نموذج ARDL أكثر تطورا من باقي النماذج كونه يتميز بانه ^{١٥} .

١- تمتاز منهجية ARDL بانها تجمع بين المتغيرات المستقرة عند المستوى (١٠) وعند الفرق الأول (١١) ، ولا يشترط استقرار البيانات جميعها عند نفس المستوى مثل (١٠) ، وليس من أي من المتغيرات المستقلة. متكاملة من الدرجة الثانية (١٢) او رتبة أكثر .

٢- نستطيع باستخدام منهجية ARDL تحديد العلاقة التكاملية بين المتغيرات في المدى القصير والطويل ، فضلا عن تحديد تأثير المتغيرات المستقلة على المتغيرات التابعة.

٣- إن نموذج ARDL يظهر نتيجة تصحيح الخطأ (ECM) والتي تقيس قدرة النموذج في التحرك الى الوضع التوازني نتيجة حدوث خلل او اضطرابات معينة.

٤- إن منهجية ARDL تظهر نتائج كفؤ وغير متحيزة لأنها تعمل على ازالة المشاكل المتعلقة بالارتباط الذاتي.

٥- ان منهجية ARDL تمتاز بتطبيقها على العينات صغيرة الحجم.

وتكون الصيغة العامة بمنهجية ARDL متكونه من متغير تابع Y وعدد من المتغيرات التفسيرية K أي $X_1, X_2, \dots, X_k$ على النحو التالي (حسن & شومان، ٢٠١٣ : ١٨٧-١٨٨) :

$$\Delta y_t = C + \sum_{i=1}^q \beta_1 \Delta X_{y_{t-1}} + \sum_{i=0}^{q_1} \beta_2 \Delta X_{1_{t-1}} + \sum_{i=0}^{q_2} \beta_3 \Delta X_{2_{t-1}} + \sum_{i=0}^{q_k} \beta_k \Delta X_{k_{t-1}} + \alpha_1 y_{t-1} + \alpha_2 X_{1_{t-1}} + \alpha_3 X_{3_{t-1}} + \alpha_k X_{k_{t-1}} + \varepsilon_t$$

اذ ان : C يمثل الحد الثابت ، Δ تمثل الفروق من الدرجة الاولى ، K عدد المتغيرات ، P فترة ابطاء المتغير التابع ، $q_1, q_2, \dots, q_k$ تمثل فترة ابطاء المتغيرات التفسيرية، $X_1, X_2, \dots, X_K$ على التوالي ، $\beta_1, \beta_2, \dots, \beta_K$ تمثل معاملات العلاقة قصيرة الاجل ، $\alpha_1, \alpha_2, \dots, \alpha_K$ تمثل معاملات العلاقة طويلة الاجل ، ε_t يمثل حد الخطا العشوائي.

ويتم عملية اختبار التكامل المشترك وفق نموذج ARDL باستعمال فرضيتين^{١٧} :

- فرضية العدم : وهي عدم وجود تكامل مشترك (أي علاقة توازنه طويلة الاجل) بين المتغيرات المدروسة ، والتي يعبر عنها كالاتي :

$$\alpha_1 = \alpha_2 = \alpha_3 = \alpha_4 = \alpha_5 = \alpha_6 = \alpha_0$$

- الفرضيه البديلة : وتنص على وجود تكامل مشترك بين المتغيرات المدروسة (علاقة توازنه طويلة الاجل) ، والتي يعبر عنها كالاتي :

$$\alpha_1 \neq \alpha_2 \neq \alpha_3 \neq \alpha_4 \neq \alpha_5 \neq \alpha_6 \neq \alpha_0$$

المبحث الثاني: تقدير وتحليل نموذج السببية لعوامل انتقال أثر سعر الصرف على تغيرات هيكل التمويل

واسعار الاسهم للمدة ٢٠٠٥-٢٠١٧

اولا : اختبار استقرار السلاسل الزمنية للمتغيرات .

تم استخدام اختبار ديكي _ فولر الموسع ADF الذي يعد من الاختبارات الدقيقة المتبعة في بيان مدى استقرار السلاسل الزمنية وتحديد الخصائص الاحصائية لمتغيرات الدراسة خلال الفترة الزمنية المحددة ، وبعد اجراء هذا الاختبار توصلنا الى النتائج كما في الجدول (٧) .

جدول (٧) اختبار ديكي _ فولر الموسع ADF لمتغيرات الدراسة

المتغير	المستوى			الفرق الاول	القرار
	بدون حد ثابت واتجاه زمني	حد ثابت	حد ثابت واتجاه زمني	حد ثابت واتجاه زمني	
y	0.549907	-1.666185	-2.621364	-4.317811	1(1)
1%	-2.81674	-4.297073	-5.295384	-5.124875	
5%	-1.982344	-3.212696	-4.008157	-3.933364	
10%	-1.601144	-2.747676	-3.460791	-3.42003	
prob	0.8168	0.4168	0.2816	0.042	
	بدون حد ثابت واتجاه زمني	حد ثابت	حد ثابت واتجاه زمني	القرار	1(0)
	x1	-2.610496	-1.464459	-2.398547	
	1%	-2.792154	-4.200056	-5.124875	
	5%	-1.977738	-3.175352	-3.933364	
	10%	-1.602074	-2.728985	-3.42003	
	prob	0.0385	0.5129	0.3605	
	بدون حد ثابت واتجاه زمني	حد ثابت	حد ثابت واتجاه زمني	القرار	1(0)
	x2	-1.850796	-0.255112	-4.610007	
	1%	-2.792154	-4.200056	-5.124875	
	5%	-1.977738	-3.175352	-3.933364	
	10%	-1.502074	-2.728985	-3.42003	
	prob	0.0635	0.9034	0.0199	
	بدون حد ثابت واتجاه زمني	حد ثابت	حد ثابت واتجاه زمني	القرار	1(0)
	x3	0.974636	0.057654	-4.208972	
	1%	-2.792154	-4.200056	-5.124875	
	5%	-1.977738	-3.175352	-3.933364	
	10%	-1.602074	-2.728958	-3.42003	
	prob	0.8996	0.945	0.0448	

المصدر : اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج EViews 10

يوضح الجدول (٧) نتائج اختبار استقرارية كل من (X_3, X_2, X_1, y) للمدة (٢٠٠٥-٢٠١٧) وباستخدام اختبار ديكي _ فولر الموسع ADF ، وعند قياس (τ) المحتسبة بقيمة (t) الجدولية فاذا كانت القيمة المحتسبة اقل من القيمة الجدولية عند المستويات $(1\%, 5\%, 10\%)$ ، فإن هذا يشير الى عدم استقرار السلسلة الزمنية ، لذا تقبل فرضية العدم القائل بوجود جذر الوحدة .

ومن الجدول اعلاه نلاحظ عدم استقرار بيانات (y) عند المستوى (بوجود حد ثابت واتجاه زمني) و (بوجود حد ثابت) و (وبدون حد ثابت واتجاه زمني) لان $(ADF_{\lambda(r,n,e)} > \hat{T}_{\lambda})$ ، اما عند اجراء تحليل السلاسل الزمنية بالفرق الاول وعند حد ثابت واتجاه زمني نلاحظ استقرار بيانات سعر الصرف (Y) عند مستوى معنوي (5%) لان $(ADF_{\lambda(r,n,e)} < \hat{T}_{\lambda})$ وعند درجة تكامل $(1(1))$.

اما اختبار استقرارية بيانات (X_3, X_2, X_1) وباستعمال اختبار ديكي _ فولر الموسع ADF ، وعند مقارنة قيمة (τ) المحتسبة بقيمة (t) الجدولية ، فاذا كانت القيمة المحتسبة اكبر من القيمة الجدولية عند المستويات $(1\%, 5\%, 10\%)$ ، فهذا يشير الى استقرارية (X_3, X_2, X_1) .

ولان قيمة (X_1) عند المستوى وبدون حد ثابت واتجاه زمني اكبر من القيمة الجدولية وعند مستوى معنوي (5%) فهذا يشير الى استقرار السلاسل الزمنية ، لذا ترفض فرضية العدم وتقبل الفرضية البديلة ، اما قيمة (X_2) ولان $(ADF_{\lambda(r,n,e)} < \hat{T}_{\lambda})$ في المستوى عند (وجود حد ثابت واتجاه زمني) وعند مستوى معنوي (5%) وكما موضح بالجدول اعلاه ، فهذا يؤدي الى رفض فرضية العدم القائل بوجود جذر الوحدة ونقبل الفرضية البديل ، بينما (X_3) ولان $(ADF_{\lambda(r,n,e)} < \hat{T}_{\lambda})$ في المستوى وعند وجود حد ثابت واتجاه زمني وعند مستوى معنوية (5%) ، لذا ترفض فرضية العدم وتقبل الفرضية البديلة .

علما ن درجة تكامل استقرارية المتغيرات (X_3, X_2, X_1) كانت عند $1(0)$.

ثانيا : تحديد فترة الابطاء المثلى باستخدام معيار AIC .

يتطلب اختبار العلاقة بين سعر الصرف وهيكل التمويل واسعار الاسهم تحديد فترة الابطاء ، وباستخدام معيار او مقياس اكايك (AIC) وتم اختيار النموذج ذو اقل قيمة ل AIC كما موضح بالجدول (8) .

جدول (٨) مدة الابطاء الملائمة على وفق معيار (AIC)

Y		X1		X2		X3	
L	AIC	L	AIC	L	AIC	L	AIC
0	9.912759	0	-0.378115	0	7.408215	0	7.408072
1	9.316321	1	-0.923891*	1	5.072689*	1	5.102325*
2	9.215051*	2	-0.826447	2	5.217802	2	5.217408
3	9.423719	3	-0.719743	3	5.351619	3	5.343604
4	9.481139	4	-0.525845	4	5.294390	4	5.565445

المصدر : استخرجت النتائج من قبل الباحث وباستخدام البرنامج الاحصائي EViews 10

(*) اقل قيمة لمؤشر اكايك (AIC).

ومن خلال الجدول اعلاه يتبين ان افضل مدة تباطؤ لسعر الصرف وحسب مؤشر اكايك (AIC) كانت سنتين ، اما افضل مدة تباطؤ لأسعار الاسهم والرافعة المالية وحق التملك وحسب معيار اكايك (AIC) كانت سنة واحدة.

ثالثا : اختبار التكامل المشترك باستخدام منهج الحدود للفجوات الزمنية الموزعة ARDL .

جدول (٩) اختبار ARDL Bounds

ARDL Bounds Test		
Date: 08/26/19 Time: 23:33		
Sample: 2006 2017		
Included observations: 12		
Null Hypothesis: No long-run relationships exist		
Test Statistic	Value	k
F-statistic	20.11909	3
Critical Value Bounds		
Significance	I0 Bound	I1 Bound
10%	2.72	3.77
5%	3.23	4.35
2.5%	3.69	4.89
1%	4.29	5.61

المصدر : استخرجت النتائج من قبل الباحث وباستخدام البرنامج الإحصائي EViews 10 من خلال الجدول اعلاه يتبين لنا نتائج اختبار الحدود للتكامل المشترك أذ تبين ان القيمة المحتسبة لاختبار (F) والبالغة (٢٠,١١٩٠٩) هي اكبر من قيم الحدود العليا الجدولية ١~١ والحدود الدنيا ١~٠ لقيم احصائية (F) وفقا لحجم العينة ودرجة الحرية ومستوى المعنوية (١% ، ٥% ، ١٠%) وهذا يشير الى وجود تكامل مشترك بين المتغيرات المدروسة ، أي نرفض فرضية العدم ونقبل الفرضية البديلة .

رابعا : تقدير العلاقة طويلة الاجل بين المتغيرات .

جدول (١٠) تقدير العلاقة طويلة الاجل

ARDL Cointegrating And Long Run Form				
Dependent Variable: Y				
Selected Model: ARDL(1, 0, 1, 1)				
Date: 08/26/19 Time: 23:38				
Sample: 2005 2017				
Included observations: 12				
Cointegrating Form				
Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
D(X1)	-37.896145	60.610705	-0.625238	0.5592
D(X2)	-88.720613	74.536512	-1.190297	0.2874
D(X3)	-88.067233	74.199815	-1.186893	0.2886
CointEq(-1)	-0.945341	0.162606	-5.813693	0.0021
Cointeq = Y - (-40.0873*X1 -106.8515*X2 -104.3178*X3 + 11826.1491)				
Long Run Coefficients				
Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
X1	-40.087288	65.476892	-0.612236	0.5672
X2	-106.8515...	68.132808	-1.568283	0.1776
X3	-104.3177...	68.757374	-1.517187	0.1897
C	11826.14...	6852.262684	1.725875	0.1450

المصدر : استخرجت النتائج من قبل الباحث وباستخدام البرنامج الاحصائي EViews 10

في هذا الاطار سوف نعمل على نمذجة منهج ARDL لتفسير المتغير (Y) اعتمادا على قيمته السابقة والحالية من خلال برنامج EViews 10 ، وللتحقيق من ذلك في ضوء المعايير (١ ، ٠ ، ١ ، ١) ARDL لتحديد الفروق ، المتغيرات الاولى توضح ان المجموع التراكمي للبواقي للنموذج المتوازن للعلاقة طويلة الامد لها معامل مقدار سالب ومميز مما يعني وجود الية تصحيح الخطا ، هذا المعامل يدل على درجة المتغير (Y) ستؤول الى الهدف طويل الاجل المقدر بـ (٠,٩٤٥٣٤١) في نموذج ARDL ، ويلاحظ ان عملية تعديل الهدف طويل الاجل قويا خلال فترة الدراسة (٢٠٠٥ - ٢٠١٧) ، اذا ان النتائج طويلة الاجل توضح ان المتغير (Y) يوجد تأثير سلبي عليه من باقي المتغيرات ، بمعنى عدم اخذ سعر

الصرف بنظر الاعتبار عند الحصول على التمويل بمصادره المختلفة ، ويمكن تقدير النموذج طويل المدى كالاتي :

$$Y_t = -40.0873 X_{1t} - 106.8515 X_{2t} - 104.3178 X_{3t} + 11826.1491$$

جدول (١١) تقدير النموذج وفقا لمنهج (ARDL)

Dependent Variable: Y
Method: ARDL
Date: 08/26/19 Time: 23:28
Sample (adjusted): 2006 2017
Included observations: 12 after adjustments
Maximum dependent lags: 1 (Automatic selection)
Model selection method: Akaike info criterion (AIC)
Dynamic regressors (1 lag, automatic): X1 X2 X3
Fixed regressors: C
Number of models evaluated: 8
Selected Model: ARDL(1, 0, 1, 1)

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.*
Y(-1)	0.054659	0.162606	0.336146	0.7504
X1	-37.89614	60.61071	-0.625238	0.5592
X2	-88.72061	74.53651	-1.190297	0.2874
X2(-1)	-12.29049	2.137946	-5.748738	0.0022
X3	-88.06723	74.19982	-1.186893	0.2886
X3(-1)	-10.54861	2.978863	-3.541152	0.0165
C	11179.74	7791.924	1.434786	0.2108
R-squared	0.981084	Mean dependent var	1247.333	
Adjusted R-squared	0.958384	S.D. dependent var	78.20757	
S.E. of regression	15.95436	Akaike info criterion	8.668539	
Sum squared resid	1272.708	Schwarz criterion	8.951402	
Log likelihood	-45.01124	Hannan-Quinn criter.	8.563814	
F-statistic	43.22014	Durbin-Watson stat	2.427363	
Prob(F-statistic)	0.000377			

*Note: p-values and any subsequent tests do not account for model selection.

المصدر : استخرجت النتائج من قبل الباحث وباستخدام البرنامج الإحصائي EViews 10

وبعد التأكد من وجود علاقة تكامل مشترك بين المتغيرات سوف نقوم بإجراء اختبار السببية .

خامسا : اختبار السببية بين المتغيرات المدروسة.

من بين الطرق المستخدمة للوصول للعلاقة ما بين مجموعة من متغيرات السلاسل الزمنية (Multivariate time series models) ما يسمى بنماذج سلاسل زمنية متعددة المتغيرات والتي تفسر قيم المتغير الحالية بالقيم السابقة له، وبالقيم السابقة للمتغيرات الأخرى ، لذلك سيستند التحليل القياسي للمتغيرات المدروسة على اختبار جرانجر للسببية.

جدول (١٢) نتائج اختبار السببية بين متغيرات الدراسة

Pairwise Granger Causality Tests			
Date: 08/26/19 Time: 23:41			
Sample: 2005 2017			
Lags: 1			
Null Hypothesis:	Obs	F-Statistic	Prob.
X1 does not Granger Cause Y	12	12.3704	0.0065
Y does not Granger Cause X1		0.55043	0.4771
X2 does not Granger Cause Y	12	10.9949	0.0090
Y does not Granger Cause X2		12.0154	0.0071
X3 does not Granger Cause Y	12	0.87614	0.3737
Y does not Granger Cause X3		4.45375	0.0640
X2 does not Granger Cause X1	12	12.4934	0.0064
X1 does not Granger Cause X2		27.6857	0.0005
X3 does not Granger Cause X1	12	11.6932	0.0076
X1 does not Granger Cause X3		0.13040	0.7264
X3 does not Granger Cause X2	12	20.9270	0.0013
X2 does not Granger Cause X3		0.03233	0.8613

المصدر : استخرجت النتائج من قبل الباحث وباستخدام البرنامج الإحصائي EViews 10

نلاحظ من اختبار السببية لكرانجر ما يأتي :

- وجود علاقة سببية باتجاه واحد من X1 الى Y أي ان التغيرات السابقة في X1 تفسر التغيرات الحالية في Y.

- وجود علاقة سببية باتجاهين بين X_2 و Y ، أي ان التغيرات السابقة في X_2 تفسر التغيرات الحالية في Y ، وكذلك التغيرات السابقة في Y تفسر التغيرات الحالية في X_2 .
 - وجود علاقة سببية باتجاه واحد من Y الى X_3 ، أي ان التغيرات السابقة في Y تفسر التغيرات الحالية في X_3 .
 - وجود علاقة سببية باتجاهين بين X_1 و X_2 ، أي ان التغيرات السابقة في X_1 تفسر التغيرات الحالية في X_2 ، وكذلك التغيرات السابقة في X_2 تفسر التغيرات الحالية في X_1 .
 - وجود علاقة سببية باتجاه واحد من X_3 الى X_1 ، أي ان التغيرات السابقة في X_3 تفسر التغيرات الحالية في X_1 .
 - وجود علاقة سببية باتجاه واحد من X_3 الى X_2 ، أي ان التغيرات السابقة في X_3 تفسر التغيرات الحالية في X_2 .
- مما تقدم يتضح لنا بأنه توجد علاقات سببية باتجاه واحد في بعض المتغيرات، اما البعض الآخر فتوجد علاقات سببية باتجاهين وعند مستوى معنوية (١% ، ٥% ، ١٠%).

الاستنتاجات والتوصيات:

الاستنتاجات Conclusions

- لقد تم التوصل في هذه الدراسة الى مجموعة من الاستنتاجات وهي :
١. يمثل سعر الصرف المرآة التي تعكس وضع البلد للعالم الخارجي، وذلك من خلال العلاقة بين الاستيرادات والصادرات ، وهو يعد اداة ربط بين الاقتصاد الداخلي واقتصاديات الدول الاخرى ومن خلاله يتم تحديد التكاليف والاسعار الدولية اذ يقوم بتسهيل المعاملات الدولية وتسويتها.
 ٢. اختلفت المصارف المختارة في طريقة الحصول على التمويل من خلال اعتماد البعض منها على المديونية والبعض الاخر على حق التملك، ولكن ما غلب على عينة الدراسة هو الاعتماد بالدرجة الاساسية

على التمويل المقترض خلال مدة الدراسة وهو ما يدل على ان المصارف التجارية العراقية تفضل التمويل المقترض بسبب انخفاض تكلفته مقارنة مع التمويل الممّلك.

٣. من خلال التحليل المالي لأسعار الاسهم نجد اختلاف اسعار الاسهم من مصرف الى اخر من المصارف التجارية العراقية عينة الدراسة تبعا للوضع المالي والظروف الاقتصادية ومقدار الطلب والعرض للأسهم.

٤. تم في هذه الدراسة اجراء اختبار استقرارية السلاسل الزمنية للمتغيرات المدروسة التي تؤطر البحث باستعمال اختبار ديكي فولر الموسع (ADF) ، وتم التوصل الى استقرار بعض متغيرات الدراسة (اسعار الاسهم و الرفع المالي وحق التملك) عند المستوى (٠)١ بينما المتغيرات الاخرى متمثلة ب (سعر الصرف) مستقرة عند الفرق الاول (١)١ ، ولم تكن هنالك متغيرات متكاملة من الدرجة (٢)١ ، مما يعني استعمال منهجية التكامل المشترك باستخدام ARDL.

٥. بعد القيام باختبار التكامل المشترك وفق نموذج ARDL للمتغيرات المدروسة وبالرغم من عدم استقرار جميع متغيرات الدراسة في المستوى او عند الفرق الاول تبين وجود تكامل مشترك بينها (علاقة توازنية) على المدى الطويل طبقا لاختبار (Wald test).

٦. أثبتت نتائج تقدير النموذج القياسي عن وجود أثر سلبي وغير معنوي لكل متغيرات الدراسة في سعر الصرف في الاجل القصير والاجل الطويل.

٧. ان معلمة تصحيح الخطأ تساوي (٠,٩٤٥٣٤١-) وعند مستوى معنوية اقل من ١% (٠,٠٠٢١ = prob) واشارتها سالبة، مما يزيد من صحة ودقة العلاقة التوازنية طويلة الاجل بين المتغيرات المدروسة وان آلية تصحيح الخطأ موجودة في النموذج ، اذ تقيس المعلمة سرعة عودة النموذج الى الوضع التوازني في المدى الطويل ، مما يعني ان الاختلال في التوازن طويل المدى يصحح بسرعة تعادل (٩٤%).

٨. تبين من خلال اختبار العلاقة السببية بين المتغيرات المدروسة وجود علاقة ذو اتجاه واحد بين (سعر الصرف واسعار الاسهم) وبين (سعر الصرف وحق التملك) ، بينما كانت هنالك علاقة باتجاهين بين (سعر الصرف والرفع المالي).

٩. تبين من خلال نموذج ARDL تأثير الرفع المالي وحق التملك واسعار الاسهم على اسعار الصرف وعلى المدى القصير والطويل بشكل سلبي.

التوصيات Recommendations

من خلال الجانب التطبيقي للدراسة ومن خلال الاستنتاجات التي تم التوصل اليها توصل الباحث الى التوصيات الآتية:

١. العمل على استخدام سعر الصرف الملائم بما يتلائم مع الوضع الاقتصادي العراقي الذي يمر به البلاد، متمثلاً باعتماد العراق بشكل كبير في تمويل الموازنة على الدولار من خلال بيع النفط، والنفقات العسكرية خلال السنوات الأخيرة متمثلة بالحرب ضد داعش.

٢. ينبغي على الشركات التي تكون مبيعاتها اخذة بالانخفاض الابتعاد عن الديون، لان التمويل بالديون سوف يعظم خسارة المساهمين، اما الشركات ذات المبيعات المتزايدة فأن التمويل بالديون سوف يعظم ارباح مساهميها.

٣. ينبغي على المصارف التجارية العراقية استخدام مؤشرات الهيكل المالي في معرفة ادائها التمويلي، وكذلك معرفة نسبة وكلفة كل مصدر من مصادر التمويل لديها لتقليل هذه الكلف الى الحد الادنى.

٤. على المصارف اختيار الوقت المناسب للحصول على التمويل لما له من اهمية في تحديد هيكل التمويل المناسب له، فمن غير المقبول اصدار أسهم جديدة في وقت عزوف المستثمرين عن شرائها او عدم توفر الحاجة لشرائها في سوق العراق للأوراق المالية.

٥. وفي ظل انفتاح اسواق الدول المختلفة على بعض والتطورات الحاصلة فيها ينبغي على المصارف العراقية ان تواكب التطور في المصارف في الدول الاخرى من خلال الاندماج لأنه يساعد على تعزيز القدرة التنافسية والحصول على مصادر التمويل المختلفة ويزيد الثقة في تعاملاتها.

٦. اجراء دراسات مماثلة تمتد لفترة اطول او عدد أكبر من المصارف التجارية العراقية، او القيام بإجراء هذه الدراسة على قطاعات مختلفة وبشكل منفرد من اجل معرفة أي القطاعات الاكثر تأثراً، وهذا يعتبر تواصلاً للبحث العلمي.

الهوامش والمراجع:

- ١- عبد الحسين ، هناء ، اختبار السببية بين الصادرات السلعية والناتج المحلي الاجمالي للاقتصاد العراقي للمدة ١٩٨٠-١٩٧٠ ، مجلة بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة ، العدد ٦ ، ٢٠٠٢.
- * العلاقة الزائفة : هي علاقة انحدار ذات معامل تحديد عالي القيمة ومعنوية المعلمات المقدرة عالية أيضا ، على الرغم من العلاقة بين المتغيرات غير حقيقية ، ويمكن الاستدلال عنها بوجود قيمة منخفضة لاختبار دارين واتسون (D.W).
- ٢- علاوي ، كامل كاظم و راهي ، محمد غالي ، تحليل وقياس العلاقة بين التوسع المالي والمتغيرات الاقتصادية في العراق للمدة ١٩٧٤ - ٢٠١٠ ، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والادارية ، العدد ٢٩ ، ٢٠١٤.
- ٣- الجنابي ، نبيل مهدي ، اثر عجز الموازنة العامة الاتحادية على الميزان التجاري العراقي دراسة قياسية للمدة (٢٠١١-٢٠٠٣) ، جامعة القادسية ، الإدارة والاقتصاد ، ٢٠١٢.
- ٤- James, L, Hurrhy., "Introductory Econometrics". Richard D, Irwin, INC, First printing, ١٩٧٢ USA.
- ٥- جيجارتي ، دامودار ، الاقتصاد القياسي ، ترجمة هند عبد الغفار عوده ، الجزء الثاني ، دار المريخ ، الرياض ، ٢٠١٥.
- ٦- نجم الدين ، عدنان كريم و عبید ، زينب كامل ، استخدام سببية كرانجر في تحليل العلاقة بين الانفاق الاستثماري واجمالي تكوين راس المال الثابت للقطاع الزراعي في العراق للمدة (١٩٨٠-٢٠١٦) ، مجلة جامعة كربلاء العلمية ، المجلد ١٧ ، العدد ١ ، ٢٠١٩.
- ٧- لجلاج ، صادق زوير ، تحليل العلاقة الدالية بين النمو الاقتصادي والفقر في العراق للمدة (١٩٩٠-٢٠٠٧) ، جامعة بغداد ، كلية الاداره والاقتصاد ، الاقتصاد ، ٢٠١١.
- ٨- سميسم ، اثير نجاح كامل ، تقلبات سعر الصرف واثرها على بعض مؤشرات الاسواق المالية -دراسة مقارنة بين سوق العراق ومصر للمدة ٢٠١٦-٢٠١٠ ، رسالة ماجستير ، جامعة الكوفة ، كلية الإدارة والاقتصاد ، قسم العلوم المالية والمصرفية ، ٢٠١٧.

- ٩- الغنام ، حمد بن عبدالله ، تحليل السلسلة الزمنية لمؤشر اسعار الاسهم في المملكة العربية السعودية باستخدام منهج بوكس جينكيز (Box-Jenkins Method) ، مجلة جامعة عبد العزيز للاقتصاد والادارة ، مجلد ١٧ ، العدد ٢ ، ٢٠٠٣ .
- ١٠- عطية ، عبد القادر محمد عبد القادر ، الاقتصاد القياسي بين النظرية والتطبيق ، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ، ٢٠٠٤ .
- ١١- حسين ، كريم سالم و الجنابي ، نبيل مهدي ، العلاقة بين اسعار النفط الخام وسعر صرف الدولار باستخدام التكامل المشترك وسببية كرانجر (Granger) ، مجلة كلية الإدارة والاقتصاد ، العدد ١ ، ٢٠١١ .
- ١٢- القدير ، خالد بن حمد بن عبدالله ، اختبار فرضية كالدور للعلاقة بين الانتاج الصناعي والنمو الاقتصادي في المملكة العربية السعودية ، مجلة جامعة الملك سعود ، مجلد ١٧ ، العلوم الادارية (٢) ، الرياض ، ٢٠٠٣ .
- ١٣- المعموري ، عامر عمران كاظم و الزبيدي ، سليم رشيد عيود ، اثر تقلبات اسعار الصرف على المؤشر العام لاسعار الاسهم دراسة تطبيقية - في سوق العراق للأوراق المالية للمدة ٢٠٠٥-٢٠١١ ، مجلة كلية الإدارة والاقتصاد ، جامعة كربلاء ، المجلد الثالث ، العدد الثاني عشر ، ٢٠١٢ .
- ١٤- أدرويش ، دحمان محمد و القادر ، ناصور عبد ، دراسة قياسية لمحددات الاستثمار الخاص في الجزائر باستخدام نموذج الانحدار الذاتي للفجوات الزمنية الموزعة المتباطئة ، أبحاث المؤتمر الدولي ١١-١٢ مارس ، جامعة سطيف ، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير ، ٢٠١٣ .
- ١٥- الرشيد ، طارق محمد ، مهارات التحليل البيانات باستخدام برنامج EViews ، مطبعة اميسا الحديثة ، الخرطوم ، ٢٠١٨ .
- ١٦- فلة ، غيدة و فوزية ، غيدة ، أثر الاستثمار في التعليم على النمو الاقتصادي في الجزائر دراسة قياسية باستخدام نموذج ARDL خلال الفترة (١٩٨٠-٢٠١٤) ، مجلة نماء للاقتصاد والتجارة ، العدد ٣ ، ٢٠١٨ .

التخطيط الاستراتيجي المستدام وتأثيره في ضمان جودة التعليم العالي

أ.د. عمار عبد الامير زوين

كلية الإدارة والاقتصاد/ جامعة الكوفة

الباحث محمد حسن صاحب طاهر/ ديوان الجامعة

المقدمة Introduction:

انطلاقاً من الموقع الذي تتبوّه الجامعات بصورة عامة، وجامعة الكوفة قيد الدراسة على وجه التحديد، انبثقت فكرة الدراسة الحالية، التي سعت لتفسير وتحليل بعض المعوقات والمحددات التي تعترض طريق تميز الجامعات العراقية، والناجمة عن مشاكل عديدة لعل أبرزها تعرض العراق للحروب المتوالية، بالإضافة الى التخبّطات السياسية طوال الفترة المنصرمة. لذا يحاول الباحثان بيان مدى تأثير التخطيط الاستراتيجي المستدام في فاعلية ضمان جودة التعليم العالي لتمكين جامعة الكوفة من التحسين المستمر في أدائها، وإدارة نفسها ذاتياً. إن ضمان جودة التعليم العالي لا تأتي بالصدفة، إذ لا بد من التخطيط الاستراتيجي المستفيض والمركز لاستدامة الأنشطة التعليمية في المستقبل، فضلاً عن تلبية احتياجات كافة أصحاب المصالح وفسح المجال للمشاركة لجميع الأطراف المعنية في الحوكمة الأكاديمية في صياغة الخطط الاستراتيجية.

في ضوء ما تقدم، ومن أجل إعداد هيكلية الدراسة على وفق التسلسل المعرفي والمنطقي استعرض الباحثان الدراسة الحالية، من خلال أربع مباحث، تناول الأول منهجية الدراسة والدراسات السابقة، أما المبحث الثاني فاشتمل على الإطار النظري للدراسة، واختص المبحث الثالث بالجانب العملي، واختتمت الدراسة في مبحثها الرابع في عرض الاستنتاجات والتوصيات.

المبحث الأول: منهجية الدراسة وأبرز الدراسات السابقة:

إن هذا المبحث يستعرض منهجية الدراسة، والتي هي عبارة عن خطوات منتظمة ومرتبطة وفقاً لطبيعتها المعرفية والميدانية، وأبرز الدراسات السابقة التي تناولت متغيري الدراسة.

المحور الاول: منهجية الدراسة:

أولاً: مشكلة الدراسة Problem of Study

بعد مراجعة مستفيضة للأدبيات ذات العلاقة بهذا المجال، يمكن للباحثين ان يصيغا مشكلة الدراسة بالتالي: "إن انخفاض مستوى ضمان جودة التعليم العالي في الجامعات العراقية، قد يرجع الى عدم الاهتمام بالتخطيط الاستراتيجي المستدام". واستنادا الى تلك المشكلة يسعى البحث الحالية، للإجابة عن التساؤلات التالية:

١. ما مستوى تتبنى منهج التخطيط الاستراتيجي المستدام في الجامعة قيد الدراسة؟
٢. ما مستوى تحقيق ضمان الجودة في الجامعة قيد الدراسة؟
٣. ما العلاقة بين التخطيط الاستراتيجي المستدام وضمان جودة التعليم العالي في الجامعة قيد الدراسة؟

ثانياً: . أهداف الدراسة Objectives of the Study

- يمكن ايضاح الاهداف التي سعت الدراسة الحالية لتحقيقها من خلال النقاط الاتية:
١. التعريف بمستوى تبني التخطيط الاستراتيجي المستدام في الجامعة قيد الدراسة.
 ٢. تحديد مستوى تحقق ضمان الجودة في الجامعة قيد الدراسة.
 ٣. تحليل علاقة التأثير للتخطيط الاستراتيجي المستدام في ضمان جودة التعلم العالي في الجامعة قيد الدراسة.

ثالثاً: . أهمية الدراسة Importance of the Study

تنقسم اهمية الدراسة الى محورين هما:

المحور الاول: الاهمية على المستوى المعرفي وتمثل بالآتي.

تأتي الدراسة الحالية لفتح المجال والخوض في محاولة بذل الجهود البحثية في متغير التخطيط الاستراتيجي المستدام، والذي يعد من المواضيع الاكثر حداثة في مجال ادارة الاعمال بصورة عامة وفي مجال التعليم

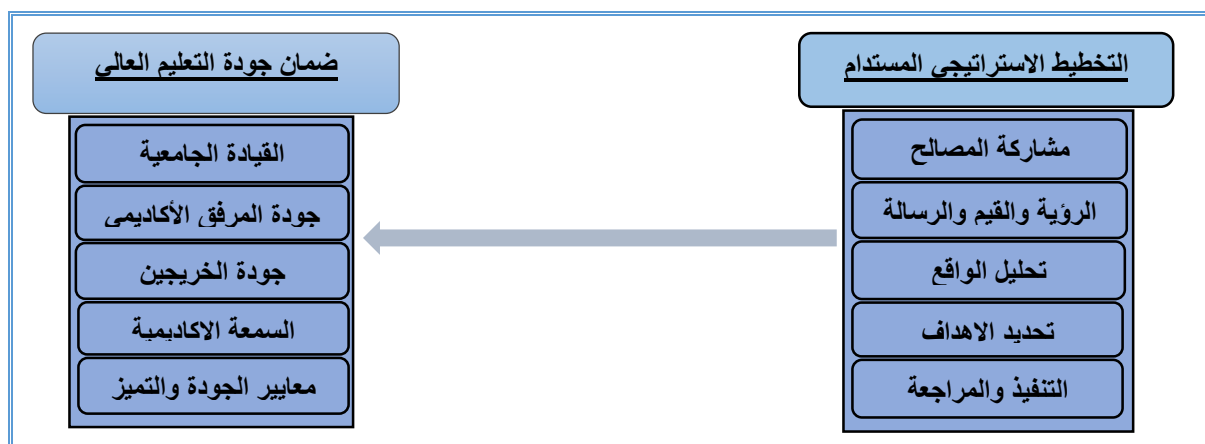
العالي على وجه الخصوص. إذ عده الباحثين أداة الالفية الثالثة، والتي يُمكن في حال تكامل ابعاده ان تخلق خطط استراتيجية تنعكس إيجابيا على تحقيق الجودة واستمرارها.

المحور الثاني: الأهمية على المستوى التطبيقي:

قليلة هي الدراسات التطبيقية التي تناولت متغيرات الدراسة، فضلا عن عدم وجود دراسات منفردة -حسب علم الباحثين- تجمع متغيرات الدراسة الحالي (التخطيط الاستراتيجي المستدام، ضمان جودة التعلم العالي). والاستفادة الميدانية من نتائج الدراسة الحالية، من خلال اعتمادها كإجراءات موضوعية تمكن الجامعة قيد الدراسة بخصوص فاعلية التخطيط الاستراتيجي والاستدامة تحقيقا لأهداف الجامعة المحددة بالخطة الاستراتيجية. بالإضافة الى قيام الباحثين في الدراسة الحالية، بتوظيف مقاييس استخدمت في بيئات عالمية مختلفة، لدراسة متغيرات الدراسة (التخطيط الاستراتيجي المستدام، وضمان جودة التعليم العالي)، إذ تم تكييفها لتلائم بيئة التعليم العالي في العراق.

رابعا: . المخطط الفرضي للدراسة Study Framework

قام الباحثين بتشكيل المخطط الفرضي للدراسة الحالية بعد مراجعة الادبيات ذات العلاقة بمتغيري الدراسة (التخطيط الاستراتيجي المستدام، ضمان جودة التعلم العالي). بالتأسيس مجموعة من الدراسات السابقة ذات الصلة مثل دراسة (Henard & Mitterle, 2018b ؛ العالي، ٢٠١٧؛ الصانع، ٢٠١٣). والشكل (١) يظهر المخطط الفرضي للدراسة الحالية.



الشكل (١) المخطط الفرضي للدراسة

المصدر: اعداد الباحثين

خامسا: فرضيات الدراسة Hypothesis of the Study

لتحقيق اهداف الدراسة الحالية، والتوصل الى الاجوبة المنطقية لتساؤلاتها، يضع الباحثين فرضية رئيسة توضح طبيعة العلاقة بين متغيري الدراسة انفة الذكر وهي:

H1: يوجد تأثير موجب معنوي للتخطيط الاستراتيجي المستدام في ضمان جودة التعليم العالي، وينبثق هذه الفرضية خمس فرضيات فرعية أخرى هي:

H1-1: يوجد تأثير موجب معنوي لمشاركة أصحاب المصالح في ضمان جودة التعليم العالي.

H1-2: يوجد تأثير موجب معنوي للرؤية، القيم والرسالة في ضمان جودة التعليم العالي.

H1-3: يوجد تأثير موجب معنوي لتحديد الاهداف في ضمان جودة التعليم العالي.

H1-4: يوجد تأثير موجب معنوي لتحليل الواقع في ضمان جودة التعليم العالي.

H1-5: يوجد تأثير موجب معنوي للتنفيذ والمراجعة في ضمان جودة التعليم العالي.

سادسا: . مقياس وأداة الدراسة Measures and the study Tool

تبنى الباحثين في الدراسة الحالية، مقياس ليكرت (الخماسي) في تصميم أداة الدراسة، أذ شكلت الاستبانة الأداة الرئيسة لقياس مستوى استجابة العينة المستهدفة. اذ اعتمد مقياس (Bielev & Mackenzie: 2017 ; Simpson: 2000) لقياس متغير التخطيط الاستراتيجي المستدام والمتكون من (٢٢) فقرة موزعة على خمسة ابعاد هي (أصحاب المصالح، الرؤية والقيم والرسالة، تحديد الأهداف، تحليل الواقع، والتنفيذ والمراجعة). اما متغير ضمان جودة التعليم العالي فيتم قياسه من خلال خمسة ابعاد هي: (القيادة الجامعية، وجودة المرفق الأكاديمي، وجودة الخريجين، والسمعة الأكاديمية، ومعايير الجودة والتميز)، أستناد الى مقياس (Mulhem, 2015 ; Bornman, 2004 ; شحمانى: ٢٠١٦) الذي تضمن (٢١) فقرة.

الجدول (١) مقاييس الدراسة

متغيرات الدراسة	الابعاد	الفقرات	المصادر
التخطيط الاستراتيجي المستدام	اصحاب المصالح	٥	(Simpson:2001) (Bielev&Mackenzie:2017)
	الرؤية، الرسالة والقيم	٤	
	تحليل الواقع	٤	
	تحديد الاهداف	٥	
	التنفيذ والمراجعة	٤	
ضمان جودة التعليم العالي	القيادة الجامعية	٤	(Cao & Li, 2011) (Mulhem, 2015) (شحمانى: ٢٠١٦)
	جودة المرفق الاكاديمي	٤	
	جودة الخريجين	٥	
	السمعة الاكاديمية	٤	
	معايير الجودة والتميز	٤	

المصدر: اعداد الباحثين

سابعاً: . مجتمع وعينة الدراسة Society and the Study Sample

نظراً لطبيعة الدراسة وتحقيقاً لمتطلباتها، فقد استهدف الباحثين جامعة الكوفة ضمن تشكيلات وزارة التعلم العالي والبحث العلمي، لأجراء الجانب التطبيقي من الدراسة. مقتصرًا على القيادات الجامعية فيها، لارتباط البحث بشكل أساسي في عملية اتخاذ القرار والتخطيط الاستراتيجي. وشمل المجتمع المستهدف (العمداء، معاون عميد، رئيس قسم)، والبالغ عددهم (١٨٦)، ضمن تشكيل رئاسة جامعة الكوفة والكليات الملحقة بها، والبالغ عددها (٢٢) كلية موزعة ضمن مجمع المدينة الجامعية وخارجها.

ثامناً: . التعريفات، الإجرائية، لمتغيرات. الدراسة Definitions. Of the study variables

أن التعريفات الاجرائية لمتغيرات الدراسة على مستوى المتغيرات والابعاد يبينها الجدول (٢).

الجدول (٢) التعريفات الاجرائية لمتغيرات الدراسة

متغيرات الدراسة		التعريفات الإجرائية
التخطيط الاستراتيجي المستدام		مفهوم شامل، وعملية تشاركية منظمة من خلالها تتمكن المنظمات من صياغة استراتيجيات التحسين المستمر، وتقييم ادائها ذاتياً، وموازنة أهدافها الربحية وتطلعات أصحاب المصالح.
البعد الاول	مشاركة المصالح	انهم افراد او مجاميع، داخل او خارج الجامعة، يؤثرون ويتأثرون بالأنشطة الجامعية.
البعد الثاني	الرؤية والرسالة والقيم	الرؤية هي بيان تصدره الجامعة لما تنوي ان تكون عليه في المستقبل. اما الرسالة فهي كلمات مقتضبة تعبر عن الهدف الذي من اجله أنشئته الجامعة (سبب وجودها)، كما ويعرف الباحثين القيم بانها احترام العادات الحاكمة للعمل الجامعي.

أحد الأدوات الرئيسية لرصد وتشخيص مواطن القوة والضعف لبيئة الجامعة الداخلية، والفرص والتهديدات ضمن بيئتها الخارجية.	تحليل الواقع	البعد الثالث
المحصلة النهائية المرجوة، التي تتطلع الجامعة لتحقيقها والوصول إليها، عبر فترة من الزمن يتم تحديدها بدقة، سوى كانت تلك الاهداف طويلة، متوسطة او قصيرة الاجل.	تحديد الاهداف	البعد الرابع
هو ترجمة للخطط الاستراتيجية التي تم صياغتها من خلال شحذ الهمم وتوفير كافة الموارد الكفيلة بنجاح الخطط على ارض الميدان. اما المراجعة فهي اسلوب منهجي منظم يشمل كافة العمليات الاستراتيجية لأجل تحديد مواطن الضعف والقوة والتي من خلالها يسترشد القادة على تصحيح المسارات وتقويمها.	التنفيذ والمراجعة	البعد الخامس
كافة الجهود والاجراءات المتخذة من اجل ضمان تحسين جودة العملية، التعليمية والبحثية، والمحافظة على السمعة الاكاديمية والعمل ضمن المعايير الاكاديمية.	ضمان جودة التعليم العالي	
القيادة التي تسعى، لتحقيق الجودة الاكاديمية من خلال امتلاك رؤية قادرة على خلق بيئة عمل منسجمة يكون الولاء التنظيمي هو الطابع العام، واشاعة روح المشاركة والعمل الجامعي في الجامعة، فضلا عن المشاركة، الشخصية في تطوير الانشطة وتنمية قدرات الابداع والابتكار.	القيادة الجامعية	البعد الاول
كفاية البنية التحتية للجامعة وتجهيزاتها ذات العلاقة من (مختبرات، قاعات دراسية، مقاعد الطلبة، الكتب، المكتبة والنادي الطلابي وما الى ذلك) التي تمكن الجامعة من القيام بواجباتها بأفضل صورة.	جودة المرافق الاكاديمية	البعد الثاني

المهارات والقابليات التي يكتسبها الطالب الجامعي خلال فترة الدراسة، والتي تنعكس على المعدلات العامة وامكانية الحصول على وظيفة.	جودة الخريجين	البعد الثالث
مستوى التأهيل العلمي والمهارات الذاتية التي يمتلكها عضو الهيئة التدريسية ومن خلالها يتمكن من ايصال المعلومات الى الطالب، وقدرته على المشاركة في الندوات، المؤتمرات وورش العمل وما يحصل عليه من جوائز التميز جراء تلك المشاركات.	السمعة الاكاديمية	البعد الرابع
الجوائز الاكاديمية التي تحصل عليها المؤسسات، التعليمية (الجامعة) خلال اتباعها معايير ضمان الجودة المعتمدة محليا ودوليا.	معايير الجودة والتميز	البعد الخامس

المصدر: من اعداد الباحثين

تاسعا: . أبرز الدراسات، السابقة:

اولا: . الدراسات السابقة العربية والاجنبية وهي كما يلي:

١. دراسة (الصائغ، ٢٠١٣): "درجة ممارسة عمداء الكليات الجامعية، المتوسطة في محافظات الوسط للتخطيط. الاستراتيجي وعلاقته بمستوى، ضمان الجودة وجهة نظرهم"

يهدف البحث الى بيان وايضاح العلاقة بين التخطيط الاستراتيجي وضمان جودة التعليم العالي، في الكليات التابعة الى جامعة البلقان في المملكة الهاشمية العربية، وقد تم اختيار عينة عمدية بلغت (٤٧) من القيادات الجامعية في جامعة البلقان. ومن اجل تحقيق متطلبات الدراسة قامت الباحثة بتطوير استبانتيين، الاولى خاصة بالتخطيط الاستراتيجي، والاخرى عبرت عن ضمان الجودة في التعليم العالي. وتم التحليل الاحصائي بأسلوب الانحراف المعياري معتمدةً على البرنامج الاحصائي: SPSS. وأبرز النتائج هي التي توصلت لها الباحثة، وجود علاقة، ارتباط معنوي موجبة بين التخطيط الاستراتيجي وضمان جودة التعلم العالي. بالإضافة الى ان درجة اعتماد التخطيط الاستراتيجي في الكليات المبحوثة كانت مرتفعة نسبيا. وأخيرا توصل البحث

الى ان مستوى ضمان جودة في الكليات قيد الدراسة كانت متوسطة نسبياً، الامر الذي يتطلب تكريس الجهود البحثية لمعرفة كيفية تعزيز ضمان الجودة.

٢.دراسة (رقاد، ٢٠١٤): "تطبيق ضمان الجودة مؤسسات التعليم الجزائرية: آفاق ومعوقات" يهدف البحث الى كشف الستار عن معوقات وفاق تطبيق ضمان جودة التعليم في الجامعات الجزائرية. وقد استهدفت الباحثة الجامعات الواقعة في شرق الجزائر، وبلغت العينة المستهدفة (٢٨) بأسلوب العينة العشوائية. وكانت أداة البحث الرئيسة هي الاستبانة. وقامت الباحثة بالتحليل الاحصائي بالاعتماد على البرنامج الاحصائي SPSS بأسلوب التحليل الوصفي. أما النتائج التي توصل اليها، وجود مبررات داخلية وخارجية شكلت بمجملها تحديا على مؤسسات التعليم العالي لتطبيق نظام ضمان الجودة. بالإضافة الى توصل الدراسة لنتيجة أخرى هي وجود مجموعة من المعوقات التي تحد من تطبيق الجودة. وكانت أبرز تلك المعوقات متعلقة بالجانب القيادي في الجامعات المبحوثة. اما الاستنتاج الأخير فيشير الى وجود مؤشرات حقيقية وبيئة خصبة لتطبيق نظام ضمان جودة التعليم العالي من قبل مسؤولي اقسام الجودة في الجامعات قيد البحث، ويحتاج المزيد من الدراسات لتفسير تلك المؤشرات.

٣.دراسة (Bieler & McKenzie, 2017): التخطيط الاستراتيجي المستدام في التعليم الكندي:

"Strategic Planning for Sustainability in Canadian Higher Education"

يهدف البحث الى تطوير الخطط الاستراتيجية في مؤسسات التعلم العالي الكندي، الشكل الذي يمكنها من تحقيق أهدافها الجامعية على أكمل وجه. ومحاولة الباحثين لأثراء الادب بموضوع التخطيط الاستراتيجي المستدام وتطبيقاته في قطاع التعليم العالي الذي لم يلتفت اليه سابقا من قبل الباحثين. وقد استهدفت البحث الجامعات الكندية كمجتمع للدراسة، وبأسلوب العينة العمدية تم اختيار عينة من (٥٠) استاذ كندي، وكانت الاستبانة هي الأداة الرئيسة للبحث. اما الاستنتاجات التي تم التوصل اليها فكانت هي، حاجة الجامعات قيد الدراسة الى مشاركة اقوى في مساعي تحقيق التخطيط المستدام، فضلا عن كشف ان الخطط الاستراتيجية لم تأخذ ردود أفعال الجهات الفاعلة (أصحاب المصالح) المؤثرين في عملية، التخطيط

الاستراتيجي، والاستنتاج الأخير كان عدم التفكير المستفيض من قبل الجامعات قيد الدراسة الى بناء نماذج أكثر فاعلية للتخطيط الاستراتيجي.

٤. دراسة (Cao & Li, 2011): الجودة وضمان الجودة في التعليم العالي الخاص الصيني
"Quality and quality assurance in Chinese private higher education"

يهدف هذا البحث الى أنشاء أطار عام لضمان جودة التعليم العالي بشكل عام، وضمان جودة التعلم العالي في الجامعات الخاصة لدولة الصين على وجه الخصوص. واستهدف البحث كافة الجامعات الخاصة الصينية، وقد اعتمد البحث على التحليل النقدي من خلال مراجعة الادب والتركيز على تحليل الجامعات قيد الدراسة من خلال ابعاد ضمان الجودة الثلاثة وهي (الجودة الإدارية، جودة المرفق الأكاديمي، وجودة العلاقات). والنتائج التي وصلت لها الدراسة هي، ان اللاعبين الأساسيين لضمان جودة التعلم العالي هم (الجامعة، والحكومة، وسوق العمل) وبهذا فان الدراسة توافقت مع ما يعرف بمثلث Clark لضمان الجودة، والاختلاف هنا، جاء بتفاوت تأثير عنصر على اخر، بحيث يكون التأثير سلبي او إيجابي، وفي تحليل هذه الدراسة تم التوصل الى تأثير عنصر الجامعة في حال منحها الاستقلالية الاكاديمية يكون التأثير إيجابيا على معايير ضمان جودة التعليم العالي.

ثانياً: .مراجعة الدراسات السابقة

- أنمازت الدراسة الحالية بنقاط عدة فرقته عن الدراسات السابقة ويمكن ايجازها تلك المميزات بما يلي:
- لا توجد دراسات سابقة جمعت متغيري الدراسة الحالية في أنموذج واحد. -حسب اطلاع الباحثين-
 - اغلب البحوث الاجنبية وكافة الدراسات العربية تطرقت الى التخطيط الاستراتيجي المستدام انطلاقاً من التنمية المستدامة، اما الدراسة الحالية حاولت أخذ مفهوم جديد للتخطيط الاستراتيجي المستدام من خلال التركيز على اصحاب المصالح وتأثيرهم في استدامة الخطط الاستراتيجية.
 - الدراسات السابقة اغلبها نظرية، اما الدراسة الحالية فأخذت الجانب النظري والتطبيقي.
- المبحث الثاني: الإطار النظري للدراسة:

أولاً: . التخطيط الاستراتيجي المستدام Sustainable Strategic Planning

١. مفهوم التخطيط الاستراتيجي المستدام (The Sustainable Strategic Planning (SSP)

ان التخطيط الاستراتيجي المستدام يشير الى عمل المنظمة الجاد من اجل ديمومة فاعلية القرارات للفترات المقبلة (طويلة الامد)، وقد تبدو للوهلة الاولى للقارئ الكريم ان الاستدامة في التخطيط الاستراتيجي هي بمثابة الخيال او المثالية، كونها غير موجودة أو غير واقعية، بسبب الطبيعة الديناميكية للتخطيط الاستراتيجي، لكن الاشارة هنا الى التخطيط الاستراتيجي المستدام، كونه نهج يتضمن الحاجة الى تطوير مجموعة واسعة التطابق من أصحاب المصالح على القرارات والخطط المستقبلية اذ يدرس الطبيعة الأيكولوجية، والاجتماعية، ثقافية، والناظم السياسية. وبهذا فان الاستدامة هنا ناتجة من المرونة العالية والايفاء بمتطلبات أصحاب المصالح، فضلا عن ان التخطيط الاستراتيجي المستدام يقصد به تحسين القرارات وصياغة الخطط لتضمن بقاءها ونجاحها عبر فترات طويلة (Simpson, 2001:18).

يعتبر العالم (Jean) اول من تطرق الى موضوع الادارة الاستراتيجية المستدامة في عام ١٩٧٧ وكان هنالك عدد من المؤيدين الى مثل هكذا توجه وبالفعل عقد اول مؤتمر في Miami وكان الهدف من ورائه هو حماية البيئة من المخلفات الصناعية على المدى الطويل، اما التخطيط الاستراتيجي المستدام فكان التوجه اليه في تسعينيات، القرن الماضي خلال: مجموعة باحثين أبرزهم (Jim post)، وعقد اول مؤتمر لهذا المدخل في عام ١٩٩١ في Toronto حيث كانت البحوث التي تناولت موضوع التخطيط الاستراتيجي المستدام حينها قليلة جدا لحداتها، واعتبر أحد الادوات التقنية للإدارة في الألفية الثالثة (Garner & Edward, 2008:64). ومنهم من اعتبره جزءاً من متطلبات التنمية المستدامة وهو "حق في تلبية احتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الاجيال القادمة على تلبية احتياجاتهم الخاصة، فان الاستدامة هي السمعة او القدرة ذات طابع ينطوي على مدى طويل الاجل"

(Hitchcock & Willard, 2009: 239). اضافة الى ما تقدم يعرض الباحثين مجموعة من التعاريف للتخطيط الاستراتيجي المستدام وفقا لوجهات نظر أبرز الكتاب والباحثين في هذا المجال والجدول (٤) يبين أبرز تلك التعاريف حسب تسلسلها الزمني.

جدول (٣) تعاريف التخطيط الاستراتيجي المستدام

ت	الباحثين	التعريف
١	(Tapinos et al., 2005:371)	مجموعة من العمليات والسياسات تهدف الى تطوير مجموعة من الاستراتيجيات لتحقيق استدامة الاهداف التنظيمية.
٢	(Jones, 2007:3)	مفهوم متكامل بين الاهداف الربحية واصحاب المصالح، حيث تعمل الادارة العليا على توظيف الابعاد الاقتصادية، واجتماعية، والبيئية لغرض تنمية القدرات، لتحقيق التكامل بين تلك الابعاد لتحقيق الاستدامة.
٣	(Garner & Edward, 2008:68)	"توفير اطار جيد يمكن للمنظمات من خلاله توظيف وتعزيز هيكلها التنظيمي، لتطوير علاقتها مع اصحاب المصالح الرئيسيين والثانويين باعتبار العالم كوكب صغير".
٤	(Landrnm & Edwards, 2009:23)	عملية تشاركية منظمة تسمح للمنظمات بتقييم ادائها ذاتيا، وصياغة استراتيجيات التحسين المستمر.
5	(الجابر، ٢٠١٥:٥٠)	"عملية صياغة الخطط الاستراتيجية المتعلقة بالمحافظة على الجوانب البيئية، الاقتصادية، والاجتماعية بغية الحفاظ عليها دون انقضاؤها".

6	(Bieler & Mckenzie, 2017:1)	جمع العمليات المتخذة من قبل السلطات والقيادات الجامعية للفترات المقبلة والتي تضمن الاستدامة في طرق التعليم، عمليات الحرم الجامعي، البحوث والتواصل مع المجتمع.
7	(Emerald Authors, 2017:26)	عملية صياغة استراتيجيات تحقق للمنظمة اهداف متميزة وفريدة، من خلال الاستعمال الكفوء لموارد المنظمة ومقدراتها بطريقة منطقية واخذ المسؤولية الاجتماعية ضمن عملية الصياغة.
8	(Brito et al., 2018:4)	اتخاذ كافة السياسات والاجراءات عبر عمليات متناغمة لتحقيق الاستدامة في خطط الحاضر والمستقبل، والتركيز على توفير فرص متساوية للتعليم العالي لجميع افراد المجتمع، من اجل تحقيق العدالة الاجتماعية والرفاهية.

المصدر: اعداد الباحثين بالاستناد للأدبيات ذات الصلة.

٢. أهمية التخطيط الاستراتيجي المستدام The Importance of SSP

ان جسامه الاستدامة التنظيمية بصورة عامة تأتي من خلال خلق علاقة ايجابية مع اصحاب المصالح، وتحسين صورتها بالمجتمع وبالتالي انعكاس تلك السمعة على زيادة الحصة السوقية، والذي يُمكن المنظمات من التنافس بقوة في الدوامه الاستراتيجية (Hitchcock & Willard, 2009: 240). ومن وجهة نظر (Marc, 2002:7) فان الاستدامة تحقق للمنظمات فوائد عدة على راسها خفض التكاليف، ومن تلك الفوائد هي (الانتاج الأخضر، علاقة أفضل مع اصحاب المصالح، انخفاض معدل دوران العمل، وخفض وتحسين عمليات تخزين المواد).

وعلى صعيد المنظمات الخدمية بصورة عامة، ومؤسسات التعليم العالي على وجه الخصوص، يشكل التخطيط الاستراتيجي المستدام منهج نظامي لتكامل بعمل الى وضع خارطة طريق محددة للتوجهات التي تسير وتسترشد بها الجامعات، عبر منهجية متكاملة من خلالها تتمكن مؤسسات التعليم العالي من تحقيق مبتغاها

للأهداف الاستراتيجية. اذ يرى (Leon-Soriano et al., 2009:266) ان التخطيط الاستراتيجي المستدام يزيد من رصانة الجامعات إضافة للوفاء بجميع مسؤولياتها والتزاماتها تجاه اصحاب المصالح ومن وجهة نظر (Emerald Authors, 2017:33) ان اهمية التخطيط الاستراتيجي المستدام كمدخل فريد ومتميز يساعد المنظمات على مواجهة التحديات، ويمنحها الضمان لتحقيق اقصى قدر من التأثيرات الايجابية لأصحاب المصالح، كما وانه يعزز العلاقة مع المجتمع، فضلا عن كون الخطط التي يتم صياغتها تحقق اهداف مشتركة للمنظمة ولأصحاب المصالح بالوقت ذاته.

٣. اهداف التخطيط الاستراتيجي المستدام The Objectives of SSP

ان الهدف الرئيس من اتباع المنظمات بصورة عامة لعملية التخطيط الاستراتيجي المستدام، هي لإبعاد المجتمع عن الآثار السلبية لمخرجاتها، ففي قطاع التعليم العالي، عدم اكتساب الطلبة المهارات والمعارف اللازمة خلال فترة الدراسة الجامعية يولد عبء على المجتمع وهو خلاف الهدف الاستراتيجي الذي أنشأت لأجله الجامعات (Garner & Garner, 2008:70). فيما يشير اخرون الى مجموعة من النقاط تعبر عن اهداف التخطيط الاستراتيجي المستدام وهي: (Emerald Authors, 2017:26)

- تعمل على رفع مستوى الربحي للمنظمة.
- تحقيق رضا أكثر لكافة أصحاب المصالح.
- زيادة مستوى الابداع والابتكار من خلال التخطيط الاستراتيجي غير التقليدي.
- الفاعلية في تعزيز صور المنظمات وسمعتها في الاوساط المحلية والدولية.

٤. خصائص التخطيط الاستراتيجي المستدام The Characteristics of SSP

ان التخطيط الاستراتيجي المستدام له خصائص عديدة، كونه يتمتع بمرونة عالية في صياغة الخطط تمكنه من تحقيق الاهداف المستقبلية بعيدا عن التحديات المتوقعة اثناء تنفيذ الخطط وتلك النقاط هي: (Simpson, 2001:7)

❖ الشمولية: حيث التخطيط الاستراتيجي المستدام جاء ليُلبي حاجات المجتمع كافة (الثقافية، الاقتصادية، والبيئية).

❖ الاستمرارية (ديناميكي): الاستجابة بسرعة وفقا لمتطلبات البيئة الخارجية ومحاولة تلافي التعقيدات واثارها على الخطط الاستراتيجية.

❖ التكامل: العمل ضمن الإطار العام الشامل لجميع الاطراف المتفاعلة بين المنظمة ومحيطها الذي تعمل فيه.

❖ التحديث (متجدد): من خصائص التخطيط الاستراتيجي دمج المبادئ الحالية والمستقبلية والتركيز على حاجات اصحاب المصالح المتغيرة والمتزايدة بالإضافة الى تنوعها.

❖ موجه (الاهداف موجهة): اهداف التخطيط الاستراتيجي تكون واقعية ومتوازنة ذات توزيع عادل لجميع المستفيدين من اصحاب المصالح الرئيسيين والثانويين.

❖ التفاعل (مع المجتمع): من ضمن خصائص التخطيط الاستراتيجي المستدام هو تفاعله الجاد مع المجتمع المتمثل بأصحاب المصالح ويتم ذلك من خلال التفاعل الاجتماعي من اجل الاستدامة.

ومن جانبه (Emerald Authors, 2017:26) يؤكد ان من خصائص التخطيط الاستراتيجي المستدام هي (عمليات التخطيط فيه تكون ابتكارية، التركيز أكبر على رضا المستفيدين داخل وخارج المنظمة، وعمليات التخطيط تركز على الربحية والمسؤولية الاجتماعية).

٥. مراحل ومستويات التخطيط الاستراتيجي المستدام The Phase and levels of SSP
ان عملية صياغة الخطط الاستراتيجية تأتي بمراحل متعددة، ابتداء من مرحلة قبل الصياغة الاستراتيجية والتي فيها يتم تحديد الوظائف الأساسية، ومن ثم دراسة الوضع الحالي للمنظمة وانتهاءً بمرحلة تنفيذ الخطط وتقييمها. وبرزت تلك المراحل ما تم الإشارة إليها من قبل (Emerald Authors, 2017:24) ؛ Putckov, 2005:504-203 وهي:

- مرحلة قبل البدء بصياغة الخطة الاستراتيجية ويتم فيها تحديد توجه المنظمة.

- مرحلة صياغة الرؤية ورسالة المنظمة.
- مرحلة تحديد الاهداف الاستراتيجية.
- تحديد الخيارات الاستراتيجية.
- التنفيذ والمراجعة.

اما مستويات التخطيط الاستراتيجي، تتمثل في ثلاثة مستويات، المستوى الاول على نطاق المنظمة ككل، والمستوى الثاني خاص بوحدات الاعمال اما الاخير فانه يتخصص بالمستوى الوظيفي او المستوى التنفيذي. وفي الجامعات فان مستويات التخطيط الاستراتيجي هي: (Putchkov, 2005:502)

- المستوى الاداري الشامل (قيادة الجامعة): في هذا المستوى يوجه التخطيط الى قراءة المستقبل والتنبؤ بالتغيرات الحاصلة في بيئة التعليم المحلي والدولي، وكافة الانشطة النوعية المهمة وتحديد الاتجاهات الاستراتيجية لتطوير عمل الجامعة.
- المستوى المهني (الهيئة التدريسية): يهتم هذا المستوى من التخطيط على حل المشاكل المختلفة التي ترافق تطبيق الخطط الاستراتيجية وتكون على مستوى الاقسام العلمية وتهتم بـ (طرق التدريس الحديثة، المنهج العلمي والابتكارات).

• مستوى النشطة الطلابية: في هذا المستوى من التخطيط الاستراتيجي يتم التركيز على النشاطات الطلابية من تنمية (القدرات المعرفية، ضبط النفس والتطور الذهني التدريجي للطلاب).

٦. ابعاد التخطيط الاستراتيجي المستدام The Dimensions of SSP

ان التخطيط الاستراتيجي المستدام كثيرا ما تم قياسه من خلال ابعاد التنمية المستدامة، اذ تعمل المنظمات على تحقيق مخرجات صديقة للبيئة، كذلك استعمال موارد الطاقة الطبيعية لأبعاد الارض ومحيطها من الانبعاثات الضارة بالمجتمع. ومن هذا المنطلق اتفق العديد من الباحثين ومهم Garner & Edward (٢٠٠٨:٦٤ ؛ Baumgartner, 2010:77) على ان تكون ابعاد التخطيط الاستراتيجي المستدام هي (البعد الاقتصادي، البعد الاجتماعي، و البعد البيئي).

ومن جانبه اقترح (Banihabib, 2016:5) البعد التقني للتخطيط الاستراتيجي المستدام بالإضافة الى الابعاد اعلاه، والذي يركز على التكنولوجيا وانعكاسها على تحسين وتطوير اداء المنظمات. ويرى (Birainis & Tomosiunas, 2008:11) ان التخطيط الاستراتيجي من اجل الاستدامة يتمثل بخمسة أبعاد هي (تحديد الرؤية والرسالة، تحديد استراتيجيات المهام (ما هو مطلوب)، تحديد الاهداف الاستراتيجية، تحديد اولويات التنفيذ، وتحديد مبادئ الاستدامة بدقة عالية). ومنهم من اشار الى قياسه من خلال ابعاد التخطيط الاستراتيجي (الرؤية، تحليل البيئة الداخلية، والخارجية، الخيارات الاستراتيجية اختيار البديل الاستراتيجي، والتنفيذ والتقييم) (Emerald Authors, 2017:27) .

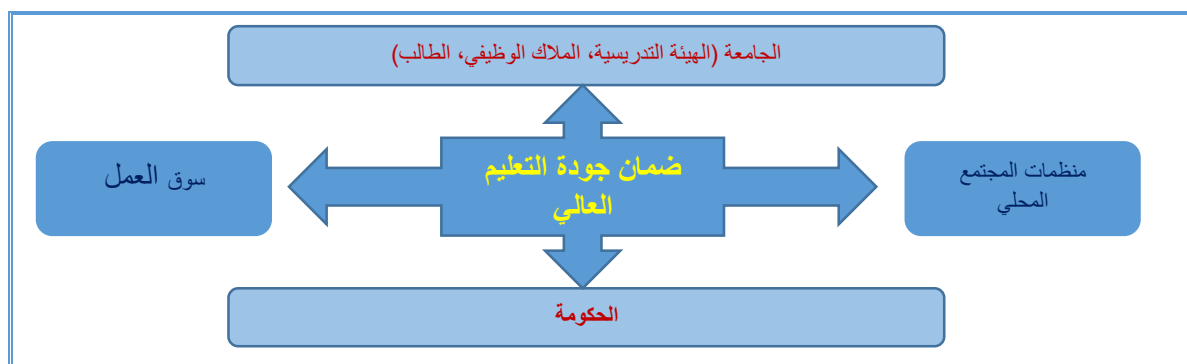
بالإضافة الى ما تقدم، تشير الادبيات ذات العلاقة الى التخطيط الاستراتيجي المستدام باعتباره من المداخل الحديثة في علم الادارة يهدف الى تحقيق الاستدامة في الخطط والقرارات الاستراتيجية، اذ وضع Simpson (٢٠-٢٠٠١:٢٠٠١؛ Bieler & Mckenzie, 2017:9) خمسة ابعاد لقياسه والتي يتفق معها الباحثين في هذه الدراسة كونها من الدراسات الحديثة ومطبقة في منظمات خدمية سواء في قطاع السياحة او التعليم العالي. والاقرب الى بيئة التعليم العالي العراقي، فضلا عن كونها تخدم طبيعة وتوجهات البرنامج الحكومي بصورة عامة، والجامعة قيد الدراسة على وجه الخصوص. لذا عمد الباحثين على اختيار تلك الابعاد وهي (١) اصحاب المصالح Stakeholders (٢) الرؤية، والرسالة، القيم Vision, message, values (٣) تحليل الواقع Analysis of reality (٤) تحديد الأهداف Setting Goals (٥) التنفيذ والمراجعة Implementation and Review.

ثانيا: . ضمان جودة التعليم العالي Quality Assurance of the Higher Education

١. مفهوم ضمان الجودة، في التعلم العالي The Concept Quality Assurance (QAHE)
ضمان الجودة في مجال التعلم العالي هو من المفاهيم الاكثر رواجاً في الدول المتقدمة عموماً، والمملكة المتحدة على وجه الخصوص. وهناك مراكز متخصصة في هذا المجال فضلاً عن وجود مجلة خاصة بإصدار معايير الجودة، ومفهوم ضمان الجودة في أوروبا يشير الى جميع المعاني والعبارات الشائعة في

البحوث الامريكية مثل (قياس الجودة، مراقبة الجودة، تحسين الجودة، التقييم المؤسسي الذاتي) (Mulhem, ٢٠١٥:١٤١).

عرفت المنظمة الاوروبية لضمان جودة التعلم العالي (EAQ) بانها "عملية تقييم واعتماد ومراجعة مؤسسات التعليم العالي لأنظمتها، بعبارة اخرى هي مجموعتي المعايير المحددة والاجراءات والمهممة لتحقيق الجودة او الحفاظ عليها او تحسينها بشكل مستمر" (Mourad, 2013:348). وأشارت المنظمة العربية لضمان جودة التعليم العالي على انها "تصميم وتنفيذ نظام يتضمن مجموعة من السياسات والاجراءات للتأكد من الوفاء بمتطلبات الجودة وعلى فق لمعايير منظمات الاعتماد المتخصصة" (AROQA, 2015:2). ويعرف اتحاد الجامعات الأمريكية ضمان جودة التعلم العالي على انه "توفير المحتويات الأساسية، لأداء عمليات المؤسسات التعليمية، وفقاً للمعايير المحددة، ومساعدتها في تعزيز أدائها لأقصى درجة ممكنة، لتمكنها من المنافسة مع نظيرتها الإقليمية والعالمية" (Anqahe, 2017:10). اي ان ضمان الجودة يركز على التحسين والتطوير بدلا من التحكم ووضع القيود، فهو وجد لحماية الجودة لا للرقابة على أنشطة المؤسسات التعليمية. ويسعى لمتابعة الجامعة هل تسير وفقاً للمعايير المحددة مسبقاً؟ فهو يعمل لحماية لكافة اصحاب المصالح من الطلبة، والخريجين غيرهم من ذوي الصلة بالعملية التعليمية (Mourad, 2013:349). والشكل (١٢) يوضح اهم اصحاب المصالح الرئيسيين في ضمان جودة التعلم العالي. اذ يبين الشكل ان العنصر الاساسي والفاعل في ضمان جودة التعليم العالي هو الجامعة، متمثلة بي (الهيئة التدريسية، الكادر الوظيفي الاداري والفني، والطالب)، اذ ان ضمان الجودة يأخذ بنظر الاعتبار هذه الشريحة المهمة والتي تلعب دوراً جوهرياً في تفعيل ضمان الجودة. فيما تأتي الحكومة وما تفرضه من رسم سياسات خاصة بالتعلم العالي ثانياً. اما منظمات المجتمع المحلي، وسوق العمل، فهم اصحاب مصالح ثانويين يتأثرون ويأثرون في المؤسسات التعليمية ويعتبرون احدى الادوات الخارجية التي تشكل تحدي على ادارة الجامعات لكي تكون مخرجاتها ذات مقبولية من قبل ارباب العمل وبمستوى طموح منظمات المجتمع المحلي.



الشكل (٢) اصحاب المصالح في ضمان جودة التعليم العالي

Source: Cao and Li (2016:81)

بالإضافة الى ما تقدم هنالك عدد من التعاريف لضمان، جودة التعلم العالي وفقا لوجهات نظر باحثين آخرين، والجدول (٥) يبين أبرز تلك التعاريف حسب التسلسل الزمني.

جدول (٤) تعاريف ضمان جودة التعلم العالي

ت	الباحثين	تعريف ضمان جودة التعليم العالي
١	(Rezic et al., 2010:246)	هي الجهود الاستثنائية المبذولة من اجل تحسين جودة التعلم العالي، والعمل على خلق الثقة المطلوبة لتسهيل التعاون الدولي في كافة التفاعلات.
٢	(Asif & Raouf, 2013:124)	هو اعطاء صورة واضحة وشفافة لأرباب العمل واصحاب المصالح الاخرين، ان البرنامج الاكاديمي الجامعي يحرص على الثقة الممنوحة من قبل المستفيدين وفقا لمتطلبات معايير جودة التعليم العالي.

هو الطريقة التي من خلالها تعمل المنظمات على التغذية، والمراقبة، والتحسين المستمر، ودعم جهودها لتحقيق رؤيتها التعليمية وفقا لمعايير محددة.	٣	(Mulhem, 2015:140)
هو جميع الاجراءات المتخذة لضمان ان تكون المعايير والاجراءات تلزم المؤسسات التعليمية ان تلبى متطلبات الاداء.	٤	(Amado et al., 2016:3)
هو "استعمال السياسات الخاصة التي تؤدي الى استدامة العملية التعليمية".	٥	(Cao & Li, 2016:146)
" انها مجموعة السياسات والاجراءات المصممة لجمع وادارة المعلومات من اجل تحقيق وتأكيد تعزيز جودة التعليم العالي".	٦	(Mourad, 2017:5)
"قدرة ادارة الكلية او الجامعة على تحقيق اهدافها من خلال مجموعة من الانشطة المخططة والانظمة المصممة لضمان جودة مدخلات العملية، ومخرجاتها وتحسينها بشكل مستمر لتفي بمتطلبات اصحاب المصالح".	٧	(Cardoso, 2018:2)
هو "فحص اجرائي نظامي، للمستويات التنظيمية الثلاثة وهي المدخلات، و العمليات، والمخرجات، ويشير الى المعايير والخصائص التي ينبغي ان تتوفر في جميع عناصر العملية التعليمية في الجامعات".	٥	(Xiao, 2019:3)

٢. اهمية ضمان جودة التعليم العالي QAHE The Importance

مما لا شك فيه ان ضرورة تطبيق ضمان جودة التعليم العالي ذو أهمية بالغة، على الرغم من ان تطبيقه في الجامعات قريب العهد، اذ في عام ٢٠١٠ لم يكن سوى ٥% من المؤسسات التعليمية لديها انظمة ضمان جودة، رغم وجود ٦٩% من انظمة ضمان الجودة في الخارجية. لكن بسبب عدم تطابق معايير تلك الجهات الرقابية، مع متطلبات المؤسسات التعليمية، حال دون اعتمادها وبذلك أصبحت لا تشكل تحدياً على الجامعات (Mourad, 2017:5). ان اغلب الجامعات التي اعتمدت انظمة الجودة تفشل بمجرد عولمتها واتساع عملها خارج نطاق البلد الام، ولهذا كان لابد من اعتماد آليات تحقق لها التميز الأكاديمي واكتساب السمعة الدولية. ولا يتحقق ذلك الا من خلال اتباع معايير خاصة بضمان جودة التعليم العالي (Amad et al., 2016:1 ;Stella & Martin, 2007:29).

ان الازمات الاقتصادية التي عصفت بأغلب الدول المتقدمة، ادت الى تقلص الدعم الحكومي للمؤسسات بصورة عامة، والجامعات من ضمنها. الامر الذي دفع بتلك المؤسسات التعليمية الى منافسة محتدمة للتظاهر والتباهي بنوعية مخرجاتها، ومساهمتها في خدمة المجتمع، محاولةً بذلك سد النقص المالي من خلال حصولها على مساهمين، وجذب اعداد إضافية من الطلبة، كل تلك الضرورات جعل ضمان جودة التعليم العالي من القضايا المهمة التطبيق في الجامعات (Mulhem, 2015:149).

وبنفس السياق، يؤكد اخرون على ان الطلبة اليوم وبسبب العولمة وسهولة الاتصالات، أصبحوا أكثر وعياً وأدراكاً للمطالبة بحقوقهم، فهم حريصون على ان يكونوا اعضاء ناشطين في المجتمع من خلال تسليحهم بالمعارف ويطمحون ان يكونوا اناس ذوي مهارات واعدة من خلال تدريسهم وفق برامج متطورة.

٣. اهداف ضمان جودة التعليم العالي The Objectives QAHE

يحقق ضمان جودة التعلم العالي عند تطبيقه في الجامعات مجموعة من الاهداف تأتي تارة لتواكب تطلعات الحكومات في تعزيز رصانة التعليم العالي كسياسة دولة، وتارة اخرى لتلبية متطلبات الجامعات للتميز في الأنشطة الأكاديمية. أذ ان الهدف الأسمى من تطبيق نظام ضمان جودة التعلم العالي، هو لتقليل مخاوف الجمهور جنباً الى جنب مع المنظمات المحلية التي تعنى بالتعليم العالي، الناجم من انعدام الثقة بمخرجات

التعليم العالي، الامر الذي أخرج الحكومات والهيئات الدولية لإصدار التشريعات الصارمة لوضع معايير ضمان جودة التعليم العالي (Cao & Li, 2016:66).

بصورة عامة يحقق تطبيق ضمان جودة التعليم العالي للجامعات اهداف مركزة عديدة طبقاً لوجهة نظر (Stella & Martin, 2007:45-47) وتلك الاهداف هي:

- رقابة الجودة: رقابة الجودة تعد من أبرز اهتمامات الحكومات في الدول من اجل ضمان تحقيق مستوى مقبول للجودة في مخرجات التعليم العالي، الامر الذي يحقق مقبولية في ايجاد فرص تعيين للخريجين. وبسبب اتساع اعداد الجامعات وتوسع نطاق عمل الجامعة نفسها فضلاً عن اتجاه الدول لخصخصة قطاع التعليم الامر الذي ادى الى الحاجة المتزايدة لوجود معايير دقيقة لمستوى الجودة التعليمية لغرض متابعة أنشطة المؤسسات التعليمية على أكمل وجه.

- المساءلة والشفافية: يهدف نظام ضمان الجودة الى وجوب وإلزام المؤسسات التعليمية على السير وفقاً للمعايير المحددة مسبقاً، والتأكد من توزيع مهام الجودة على كل فرد في المؤسسة التعليمية. والشق الثاني هو تقديم معلومات دقيقة وشفافة وبالوقت المناسب لأصحاب المصالح لإعلامهم عن سير العمليات وفقاً لما خطط لها.

- تحسين الممارسات: الهدف الاخير لضمان الجودة هو تحسين الإجراءات الحالية في الجامعات من خلال التقييم الذاتي، وتقديم المشورة الى متخذي القرار عن مواطن الخلل من خلال التغذية العكسية. وبنفس السياق، يؤكد (Schomaker, 2014:155) ان ضمان جودة التعلم العالي يهدف بالأساس في تحقيق درجة عالية من الاستقلالية الذاتية في الجامعات.

٤. مبررات تطبيق، ضمان. الجودة في التعلم العالي The Justification of QAHE

مما لا شك فيه ان الجامعات تعمل على صياغة نظام ضمان جودة داخلي خاص بها وان محددات نجاحه من عدمه مرهون بمدى مشاركة الطلبة واصحاب المصالح الاخرين، اذ ان ضمان جودة التعلم العالي يمثل الوصول الى المعلومات بشفافية، لجميع المعنيين بجودة مخرجات التعليم العالي (Mourad, 2017:13).

وان تطبيق ضمان الجودة في التعلم العالي جاء نتيجة لعدد من المبررات يمكن حصرها في مجموعتين رئيسية وهي مجموعة المبررات الداخلية ومجموعة المبررات الخارجية وفيما يلي ايجاز ذلك:

❖ المبررات الداخلية Internal justification

هي مجموعة التحديات ضمن البيئة الداخلية لمؤسسات التعليم العالي وأبرزها النسبة العددية بين نسبة الطلبة الى الاساتذة (اعضاء الهيئة التدريسية)، الامر الذي ادى الى انشغال الكادر التعليمي بالعمل التدريسي وعدم الاهتمام بالبحوث وأنظمة الجودة، الامر الذي شكل تحدي داخلي على الجامعات لتبني نظام ضمان جودة التعليم. بالإضافة الى ثقافة الطلبة الطامحة لاكتساب مهارات تعليمية ذات جودة عالية (Mourad, ٢٠١٧:١٤). وأبرز المبررات الداخلية لضمان جودة التعليم العالي هي (رقاد، ٢٠١٤: ٦١-٦٤):

تزايد الطلب على خدمات التعليم العالي والتنوع في التعلم العالي وتغير متطلبات سوق العمل، خصخصة مؤسسات التعليم العالي وقلة الموارد المالية، تصدير مخرجات التعليم العالي، والبطالة المتزايدة ضمن الخريجين الجامعيين.

❖ المبررات الخارجية External justification

هي التحديات التي تقع خارج حدود المؤسسات التعليمية، متمثلة بمجموعة من "القوانين والتشريعات الوطنية التي تفرض على الجامعات انشاء نظام ضمان جودة داخلي خاص بهم". لذا فان الفجوة بين تصميم النظام وتنفيذه لايزال يحتاج الى نقاش جاد، لان ارباب المصالح الخارجيين لديهم اهتمامات اخرى خارج إطار عمل الجامعات، الامر الذي يصرفهم عن دعم جهود ضمان الجودة الداخلية على الرغم من كونهم اعضاء بموجب القانون، هنالك مجموعة من المبررات الخارجية والتي شكلت بمجملها تحديا على الجامعات لاتباع نظام ضمان الجودة وتلك المبررات هي (Rezic et al., 2010:245 ; رقاد، ٢٠١٤: ٦١-٦٤): التقدم التكنولوجي، العولمة، السوق الدولية لخدمات ضمان الجودة، والتكامل الإقليمي.

٥. ابعاد ضمان جودة التعليم العالي The Dimensions of QAHE

ضمان جودة التعليم العالي جاء للحد من المشاكل الناجمة عن عدم تلبية الجامعات لمتطلبات ارباب العمل، هنالك اعداد كبيرة من خريجي الجامعات لا يفون بمتطلبات السوق واصحاب المصالح، لعدم اكتسابهم المعارف والمهارات المطلوبة (Schomaker, 2014:152). الامر الذي جعل الجامعات تشدد على قياس جودة مخرجات التعليم العالي. ليتمكن خريجها من الحصول على فرصة عمل، اذ ان ٨٣% من مخرجات التعليم هم عاطلون عن العمل لعدم تطابق اختصاصاتهم مع سوق العمل وقد ينتظرون خمسة سنوات او أكثر للحصول على وظيفة (Schomaker, 2014:154).

وبهذا السياق اقترح (Bornman, 2016:373) ثلاثة ابعاد لضمان جودة التعليم العالي البعد الاول الحكومة باعتبارها تتدخل بفاعلية في رسم السياسة التعليمية للبلد، والبعد الثاني السوق كونه يمثل الديناميكية لمتطلبات اختصاصات معينة دون أخرى، اما البعد الثالث فيتمثل بالمؤسسة الاكاديمية وهي الجهة التي تعمل على المراقبة الذاتية داخل الاوساط الاكاديمية من خلال (التقييم الذاتي للجامعة، والكشف عن المعلومات، وتقييم الجامعات دوليا "التصنيف الدولي").

ومن جانب اخر، وفي ضوء الدراسة الحالية يتفق الباحثين مع دراسة (Cao & Li, 2016:74-80) و (Mulhem, 2015:140) بالإضافة الى دراسة (شماخي، ٢٠١٦: ١٧) والتي تضمنت خمسة ابعاد لضمان جودة التعليم العالي والمتمثلة بـ (القيادة الجامعية، جودة المرفق الأكاديمي، جودة الخريجين، السمعة الاكاديمية، معايير الجودة والتميز) وذلك لكون تلك الابعاد هي أكثر مرونة لتطبيقها في بيئة التعليم العالي العراقية بصورة عامة، وجامعة الكوفة على وجه الخصوص كما نوه السادة المحكمين. فضلا عن حداثة الدراسات السابقة التي اعتمدتها، إضافة الى إشارة اغلب البحوث ذات العلاقة الى تلك الابعاد حسب اطلاع الباحثين وتلك الابعاد هي: (١) القيادة الجامعية Academic Leadership، (٢) جودة المرافق الاكاديمية Quality of Academic Facilities، (٣) جودة الخريجين Quality of Graduates، (4) السمعة الاكاديمية Academic Reputation، (٥) معايير الجودة والتميز Quality and Excellence Standards.

المبحث الثالث: الجانب التطبيقي من الدراسة:

أولاً: . التحليل الأولي للبيانات Preliminary Analysis of Data

١. تقييم أنموذج المقياس:

ان عملية التأكد من جودة مقاييس الدراسة، يتم تقييمها عن طريق ما يسمى باختباري (الصدق Validity، والثبات Reliability)، اذ يشير اختبار الثبات الى قدرة المقياس على تحقيق نتائج مماثلة في حال قيام الباحثين بإعادة الاختبار مرة أخرى، وعالية فهو يعبر عن اتساق المقياس. فيما ينوه اختبار الصدق عن دقة المقياس لما ينبغي ان يقيسه، (Hair et al., 2017:165-166). اعتمد الباحثين على تقييم جودة مقاييس الدراسة على وفق "نمذجة المربعات، الصغرى PLS-SEM".

❖ معايير تقييم نموذج القياس Criteria for the Measurement Model

تقييم نموذج القياس على وفق "معيار نمذجة المربعات الصغرى PLS-SEM يعتمد على أربعة معايير رئيسة"، يوضحها الجدول (٥) ادناه.

جدول (٥) المعايير

المعايير	الحد المقبول
ثبات، الداخلي للاتساق.	"الثبات مركب $\leq 60\%$ ، كورنباخ الفا $\leq 70\%$ "
الثبات، للمؤشر	"التشبع المعياري في المؤشر $\leq 70\%$ "
الصدق، التقريبي	"متوسط التباين المستخلص $AVE \leq 50\%$ "
الصدق في التمييزي	"نسبة السمعة المغايرة بالنسبة الى السمعة الأحادية $HTMT > 90\%$ "

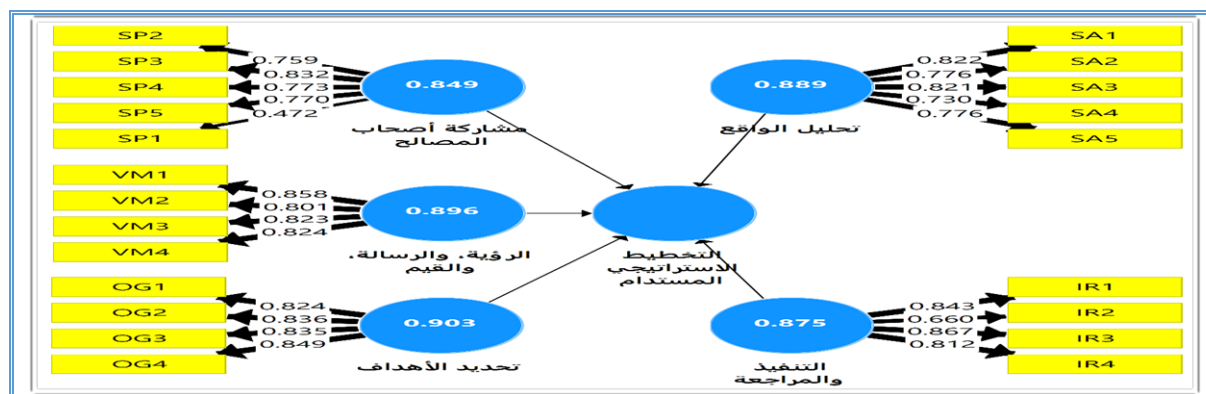
المصدر: (Hair et al., 2017:165-166)

بالرجوع الى الجدول (٥) اعلاه، نجد ان الخطوة الأولى في تقييم المقياس، هو اجراء اختبار الاتساق الداخلي للمقياس Internal Consistency Reliability، اذ يتم ذلك عن طريق اختبار معامل كورنباخ Cronbach's Alpha، والذي لابد ان تكون أكبر او تساوي (٧٠%). فضلا عن اعتماد معيار الثبات

للمركب Composite, Reliability، والذي يجب تحقيق قيمته أكبر أو يساوي (٠,٦٠). وتأتي المرحلة الثانية لتقييم أنموذج القياس من خلال فحص ثبات المؤشر Indicator Reliability، اذ هو تربيع التشبع الخارجي المعياري لمؤشر القياس، ويشير الى تباين مؤشر المتغير (المستقل، او التابع، والتفاعلي)، لذا فهو دالة لتباين نتائج المؤشر. ويكون تقييم المؤشر عن طريق حساب التشبعات الخارجية لفقرات المقياس، وهناك ثلاثة حالات على وفقها يتم التعامل مع قيم ثبات الفقرة (المؤشر) (Hair et al., 2017:94) وتلك الحالات هي:

١. في حال كانت التشبعات مساوية أو أكبر من (٠,٧٠)، يتم الثبات والبقاء على المؤشر.
 ٢. اما اذ كانت التشبعات تتراوح ما بين (٠,٤٠) و (٠,٧٠)، فيجب على البحث فحص التأثير على باقي قيمة معايير نموذج القياس (كورنباخ الفا، AVE، والثبات) في حال حذف المؤشر، وإذا اتضح انه ليس هناك تأثير فيتم الثبات على المؤشر وابقائه ضمن الأنموذج.
 ٣. عندما تكون قيمة التشبعات اقل من (٠,٤٠)، فيتم حذف مؤشر القياس من الأنموذج.
- وفيما كان المعيار الأخير من معايير تقييم مقياس الدراسة هو اختبار (متوسط التباين المستخلص) والنتائج من حاصل قسمة المجاميع التربيعية للتشبعات على عدد فقرات المقياس، ولا بد ان تكون قيمته اعلى من (٠,٥٠) لتصبح العلاقة معنوية بين فقرات القياس، وفي حال كانت قيمته اقل من ذلك فتلك دلالة على وجود تباين وخطأ في الفقرات بدل ان يكون المتغير يفسر من خلال فقراته.

❖ تقييم أنموذج مقياس متغير التخطيط الاستراتيجي المستدام
بالاعتماد على البرنامج الاحصائي Smart-PLS، ببناء أنموذج القياس الخاص التخطيط الاستراتيجي المستدام، والذي يوضحه الشكل (٣)، فيما تمثلت نتائجه في الجدول (٦) التالي:



الشكل (٣) انموذج القياس للتخطيط الاستراتيجي المستدام

المصدر: مخرجات برنامج Smart-PLS

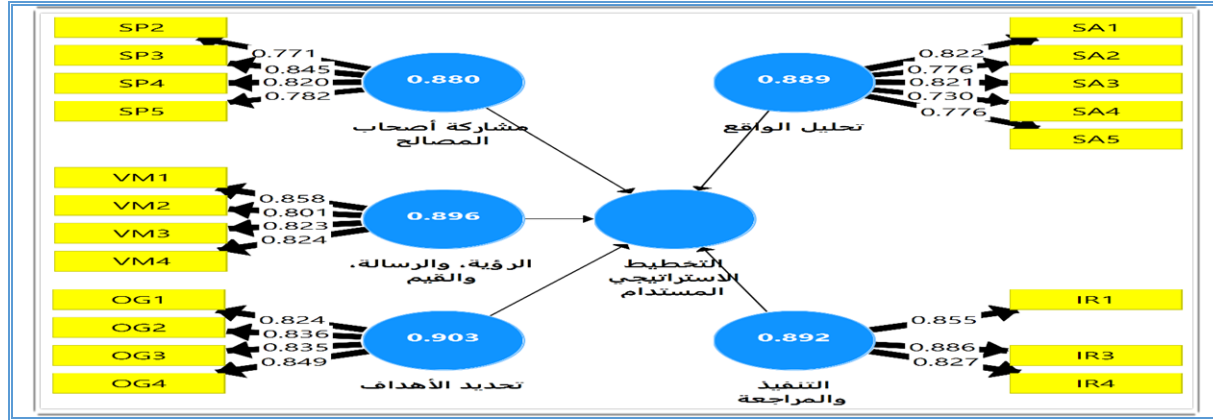
الجدول (٦) نتائج تقييم الأنموذج

البعد	الفقرة	التشعب	كرونباخ الفا	الثبات المركب	AVE
مشاركة أصحاب المصالح SP	SP1	0.472	0.772	0.849	0.537
	SP2	0.759			
	SP3	0.832			
	SP4	0.773			

			0.77	SP5	
0.683	0.896	0.846	0.858	VM1	الرؤية، والرسالة، VM والقيم
			0.801	VM2	
			0.823	VM3	
			0.824	VM4	
0.699	0.903	0.856	0.824	OG1	تحديد الأهداف OG
			0.836	OG2	
			0.835	OG3	
			0.849	OG4	
0.617	0.889	0.847	0.822	SA1	تحليل الواقع SA
			0.776	SA2	
			0.821	SA3	
			0.73	SA4	
			0.776	SA5	
0.639	0.875	0.811	0.843	IR1	التنفيذ R والمراجعة
			0.66	IR2	
			0.867	IR3	
			0.812	IR4	

المصدر: Smart-PLS

في الجدول (٦) نتائج تقييم انموذج المقياس والتي أظهرت ان كل من الفقرة SP1، وIR2 لم تتمكن من تحقق المعايير المطلوبة من التشبعات، وعليه فقد عمد الباحثين الى تعديل الانموذج وكما سوف



يتضح في جدول (٧) والشكل (٤) في ادناه:

الشكل (٤) انموذج المقياس المعدل للتخطيط الاستراتيجي المستدام

المصدر: مخرجات برنامج Smart-PLS

جدول (٧) نتائج تقييم الأنموذج

البعد	الفقرة	التشبع	كرونباخ الفا	الثبات المركب	AVE
	SP1	-----	0.82	0.88	0.648
	SP2	0.771			
	SP3	0.845			

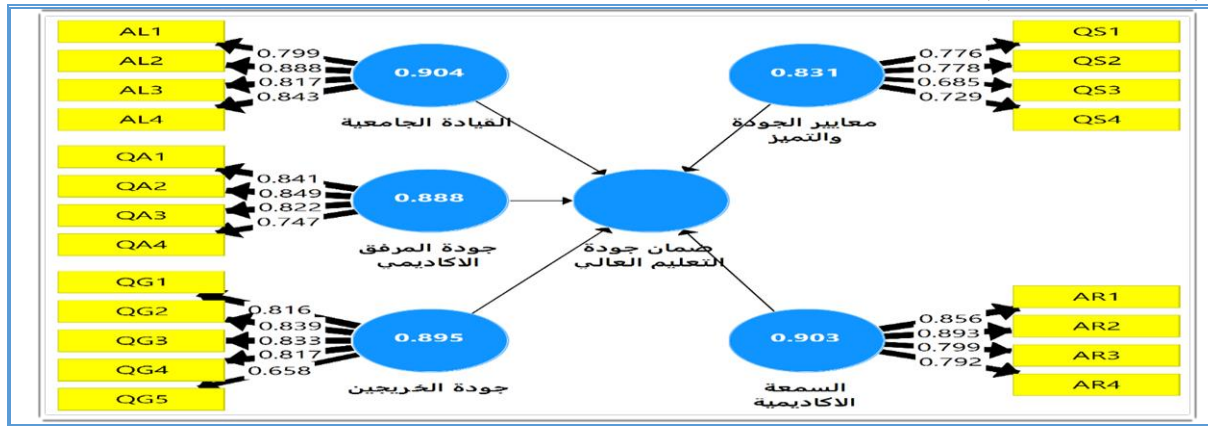
			0.82	SP4	مشاركة
			0.782	SP5	أصحاب
					SP المصالح
0.683	0.896	0.846	0.858	VM1	الرؤية، والرسالة، VM والقيم
			0.801	VM2	
			0.823	VM3	
			0.824	VM4	
0.699	0.903	0.856	0.824	OG1	تحديد OG الأهداف
			0.836	OG2	
			0.835	OG3	
			0.849	OG4	
0.617	0.889	0.847	0.822	SA1	تحليل الواقع SA
			0.776	SA2	
			0.821	SA3	
			0.73	SA4	
			0.776	SA5	
0.733	0.892	0.819	0.855	IR1	التنفيذ IR والمراجعة
			-----	IR2	
			0.886	IR3	
			0.827	IR4	

المصدر: Smart-PLS

جدول (٧) نتائج تقييم انموذج القياس المعدل التخطيطي الاستراتيجي المستدام بعد حذف اثنين من الفقرات ذات التشبع المنخفض.

❖ تقييم انموذج القياس لمتغير ضمان جودة التعليم العالي:

بالاعتماد على برنامج Smart-PLS تم بناء الأنموذج المقياس والذي واضح في الشكل (٥) ونتائجه في الجدول (٨) التالي:



الشكل (٥) انموذج المقياس ضمان جودة التعليم العالي

المصدر: Smart-PLS

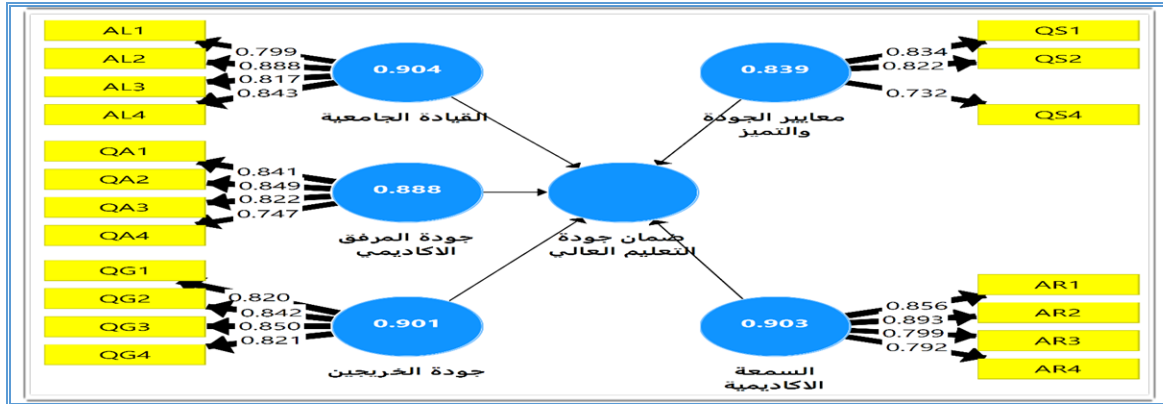
الجدول (٨) نتائج تقييم الأنموذج

الأبعاد	الفقرات	التشبعات	كرونباخ الفا	الثبات المركب	AVE
القيادة الجامعية AL	AL1	0.799	0.859	0.904	0.701
	AL2	0.888			

			0.817	AL3	
			0.843	AL4	
0.665	0.888	0.833	0.841	QA1	جودة المرفق الأكاديمي QA
			0.849	QA2	
			0.822	QA3	
			0.747	QA4	
0.633	0.895	0.855	0.816	QG1	جودة الخريجين QG
			0.839	QG2	
			0.833	QG3	
			0.817	QG4	
			0.658	QG5	
0.699	0.903	0.858	0.856	AR1	السمعة الأكاديمية AR
			0.893	AR2	
			0.799	AR3	
			0.792	AR4	
0.552	0.831	0.729	0.776	QS1	معايير الجودة والتميز QS
			0.778	QS2	
			0.685	QS3	
			0.729	QS4	

المصدر: مخرجات برنامج Smart-PLS

في جدول (٨) توضح النتائج الظاهرة فيه ان الفقرتين QG5 و QS3 لم تحقق القيم المقبولة من التشبعات المطلوبة من أنموذج القياس. وعليه فقد عمد الباحثين الى تعديل الانموذج ويتبين في الجدول (٩) والشكل (٦) ادناه:



الشكل (٦) الانموذج المقياس المعدل لضمان الجودة التعليم العالي

الجدول (٩) نتائج تقييم الانموذج

الأبعاد	الفقرات	التشبعات	كرونباخ الفا	الثبات المركب	AVE
القيادة الجامعية AL	AL1	0.799	0.859	0.904	0.701
	AL2	0.888			

			0.817	AL3	
			0.843	AL4	
0.665	0.888	0.833	0.841	QA1	جودة المرفق الأكاديمي QA
			0.849	QA2	
			0.822	QA3	
			0.747	QA4	
0.695	0.901	0.854	0.82	QG1	جودة الخريجين QG
			0.842	QG2	
			0.85	QG3	
			0.821	QG4	
			-----	QG5	
0.699	0.903	0.858	0.856	AR1	السمعة الأكاديمية AR
			0.893	AR2	
			0.799	AR3	
			0.792	AR4	
0.636	0.839	0.714	0.834	QS1	معايير الجودة والتميز QS
			0.822	QS2	
			-----	QS3	
			0.732	QS4	

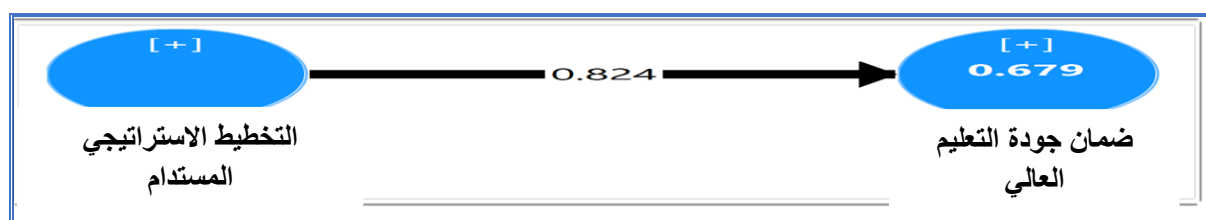
المصدر: Smart-PLS

يستعرض الجدول (٩) نتائج تقييم الانموذج القياس المعدل ضمان جودة التعليم العالي بعد حذف العديد من الفقرات ذات التشبع المنخفض.

٢. تقييم الانموذج الهيكلي واختبار فرضيات الدراسة:

❖ اختبار الفرضية الرئيسة الأولى:

نصت هذه الفرضية الأولى على ان " التخطيط الاستراتيجي المستدام له تأثير معنوي ذات دلالة إحصائية موجبة في ضمان جودة التعلم العالي " وعلى أساس تلك الفرضية، بنية الانموذج الهيكلي التالي في



الشكل (٧) ادناه ونتائجه في الجدول (١٠).

الشكل (٧) الانموذج الهيكلي، لاختبار للفرضية الرئيسة الأولى

المصدر: مخرجات برنامج Smart-PLS

الجدول (١٠) نتائج تقييم الانموذج، للفرضية الاولى

الفرضية	المسار	VI	معامل المسار	t Value	p Value	النتيجة	حجم التأثير	معامل التحديد	R ²
ية		F			Value	ة	f ²	R ²	المعدل

0.67	0.67	٢,١١	قبول	0	35.90	٠,٨٢	١	SSP→QA	H1
7	9	١			4	٤		E	

المصدر: مخرجات برنامج Smart-PLS

يشير جدول (١٠) الى ان المعامل في مسار (التأثير المباشر) قد أتم (٠,٨٢٤) وبمعامل تحديد R^2 كان قدره ٠,٦٧٩ وللتحقق في معنوية المعامل مسار ان كل من قيمتي (t) و (p) تحقق الحدود المطلوبة. مما يدل في وجود العلاقة المعنوية، اذاً تقبل الفرضية الرئيسة الأولى.

٣. اختبار الفرضيات الفرعية من الفرضية الرئيسة الأولى

يتطلب على الباحثين بناء انموذج هيكلي، لاختبار الفرضيات الفرعية الخاصة بالفرضية الرئيسة الأولى والمتمثلة "H1-1, H1-2, H1-3, H1-4, H1-5" وكما يبينها الشكل (٨) و جدول (١١).

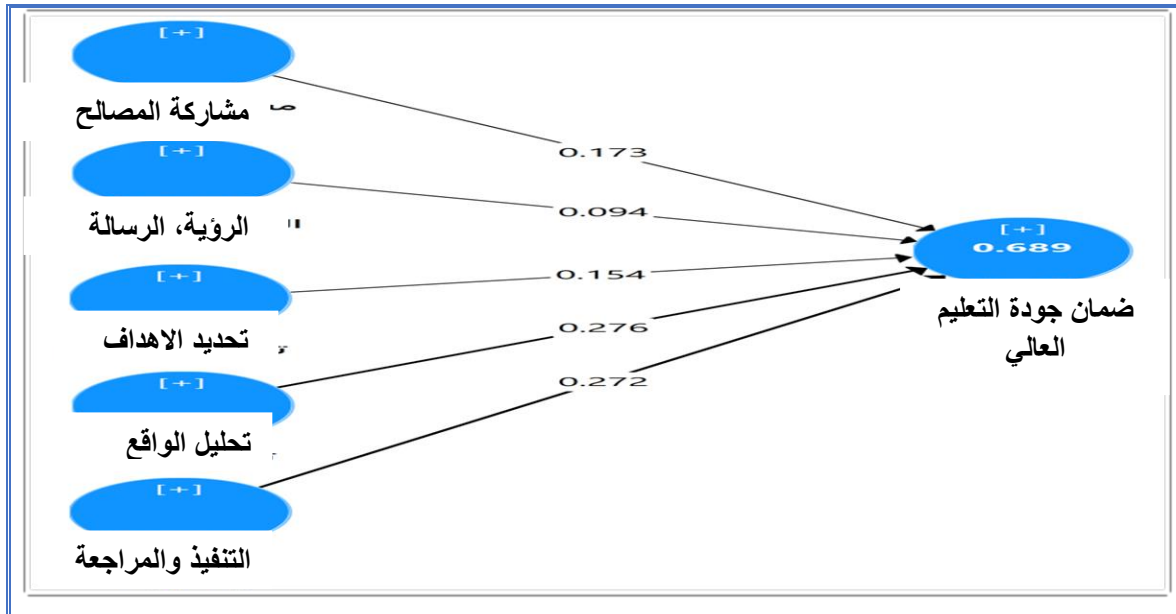
الجدول (١١) نتائج تقييم الانموذج الهيكلي للفرضيات الفرعية

الفرضية	المسار	VIF	معامل المسار	t Value	p Value	النتيجة	حجم التأثير f^2	معامل التحديد R^2	R^2 المعدل
H1-1	SP→QAE	1.94	0.17	2.62	0.00	قبول	0.04	0.68	0.67
H1-2	VM→QA	2.62	0.09	1.24	0.21	رفض	0.01	0.68	0.67
H1-3	OG→QA	3.11	0.15	1.53	0.12	رفض	0.02	0.68	0.67
H1-4	SA→QAE	2.44	0.27	3.47	0.00	قبول	0.1	0.68	0.67

		0.09	قبول	0	3.84	0.27	2.52	IR→QAE	H1-5
		4			1	2	5		

المصدر: مخرجات برنامج Smart-PLS

يشير الجدول (١١) في ان معاملات المسارات ($SA \rightarrow QAE$ ، $IR \rightarrow QAE$ ، $SP \rightarrow QAE$) قد حققت المعايير المطلوبة من قيمتي (t وقيمة p) وعليه: تقبل هذه الفرضيات. اما المعامل التحديد والذي كانت قيمته ٦٨% وهذا يشير الى ان ابعاد الأداء الاستراتيجي المستدام قد فسرت (٦٨%) من العوامل المفسرة لمتغير ضمان جودة التعلم العالي واما بقية النسبة فهي عوامل أخرى لم تتضمنها الدراسة



الشكل (٨) الانموذج الهيكلي للفرضيات الفرعية من الفرضية الاولى

المبحث الرابع الاستنتاجات والتوصيات:

أولاً: . الاستنتاجات:

١. أظهرت نتائج التحليل الاحصائي ان بيانات متغير ضمان جودة التعليم العالي، موزعة توزيعاً طبيعياً على العينة المستجيبة للدراسة، مما يدل على ان متغير ضمان جودة التعليم، مدركة بشكل جيد لدى الجامعة قيد الدراسة.

٢. ان التخطيط الاستراتيجي المستدام له علاقة تأثير معنوي ذو دلالة إحصائية موجبة بأبعاده مجتمعة (أصحاب المصالح، الرؤية والقيم والرسالة، تحديد الأهداف، تحليل الواقع، والتنفيذ والمراجعة) في تعزيز ضمان جودة التعليم العالي في جامعة الكوفة بأبعاده مجتمع (القيادة الجامعية، وجودة المرفق الأكاديمي، وجودة الخرجين، والسمعة الأكاديمية، ومعايير الجودة).

٣. أظهرت نتائج التحليل الاحصائي، ان ابعاد الابعاد التخطيط الاستراتيجي المستدام منفرد، لها علاقة ارتباط في ضمان جودة التعليم العالي (بأبعاده مجتمعة).
ثانياً: . التوصيات:

١. التعزيز من تضمين اراء ومقترحات كافة أصحاب المصالح في الخطط الاستراتيجية لجامعة الكوفة.
٢. ضرورة إعادة النظر برؤية، رسالة واهداف جامعة الكوفة، لعدم فاعليتها تجاه خلق ضمان جودة في مخرجات الجامعة، على مستوى البحوث والبرامج التعليمية بالإضافة الى خدمة المجتمع.
٣. ضرورة عمل ورش عمل لمنتسبي الجامعة من الهيئة التدريسية والملاك الوظيفي، للتعريف بالخطط الاستراتيجية، ومعرفة ردود الأفعال والملاحظات المهمة.
٤. دعوة القيادات الجامعية في جامعة الكوفة، لتكثيف الجهود البحثية في تعزيز ضمان الجودة في كافة الأنشطة والعمليات التعليمية بصورة عامة، وعلى وجه الخصوص البرامج التعليمية والبحوث العلمية.
٥. ضرورة الاهتمام بالمرافق الأكاديمية، والعمل على خلق التوازن بين اعداد الطلبة المقبولين وما متوفر من الإمكانيات اللازمة لتعزيز ضمان الجودة التعليمية.
٦. تفعيل مركز التوظيف في الجامعة، لتوفير فرص عمل للخريجين تتوافق مع متطلبات سوق العمل. ودعم الهيئة التدريسية لتعزيز مشاركتهم في المحافل الدولية، فضلاً عن نشر بحوثهم في المجالات العالمية

مراجع البحث:

- المراجع العربية:

١. الصائغ، خولة عبد العزيز (٢٠١٣)، "درجة ممارسة عمداء الكليات الجامعية المتوسطة في محافظات الوسط للتخطيط الاستراتيجي وعلاقته بمستوى ضمان الجودة"، رسالة ماجستير تقدمت الى مجلس كلية العلوم الادارية جامعة الشرق الأوسط.
٢. الظالم، محسن عبد الحسين والزبيدي، حسن لطيف كاظم (٢٠١٨)، "إنجازات جامعة الكوفة للعام ٢٠١٨"، مطبعة جامعة الكوفة، دوريات.
٣. المنظمة العربية لضمان الجودة AROQA (٢٠١٥)، "أثر الجودة والاعتماد في التعليم"، اعمال المؤتمر السنوي السابع، الدار البيضاء، المملكة العربية المغربية.
٤. العالي، بشير عبد (٢٠١٧)، "دور الحوكمة الجامعية في ضمان جودة التعليم العالي"، مجلة دراسات العدد ٣٠.
٥. العاني، طارق علي جاسم والنعمي، صلاح عبد القادر (٢٠١٥)، "التعليم العالي والتنمية في العراق الواقع. التحديات. الافاق"، مكتب اليونسكو منظمة الامم المتحدة فرع العراق.
٦. الشرقي، ساجد (٢٠٠٨)، "دور الجامعات في تطوير وتنمية المجتمع"، مجلة مركز دراسات الكوفة العدد ١٠.
٧. المعايير الوطنية (٢٠١٨)، "معايير الاعتماد المؤسسي الوطني لمؤسسات التعليم العالي في العراق"، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جهاز الاشراف والتقويم العلمي.
٨. رقاد، صليحة (٢٠١٥)، "تطبيق نظام ضمان الجودة في مؤسسات التعليم العالي الجزائرية"، رسالة دكتوراه مقدمة الى مجلس كلية العلوم الاقتصادية والتجارية والتيسير في جامعة سطيف الجزائرية.
٩. شماخي، خولة (٢٠١٦)، "دور إدارة المعرفة في ضمان تحقيق جودة التعليم العالي"، رسالة ماجستير، مقدمة الى مجلس كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية في جامعة قاصدي مرباح.
١٠. ANQHE (٢٠١٧)، "دليل الجودة لمؤسسات التعليم العالي العربية"، اتحاد الجامعات العربية الأمانة العامة في الأردن.

- المراجع الأجنبية:

١. Simpson, Ken (2001), Strategic Planning and Community Involvement as Contributors to Sustainable Tourism Development, Current Issues in Tourism, 4:1, 3-41.

٢. Garner Stead, Jean and Edward Stead, W. (2008), *Sustainable strategic management: an evolutionary Perspective Int. J. Sustainable Strategic Management, Vol. 1, No. 1.*
٣. Bieler Andrew and McKenzie Marcia (2017), Strategic Planning for Sustainability in Canadian Higher Education, the sustainability and education policy network, elsevier.
٤. Baumgartner Rupert J. (2010), Corporate Sustainability Strategies: Sustainability Profiles and Maturity Levels, research gate.
٥. Banihabib Mohammad Ebrahim, Farkhondeh Hashemi and Mohammad Hadi Shabestari (2016), A Framework for Sustainable Strategic Planning of Water Demand and Supply in Arid Regions, Sustainable Development Sust. Dev. Published online in Wiley Online Library
٦. *bivainis eduards and tamosiunnas teodoras (2008), sustainability of strategic planning in Siauliai county , Nr. 4 (14), 5–16 Šiauliai University.*
٧. Tapinos E. R.G. Dyson and M. Meadows, (2005),"The impact of performance measurement in strategic planning", International Journal of Productivity and Performance Management, Vol. 54 Iss 5/6 pp. 370 – 384.
٨. Leo'n-Soriano Rau' I, Mari'a Jesu's Mun~oz-Torres and Ricardo Chalmeta-Rosalen (2009), Methodology for sustainability strategic planning andmanagement, emerald.
٩. Putchkov N.P. (2005), TO THE PROBLEM OF STRATEGIC PLANNING OF EDUCATIONAL ACTIVITIES IN HIGHER EDUCATIONAL INSTITUTIONS, *Scientific and methodological committee of TSTU.*
١٠. *emerald authors (2017) "Strategic planning for sustainable performance: the role of firm spirituality", Strategic Direction, Vol. 33 Issue: 5, pp.26–29.*
١١. Rosa María Brito, Columba Rodríguez and José Luis Aparicio (2018), Sustainability in Teaching: An Evaluation of University Teachers and Students, MDPI.
١٢. Daft, Richard (2003), organization theory & design, uthed west publishing co, st. paul, minneston.

١٣. Jones, dow, (2007), sustainability indexes (DJSI), dow jones sustainability world indexes quide, p.3
١٤. Hischcock, D &Willard, m (2009), the business quide to sustainability , practical strategies and tools for organizations, 2nd earths can, sterling, p.72
١٥. Landrum, N.E &Edwards, s (2009), sustainable business , an executives primer, new York, business expert press, p.23
١٦. Mulhem Jean (2015), "Current issues in higher education quality assurance: An introduction for academic library administrators" In Advances in Library Administration and Organization. Published online: 09 Mar; 137–164.
١٧. Mourad Maha (2017), "Quality Assurance as a driver of information management strategy: Stakeholders' perspectives in Higher Education", Journal of Enterprise Information Management.
١٨. Schomaker Rahel (2014), "Accreditation and qualityassurance in the Egyptian highereducation system" , Cologne Business School, Cologne, Germany and German Research Institute for Public Administratio.
١٩. Cao Yingxia and Li Xiaofan (2013), "Quality and quality assurance in Chinese private higher educationxc", a multi–dimensional analysis and a proposed framework.
٢٠. Mourad Maha (2013),"Students' perception of quality assurance activities", Sustainability Accounting, Management and Policy Journal, Vol. 4 Iss 3 pp. 345 – 365.
٢١. stella antony and martin Michaela (2007) , "external quality assurance in higher education : options", paris UNESCO international institute for educational planning.
٢٢. marock carmel (2000), "Quality Assurance in Higher Education: The Role and Approach of Professional Bodies and SETAs to Quality Assurance", A report commissioned by the Higher Education Quality Committee,

٢٣. Aamodt Perolaf, Nicoline Frølich and Bjørn Stensaker (2016), "Learning outcomes – a useful tool in quality assurance? Views from academic staff", Studies in Higher Education,
٢٤. Pears Arnold N. (2010), Does Quality Assurance Enhance the Quality of Computing Education? Proc. 12th Australasian Computing Education Conference
٢٥. Kettunen Juha, (2012),"External and internal quality audits in higher education", The TQM Journal, Vol. 24 Iss 6 pp. 518 – 528
٢٦. Houston Don and Paewai Shelley (2013), Knowledge, power and meanings shaping quality assurance in higher education: a systemic critique, Quality in Higher Education, Elsevier.
٢٧. Asif Muhammad and Raouf Abdul (2013), Setting the course for quality assurance in higher education, Qual Quant.
٢٨. Miguel P.A. Cauchick, (2001),"Comparing the Brazilian national quality award with some of the major prizes", The TQM Magazine, Vol. 13 Iss 4 pp. 260 – 272.
٢٩. M. Bornman Gertruida, (2004),"Programme review guidelines for quality assurance in higher education", International Journal of Sustainability in Higher Education, Vol. 5 Iss 4 pp. 372 – 383
٣٠. Kim, Dong-Young, Kumar, Vinod and Murphy, Steven A , (2008)," European Foundation For Quality Management (EFQM) Business Excellence Model: A Literature Review And Future Research Agenda", An integrative review and research agenda", International Journal of Quality & Reliability Management, Vol. 07 Iss: 6, pp.684 – 733.
٣١. Cardoso Sónia, Maria J. Rosa, Pedro Videira and Alberto Amaral (2018): Internal quality assurance: A new culture or added bureaucracy?, Assessment & Evaluation in Higher Education

٣٢. Challenges and opportunities for effective assessments within a quality assurance framework for MOOCs Chong Xiaoa,*, Hanqin Qiub, Soo May Chenga, Journal of Hospitality, Leisure, Sport & Tourism Education 24 (2019) 1–16
٣٣. Rowley Jennifer, (1996), "Motivation and academic staff in higher education", Quality Assurance in Education, Vol. 4 Iss: 3 pp. 11 – 16.
٣٤. Higher Education 44: 433–448, 2002. © 2002 Kluwer Academic Publishers. Printed in the Netherlands. 433 Systemic adaptation to a changing environment: Towards a next generation of quality assurance models MARGARITA JELIAZKOVA & DON F. WESTERHEIJDEN
٣٥. Yin Cheong Cheng, Wai Ming Tam, (1997) "Multi-models of quality in education", Quality Assurance in Education, Vol. 5 Issue: 1, pp.22–31,
٣٦. Clare Chua (2004), Proceedings of the Australian Universities Quality Forum 2004 Perception of Quality in Higher Education, School of Business Management, Ryerson University, 125 Victoria Street, Toronto, Ontario, Canada M5B 2K3
٣٧. Education Quality Process Model and Its Influence on Students' Perceived Service Quality Choon Ling Kwek, International Journal of Business and Management Vol. 5, No. 8; August 2010
٣٨. Angappapillai A. and B, Annapoorani C. K (2012), QUALITY IN HIGHER EDUCATION: AN EMPIRICAL INVESTIGATION, Afro Asian Journal of Social Sciences Volume 3, No. 3.4 Quarter IV ISSN: 2229 – 5313.

المتغيرات المؤثرة في القرار الاستراتيجي للأمن الوطني العراقي

أ.م.د. صباح صاحب العريض

الباحث ذوالفقار علي هندول

المقدمة:

ان الأمن الوطني لأية دولة في عالمنا المعاصر سواء أكانت هذه الدولة متقدمة أم نامية، أصبح يحتل قضية مركزية في قمة هرم الأولويات الاستراتيجية، تبعاً لخصائص الأداء في النظام الدولي، إذ إن تشابك المصالح وسرعة التغير والتأثير، يدفع بالدول منفردة أم مجتمعة إلى أن تجعل من أمنها المحور الأساس لحركتها الداخلية والخارجية، والتي تتأثر بدورها بمجموعة من العوامل والمتغيرات التي تمس المصالح الحيوية التي تتصل بأسباب وجود الدولة وحمايتها وغاياتها.

أما الأمن الوطني العراقي فيتميز بحساسية مفردة كونه يتعرض إلى جملة من المتغيرات المتسارعة بحيث لا تدع مجالاً لصناع القرار في السياسة العراقية والمعنيين بالشأن الأمني من الإحاطة بكل تلك المتغيرات والتعامل معها.

إن الدولة العراقية اهتمت بصياغة استراتيجية للأمن الوطني العراقي لمواجهة هذه المتغيرات، وقد عدتها من التحديات التي يجب التغلب عليها رغم صعوبتها، وتحديد مصالح الدولة الحيوية وعلى ضوء تلك المصالح ترسم الأهداف وتحدد الوسائل.

علماً أن استراتيجية الأمن الوطني العراقي أصبحت من ركائز الدول الأساسية وتطورها وترتيب علاقتها داخل مجتمعنا أولاً ومع محيطها الإقليمي ثانياً، وتفاعلاتها الدولية ثالثاً، وهكذا بدأ الأمن الوطني العراقي وجهاً لوجه أمام ما تفرزه تلك الساحات من المتغيرات.

المبحث الأول: المتغيرات الداخلية:

شهد العراق تغيراً كبيراً وشاملاً لجميع مفاصله وأهمها شكل النظام السياسي الذي يعمل على ضمان حقوق الإنسان الذي حظي بالقبول والرضا الجماهيري الذي يسعى إلى إطلاق الحريات العامة وإيجاد

التعددية الحزبية، والاعتراف بالرأي الآخر، وتطوير مؤسسات المجتمع المدني والتي تعطي للجماهير اكبر قدر من المشاركة في صنع القرار والتدخل في الحياة السياسية وفقاً لما يحدده القانون الذي يعتبر هو السلطة السياسية في تنظيم المجتمع وإدارته وتحقيق أهدافه، والمتغيرات الداخلية تتبع من رغبة الشعب في الحصول على المراد بمختلف المجالات والوصول الى مستويات متقدمة من الحقوق التي فقدها من جراء سياسات الأنظمة السابقة^(١).

وان العراق يمر بمرحلة تعد من اعقد المراحل، لصعوبة البناء وتعدد القوميات والطوائف والأعراف، فالاختلاف فيها لا يعني الاختلاف بالمسائل الجوهرية كالبنية الاجتماعية والحفاظ على الهوية الوطنية ومن هذه المتغيرات هي:

أولاً: مشكلة إعادة بناء الدولة

وقع العراق في حالة من الفوضى والانعدام الامني والانهايار التدريجي بعد احتلال الولايات المتحدة الامريكية له عام ٢٠٠٣، وغدا محاصراً بضغوط وتدخلات دينية وقومية وطائفية وسياسية من قبل العديد من الأطراف الداخلية والخارجية، وكل هذه العوامل مجتمعة أثرت على طبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأمنية وعلى السلوك وأحدثت خلا وضعفاً وصراعاً زاد من حدة التحارب السياسي والطائفي والطبقي، وكذلك من وتيرة العنف والإرهاب، وبالتالي أثر على عملية بناء الدولة وتقويض دعائم الأمن والاستقرار^(٢).

كما أن في العراق عاش الشعب ثقافة الخضوع لمدة طويلة، حتى انعكس تأثيرها في مزاج وتعامل الناس مع بعضهم البعض، ولو تتبعنا ذلك لوجدنا بعض ملامحه في الحضارات العراقية القديمة، وقد عرض عالم الاجتماع ماكس فيبر تصوره للثقافة السياسية من حيث تمحورها على ثلاثة أوجه وهي (الثقافة القديمة وثقافة الخضوع والثقافة المسيحية)^(٣).

كما ان الديمقراطية تؤكد على حق الشعوب في اختيار شكل أنظمة الحكم التي تلائمها، فتلك مسألة داخلية يترك لكل شعب حرية اختيار أسلوب التعامل مع هذه المسألة لبلوغ الهدف المنشود المتمثل بإقامة

الحكم الذي يتلائم مع ظروفه، تكون ضمانا للنظام السياسي بخصائصه التي تضمن حقوق الافراد وحررياتهم ومن المناسب تحديد هذه الخصائص بالشمولية الآتية:^(٤)

أ. ينبغي تعزيز التماسك والتضامن الاجتماعي والثقافي بغية تحقيق التكامل الوطني وهو من متطلبات نجاح الحكم وسلامته لأنه ينبثق من الشعب ويعبر عن ضميره.

ب. ضرورة إنشاء اقتصاد قوي ومتين يحقق المستوى المعاشي اللائق لعموم الشعب العراقي وحفظ كرامته باتجاه تحقيق التنمية الشاملة.

ج. أساس الازدهار وإشاعة الاستقرار والأمن الوطني هو في وجود حكم ديموقراطي رصين رصانة تنظيمية وتطبيقية.

ان الادراك العراقي للديموقراطية تجاذبته رؤى ومواقف متضادة ومتناقضة، فقد ذهبت التنمية العراقية المتقنة وتحديدًا اليسارية منها بالقول ان ما قيل عن الديموقراطية الكثير وما لا يعرف الكثير. وقال جوزيف مغيزل ان الديموقراطية تأخذ بعين الاعتبار ثلاثة أسس رئيسية: اولهما الحرية لي ولغيري، والثانية نتيجة للاولى حق غيري في ان يعارضني ويعمل في سبيل فوز نظريته التي يعارضني بها، والثالث هو ان تكون مصالح الشعب. المقياس الذي يتغلب على القرارات المتخذة والمنفذة.^(٥)

كما ان الارادة السياسية والرغبة الفعلية بإقامة مشروع ديموقراطي عراقي تصطدم بجملة من المعوقات والصعوبات الفعلية وهي:^(٦)

أولاً: الدستور العراقي: ان الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ قد وضع في بضعة أشهر من قبل عدد قليل من الساسة العراقيين، الأمر الذي جعله لا يعكس إنصافا سياسيا بالكامل فبعض نصوصه جاءت مقيدة لبناء المشروع الديموقراطي العراقي، سيما في مواجهة الظروف غير الطبيعية التي مرت وتمر على العراق.

ثانياً: النظام الانتخابي: هو أحد أهم القرارات المؤسسية لأي مجتمع ديموقراطي، وان اعتماد نظام انتخابي على أساس (القائمة المغلقة او المفتوحة) هو طريقة لضمان مصلحة الاحزاب قبل ضمان مصلحة المواطن.

ثالثاً: فوضى الأحزاب: ان التعددية الحزبية شرط الديمقراطية الى انها تتقلب الى فوضى عندما تنفقد الى منظم قانوني الذي ينظم نشاطها، لذا فإن تشريع قانون الأحزاب من شأنه أن يقوم عمل الأحزاب بما يخدم الهدف من تأسيسها، وهذا ما يفتقد إليه الواقع العراقي، إذ لم يزل العراقيون غير قادرين على انتاج قانوناً ينظم وجود الأحزاب وعملها^(٧).

رابعاً: الفساد الاداري والمالي: إن الفساد الاداري في العراق قد امتد ليطال قسماً من أعضاء البرلمان والوزراء والمدراء العامين الى أصغر موظف، فقد انعدمت المقاييس الموضوعية والشروط القانونية والضوابط الادارية في تبوأ اغلب المناصب التي شغلوها، اما الفساد المالي فقد وصل الى مراحل متقدمة حيث احتل العراق رأس قائمة الدول الأكثر فساداً في العالم، وقد ساهم الفساد الاداري والمالي في إعاقه المشروع الديمقراطي العراقي^(٨).

ثانياً: الفيدرالية

الفيدرالية من المتغيرات الداخلية الفاعلة في بناء الدولة العراقية حيث ان تطبيقها يعطي صلاحيات أكبر ومتعددة للأقاليم على حساب المركز، وفقاً لما نص عليه الدستور العراقي الجديد عام ٢٠٠٥ في مادته الرابعة والتي تضمنت أن العراق بلد فيدرالي اتحادي.

فإن نموذج الدولة الفيدرالية القائمة في العراق على الأساس العرقي في الوقت الراهن والقابلة للتحويل إلى الفيدرالية الطائفية في المستقبل، يمكن أن يكون نموذجاً في القضاء على الدولة المركزية القوية القادرة على إحياء فكرة التوازن الإقليمي الذي حققت فيه إسرائيل وإيران طفرة نوعية على جميع دول المنطقة^(٩). ونموذج العراق الفيدرالي يمكن أن يصمم على كل من مصر وسوريا والسعودية، وهو نموذج مجرب في إضعاف قوى الإقليم الكلية لصالح القوة الدولية بعد أن تتحول تلك الدول الى بؤر صراع وتنافس محلي كالذي يجري في العراق على مستوى الصراع بين الأحزاب السياسية، وعلى مستوى الصراع بين الأقاليم والمحافظات وبين المركز وما يجري في العراق هو أنموذج قادم لدول المنطقة^(١٠).

أما أنصار الفيدرالية يقدمون الكثير من المحاسن والمبررات اللازمة لتطبيقها فهي باتت تحتل الاولوية ضمن اهتمامات الدولة العراقية الجديدة. وذلك لأهميتها الادارية والسياسية التي يراد بموجبها تحقيق جملة من الانجازات أهمها: (١١)

أ. الفدرالية تدعم الديمقراطية وتضمن مساهمة سكان الوحدات الادارية الصغيرة في إدارة مناطقهم وايصال صوتهم ورغباتهم وحاجاتهم الى الحكومات المحلية.

ب. الفيدرالية تتيح فرصه أكبر لسكان المجموعات العرقية والدينية المختلفة في التعبير عن رغباتهم في اختيار ممثليهم في المجالس المحلية ومن ثم المركزية ضمن عملية ديموقراطية شفافة.

ج. الفيدرالية تساهم في تحقيق مزايا اقتصادية مهمة وفي مقدمتها الاستغلال الامثل للموارد المحلية (البشرية والطبيعية والمالية) لصالح التنمية المتوازنة.

د. الفيدرالية تساعد في تخفيض حدة النزاعات والتوتر اللذين قد ينجمان بين الأقاليم المختلفة حول ملكية الأراضي واستغلالها او حول الموارد الطبيعية، فيكون دور السلطة المركزية أكثر فاعلية في حل مثل تلك النزاعات.

هـ. الفيدرالية تؤمن زيادة مشاركة سكان الاقاليم في وضع السياسات العامة واتخاذ القرارات وتخلق الثقة والشعور بالمسؤولية لدى سكان.

إن الفيدرالية تعزز القيم الديمقراطية الليبرالية عن طريق التأكيد على الشرعية الديمقراطية لكل من الحكومات الفيدرالية وحكومات الوحدات المكونة للفيدرالية، التي انتخبها ناخبوها مباشرة وهي مسؤولة امامهم بما يؤدي إلى كبح حكم الفرد بتوزيع السلطات الشرعية بين المراكز متعددة لصنع القرار بداخل الكيان المدني، وعلى المستوى السياسي ينبغي الإشارة الى التوافق بين القيم الفيدرالية والقيم الليبرالية والديموقراطية، حيث ان الاخيرة ليس قائمة فقط على حكم الاغلبية ولكنها ايضا تؤكد على الدستورية وعلى حكم القانون واحترام الاقليات وتوزيع السلطات السياسية (١٢)

ان المتغيرات الرئيسية ادت دوراً محورياً في معظم التجاوزات التي حدثت بين مختلف الأطراف السياسية على الساحة العراقية وهذه المتغيرات (السيادة الداخلية، المشاركة في السلطة، وتوزيع الثروات)، والملاحظ ان موقف الاطراف السياسية العراقية من هذه المتغيرات يتسم بعدم الثبات فغياب الرؤية بعيدة المدى وعدم تحديد الأولويات والأهداف للجماعات العراقية المختلفة، فضلاً عن عدم فهم واضح للنظام الفيدرالي، كان وراء تذبذب هذه المواقف.^(١٣)

أما أهم العقبات التي تواجهها الفيدرالية في العراق هي: ^(١٤)

١. هناك اختلاف واضح على طبيعة الفيدرالية بين القوى السياسية، حيث ان الكورد الذين يطرحون الفيدرالية على أساس القومي الجغرافي كصيغة لكيانهم القومي الخاص بهم، وبينما هناك بعض القوى العربية التي طرحتها من باب وحدة العراق، أما القوى الثالثة تنتظر الى المسألة من باب إداري أكثر، فيما تبقى هناك مجموعات رافضة للفيدرالية من الأساس.

٢. إنّ الفيدرالية في العراق كصيغة للحكم تثير مخاوف وحفيظة الدول المجاورة، وبشكل خاص التي ترى فيها مدخلا لإقامة دولة كوردية في العراق ستنعكس بظلالها على اكرادها في الداخل، وكذلك الامر بالنسبة لإيران وسوريا لأسباب متشابهة.

من خلال ما تقدم يمكن ان نستنتج أن استباحة الأمن الوطني العراقي قد جرى من عدة أطراف في مقدمتها قوات الاحتلال، وعند زوال الاحتلال بقيت آثاره وسياساته (من حلفائه وأعدائه) في المنطقة من العرب وغيرهم، يسيرون بذات التوجه التخريبي لكل ما تطاله قدراتهم، بغية تحقيق أهدافهم ومصالحهم بدون النظر ولو بطرفة عين إلى مصالح العراق وشعبه.

المبحث الثاني: المتغيرات الإقليمية:

للمتغيرات الاقليمية أثر فاعل في الامن الوطني العراقي وصياغة استراتيجيته، فأثرها يكون تارةً مباشرة وأخرى غير مباشرة من خلال ممارستها وتارة تحمل وتوصف بدلالة التهديد ويكون أثرها سلبي على العراق داخليا وخارجيا، وأخرى يكون دورها تفاعليا بما يحقق المصالح المشتركة ولو بالحد الأدنى. وهذا

الامر يحتمل صناع الاستراتيجية العراقية النظر بدقة الى حقيقة التعاطي مع هذه المتغيرات، والسير معها وفقاً لما تقتضيه المصلحة العليا للبلد والحفاظ على الهوية والسيادة الوطنية^(١٥).

لاشك أن الاحتلال الأمريكي للعراق حمل بين طياته أهدافاً تتعدى حدود العراق ليشمل عموم المنطقة بكافة دولها، وهذا ما أدركته دول الإقليم المجاورة للعراق جغرافياً، حيث دفعها ذلك إلى التدخل في الشأن العراقي مستغلة حالة الفوضى التي أحدثها الاحتلال بغية تحقيق أهدافها، لذلك فقد شكلت التدخلات الإقليمية عامل إرباك للوضع العراقي في مختلف المجالات ولاسيما في مجال الأمن الوطني العراقي، يضاف إلى ذلك ما تسببت فيه التغييرات الكبيرة والعميقة في البلدان العربية بعد عام ٢٠١٠ من تأثيرات داخلية في أوضاع تلك البلدان التي شهدت تلك التغييرات وما ترتب على ذلك كله من انعكاسات سلبية على الساحة العراقية^(١٦). سيتم ذلك وفق الفقرات الموزعة لكل دولة من هذه الدول وعلى النحو الآتي:

أولاً: إيران

يبدو أن إيران الدولة الرابحة الأكبر من إسقاط النظام السياسي العراقي السابق الذي كان يشكل تهديداً لأمنها القومي، حتى رأت أن من أهم مصالحها إزالته والتخلص منه، وفي الوقت نفسه العمل على منع قيام نظام معادٍ لها، فضلاً عن السعي لإيجاد مواقع نفوذ لها في النظام الجديد^(١٧).

كما أن إيران لم تكن مستعدة لتقبل النفوذ الأمريكي في المنطقة وعلى طول حدودها الغربية، بعد أن جاورها هذا الوجود في حدودها الشرقية في أفغانستان في عام ٢٠٠١، وبذلك وجدت نفسها محاطة بدولتين تعيشان وجوداً أمريكياً، ناهيك عن ما شهدته العلاقات الإيرانية - الأمريكية من توترات منذ قيام الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩^(١٨).

قد تكون هذه القواعد مفيدة في مواجهة إيران التي ترى أنها تعد الهدف الثاني المرشح بعد العراق لتلقي الضربة الأمريكية القادمة، إذ كانت الولايات المتحدة الأمريكية تنتظر إلى إيران بوصفها أحد عناصر محور الشر الثلاثة (العراق، إيران، وكوريا الشمالية) وتؤدي دوراً يتناقض مع المصالح الأمريكية في المنطقة، وترى فيها طرفاً ويدعم حزب الله في لبنان، وتدعم حركة حماس في فلسطين المحتلة، وبذلك فإن

إقامة حكومة عراقية موالية للولايات المتحدة الأمريكية، ستؤمن الهدف الأمريكي الأساسي المتمثل في الحصول على موقع آمن للتواجد العسكري الأمريكي لضمان أمن إسرائيل والنفط، وهو ما كان من أهم الأهداف من وراء الحملة الأمريكية على العراق^(١٩).

ومن نافلة القول أن إيران دولة اقليمية مؤثرة نظراً لطبيعة مجتمعتها، وعدد سكانها، وموقعها الجغرافي الاستراتيجي، وثروتها الطبيعية، وامتدادها الدينية والمذهبية، وتحالفاتها داخل المنطقة وخارجها، فضلاً عن سياساتها الرامية إلى تحقيق مجموعة من الأهداف أبرزها الحصول على إقرار واعتراف أمريكي بشرعية المصالح الإيرانية في المنطقة، وكونها قوة اقليمية، والحصول على ضمانات بعدم تعرضها لعمل عسكري أمريكي^(٢٠).

وقد استمر في هذه الظروف التصعيد في المواقف بين ايران والولايات المتحدة الأمريكية حول برنامج ايران النووي، حيث زادت الولايات المتحدة الأمريكية من ضغطها على ايران وتهديداتها بشأن ضرب مفاعلاتها النووية، وكان رد ايران بأن النفوذ الإيراني في العراق سيظهر قدرة قتالية عالية ضد الأمريكان في العراق، فقد صرح رئيس الحرس الثوري الإيراني (رحيم صفوي) (أن الأمريكان يعرفون جيداً أن مراكزهم العسكرية في كل من افغانستان وخليج عمان والعراق تكون تحت تهديدنا، وتكون عرضه للهجوم لأنها تقع بجوار ايران)^(٢١).

ثم قامت ايران بعد ذلك باحتلال (بئر الفكة) النفطي العراقي على الحدود المشتركة بين إيران والعراق، في (٢٠٠٩/١٢/١٨)، لأسباب لعل في مقدمتها إشعار الولايات المتحدة الأمريكية بأن لدى ايران أوراقاً مهمة تستطيع استخدامها لمواجهة العقوبات التي فرضها عليها مجلس الامن الدولي بتأثير الولايات المتحدة بسبب مشروعها النووي، فضلاً عن كونه اجراء للضغط على الحكومة العراقية لإلزامها بتنفيذ بنود اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥^(٢٢).

ثانياً: تركيا

تعدّ تركيا من اللاعبين المؤثرين في الساحة العراقية التي شهدت تدخلاً تركيا واضحاً بعد الاحتلال الأمريكي للعراق في عام ٢٠٠٣، وذلك من خلال عدة محاور^(٢٣):

١. المحور الأول: التلاعب بالورقة الاثنية بإعادة طرح تركيا لنفسها طرفاً مسؤولاً عن حماية المكون التركماني في العراق، وتجديد المطالبة بالحقوق التاريخي لتركيا في الموصل وكركوك اللتان تقول تركيا أنهما أصبحتا ضمن الحدود العراقية بموجب قرار عصبة الأمم المتحدة في ١٩ كانون الأول ١٩٢٥، نتيجة للضغوط البريطانية.

٢. المحور الثاني: إعلان تركيا الى رفضها قيام دولة كردية في شمال العراق من شأنها أن تغري كرد تركيا المتواجدين في الجزء الجنوبي منها، ويقدر عددهم بـ (١٠) ملايين كردي بالسعي لتحقيق تطلعاتهم في الانفصال عن تركيا والانضمام إلى الدولة الكردية الفتية، أو على الأقل تكوين دولة مماثلة ومجاورة لها.

٣. المحور الثالث: تركيز الاهتمام التركي على تطور النظام والعملية السياسية في العراق، بإعلان رفض الاعتراف بمجلس الحكم العراقي الانتقالي، لأنه وفقاً للتصور التركي، أتاح للكورد نفوذاً سياسياً كبيراً في الساحة العراقية، وأوجد هيمنة كردية على المكون التركماني في ظل عدم وجود تمثيل عادل للتركمان فيه.

٤. المحور الرابع: مخاوف تركيا من التصريحات التي صدرت من رئيس إقليم كردستان العراق (مسعود البرزاني) والتي أشار فيها إلى أن مدينة كركوك هي (قلب كردستان) وهي شأن عراقي داخلي، وتزايدت مخاوف الأتراك أيضاً بعد تشكيل أول حكومة عراقية منتخبة تولى فيها الأكراد مناصب مهمة في الدولة وهي رئاسة الجمهورية، وزارة الخارجية، ورئاسة أركان الجيش.

٥. المحور الخامس: الدوافع المهمة للتدخل التركي في العراق في موقف دول مجلس التعاون الخليجي التي توصلت إلى صيغة للتفاهم مع تركيا حول العراق بما يضمن تحقيق التوازن بين النفوذ الايراني والنفوذ التركي في العراق، إذ رأت دول المجلس أن بإمكان تركيا أن تكون عاملاً موازناً للنفوذ الايراني في

العراق، لاعتبارات تمتاز بها تركيا، منها موقعها وعدد سكانها وقوتها العسكرية المشابهة إلى حد كبير لقوة إيران^(٢٤).

لقد حاولت تركيا أن تعزز موقعها وتأثيرها في المشهد السياسي العراقي عن طريق تطوير العلاقات في مجال الطاقة مع إقليم كردستان، والاستثمار في قطاع النفط، وسعت إلى توقيع معاهدة استراتيجية في مجال الطاقة مع حكومة إقليم كردستان، تتلقى تركيا بموجبها كميات كبيرة من صادرات النفط والغاز من المنطقة الكردية بشكل مستقل عن بغداد، ولاشك أن هذا السيناريو يتطلب بالضرورة بناء خطوط أنابيب جديدة داخل تركيا وإقليم كردستان^(٢٥).

ومنذ التدهور في العلاقات بين رئيس الحكومة التركية ورئيس الوزراء العراقي السابق السيد "نوري المالكي" في عام ٢٠١١، سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى إيقاف اندفاع تركيا نحو إقامة علاقة طاقة حصرية مع حكومة كردستان على حساب بغداد. ولكن الواقع العملي يشير إلى أن الدور التركي في العراق والمنطقة أخذ في السنوات منذ عام ٢٠١١ حتى الآن، بالتصعيد نتيجة التدخل في الأزمة السورية، وأن هذا الدور التركي يحمل مشروعاً طائفيّاً، يتوافق مع متبنيات كل من قطر والسعودية لدعم العناصر المتشددة من القاعدة، بحجة حماية السنة في العراق^(٢٦).

وغني عن القول إن للتغيير الحاصل في العراق بصورة عامة، وإقليم كردستان بصورة خاصة، أهمية كبيرة بالنسبة إلى تركيا ومصالحها وأمنها القومي، وقد أكد هذه الأهمية رئيس الوزراء السابق ورئيس تركيا الحالي (رجب طيب اردوغان) في أكثر من مناسبة قال في احداها: "إن العراق تحول إلى أولوية بالنسبة إلى تركيا تتقدم على هدف انضمام تركيا إلى الاتحاد الاوربي"، والسبب في ذلك يعود إلى تطور الأوضاع في العراق عامة وإقليم كردستان خاصة، لما لذلك من تداعيات وانعكاسات خطيرة على الشائين الداخلي والخارجي التركي، وهو ما سيدفع تركيا إلى المزيد من التدخل في الشأن العراقي^(٢٧).

ثالثاً: سوريا

تعد سوريا من أكثر الدول تأثراً بأحداث العراق وتأثيراً فيه أيضاً، فبعد الاحتلال الأمريكي للعراق، أصبحت سوريا من أكبر الخاسرين بعد عملية التغيير، وخاصة الخسارة الاقتصادية المتمثلة بخسارة السوق العراقية، والخسارة الفورية لكميات النفط العابرة لأراضيها والتي قطعتها القوات الأمريكية في نيسان عام ٢٠٠٣، فضلاً عن شعور سوريا بالقلق لتواجد القوات الأمريكية بجوارها، والقلق الكبير من الرغبة الأمريكية في تغيير الأنظمة في الشرق الأوسط^(٢٨).

لذلك سعت سوريا بعد احتلال العراق إلى تعزيز نفوذها في العراق، وإفشال المشروع الأمريكي في العراق والشرق الأوسط وذلك من خلال العمل على محورين^(٢٩):

١. المحور الاول: جعل سوريا البوابة الرئيسة لدخول المقاتلين المتشددین الاجانب إلى العراق الأمر الذي دفع الولايات المتحدة الأمريكية إلى اتهام سوريا بأنها تتساهل في قضية دخول الارهابيين للعراق.

٢. المحور الثاني: احتضان سوريا للعديد من قيادات وأعضاء حزب البعث العراقي المنحل، وتقديم الدعم لهم، حيث وجد هؤلاء في سوريا ملاذاً آمناً لمعاودة نشاطهم السياسي والمسلح ضد النظام السياسي الجديد في العراق والولايات المتحدة الأمريكية معاً.

وتعتمد الدوافع السورية بشكل جوهري للتدخل في الشأن العراقي على تطوير الوضع الامني الداخلي في العراق واتجاه النظام في بغداد، وتقييم دمشق لمصالحها السياسية الخارجية الواسعة. والاهتمام السوري الابرز سيكون لمنع ظهور عراق مستقر تؤدي الأوضاع فيه الى تهديد امن سوريا أو قادر عسكرياً لدرجة يمكن ان يستخدم لتهديد أمن سوريا نفسها. ولا شك أن الازمة بين العراق وسوريا ليست مفصولة عن الواقع والترتيبات التي تشهدها المنطقة وخاصة لجهة اعادة فك وترتيب التحالفات وضبط التوازنات بما يتناسب والتوجهات الامريكية الجديدة في المنطقة^(٣٠).

ولعدم الاستقرار في سوريا تداعيات كبيرة على الامن العراقي فبسبب الحدود الطويلة بين العراق وسوريا فإن عدم الاستقرار يفتح الباب على مصراعيه لتدفق العناصر الارهابية وعناصر القاعدة ولا شك ان تداعيات وجود مثل هذه المنطقة سوف تطلال السعودية ودول الخليج ايضاً، كما أن عدم الاستقرار في

سوريا قد يؤدي الى مطالبة المناطق الكوردية فيها الى الحكم الذاتي وتشكيل نوع من الوحدة مع المنطقة الكوردية في شمال العراق مما يؤدي الى تغيير الجغرافية السياسية في المنطقة بشكل جذري ويشكل تهديدا واضحا لتركيا التي تتميز القضية الكردية فيها بالحساسية الشديدة^(٣١).

رابعاً: الأردن

اتسمت السياسة الاردنية إزاء العراق، بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، باتجاهين:

١. الاتجاه الأول: تطبيق سياسات براغماتية (نفعية) تنطلق من الواقع الاقتصادي الأردني الهش، غير القادر على تحمل هزات كبيرة، وحاجة الأردن للنفط العراقي من جهة، وحرص الأردن على الحفاظ على علاقاته الاستراتيجية مع الولايات المتحدة الأمريكية، وبالتالي تأييد السياسة الأمريكية في العراق من جهة أخرى. (٣٢)

٢. الاتجاه الثاني: تطبيق سياسات تعالج المخاوف من الوضع العراقي، إذ ازداد القلق الاردني من تزايد النفوذ الإيراني في العراق بعد سقوط النظام العراقي السابق، وقد عبّر الملك (عبد الله الثاني) عن هذا القلق في تصريح له في شهر كانون الأول ٢٠٠٤ قائلاً (إذا أُتيح للأحزاب الموالية لإيران بالسيطرة على العراق، فأن النتيجة ستكون هلالاً شيعياً تسيطر عليه الحركات والحكومات الشيعية، يمتد من لبنان عبر سوريا وإيران والعراق إلى الخليج مطوقاً الأردن)^(٣٣).

وإذا كان هناك تأييداً أردنياً رسمي للغزو الأمريكي للعراق، فإن هناك رفضاً أردنياً شعبياً معارضاً للولايات المتحدة الأمريكية وحربها على العراق ومؤيداً لنظام الرئيس العراقي السابق، لاسيما بين قطاعات الاردنيين من أصل فلسطيني والذين يكونون اكثر من نصف الشعب الأردني، لذلك فقد غضت الحكومة الاردنية الطرف عن الجماعات المتشددة التي روجت الأفكار الجهادية بين الشباب الاردني وعملت على تجنيدهم للذهاب إلى العراق^(٣٤).

وفي ذات السياق احتضنت الأردن عائلة الرئيس العراقي السابق، وفتحت الباب أمام عدد كبير من القيادات البعثية والعسكرية الفارة من العراق، ودعمت المجموعات المعارضة للنظام الجديد في الساحة

العراقية، ودخلت العلاقات بين البلدين العراق والاردن في أزمة حادة بعد تفجيرات الحلة الانتحارية، حيث قام انتحاري أردني يدعى (رائد منصور البنا) بتفجير نفسه وسط مئات العراقيين، وتبع ذلك احتفاء الاردنيين به حتى عدوه شهيداً.^(٣٥)

وقد بذلت جهود عراقية - اردنية لتطويق الازمة عبر زيارات رسمية عالية المستوى بين البلدين وقعت فيها اتفاقات تعاون عديدة تضمنت عدم سحب الدعم الاقتصادي وخاصة المشتقات النفطية العراقية للاردن مقابل التزام الاردن بإغلاق حدودها أمام المتسللين الارهابيين للعراق، وبالفعل فقد بدأت أعدادهم بالتراجع، خاصة بعد مقتل "احمد الخلايلة" الملقب بأبي مصعب الزرقاوي - الاردني الجنسية- في ٧-٦-٢٠٠٦ بالتسيق بين القوات الأمريكية والمخابرات الاردنية كما اشارت إلى ذلك المصادر المتوفرة^(٣٦).

خامساً: السعودية

تعد المملكة العربية السعودية من أبرز اللاعبين الإقليميين في العراق، حيث ألقت سياساتها بظلالها على الأوضاع السياسية في العراق، فقد كان الهدف الاساس للدبلوماسية السعودية هو احتواء النفوذ الايراني عن طريق لعبة موازنة مزدوجة، فمن ناحية تحاول السعودية احتواء النفوذ الايراني في المنطقة، ولأنها لا تستطيع تحجيم هذا النفوذ في العراق، فإنها تركز على تحجيمه في كل من لبنان وفلسطين، ومن ناحية أخرى ترغب السعودية في تجنب المواجهة المباشرة مع ايران، ومن ثم تقوم للعبة السعودية على احتواء النفوذ الايراني على الساحتين اللبنانية والفلسطينية، ويمكن القول إن السياسة السعودية تعمل بالتوازي مع السياسة الأمريكية، لإيقاف التأثير الايراني في المنطقة وفي العراق على حد سواء.^(٣٧)

وتتمثل علاقة العراق بالسعودية بالعديد من الحلقات ومنها التاريخية والجغرافية فتتمثل تاريخيا من حيث التداخل القبائلي بين قبائل العراق والسعودية والاحوال المشتركة لمعظم قبائل البلدين، اما جغرافيا فأن الخط الحدودي بين العراق والسعودية فهو يمتد الى نحو (٨١٤ كم) وتندمج بمحافظة الانبار مما يجعل الامتداد الجغرافي عاملا من التقارب العقائدي وهو ما يثير مخاوف البلدين. ومن ناحية اخرى فان اغلب الابار النفطية ومنشآت التصدير تقع على مقربة من الحدود العراقية وهي تتخذ اجراءات وقائية للابتعاد

عن العراق الجديد اذ انها تقوم ببناء جدار عازل يمتد لمسافات طويلة متقطعة على الحدود العراقي كما اعلنت تردها قبل اعلان دخول سفيرها الى العراق عام ٢٠٠٨ في ارسال الممثلين الدبلوماسيين الى العراق بذريعة عدم الاستقرار الامني^(٣٨).

لقد أثار التغيير الذي حصل في العراق بعد عام ٢٠٠٣، المخاوف لدى السعودية من تغلغل النفوذ الايراني في العراق بما يمكن أن يؤدي إلى تكوين ما يسمى بالهلال الشيعي، بعد صعود الاحزاب الشيعية بحكم أغليبتها في العراق، كما عبر عن ذلك وزير الخارجية السعودي (سعود الفيصل) عندما قال (لقد حاربنا معاً من اجل منع ايران من احتلال العراق، بعد طرد العراق من الكويت، وإلا فإننا لن نسلم البلد بأكمله إلى ايران دون سبب)^(٣٩).

إن السعوديين غير راضين عن الطريقة التي سارت عليها الامور في العراق وخاصة ما يتعلق برغبتها أن يتم تغيير النظام السياسي العراقي السابق والاطاحة به من خلال الانقلاب الداخلي عبر أدوات محلية يمتلكها سنة العراق القائمون آنذاك على النظام، وليس عن طريق الغزو، كما انهم لم يكونوا راضين عن تزايد نفوذ الشيعة في العراق وأخذهم دوراً بارزاً فيه. إلا أن ما حصل بعد التغيير جاء بخلاف الرغبة السعودية، الأمر الذي زاد من قلقها، ودفعها إلى التدخل ومحاولة زيادة نفوذها في العراق، وما ترتب على ذلك من تعاضم الاحداث التي شهدتها العراق بعد التغيير^(٤٠).

سادساً: الكويت

ألقت الكويت، بعد الاحتلال الأمريكي للعراق في عام ٢٠٠٣، بكل نشاطاتها على الساحة العراقية، حيث تدخلت في محاولة لتجسير ولاءات بعض القبائل في الجنوب العراقي لصالحها من خلال تقديم الدعم المالي لها، كما قامت في الوقت نفسه بدعم العنف المتفجر في وسط العراق وغربه، واتخذت المؤسسة الدينية في الكويت أيضاً ذات الموقف الذي اتخذته المؤسسة السعودية في دعم المجموعات المتطرفة التي ترفع شعار المقاومة في العراق عبر العمليات الانتحارية^(٤١).

وفي الوقت نفسه وقفت الكويت مع الحكومات العراقية التي تشكلت بعد التغيير، سواء المؤقتة منها أم الانتقالية أم الدائمة، هذا التدخل المزدوج دعا الإدارة الأمريكية إلى لفت انتباه الحكومة الكويتية إلى خطورة ما تفعله، وهو ذات الامر الذي دعا رئيس البرلمان الكويتي إلى الطلب من حكومته وقف هذه التصرفات مشيراً الى أن حكومة الكويت يجب أن تتصرف بقدر قدرات الكويت وحجمها بدون الحاجة للانغماس في الشأن العراقي لما يشكله هذا الأمر من خطورة على الكويت^(٤٢).

ولكن مع ذلك تبقى الكويت، كغيرها من دول الخليج، وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية، تعاني بشكل أساسي من هاجس الخوف من نفوذ إيراني قوي في العراق يهدد مصالحها، الأمر الذي قد يدفعها إلى المزيد من التدخل في الشأن العراقي^(٤٣).

سابعاً: اسرائيل

تميز الدور الاسرائيلي بعد احتلال الولايات المتحدة الامريكية العراق بالكثير من الغموض، ورغم ان اكثر من جهة وفي مقدمتهم الجانب الاسرائيلي تؤكد هذا الدور، إلا أنَّ الخوض في تفاصيله يكون من المحظورات بعد ان شهد العراق عمليات اغتالات وتصفيات واسعة شملت أصحاب الكفاءات العملية وكبار الضباط والاطباء وغيرهم، ولم يجد الكثيرون، لتلك الحملات من تفسير منطقي سوى الاشارة الى أن عناصر الموساد الاسرائيلي دخلت العراق مع قوات الاحتلال^(٤٤).

وان قرار غزو العراق واحتلاله لم يكن بعيداً عن الدوائر الداعمة لعلاقة الولايات المتحدة وإسرائيل، وقد قال نائب الرئيس الامريكي السابق ديك تشيني (إن هدفنا في العراق هو إيجاد منطقة أكثر أمن لإسرائيل). وكما صرح كولن باول امام مؤتمر منظمة ايباك بان (القضاء على النظام العراقي سيحرر اسرائيل والشرق الاوسط من التهديد الذي تشكله أسلحة الدمار الشامل التي يمتلكها العراق)^(٤٥).

ويتركز وجود الموساد الاسرائيلي في العراق على اصطياد العلماء والآثار والبحث عن تاريخ الاجداد والسعي لاستعادة وثائق ومخطوطات وشراء الأراضي، والعمل على التخطيط لسلسلة من العمليات الامنية ذات الابعاد السياسية وبالتأكيد تلك التي تركز على الاستقرار في العراق وتفتيت البلاد اكثر^(٤٦).

وترى إسرائيل أن ضرب العراق وإزالة أسلحة الدمار الشامل (المحتملة في السنوات العشرة القادمة) منه وتغيير النظام سوف يعمل على^(٤٧):

١. إضعاف جبهة قوى (التشدد) في العالم العربي والتي تحمل رؤية قومية وتعارض عملية التسوية.
 ٢. إنهاء فكرة الجبهة الشرقية إلى الأبد، وهي الفكرة التي ظلت سوريا تراهن عليها للتغلب على الخلل الواضح في موازين القوى بينها وبين إسرائيل.
 ٣. وضع نظام البعث السوري تحت ضغط احتمال تعرضه لنفس المصير الذي واجهه البعث في العراق.
 ٤. وضع إيران تحت حصار كامل وعجزها عن التأثير في مجريات الصراع العربي - الإسرائيلي لاضطرابها إلى التركيز على الخطر الذي يمثله الوجود الأمريكي في العراق.
 ٥. وجود نظام جديد في العراق يكون موالياً للولايات المتحدة يزيد من فرصة تجاوز هذا النظام مع الضغوط الأمريكية الرامية إلى انتزاع اعترافه بإسرائيل وإقامة علاقات دبلوماسية معها.
- وتطرقت كونداليزا رايس بكتابها "اسمى مراتب الشرف" إلى (أن الولايات المتحدة لم تذهب إلى العراق لنشر الديمقراطية، لقد ذهبنا للحرب لأننا رأينا في العراق تهديداً لأمننا القومي وأمن حلفائنا)، واستعرضت أهدافهم غير المعلنة، عراق جديد يرسم حكمه الأمريكيان سيمهد لشرق أوسط جديد ينهي الصراع العربي - الإسرائيلي، وكان الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش كرر عدة مرات أمام وسائل الإعلام (أن الأمريكيين غزوا العراق لحماية إسرائيل)^(٤٨).

المبحث الثالث: المتغيرات الدولية:

أولاً: الولايات المتحدة الأمريكية

عمدت الولايات المتحدة للعمل على إسناد دور فاعل وحيوي للعراق في المنطقة، وذلك بسبب الأهمية الجيوليتيكية والجيواستراتيجية للعراق سيكون له الدور في تحديد توجهات السياسة الأمريكية في المنطقة، إذ أن للولايات المتحدة مجموعة أهداف غير الأهداف المعلنة تتعلق بمصالحها ومشاريعها المستقبلية في

الشرق الاوسط وهي تحاول رسم مستقبل العراق ودوره حسب مصالحها ومن ضمنها مشروع الشرق الاوسط الكبير^(٤٩).

في حين دعم العراق من أجل تقديمه كنموذج والعمل على استبدال حلفائها السابقين واحتواء الاعداء المحتملين وضمان وصول النفط لها وأخيراً دعم فعلها العسكري، هذه المصالح تدفع الولايات المتحدة لإعطاء العراق دوراً فاعلاً لكي يصبح مثلاً للشرق الاوسط بأكمله، الامر الذي سيسمح وفق وجهة النظر الامريكية الى إعادة رسم التفاعلات الاقليمية بما يخدم ويحقق مصالحها، إنطلاقاً من العراق. ولكن ضخامة تلك المهمة وتعقيداتها جعلت مسارات وضوح الخطة غير واضحة المعالم^(٥٠).

أهم الشروط الموضوعية التي ستعتمد الولايات المتحدة الامريكية من خلالها في تفعيل الدور العراقي ليكون أحد أهم الركائز الاستراتيجية للنظام الإقليمي المحتمل^(٥١):-

١. قيام العراق بلعب دوراً فعالاً في التعامل والتفاعلات الاقليمية بوصفه عضواً أساسياً في النظام الجديد المحتمل والمدعوم أمريكياً، وتتركز الرؤية الامريكية في هذا الصدد في:

أ. دعوة الدول العربية الى تفعيل علاقتها مع العراق.

ب. إعادة التمثيل الدبلوماسي الكامل للعراق مع دول العالم كافة وبالخصوص الاقليمية.

ج. السعي لعقد شراكة استراتيجية مع العراق في كل الميادين.

٢. الدخول في علاقات ثنائية متكافئة مع دول الجوار والمنطقة الامر الذي يستلزم إقامة تحالفات ثنائية وشراكات استراتيجية مع باقي الدول، وزيادة التمثيل الدبلوماسي لجميع الاطراف.

٣. الحد من القيود والعوائق كافة التي تمنع العراق من تأدية دوره الفاعل وحرية حركته، وبالخصوص الخروج من البند السابع.

٤. السعي لبناء مؤسسات إقليمية جديدة تعمل على مواجهة قضايا ومشاكل المنطقة وفق مبدأ الامن الجماعي.

٥. بناء سلسلة من التحالفات الجديدة من خلال اعادة ترتيب أولويات التحالف الامريكية في المنطقة بناء على البيئة الاستراتيجية الراهنة.

إن التغيرات في المنطقة العربية جاءت بدعاوى مختلفة، منها الديمقراطية وحقوق الانسان، الا انها في الحقيقة تقدم خدمة (لإسرائيل)، وقد استخدمت إدارة بوش هجمات ١١ ايلول ٢٠٠١ لأطلاق سياسة خارجية عدوانية. فاحتلال افغانستان ثم العراق لها اغراض واهداف اكثر من مكافحة الارهاب، والنتيجة فإنه دعم (لإسرائيل) والحملة الامريكية لمناهضة الارهاب قد أصبحت من القضايا الامريكية الأساسية، وهو بلا شك جزء من المخطط الصهيوني لأجل ارهاب المنطقة وتهديد استقرارها وامنها^(٥٢).

وان الاستراتيجية الامريكية لتحقيق أهداف غزوها للعراق كانت قائمة منذ البداية على فهم خاطئ لما يتمخض عنه غزو العراق^(٥٣):

١. اعتقد الامريكيون أن الشعب العراقي الذي رحب بتحريرهم من طغيان حكومة النظام السابق سيدعم الوجود الامريكي المستمر في بلادهم.

٢. اعتقدوا أن الادارة العراقية بما فيها الجيش والشرطة، ستبقى موجودة، وبالإمكان اعادة بنائها سريعا.

٣. اعتقدوا أن بوسعهم التوصل الى اتفاق لتقاسم السلطة بين الجماعات السياسية العراقية.

إن الاتفاقية الامنية بين العراق والولايات المتحدة الامريكية واتفاقية الإطار الاستراتيجي، فالأخيرة التي لم تحظ بذات الاهتمام الذي حظيت به الاتفاقية الامنية، وربما يعود ذلك الى ارجحية المتغير الامني وضرورة تداعياته على سيادة العراق ومستقبله. وعلى الرغم من الجوانب الإيجابية التي تحتويها هذه الاتفاقية الا انها لا تخلوا من الجوانب السلبية فقد تم المصادقة عليها من قبل مجلس النواب العراقي فهي ملزمة للعراق، وبنفس الوقت لم يصادق الكونغرس الامريكي، حتى انها لم تعرض عليه رسميا، فهي اذا غير ملزمة للولايات المتحدة^(٥٤).

وكما ان الاتفاقية الامنية بين العراق والولايات المتحدة لم تؤخذ بالحسبان ما يتطلبه الوضع في العراق والظروف الامنية المحيطة بالبيئة العراقية، فقد ضمت ثغرات عديدة منها انتهاء الفترة القانونية لبقاء

القوات الامريكية على أرض العراق، عدم اكتمال بناء جاهزية القوات العراقية لضبط الامن، ولا توجد خطة هيكلية لسحب القوات الامريكية من العراق وتحديد الفترة الزمنية للانسحاب، وغيرها من الأمور التي دعت إلى إيجاد وتنظيم واتفاق للقوات الاجنبية المتواجدة في الأراضي العراقية^(٥٥).

وفي اعتقاد الكثيرين أن الولايات المتحدة الامريكية خططت للحرب أكثر مما خططت لما بعد الحرب، وهناك عدد من الدراسات نشرت في مجلة الشؤون الخارجية في عام ٢٠٠٣ تشير إلى الصعوبة ليست في احتلال العراق، وإنما الصعوبة فيما بعد الاحتلال، كذلك فإنه من الواضح للغاية أن أية فكرة تذهب إلى أن الولايات المتحدة مشتركة في عمليات ما بعد الحرب لا تكاد تزيد عن مهزلة^(٥٦)

إن المتغيرات الدولية التي تخص الأمن الوطني العراقي محصورة في الغالب بالجانب الامريكي من خلال اعتماده على استراتيجيات طويلة الأمد، في الشرق الأوسط وتحديداً في العراق، فإن العلاقات العراقية الامريكية بعد الاحتلال الامريكي سارت مساراً ايجابياً لصالح الولايات المتحدة وهي علاقة تابع ومتبوع، بسبب الهيمنة الكبيرة للولايات المتحدة على رسم السياسة الداخلية للعراق وقد انسحب ذلك على بقية مناحي الدولة العراقية الاقتصادية والاجتماعية وغيرها، والاهم من ذلك العسكرية، فعلى الصعيد العسكري فإن تأثيرها السلبي وصل إلى حد إضعاف الجيش العراقي الجديد، وعدم تسليحه لإبقائه محتاجاً للدعم الامريكي، مما انعكس سلباً على واقع الامن الوطني العراقي^(٥٧).

ثانياً: روسيا الاتحادية

١. المتغيرات السياسية

ركزت روسيا جهودها على صعيد السياسة الدولية ومنذ عام ٢٠٠٣ على التعامل مع المتغيرات التي تهدد بتغيير الوضع الدولي، وشكلت مسألة مناقشة قضية العراق في الامم المتحدة ومجلس الامن محور الاهتمام الروسي، اذ أعلنت روسيا أنها ستستخدم حق النقض ضد أي قرار يخول الولايات المتحدة الامريكية باستخدام القوة ضد العراق وحددت روسيا موقفها بضوء مصالحها^(٥٨)

في حين أدى موقفها المعارض لاستخدام القوة وتوافقه مع الموقف الالمانى والفرنسي الى زيادة الخلاف والتناقض في المواقف داخل المجموعة الاطلسية حول قضية العراق وهذا هدف استراتيجي روسي لأضعاف تماسك التحالف الغربي ضدها، فضلا عن خشيتها من ظهور نتائج وعواقب غير محسوبة قد تقع في المنطقة وتهدد أمنها ومصالحها جراء الحرب على العراق^(٥٩).

روسيا الاتحادية وضعت الملف النووي الايراني وأزمته في مقدمة المتغيرات التي يدور حولها التنافس بينها وبين الولايات المتحدة الامريكية والغرب على صعيد التوازنات الجيوستراتيجية، إذ ساندت روسيا حق إيران في امتلاك برنامج نووي سلمي، ورفضت العقوبات احادية الجانب من قبل الولايات المتحدة الامريكية والقوى الغربية، ووصفت هذه العقوبات بأنها خرق لمبادئ القانون الدولي، وانتهاك لسيادة إيران، وترى روسيا أن عمليات التفتيش التي تقوم بها الوكالة الدولية للطاقة الذرية تعزز الثقة في الشرق الاوسط، إذ تعكس عمليات التفتيش مظهراً من مظاهر الشرعية الدولية لأنها تأتي في إطار إتفاق جماعي لقوى دولية، ومنظمة دولية^(٦٠).

أما الازمة السورية التي كان في عام ٢٠١١ بداية انطلاق الحراك الشعبي فيها فقد ظهرت بوادرها في كانون الثاني ٢٠١١ اثر عمليات نشر وحدات من الجيش السوري في درعا لقمع الاحتجاجات،^(٦١). ولسوريا مكانة مهمة في الشرق الاوسط بوصفها عنصراً مؤثراً في مسارات التنافس والصراع في الاقليم، وانعكس ذلك على علاقات القوى الكبرى واستراتيجياتها تجاه سوريا خاصة بالنسبة لروسيا الاتحادية التي ارتبطت بعلاقات استراتيجية مع سوريا منذ الحقبة السوفيتية واستمرت هذه العلاقة بعد إنهاء الاتحاد السوفيتي مع روسيا الاتحادية وتتداخل العديد من القضايا الاقليمية والدولية ضمن تفاعلات الازمة السورية ومن أبرزها^(٦٢):

أ. التنافس الامريكي الروسي للسيطرة على الممرات البحرية عبر مضيق جبل طارق، والبحر الاحمر والقرن الافريقي عبر قناة السويس، وترى روسيا في ميناء طرطوس السوري الذي عززت وجودها فيه، الدوابة الاستراتيجية للبحرية الروسية والتي تؤمن فاعليتها في البحر المتوسط والمحيط الاطلسي عبر

الممرات المذكورة آنفاً، والوجود البحري الروسي في طرطوس عنصر توازن استراتيجي تجاه النشاط البحري الأمريكي في هذه المناطق^(٦٣)

ب. أمن الخليج العربي وامدادات الطاقة، وبرنامج ايران النووي، ودورها الاقليمي والصراع بين محور إيران وسوريا وحزب الله وحماس، وبين تركيا ومعها السعودية وقطر على الدور الاقليمي ومستقبل المنطقة.

ج. الصراعات الطائفية والعرقية ونشاط الجماعات المتطرفة والارهاب في الشرق الاوسط.

٢. المتغيرات العسكرية

لعلَّ شعور روسيا الاتحادية بالتهديد القريب بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣، دفعها ذلك لدراسة وتحليل استخدام الولايات المتحدة الأمريكية للقوة، والتركيز على نتائج الحرب والدروس المستخلصة منها، لتحديد مكامن الضعف والخلل في الاداء العسكري على المستوى الاستراتيجي وعلى مستوى كفاءة أداء الافراد والاسلحة والمعدات^(٦٤)

وقد أجرت روسيا اصلاحات وعمليات تطوير في بنية قواتها المسلحة، وحددت اولويات الاصلاحات والمهام الجديدة لقواتها المسلحة في مجال الدفاع والتعرض بضوء الرؤية الروسية للبيئة الاستراتيجية والتغيير الحاصل في موازين القوى على الصعيدين الاقليمي والدولي، وقامت القوات المسلحة الروسية بصنوفها البرية والجوية والبحرية وسلاح الصواريخ بالستية بفعاليات ومناورات في اشارة لتأكيد مكانتها بوصفها قوة نووية كبرى، وأعلن بوتين في كانون الاول ٢٠٠٤ عن تطوير جيل جديد من السلاح النووي لحماية روسيا من التهديدات والتحديات الامنية المستقبلية^(٦٥).

كما أن الاحتلال الأمريكي للعراق جعل روسيا تعيد النظر في اجراء عملية اعادة هيكلة وتطوير القدرات العسكرية الروسية كمحصلة لتأثير عوامل عديدة في مقدمتها الهاجس الامني من الاحتلال وعدته روسيا تهديداً إستراتيجياً تكاملت حلقاته مع عملية توسيع حلف الناتو شرقاً باتجاه تخوم روسيا مع أوروبا، ومع مشروع الدرع الصاروخي في وسط وشرق أوروبا، ودفعت استجابة روسيا لهذه المتغيرات التي جرت على

أرض الاطار المحيط بقلب الارض الذي تتحكم به، الى سعيها لتحقيق التوازن الجيوستراتيجي مع الولايات المتحدة الامريكية وحلف الناتو^(٦٦).

الخاتمة:

مرت على العراق منذ الاحتلال الامريكي في العام ٢٠٠٣، أحداث جسيمة جعلته في وضع شائك وفي ظرف غاية في الصعوبة، ولا زالت تأثيراتها تحيط به، لا شك أن سبب ذلك كله هو التدخل الاجنبي، سواء أكان تدخلاً من قبل الولايات المتحدة الامريكية التي سعت الى التركيز على إقامة نظام سياسي يحمل ملامح النظام الديموقراطي دون أن تتركه يواصل مسيرته على مبادئ الديموقراطية المعمول بها عالمياً، والتي تنبع من عمق المجتمعات وخصوصيتها ورغبتها في التغيير والإصلاح السياسي، وإنما تدخلت بكافة تفاصيل العملية السياسية منذ بداياتها الأولى، وأخضعتها لمعايير لا تتطابق مع الشعارات التي أعلنتها خلال استعدادها للحرب، فقد اتبعت، بعد احتلالها العراق سياسة تفكيك الدولة وإعادة صياغتها وفق المنظور الامريكي بعيداً عن الاعتبار الوطنية العراقية والمحيط الإقليمي والاسلامي للعراق، الأمر الذي أثار حفيظة دول المنطقة وخصوصاً دول الجوار الجغرافي التي أدركت مسبقاً أن الولايات المتحدة الامريكية تحمل رؤياها وتصوراتها الخاصة اتجاه الاصلاحات السياسية والدعوات الى الديموقراطية التي نادت بها، ولذلك كان للعاملين الدولي والإقليمي تأثير ملموس في خلق أوضاعاً أمنية نتجت عنها آثار سلبية مباشرة وغير مباشرة ساهمت في خلق الأزمة الأمنية الراهنة وتضاعفها في العراق، وستستمر هذه الأزمة طالما استمرت فاعلية هذين العاملين وتأثيراتهما، واستمرت السياسات الحكومية العاجزة عن مواجهتها والتصدي لها.

الهوامش:

(١) ليث عبد الحسن جواد الزبيدي، مستقبل النظام السياسي في العراق، مجلة قضايا سياسية، العددان ٢٩ - ٣٠، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، بغداد، ٢٠١٢، ص ٦٠.

(٢) نظلة الجبوري، الحراك السياسي وتداعياته على التخطيط الاستراتيجي، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠١٢، ص ٩٣-١٣٥.

- (٣) حميد حمد السعدون، العراق وثقافة الإخضاع السياسي، في إستراتيجية التدمير، آليات الاحتلال الأمريكي للعراق وثقافة الطائفية. الهوية الوطنية، السياسات الاقتصادية، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٦، ص ٩٥.
- (٤) سعيد رشيد عبد النبي، ملامح النظام السياسي الضامن لحقوق الانسان. مجلة المرصد الدولي، العدد ٧، ٢٠٠٨، ص ٣٢.
- (٥) عبد الجبار أحمد، آليات المصالحة الوطنية العراقية، مجلة شؤون عراقية، مركز العراق للدراسات، العدد ١، بغداد، ٢٠٠٨، ص ١٦٣.
- (٦) حافظ علوان حمادي الدليمي، المشروع الديمقراطي في العراق (الواقع والطموح) دراسة نقدية، مجلة قضايا سياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، العددان ٢٩-٣٠، ٢٠١٢، ص ٧٠.
- (٧) حافظ علوان حمادي الدليمي، المشروع الديمقراطي العراقي (الواقع والطموح)، مصدر سبق ذكره، ص ٧٩.
- (٨) سالم سليمان وخضر عباس عطوان، الفساد السياسي والاداء الاداري، دراسة في جدلية العلاقة، مجلة دراسات سياسية، العدد ٢٠، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠١٢، ص ٦.
- (٩) نجدت صبري ثاكري، الإطار القانوني للامن القومي، مصدر سبق ذكره، ص ٨٧.
- (١٠) حسين حافظ وهيب، ملامح التحول في النظم العربية، دورية اوراق دولية، العدد ٢١٥، جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية، تموز ٢٠١٢، ص ٥-٧.
- (١١) دهام محمد العزاوي، الاحتلال الأمريكي للعراق وأبعاد الفيدرالية الكردية، ط١، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة ٢٠٠٩، ص ٥٣، ٥٤.
- (١٢) جورج اندرسون، مقدمة عن الفيدرالية، ما هي الفيدرالية؟ وكيف يتجه نحوها العالم؟ منتدى الاتحادات الفيدرالية، بلا طبعة، كندا ٢٠٠٧، ص ٧٣.
- (١٣) جواد كاظم البكري، العراق السنة صفر، اشكالية الهوية الاقتصادية في ظل الاحتلال، في المواطنة والهوية العراقية، عصف احتلال ومسارات تحكم، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، بغداد، ٢٠١١، ص ١٨٩.
- (١٤) طه حميد حسن العنبيكي، العراق بين المركزية واللامركزية الادارية والفيدرالية، مصدر سبق ذكره، ص ٥٤.
- (١٥) ابراهيم سعيد البيضاني، الدولة العراقية الهشة: نتاج داخلي أم ضرورة امريكية، مجلة حمورابي، العدد (٩)، السنة الثالثة اذار ٢٠١٤، بغداد، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، ص ٣٠.

- (١٦) عامر هاشم عواد، دور العراق الجديد في الاستراتيجية الأمريكية اتجاه الشرق الأوسط، مجلة الدراسات الدولية، العدد ٣٣، ٢٠٠٧، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، ص ١٩٩.
- (١٧) حسن لطيف الزبيدي وآخرون، العراق والبحث عن المستقبل، المركز العراقي للبحوث والدراسات، النجف الاشرف، ٢٠٠٨، ص ٤٧٨.
- (١٨) ايناس عبد السادة العنزي، أثر المحددات الخارجية والداخلية في بناء الدولة العراقية، مجلة العلوم السياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد (٣٦)، السنة ٢٠٠٨، ص ١٣٩.
- (١٩) ابراهيم سعيد البيضاني، الدولة العراقية الهشة: نتاج داخلي أم ضرورة امريكية، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥.
- (٢٠) المصدر نفسه، ص ٢٧.
- (٢١) محمد كامل محمد الربيعي، مستقبل العلاقات العراقية -الايرائية، مجلة السياسة الدولية، كلية العلوم السياسية، الجامعة المستنصرية، العدد (١٠)، السنة ٢٠٠٧، ص ٦٨.
- (٢٢) ايناس عبد السادة العنزي، أثر المحددات الخارجية والداخلية في بناء الدولة العراقية، مصدر سبق ذكره، ص ٦٨.
- (٢٣) هيثم كريم صيوان، العلاقات العراقية - التركية: رؤية في امكانية التعاون واحتمالات الصراع / في: العراق تحت الاحتلال: تدمير الدولة وتكريس الفوضى، سلسلة كتب المستقبل العربي، العدد (٦٠)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨، ص ٣٥٠.
- (٢٤) علي حسين باكير، نحو علاقات تركية - خليجية استراتيجية، دبي، مركز الخليج للأبحاث، مجلة آراء حول الخليج، العدد (٤٩)، السنة ٢٠٠٨، ص ٦٤.
- (٢٥) ابراهيم سعيد البيضاني، الدولة العراقية الهشة..، مصدر سبق ذكره، ص ٤٤.
- (٢٦) ابراهيم سعيد البيضاني، الدولة العراقية الهشة..، مصدر سبق ذكره، ص ٥٧.
- (٢٧) عامر كامل احمد، مواقف الدول الإقليمية من آراء مرشحي الرئاسة الأمريكية حيال العراق، مجلة شؤون عراقية، العدد (١) السنة ٢٠٠٨، بغداد، مركز العراق للدراسات، ص ١١٧.
- (٢٨) المصدر نفسه، ص ١١٨.
- (٢٩) حسين لطيف الزبيدي وآخرون، العراق والبحث عن المستقبل، مصدر سبق ذكره، ص ٤٩٧.
- (٣٠) همام خضير مطلق، اثر المتغيرات الاقليمية على الاوضاع الداخلية العراقية (ايران - سوريا) انموذجا، مجلة قضايا سياسية، العدد ٢٧-٢٨ جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية ٢٠١٢، ص ٢٥٦/٢٥٩.

- (٣١) سامية ببيرس، الفراغ واشكاليات غياب الدور السوري في الشرق الاوسط، مجلة السياسة الدولية، عدد ١٨٥، مطابع الاهرام، القاهرة، ٢٠١١، ص ٧٨.
- (٣٢) عمار الكعبي، مشوار الطائفية في العراق: دراسة في تغييب مجتمع الدولة، مجلة مدارك، العددان الخامس والسادس، بغداد، مؤسسة مدارك، ٢٠٠٨، ص ٣٣.
- (٣٣) ستار جبار علاي، علاقات العراق مع دول الجوار العربية، مجلة دراسات دولية، العدد (١٣)، السنة ٢٠٠٨، بغداد، دار الحكمة، ٢٠٠٨، ص ٢٧.
- (٣٤) المصدر نفسه، ص ٢٩.
- (٣٥) مازن الياسري، العراق والمجتمع الدولي، بغداد، دار السلام، ٢٠١٠، ص ٢٢٧.
- (٣٦) مازن الياسري، العراق والمجتمع الدولي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٩.
- (٣٧) ابراهيم سعيد البيضاني، الدولة العراقية الهشة..، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣.
- (٣٨) عبد علي المعموري، الحراك السياسي في دول الخليج بين عصف الديمقراطية وارث السلفية، مجلة حمورابي، العدد ٤، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، كانون الاول ٢٠١٢، ص ٢٥٦.
- (٣٩) محمد ماضي، العلاقات السعودية الأمريكية بعد حرب العراق، جريدة الشرق الاوسط، العدد ١٤٩٣، ٢٠٠٤.
- (٤٠) ابراهيم سعيد البيضاني، الدولة العراقية الهشة..، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣.
- (٤١) حسن لطيف الزبيدي، العراق والبحث عن المستقبل، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠١.
- (٤٢) حميد حمد السعدون، ازمة العلاقات العراقية - الكويتية المتكررة، مجلة الدراسات الدولية، جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية، العدد (٣٣)، ٢٠٠٨، ص ١١.
- (٤٣) المصدر نفسه، ص ١٥.
- (٤٤) ياسين البكري وحيدر علي، متغيرات الشأن العراقي وعلاقتها باستراتيجية امريكا في المنطقة: قراءة مستقبلية، مجلة حمورابي، العدد ٢، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، اذار، ٢٠١٢، ص ٥٥.
- (٤٥) كوثر عباس الربيعي، الاختراق الامني الاسرائيلي في العراق ومواقف دول الجوار الاقليمي، مجلة شؤون عراقية، العدد ٤، مركز العراق للدراسات، نيسان ٢٠١٠، ص ١٤٠.
- (٤٦) غازي العريضي، ادارة الارهاب، ط ١، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٢٠.
- (٤٧) كوثر عباس الربيعي، الاختراق الامني الاسرائيلي في العراق ومواقف دول الجوار الاقليمي، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٥.

- (٤٨) مجموعة باحثين، حال الامة العربية، ٢٠١٠-٢٠١١، رياح التغيير، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١١، ص١١٧.
- (٤٩) برهان غيلون، العرب وتحولات العالم من سقوط جدار برلين الى سقوط بغداد، حاور اجراه رضوان زيادة، ط٢ المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٣، ص٢٨٢.
- (٥٠) أحمد فايز صالح، دور المحافظين الجدد في السياسة الخارجية الامريكية، ط١، مركز باحث للدراسات، بيروت، ٢٠١١، ص١٢٩.
- (٥١) المصدر نفسه ص٧٢.
- (٥٢) ايهاب علي الشموري، المشروع الصهيوني الامريكي الجديد ومخاطرة على العالمين العربي والاسلامي، مصدر سبق ذكره، ص٣٩٦، ٣٩٧.
- (٥٣) مايكل روز، حل النزاعات في عالم ما بعد الحرب الباردة وانعكاساته على العراق، ط١، سلسلة محاضرات الامارات، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ابو ظبي، ٢٠٠٧، ص١٥، ١٤.
- (٥٤) منى حسين عبيد وخلود محمد خميس، العلاقات العراقية-الامريكية في ضوء اتفاقية الاطار الاستراتيجي في استراتيجية بناء دولة بعد الانسحاب الامريكي من العراق، المؤتمر السنوي لقسم الدراسات السياسية، بيت الحكمة، ط١، بغداد، ٢٠١١، ص١٣٤.
- (٥٥) علاء عبد الوهاب المنذري، خيارات الوجود الامريكي في العراق في ظل الاتفاقية الامنية العراقية والامريكية، مجلة دراسات سياسية، العدد ١٩، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠١١، ص ٩٨.
- (٥٦) ياسين سعيد البكري، حيدر علي، متغيرات الشأن العراقي وعلاقتها باستراتيجية امريكا بالمنطقة: قراءة مستقبلية، مصدر سبق ذكره. ص ٥٧.
- (٥٧) عامر هاشم عواد، العلاقات العراقية الامريكية: الواقع الموضوعي واحتمالاته المستقبلية، دورية أوراق دولية، عدد ٢٠٨، مركز الدراسات الدولية، بغداد، ٢٠١١، ص ٧.
- (٥٨) ديفيد دبليو. ليش، سوريا وسقوط مملكة الاسد: ماذا يحدث لولم يسقط الاسد بالفعل؟، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠١٤، ص١٨٢-١٨٣.
- (٥٩) ليليا شيفستوفا، روسيا يلتسين الخرافات والحقيقة، ترجمة عبد الله حسن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠١، ص٤٣٦.

- (٦٠) وسام الدين العكلة، تعثر المفاوضات النووية بين ايران والسدادسية: الخلفيات والتداعيات، مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، استانبول، ٢٠١٤، ص ٤.
- (٦١) شذى زكي حسن، الموقف الروسي من الازمة السورية: الدوافع والاهداف، دراسات سياسية، العدد (١٢٤)، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠١٣، ص ٧٦-٧٧.
- (٦٢) ناصر زيدان، دور روسيا في الشرق الاوسط وشمال روسيا من بطرس الاكبر حتى فلاديمير بوتين، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٣.
- (٦٣) علاء سالم، ادوار متقاطعة: تأثير العوامل الخارجية في مسار الازمة السورية، السياسة الدولية، العدد (١٨٨)، مركز الاهرام، القاهرة، ٢٠١٢، ص ١١٤-١١٥.
- (٦٤) زهير حامدي، الآثار الجيوسياسية لاكتشافات الغاز الاسرائيلية في شرق المتوسط، مجلة سياسات عربية، العدد (١)، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ٢٠١٣، ص ١١٢.
- (٦٥) شانون ن. كايل وهانس م. كريستن، القوى النووية العالمية لسنة ٢٠٠٥، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٨٣٢-٨٣٣.
- (٦٦) عبد المنعم سعيد، الاتجاهات الراهنة لتطور القوة العسكرية الروسية، السياسة الدولية، العدد (١٧٠)، مؤسسة الاهرام، القاهرة، اكتوبر ٢٠٠٧، ص ٩٧.

الأساس القانوني للمياه العراقية

أ.م. حسين عليوي عيشون

الباحث ياسين غانم ردام

كلية العلوم السياسية / جامعة الكوفة

المقدمة:

تعد الأنهار أهم موارد المياه التي تستخدم في مجالات الزراعة وتوليد الطاقة وسد احتياجات السكان وغيرها وقد أثارت الحاجة إلى مياه الأنهار العديد من المنازعات بين الدول المشتركة فيها والتي تم تسويتها سواء من خلال المفاوضات أو من خلال القضاء الدولي وفي بعض المنازعات قطعت الدول علاقاتها الدبلوماسية مع الدول التي تشترك معها في نفس المجرى ودول أخرى أوشكت على استخدام القوة المسلحة ضد بعضها البعض.

واغلب هذه المنازعات كانت بين الدول التي تشترك في مجاري المياه الدولية المستخدمة لأغراض غير ملاحية، لذا فقد اهتم القانون الدولي بوضع القواعد والمبادئ التي تنظم عملية استخدام مياه تلك المجاري كما أبرمت الدول المعنية لهذا الغرض العديد من الاتفاقيات الثنائية والجماعية، وقد أدت هذه الممارسات الدولية إلى نشوء مجموعة من المبادئ العرفية التي تحكم استخدام مجاري المياه الدولية لأغراض غير ملاحية ومنها مجرى نهر دجلة الذي يتمتع بهذه الصفة منذ نهاية الحرب العالمية الأولى.

إن العراق نظرا لموقعه الجغرافي يعد دولة مصب بالنسبة للمجرى المذكور، وهذه الحقيقة الجغرافية تضعه في موقف ضعيف لأنه يتأثر بشكل كبير بالمشاريع والسدود التي تقيمها دول أعلى المجرى وهي تركيا وسوريا، ولاسيما أن هذه الأخيرة أنشأت فعلا وتخطط لإنشاء العديد من السدود على المجرى الرئيس لنهر دجلة.

كما أن القانون الدولي لم يبد الاهتمام الكافي بالأنهار الدولية إلا مع بداية القرن العشرين بسبب تطور وتعقيد العلاقات الدولية بشأن استخدام مياه الأنهار الدولية، كذلك ازدادت الأهمية بعد ازدياد الطلب

وتضاعف حاجة الشعوب الى المياه العذبة بسبب الازدياد المضطرد بأعداد السكان في العالم وتنوع استخدام المياه الأمر الذي انسحب على موضوع الانهار الدولية ودفع باتجاه تطوير ودراسة القواعد القانونية الدولية التي تنظم الانهار الدولية بوصفها أحد الموارد الاقتصادية الاساسية التي لا غنى عنها. ان العراق ليس بعيد عن هذه الاشكاليات اذ لا تزال تركيا تعتبر نهري دجلة والفرات غير معنيين بالقانون الدولي وتعتبرهما انهارا عابرة للحدود وليست دولية واستنادا الى ذلك اقامت مشاريعها المائية دون التشاور مع جيرانها، ونسفت مبدأ الحقوق المشتركة المتساوية المتساوية لدول الحوض ولم تخالف بنود القانون الدولي وحسب بل اضررت بدول الحوض التي لديها العديد من المشاريع الاقتصادية نتيجة انخفاض التدفق المائي للنهرين.

أولاً: دجلة:

ينبع نهر دجلة من بحيرة هزار الواقعة في المنطقة الجبلية جنوب شرق تركيا على بعد ١٠٠ كم من الحدود العراقية التركية ويبلغ طول النهر (١٧١٨) كم ويدخل العراق بالقرب من بلدة فيشخابور ويبلغ طوله في العراق (١٤١٨) كم وهو يعادل ٨٢% من طول النهر وداخل العراق تصب فيه من الجهة اليسرى خمس روافد وهي (الخابور - الزاب الكبير - الزاب الصغير - العظيم - ديالى).^(١)

يروي النهر ٣٣% من اراضي العراق والذي يعتبر من البلدان الزراعية، وتبلغ كميات المياه التي يحملها نهر دجلة حوالي ٤٠ مليار متر مكعب سنوياً، من جانب اخر فان طبيعة الارض التي يشقها مجرى نهر دجلة في المنطقة الشمالية تجعل من الصعب اقامة السدود عليه من اجل الاغراض المختلفة كالزراعة والصناعة، وبالرغم من كميات المياه التي يحملها الا انه لا توجد استفادة قصوى من مياهه وذلك بسبب عدم وجود انظمة تخزينية او سدود على النهر الامر الذي يعرض مدينة بغداد الى الفيضانات.^(٢)

وتدعي تركيا بأن نهر دجلة هو نهر عابر للحدود وليس نهر دولي وبذلك فهو لا يخضع للقواعد القانونية المنظمة للأنهار الدولية رغم ما جاء في تقرير لجنة القانون الدولي التابعة للأمم المتحدة عام ١٩٩٣، انه لا يوجد اي خلاف واقعي حول مفهوم الانهار الدولية والانهار العابرة للحدود من ناحية شمولها بالقانون

الدولي اضافة الى اطلاق تعابير قانونية لا تتفق والطبيعة الجغرافية لنهر دجلة، ولا المعايير الدولية كمفهوم الانهار العابرة للحدود بدلا من الانهار الدولية والاستخدام الامثل والتوزيع المنصف والمعقول بدلا من توزيع الحصص وان هذا التلاعب بالمفاهيم القانونية لا يشكل حجة قانونية مقنعة في الفقه والقانون الدولي.^(٣) وذلك ان النهر يعتبر نهرا دوليا يكفي ان تشترك في مجراه اكثر من دولة واحدة.^(٤)

فتركيا تصر على اعتبار المياه النابعة من اراضيها ثروة من ثرواتها الطبيعية بغض النظر عن الاعتبارات والمواثيق الدولية او التوصيفات القانونية للأنهار الدولية التي تعنى بتنظيم عملية اقتسام المياه بين الدول المتشاطئة، وقد باتت تتصرف بمياه دجلة والفرات بوصفها المالك الوحيد لمياهها، اذ قد قامت ببناء كبير من المشاريع الاروائية على نهري دجلة والفرات بشكل يفوق الحاجة التركية على هذين النهرين وتدور السياسة المائية التركية حول مبدأ مقايضة الماء بالنفط وهو ما صرحت به في مفاوضات عام ١٩٧١ بين تركيا والعراق حين طلبت اسعار مخفضة على النفط مقابل اطلاق الكميات المناسبة من المياه للعراق في حين اعلنت بأن العراق يجب ان يصدر نفطه عبر الاراضي التركية عند تطبيق قرار النفط مقابل الغذاء.^(٥)

وتستند تركيا في ذلك الى مبدأ هارمون* الذي لم يؤخذ به حتى في الولايات المتحدة مدعية ان لها حق السيادة المطلقة على المياه التي تصدر من اراضيها واستغلالها بالشكل الذي تراه مناسباً من دون مراعاة حقوق الدول المتشاطئة معها.^(٦)

كما ان حوض نهر دجلة مستقل عن حوض نهر الفرات من خلال حدود واضحة ومعينة ولا يمكن اعتبارهما نهرا واحدا وان كانا يصبان في شط العرب الذي يعتبر امتدادا للخليج، وقد عارض العراق خطة المراحل الثلاثة* التي تدعو اليها تركيا ويؤكد على الالتزام بأسس قسمة المياه والانتفاع المنصف والمعقول التي تستند الى القانون والعرف الدولي ومن ضمنها مبدأ الحقوق المكتسبة.^(٧)

اما اهم المشاريع التي تنوي تركيا اقامتها على نهر دجلة هي:

أ- مشروع كير الكيزي: ويتضمن هذا المشروع عددا من السدود متعددة الاغراض وهي:

١- سد كير الكيزي بسعة ٢ مليار مكعب من المياه، وينتج طاقة كهربائية بقدرة ١٤٦ مليون كيلو واط بالسنة.

٢- سد دجلة بسعة تخزينية ٥٩,٠ مليار متر مكعب من المياه وينتج طاقة بقدرة ٢٩٨ مليون كيلو واط في السنة.

٣- مشروع الري السحي للجانب الايمن لنهر دجلة ومشروع الري للجانب الايسر لنهر دجلة.

ب- مشروع باطمان: ويتضمن عدد من المشاريع متعددة الاغراض وهي

١- مشروع سد باطمان بسعة تخزين تقدر ب ٢,١ مليار متر مكعب وينتج طاقة كهربائية بقدرة ٤٨٣ مليون كيلو واط في السنة.^(٨)

٢- مشروع الجانب الايمن والايسر لنهر باطمان وتبلغ الاراضي المتوقع ريعها ٣٧٧٤٤ هكتار.

ومن السدود المهمة التي تم بناؤها ومن المتوقع دخولها في الخدمة هو سد اليسو الذي بدأت تركيا ببناءه عام ٢٠٠٦ وهو من اكبر السدود التي اقامتها تركيا على نهر دجلة والذي سيؤثر بشكل كبير على معدلات تصريف المياه الى العراق مما يؤثر سلبا على العراق اقتصاديا وامنيا^(٩)، فهو يقع في منطقة دار غيجتين على بعد حوالي ٤٥ كم من الحدود السورية وبكلفة تصل الى مليون ومئتي الف دولار امريكي ويبلغ طوله حوالي ١٨٢٠ متر وارتفاعه الى ١٣٥ متر وهو من السدود الاملائية الركامية حيث يبلغ منسوب قمته الى ٥٣٠ م اما منسوب الخزن الفيضاني الاعلى فهو ٥٢٨ م ويبلغ منسوب الخزن الاعتيادي ٥٢٥ م وحجم الخزن الكلي منه ١١,٤٠ مليار متر مكعب والمساحة السطحية لبحيرة الخزان هي للسد هي ٣٠٠ كم^٢ وسيتم الاستفادة منه لاغراض الري والزراعة وتغذية المياه الجوفية حيث سيوفر ري مساحات واسعة من الاراضي التركية قد تصل الى ٢ مليون هكتار

وعلى الرغم من تطمينات الحكومة التركية من تأثير بناء السد على العراق الا ان مخاطره اكبر من فوائده وذلك بسبب التداعيات الاقتصادية والفنية المتداخلة اثرها على الامن المائي لمنطقة الشرق الأوسط بصورة عامة والعراق بصورة خاصة.^(١٠)

السياسة المائية التركية في نهر دجلة:

تعد تركيا من البلدان الغنية بالموارد المائية فهي الدولة الثانية عالمياً بكميات المياه بعد كندا وذلك بسبب غزارة الأمطار الساقطة على أراضيها التي يقدر معدلها السنوي بـ ٦٥٩ ملم، بالإضافة إلى قلة كمية التبخر السنوي إذ تبلغ كمية الموارد المائية التركية نحو ٥١٨ كم مكعب في السنة وقد هيا ذلك لتركيا قوة كبيرة تستطيع من خلالها أن تؤثر على جيرانها، لاسيما العراق من خلال قيامها بالمشاريع المختلفة، فالعراق يعتمد بشكل شبه كامل على الموارد المائية القادمة من تركيا وأن أي تغيير في الكميات الواردة إليه يؤثر على جميع قطاعات المياه في العراق فيه كما أنه يزيد من المساحات الصحراوية.^(١١)

وقد تناقصت كمية المياه الواردة إلى العراق خلال السنوات الأخيرة من ٦٧،٥ م^٣ إلى ٤٣،٩٢ مليار م^٣ وهو ما يمثل ٥٥% من حاجة العراق المائية التي تبلغ ٧٦،٩٥٢ مليار متر مكعب مع غياب الاتفاقيات بين دول الحوض وحمل بناء السدود من قبل تركيا وتباين وجهتي نظر سوريا والعراق، وذلك يعني أن واردات العراق من المياه سوف تقل أكثر في المستقبل مع غياب الاتفاقيات على الحصص المائية العادلة الأمر الذي يجعل مستقبل المياه في العراق مثير للقلق، خصوصاً في ضوء ارتباط العامل المائي بالبعد السياسي والاقتصادي والقانوني وذلك نظراً لطبيعة العلاقات التي تسود بين العراق ودول المنبع.^(١٢)

أن التطور التكنولوجي في تركيا أثر بدرجة كبيرة على نوعية وكمية المياه الواصلة إلى سوريا والعراق حيث أن المياه الواصلة إلى المناطق الوسطى والجنوبية من العراق تكون إما مياه مالحة أو ملوثة وترتفع فيها نسبة الغرين وطمى بنسبة عالية وقد سببت أيضاً بزيادة نسبة الملوحة في المجاري السفلية في العراق بسبب راجعات المياه والبالغة نسبتها ٣٠ بالمئة علماً أن نسبة الملوحة المقبولة في المياه يجب أن تكون ١،٥ بالمئة للري ولهذا ستتكون آثار سلبية متلاحقة على الأراضي والانتاج الزراعي مع ظهور بؤابر الصبغة والبور.^(١٣)

إن في تعريف تركيا للأنهار الدولية ثغرة ليست في صالحها، بالإضافة إلى أن تعريفها للأنهار الدولية غير صحيح أصلاً وذلك فيما يتعلق بنهر دجلة، حيث أن دجلة واعتباراً من مدينة جزرة التركية الحدودية،

يؤلف الحدود السورية لمسافة ٤٤ كم منها ٣٧ كم حدوداً بين تركيا وسوريا و٧ كم تشكل جزءاً من الحدود السورية العراقية فهل كانت تركيا ستوقع اتفاقية شبيهة بما وقعتها مع الاتحاد السوفيتي السابق أرمينيا وجورجيا في الوقت الحاضر، بتقاسم المياه وعدم التلاعب بمياه النهر دون موافقة الدولة الحدودية المقابلة وبغض النظر عن من هي دولة المنبع أو المسافة التي يسير بها النهر.

تقوم السياسة المائية التركية على حق السيادة المطلقة على مواردها المائية في حوض دجلة داخل أراضيها ولذلك تصرفت بشكل مطلق بمياه النهر ومن خلال تشييد السدود والمشاريع الإروائية والزراعية ولا تزال مستمرة بنهج مقارب من دون مراعاة حقوق الدول المتشاطئة معها.

ويمكن ملاحظة أن مناطق جنوب شرق الأناضول متأخرة اقتصادياً وغير مستقرة كما لا يوجد فيها موارد طبيعية أخرى، لذا فإن تركيا تؤكد دائماً على أن مشاريعها تعمل لسد الحاجات الاجتماعية والاقتصادية لسكان المنطقة وضمان استقرارهم وأن الأولوية الأولى للمياه وبدون منازع هي للأتراك كما وأنها ترفض المطالبات السورية والعراقية بخصوص احتياجاتهما المائية واعتبار تلك المطالب مبالغاً فيها وأن كمية المياه التي تمنحها لكلا البلدين تعد أكثر من كافية لحاجتهما الفعلية وأن كل ما تقوم به هو حجز الماء الذي يذهب هدرًا في هاتين الدولتين.^(١٤)

إن تركيا حاولت ومنذ وقت مبكر استخدام المياه كورقة ضغط سياسي وجيوبوليتيكي، كمرحلة أولى ضمن أهدافها في الحصول على النفط مقابل المياه إذ لم تكن سياستها المائية في هذه المرحلة استجابة طبيعية لنقص في المياه بقدر ما كانت محاولة منها لإحكام سيطرتها على مياه نهر الفرات لغرض مساومة العراق للحصول على مكاسب اقتصادية وفي هذه المرحلة على وجه التحديد.^(١٥)

وتعمل تركيا في الوقت الحاضر على إقامة العديد من المشاريع الاقتصادية التي تستهدف التنمية المستدامة فضلاً عن ذلك فإنها تقوم بهذه المشاريع على حساب الدول المتشاطئة معها من دون أن تكثر لآثارها السلبية على هذه الدول التي سبق واشتكت من الممارسات التركية في بناء السدود التي

تسعى الى تأمين حصصها المائية للأراضي الزراعية الجديدة من اجل سلتها الغذائية وكذلك انشاء المحطات الكهربائية لسد حاجتها في مجال الطاقة داخل اراضيها. (١٦)

ثانياً: الفرات:

ينبع نهر الفرات من المرتفعات الجبلية الوعرة في المنطقة الشرقية لتركيا ويتكون مجراه الرئيس من عدة منابع اهمها فرات صو ومراد صو، وتبلغ مساحة حوضه الجغرافي حوالي ٤٤٤ الف كم^٢ منها في تركيا ١٢٢ الف كم^٢ وفي سوريا ٧١ الف كم^٢ وفي العراق ٢٠٦ الف كم^٢ وعلى الرغم من طول النهر في العراق الا ان اكثر مصادر تغذيته تقع في تركيا وحسب معدلات الدفع التي سجلتها عدادات بلميس كوي في تركيا فأن معدل الدفع السنوي (٣٠٧٧٧) مليون م^٣/ ثانية. وتقع بعض فروع تغذيته من الجبال الكبيرة الواقعة في تركيا اذ يخرج من المنطقة الجبلية شمال ارضروم حيث يزيد ارتفاعها عن ثلاثة الاف متر فوق مستوى سطح البحر وهي المنطقة المحصورة بين بحيرة وان والبحر الاسود.

ويعتبر نهر الفرات وفق قواعد القانون الدولي نهراً دولياً لاشتراك اكثر من دولة في مجراه وقد الزمت قواعد القانون الدولي للمياه في غير الشؤون الملاحية دولة المنبع اشعار دولة المجرى مسبقاً عن النية لاقامة مشاريع مائية على النهر المشترك ولم تجيز اقامة هذه المشاريع قبل التوصل الى اتفاق مع دول المجرى، وبما ان النهر الدولي هو النهر الذي تقع اجزاء منه في دول مختلفة وينطبق ذلك على نهر الفرات الذي وتشترك في مجراه ثلاث دول هي العراق وسوريا وتركيا ثم ان على الدول المشتركة في الحوض الدولي حقوقاً متقابلة في استغلال مياهه والتزامات متبادلة في ضرورة احترام الحقوق المكتسبة. (١٧)

وتطبق تركيا نفس الرؤيا السياسية التي تعتمد عليها في نهر دجلة على نهر الفرات فطبقاً لوجهة النظر التركية فان النهر الدولي هو النهر الذي يشكل خط الحدود بين دولتين او اكثر من اجل الادعاء بحق السيادة المطلقة على مياهها داخل اراضيها وهوما يتعارض مع مفهوم النهر الدولي ومع طبيعة الحقوق التي يقرها القانون الدولي للدول المتشاطئة على الانهار الدولية. (١٨)

ان السياسة التركية تناقض قانونيا مبدأ الاستخدام المنصف والمعقول الذي يقضي بأن تحدد حصص المياه من المجرى الدولي طبقاً لعوامل تؤخذ بالاعتبار ظروف كل حوض والمشاريع القائمة عليه واسبقية استخدام مياهه.

كما ان تركيا تنهز من اللجوء الى قواعد القانون الدولي لوضع حل عادل للخلاف القائم بل انها لا تعترف في اغلب الاحيان بوجود قواعد قانونية دولية تنظم الانتفاع بمياه الانهار الدولية.^(١٩)

ولا تزال تركيا تعتبر نهر الفرات غير معني بالقوانين الدولية واستناداً إلى ذلك، أقامت مشاريعها المائية دون التشاور مع جيرانها من دول الحوض (سوريا والعراق). وبذلك نسفت مبدأ الحقوق المشتركة المتساوية لدول الحوض ولم تخالف بنود القانون الدولي وحسب، بل أضرت بدول الحوض التي لديها العديد من المشاريع الاقتصادية نتيجة انخفاض التدفق المائي عبر النهر كما أنها خالفت المادة (د) من مبادئ هلسنكي لعام ١٩٦٦ باعتبار الفرات نهراً دولياً واعتبرت الفرات نهراً عابراً للحدود يقطع حدودها عبر الدول ولم تراعي الحقوق التاريخية المكتسبة لدول الحوض وأيضاً لم تمتثل إلى مبدأ التعويضات التي أقرتها مبادئ هلسنكي لعام ١٩٦٦ واستخدمت مبدأ الاستخدام التعسفي للحق في استثمار وتخزين مياه نهر الفرات.^(٢٠)

ان مختلف المشاريع التي اقيمت على نهر الفرات في البلدان الثلاثة المشتركة في النهر تركيا وسوريا والعراق ذات طبيعة تنافسية وليست تكاملية، وتعكس المشاريع المقامة والمخطط لها بدول حوض دجلة والفرات مدى تجاوز هذه المشاريع لامكانية النهر، اذ يقدر ان مياه الفرات تكفي لري حوالي ٥,٢ مليون هكتار سنوياً فيما تخطط الدول الثلاث وحسب المعلومات المتبادلة عام ١٩٨٣ في اللجنة الفنية المشتركة الى ري حوالي ٣,٤ مليون هكتار منها ٤٤٦,١ ألف هكتار في تركيا، و ٧٣٦,٠ ألف هكتار في سوريا و ٩٥٤,١ ألف هكتار في العراق وهذا يعني ان احتياجات البلدان الثلاث تفوق متوسط ايرادات النهر السنوية بحوالي مرتين وهو ما يسمى في القانون الدولي بتنازع المصالح ولا يمكن ازالة هذا التنازع الا باتفاق الاطراف على التنازل عن جزء من المشاريع التي ربطتها بنهر الفرات وفقاً للاحتياجات الاجتماعية

والاقتصادية لكل بلد مع مراعاة الموارد المائية البديلة والموارد المادية لكل منها، وان المشكلة الرئيسية بين دول نهر الفرات هي مشكلة ادارة وتوزيع وتخطيط استخدام الموارد المائية لهذين النهرين اكثر منها ازمة نقص مياه.

وكانت سوريا اولى الدول النهرية التي حاولت بصورة موسعة ان تضبط مياه الفرات ومرد ذلك الى ضعف مواردها المائية بالنسبة للعراق وتركيا وكان الاتحاد السوفييتي سابقا هو المسؤول عن انشاء سد الطبقة او الثورة على الفرات على مسافة ٤٠ كلم جنوب الحدود التركية اما ملء بحيرة الاسد بسعة ١٤ مليون م^٣ فبدأ عام ١٩٧٦ وقد انشئ السد لتأمين المياه للزراعة ولقطاع الطاقة المتصلة ب ٨ توربينات كل منها ١٠٠ ميغاواط.^(٢١)

اما اهم السدود التي اقامتها تركيا على نهر الفرات هي:

- ١- سد كيبان: هو اول السدود التركية الذي انجز عام ١٩٧٤ وتبلغ سعته التخزينية ٣٠ مليون متر مكعب والهدف الأساسي منه توليد الكهرباء ويقع عند التقاء رافدي الفرات الرئيسيين.
- ٢- سد قرة قاية: تم بناؤه عام ١٩٨٦ وهو ثاني اكبر سد تركي لتوليد الطاقة الكهربائية وتبلغ سعته التخزينية ٩,٥٤ مليار متر مكعب.
- ٣- سد اتاتورك: هو اكبر السدود التركية ويعتبر رابع اكبر سد في العالم من حيث الحجم وسعته التخزينية ٤٨,٧ مليار متر مكعب، ويهدف الى انتاج الطاقة الكهربائية وارواء مساحات من الأراضي تقدر حوالي ٨٧٠ الف هكتار.*

- ٤- نفق شانغلي اورفا: ويأخذ مياهه من سد اتاتورك ويبلغ طوله ٢٦,٤ كم وقطره ٧,٥ متر وهو عبارة عن نفقين كبيرين يبلغ تصريفهما ٣٢٨ مترا مكعبا والغرض منه نقل مياه الفرات الى سهول اورفة وحران.^(٢٢)
- وتعتبر هذه السدود جزء من مشروع (GAP) الواقع في محافظات جنوب شرق تركيا والذي يتضمن عدة مشاريع اخرى منها (غازي عنتاب- ادي بامان- شانلي اورفا- سيرت- ديار بكر- ماردين)^(٢٣) وتقدر مساحتها ٨٦٣,٧٣ كم^٢ ما نسبته ٥,٩% من اجمالي مساحة تركيا، وقدرت تكلفته ب ٢٠ مليار دولار

امريكي وكان من المتوقع الانتهاء منه قبل عام ٢٠٠٠ وهو مشروع ضخم ومتعدد الجوانب والأغراض.^(٢٤)

وأما أهم المشاريع السورية على نهر الفرات هي:

١- سد الطبقة (الثورة) ١٩٧٤: هو من أكبر المشاريع التخزينية السورية على نهر الفرات يبلغ ارتفاعه ٥٩ متراً وسعته التخزينية ١٤ مليار م^٣ من المياه في بحيرة الاسد وطوله ٤٥٠٠ متراً وعرضه ٦٠ متر وينتج طاقة كهربائية تقدر ب ٢,٥ مليار كيلو واط تمثل ٤٥% من احتياجات سوريا للكهرباء، وكلف السد نحو مليار دولار ويهدف الى ارواء مساحة تقدر ب ٦٨٠ ألف هكتار واستصلاح اراضي تصل الى ٦٤٠ ألف هكتار وهناك مجموعة مشاريع اخرى لمشروع سد الطبقة منها ما تم تنفيذه مثل مشروع قناة البليج الرئيسية الذي تم انشاؤه عام ١٩٨٥ وقنوات الري ومحطات الضخ بمشروع بئر الهشم في منطقة حوض البليج وشبكات الري في مشروع الفرات الاوسط الذي تم استصلاح اراضيه سنة ١٩٨٤.

٢- سد البعث: وبدأ العمل فيه عام ١٩٨١ ويقع هذا السد على بعد ٧٦ كم من سد الطبقة وهو من الاسمنت المسلح والهدف منه تنظيم جريان المياه التي تعبر سد الطبقة وتقليل تذبذب منسوب المياه في النهر الى نصف متر، والاستفادة من مياه خزن السد في توليد الكهرباء والتي تقدر بنحو ٣٧٥ مليون كيلو واط في الساعة سنوياً.^(٢٥)

٣- سدي الحسكة الغربي والشرقي على روافد نهر الخابور: وقد انشأت سوريا سدين صغيرين على احد روافد نهر الخابور شمال الحسكة بمسافة ١٥ كيلو متراً هما سد الحسكة الشرقي وسد الحسكة الغربي وهما سدان ترابيان سعتهما التخزينية ٣٢٠ مليون متر مكعب والهدف منهما ارواء مساحات زراعية.

٤- سد تشرين: ويقع هذا السد على نهر الفرات في موقع يوسف باشا قرب الحدود السورية التركية والغرض الرئيسي منه توليد الطاقة الكهربائية وتبلغ قدرته التخزينية ٩,١ ملياراً م^٣ ويضم ٤ وحدات توربينية سعة كل منها ١٠٠ ميغا واط والطاقة التي يمكن توليدها من المحطة الكهرو مائية تقدر ٦,١ مليون كيلو واط في الساعة بالسنة، وقد تم مباشرة العمل بالاعمال التمهيدية خلال عام ١٩٨٩ ويبلغ

ارتفاع هذا السد بين ٢٠ الى ٢٥ نتر ومساحة البحيرة ١٥٠ كم^٣ ومنسوب التخزين فيه ٣٢٥ وتصريف المياه ١٧٠٠٠ م^٣ في الثانية.^(٢٦)

ثالثاً: شط العرب:

تطلق هذه التسمية على الشبكة المائية السفلية الكائنة اسفل نقطة التقاء نهري دجلة والفرات شمال البصرة ان الموقع الدقيق لنقطة الالتقاء هذه غير واضح كما ان معظم المياه التي تصبها دجلة والفرات تتحد سوية في شبكة من المستنقعات والاراضي السبخة تمتد من القرنة الى البصرة وان اوضح نقطة التقاء قد تغيرت بمرور الزمن، وتختلف المنطقة المتحدة ممن البحيرات والمستنقعات الكائنة في رأس الخليج العربي في مساحتها فهي تبلغ ٨، ٢٢٨ كم^٢ في نهاية فصل الجفاف (الصيف) و ٢٨,٤٩٠ كم^٢ اثناء الفيضان الربيعي كما ان الامطار الشتوية والمياه الناتجة عن ذوبان الجليد في تركيا تزيد هذه المساحة.

ويقع شط العرب ضمن الحدود العراقية حتى نقطة تبعد حوالي ٦٠ كم فوق الخليج ١٥ كم فوق مدخل الكارون وان المنطقة الواقعة اسفل الكارون تمثل الحدود الدولية بين العراق وايران.^(٢٧)

ويعتبر شط العرب نهراً دولياً وذلك حسب ما نصت عليه المادتين الثامنة والتاسعة من اتفاقية الجزائر اذ نصت المادة الثامنة على ضرورة وضع القواعد المتعلقة بالملاحة في شط العرب من قبل لجنة مشتركة عراقية - ايرانية حسب مبدأ الحقوق المتساوية في الملاحة وقيام لجنة اخرى بوضع القواعد الخاصة لمنع التلوث والسيطرة عليه في النهر.

اما المادة التاسعة فقد نصت صراحة على اعتبار شط العرب طريق للملاحة الدولية والزمّت الطرفين بالامتناع عن كل استغلال من شأنه ان يعيق الملاحة فيه الا ان ايران قد اغلقت شط العرب في وجه الملاحة الدولية منذ بداية الحرب العراقية الايرانية عام ١٩٨٠.^(٢٨)

كما ان العمل باتفاقيات ١٩١٣ و ١٩٧٥ بشأن النهركان غير مستقر بحسب طبيعة انظمة الحكم في البلدين وهي متغيرة وخاصة في التاريخ المعاصر فقد غلب الجانب السياسي في اتفاقية ١٩٧٥ على الجانب الفني والحقوق الجغرافية الحدودية المتعارف عليها، لقد اراد الطرفان منها التخلص من الضغوط

التي يواجهانها في الداخل لكنها لم تكن حلاً لمشاكل الحدود وخاصة فيما يتعلق بشط العرب، ان المياه في شط العرب لا تتأثر بالاجراءات والمشاريع الايرانية فحسب وانما بعوامل عديدة اخرى منها المشاريع في جنوب شرق تركية وسياسة العراق المائية المضطربة والتي يغلب عليها الطابع السياسي.^(٢٩) ويتأثر شط العرب بحركة المد والجزر في الخليج العربي وعلى طول مجراه والتي تسهل عملية دخول السفن الصغيرة والمتوسطة الحمولة اليه من الخليج العربي حتى ميناء البصرة ونتيجة لهذا التأثير يتم ارواء البساتين الممتدة على جانبي شط العرب، وتعتمد مياه شط العرب بشكل رئيسي على نهري دجلة والفرات وايضا على شبكة الروافد المصرفة من هور حمار وهور الحويزة ويمتد شط العرب الى سطح مياه الخليج العربي حوالي ٥ كيلومتر.^(٣٠)

يجري شط العرب في ارض عراقية على كلتا ضفتيه ما عدا المنطقة التي تمتد على الساحل الأيسر في ايران من جنوب البصرة حتى الخليج العربي، ويخضع بأكمله الى السيادة العراقية ما عدا ١٤ كم منه ٧ منها تقع في مدينة المحمرة الايرانية وال ٧ الاخرى تقع في مدينة عبادان الايرانية أيضاً^(٣١) وبذلك فان هذه المنطقة تخضع لخط التالوج وهو الخط الملاحي العميق لمجرى النهر ثم تعود الحدود العراقية لتتصل بالساحل الايسر الايراني حتى مصب النهر في الخليج العربي، وقد تم تحديد حدود شط العرب بين ايران والعراق في معاهدة عام ١٩٣٧ التي وقع عليها الطرفان ووفق هذه الاتفاقية لا يحق لايران ان تدعي بأن شط العرب نهر دولي يخضع لنظرية التالوج* في تحديد الحدود بين البلدين.^(٣٢)

وتشكل الملاحة النهرية احد الاستخدامات العراقية المهمة في شط العرب وان قلة كمية المياه المتدفقة عن المعدلات الطبيعية سوف تؤدي الى انعدام الملاحة النهرية بسبب قلة المياه في حوض الفرات الأدنى كما ان المشاريع التركية على نهري دجلة والفرات ستؤدي الى انخفاض منسوب المياه في النهرين والذي سيؤدي الى انخفاضه في شط العرب الى النصف وهذا يؤدي بدوره الى زيادة الملوحة في الشط وشمال الخليج العربي وسينتج من ذلك تأثير في البيئة البحرية في شمال الخليج العربي بشكل كبير.

كما ان اي نقص في الكمية او قطع مياه نهري دجلة والفرات سيؤدي الى شح مياه شط العرب الذي يعد المنفذ المائي الوحيد للعراق^(٣٣).

وقد اقامت ايران العديد من السدود على الانهار المغذية لشط العرب كنهر الكارون الذي يعد من اهم الروافد للنهر واهم تلك السدود هي:

١- سد الدز: اقيم هذا السد على نهر الدز احد روافد نهر الكارون بطاقة استيعابية تبلغ ١,٣٤ مليار م^٣ والغرض منه هو للزراعة وتوليد الطاقة الكهربائية وقد تم انجازه عام ١٩٩٢، كما انه هناك ٥ مشاريع اخرى للسدود مخطط لها.

٢- سد كارون ١: وهو ثاني اضخم سد في ايران ومن السدود المهمة المقامة على نهر الكارون لغرض انتاج الطاقة الكهربائية تم انشاءه عام ١٩٧٧.

٣- سد كارون ٢: اقيم على نهر الكارون مع انشاء قناة لتحويل مجرى نهر الكارون باتجاه السد والغرض من انشاءه هو السيطرة على مياه الفيضانات وانتاج الطاقة الكهربائية.

كما قامت ايران بانشاء عدد من السدود التحويلية على نهر الكارون وروافده وهي:

١- سد دز التحويلي: وهو سد خرساني انجز عام ١٩٧٠ بمعدل تصريف ٢٥٠ م^٣/ث.

٢- سد كودفند التحويلي: انشأ على نهر الكارون في مدينة كودفند الايرانية وانجز في عام ١٩٧٧.^(٣٤)

اما اهم المعاهدات التي عقدت بين العراق وايران بشأن النهر فهي:

١- معاهدة ارضروم الثانية عام ١٨٤٧: وقد نصت في مادتها الثانية ان الحكومة العثمانية تعترف بسيادة ايران على مدينة خرمشهر ومينائها وجزيرة خضر (ابادان) والمرسى والاراضي الواقعة على الضفة الشرقية من شط العرب، واما موضوع شط العرب فقد اتفق الطرفان على ان يسير خط الحدود بينهما مع ضفته الشرقية مع الاعتراف الكامل بمياه شط العرب للعراق.

- ٢- بروتوكول عام ١٩١٣: تم توقيع هذا البروتوكول حول الحدود العراقية الايرانية بين الدولة العثمانية وايران باشراف بريطانيا حول خط الحدود في شط العرب.^(٣٥)
- ٣- اتفاق عام ١٩٣٧: وقع هذا الاتفاق لتنظيم الحدود بين البلدين واعطى لايران حقوقا في شط العرب ومكاسب اخرى مثل حرية الملاحة للبلدين في الشط، مع بقاء السيادة على الشط للعراق. وقد استمر هذا الحال على ما هو عليه حتى عام ١٩٦٩ عندما اعلن الشاه محمد رضا بهلوي الغاء اتفاقية عام ١٩٣٧ وطالب باتفاق جديد.^(٣٦)
- ٤- اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥: عقدت هذه الاتفاقية بجهود من الرئيس الجزائري بومدين بين العراق وايران في ايران وقد جاء فيها:
 - ١- اجراء تخطيط نهائي للحدود البرية بناءً على بروتوكول القسطنطينية لسنة ١٩١٣ ومحاضر لجنة ترسيم الحدود لسنة ١٩١٤.
 - ٢- تحديد الحدود البرية للدولتين حسب خط التالوك (وهو خط وسط المجرى الرئيسي الصالح للملاحة عند خفض المنسوب ابتداءً من النقطة التي تنزل فيها الحدود البحرية في شط العرب حتى البحر).
 - ٣- يعيد الطرفان الامن والثقة المتبادلة على طول الحدود المشتركة ويلتزمان باجراء رقابة مشددة وفعالة على حدودهما، وذلك من اجل وضع حد نهائي لكل التسللات ذات الطابع التخريبي من اين ما اتت.
 - ٤- اتفق الطرفان على اعتبار هذه الترتيبات اعلاه كعناصر لا تتجزأ لحل شامل وبالتالي فان اي مساس باحدى مقوماتها يتنافى بطبيعة الحال مع روح اتفاق الجزائر، وسيبقى الطرفان على اتصال دائم مع الرئيس هوارى بومدين الذي سيقدم عند الحاجة معونة الجزائر الاخوية من اجل تطبيق هذا القرار ويعلن الطرفان رسميا ان المنطقة يجب ان تكون في مامن من اي تدخل خارجي.^(٣٧)ويذكر انه قد تم الغاء هذه الاتفاقية في عام ١٩٨٠ من قبل العراق بعد قيام الثورة الاسلامية في ايران وكان ذلك احد اسباب الحرب العراقية الايرانية.^(٣٨)

ويعتبر شط العرب المنفذ الوحيد للعراق الى البحر ولا يمكن للعراق ان ينشأ ميناءا عليه وذلك بسبب ضيق ساحل النهر واحتوائه على المستنقعات، كما ان لدى ايران ساحل طويل يحتوي على موانئ مهمة كثيرة، بالاضافة الى ذلك فان الشط يجري من خلال منطقة مالحة ومنخفضة حيث يحمل كميات كبيرة من الرواسب الطينية. ومن اجل تأمين حرية الملاحة في الشط فان على كل دولة ان تقبل في بعض التحديد لسيادتها عليه وعدم التدخل في الحدود الملاحية للدولة الاخرى تجنباً للمشاكل التي قد تقع.^(٣٩)

وقد نظمت الملاحة في شط العرب لأول مرة بعد الحرب العالمية الاولى بموجب بيانين صادرين عن القائد العام للقوات المسلحة البريطانية عام ١٩١٩ والمتعلقين بميناء البصرة والملاحة في شط العرب حيث اعلن بموجبهما عن مسؤولية ادارة ميناء البصرة للقيام بكافة الخدمات اللازمة لادارة الملاحة وما يتعلق بها في شط العرب مع بيان صلاحية ادرة الميناء في فرض الرسوم لقاء ما تؤديه من خدمات، وعند ابرام معاهدة الحدود بين العراق وايران عام ١٩٣٧ تقرر بمقتضاها ان تقوم الحكومة العراقية بهذه المهمة الى حين عقد اتفاقية بين البلدين خاصة بالملاحة في الشط العرب، الا ان هذه المفاوضات بشأن عقد هذه الاتفاقية قد فشلت لذا استمرت الحكومة العراقية في تنظيم وادارة الملاحة في الشط حتى توقيع اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥.^(٤٠)

يتكون شط العرب من النقاء نهري دجلة والفرات في منطقة كرمة علي ويبلغ طول النهر ١٩٢ كم وعرضه من ٣٥٠ الى ٢٢٠ م ويلتقي النهران في منطقة القرنة ليكونان النهر الذي يصب في الخليج العربي لمسافة ١٩٥ كم، ومن اهم الانهار الايرانية التي تصب فيه هو نهر الكارون والكرخة الذين يكونان ما نسبته ٤١% من مياه النهر، ويعتبر من اهم مصادر المياه العذبة التي تصب في الخليج.^(٤١) لقد قامت ايران بنقل المياه من سدود اعالي الكارون الى محافظتي اصفهان ويزد في وسط ايران وذلك باستخدام الانابيب لمسافة تصل الى اكثر من ١٠٠٠ كم وقد تم اكمال هذا المشروع عام ٢٠٠٠، وفي عام ٢٠٠٩ تم تحويل مياه نهر الكارون الى داخل الاراضي الايرانية وقطعه كلياً عن تجهيز شط العرب

مما سبب بارتفاع نسبة الملوحة مما أدى الى تغيير نوعية المياه الامر الذي اثر بشكل كبير على الحياة الاجتماعية والسكانية لمحافظة البصرة.^(٤٢)

الهوامش:

(١) عبد المنعم هادي علي، دراسة جغرافية قانونية لحقوق العراق المائية المكتسبة في نهري دجلة والفرات، مجلة اوروك للابحاث الانسانية، جامعة تكريت، المجلد ٣ العدد ١، ٢٠١٠، ص ١٨٤.

(٢) سمير هادي سلمان، القواعد الدولية المنظمة لاقتسام المياه ومشكلة توزيع مياه حوضي دجلة والفرات بين تركيا والعراق، رسالة ماجستير منشورة، العارف للطبوعات، بيروت لبنان، ٢٠١٤، ص ٤٨.

(٣) Nadhir alansari, hydro-politics of the tigris and Euphrates basins, scientific research publishing, lulea university of technology, lulea, Sweden, 2016, p 152.

(٤) Allan Nakrof, International Law, saymon press, London, 2017, p80.

(٥) محمد عبد صالح حسن، أزمة المياه بين الموقفين التركي والعراقي، مركز الدراسات القانونية والسياسية جامعة النهرين، السنة بلا، ص ٤.

* مبدأ هارمون: سمي هذا المبدأ بهذا الاسم نسبة الى واقعة هارمون والذي يرى بأن للدولة السيادة المطلقة على مياه النهر الذي ينبع من حدودها الجغرافية للمزيد انظر: Genefer Lonson, Water in international law, Liver press, London, 2017, p73

(٦) Stephen C. McCaffrey, the harmon doctrine one hundred years later buried not praised, natural resources, J3 journal, 1996, p 550.

* خطة المراحل الثلاث: هي خطة تركية من اجل دراسة واقع المياه، الزراعة والتربة والتخطيط الهندسي للمشاريع الحالية والمستقبلية في البلدان الثلاث (تركيا - العراق - سوريا) من اجل وضع معايير محددة للأراضي التي تخصص لها المياه بهدف استبعاد زراعة بعض المحاصيل بحجة انها ذات استهلاك كبير للمياه وكذلك توحيد المعايير الاقتصادية للمشاريع الزراعية في البلدان الثلاث.

(٧) حقي اسماعيل علي الندوي، النزاعات الدولية للمياه المشتركة في بلاد ما بين النهرين، مكتبة زين الحقوقية والادبية، بيروت، ٢٠١٣، ص ٩٦.

* الحقوق المكتسبة: وهي الحقوق التاريخية المكتسبة للعراق من نهري دجلة والفرات وذلك لان العراق من اقدم البلدان في العالم وقد عرف باسم بلاد النهرين وذلك لوجود دجلة والفرات وبذلك فإنه يتمتع بحقوق تاريخية مكتسبة لا يمكن لأي دلة منعه منها.

(٨) طالب عبدالله فهد، المجاري المائية الدولية في بعض الدول العربية (الهلال الخصيب) في ضوء اتفاقية الأمم المتحدة للأنهار الدولية، دار الفكر الجامعي ، الاسكندرية ، ط ١، ٢٠١٧ ، ص ١٠٥.

(٩) James Arven, the haydrolical water rivers in the middle east, raymon press, London, 2017, p63.

(١٠) آمال وهاب، السياسة الدولية والاقليمية للمياه المشتركة دراسة حالة سد اليسو التركي، كلية القانون والعلوم السياسية، مجلة كلية القانون والعلوم السياسية، جامعة كركوك، العدد ١٠، ٢٠١٤، ص ٢٥٢.

(١١) SteveSteron, waters geographic aspiration, war and peace, hymond press,u.s.a,2 e d,2018, p82.

(١٢) رعد عيدان عبيد العتابي، التحديات التي تواجه تحقيق الامن المائي في ظل تأثير العوامل الخارجية والداخلية في العراق، مجلة الكوت للعلوم الاقتصادية والادارية كلية الادارة والاقتصاد جامعة واسط، العدد ٢٨، الجزء الاول، ٢٠١٧، ص ٦.

(١٣) James Burke- Neol Siemon -Alexandre Lasslop, tigris and Euphrates and the global water crisis, research, international soace university, space studies program,2011, p33.

(١٤) فؤاد قاسم الأمير، كيف تنتظر تركيا إلى مياه دجلة والفرات وإلى القانون الدولي حول حقوق العراق فيهما، مقالة منشورة على الرابط: <http://www.albadeeliraq.com/ar/node/929>

(١٥) عباس حمزة علي، مشكلة المياه في ظل التغيرات المناخية واثرها في الأمن المائي العراقي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة القادسية، ٢٠١١، ص ١٥.

(١٦) ايمن عبدالكريم حسين، شراكة المياه في المجاري المائية الدولية في ضوء القانون الدولي، مركز البيان للدراسات والتخطيط، بغداد، ٢٠١٨، ص ٧.

(١٧) عبدالرضا كاطع حسون، استخدامات نهر الفرات غير الملاحية في ضوء احكام القانون الدولي، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة الكوفة ، ٢٠١١، ص ١٨- ٢٤.

(١٨) Harbert Ion, international law, between theory and practice, iec-ban press London, 2017, p53.

(١٩) فرح عبدالكريم محمد، النزاع على المياه بين العراق وتركيا ٢٠٠٣-٢٠١٤، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الاوسط، الاردن عمان، ٢٠١٤، ص ٨٥.

(٢٠) صاحب الربيعي، الاتفاقيات المائية بين العراق ودول حوض الفرات، مقالة منشورة على الرابط: <http://www.watersexpert.se>

(٢١) طالب عبدالله فهد، المجاري المائية الدولية في بعض الدول العربية (الهلال الخصيب) في ضوء اتفاقية الامم المتحدة للأشهر الدولية، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٦، ١٠٧.

* رفض البنك الدولي تمويل سد اتاتورك بدون وجود اتفاق بين الدول الثلاث وذلك لاهمية هذا السد واثاره الكبيرة على سوريا والعراق وذلك وفقاً للقواعد التي تبناها هذا البنك، ولم تطبق تركيا هذه القواعد عند بناء سد اتاتورك في حين طبقتها عند بناء سد قرة قايا ولذلك فقد قام البنك الدولي ذلك السد وملئه تدريجياً وفق التعهدات التركية، ويعتبر انشاء سد اتاتورك بهذا الشكل اهداراً من تركيا لقواعد القانون الدولي كما انه يعتبر خرق لمعاهدة تركيا والعراق لعام ١٩٦٤ والتي تقضي بتزويد العراق بمعلومات المشاريع الخاصة التي تقوم تركيا بانشاءها.

(٢٢) سامر مخيمر، خالد حجازي، ازمة المياه في المنطقة العربية الحقائق والبدائل الممكنة، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٧، ص ٢٨.

(٢٣) طالب عبدالله فهد، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٨.

(٢٤) سليم ادهم، مشروع جنوب شرق الاناضول GAP واثرها في ازمات الشرق الاوسط، الراصد للطباعة، عمان، ٢٠٠٣، ص ٥٢.

(٢٥) نضال احمد بدر، الابعاد الجيو سياسية لمشكلة مياه حوض نهر الفرات واثرها على العلاقات التركية السورية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة غزة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠١٢، ص ٤٨-٤٩.

(٢٦) طالب عبدالله فهد، المجاري المائية الدولية في بعض الدول العربية (الهلال الخصيب) في ضوء اتفاقية الامم المتحدة للأشهر الدولية، مصدر سبق ذكره، ص ١١٠-١١١.

(٢٧) المياه في الشرق الاوسط صراع ام تعاون، سلسلة بحوث عسكرية، دائرة التدريب مديرية التطوير القتالي، ط الاولى، ١٩٨٧، ص ٢٨.

- (٢٨) عصام العطية، القانون الدولي العام، كلية القانون، جامعة بغداد، ط ٥، ١٩٩٢، ص ٢٤٢.
- (٢٩) عبد المالك خلف التميمي، المياه العربية، التحدي والاستجابة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨، ص ١٤٤.
- (٣٠) شذى كاظم خلف، جبار عبد زايد، تملح مياه شط العرب الواقع والمعالجات الممكنة، دراسة مقدمة لوزارة البيئة العراقية، ٢٠٠٩، ص ٣-٤.
- (٣١) احمد كاظم محمد، جيمورفولوجيا المياه العراقية، دار الوحدة بيروت، ٢٠٠٣، ص ٥٨.
- * يعني المصطلح القانوني (الثالوج) المجرى العميق الذي يصلح للملاحة باستمرار اذ يقول الاستاذ الهولندي الدكتور بوشية ان كلمة ثالوج لا تعني خطا حدوديا بل انها تعني منطقة حدودية وذلك لان القناة او المجرى الملاحي لا يمكن ان يكون خطأ، ولذلك فان المجرى الملاحي العميق للنهر او الثالوج لا يقسم النهر الى نصفين متساويين بل انه يتبع العمق الملاحي الذي تسير فيه السفن ولذلك فانه قد يقترب من احدى الضفتين او يبتعد عنها تبعا لعمق المياه ولذلك فان هذه النظرية تطبق على الانهار الملاحية من اجل تأمين الحقوق الملاحية للبلدين المتشاطئين على حد سواء. للمزيد انظر الى المصدر رقم (٣) خالد يحيى العزي، مشكلة شط العرب في ظل المعاهدات والقانون.
- (٣٢) خالد يحيى العزي، مشكلة شط العرب في ظل المعاهدات والقانون، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١، ص ١١٩ الى ١٢٤.
- (٣٣) غدير محمد سجاد، الامن المائي العربي والتحديات الاقتصادية والسياسية دراسة مستقبلية لحوضي دجلة والفرات، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، بغداد، ٢٠٠٢، ص ١١٢.
- (٣٤) عبد الامير احمد عبدالله، الانهار الحدودية المشتركة بين العراق وايران واثرها على الاراضي الزراعية والامن المائي العراقي، مجلة جامعة تكريت للعلوم، المجلد ٢٠، العدد ١، ٢٠١٢، ص ٣٨٤.
- (٣٥) عبد المالك خلف التميمي، المياه العربية التحدي والاستجابة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ٢٠٠٨، ص ١٤٢.
- (٣٦) Stefan kross, The perisian exipetion in thearab gulf, Rele – Make, press, London, 1992, p30.
- (٣٧) نص اتفاقية الجزائر، للمزيد انظر اتفاقية الجزائر بين العراق وايران عام ١٩٧٥، متاح على الرابط: [http://www.koord.com/webbook/book/aras/aras1/Book/sbarzani/Barzani-\(700-715\).pdf](http://www.koord.com/webbook/book/aras/aras1/Book/sbarzani/Barzani-(700-715).pdf)

- (٣٨) عبد المالك خلف التميمي، المياه العربية التحدي والاستجابة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان ، ط٢، ٢٠٠٨، ص١٤٣.
- (٣٩) المياه في الشرق الاوسط صراع ام تعاون، سلسلة بحوث عسكرية ،دائرة التدريب مديرية التدريب القتالي، ط١، ١٩٨٧، ص٧٨-٧٩.
- (٤٠) عصام العطية، القانون الدولي العام، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٠.
- (٤١) Nadhir alansari, ibid, p146.
- (٤٢) عبدالامير احمد عبدالله، الانهار الحدودية المشتركة بين العراق وايران واثرها على الاراضي الزراعية والامن المائي العراقي،مجلة جامعة تكريت للعلوم ، المجلد ٢٠، العدد ١، ٢٠١٢ ، ص ٣٨٤.

برامج اتفاقيات صندوق النقد والبنك الدوليين في العراق بعد عام ٢٠٠٣

أ.م.د. إياد خلف العنبر

أ.م.د. أكرم نعمة الجياشي

الباحثة هند عدنان شراد

المقدمة:

أعرب العراق عن نيته للتعاون الجاد مع صندوق المؤسسات المالية وعلى ضرورة وكيفية تنفيذ إصلاحات هيكلية أساسية لتحويل العراق إلى اقتصاد السوق بما في ذلك الإصلاح الضريبي وإصلاح القطاع المالي وإعادة هيكلة مؤسسات القطاع العام وما شاهده من أحداث سياسية، حرب داعش والاضطرابات والصراعات المستمرة من جانب، والتحديات الاقتصادية المتمثلة بازدياد البطالة والتضخم والعجز في الموازنة من جانب آخر، إضافة إلى الفساد الإداري والمالي الذي قاد بالسلوك السياسي العام إلى تفشي ظاهرة الفساد في العراق وتناول هذا البحث أبرز برنامج اتفاقيات صندوق النقد والبنك الدوليين مع العراق نتيجة للتحويل نحو اقتصاد السوق والإصلاحات المعدة لهذا الهدف نتيجة قيام العراق بعد عام ٢٠٠٣ بإرسال (خطاب النوايا) إلى إدارة الصندوق لغرض الحصول على المساعدات. وإن هدف هذه السياسة يتجلى بأعاده جدولة تلك الديون التي لا بد من الشروع ببرنامج اقتصادي مع هذه المؤسسات.

أهمية البحث:

تكمن أهمية الموضوع في التعرف على أبرز الاتفاقيات والبرامج التي أبرمها العراق مع صندوق النقد والبنك الدوليين بعد عام ٢٠٠٣. وتتمثل طبيعة وموجبات علاقة العراق بالمؤسسات المالية الدولية بالخلفية التاريخية للاستدانة الخارجية للعراق التي تكون قصيرة الأجل متمثلة بصندوق النقد الدولي أو طويلة الأجل تتعامل مع البنك الدولي بحكم القروض المقدمة للعراق باعتباره أحد البلدان ذات المديونية الكبيرة بسبب قصور إمكانية إدارة موارده البشرية والمالية بالصورة المرجوة ؛ لذا جاءت سياسات هذه المؤسسات بهدف ضمان الاستقرار السياسي والاقتصادي للبلد، إذ اختلف حجم تقديرات الاستدانة

الخارجية العراقية من جهة لأخرى وتنوعت الأسباب التي بموجبها عقدت هذه الديون مما أثار الجدل المترتب على حقيقة هذه الديون والفوائد
هدف البحث:

يهدف البحث الى توضيح جملة من الاهداف منها :

- ١- البحث وصولاً الى توضيح الاثر السياسي الذي لجأت اليه الحكومة العراقية باعتمادها على هذه الاتفاقيات وسبل الاستفادة من هذه القروض.
 - ٢- سبل الاستفادة من القروض المقدمة الى العراق من المؤسسات المالية الدولية.
 - ٣- معالجة سبل الاختلالات الحاصلة في طبيعة الاقتصاد العراقي .
 - ٤- عرض أبرز الاتفاقيات الحاصلة مع الحكومة العراقية.
- مشكلة البحث:

تدور مشكلة البحث حول ما هو دور صندوق النقد والبنك الدوليين في تحقيق استقرار العراق وماهي الاثار التي تتركها عند التعامل مع العراق.

الفرضية:

تأخذ اتفاقيات صندوق النقد والبنك الدوليين دوراً مهماً في تحقيق الاستقرار السياسي والاقتصادي للبلد ، لذا التغيرات التي شهدتها العراق بعد عام ٢٠٠٣ كان لها تأثيراً واضحاً استقرار البلد .

منهج البحث:

لغرض اثبات فرضية البحث وتحقيق اهدافها تم الاعتماد على المنهج الاستنباطي وذلك باتباع الاسلوب الوصفي التحليلي.

المبحث الاول: التحول نحو اقتصاد السوق:

يمتاز الاقتصاد العراقي قبل عام ٢٠٠٣ بصعوبة توصيفه ووضعه تحت نمط معين في حين أن عملية التحول التي تبنتها سلطة الاحتلال وفيما بعد الحكومة العراقية كانت على أساس أن النظام الاقتصادي

الذي تحتضنه التشكيلة السياسية والاقتصادية والاجتماعية كان هو النظام الاشتراكي ، اضافة الى أن قوات الاحتلال بعد عام (٢٠٠٣) عندما قامت بتدمير معظم المؤسسات والمشاريع الاقتصادية والبنى التحتية التي طالتها عجلة التدمير بسبب العمليات العسكرية لذا فان عملية تغيير النظام السياسي في العراق تحول الاقتصاد العراقي باتجاه آلية السوق لتحل محل الاقتصاد الشمولي الذي كان سائدا وفقا للتبرير الذين تبنا في عملية التحول وقتها غير أنه في حقيقة الامر أن عملية التحول كانت من اقتصاد مدمر بالكامل مع وجود فوضى سياسية وامنية تزامنت مع حالة التدمير ، من المعروف أن تجارب التحول الاقتصادي من القطاع العام الى القطاع الخاص ، وبالأخص في الدول المتقدمة تمت في ظل وجود دولة قوية كانت راعية ومساندة لعملية التحول لكن الأمر مختلف في العراق في ظل انهيار كامل للدولة اضافة لذلك أن مبررات تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي في الدول النامية هو غياب أو نقص فئة المنظمين أي رجال الأعمال الذين لديهم القدرة على استكشاف فرص الاستثمار والتعامل بعقلانية مع مؤشرات السوق والتفاعل معها ^(١).

بعد أحداث عام (٢٠٠٣) وانهيار النظام السابق ، فرضت سلطة الائتلاف سياسة اقتصادية جديدة بمنهج التحول نحو اقتصاد السوق وبناء نظام اقتصادي بعد مرحلة من الزمن طغت فيها توجهات الادارة المركزية في الاقتصاد العراقي ، لذلك انصبت خطوات التحول على الجانب الاقتصادي بوضع القوانين والتشريعات التي تضمنت حرية النشاط الاقتصادي واتخذت تدابير واجراءات طالت العديد من المجالات لتفعيل آليات وادوات السوق. وعلى الرغم من هذا التوجه والرغبة الشديدة في التحول نحو اقتصاد السوق إلا ان واقع الحال يشير الى تحولات شكلية واكتفت بتطبيق سياسة نقدية ومالية برهنت التجربة العملية على انها تجربة فاشلة اسهمت في اىصال الاقتصاد العراقي الى ما انتهى اليه ^(٢).

كذلك الظروف السياسية وعدم الاستقرار السياسي والأمني السبب الأول في تخلف الاقتصاد العراقي إذ ادت الظروف السياسية والاقتصادية التي مر بها العراق على اعتماد سياسات وبرامج انية تعكس ردود الفعل للظروف القائمة أكثر مما يعتمد على سياسات ذات نهج تنموي مما قاد الى فشل تلك السياسات في

تنمية الاقتصاد العراقي، وان السياسات التي عملت بها الحكومات في ظل النظام السابق كانت شمولية وبالتالي حولت سياسات الاقتصاد العراقي الى اقتصاد ريعي يشكل النفط حوالي (٩٢%) من صادرات العراق والمصدر الرئيسي في تمويل الموازنة العامة^(٣). في حين التحول نحو اقتصاد السوق ضمن العراق يتطلب تبني وتطبيق استراتيجية اقتصادية واضحة تتبثق منها حزمة متكاملة من السياسات الاقتصادية والمالية المرتبطة بتنفيذ برنامج استثماري واسع لزيادة النمو الاقتصادي وفي هذا السياق نؤكد على ضرورة مراعاة الأفكار الآتية^(٤):

- ١- العمل لأنواع صندوق النقد الدولي والبنك الدوليين لغرض تأمين الدعم الكافي المالي والفني .
 - ٢- ان تهيئة أرضية التحولات لأليات السوق تتطلب أن تسبق اية عملية تعديل لهيكل ملكية وسائل الانتاج مجموعة من الاجراءات تبدأ من التشخيص الدقيق لأوضاع الاقتصاد العام وتنتهي بإعادة هيكلة وحدات الانتاج المتعثرة وبخاصة في قطاع الصناعة التحويلية مروراً بتشخيص الأسباب الحقيقية لضعف الأداء في هذا القطاع .
 - ٣- يجب ان يسبق التحرير الاقتصادي في أي قطاع وضع تشريعات وضوابط منظمة للسوق وقوانين تضمن حقوق العاملين .
 - ٤- ضرورة الاستفادة من تجارب البلدان التي شهدت عمليات تحول ناجحة نحو اقتصاد السوق وكانت تعيش ظروفًا مشابهة لظروف العراق من حيث ثقل مديونتها الخارجية ، أو من حيث خضوعها لأنظمة حكم بيروقراطية .
 - ٥- ان السبيل الوحيد لضمان استمرار سيطرة الحكومة على متطلبات النمو الاقتصادي وشروط التراكم الرأسمالي هو عدم تفريطها بسيادتها في القطاع النفطي عند تطبيق برامج الخصخصة ، إذ ينبغي دعم هذا التوجه بالمطالبة بإدخال تعديلات دستورية كفيلة بأبعاد القطاع النفطي عن لعبة المحاصصة السياسية وصراع المصالح لتعزيز قوة اقتصاد الدولة ووحدة وقوة المجتمع العراقي .
- تهدف مجموعة السياسات التصحيحية الى دفع الاقتصاد القومي نحو السوق الحر من خلال^(٥) :

- أ- إعادة توزيع الأدوار بين القطاع العام والخاص.
 - ب- معالجة العجزات المزمدة في الموازنات العامة .
 - ج- تطوير فاعلية السوق ورأس المال وتنشيطها .
 - د- تكوين مناخ الاستثمار المناسب لتشجيع الاستثمار المحلي وجذب رؤوس الأموال الأجنبية .
 - هـ- تحسين الكفاءة في استخدام الموارد الاقتصادية النادرة عبر التسعير الملائم لتلك الموارد ولعناصر الانتاج وبالتحديد النقد الاجنبي ومصادر الطاقة ورأس المال .
- وليس خافيا بأن لصندوق النقد الدولي مطالب محددة يحددها ك شروط للإصلاح الهيكلي وهذه تختلف حسب المجالات الاقتصادية ، فعلى صعيد التجارة الخارجية تخفيض قيمة العملة الوطنية مقابل العملات الأخرى لكي تصبح المواد الخام المصدرة الى الخارج بأقل الأثمان ، وفتح أسواق حرة لتصريف العملات الأجنبية ، والغاء الرقابة على النقد الأجنبي وإزالة القيود المفروضة على التعامل بالعملات الأجنبية ، وبطبيعة الحال تؤدي هذه الاجراءات الى تخلي الدولة الممنوحة للتمويل عن حماية المنتجات الوطنية ، وعليها فرض نمط التجارة الحرة .وعلى الصعيد الوطني تتلخص شروطه بإلغاء الدعم الحكومي للسلع التموينية التي تشكل المصدر الأول لعيش الفقراء ومحدودي الدخل ،يحث أيضاً على زيادة الضرائب وتوزيعها على السلع والخدمات المختلفة ، وتقليص التوظيف الحكومي للعمالة. وأيضاً تخفيض الانفاق الحكومي الجاري وتقليص الانفاق على القطاعات الخدمية كالصحة والتعليم والاسكان والضمان الاجتماعي .

المبحث الثاني: اتفاقيات العراق مع صندوق النقد الدولي:

أولاً: الاتفاقية المساعدة ما بعد النزاعات الطارئة مع صندوق النقد الدولي في (٣٠ أيلول ٢٠٠٤):
أوضح العراق عن نيته للتعاون الجاد مع صندوق النقد الدولي وعلى ضرورة وكيفية تنفيذ لإصلاحات هيكلية أساسية لتحويل العراق إلى اقتصاد السوق بما في ذلك الإصلاح الضريبي وإصلاح القطاع المالي وإعادة هيكلة مؤسسات القطاع العام، وإن أولويات الصندوق قد انعكست بشكل رئيسي ومفصل في رسالة

النوايا المؤرخة بتاريخ (٢٤ أيلول ٢٠٠٤) والتي عبرت فيها الحكومة العراقية المؤقتة عن نيتها على إتباع سياسات تتماشى مع سياسات صندوق النقد الدولي وأن العراق قد سن قانوناً جديداً يتعلق بالاستثمارات الأجنبية ينص على السماح للأجانب بالاستثمار في جميع القطاعات الاقتصادية ولقد نصت الرسالة أيضاً على أن العراق قد وضع الخطط المناسبة للإصلاح وإعادة هيكلة المؤسسات العامة وكذلك إصلاح الدعم المالي وإصلاح النظام الضريبي في العراق^(٦). عند تتبع علاقة العراق بصندوق النقد الدولي نجد ان قبل عام (٢٠٠٣) لم يكن هناك تعامل جدي بين العراق وصندوق النقد الدولي لكون العراق بلداً نفطياً وزراعياً لا يحتاج إلى القروض ، لكن بعد الاحتلال وتغير النظام السياسي بدأت الاتصالات والاجتماعات بين ممثلي الحكومة العراقية وإدارة الصندوق من أجل حث الدول الأخرى لإطفاء الديون المترتبة على العراق، والحصول على قروض ودعم مالي من الدول المتقدمة لإعادة أعمار العراق وفك الاختلالات التي يعاني منها الاقتصاد العراقي بعد حالة الدمار الذي لحق بالبلد أثناء حرب الخليج الثالثة وما تلاها من أعمال تخريبية طالت البنية التحتية للاقتصاد العراقي، وتوقف الحركة الصناعية وتدهور الواقع الزراعي^(٧).

قام العراق في شهر أيار عام (٢٠٠٣) بإرسال ما يسمى (برسالة النوايا) الى ادارة الصندوق لغرض الحصول على مساعدة الصندوق البالغة (٦٣٤) مليون دولار لكنها مشروطة بتنفيذ البرنامج الاقتصادي للصندوق، الا ان العراق كان تحت الضغط الامريكي الذي أدخل في برنامج خاص يدعى (برنامج المساعدة الطارئة للدول التي اجتازت ظروف صعبة) وهي تمهيد لتطبيق برنامج الصندوق وشروطه الاقتصادية الذي يعد السبب الرئيس في لجوء العراق الى الصندوق هو حجم المديونية الكبيرة والبالغة (١٢٠) مليار دولار والتعويضات البالغة (١٢٧) مليار دولار وتعويضات أخرى وتقدر (٣٠٠) مليار دولار، لإعادة جدولة تلك الديون لابد من الشروع ببرامج اصلاح اقتصادي مع صندوق النقد الدولي^(٨). وفي أيلول عام (٢٠٠٤) وافق المجلس التنفيذي لصندوق النقد الدولي بإقراض العراق مبلغ (٢٩٧,١)

مليون دولار، من حقوق السحب الخاصة والجاهزية في الاقتصاد العراقي ضمن الدعم المالي و الدعم من قبل المؤسسات الدولية وهذا القرض الذي قدم إلى العراق يهدف إلى إعادة جدولة الديون العراقية^(٩) . إن تطبيق برنامج (المساعدات ما بعد النزاعات الطارئة) مع صندوق النقد الدولي هو من الشروط المسبقة من أجل إعادة جدولة الديون الخارجية المستحقة على العراق ومنها ديون دول نادي باريس، وديون دول خارج نادي باريس أيضاً وتطبيق جملة من الإصلاحات الهيكلية في الاقتصاد العراقي ، هذه الآلية الربط بين الدول المدينة وبرامج صندوق النقد تعد ضماناً للدائنين بالحصول على ديونهم، فضلاً عن الأهداف السياسية والاقتصادية التي قد تترافق مع هذه الآلية، وإن السياسات المطلوبة بموجب هذا الاتفاق تحقق الفوائد الآتية^(١٠):

- ١- تعزيز الثقة الدولية بالاقتصاد العراقي بهدف تقديم القروض والمساعدات من المنظمات الدولية ودمج العراق مع المجتمع الدولي .
- ٢- تطوير آليات عمل السياسات المالية والنقدية وإدخال كثير من الإصلاحات وإعادة ترتيب الحسابات والتدقيق على وفق المعايير العالمية .
- ٣- إن تطبيق شروط اتفاقية المساعدة ما بعد النزاعات الطارئة تتطلب تخفيض (٣٠%) من ديون العراق الخارجية .
- ٤- إن تنفيذ التزامات اتفاقية (المساعدة ما بعد النزاعات الطارئة) يكون الشروط الضرورية المطلوبة من أجل تنسيق مفتوح مع العراق تحت اتفاقية المساندة (SBA) .
- ٥- إن نجاح برنامج (المساعدات ما بعد النزاعات الطارئة) في العراق يمكن أن يكون أساساً قوياً للعراق لمناقشة اتفاقيات مشابهة مع الدائنين خارج نادي باريس وكذلك الدائنين الكبار في دول الخليج العربي. يمكن بيان أهم الإصلاحات الهيكلية وإجراءات السياسة الرئيسة بموجب اتفاقية (المساعدة ما بعد النزاعات الطارئة) من خلال الجدول (١٣).

جدول (١٣): يبين العلامات الهيكلية واجراءات السياسة الرئيسية بموجب اتفاقية المساعدة ما بعد النزاعات الطارئة EPCA.

الاجراءات الهيكلية	اقصى مدة لتنفيذ الاعمال	عمليات سير الاعمال
العمل على القيام بمسح مالي متطور	٢٠٠٥	القيام بعمل تحضيرى مستمر من اجل القيام بهذا المسح المالي إلا انه لم يتم هذا المسح لحد الآن
تأسيس نظام قائم للرواتب على أسس حديثة والعمل بموجب نظام للرواتب الآلي لكل موظفين الحكومة	٢٠٠٥	قامت الحكومة بتطوير نظام الرواتب وتعمل على إدخال الآليات الحديثة والمتطورة مثل بطاقات الائتمان المصرفي
تطوير الحسابات المالية الشهرية للحكومة المركزية والقطاع النفطي	٢٠٠٤	وزارة المالية تتابع اللجان في جمع البيانات والمعلومات المفقودة منذ زمن طويل
إصدار التعليمات بخصوص تراخيص المصرف والنسب القياسية المتعلقة بالمصارف	٢٠٠٤	لم يتم لحد الآن وهناك تعليمات ممكن إن تصدر بخصوص هذا الموضوع
تشريع قانون أنظمة الدفعات	٢٠٠٤	القانون الأول جاء بمساعدة (IMF)
تبني خطط جديدة من اجل السيطرة على السياسة الضريبية والعادات الإدارية	٢٠٠٥	بحاجة إلى توحيد السياسة الضريبية لابد من وضع الخطط الجديدة للنظام الضريبي
إجراءات السياسة الرئيسية		

زيادة أسعار المنتجات النفطية المحلية	٢٠٠٤	تم العمل على زيادة أسعار المنتجات النفطية
القيام بالتدقيق الخارجي من قبل البنك المركزي العراقي	٢٠٠٥	أجرت السلطات العراقية تدقيق الميزان المالي سنة ٢٠٠٥ وطلبت من شركات عالمية القيام بعمليات التدقيق
تبني قانون الإدارة وتطبيق التعليمات للعمل به	٢٠٠٥	صدرت تعليمات تقتضي العمل بموجب هذا النظام

Source : International monetary fund . Emergency – Post Conflict Assistance .

p21. 2004

ان عملية اطفاء الديون أو تخفيضها في العراق تأخذ مسارات محددة وفقاً للترتيبات مع صندوق النقد الدولي، تتمثل بثلاث مراحل^(١) :

أ- المرحلة الاولى: تعرف بالمساعدات الطارئة لما بعد الصراعات (EPCA)
(Emergency post conflict Assistance): وقعت في ٢٩ ايلول عام (٢٠٠٤)، إذ وقع العراق الاتفاقية الاولى مع صندوق النقد والتي تتلخص بنودها الرئيسية بما يأتي:

١. العمل على اصلاحات مالية وإدارة جيدة للنفقات .
٢. اصلاح سياسة الدعم الحكومي متمثلاً بأسعار المشتقات النفطية والبطاقة التموينية.
٣. تراجع دور تدخل الدولة في ادارة المشاريع الاقتصادية وخصخصة ما أمكن منها وتشجيع الصناعات الصغيرة والمتوسطة.
٤. البدء بتقديم الدعم النقدي للعوائل الفقيرة.

ب- المرحلة الثانية: تسمى ببرنامج الترتيبات المساندة أو التدبير الاحتياطي (SBA) stand by Assistance التي وقعت في عام (٢٠٠٥)، وفيها تم تخفيض ما نسبته (٦٠ %) من الديون العراقية

للبلدان الاعضاء في نادي باريس أي ما يعادل (٤٢) مليار دولار وتبقى نسبة (٢٠%) المتبقية من نسبة التخفيض مرتبطة بالمرحلة اللاحقة .

ت- المرحلة الثالثة: تمتد هذه المرحلة لغاية عام (٢٠٠٨) ، وتتطلب استمرار العراق بتنفيذ متطلبات الصندوق، وبعد توقيع العراق الاتفاقية الثانية يفترض حصوله على قرض من الصندوق بمبلغ (٥٠٦ مليار دولار)، وضمن وخلال هذه المرحلة أعلنت عديد من البلدان الدائنة سواء الاعضاء في نادي باريس أو خارجه تخفيض المديونية الخارجية للعراق بنسبة (٨٠ %)، مثل اسبانيا وفرنسا والدنمارك وهولندا واليابان وسويسرا وسلوفاكيا والحبك واوكرانيا وابطاليا واستراليا وروسيا وغيرها من البلدان، وفي كانون الاول من عام (٢٠٠٨) تم الغاء (٢٠ %) النسبة الأخيرة من الدين العراقي لصالح أعضاء نادي باريس (بعد ايفاء العراق لشروط اتفاقية التدبير الاحتياطي) تم الاتفاق على شراء الديون العراقية التي تقل عن (٣٥) مليون دولار بما يعادل (١٠%) من قيمتها الاسمية في الأسواق المالية الدولية، وكذلك إصدار سندات بقيمة (٢) مليار دولار للدائنين بمبالغ تزيد عن (٣٥) مليون دولار بأجل لمدة (٢٠) سنة وبفائدة سنوية مقدارها (٥,٨%) وهذه هي أهم مطالب صندوق النقد الدولي، من أجل الموافقة على أي قرض يقدمه وكلها تصب في مصلحة الاحتكارات المالية الكبرى العابرة للقارات^(١٢).

ثانيا: الاتفاقية المساندة الموقعة بين العراق وصندوق النقد الدولي:

ابرمت الحكومة العراقية اتفاقية المساندة مع صندوق النقد الدولي عام (٢٠٠٥) ، اذ بدأ تعامل العراق كعضو فعال مع صندوق النقد الدولي بعد عام (٢٠٠٣) ، الذي انقطع عمله لسنوات اذ قام الصندوق بالتعاون مع العراق بالقروض والمساعدات وإبداء المشورة الاقتصادية. ونتيجة لهذه العلاقات عقد العراق اتفاقية الترتيبات المساندة بتاريخ (٢٣ / ١٢ / ٢٠٠٥) ، والتي حصل العراق بموجبها على قرض إي ما يعادل (٧٤٤) مليون دولار بنسبة (٤٠%) من الحصة اذ وافق المجلس التنفيذي للصندوق على الاتفاقية مع العراق لمدة (١٥) شهراً وممدت مرة أولى في (١٢ / ٣ / ٢٠٠٧)، وممدت مرة ثانية لغاية (٢٨ / ١٢ / ٢٠٠٧) وبموجب هذه الاتفاقية انخفض دين العراق بنسبة (٣٠%) من الدين الكلي

و(٣٠%) عند توقيع الاتفاقية مع الصندوق و (٢٠%) عند الانتهاء من تنفيذ هذه الاتفاقية والتزام العراق بكافة شروطها. (١٣)

وقد تمخضت هذه الاتفاقية من النقاشات في الاجتماعات التي حضرها ممثلو الصندوق مع المسؤولين من الحكومة العراقية، وتهدف الاتفاقية إلى تحقيق الإصلاحات الهيكلية واستقرار الاقتصاد الكلي ويمهد إلى تخفيض ديون دول نادي باريس بمقدار (٨٠%) (١٤).

وتهدف أيضا إلى تطوير الواقع الاقتصادي في العراق ووجوب التغييرات الجذرية فيه خاصة انه يحمل في طياته الكثير من المشاكل والاختلالات الاقتصادية والهيكلية هذه خطوة من الخطوات المهمة نحو التحول التدريجي إلى اقتصاد السوق وتحفيز الاستثمار الأجنبي والقيام بالإصلاح الاقتصادي الشامل وتحقيق الاستقرار الاقتصادي وتصحيح عمل السياسات الاقتصادية ومجابهة التحديات التي تواجه الاقتصاد العراقي وكذلك معالجة الاختلالات الهيكلية والقضاء على البطالة والتخفيض من حدة الضغوط التضخمية وإصلاح الدعم الحكومي ومن أهدافها الأخرى هو معالجة الديون الخارجية المترتبة على العراق (١٥). وللمزيد من الوضوح ينظر الجدول (١٤).

جدول رقم (١٤): يبين معايير الأداء الهيكلي والإجراءات الهيكلية ضمن اتفاقية المساندة (SBA)

الإجراءات الهيكلية	اقصى مدة لتنفيذ الاعمال	عمليات سير الاعمال
معايير الأداء الهيكلي		
إجراء تعديلات في السياسة النقدية في البنك المركزي بضمن ذلك إبدال العملة العراقية	٢٠٠٥	تم العمل على إصلاح السياسة النقدية من قبل البنك المركزي والقيام بإبدال العملة العراقية
التدقيق المالي النهائي للبنك المركزي	٢٠٠٦	التدقيق النهائي في مايو/أيار ٢٠٠٦ يوليو/تموز ٢٠٠٦

٢٠٠٦	تطبيق نظام الدفع	في مايو/أيار ٢٠٠٦/١٥
٢٠٠٦	تأسيس لجنة إشراف وتدقيق نافذة المفعول في يونيو/أحزيران ٢٠٠٦	معدل المواعيد إلى ديسمبر/أيلول ٢٠٠٦/١٣٠١
٢٠٠٦	إصلاح قانون الرواتب التقاعدية وضمان الراتب التقاعدي	تم إصلاح نظام الرواتب التقاعدية
٢٠٠٦	موافقة مجلس الممثلين إلى قانون الذي يحذر استيراد المشتقات النفطية	مستمر
٢٠٠٦	إكمال الإحصاء السكاني للعراق	معدل المواعيد إلى ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠٦/١٣١١ إلا أنه لم يتم لأحد الآن
٢٠٠٦	بدء عملية نظام استغلال الوقت الحقيقي الإجمالي وربط البنوك التجارية (RTGS) مع البنك المركزي	طبق قبل الموعد
٢٠٠٦	بدء الدفعات التي توضح التعامل بين مقر الإعلان التجاري وتبني المركزية من خلال (ACH) دار المقاصة الإلية	طبق قبل الموعد
٢٠٠٦	الرسلة الكاملة للبنك المركزي إلى الدينار العراقي المشترطة (١٠٠) بليون مستندة إلى دفعات مالية وإعادة هيكلية ادعاءات الحكومة في ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠٥/٣١ لميزانية البنك المركزي	تحديد الرسلة وتدقيق البنك المركزي والحسابات في ٢٠٠٥

Source : International monetary fund First and Second Reviews Under the
٢٠٠٨.Stand-By Arrangement

إن اهداف اتفاقية المساندة المعلنة بين العراق وصندوق النقد الدولي هو تحقيق الاستقرار في الاقتصاد العراقي ومؤشرات الاقتصاد الكلي وترويج عمليات النمو الاقتصادي ومن ثم التحول نحو مرحلة جديدة تخص التنمية الاقتصادية والبدء بعمليات الإصلاح الأساسية ومنها الإصلاح السياسي والإصلاح الاقتصادي والاجتماعي ويمكن إبراز أهم الأهداف المعلنة ضمن اتفاقية المساندة (SBA)^(١٦) :

- ١- خفض الديون الخارجية المترتبة على العراق بنحو (٨٠%) .
- ٢- زيادة الدعم الحكومي ، يتعين على الحكومة إلغاء الدعم الحكومي الشامل وغير المنتج والذي يفترق إلى الكفاءة بشكل تدريجي في الوقت الذي تسعى فيه إلى ضمان حماية الفئات الفقيرة وهذا يتضمن:
 - أ- استخدام كافة أنواع الدعم المالي في الموازنة بطريقة تظهر تكاليفه الإجمالية .
 - ب- تكوين برنامج للانتقال من الدعم الشامل إلى شبكات الحماية المستهدفة ذات الكفاءة والقدرة على توفير حماية كافية للفئات الضعيفة والفقيرة .
 - ج- ادخال توعية عامة ومشاورات لضمان الحصول على مشاركة واسعة وتشجيع الإصلاحات الخاصة بالدعم الحكومي .
- ٣- تحسين القطاع الخاص وتشجيع الاستثمار، لغرض خلق بيئة ملائمة للاستثمار الخاص وإيجاد فرص عمل لكثير من القوى العاملة وخفض نسبة البطالة وهذا يتطلب :
 - أ- تطوير النظام القضائي والإمكانات القانونية في هذا المجال بهدف حماية الملكية الخاصة ومصادقية العقود .
 - ب- تطبيق قانون الاستثمار وإقرار قانون تجاري جديد وتطبيقه .
 - ج- تطوير عملية تأسيس الأعمال التجارية وتسجيل الملكية للحصول على القروض.

د- إقامة استراتيجية لإعادة هيكلة الشركات العامة وخصخصتها وإدارتها على أسس اقتصادية بما فيها إنشاء صندوق ملكية الدولة لإدارة الممتلكات الحكومية على أسس تجارية وجذب المستثمرين وتشجيع المشاريع ضمن تلك الشركات .

هـ- إيجاد برامج تعتمد على القطاع الخاص في تنشيط الإعمار الإسكاني .

٤- إعادة هيكلة القطاع المالي: بمعنى تشجيع المدخرات العامة والاستثمار بهدف تهيئة بيئة ملائمة للاستثمار والنمو مع استمرار الحكومة ببذل جهودها في إصلاح القطاع المالي وهذا يشمل :
أ- إعادة هيكلة المصارف الحكومية .

ب- تهيئة الظروف الملائمة لتعزيز النظام المالي في العراق وزيادة إمكانية الحصول على خدمات الائتمان من قبل الشركات التجارية والأفراد .

ج- تهيئة بيئة مواتية للمنافسة والنمو بالعمل المصرفي الخاص وإعادة هيكلة المصارف الخاصة وتعزيز دورها في الحركة المصرفية بشكل عام .

د- تسهيل مشاركة المصارف الخاصة في تقديم الخدمات المتعلقة بالحسابات المالية الحكومية ودفع الرواتب للموظفين والمتقاعدين .

٥ - حث الحكومة العراقية على تحقيق أهداف الألفية لغاية عام (٢٠١٠) بطريقة كفؤة ومستدامة ولتحقيق هذا الهدف تعمل الحكومة على ما يلي :-^(١٧)

أ- خفض عدد العائلات التي هي تحت خط الفقر بمعدل الثلث .

ب- تخفيض نسبة البطالة إلى النصف ومضاعفة نسبة مشاركة النساء في القوى العاملة للقطاعات غير الزراعية .

ج- زيادة الإنفاق في القطاع الصحي من (٢,٥%) إلى (٤%) من الناتج المحلي الإجمالي كحد أدنى وتأمين حصول الجميع على الرعاية الصحية الأولية.

أما اتفاقية (SBA2) تضمن ما يلي^(١٨):

- ١- تعمل أو قامت بزيادة الصادرات النفطية في عامي ٢٠٠٧، ٢٠٠٨.
- ٢- تحقيق نمو في الناتج المحلي الاجمالي الكلي بنسبة ٧%.
- ٣- احتواء تضخم المستهلك الى ١٢%.
- ٤- زيادة احتياطات البنك المركزي من العملات الاجنبية الى ٣٤ مليار دولار بنهاية عام ٢٠٠٨.

المبحث الثالث: اتفاقية العراق والبنك الدولي:

ترجع عقبات تمويل بنود الإنفاق العام في الوقت الراهن في العراق إلى صدمات تقلب الإيرادات الناتجة عن الهبوط الحاد والمفاجئ في أسعار النفط في أعقاب اندلاع الأزمة المالية العالمية ومن شأن المساندة التي يقدمها البنك الدولي أن تساعد على تحقيق استقرار الإنفاق العام في العراق، وذلك إلى جانب الاتفاق الجديد (SBA) المبرم مع صندوق النقد الدولي^(١٩). وتعد الاتفاقية المساندة ضرورية لإتاحة الحد الأدنى من التمويل اللازم لبنود إنفاق العام في العراق بما يساهم في تقديم من تجارب البلدان التي تعرضت لمشكلات الحروب والصراعات المسلحة، إلى التأثير السلبي لتذبذب الإنفاق العام نتيجة لعدم توافر التمويل اللازم للخدمات الأساسية والتي يمكن أن تطيح بالأمن والاستقرار، نتيجة استغلال الجماعات المتمردة لهذه الظروف وسيطوي النجاح في تنفيذ البرنامج المقترح على تخفيف حدة مشكلات نقص التمويل اللازم لبنود الإنفاق العام، والتعامل مع الخلل في هيكل الموازنة العامة، وإتاحة مزيد من التمويل الإضافي، وسيقوم القرض المقترح في تخفيف ضغوط التمويل الرهنة على الموازنة العامة، والتركيز على مجالات الإصلاح الرئيسية لعملية التكيف الهيكلي وتصحيح مسار الاقتصاد في الأمدين القصير والمتوسط. ويقوم البنك الدولي حاليًا بمساندة الحكومة العراقية في عملية التكيف الهيكلي، بصورة مباشرة وكذلك عن طريق مشاركته في تصميم اتفاق جديد للاستعداد الائتماني مع صندوق النقد الدولي وتكتسب هذه المساندة التي يقدمها البنك الدولي في مجالات الإصلاح الواردة أعلاه أهمية بالغة في نجاح تحسين أوضاع الموازنة ومن شأن هذا القرض، بالإضافة إلى مساعدة العراق في تلبية احتياجاته التمويلية قصيرة الأمد، أن يفتح الأبواب أمام حوار حول الإصلاحات متوسطة الأمد مع العراق. وتتيح المساعدات الحالية

التي يقدمها البنك ومشاركته في وضع السياسات في العراق فرصة لتحديد مجالات الإصلاح تحديداً جيداً، وهو ما سيوفر أساساً لبرنامج قوي في الأمد المتوسط للإصلاح في العراق ويجب أن تراعي برامج الإصلاح العراقية التدابير التي تمكنه من تحقيق تقدم على صعيد الأهداف الإنمائية في الأمد الطويل، وهو ما سيساعد في قابلية تعرض العراق لهذه الدرجة العالية من التقلب في نصيب الفرد الفعلي من إجمالي الناتج المحلي^(٢٠).

قامت الحكومة العراقية في عام (٢٠٠٤) بعقد اتفاقية مع البنك الدولي كمحاولة لا يجاد حل لمشاكل العراق الاقتصادية عبر وضع آلية جديدة لتطبيق سياسات الإصلاح الاقتصادي في العراق في ظل الأزمة الهيكلية التي يعاني منها هذا الاقتصاد مقابل القبول بالشروط المعروفة بالوصفة الجاهزة، والمتضمنة المبادئ الأساسية للسير في الإصلاح الاقتصادي وفقاً إلى الإجراءات الرئيسة التي يجب تنفيذها من قبل العراق والمتضمنة ثلاثة^(٢١):

- ١ - تحرير التجارة من خلال ازالة كافة القيود الكمركية والإدارية التي تحجب وتعيق انتقال السلع والخدمات والبضائع ورؤوس الأموال من داخل وخارج العراق.
- ٢- خصخصة القطاع العام أي تحويل المؤسسات الاقتصادية الحكومية إلى مؤسسات خاصة بضمنها القطاع النفطي الشديد الحساسية وانقسامه لعمليات الاستثمار الأجنبي والشركات الأجنبية الاحتكارية.
- ٣- تقليص النفقات العامة وذلك بواسطة الغاء الدعم الحكومي لأسعار الوقود والمحروقات والغاء البطاقة التموينية الغذائية والدوائية وترشيح الجهاز الإداري للدولة والضغط على فقرة رواتب المتقاعدين وغيرها من النفقات^(٢٢).

وهذه المبادئ التي يجب أن يلتزم بها العراق ويتم التعبير عنها بأيديولوجية رأسمالية وفق النهج الليبرالي ونظام السوق والملكية الخاصة والمشروعات الفردية والانفتاح الاقتصادي الكامل على العالم، وحرية النشاط الخاص في الداخل فضلاً عن حرية حركة السلع والخدمات للبنك أي المساعدة الفنية الرئيسة في مجال ادارة العمليات المالية لمدة ثلاث سنوات بقيمة (١٨) مليون دولار، من صندوق اعمار^(٢٣).

وافق ممثل المديرين الفنيين للبنك الدولي على تقديم قرض قيمة (٣٥٥) مليون دولار الى العراق والقرض يمول مشروع طرق النقل وتحسينها ورفع جودتها وبحسب بيان البنك الدولي فإن المشروع الجديد يهدف الى تقليص حوادث الطرق بحوالي (٢٥ %) في ممرين يربطان العراق

مع البلدان المجاورة له في الشمال والجنوب، وتم تنفيذ المشروع بالتعاون مع الحكومة العراقية التي ساهمت بمبلغ (٣٨٤) مليون دولار، والبنك الاسلامي للتنمية الذي قدم (٧,٢) مليون دولار للمرحلة الأولى وسيؤدي هذا المشروع الى زيادة التبادل التجاري مع البلدان المجاورة وتسهيل حركة التجارة وسيؤدي الى تعزيز النمو الاقتصادي وتحسين جودة الخدمات و الاليرادات التجارية الدولية التي تمر عبرها معظم حركة السلع والتبادلات التجارية ولا سيما ان الموقع الاستراتيجي الى العراق الذي يربط قارة اسيا واوربا هو ما يساعد على تعزيز ونقل التجارة ما بين الدول الاوربية والدول العربية (٢٤).

الخاتمة:

وفي النهاية يمكننا القول: ان تعامل العراق مع صندوق النقد والبنك الدوليين وعمل برامج اتفاقيات لخدمة وتطوير القطاعات الاقتصادية يواجه في المقابل خطر يكمن في السيطرة على كل مفاصل الاقتصاد والحياة في العراق وهذا يدخل البلد في نفق لن يتمكن من الخروج منه مالم يتحرر من هذه السيطرة وسياسة الإملاءات التي تضر بالاقتصاد العراقي، وتبعده عن الاهتمام بالقطاعات الاقتصادية المهمة كالصناعة والزراعة والخدمات وترهن أمواله وثرواته وتفقده حرية التصرف بها وعليه يجب التكيف مع التطورات الحالية في إطار جهود الاصلاح الاقتصادي وخصوصاً فيما يتعلق فيها بدور القطاع الخاص في التنمية، الامر الذي يتطلب تكييف نظم وقواعد واجراءات العمليات التمويلية لتوفير قنوات وصيغ جديدة من شأنها تعزيز هذا الدور.

الهوامش:

- (١) نبيل مهدي الجنابي ، قراءة اولية لتحديد بعض المفاهيم والعلاقات بين اقتصاد السوق الحر والاقتصاد الموجه ، مجلة القادسية للعلوم الادارية والاقتصادية ، المجلد ٨ ، العدد ٢ ، كلية الادارة والاقتصاد ، جامعة القادسية ، ٢٠٠٦ ، ص ٩ ،
- (٢) كريم سالم حسين الغالبي ، الاصلاح الاقتصادي في العراق مابعد عام ٢٠٠٣ : رؤية مستقبلية ، كلية الادارة والاقتصاد ، العراق ، ٢٠١٧ ، ص ٨٠ .
- (٣) جعفر علوان كاظم ، عدم الاستقرار السياسي : اثره في الأداء الحكومي في العراق ٢٠٠٣-٢٠١٤ ، مركز العراق للدراسات ، العراق ، الطبعة الاولى ، ٢٠١٨ ، ص ٣١٢ .
- (٤) مظهر محمد صالح ، نحو اعادة توصيف النظام الاقتصادي : رؤية اكااديمية في مستقبل النظام الاقتصادي في العراق ، البنك المركزي العراقي ، ٢٠١٢ ، ص ٢ .
- (٥) نور شدهان عداي ، تحليل مسارات الدين العام للمدة (٢٠١٠-٢٠١٤) ، وزارة المالية ، الدائرة الاقتصادية ، قسم السياسات الاقتصادية ، ٢٠١٦ ، ص ١٥ .
- (٦) جوستين اسكندر ، صندوق النقد الدولي وخصخصة الاقتصاد العراقي ، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر العام للموظفين العاملين في مجال النفط ٢٦ أيار ، ٢٠٠٥ . ص ٢٠
- (٧) عودت ناجي الحمداني ، انكار الديون الخارجية للعراق حق مشروع للشعب العراقي ، الحوار المتمدن ، العدد (٢٣١٤) ، ٢٠٠٨ ، موقع متاح على الرابط الالكتروني: www.ahewar.org/p2 .
- (٨) المشروعية السياسية والقانونية لديون وتعويزات العراق ، جريدة المعرفة ، بغداد ، ٣٠٠٦ موقع متاح على الرابط الالكتروني : www.aljazeera.net/p1-2 .
- (٩) Internatonal monetary fund , developments in the (IMF) , april, 15 , 2005 , p20.
- (١٠) سرمد عباس النجار ، تحليل مدى فاعلية السياسة المالية في الاقتصاد العراقي ، وزارة المالية العراقية ، الدائرة الاقتصادية ، قسم السياسات الاقتصادية ، ٢٠٠٨ ، ص ١٣ .
- (١١) همسة قصي عبداللطيف ، علاقة العراق بصندوق النقد الدولي بعد عام ٢٠٠٣ ، مركز دراسات النهرين ، جامعة النهرين ، بدون سنة ، ص ١٣ .
- (١٢) همسة قصي عبداللطيف ، مصدر سابق ، ص ١٤ .

- (١٣) علي عبدالله الشيخ ، مديونية العراق الخارجية، مجلة تكريت للعلوم الاقتصادية والادارية ، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة تكريت، العدد ١١، ٢٠٠٨، ص ٥٩.
- (١٤) حاتم كريم بلحاوي، الاصلاح الاقتصادي في العراق في اطار اتفاقية المساندة (SBA) مع صندوق النقد الدولي، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة المستنصرية، العراق، ٢٠١٠، ص ٩٤.
- (١٥) International monetary fund, mr , rodrigoderato managing director, IMF, Washington D.C . 2037, USA . februory .23 .2007 . p1-4.
- (١٦) حاتم كريم بلحاوي القريشي ، مصدر سابق ، ص ٩٦.
- (١٧) صندوق النقد الدولي ، اتفاقية العهد الدولي، نص الاتفاقية على موقع صندوق النقد الدولي ، ٢٠٠٧ ، ص ٣٢.
- (١٨) صندوق النقد الدولي يحدد مطالبة العراق برفع الدعم من المنتجات النفطية، شفق نيوز متاح على الرابط الإلكتروني: www.shafa9.com/47666
- (١٩) للمزيد حول ذلك ينظر:
- بشري جواد مهدي ، برامج صندوق النقد الدولي وانعكاساتها على اقتصادات بلدان مختارة مع اشارة الى العراق، رسالة ماجستير، كلية الادارة والاقتصاد ، جامعة بغداد، ٢٠١٩، ص ١١٣.
- سمير خلف بدر، الصدمات الاقتصادية الخارجية وخيارات معالجة أثارها الهيكلية تجارب مختارة مع اشارة خاصة الى العراق للمدة (٢٠١٤، ٢٠٠٣)، اطروحة دكتوراه، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة المستنصرية، ٢٠١٨، ص ٢١.
- (٢٠) كامل كاظم بشير الكناني ، ارجوحة التنمية في العراق بين الماضي وتطلعات المستقبل ،دار الدكتور ، بغداد ، ٢٠١٣، ص ١٠٥.
- (٢١) عباس فياض ، الخصخصة وتأثيرها على الاقتصاد العراقي ، دار أمل الجديدة ، دمشق، ٢٠١٣، ص ١٤٠.
- (٢٢) كامل كاظم بشير الكناني ،مصدر سابق، ص ١٠٧.
- (٢٣) البنك الدولي ، مساندة برنامج العراق للاصلاح الاقتصادي متاح على الموقع: [www. worldbank.org](http://www.worldbank.org)
- (٢٤) وزارة التجارة ، مسيرة انضمام العراق إلى منظمة التجارة العالمية، متاح على الرابط الإلكتروني: www.MOT.GOV.IQ/arabi/index.php?name

مدى فاعلية مجلس الدولة العراقي في ظل قانون مجلس الدولة رقم ٧١ لسنة ٢٠١٧ - دراسة مقارنة

أ.م.د. فارس عبد الرحيم حاتم

كلية القانون/ جامعة الكوفة

المقدمة:

تأزرت عوامل تاريخية وسياسية وقانونية أدت إلى ولادة القضاء الإداري في فرنسا بعد الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩. وقد أنشأ نابليون مجلس الدولة في السنة الثامنة للثورة ليسد فراغا قانونيا يمس حقوق وحرريات الأفراد التي نادت بها الثورة الفرنسية بعد أن أصبحت الإدارة هي الخصم والحكم في المنازعات الإدارية، فقام بإنشاء هيئة أطلق عليها مجلس الدولة ليكون المستشار للإدارة في الأمور القانونية والتشريعية وكذلك أوكل نابليون لهذا المجلس النظر في الفصل في الدعاوى التي تنتج من نشاط الإدارة، بعد أن تم منع القضاء من النظر في الدعاوى التي تخص الإدارة. وقد كان قرار مجلس الدولة فيما يخص نشاطه القضائي غير نهائي ويحتاج إلى تصديق رئيس الدولة. وقد كانت قرارات مجالس الولايات التي أنشأت مع مجلس الدولة يتم نقضها امام المجلس الذي تحتاج قراراته للتصديق. لذلك نرى أن المجلس نشأ كجزء من السلطة التنفيذية، ولهذا تمت تسميته المجلس بمجلس الدولة كما أن أعضائه يطلق عليهم تسمية مستشارين.

لقد أدت تجربة مجلس الدولة إلى إنشاء القانون الإداري، وذلك من المبادئ والنظريات التي وضعها المجلس وكذلك محكمة التنازع. وهذه المبادئ والنظريات توازن بين المصلحة العامة التي تمثلها الإدارة والمصلحة الخاصة التي يمثلها الأفراد أو المتعاملون مع الإدارة. وإضافة إلى النشاط القضائي لمجلس الدولة الفرنسي، فإن النشاط الاستشاري للمجلس سواء كان في مجال التقنين أو إبداء المشورة القانونية للإدارة له أثره على أداء الإدارة.

إن القضاء الإداري هو السند الأساسي للإدارة والداعم لنشاطها. إذ إن الإدارة وهي تؤدي نشاطها تهدف إلى تحقيق المصلحة العامة، وذلك طبقا للوظيفة التي أنشأت من أجلها. ووجود القضاء الإداري إلى

جانب الإدارة كمستشار لها وكمراقب عليها حتى لا تنزل قدمها عن المشروعية، ونجاح القضاء الإداري في هذه المهمة أدى إلى انتشار التجربة الفرنسية في دول النظام اللاتيني ومنها العراق. إذ أن التجارب البشرية التي تهدف إلى الحفاظ على الحقوق والحريات والتي ينادي بها العالم المتمدن تكون قبله لمن يريد تطبيق نظام قانوني يهدف للحفاظ على حقوق وحريات الأفراد. إلا أن العراق طبق الشق الاستشاري من اختصاص القضاء الإداري الفرنسي مبكرا عام ١٩٣٣ وبعد أكثر من أربعين سنة طبق الشق القضائي من الاختصاص وذلك عام ١٩٨٩. وفي عام ٢٠١٧ صدر قانون مجلس الدولة رقم ٧١ الذي يعتبر طفرة نوعية في مسيرة القضاء الإداري في العراق، إذ تم إنشاء مجلس الدولة وخرج القضاء الإداري العراقي من عباءة السلطة التنفيذية وأصبح هيئة مستقلة. ولكن بقيت القيود تكبل عمل مجلس الدولة العراقي سواء في الجانب الاستشاري أو الجانب القضائي.

مشكلة البحث:

في ٢٠١٧/٨/٧ أصدرت مجلة الوقائع العراقية قانون مجلس الدولة رقم ٧١ لسنة ٢٠١٧ والذي أنشأ مجلس الدولة ونص على انه (تسري احكام قانون مجلس شورى الدولة رقم ٦٥ لسنة ١٩٧٩ وتعديلاته باستثناء الفقرة "رابعا" من المادة ٦ منه، على مجلس الدولة المنصوص عليه في المادة ١ من هذا القانون).

وإذا كان قانون مجلس الدولة لسنة ٢٠١٧ قد انتصر لاستقلال القضاء الإداري في العراق، إلا انه لم يذهب بعيدا في توسيع فعالية القضاء الإداري لإداء وظيفته الاستشارية والقضائية والتي تعزز عمل الإدارة وتحسين أداءها. فنرى أن القانون علاوة على عدم تعزيز فعالية مجلس الدولة فانه احتفظ بكل القيود على المجلس والتي انتقلت من القانون القديم إلى القانون الجديد باستثناء الاستقلالية. ومن المستغرب أن يكون قانون مهم كقانون إنشاء مجلس الدولة مقتضبا جدا وغامضا في بعض بنوده، بدل أن يكون واسعا ومدروسا ومحتويا لكل تجارب الدول المتقدمة في مجال القضاء الإداري، وخصوصا انه تأخر ١٢ سنة بعد صدور دستور العراق النافذ والذي نص على إنشاء مجلس الدولة.

لقد ذكرت المادة الأولى من قانون مجلس الدولة لسنة ٢٠١٧ بان المجلس يعد هيئة مستقلة وتتمتع بالشخصية القانونية. ولم يذكر القانون طبيعة هذه الهيئة وهل هي تعتبر من ضمن السلطة التنفيذية كما هو الحال في فرنسا وان رسمياً، أم تعتبر من ضمن السلطة القضائية كما هو الحال في مصر. وهنا التبعية مهمة لبيان مدى الاستقلالية التي يتمتع بها المجلس الدولة عن السلطتين التنفيذية والقضائية وهو الأمر الذي يلقي بضلاله على كفاءة أداء المجلس. وقد اثار هذا الأمر جدلاً بين وزارة العدل ومجلس النواب، تمثل في القضية المرفوعة من وزارة العدل أمام المحكمة الاتحادية العليا حول دستورية قانون مجلس الدولة لسنة ٢٠١٧^١.

ستحاول هذه الدراسة البحث في سلبات قانون مجلس الدولة رقم ٧١ لسنة ٢٠١٧ ومقارنة مجلس الدولة الذي أسسه القانون، بالقضاء الإداري الفرنسي البلد الأم للقضاء الإداري والمصري أبرز بلد عربي طبق النظام القضائي المزدوج. وذلك للوصول إلى توصيات لعلها تجد آذان صاغية من السلطة التشريعية مع بقية الدراسات التي تبحث في هذا المجال.

أسئلة البحث:

- ١- ما هي طبيعة مجلس الدولة الذي أنشأه القانون رقم ٧١ لسنة ٢٠١٧؟
 - ٢- ما هي القيود على فعالية وسلطة مجلس الدولة استناداً لقانون ٧١ لسنة ٢٠١٧؟
- أهداف البحث:

- ١- دراسة طبيعة مجلس الدولة الذي أنشأه قانون رقم ٧١ لسنة ٢٠١٧.
 - ٢- دراسة القيود التي يفرضها قانون ٧١ لسنة ٢٠١٧ على فعالية وسلطة مجلس الدولة.
- منهجية البحث:

ستعتمد هذه الدراسة على تحليل نص قانون مجلس الدولة رقم ٧١ لسنة ٢٠١٧ والقوانين التي تنظم القضاء الإداري في فرنسا ومصر، وكذلك تحليل الأحكام القضائية ذات العلاقة إن وجدت. وكذلك الاستعانة بالدراسات السابقة ذات العلاقة في هذا الموضوع.

خطة البحث:

تم تقسيم البحث إلى مبحثين، يتناول الأول طبيعة مجلس الدولة العراقي. أما المبحث الثاني فيتناول القيود التي تحد من فعالية مجلس الدولة. ثم يتم ختام الدراسة بالنتائج والتوصيات.

المبحث الأول: طبيعة مجلس الدولة العراقي:

لقد نصت المادة الأولى من قانون مجلس الدولة العراقي رقم ٧١ لسنة ٢٠١٧ على أن مجلس الدولة هيئة مستقلة. ولبحث طبيعة مجلس الدولة حسب هذا القانون والتي تحدد طبيعة العلاقة بين مجلس الدولة وكل من السلطتين التنفيذية والقضائية، فإننا سوف نستعرض أولاً علاقة القضاء الإداري الفرنسي بالسلطتين التنفيذية والقضائية، ثم نستعرض علاقة القضاء الإداري المصري بالسلطتين التنفيذية والقضائية. وهذا الامر له أثره على فعالية أداء القضاء الإداري وقيامه بوظيفته التي تم انشاءه من اجلها. المطلوب الأول: علاقة القضاء الإداري الفرنسي بالسلطتين التنفيذية والقضائية.

أن القضاء الإداري الفرنسي يتألف من مجلس الدولة وعدد من المحاكم الإدارية ومحاكم استئنافية. ومجلس الدولة هو اعلى محكمة في القضاء الإداري.^٢

لقد نشأ مجلس الدولة ومجالس الولايات على يد نابليون في عام ١٧٩٩ تطبيقاً لمبدأ الفصل بين السلطات، بعد أن كانت الإدارة هي التي تقوم بالوظيفة القضائية فيما يتعلق بالمنازعات التي تكون الإدارة طرفاً فيها، وذلك لأسباب تاريخية تتمثل في الأداء السيء للقضاء قبل الثورة الفرنسية في علاقته مع الإدارة. وبسبب تعارض هذا الأمر مع مبدأ الفصل بين السلطات ولكي لا يكون الخصم هو الحكم في نفس الوقت، فقد تم إنشاء مجلس الدولة ومجالس الأقاليم.^٣ علماً أن مفهوم الفصل بين السلطات عند الفرنسيين هو فصل السلطة القضائية عن بقية السلطات بواسطة منع هذه السلطة من مراقبة السلطتين التشريعية والتنفيذية.^٤ فنلاحظ أنه لا توجد رقابة قضائية على دستورية القوانين في فرنسا. أما فيما يخص الرقابة على أعمال السلطة الإدارية فقد قام الفرنسيون بإنشاء هيئة في المركز وهيئات في الأقاليم للنظر في القضايا التي تكون الإدارة طرفاً فيها، لكن هذه الهيئات ليست قضائية بل ترتبط بالإدارة.

وقد أطلق على الهيئة في المركز تسمية مجلس الدولة، وقد كانت وظيفة مجلس الدولة عند إنشائه هي استشارية تتمثل في إبداء المشورة القانونية في المسائل القانونية للإدارة وإعداد مشاريع القوانين والقرارات الإدارية التنظيمية. وكذلك النظر في الدعاوى الإدارية التي ترفع أمام المجلس، وهنا المجلس يصدر مشروع قرار يرفع الى رئيس الدولة للتصديق عليه حتى يتحول إلى قرار ملزم. لذا نرى أن أعضاء مجلس الدولة يطلق عليهم تسمية مستشارين حتى وإن كانوا يقومون بعمل قضائي.^٥

لقد اكتسب مجلس الدولة بمرور الوقت الاحترام وأصبحت قراراته تصدق كما هي من قبل رئيس الدولة، حتى جاءت سنة ١٨٧٢ فصدر قانون مجلس الدولة الذي منحه سلطة إصدار قرارات قضائية نهائية لا تحتاج إلى تصديق لاحق. وقد حصل مجلس الدولة على الولاية العامة في المنازعات الإدارية في حكم كادو عام ١٨٨٩ ثم أنشأت عدة محاكم إدارية، كمحاكم درجة أولى عام ١٩٥٣، ثم تم إنشاء محاكم استئنافية عام ١٩٨٧. ورغم كل ما تقدم، فإن مجلس الدولة بقي مرتبطاً بالسلطة التنفيذية، وإن كان من الناحية الشكلية إلى درجة كبيرة وليس من الناحية العملية. فمجلس الدولة يتأهله الوزير الأول وينوب عنه وزير العدل، ولكن من الناحية الفعلية الذي له السلطة الفعلية على المجلس هو نائب رئيس المجلس وهو مستشار في المجلس.^٦ وكانت تبعية المحاكم الإدارية لوزارة الداخلية، أما شؤون موظفيها فهي مشتركة بين وزارة الداخلية والعدل ثم انتقلت تبعية هذه المحاكم مع المحاكم الاستئنافية لمجلس الدولة.^٧

إن المفهوم الفرنسي لمبدأ الفصل بين السلطات يمنع فصل القضاء الإداري عن السلطة التنفيذية، لأن ذلك يؤدي إلى اعتبار هذا القضاء من ضمن السلطة القضائية حتى وإن كان مستقل عن القضاء العادي. لذلك حسب مبدأ فصل السلطات الفرنسي يجب أن تكون السلطة القضائية مستقلة عن الإدارة. والاستقلال هنا يعني منع الرقابة عليها، وعليه يكون القضاء الإداري مرتبطاً بالسلطة التنفيذية،^٨ وإن كانت السلطة التنفيذية ليس لها سلطة حقيقية على القضاء الإداري وإنما سلطة شكلية. وهذا الأمر خاص بفرنسا، فلا يمكن ربط القضاء الإداري بالسلطة التنفيذية في أي بلد آخر ثم نريد أن يكون هذا الارتباط شكلي فقط، فكل دولة ظروفها الخاصة بها. وإن كانت بقية الدول تطبق نماذج ناجحة في أي دولة فهي تطبق هذا

النموذج بما يتناسب مع ظروف الدولة التي يتم تطبيق النموذج فيها. لقد كان هناك جدل حول طبيعة مجلس الدولة الفرنسي إلى أن أوضح المجلس الدستوري في عام ١٩٨٠ وبشكل أكثر وضوحاً عام ١٩٨٧ و١٩٨٩ على أن مجلس الدولة هو قضاء إداري^٩، لكنه مرتبط بالسلطة التنفيذية وإن شكلياً كما ذكرنا فيما سبق.

المطلب الثاني: علاقة القضاء الإداري المصري بالسلطتين التنفيذية والقضائية.

مصر من الدول التي طبقت النموذج الفرنسي، وقد قننت التجربة الفرنسية في نصوص تشريعية نص عليها قانون مجلس الدولة رقم ١١٢ لسنة ١٩٤٦. وقد كان لدور مجلس الدولة الفرنسي بشكل خاص في إنشاء وتطوير القانون الإداري تأثيره على المشرع المصري الذي دفعه إلى تسمية القضاء الإداري بمجلس الدولة.

لقد نصت المادة الأولى من قانون ١٩٤٦ على أن مجلس الدولة هو هيئة قائمة بذاتها وتلحق بوزارة العدل. ويتضح أن المشرع المصري قد الحق مجلس الدولة بالسلطة التنفيذية وهو الأمر الذي استمر حتى عام ١٩٨٤^{١٠}. لقد كان المشرع المصري يلحق مجلس الدولة برئيس الوزراء تارة وبوزير العدل تارة أخرى، كما الحق برئيس الجمهورية أيضاً في فترات أخرى^{١١}. وقد طالب الفقه بأن يلحق المجلس برئيس الوزراء أو رئيس الجمهورية لأن القضاء العادي كان مرتبط بوزير العدل، فلا يجب أن تكون الجهة التي يرتبط بها القضاء العادي هي نفسها التي يرتبط بها القضاء الإداري، إذ أنه في النظام القضائي المزدوج يجب الاستقلال التام بين جهتي القضاء العادي والإداري. كما أن القضاء الإداري يختلف عن القضاء العادي من حيث إن القضاء الإداري يقوم بالرقابة على السلطة الإدارية، لذا فإن الحاق القضاء الإداري بوزير العدل وهو أحد الوزراء يضعف من موقف مجلس الدولة، بخلاف الحال إذا كان المجلس مرتبط برئيس السلطة الإدارية فإن ذلك يعزز من موقف المجلس أمام الوزارات عندما تكون إحداها هي أحد خصوم الدعوى^{١٢}. وراي الفقه هذا هو من باب الأمر الواقع في ذلك الوقت الذي كانت فيه السلطة القضائية مرتبطة بالسلطة التنفيذية. ومن الطبيعي أن الاستقلال التام عن السلطة التنفيذية هو الأفضل لعمل

مجلس الدولة لان وظيفة المجلس هي مراقبة السلطة الإدارية وهذا لا يستقيم مع التبعية لهذه السلطة بأي شكل من الاشكال. وهو الأمر الذي نص عليه دستور ١٩٧١ ثم قانون مجلس الدولة لسنة ١٩٧٢ عند تعديله عام ١٩٨٤.

إذا كانت التبعية لا تؤثر على الطبيعة القضائية لمجلس الدولة المصري في ظل تبعية القضاء العادي للسلطة التنفيذية. وكذلك في ظل إطلاق تسمية مستشار على قضاة المحاكم العادية وهي نفس التسمية التي تطلق على اعضاء مجلس الدولة فانه لا توجد مشكلة في الامر خصوصا ان الهيئات التي تمارس الاختصاص القضائي يطلق عليها مصطلح محاكم. إلا أن الاختصاص الاستشاري لمجلس الدولة^{١٣} بالإضافة عدم النص على ان مجلس الدولة هيئة قضائية في الدساتير المصرية المتعاقبة أدى الى جدل حول طبيعة مجلس الدولة حتى صدور دستور ١٩٧١ الذي نص صراحة في المادة ١٧٢ منه على ان مجلس الدولة هيئة قضائية مستقلة وقد وردت هذه المادة في الفصل الخاص بالسلطة القضائية. وقد تم فصل مجلس الدولة عن السلطة التنفيذية في قانون رقم ١٣٦ لسنة ١٩٨٤، الذي عدل قانون مجلس الدولة رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٢. وقد تكرر النص على ان مجلس الدولة جهة قضائية مستقلة في الدستور النافذ عام ٢٠١٤.^{١٤}

المطلب الثالث: علاقة القضاء الإداري العراقي بالسلطتين التنفيذية والقضائية

في عام ١٩٨٩ صدر قانون تعديل مجلس شورى الدولة رقم ١٠٦ والذي نص على إنشاء محكمة القضاء الإداري في العراق وهي احدى تشكيلات مجلس شورى الدولة.

لقد أنشئ القضاء الإداري في العراق كجزء من السلطة التنفيذية، إذ انه كان احدى تشكيلات وزارة العدل^{١٥}. وقد كان القضاء العادي يتبع وزارة العدل عند إنشاء القضاء الإداري في العراق عام ١٩٨٩، ولقد كان ربط كل من مجلس شورى الدولة والقضاء العادي بجهة واحدة هي وزارة العدل يتعارض مع مبادئ النظام القضائي المزدوج والتي تقضي بالاستقلال التام بين القضاءين. كما أن جعل مجلس شورى

الدولة جزء من وزارة العدل وهي سلطة إدارية يتعارض مع وظيفة القضاء الإداري في الرقابة على أعمال الإدارة.

ورغم استقلال القضاء العادي بعد عام ٢٠٠٣ وفصله عن وزارة العدل بعد إنشاء مجلس القضاء الأعلى بالأمر رقم ٣٥ لسنة ٢٠٠٣ الصادر من سلطة الائتلاف، فإن مجلس شورى الدولة بقي مرتبطاً بوزارة العدل حتى عام ٢٠١٧ عندما صدر قانون مجلس الدولة لسنة ٢٠١٧ الذي أنشأ مجلس الدولة على أنقاض مجلس شورى الدولة وجعله هيئة مستقلة لا علاقة لها بوزارة العدل.

أن فصل القضاء الإداري عن السلطة التنفيذية في مصر والعراق امر ضروري لاختلاف الفلسفة القانونية في هذين البلدين عن الفلسفة القانونية التي يتبناها الفرنسيون والتي تسمح لهم بتبعية القضاء الإداري للسلطة التنفيذية وإن كان شكلاً وليس فعلاً، إذ أن فصل السلطات عند الفرنسيين يعني أنه يجب فصل السلطة القضائية عن الإدارة، (السلطة القضائية هنا تعني القضاء العادي الذي نص عليه الدستور) والفصل هنا يعني منع السلطة القضائية من رقابة على الإدارة. وعليه تم إنشاء هيئة قضائية ملحقة بالسلطة التنفيذية للنظر في القضايا الإدارية، وهي مجلس الدولة إضافة إلى مجالس الأقاليم خارج العاصمة الفرنسية. ورغم أن رئيس مجلس الدولة الفرنسي هو الوزير الأول وينوب عنه وزير العدل وكلاهما يمثل السلطة التنفيذية، إلا أن ذلك رسمياً فقط وليس فعلياً، أي أن رئيس مجلس الدولة الحقيقي والذي له السلطة الفعلية على المجلس هو نائب رئيس مجلس الدولة، وهو أحد مستشاري المجلس. لذا فإن القضاء الإداري في فرنسا هو مرتبط رسمياً بالسلطة التنفيذية إلا أن السلطة التنفيذية من الناحية العملية تلتزم بحدودها ولا تتدخل في عمل القضاء الإداري هناك، وهذا نهج تجذر في فرنسا وأصبح عرفاً لا يفكر أحد في مخالفته.

أما في مصر والعراق فإن مفهوم فصل السلطات يسمح برقابة السلطة القضائية على الإدارة وحتى على السلطة التشريعية من خلال القضاء الدستوري. لذا فإن القضاء الإداري يجب أن يكون هيئة قضائية

مستقلة عن السلطة التنفيذية، لأن التبعية في هذين البلدين ليست تبعية شكلية كما هو الحال في فرنسا بل هي تبعية فعلية. وهذا ما كان بالفعل قبل فصل القضاة الإداريين في مصر والعراق تشريعياً.^{١٧} لقد نصت المادة الأولى من قانون مجلس الدولة العراقي لسنة ٢٠١٧ على أن مجلس الدولة هيئة مستقلة، ولقد نص دستور العراقي على الهيئات المستقلة في الفصل الرابع من الباب الثالث الخاص بالسلطة القضائية، ونصت المادة ١٠٨ من الدستور في الباب الخاص بالهيئات المستقلة على انه يجوز استحداث هيئات مستقلة بواسطة القانون عند الحاجة، وقد ذهبت المحكمة الاتحادية العليا في قرار لها على ان الهيئات المستقل التي نص عليها الدستور تدخل ضمن السلطة التنفيذية ومرجعيتها تكون لمجلس الوزراء.^{١٨} فهل قانون مجلس الدولة هو تطبيق لهذه المادة؟

أن هذا الرأي لا يصمد سريعاً بمجرد الذهاب إلى قانون مجلس الدولة رقم ٧١ لسنة ٢٠١٧ الذي نص على انه استند في إصداره على المادة (٦١-أولاً) والمادة (٧٣-ثالثاً) والمادة ١٠١ من الدستور. وإذا كانت المادتين ٦١ و٧٣ تنص على صلاحية تشريع القوانين من قبل مجلس النواب والتصديق من قبل رئيس الجمهورية، وهذا امر يتعلق بالعملية التشريعية، إلا ان ما يهمنا في الموضوع محل البحث هو المادة ١٠١ التي استند عليها أيضاً القانون وهي في الفصل الثالث من الباب الثالث في الدستور العراقي، وهذا الفصل خاص بالسلطة القضائية. وقد نصت هذه المادة على انشاء مجلس دولة لممارسة وظيفة القضاء الإداري والإفتاء والصياغة العامة. وعليه فان مجلس الدولة هو هيئة مستقلة قضائية، لأنه ذكر في الدستور ضمن فصل السلطة القضائية فهو سلطة قضائية أيضاً، أي له ما للسلطة القضائية من القوة القانونية لما يصدر منه من أعمال. ان مجلس الدولة يؤدي وظيفة مشابهة للمحكمة الاتحادية العليا، من ناحية انه يقوم بالرقابة على احدى السلطات العامة وهي السلطة التنفيذية بينما المحكمة الاتحادية العليا تراقب السلطة التشريعية. ولقد اعتبر المشرع الدستوري أن المحكمة الاتحادية العليا هيئة قضائية مستقلة^{١٩} وهي ضمن السلطة القضائية^{٢٠}

أن السبب في عدم ذكر مجلس الدولة كجزء من هيئات السلطة القضائية الاتحادية التي عدتها المادة ٨٩ من الدستور العراقي هو ناتج عن ضرورة كون مجلس الدولة كقضاء إداري أن يكون منفصلا تماما عن هيئات السلطة القضائية الاتحادية ولكن ذلك لا ينفي الطبيعة القضائية لمجلس الدولة، لذلك ذكر ضمن الفصل الخاص بالسلطة القضائية في الدستور.

ان السلطات العامة في الدولة حسب المادة ٤٧ من الدستور العراقي هي ثلاث سلطات هي التشريعية والتنفيذية والقضائية، ومجلس الدولة حسب الدستور هو من ضمن السلطة القضائية للأسباب التي ذكرت أعلاه.

إلا ان المحكمة الاتحادية العليا قد جانبت الصواب عندما استندت على المادة ١٠٨ من الدستور في رد دعوى عدم دستورية قانون مجلس الدولة رقم ٧١ لسنة ٢٠١٧ المرفوعة من قبل وزير العدل، وهو الامر الذي تم تفنيده أعلاه. وقد ادعى وكيل المدعي (وزير العدل) بان قانون مجلس الدولة لسنة ٢٠١٧ غير دستوري بسبب النص على ان مجلس الدولة هيئة مستقلة بدون الإشارة الى ربط المجلس بالسلطة القضائية استنادا للمادة ١٠١ من الدستور. وقد رد وكيل المدعي عليه (رئيس مجلس النواب) بان وظائف مجلس الدولة التي وردت في المادة ١٠١ ومن ضمنها الإفتاء لا تعد من وظائف القضاء لذلك لا يمكن الحاق المجلس بالقضاء، اذ ان وظائف المجلس تجعله جزءا من السلطة التنفيذية وليس السلطة التشريعية. واستند وكيل المدعي عليه على المادة ١٠٨ لدعم دستورية قانون مجلس الدولة لسنة ٢٠١٧. وقد رد وكيل المدعي بانه استنادا لقرار المحكمة الاتحادية العليا رقم ٨٨ لسنة ٢٠١٠ صدر قرار لمجلس الوزراء برقم ٢٧٣٩٩ في ٢٣/٨/٢٠١٧ ينص على ان كل هيئة مستقلة لم يحدد الدستور صراحة مرجعيتها الى مجلس النواب او مجلس الوزراء فهي ترجع الى مجلس الوزراء، وما ورد في الكتاب يُقصد به مجلس الدولة!!! وهذا يعني ان عدم الحاق مجلس الدولة بالسلطة القضائية يجعله جزء من السلطة التنفيذية.

وبعد ان قدم كل من المدعي والمدعي عليه دفوعهم امام المحكمة الاتحادية العليا، فقد أصدرت المحكمة قرارها بتأييد المدعي عليه في الاستناد الى المادة ١٠٨ في انشاء مجلس الدولة. وذكرت المحكمة بانه لا يمكن ان يلحق مجلس الدولة بالسلطة القضائية لاختلاف الوظائف. وكذلك لا يمكن ربطه بالسلطة التنفيذية لان ذلك يؤثر على وظيفته في الرقابة على هذه السلطة.

ان التبرير القانوني للمحكمة الاتحادية العليا حول دستورية قانون مجلس الدولة يثير الاستغراب وذلك لصدوره من جهة متخصصة بتفسير النصوص الدستورية. اذ ان رأي المحكمة الاتحادية العليا يعني ان مجلس الدولة هو من ضمن السلطة التنفيذية استنادا الى رأي المحكمة الاتحادية في القرار رقم ٨٨ لسنة ٢٠١٠ الذي اعتبر الهيئات المستقلة جزء من السلطة التنفيذية، وقد اشارت المحكمة في قرارها محل البحث ان سند المشرع العراقي في انشاء مجلس الدولة هو المادة ١٠٨ من الدستور التي تنص على إمكانية انشاء هيئات مستقلة عند الحاجة. ونتيجة ذلك فان مرجعية مجلس الدولة هو مجلس الوزراء استنادا لقرار مجلس الوزراء الذي ذكر اعلاه.

ان المشرع في قانون رقم ٧١ لسنة ٢٠١٧ لم يذكر المادة ١٠٨ اطلاقا، بل ذكر صراحة المادة ١٠١ من الدستور والتي استند عليها في انشاء مجلس الدولة. فكيف اجتهدت المحكمة الاتحادية العليا في رأيها حول قانون مجلس الدولة؟؟!!

ان نتيجة قرار المحكمة الاتحادية العليا حول مشروعية انشاء مجلس الدولة هي متفق عليها من اغلب المختصين بمجال القانون الإداري، إذا انها استجابة لأمنيات تمتد منذ تطبيق النظام القضائي المزدوج في العراق، الا ان تبرير مشروعية انشاء مجلس الدولة فيه خطر على وظيفة المجلس. اذ ان اعتبار مجلس الدولة من ضمن السلطة التنفيذية له تأثير على فاعليته في الرقابة على السلطة الإدارية تختلف عن فاعليته إذا كان سلطة قضائية. وكذلك هذا الامر يدعم استمرار عدم الزامية فتاوى مجلس الدولة حتى للطرف الذي يطلب الرأي من المجلس.

ان المحكمة الاتحادية العليا هي قضاء دستوري ولها سلطة اصدار قرارات حول تفسير النصوص الدستورية عند الطلب منها، وإفتاءها ملزم لجميع السلطات كالإزام القرارات القضائية لهذه المحكمة، استنادا للمادة ٩٤ من الدستور العراقي. وإذا كانت المحكمة الاتحادية العليا تفسر النصوص الدستورية فان مجلس الدولة يختص بتفسير النصوص القانونية، وذلك على رأي المحكمة الاتحادية العليا في العديد من قراراتها^{٢١}. إذا لماذا فتاوى المحكمة الاتحادية العليا ملزمة لجميع السلطات بينما فتاوى مجلس الدولة ليست ملزمة؟ ان النظرة الى ان مجلس الدولة انه من ضمن السلطة التنفيذية يؤدي الى تبرير الفتاوى غير الملزمة لمجلس الدولة في تفسيره للنصوص القانونية، اذ ان صدور التفسير من سلطة قضائية يختلف بطبيعة الحال عن صدوره من قبل هيئة تنتمي للسلطة التنفيذية. وهذا الامر في المحصلة له تأثيره الواضح على فعالية مجلس الدولة في وظيفته اتجاه السلطة الإدارية.

لقد كان على المشرع العراقي في قانون مجلس الدولة لسنة ٢٠١٧ أن يحذو حذو المشرع المصري وينص على أن مجلس الدولة هيئة قضائية مستقلة. ليقطع كل جدل حول طبيعة مجلس الدولة العراقي، وخصوصا ان هناك سلطات عامة في الدولة لا تعترف بالطبيعة القضائية لمجلس الدولة كما هو واضح مما ذكر أعلاه.

على رغم كل ما تقدم فانه ما يؤسف له أن يقوم رئيس مجلس الدولة العراقي بإصدار قرارات اطلق عليها (أوامر وزارية). لقد جانب الصواب رئيس مجلس الدولة في هذا الأمر الذي يزيد السجلات القانونية اشتعالا. إذ اعتبر رئيس المجلس نفسه يقوم مقام الوزير استنادا لنص المادة الرابعة من قانون مجلس الدولة التي منحت رئيس المجلس صلاحيات الوزير. لكن هذا لا يشمل طبيعة عمل مجلس الدولة التي حددها الدستور، واعتبر المجلس من ضمن الهيئات القضائية، كما مر ذكره أعلاه. إذ أن قانون مجلس الدولة لسنة ٢٠١٧ أشار الى تمتع رئيس المجلس (بصلاحيات الوزير المختص المنصوص عليها في التشريعات)، والسبب في هذا النص لأنه يتراءى هيئة عامة مستقلة، فمنح المشرع نفس صلاحيات الوزير الذي يتراس هيئة عامة وهي الوزارة.

في نهاية هذا المبحث فإن قد تم تحقيق الهدف الأول من هذا البحث وهو دراسة طبيعة مجلس الدولة الذي أنشأه قانون رقم ٧١ لسنة ٢٠١٧.

المبحث الثاني: القيود التي تحد من فاعلية مجلس الدولة العراقي:

سيتناول هذا المبحث القيود التي ترد على فاعلية مجلس الدولة العراقي في عمله والتي تؤثر على فعاليته في أداء واجباته، وهي قيود ترد على مدى سلطته وكذلك القيود التي تؤثر على كفاءته وكذلك زخم الدعاوى المعروضة عليه والتي تشكل قيد يؤثر على فعاليته أيضا. ودراسة القيود ستكون استنادا لقانون مجلس الدولة رقم ٧١ لسنة ٢٠١٧ النافذ. وستكون الدراسة في هذا المبحث مقارنة مع فرنسا ومصر تماشيا مع منهج هذه الدراسة.

المطلب الأول: القيود التي ترد على مدى سلطات مجلس الدولة

أن القضاء الإداري في الدولة الأم فرنسا، لا يقتصر على الوظيفة القضائية، بل يتضمن أيضا وظيفة التقنين والإفتاء ويطلق عليها الوظيفة الاستشارية.^{٢٢} وذلك أن النموذج الذي أنشأه نابليون عام ١٧٩٩ كان جزء من السلطة التنفيذية وأنشأه نابليون ليكون عوناً للإدارة لتحسين أدائها وذلك من خلال تدقيق وأعداد مشاريع القوانين التي كانت الإدارة السلطة التنفيذية تعرضها على المجلس قبل تقديمها للسلطة التشريعية، إضافة إلى إبداء المشورة القانونية في القضايا المعروضة على الإدارة، والتي كان القضاء العادي ممنوع من النظر فيها، وإصدار قرار غير ملزم يحتاج إلى تصديق القنصل أو رئيس الدولة ليكون قرار نهائياً. وبمرور الوقت كان رئيس الدولة عادةً يصادق على ما قرره مجلس الدولة، فقد اكتسب المجلس احترام الإدارة إضافة إلى الأفراد والفقهاء الأمر الذي أدى إلى حصول مجلس الدولة على ولاية القضاء المفوض عام ١٨٧٢ ثم الولاية العامة في المنازعات الإدارية بعد حكم كادو عام ١٨٨٩.^{٢٣} وحتى بعد عام ١٨٧٢ بقي القضاء الإداري في فرنسا يمارس الاختصاص الاستشاري (التقنين والافتاء) إلى جانب الاختصاص القضائي، وهي ميزة القضاء الإداري.

أما في مصر فإن الاختصاصين الاستشاري والقضائي كانا جنبا إلى جنب منذ تأسيس مجلس الدولة بقانون عام ١٩٤٦.^{٢٤} وذلك استنادا للنموذج الفرنسي الأم. وقد كان الاختصاص القضائي في البداية على سبيل الحصر ثم توسع حتى أصبح مجلس الدولة المصري صاحب الولاية العامة في المنازعات الإدارية منذ دستور ١٩٧١^{٢٥} ثم قانون مجلس الدولة لسنة ١٩٧٢.

أما في العراق فإن الاختصاص الاستشاري بشقيه التقنين والإفتاء للقضاء الإداري يعود إلى سنة ١٩٣٣. حيث صدر قانون ديوان التدوين القانوني رقم ٤٩ والذي نص على إنشاء هيئة تسمى ديوان التدوين القانوني وتختص بصياغة مشاريع القوانين والأنظمة وإبداء المشورة القانونية للوزارات، إضافة إلى أن الديوان كان يفصل في القضايا الخاصة بالموظفين^{٢٦}. وانتقل اختصاص التقنين والمشورة القانونية وقضايا الموظفين إلى مجلس شورى الدولة الذي أنشئ على أنقاض ديوان التدوين القانوني بالقانون رقم ٦٥ لسنة ١٩٧٩. ثم انتقل الاختصاص القضائي والاستشاري إلى مجلس الدولة الذي أنشئ على أنقاض مجلس شورى الدولة بالقانون رقم ٧٩ لسنة ٢٠١٧.

إذن اختصاص التقنين والإفتاء للقضاء الإداري كان يمارسه ديوان التدوين القانوني قبل ٥٦ عام من إنشاء محكمة القضاء الإداري، إضافة إلى اختصاص النظر في قضايا الموظفين الذي كان يمارسه الديوان منذ ذلك التاريخ. ولم يعتبر العراق من دول النظام القضائي المزدوج إلا بإنشاء محكمة القضاء الإداري عام ١٩٨٩. لذا فإن مجلس الدولة يمتلك خبرة طويلة في المجال الاستشاري، وكذلك في مجال قضايا الموظفين، وقد القت هذه الخبرة بظلالها على عمل القسم الاستشاري والقضائي في مجلس الدولة، وهو الأمر الذي يتضح من الأداء المحترف لمجلس الدولة في مجال القضاء الإداري على الرغم من حداثة إنشائه خصوصا بعد عام ٢٠٠٣ عندما خرج العراق من عباءة الحكم الدكتاتوري. إذ أن العمل الاستشاري مع الإدارة العامة يؤدي الى معرفة مشاكل الإدارة ونسق عملها وحسنات وسيئات أدائها وكيفية تفكيرها. ويسجل للقضاء الإداري في العراق دوره كحارس لحقوق وحریات الأفراد في اجتهاداته، ومنها على سبيل المثال لا الحصر اجتهاده في التصدي لأوامر نقل الموظفين كعقوبة مبطنه،^{٢٧} وهو الأمر

الذي يشكل ظاهرة في دوائر الدولة العراقية. وكذلك اعتبار القرار المعيب بعبء الاختصاص معدوما ولا يتم التقيد فيه بمدد الطعن بدون الأخذ بنظر الاعتبار سواء كان العيب بسيطا أم جسيما.^{٢٨} إلا أن أداء مجلس الدولة يحتاج إلى المزيد من التطوير، فهو يحتاج إلى تأصيل في أحكامه للمبادئ التي يتضمنها الحكم، وهذا الأمر ضروري في القضاء الإداري لأنه قضاء إنشائي. كما يحتاج المزيد من الخبرات لتغطية الاتساع المستمر في عمله، وهو الأمر الذي سوف تتم مناقشته لاحقا في هذا البحث.

إن مجلس الدولة العراقي مكبل بالعديد من القيود على عمله والتي تلقي بظلالها على فعاليته. إذ أن مجلس الدولة هو قضاء متخصص لمراقبة السلطة الإدارية واحترام النصوص القانونية، كما انه يوجد قضاء متخصص لمراقبة السلطة التشريعية واحترام النصوص الدستورية والمتمثل بالمحكمة الاتحادية العليا. وبالمقارنة مع المحكمة الاتحادية العليا فان مجلس الدولة لا يتمتع بنفس مدى سلطات المحكمة الاتحادية العليا التي تتمتع قراراتها القضائية والإفتائية بالقوة الملزمة لجميع السلطات حسب الدستور^{٢٩}، بينما فتاوى مجلس الدولة في بيان أحكام نصوص القانون وتفسيرها غير ملزمة حتى للأطراف التي تطلب الرأي. وقد كانت الفقرة الرابعة من المادة السادسة من قانون مجلس شورى الدولة رقم ٦٥ لسنة ١٩٧٩ تنص على أن طلب الرأي بموجب هذه الفقرة ملزم للطرف الذي يطلبه، لكن قانون مجلس الدولة لسنة ٢٠١٧ ألغى هذه الفقرة وبذلك أصبح طلب الرأي من مجلس الدولة بناء على الفقرة الخامسة من المادة السادسة والتي تجعل الأخذ بالرأي غير ملزم، وهذا التصرف من المشرع يدل على عدم الرغبة في الذهاب بعيدا في دعم مجلس الدولة. واكتفى المشرع بفصل القضاء الإداري عن السلطة التنفيذية في قانون عام ٢٠١٧ ثم توقف، بينما كان المفروض توسيع سلطات مجلس الدولة وجعل الاستشارة ملزمة لجميع السلطات سواء التي طلبت الرأي أو التي لم تطلب كما هو الحال مع المحكمة الاتحادية عندما تفسر نص دستوري بطلب أحد الأطراف. لكن المشرع ذهب عكس المطلوب منه، وهذا الأمر يؤثر على عمل السلطات الإدارية، فنلاحظ أن لكل وزارة أو جهة إدارية اجتهاد في نص قانوني معين عند تطبيقه، فالنص الواحد يطبق بعدة تطبيقات حسب اجتهاد كل وزارة أو هيئة أو مجلس محلي، وعلى سبيل المثال

فان مجالس المحافظات تفسر المادتين الثانية والسابعة من قانون المحافظات غير المنتظمة في إقليم^{٣٠} بان مجالس المحافظات تستطيع إصدار القوانين المحلية وهذا عكس رأي مجلس الدولة الصريح في هاتين المادتين وهو أن مجالس المحافظات لا تملك هذه السلطة لأنها (أي مجالس المحافظات) سلطة إدارية^{٣١}، لكن بما أن قرارات مجلس الدولة غير ملزمة إلا للطرف الذي يطلب الرأي (وذلك قبل قانون مجلس الدولة لسنة ٢٠١٧) لذا فان المحافظات مستمرة في إصدار القوانين رغم الرأي الصريح لمجلس الدولة حول هذا الموضوع^{٣٢}. فكيف الآن في ظل قانون ٢٠١٧ والذي أصبح رأي المجلس غير ملزم حتى للطرف الذي يطلبه. أن جعل رأي مجلس الدولة ملزم لجميع السلطات يؤدي إلى وحدة الاجتهاد في تطبيق النصوص القانونية الغامضة، وتكون الجهة المختصة بذلك هي جهة مهنية في هذا الميدان وهو مجلس الدولة الذي يملك خبرة منذ سنة ١٩٣٣.

وإضافة إلى عدم قيام السلطة التشريعية بدعم مجلس الدولة في الاختصاص الإفتائي، فإنها أيضا لا تتعاون مع مجلس الدولة فيما يخص صياغة النصوص القانونية. إذ أن النظام الداخلي لمجلس النواب يشير إلى أن اللجنة القانونية في المجلس هي المسؤولة عن صياغة مشاريع القوانين المقدمة لها من قبل مجلس النواب والحكومة، وهذا يتعارض مع قانون مجلس شورى الدولة عام ١٩٧٩ المعدل الذي تشير المادة الخامسة منه إلى أن المجلس يختص في مجال التقنين في (الإسهام في ضمان وحدة وتوحيد أسس الصياغة التشريعية وتوحيد المصطلحات والتعابير القانونية). وهذا نص صريح على أن المسؤول عن الصياغة التشريعية في العراق هو مجلس الدولة. والمجلس لديه خبرة قديمة في هذا المجال تعود إلى سنة ١٩٣٣ كما ذكرنا سابقا، لذا فانه على مجلس النواب أن يقوم بإرسال مشاريع القوانين إلى مجلس الدولة للتأكد من صياغتها قبل إصدار القانون.

استنادا للمادة الخامسة من قانون مجلس الدولة فإن الحكومة في العراق تقوم بإرسال مشروع القانون إلى مجلس الدولة لمراجعته أو إنها تطلب من مجلس الدولة إعداد مشروع قانون، ثم ترفع مشروع القانون إلى مجلس النواب، إلا أن هذا الأخير يقوم بتعديل مشروع القانون بدون استشارة مجلس الدولة حول صياغته

وهو الأمر الذي أدى إلى مشاكل عملية في هذا المجال. على سبيل المثال ما ذكره رئيس مجلس الدولة من أن قانون المحافظات غير المنتظمة في إقليم رقم ٢١ لسنة ٢٠٠٨ (صيغ بعبارات وجمل وكلمات تتحمل الكثير من التفسيرات بسبب تعديل العديد من النصوص التي سبق لمجلس شورى الدولة أن دققها، بحذف وإضافة كلمات ومصطلحات تتحمل التأويل وبعيدة عن الواقع الجديد مما ولد انطبعا غير صحيح عن إدارة تلك المحافظات)^{٣٣}. ومن هذه المصطلحات هي العبارة التي وردت في المادة الثانية من القانون والتي تنص على أن مجلس المحافظة هو سلطة تشريعية ويقوم بإصدار تشريعات محلية، وقد وردت العبارة الأخيرة في المادة ٧ من القانون. وقد تم التطرق إلى هذا المثال أعلاه.

أن عدم تطبيق نص المادة الخامسة من قانون مجلس شورى الدولة لسنة ١٩٧٩ المعدل من قبل مجلس النواب العراقي والتي توجب على المجلس الرجوع إلى مجلس الدولة في مجال التقنين أدى إلى تقييد عمل مجلس الدولة في مجال التقنين وحصر اثره على مشاريع القوانين التي ترسلها الحكومة إلى مجلس النواب فقط قبل مناقشتها في المجلس وهذا ليس كافيا لتحقيق هدف مجلس الدولة في مجال التقنين وهو توحيد أسس الصياغة التشريعية وتوحيد المصطلحات والتعبير القانونية، لما لذلك من اثر على فعالية النصوص القانونية وتحقيق الهدف من تشريعها كما لا حظنا في مثال مجالس المحافظات أعلاه.

المطلب الثاني: القيود التي تؤثر على كفاءة مجلس الدولة.

إن كفاءة مجلس الدولة في فرنسا كان لها أثرها في إنشاء القانون الإداري وقيام العديد من الدول بتطبيق النموذج القانوني الفرنسي. وعند إنشاء مجلس الدولة من قبل نابليون كان يتألف من ٣٠٠ شخص، ثلاثة أرباعهم يعملون بشكل فعلي والآخرين هم أما محامين أو رجال سياسة أو موظفين كبار في الإدارة.^{٣٤} ويظهر أن الفئات الأخيرة قامت بدعم المجلس بخبراتها. وإذا كان المجلس يصدر مشاريع أحكام، فإن رئيس الدولة كان عادة يصادق على مشاريع أحكام المجلس،^{٣٥} إذ أن المجلس قد حاز على الاحترام وترك انطبعا حسنا عند الفرنسيين، وهي عكس الصورة التي كانت للقضاء قبل الثورة. وقد أدى هذا الأمر إلى أن تكون للمجلس مكانة الاحترام والثقة، فسارع الفرنسيون إلى اللوذ به للدفاع عن حقوقهم في

مواجهة الإدارة. ومن جهة أخرى فإن الإدارة احترمت قراراته والتزمت بها ونزلت عندها منزلة الإلزام، فكان نتيجة ذلك صدور قانون ١٨٧٢ الذي منح السلطة القضائية الكاملة لقرارات مجلس الدولة. وتظهر مكانة مجلس الدولة عند الإدارة في فرنسا واضحة بدليل قرار مجلس الدولة في حكم كادو عام ١٨٨٩ والذي نص على أن مجلس الدولة هو صاحب الولاية العامة في المنازعات الإدارية ورغم أن ذلك لم ينص عليه المشرع الفرنسي إلا أن الإدارة احترمت هذا القرار وطبقته وأصبح مجلس الدولة منذ ذلك التاريخ يملك الولاية العامة في المنازعات الإدارية حتى قانون عام ١٩٥٣ والذي نص فيه المشرع على اختصاصات مجلس الدولة على سبيل الحصر وجعل الولاية العامة للمحاكم الإدارية، وإن كان هنا مجلس الدولة هو صاحب الدرجة الأخيرة في التقاضي مع الاختصاصات الحصرية التي نص عليها المشرع وهذا إجراء تنظيمي اضطر له المشرع للتخفيف على كاهل مجلس الدولة. وبعد عام ١٨٨٩ ساهم الفقه بشكل عام والفقهاء الذين عملوا في مجلس الدولة، ومن أبرزهم الفقيه الفرنسي إدوارد لافيرير الذي تولى رئاسة مجلس الدولة بين عامي ١٨٨٦ و ١٨٩٨، في تنشيط فاعلية مجلس الدولة الأمر الذي أدى إلى ظهور الكثير من مبادئ ونظريات القانون الإداري على يد مجلس الدولة.^{٣٦} وهذا دليل قاطع على الفعالية العالية لمجلس الدولة الفرنسي.

بعد الحرب العالمية الثانية اتجه المشرع إلى تعزيز كفاءة القضاء الإداري في فرنسا وذلك من خلال المدرسة الوطنية للإدارة. والتي تُخرج أشخاص مؤهلين لشغل المناصب العليا في الإدارة وكذلك أشخاص يتم تعيينهم في مجلس الدولة وبقية محاكم القضاء الإداري، وهؤلاء يتم إخضاعهم إلى تدريب واختبار من قبل مجلس الدولة قبل مباشرتهم لعملهم في القضاء الإداري وكذلك يستمرون في الترقية في السلم الإداري للقضاء الإداري إلى أن يشغلوا منصب مستشار في مجلس الدولة بعد الخامسة والأربعين. وضافة الى ذلك فانه هناك طريق آخر للانضمام في عضوية القضاء الإداري وهو خضوع محامين وأصحاب الخبرة في المجال القانوني إلى اختبار قبل تعيينهم في القضاء الإداري، وهو طريق يختلف عن طريق المدرسة الوطنية للإدارة.^{٣٧}

إن الهيئة التي كان لها الفضل العظيم في فاعلية مجلس الدولة الفرنسي هي هيئة مفوضي الدولة التي تضم متخصصين في القانون وفقهاء كان لتطيرهم الأثر البالغ في إنشاء العديد من المبادئ والنظريات التي طرحها مجلس الدولة إضافة إلى هيئة مفوضي الدولة في محكمة التنازع التي أنشأت عام ١٨٧٢ للفصل في تنازع الاختصاص بين القضاء الإداري والقضاء العادي. ففي حكم بلانكو الشهير لمحكمة التنازع كانت نظرية المرفق العام التي طرحت في هذا الحكم هي من تنظير مفوض الدولة ديفيد^{٣٨} وكذلك في حكم تيريه عام ١٩٠٣ لمجلس الدولة كانت هناك المطالعة الرائعة لمفوض الدولة روميو حول نظرية المرفق العام. كما أن من لفت الانتباه إلى حكم بلانكو الشهير هو مفوض الدولة تيسيه في مطالعته في حكم فيتري الصادر من محكمة التنازع.^{٣٩} وإضافة لما تقدم فإن مفوض الدولة يقوم بتسهيل مهمة القاضي الإداري بإعداد مشروع كامل للحكم في القضية المعروضة على القضاء، فهو يقوم بجمع كل ما يتعلق بالقضية والراي القانوني حولها.^{٤٠}

أما في مصر فقد تم إنشاء مجلس الدولة عام ١٩٤٦ بالقانون رقم ١١٢. وقد كانت بداية هذا المجلس بمحكمة القضاء الإداري مع قسمي الفتوى والتشريع والجمعية العمومية.^{٤١} ومعظم أعضاء مجلس الدولة عند تأسيسه كانوا من قضاة القضاء العادي.^{٤٢} وفي قانون مجلس الدولة رقم ٩ عام ١٩٤٩ تمت الاستعانة بأحد مستشاري المجلس للقيام بجمع أوليات الدعاوى وأعداد الراي القانوني حولها، وذلك لتقديمه للقاضي الإداري لإصدار الحكم.^{٤٣} وفي عام ١٩٥٤ صدر القانون رقم ١٤٧ الذي أنشأ المحاكم الإدارية إلى جانب محكمة القضاء الإداري وفي عام ١٩٥٥ صدر القانون رقم ١٦٥ الذي أنشأ المحكمة الإدارية العليا وهيئة مفوضي الدولة التي تقوم بجمع أوليات الدعاوى ودراستها وإعداد الراي القانوني حولها وتقديمه إلى القاضي الإداري لإصدار الحكم.^{٤٤} وقد صدر بعد ذلك قانون مجلس الدولة رقم ٥٥ لسنة ١٩٥٩ ثم قانون مجلس الدولة النافذ رقم ٤٢ لسنة ١٩٧٢.

إن أعضاء مجلس الدولة المصري هم المستشارون والمستشارون المساعدون والنواب والمندوبين.^{٤٥} ويلاحظ هنا أن المشرع المصري اعتمد على التدرج في عضوية مجلس الدولة من درجة المندوبين إلى

النواب ثم إلى المستشار المساعد درجة (ب) ثم المستشار مساعد درجة (أ) ثم إلى المستشار. وهذا ينتج عنه تراكم الخبرة لعضو مجلس الدولة عندما يصل إلى مرتبة المستشار المساعد والمستشار، ويؤدي إلى توفير الموارد البشرية الكفؤة للقضاء الإداري. ويمكن التعيين كعضو في مجلس الدولة بدرجة مندوب بالنسبة للمحامين ووكلاء النيابة العامة الإدارية والذين يشتغلون في عمل قانوني يعتبر نظير لعمل قضائي والمعيّدون من خريجي القانون وذلك وفق الشروط التي نص عليها قانون مجلس الدولة لسنة ١٩٧٢،^{٤٦} ويبدأ هؤلاء باكتساب الخبرة حتى يبلغوا مرتبة المستشار المساعد والمستشار إضافة إلى انهم يساعدون في سرعة إنجاز مهام محاكم القضاء الإداري. وإضافة إلى ذلك فإنه يمكن تعيين أعضاء لمجلس الدولة في أي درجة من درجات العضوية في المجلس وذلك عند تحقق شروط هذه الدرجة.^{٤٧} أن هذا المنهج أدى إلى نتائج إيجابية في كفاءة أعضاء القضاء الإداري المصري، كما أدى إلى زيادة في الموارد البشرية التي يحتاجها القضاء، وإن كانت هناك حاجة للمزيد منها في مصر.^{٤٨} ولكن ما يؤخذ على مجلس الدولة أنه يقبل تعيين قضاة من القضاء العادي في المجلس وهذا له تأثيره على أداء المجلس لأن منهج القاضي العادي يختلف عن منهج القاضي الإداري وقبول قضاة لهم خبرة طويلة في القضاء العادي من المؤكد أنهم سينقلون إلى القضاء الإداري منهج القضاء العادي، ومنهج كلا القضاءين مختلف كما هو معروف للمطلعين في هذا المجال.

على أن أداء هيئة مفوضي الدولة قد القى بضلاله على حسن أداء مجلس الدولة المصري. فقد اعتنى المشرع بهذه الهيئة فنص على أن عضويتها تتألف من (أحد نواب رئيس المجلس رئيساً وعدد كافٍ من المستشارين والمستشارين المساعدين والنواب والمندوبين)^{٤٩}. وواضح أن المشرع ضم كل درجات المجلس في هذه الهيئة وذلك لاكتساب الخبرة في عمل هذه الهيئة من قبل الدرجات الأدنى حتى تتدرج في سلم عضوية المجلس إضافة إلى أن ذلك يساعد في سرعة إنجاز هيئة مفوضي الدولة لمهامهم. ولكن المشرع اشترط أن يكون مفوض الدولة في المحكمة الإدارية وفي المحكمة الإدارية العليا بدرجة مستشار فقط، الأمر الذي ينتج عنه أن تكون خلاصة الخبرة في هاتين المحكمتين، وهذا تطبيق لما نصت عليه المذكرة

الإيضاحية لقانون مجلس الدولة المصري رقم ١٦٥ لسنة ١٩٥٥ والتي جاء فيها أن (القضاء الإداري في فرنسا ما كان سيصل إلى ما وصل إليه من الرقي ورفعة المستوى إلا بفضل الجهود التي يبذلها مفوضو الدولة، والبحوث التي يتقدمون بها).

وقد نتج عن الأداء المهني لمجلس الدولة، احتلاله مكانة مرموقة في مصر وترسيخ قدمه في النظام القانوني المصري، واعتبره الدستور المصري لسنة ٢٠١٤ أحد فرعي السلطة القضائية^{٥٠}، بعد أن أفرد لمجلس الدولة فرعاً خاصاً به من الفصل الثالث الخاص بالسلطة القضائية من الباب الخامس من الدستور وأفرد للقضاء العادي فرعاً آخر مستقلاً به أيضاً.

ومن تتبع أحكام محكمة القضاء الإداري يمكن ملاحظة صياغة أحكام المحكمة والتي تحتوي على تنظير قانوني لموضوع الدعوى والوصول إلى المبدأ الذي يطبق على الدعوى، وعلى سبيل المثال الحكم الرائع لمحكمة القضاء الإداري في عام ٢٠١٦ حول انتهاك حرمة الكنائس باعتبارها من دور العبادة وكذلك الحكم الصادر من المحكمة بعدم التفرقة بين نتيجة الغش في الامتحان وبين الشروع فيه من حيث العقوبة، وهي اعتباره راسباً في جميع المواد^{٥١}. وإضافة إلى ذلك فإن مجلس الدولة المصري كان له أثره في القانون الإداري المصري وقد أرسى عدد من المبادئ والنظريات في أحكامه القضائية. فعلى سبيل المثال عدم جواز الإثراء على حساب الغير بدون سبب، وضرورة توفير ضمانات التي تكفل للمتهم حق الدفاع عن نفسه في المحاكمات التأديبية وإن لم ينص القانون على ذلك.^{٥٢}

إلا أن كفاءة مجلس الدولة المصري على علوها فإنها لا تصل إلى كفاءة القضاء الإداري الفرنسي. والسبب يمكن أن يكون إلى جانب كفاءة الفقهاء الذي تولوا العضوية في مجلس الدولة ومحكمة التنازع الفرنسية وبالأخص بصفة مفوضي الدولة، هو عدم زج قضاة المحاكم العادية في عضوية القضاء الإداري الفرنسي، وهو الأمر الذي له أثره على كفاءة القضاء الإداري الفرنسي، ف كلا النهجان لا يلتقيان. أما في العراق فقد صدر قانون التعديل الثاني لقانون مجلس شورى الدولة عام ١٩٨٩ والذي أنشأ محكمة القضاء الإداري كأحد هيئات مجلس شورى الدولة ونصت المادة الرابعة من القانون بان مجلس شورى

الدولة يختص بالتقنين والقضاء الإداري وإبداء الرأي في الأمور القانونية للدولة. وبذلك يكون العراق قد انتقل من دول النظام القضائي الموحد إلى دول ذات النظام القضائي المزدوج. لكن الأمر لم يكن دفعة واحدة كما هو الحال في مصر، إذ أن مجلس شورى الدولة قد أنشئ عام ١٩٧٩ وهذا المجلس لم يكن منقطع الجذور بل هو امتداد لهيئة سابقة له تسمى ديوان التدوين القانوني، كما ذكرنا سابقا.

لقد عدلت المادة ٦ من قانون ١٩٨٩ المادة ٧ من قانون ١٩٧٩ والتي نصت على أن مجلس الانضباط العام ومحكمة القضاء الإداري يمارسان وظيفة القضاء الإداري. إن مجلس الانضباط العام أنشئ عام ١٩٢٩ كهيئة إدارية تقوم بالنظر في المنازعات الخاصة بالوظيفة العامة،^٣ ثم الحق هذا المجلس بديوان التدوين القانوني^٤ والحق بعد ذلك بمجلس شورى الدولة^٥. ويمارس مجلس الانضباط العام وظيفة قضائية تتمثل في النظر في منازعات الوظيفة العامة، وقد تغيرت تسميت مجلس الانضباط العام في قانون التعديل الخامس لقانون مجاس شورى الدولة عام ٢٠١٣ إلى محكمة قضاء الموظفين.

لقد كان ديوان التدوين القانوني يمارس نشاطا استشاريا عند تأسيسه عام ١٩٣٣ إضافة إلى نشاط مجلس الانضباط العام والذي كان جزء من ديوان التدوين القانوني. ويتمثل النشاط الاستشاري في مجال التقنين والمشورة القانونية، إذ كان ديوان التدوين القانوني يقوم بإعداد وتنظيم مشاريع القوانين والأنظمة الخاصة بالشؤون القضائية وتلك المتعلقة بوزارة العدل وكذلك تدقيق ما تتجزه الوزارات من مشاريع القوانين والأنظمة.^٦

يتضح مما تقدم الخبرة الطويلة لمعظم نشاط مجلس الدولة في العراق. إذ أن نشاط التقنين والإفتاء والنشاط القضائي المتمثل بمجلس الانضباط العام يمتد من سنة ١٩٢٩ و ١٩٣٣. أما النشاط القضائي لمحكمة القضاء الإداري فهو الجديد عام ١٩٨٩، وقد القت الخبرة الطويلة التي ذكرت أعلاه بظلالها على القسم القضائي لمجلس الدولة.

لا يمكن إنكار الخبرة التي تم التطرق لها أعلاه، لكن كم عدد المستشارين والمستشارين المساعدين؟ إذ نصت المادة الأولى من قانون مجلس شورى الدولة لسنة ١٩٧٩ على أن مجلس الدولة يتكون من عدد

من المستشارين لا يقل عن ١٢ مستشار وعدد من المستشارين المساعدين لا يزيد على نصف عدد المستشارين. وقد نص القانون على شروط للمستشار والمستشار المساعد فيما يخص الشهادة ومدة الخبرة القانونية وهي فيما يخص المستشارين لا تقل عن ثمانية عشر سنة وذلك بالنسبة للحاصلين على شهادة الدكتوراه في القانون، وأما المستشارين المساعدين يجب ألا تقل خدمتهم القانونية أو القضائية عن إحدى عشرة سنة وذلك للحاصلين على شهادة الدكتوراه في القانون. وإضافة إلى المستشارين والمستشارين المساعدين يمكن انتداب أساتذة قانون وكبار الموظفين والموظفين القضائيين ممن تنطبق عليهم شروط المستشار لمدة سنتين قابلة للتجديد مرة واحدة فقط على ألا يزيد عددهم عن ثلث عدد المستشارين. وكذلك يمكن انتداب قضاة من الصنفين الأول والثاني لمحكمة القضاء الإداري ومجلس الانضباط العام (محكمة قضاء الموظفين). ويتضح مما سبق أن المشرع أراد أن يكون العدد الأكبر من أعضاء مجلس الدولة هم من المستشارين المعيّنين، وهؤلاء يجب أن يتوفر فيهم شرط الخبرة القانونية لمدة ثمانية عشر سنة على الأقل وذلك للحاصلين على شهادة الدكتوراه في القانون، أما الذين لديهم شهادة ماجستير فيجب أن تكون سنوات الخبرة هي عشرون سنة وللذين لديهم شهادة بكالوريوس في القانون يجب ألا تقل سنوات الخبرة على اثنتان وعشرون سنة. ويتضح من كل مما تقدم بأن شروط المستشار الذي يشكل الأغلبية في عضوية مجلس الدولة هي ليست بالممكن توفرها بعدد مناسب. ورغم أن المشرع قد أحسن صنعا بالنص على هذه الشروط وذلك لضمان كفاءة أداء مجلس الدولة ولتوفير كوادراً قادرة على أن تستفيد من الخبرة الطويلة التي يتمتع بها المجلس، إلا أن ذلك أدى إلى مشكلة نقص الموارد البشرية لمجلس شوري الدولة، وخصوصاً أن الدعاوى تزداد بشكل مطرد بمرور الوقت مع تقدم تجربة القضاء الإداري في العراق. وعلى الرغم من أن المشرع حاول أن يسد النقص المحتمل في عضوية مجلس شوري الدولة (مجلس الدولة الآن) الذي أسسه عام ١٩٧٩ عن طريق انتداب أساتذة القانون في الجامعات وكبار الموظفين الإداريين والقضائيين وكذلك القضاة،^{٥٧} لكن هذا الإجراء لم يسعف مجلس الدولة بعد زيادة الدعاوى المرفوعة

أمامه، لذا لجأ المشرع إلى زيادة أعضاء مجلس الدولة عام ٢٠١٣ في التعديل الخامس لقانون مجلس شورى الدولة.

لقد قام المشرع في التعديل الخامس لقانون مجلس شورى الدولة بزيادة عدد المستشارين إلى ما لا يقل عن خمسين مستشار والمستشارين المساعدين إلى ما لا يقل عن خمسة وعشرين مستشار، على ألا يزيد عدد المستشارين المساعدين عن نصف عدد المستشارين. وكذلك قام المشرع بتقليل عدد سنوات الخبرة المطلوبة للمستشار والمستشار المساعد حتى يكون هناك مجال لعدد أكبر للتعين في المجلس، فأصبح العدد الأقل لسنوات خبرة المستشار في وظائف قانونية أو قضائية هو أربع عشرة سنة لمن حصل على شهادة دكتوراه في القانون، وتزداد سنوات الخبرة إلى ست عشرة سنة للحاصلين على شهادة الماجستير ثم تزداد الخبرة إلى ثمان عشرة سنة للحاصلين على شهادة البكالوريوس. ومن ناحية أخرى فإنه استناداً للتعديل الخامس لقانون مجلس شورى الدولة فإن العدد الأقل لسنوات الخبرة المطلوبة للمستشار المساعد هي عشرة سنوات للحصول على شهادة الدكتوراه في القانون، ثم تزداد المدة إلى اثنتي عشرة سنة للحاصلين على شهادة الماجستير في القانون، وأيضاً تزداد مدة الخبرة إلى أربع عشرة سنة للحاصلين على شهادة البكالوريوس في القانون. ويمكن ترقية المستشار المساعد إلى مستشار بعد مضي ثلاث سنوات على الأقل في الخدمة وقام بنشر بحثين قانونيين قيمين على الأقل بناء على تقييم وتوصية هيئة الرئاسة في مجلس الدولة.

لكن على عكس فرنسا ومصر فإن المشرع العراقي لم يطبق نموذج هيئة مفوضي الدولة التي أثبتت التجربة في فرنسا ومصر نجاحها واثراً فعالاً على أداء القضاء الإداري سواء في فرنسا أو مصر، كما مر ذكره سابقاً في هذا المطلب.

من كل مما تقدم يمكن ملاحظة أن القضاء الإداري في فرنسا قد اعتمد في بداية عمله على فقهاء في القانون ومتخصصين أصحاب خبرة عالية كانت نتائجها واضحة في مسيرة مجلس الدولة الفرنسي الذي أصبح قبلة للكثير من الدول التي طبقت النموذج الفرنسي. وبعد الحرب العالمية الثانية قام المشرع بإيجاد

مصدر للموارد البشرية التي يحتاجها القضاء الإداري عن طريق إنشاء المدرسة الوطنية للإدارة والتي تخرج متخصصين في الإدارة قسم منهم يذهب إلى شغل مناصب متقدمة في الإدارة وقسم آخر يذهب إلى القضاء الإداري بعد التدريب والاختبار. وهؤلاء يتدرجون في سلم القضاء الإداري حتى يصلوا إلى درجة المستشار المساعد ثم المستشار. ومن الطبيعي أن هذا الأسلوب يوفر موارد بشرية تتميز بالكفاءة. وإضافة إلى ذلك فهناك أسلوب آخر وهو الاستعانة بالخبرات القانونية عن طريق التعيين المباشر للأساتذة القانون وكبار رجال الإدارة بعد توفر شروط معينة لضمان اختيار الأكفاء.

أما في مصر فقد استعان المشرع بأسلوب التدرج الذي طبقه المشرع الفرنسي، وذلك بتعيين المندوبين والنواب إلى جانب المستشارين المساعدين والمستشارين، وكل له شروطه التي نص عليها المشرع إضافة إلى التعيين المباشر لأساتذة القانون في الجامعات وكبار الموظفين ضمن شروط معينة^٨. ولكن المشرع المصري اختلف عن المشرع الفرنسي بأسلوب الاستعانة بقضاة من القضاء العادي، وقد تم الإشارة فيما سبق إلى مساوئ هذا الأسلوب. إذ أنه كيف يمكن الاستعانة بقاضي يمتلك خبرة طويلة في القضاء العادي للعمل كقاضي إداري مع الاختلاف في أساس كل من القضاءين وطبيعتهما. وكيف يمكن اعتبار ذلك دعم للقضاء الإداري!! إن القاضي الإداري يتعامل مع أطراف دعوى مختلفين عن أطراف الدعوى في القضاء العادي، فالقاضي الإداري مهمته التوفيق بين مصلحتين متناقضتين هما المصلحة الخاصة والمصلحة العامة أما القاضي العادي أمامه مصلحة خاصة فقط، لذا فإن القاضي الإداري يتعامل مع النص القانوني بشكل مختلف عن تعامل القاضي العادي الذي يتعبد بالنص القانوني. كما إن القاضي الإداري له خبرة في النشاط الإداري وهو الأمر الذي يساعده في الدفاع عن حقوق الأشخاص في مواجهة الإدارة إضافة إلى عدم هدر المصلحة العامة، ومثال على ذلك قضاء الغلو في مصر واستخدام النقل كعقوبة مبطنه في العراق. إن القاضي العادي إذا حل محل القاضي الإداري في هذين المثالين فإنه سيتمسك بالنص بغض النظر عن المصلحة الخاصة وموازنتها مع المصلحة العامة. وإذا كنا نستعين بخبرات القضاء العادي في القضاء الإداري، إذا لماذا الفصل بين القضاءين؟! فإذا كانت هناك أسباب

تاريخية في البلد الأم فرنسا أدت إلى فصل القضاء، فان الذي أدى إلى استمرار فصل القضاء في كل الدول ذات النظام القضائي المزدوج هو الاختلاف في طبيعة وأساس كل منهما. وعليه فان أسلوب الاستعانة بخبرة القاضي العادي في عمل القضاء الإداري محل نظر.

أما في العراق فان المشرع لم يتتبع تجارب فرنسا ومصر لتوفير الموارد البشرية الكفؤة الكافية لمواجهة توسع عمل المجلس بعد زيادة ثقة الأفراد به إضافة الى الإدارة. إذ أن المشرع في التعديل الخامس قام بزيادة عدد أعضاء مجلس الدولة من مستشارين ومستشارين مساعدين ولكن لم يتم بإيجاد آلية لإعداد موارد بشرية كفؤة لمجلس الدولة، إذ أن الزيادة التي نص عليها المشرع كيف يتم تهيئتها؟ هل يتم الاعتماد على أساتذة الجامعات ورجال الإدارة وقضاة القضاء العادي والموظفين القضائيين الذين تتوفر فيهم الشروط المنصوص عليها في القانون؟ كم عدد هؤلاء؟ إن هذا الأسلوب لا يؤدي إلى توفير العدد الكافي من الموارد البشرية، وكان يجب على المشرع اتباع الأسلوب الفرنسي في إنشاء معهد خاص لإعداد أعضاء لمجلس الدولة وكما هو مطبق في العراق بالنسبة للمعهد القضائي الذي يقوم بإعداد قضاة للمحاكم العادية في العراق، إضافة إلى أسلوب التعيين المباشر وفق شروط. كما يجب أن تكون هناك عدة درجات في سلم مجلس الدولة كما هو الحال في فرنسا ومصر، فعنوية القضاء الإداري في هذين البلدين لا تقتصر على المستشار والمستشار المساعد بل هناك عدة درجات تسبق هاتين الدرجتين وتكون بشروط اقل من شروط درجتي المستشار والمستشار المساعد ويتم التدرج حتى الوصول إلى هاتين الدرجتين، وهذه الأساليب تؤدي إلى دعم مجلس الدولة بالموارد البشرية من ناحية الكم والنوع.

إضافة لما تقدم فان المشرع العراقي لم يطبق نموذج هيئة مفوضي الدولة كما هو الحال في فرنسا ومصر حتى في قانون مجلس الدولة النافذ عام ٢٠١٧. وقد ثبت نجاح هذا النموذج في كل من فرنسا ومصر من ناحية التخفيف على القاضي الإداري بإعداد مشروع حكم مقدم للقاضي من قبل متخصصين وكذلك الأثر البالغ على كفاءة القضاء الإداري، وهو امر لا يمكن إغفاله في فرنسا التي كان من الأسباب المهمة لنجاح القضاء الإداري فيها هو وجود مفوضي الدولة. كما يمكن ملاحظة أثر مفوضي الدولة على أداء

مجلس الدولة المصري من ناحية المبادئ والنظريات التي اجتهد بها مجلس الدولة المصري والتي بنت له مكانة مرموقة في مصر كما تم بيانه سابقا. ويمكن المقارنة بين منطوق الحكم للمحكمة الإدارية في العراق والمحكمة الإدارية في مصر، ويلاحظ التنظير في مصر واقتصار الأمر على الحجج القانونية في العراق. على أن ذلك ليس طعنا بكفاءة القاضي الإداري العراقي، والذي يتميز بكفاءة عالية وخبرة طويلة أخذها من الجذور القديمة لمجلس الدولة العراقي، لكن زخم القضايا المعروضة على القضاء الإداري في العراق في دعاوى يتحمل معظمها القاضي الإداري أدت إلى لا تكون لهذا القاضي الفسحة الكاملة لإعطاء الجانب النظري حقه في حيثيات الحكم الصادر من القضاء الإداري. ومن الجدير بالذكر بانه هناك قرار رائعا صادر من محكمة الإدارية العليا عام ٢٠١٧ حول الطعن لمصلحة القانون^٩ يوضح علو كعب القضاء الإداري في العراق من الناحية العلمية، لكن القاضي الإداري في العراق مكبل بزخم القضايا التي تعرض عليه ولم يتم المشرع بخطوة مدروسة لحل هذه المشكلة. ومن جهة أخرى فإن وجود قضاة من القضاء العادي القى بضلاله أيضا على حيثيات قرار الحكم القضائي في العراق، ولو كانت هناك هيئة لمفوضي الدولة في مجلس الدولة العراقي لأدى ذلك إلى رفع العبء عن القاضي الإداري في الجانب النظري إضافة للفوائد الأخرى لهذه الهيئة في إنجاز الدعاوى وكما هو مطبق في فرنسا ومصر.

المطلب الثالث: قيد زخم الدعاوى المعروضة الذي يؤثر على فاعلية مجلس الدولة.

إن مشكلة زخم الدعاوى المعروضة على القضاء هي مشكلة عامة لكل أنواع المحاكم وقد حاول المشرع الفرنسي والمصري التغلب على هذه المشكلة أمام القضاء الإداري وذلك لان المنازعات الإدارية لا تتحمل التأخير لفترة طويلة إذ أن استقرار المعاملات يتنافى مع تأخر الدعوى أمام القضاء لفترة طويلة، ذلك أن تأخر الدعوى الإدارية يؤدي إلى تخلف الغاية من قصر مدد الطعن التي تحصن القرارات الإدارية وهي استقرار المعاملات فيبقى القرار المطعون به أمام القضاء الإداري معرضاً للإلغاء. وإضافة إلى الأثر المترتب على النشاط الإداري واستقراره نتيجة الزخم الدعاوى أمام القضاء فان الأثر الآخر هو التأثير على فاعلية عمل القاضي الإداري الذي يجد نفسه غارقا في الدعاوى الكثيرة المعروضة عليه مما يؤدي

إلى الحد من إبداعه في اختصاصه، والقاضي الإداري معروف عنه انه قاضي منشئ ومبدع للحلول القانونية عندما تعرض عليه المنازعة الإدارية، وترتب على هذا المنهج إنشاء القانون الإداري المعروف لدينا اليوم.

بعد الأداء المميز لمجلس الدولة الفرنسي ازدادت المنازعات المعروضة عليه خصوصا بعد حصول مجلس الدولة على الولاية العامة في المنازعات الإدارية بعد حكم كادو عام ١٨٨٩. وقد قام المشرع بعدة خطوات بسيطة لتقليل الزخم عن مجلس الدولة حتى صدور قانون عام ١٩٥٣ والذي يعتبر الإصلاح الأول للقضاء الإداري في فرنسا لحل مشكلة زيادة زخم المنازعات الإدارية وبطئ سير الدعوى أمام القضاء الإداري. فقد قام المشرع في هذا القانون بتحويل مجالس الولايات إلى محاكم إدارية ومنحها الولاية العامة في المنازعات الإدارية وتحديد اختصاصات مجلس الدولة على سبيل الحصر وجعل مجلس الدولة جهة استئنافية لإحكام المحاكم الإدارية. علما أن هذه المحاكم الإدارية تقدم المشورة القانونية للإدارة إضافة للوظيفة الإدارية قبل عام ١٩٥٣ وبعد هذا العام أيضا.^{٦٠} لقد أدت هذه الخطوة من المشرع إلى تخفيف الضغط على مجلس الدولة لفترة من الزمن ثم رجع زخم الدعاوى أمام مجلس الدولة وذلك لأن المجلس جهة استئنافية للمحاكم الإدارية. وفي عام ١٩٨٧ وبعد عدة محاولات جاء الإصلاح الثاني للقضاء الإداري في فرنسا وذلك بقيام المشرع بإنشاء خمس محاكم استئنافية وجعل مجلس الدولة محكمة تمييز لهذه المحاكم ولبعض الأحكام الصادرة من المحاكم الإدارية، وجهة استئناف أيضا لبعض أنواع القضايا، طبعا بالإضافة إلى الاختصاصات الحصرية التي يتمتع بها مجلس الدولة كمحكمة أول درجة. لقد أدت هذه الخطوة إلى تحسين عمل مجلس الدولة وتقليل زخم الدعاوى أمامه بشكل ملحوظ.^{٦١} إن المشرع الفرنسي عندما قام بهذه الخطوات فإن وسائل نجاحها متوفرة وهي الموارد البشرية والمالية.

أما في مصر فإن الأداء الناجح لمحكمة القضاء الإداري التي أنشئت عام ١٩٤٦ أدى زيادة زخم الدعاوى أمامها مما دفع المشرع إلى إنشاء عدة محاكم إدارية موزعة في عموم البلاد عام ١٩٥٤. وقد أدى الأمر إلى تقليل من زخم القضايا أمام المحكمة الإدارية خصوصا بعد إنشاء المحكمة الإدارية العليا

عام ١٩٥٥. إلا أن ذلك لم يطول، وسرعان ما رجع زخم الدعاوى أمام محكمة القضاء الإداري وخصوصاً أن هذه المحاكم ذات اختصاص محدود على عكس المحاكم الإدارية في فرنسا والتي منحت الولاية العامة. ولم يقدّم المشرع المصري بالتوسع في عدد ونوع المحاكم كما فعل المشرع الفرنسي عامي ١٩٥٣ و ١٩٨٧ ولم يوسع من اختصاصات المحاكم الإدارية، واكتفى المشرع بعدة خطوات تنظيمية لتقليل الزخم لكنها لم تنجح. ويظهر أن سبب عدم قيام المشرع بإصلاحات واسعة مشابهة للتي قام بها المشرع الفرنسي هو قلة الموارد البشرية.^{٦٢} وعلى الرغم من أن مجلس الدولة المصري يقبل في عضويته أعضاء بشروط ذات سقف ليس عالي ثم يتدرجون في سلم مجلس الدولة، إلا أنه يظهر أن هذا الأسلوب غير كافٍ للتوسع في إنشاء محاكم إدارية متعددة الدرجات.

أما في العراق فإن زخم الدعاوى أخذ يزداد خصوصاً بعد عام ٢٠٠٣ وتوسع اختصاصات القضاء الإداري وذلك بعد إلغاء النصوص التي تمنع التقاضي في قانون مجلس شورى الدولة بموجب التعديل الثالث لقانون مجلس شورى الدولة عام ٢٠٠٨. كما أن مجلس الانضباط العام (محكمة قضاء الموظفين حالياً) كان قبل التعديل الخامس لقانون مجلس شورى الدولة ينظر في كل قضايا الموظفين متجاوزاً بذلك اختصاصه المنصوص عليه في قانون انضباط موظفي الدولة لسنة ١٩٩١ وقانون الخدمة المدنية لسنة ١٩٦٠. وفي عام ٢٠٠٩ على سبيل المثال، بلغت الدعاوى الواردة للمجلس الدولة ٣,٣٣٩ دعوى، والمحسوم منها في هذا العام ٢,٥٢٩ دعوى، وقد دورت ٩١١ دعوى إلى عام ٢٠١٠ مع المدور من عام ٢٠٠٨.^{٦٣} وفي عام ٢٠١٠ دورت ١٠٣٥ دعوى إلى عام ٢٠١١.^{٦٤}

ولمعالجة زخم الدعاوى أمام مجلس الدولة قام المشرع عام ٢٠١٣ بالنص على أربع محاكم قضاء إداري وأربع محاكم قضاء الموظفين موزعة على أربع مناطق في عموم العراق، عدا إقليم كردستان. لكن هذا النص القانوني بقي نظرياً لعدم إمكانية تطبيقه، إذ يقول رئيس مجلس الدولة بأن المعوقات (لا تزال تعترض عمل مجلس شورى الدولة سواء التي تتعلق بالموارد البشرية وتوفير العدد الكافي من المستشارين والمستشارين المساعدين والموظفين أو التي تتعلق بالموارد المالية اللازمة لتحقيق توسيع أعمال المجلس

وتشكيل محاكم في المحافظات)^{٦٥}. أن المشرع لم يهيئ مستلزمات تطبيق النص القانوني الذي شرعه. فكل ما قام به المشرع هو تخفيض شروط المستشار والمستشار المساعد ورفع السقف الأدنى لعدددهم. ويمكن ملاحظة أن مصر رغم الأسلوب الذي اتبعته في زيادة عدد أعضاء مجلس الدولة وهو أسلوب التدرج في عضوية مجلس الدولة، فإنها بقيت تعاني من النقص في هذا المجال، وإن المنهج الذي كان عمليا أكثر هو المنهج الفرنسي، والذي لجأ الى إنشاء المدرسة الوطنية للإدارة.

وإضافة لما تقدم فإن المشرع العراقي لم يقيم بتغطية إنشاء محاكم القضاء الإداري ومحاكم قضاء الموظفين بالتخصيصات المالية الكافية لتطبيق هذه النصوص، وهذا امر مستغرب إذ أن التشريعات التي لها تبعات مالية يجب أن يكون لها غطاء مالي توفره السلطة التنفيذية والتي هي الوحيدة التي تملك صلاحيات اقتراح مثل هذه القوانين استنادا لاجتهاد المحكمة الاتحادية العليا^{٦٦}، ولا يحق للسلطة التشريعية أن تقترح مثل هذه القوانين لا نها تحتاج الى غطاء مالي. فكيف مرت السلطة التنفيذية مثل هذه المشاريع للقوانين بدون غطاء مالي؟ واضح أن في الأمر تقصير من كلا السلطتين التشريعية والتنفيذية في إصدار قانون غير قابل للتطبيق العملي. لذا فإن النص على زيادة المحاكم الإدارية ومحاكم قضاء الموظفين هو نص نظري فقط وذلك لفقدانه مقومات التطبيق العملي.

لقد قام المشرع في قانون التعديل الخامس لقانون مجلس شورى الدولة عام ٢٠١٣ بالنص على إنشاء المحكمة الإدارية العليا. وهذه خطوة موفقة لإن الطعن التمييزي بالقرارات الصادرة من محكمة القضاء الإداري ومحكمة قضاء الموظفين (مجلس الانضباط العام سابقا) كان أمام المحكمة الاتحادية العليا، وهذا خلاف مبدأ التخصص، لأن المحكمة الاتحادية العليا هي قضاء دستوري ولا داعي لإقحامها في وظيفة القضاء الإداري.

إن المحكمة الإدارية العليا تميزت منذ إنشائها بزيادة زخم الدعاوى أمامها سنة بعد سنة، وذلك لإنها جهة الطعن الوحيدة بقرارات المحكمة الإدارية ومحكمة قضاء الموظفين. لقد بلغت الدعاوى المحسومة من قبل المحكمة الإدارية العليا في عام ٢٠١٤، أي بعد عامها الأول ٧٧٤ دعوى^{٦٧} ثم في عام ٢٠١٥ بلغت

الدعاوى المحسومة ١٣٨٠ دعوى^{٦٨} وزاد هذا العدد في السنة اللاحقة الى يقرب من ٢٢٢٤ دعوى^{٦٩} وازداد عدد الدعاوى الى ما يقرب من ٢٨١٣ عام ٢٠١٧،^{٧٠} وأخيرا فانه في عام ٢٠١٨ ارتفع عدد الدعاوى الى الضعف تقريبا وبلغ ما يقرب من ٤٠٢٢ دعوى.^{٧١}

إن هذا الزخم من الدعاوى مع محكمة إدارية واحدة ومحكمة قضاء الموظفين واحدة أيضا، فكيف اذا تم تفعيل نص التعديل الخامس لقانون مجلس شورى الدولة وأصبحت لدينا أربع محاكم للقضاء الإداري وأربع لمحكمة قضاء الموظفين وهذه كلها يطعن بقراراتها أمام المحكمة الإدارية العليا؟! إن الأمر يحتاج الى مراجعة حقيقية من قبل المشرع فهناك الكثير المطلوب من المشرع العراقي الذي لم يعر اهتمام لهذه المؤسسة القضائية. وهنا تقصير دستوري واضح من قبل السلطة التشريعية فيما يخص أحد دعائم دولة القانون وهو القضاء الإداري.

إن القضاء الإداري في العراق يحتاج الى إعادة النظر بدرجات التقاضي وتوفير الموارد البشرية والمادية الكافية لتحقيق إصلاح حقيقي في القضاء الإداري العراقي، شبيه بالإصلاح الأول في فرنسا عام ١٩٥٣ والإصلاح الثاني عام ١٩٨٧. إن مجلس الدولة العراقي يحتاج الى تخفيف الضغط عليه حتى يستطيع أعضائه إظهار خبرتهم وكفاءتهم.

في نهاية هذا المبحث فان قد تم تحقيق الهدف الثاني من هذا البحث وهو دراسة القيود التي يفرضها قانون ٧١ لسنة ٢٠١٧ على فعالية وسلطة مجلس الدولة.

الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة سوف نقوم بإيجاز النتائج التي تم التوصل لها والتي يترتب عليها التوصيات التي سوف تخرج بها هذه الدراسة.

أولا- نتائج الدراسة:

بعد انتظار طويل جاء قانون مجلس الدولة رقم ٧١ لسنة ٢٠١٧ بصورة غير متناسبة مع أهميته. فهو قد جاء ناقصا مقتضبا رغم انه جاء بخطوة مهمة وهي فصل القضاء الإداري عن السلطة التنفيذية لكن

حتى هذه الخطوة جاءت ناقصة، اذا أنها غامضة الصياغة أدت الى فتح باب التجاذبات بين السلطات العامة والذي ستؤدي الى سجال فقهي حول طبيعة مجلس الدولة الذي نص عليه قانون رقم ١٧ لسنة ٢٠١٧. إن قانون مهم مثل قانون ٧١ لسنة ٢٠١٧ الذي انشأ مجلس الدولة على انقاض مجلس شورى الدولة يجب أن يكون مفصلاً ومتجاوزاً لعيوب المجلس القديم. لكن المشرع العراقي اكتفى بنقل كل أحكام مجلس شورى الدولة رقم ٧٩ لسنة ١٩٧٩ وتعديلاته الى المجلس الجديد، وهذا امر مستغرب.

في ضوء أحكام قانون مجلس الدولة النافذ رقم ٧١ لسنة ٢٠١٧ فان الدراسة توصلت للنتائج الآتية: لقد أدت مجموعة من الظروف التاريخية والسياسية في فرنسا الى إنشاء مجلس الدولة الفرنسي ومعه مجالس الأقاليم. ونتج عن ذلك إنشاء القضاء الإداري الذي أدى نجاح تجربته الى تطبيقها في العديد من الدول منها العراق ومصر. وقد أدت أسباب إنشاء مجلس الدولة في فرنسا الى بقاء المجلس مرتبط بالسلطة التنفيذية الى الآن رغم تغير الظروف بعد أكثر من مئتي سنة على إنشاء المجلس. إلا انه ما يخفف من اثار هذه التبعية أنها رسمية وليست فعلية. فبالرغم من أن رئاسة مجلس الدولة قانوناً لرئيس الوزراء وينوب عنه وزير العدل، إلا انه فعليا الرئاسة لنائب رئيس مجلس الدولة وهو أحد أعضاء المجلس بدرجة مستشار.

وإذا كان تطبيق النموذج الفرنسي في القضاء إداري مفيداً للدول التي طبقتة، إلا أن نموذج تبعية القضاء الإداري للسلطة التنفيذية في فرنسا يسبب أضراراً بالغة للدول التي تطبق النموذج الفرنسي ومنها مصر والعراق، لان الشكلية في التبعية حسب النموذج الفرنسي لا يمكن أن تطبق في هذه الدول، بل إن التبعية كانت في الدول التي طبقت النموذج الفرنسي حقيقية وليست شكلية أو رسمية، لذا كان هناك سعي حثيث في كل من مصر والعراق للحصول على الاستقلال الكامل من السلطة التنفيذية، لان ذلك يؤثر على فعالية رقابة القضاء الإداري على أعمال السلطة التنفيذية. وكذلك عدم الارتباط بالسلطة القضائية (القضاء العادي) لان ذلك يخالف المبادئ التي قام عليها القضاء الإداري والتي منها الاستقلال الكامل عن القضاء العادي، وذلك لاختلاف طبيعة كل من القضاءين.

لقد حصل مجلس الدولة المصري على استقلاله عام ١٩٨٤. أما في العراق فقد كان أعضاء مجلس شورى الدولة السابق وكذلك المختصين في القانون الإداري، حلمهم هو استقلال المجلس عن وزارة العدل التي كان مجلس شورى الدولة أحد تشكيلاتها منذ تأسيسه عام ١٩٧٩. واستمر هذا الحلم سبع وثلاثون سنة حتى تحقق بإصدار القانون رقم ٧١ لسنة ٢٠١٧، والذي أنشأ مجلس الدولة استناداً للمادة ١٠١ من الدستور العراقي على أنقاض مجلس شورى الدولة الذي انتقلت كل اختصاصاته وأعضائه والكادر الذي يعمل فيه الى مجلس الدولة الجديد الذي نصت المادة الأولى من قانونه على انه (هيئة مستقلة). إلا انه هذه العبارة الناقصة والتي تتكون من كلمتين كانت بحاجة الى كلمة ثالثة لتجنبنا جدل بدأ ولا نعلم متى ينتهي. وهذه الكلمة الثالثة المفقودة هي (قضائية)، وذلك كما جاء في الدستور المصري لسنة ١٩٧١ وقانون مجلس الدولة المصري النافذ والتي جاء فيهما أن مجلس الدولة المصري هو (هيئة قضائية مستقلة)، وهو الأمر الذي أكد عليه الدستور المصري النافذ لسنة ٢٠١٤.

إن غموض عبارة (هيئة مستقلة) والتي نص عليها قانون مجلس الدولة لسنة ٢٠١٧ أدت الى جدل حول طبيعة مجلس الدولة الذي نص عليه القانون. وبدأ ذلك الجدل واضحاً في الدعوى المرفوعة أمام المحكمة الاتحادية العليا من قبل وزير العدل حول دستورية قانون مجلس الدولة. وقد أصدرت المحكمة قرارها في هذه الدعوى برقم ٨٥ سنة ٢٠١٨ والذي كان معززاً للجدل حول طبيعة مجلس الدولة عندما استندت المحكمة على المادة ١٠٨ من الدستور الخاصة بالهيئات المستقلة، للإقرار بمشروعية قانون مجلس الدولة.

لقد استند قانون مجلس الدولة رقم ٧١ لسنة ٢٠١٧ على المادة ١٠١ من الدستور عند إنشائه لمجلس الدولة. وهذه المادة من الدستور تنص على إنشاء مجلس دولة يختص بالقضاء الإداري والإفتاء والصياغة. والمادة ١٠١ هي جزء من الفصل الثالث من الباب الرابع من الدستور، وهذا الفصل خاص بالسلطة القضائية. إذن فمجلس الدولة جزء من السلطة القضائية، إذ أن السلطات العامة حسب المادة ٤٦ من الدستور هي ثلاثة التشريعية والتنفيذية والقضائية، وقد خصص المشرع الدستوري فصل لكل

سلطة وذكر مجلس الدولة ضمن فصل السلطة القضائية، وأما الهيئات المستقلة فقد ذكرت في فصل خاص في الدستور وهو الفصل الرابع وقد ذكرت المحكمة الاتحادية العليا في قرارها رقم ٨٨ عام ٢٠١٠ أن الهيئات المستقلة ذات طبيعة تنفيذية لذا هي تلحق بمجلس الوزراء، وقد جاءت المادة ١٠٨ من الدستور في الفصل الخاص بالهيئات المستقلة، ونصت هذه المادة على انه يجوز إنشاء هيئات مستقلة عند الحاجة. لكن قانون مجلس الدولة لم يذكر المادة ١٠٨ إطلاقاً، لذا فانه من المستغرب أن تستند المحكمة الاتحادية على هذه المادة للبت بمشروعية قانون مجلس الدولة.

إن من أسباب عدم الإقرار بالطبيعة القضائية لمجلس الدولة إضافة الى سبب الاختصاص الإفتاء والتقنين لمجلس الدولة، هو أن المادة ٨٩ من الدستور لم تذكر مجلس الدولة عند تعدادها لهيئات السلطة القضائية. وهذا امر يتناسب مع اختلاف الطبيعة القضائية للقضاء الإداري عن الطبيعة القضائية للقضاء العادي. فمن غير الممكن دمج القضاءين العادي والإداري في هيكل واحد للقضاء، إذ أن هذا الأمر يتناقض مع المبادئ التي قام عليها القضاء الإداري.

إن ميل المحكمة الاتحادية الى أن مجلس الدولة ذات طبيعة تنفيذية وليس قضائية، وهذا واضح من الاستناد في إنشاء مجلس الدولة على المادة ١٠٨ من الدستور. كما إن رئاسة مجلس النواب ذهبت الى الطبيعة التنفيذية للمجلس وهذا أيضاً واضح من الدفوع التي قدمها وكيل مجلس النواب في الدعوى المعروضة أمام المحكمة الاتحادية العليا. وهذا يعني أن هناك سلطات عامة تؤمن بالطبيعة التنفيذية لمجلس الدولة وانه جزء من السلطة التنفيذية، وهذا الأمر له تأثير واضح على كفاءة عمل مجلس الدولة وهو الأمر الذي يؤثر على دعم المجلس لإداء السلطة الإدارية. إذ أن القرار الصادر من مجلس الدولة كسلطة قضائية يختلف عن القرار الصادر من هيئة إدارية تمارس اختصاص قضائي. كما إن اتجاه السلطات العامة حول طبيعة مجلس الدولة يؤثر على الدعوى الى جعل حجية الفتاوى الصادرة من مجلس الدولة كحجية الفتاوى الصادرة من المحكمة الاتحادية العليا، إذ أن كلاهما، أي المحكمة الاتحادية العليا ومجلس الدولة يساهمان في الرقابة على المشروعية كل حسب اختصاصه، فالقضاء الدستوري

يراقب السلطة التشريعية والقضاء الإداري يراقب السلطة التنفيذية. والقضاء الدستوري يفسر النصوص الدستورية في فتاواه والقضاء الإداري يفسر النصوص القانونية في فتاواه، وقد صرحت بذلك المحكمة الاتحادية العليا في عدة قرارات بذلك. لكن القول بأن مجلس الدولة هيئة إدارية تمارس اختصاص قضائي يجعل المطالبة بنفس سلطات المحكمة الاتحادية ليس لها تبرير قانوني. على أن مجلس الدولة الذي تم تشكيله بالقانون رقم ٧١ لسنة ٢٠١٧ هو هيئة قضائية مستقلة استنادا لما تم ذكره أعلاه حول هذا الموضوع.^{٧٢}

على أن ما تقدم عن طبيعة مجلس الدولة لا يغيره قيام رئيس المجلس بإصدار أوامر وزارية. فهذه الخطوة والتي تؤدي إلى إعانة مجلس الدولة على نفسه في مقابل القائلين بالطبيعة التنفيذية لمجلس الدولة، قد جانب فيها رئيس المجلس الصواب. إذ اعتبر رئيس المجلس نفسه يقوم مقام الوزير استنادا لنص المادة الرابعة من قانون مجلس الدولة التي منحت رئيس المجلس صلاحيات الوزير. لكن هذا لا يشمل طبيعة عمل مجلس الدولة التي حددها الدستور، واعتبر المجلس من ضمن الهيئات القضائية، كما مر ذكره أعلاه. إذ أن قانون مجلس الدولة أشار إلى تمتع رئيس المجلس (بصلاحيات الوزير المنصوص عليها في التشريعات) لأنه يتأسس هيئة عامة مستقلة، فمنح نفس صلاحيات الوزير الذي يتأسس هيئة عامة وهي الوزارة.

لقد تناولت هذه الدراسة موضوع آخر له علاقة بفعالية مجلس الدولة، وهو القيود المكبل بها المجلس من قبل السلطة التشريعية وهي نوعين من القيود. أولاهما تقييد سلطته الإفتائية وثانيهما عرقلة إحدى وظائف مجلس الدولة حسب المادة الخامسة من قانون مجلس الدولة وهي (الإسهام في وحدة التشريع وتوحيد أسس الصياغة التشريعية وتوحيد المصطلحات والتعابير القانونية).

فيما يتعلق بالقيود الأول فإنه بموجب الفصل الثالث من الباب الثالث من الدستور العراقي فإن مجلس الدولة هو أحد المؤسسات القضائية في العراق. وهو يمثل القضاء الإداري إلى جانب القضاء الدستوري والقضاء العادي. وإذا كانت قرارات المحكمة الاتحادية العليا التي تمثل القضاء الدستوري ملزمة لجميع

السلطات حتى الإفتائية منها فلماذا فتاوى مجلس الدولة ليست ملزمة حتى للجهة طالبة الرأي؟ على انه المحكمة الاتحادية العليا تراقب أعمال السلطة التشريعية مثلما مجلس الدولة يراقب أعمال السلطة التنفيذية. كما أن المحكمة الاتحادية العليا تختص بتفسير النصوص الدستورية مثلما مجلس الدولة يختص بتفسير نصوص القانون. إذا لماذا التمييز بينهما في القوة القانونية للفتاوى الصادرة منهما؟! فيما يتعلق بالقيد الثاني فإن عدم تطبيق نص المادة الخامسة من قانون مجلس شورى الدولة لسنة ١٩٧٩ المعدل من قبل مجلس النواب العراقي والتي توجب على المجلس الرجوع إلى مجلس الدولة في مجال التقنين أدى إلى تقييد عمل مجلس الدولة في مجال التقنين وحصر اثره على مشاريع القوانين التي ترسلها الحكومة إلى مجلس النواب فقط قبل مناقشتها في المجلس وهذا ليس كافيا لتحقيق هدف مجلس الدولة في مجال التقنين وهو توحيد أسس الصياغة التشريعية وتوحيد المصطلحات والتعابير القانونية كما جاء في المادة الخامسة من قانون مجلس الدولة، وذلك له اثر في فعالية النصوص القانونية وتحقيق الهدف من تشريعها. إن مجلس النواب في هذا المجال يقوم بعمل غير مشروع، وهو تطبيق النظام الداخلي لمجلس النواب الذي ينص على أن صياغة مشاريع القوانين التي ترسل من الحكومة والتي يقترحها المجلس تكون من اختصاص اللجنة القانونية في المجل بينما المادة (٥) من قانون مجلس الدولة يشير الى أن صياغة مشاريع القوانين تكون من اختصاص مجلس الدولة المسؤول عن وحدة أسس الصياغة التشريعية والمصطلحات والتعابير القانونية. فهل يمكن لنظام داخلي أن يخالف قانون؟!!

لقد تناولت هذه الدراسة قيود أخرى تؤثر على فعالية مجلس الدولة العراقي وهي عدم توفير الموارد البشرية الكفؤة الكافية من قبل السلطة التشريعية لتغطية عمل مجلس الدولة. إذ أن العضوية في مجلس الدولة العراقي تكون عن طريق التعيين كمستشار ومستشار مساعد على ملاك المجلس وذلك بشروط معينة من ضمنها الخبرة في العمل القانوني أو القضائي. وتكون سنوات هذه الخبرة تختلف باختلاف الشهادة التي يحملها الشخص الذي يتم تعيينه في المجلس. وقد تمت الإشارة الى تفاصيل ذلك في المبحث الثاني من هذه الدراسة. وقد قام المشرع العراقي بتخفيض سقف سنوات الخبرة المطلوبة في التعديل الخامس لقانون

مجلس شورى الدولة عام ٢٠١٣. ولكن هذا الأجراء لا يسعف مجلس الدولة في توفير الموارد البشرية الكفؤة الكافية لمواجهة اتساع عمل المجلس. وكان على المشرع اتباع النهج الفرنسي في توفير الملاكات الكفؤة الكافية لتغطية عمل المجلس، والذي يتمثل في التدرج في السلم الوظيفي للمجلس من الوظائف الإدارية وصولاً الى الوظائف القضائية والاستشارية، إضافة الى عدم الاعتماد على التعيين المباشر في المجلس وإنما الاستعانة بخريجي المدرسة الوطنية الإدارية التي تم إنشاؤها بعد الحرب العالمية الثانية لرفد مجلس الدولة والإدارة بالملاكات المتخصصة.

إن جذور مجلس الدولة تمتد الى عام ١٩٣٣ الذي أنشئ فيه ديوان التدوين القانوني ذات الاختصاصات الاستشارية في التقنين والإفتاء إضافة الى الاختصاصات القضائية المتمثلة بقضايا الموظفين. وقد ورث مجلس شورى الدولة ديوان التدوين القانوني عام ١٩٧٩ الذي أنشئت فيه محكمة القضاء الإداري عام ١٩٨٩ والتي أدى إنشائها الى انضمام العراق الى دول النظام القضائي المزدوج. وفي عام ٢٠١٧ ورث مجلس الدولة سلفه مجلس شورى الدولة. إن جذور مجلس الدولة هي شاهد على عراقية وخبرة هذا المجلس. إلا إن ذلك يحتاج الى دعم لكي يستطيع المجلس مواكبة التوسع في وظيفته من ناحية الكم والنوعية، وهذا الأمر يقع على عاتق السلطة التشريعية التي لم تقم بواجبها في هذا المجال. كما أن السلطة التشريعية لم تقم بتطبيق التجربة الناجحة في فرنسا ومصر وهي إنشاء هيئة لمفوضي الدولة. والتي أثبتت نجاحها في فرنسا ومصر بسبب ان أعضاء هذه الهيئة هم من الكفاءات العلمية والتي كان لها اثرها الواضح في مسيرة وتطور القضاء الإداري سواء في فرنسا أو مصر.

لقد اتبع مجلسي الدولة العراقي والمصري أسلوب الاستعانة بقضاة القضاء العادي سواء بالتعيين أو الانتداب. وهذا النهج مستغرب، إذ أن القاضي في القضاء العادي صاحب خبرة طويلة في مجال القضاء العادي، وهو قد قضى وقتاً في عمله القضائي وقد أصبح نهج القضاء العادي هو نهجه في العمل وحتى أن ذلك يؤدي إلى التأثير على نهجه في الحياة. فكيف لهذا الشخص (مع الاحترام والتقدير للقاضي العادي) أن نقول له نريد منك العمل كقاضي إداري! ويعتبر المشرع هذا الأمر دعماً للقضاء الإداري بأنه

قد جلب له أشخاصا يمتلكون خبرة وكفاءة، ولكنها خبرة وكفاءة في القضاء العادي وليس الإداري. يبدو أن المشرع لا توجد لديه صورة واضحة للاختلاف بين القضاء العادي والقضاء الإداري. كان على المشرع بدل هذه الخطوة أن يقوم بإنشاء محكمة قضاء إداري كأحدى محاكم السلطة القضائية وجعلها تابعة لمجلس القضاء الأعلى. فهذه الخطوة وقيام المشرع بالاستعانة بقضاة القضاء العادي للعمل في القضاء الإداري لها نفس النتائج. إن فرنسا لم تطبق هذا النهج، وهذا وإن كانت الظروف التي أدت إلى إنشاء القضاء الإداري في فرنسا، تمنع الاستعانة بالقضاة العادي من حيث الطلاق البائن بين الإدارة وكل ما له علاقة بالقضاء العادي، إلا أن هذا التوجه كان له اثره في انطلاق مجلس الدولة الفرنسي وبدون قيود القضاء العادي في قضاء ما يعرف اليوم بالقانون الإداري.

إن زخم الدعاوى أمام مجلس الدولة العراقي هو من القيود التي تؤثر فاعلية المجلس، فهذا الأمر يؤدي إلى الضغط على أعضاء مجلس الدولة وعدم فسح المجال أمامهم للبحث في إرساء مبادئ وحلول قانونية ذات أصول علمية للمشاكل التي تواجه الأفراد والإدارة في النشاط الإداري، وهو الأمر الذي يلقي بضراله على دور مجلس الدولة في تحسين أداء الإدارة العامة.

إن المشرع العراقي لم يقيم بخطوات عملية لحل مشكلة زخم الدعاوى المتزايد أمام القضاء الإداري العراقي، بل قام بخطوات نظرية فقط تمثلت في النص على إنشاء أربع محاكم للقضاء الإداري وأربع محاكم لمحاكم قضاء الموظفين، وهذا الأمر بقي حبيس النصوص القانونية ولم يطبق على أرض الواقع منذ عام ٢٠١٣ وإلى الآن. والسبب ذلك هو شحة الموارد البشرية والمالية التي لم يعالجها المشرع عندما نص على إنشاء المزيد من المحاكم الإدارية. واكتفى بتقليل سقف الشروط المطلوبة لتوظيف المستشار والمستشار المساعد. ولم يهتم بالتخصيصات المالية الكافية لإنشاء المزيد من المحاكم الإدارية، وهو أمر مستغرب إذ أن التشريعات التي لها تبعات مالية يجب أن يكون لها غطاء مالي توفره السلطة التنفيذية والتي هي الوحيدة التي تقترح مثل هذه القوانين ولا يحق للسلطة التشريعية أن تقترح مثل هذه القوانين لا نها تحتاج إلى غطاء مالي، حسب اجتهاد المحكمة الاتحادية العليا. فكيف مرت السلطة التنفيذية مثل

هذه المشاريع للقوانين بدون غطاء مالي؟ واضح إن في الأمر تقصير من كلا السلطتين التشريعية والتنفيذية في إصدار قانون غير قابل للتطبيق العملي. وهذا على عكس الأمر في فرنسا على وجه الخصوص التي هيأت الموارد البشرية والمالية لتوسيع القضاء الإداري وجعل نصوص القوانين الخاصة بهذا الموضوع قابلة للتطبيق، وكذلك الأمر في مصر وإن كانت تدابير المشرع الفرنسي أكثر فعالية في هذا الموضوع كما تمت الإشارة إليه في هذه الدراسة.

ثانياً- التوصيات:

في ضوء النتائج التي توصلت لها الدراسة فإن أسباب القيود الواردة على مجلس الدولة العراقي والتي تؤثر على فاعليته في أداء وظيفته سواء الاستشارية أو القضائية واللذان لهما تأثير لا ينكر على أداء الإدارة، هو السلطتين التشريعية والتنفيذية.

رغم أن الدستور العراقي النافذ ينص على فلسفة دولة القانون التي فيها تصان حقوق وحريات الأفراد ويتم إشباع حاجاتهم العامة من قبل السلطات العامة، ورغم أن الدستور قد نص على ضمانات لقيام السلطات العامة بواجبها في تطبيق الدستور والتي ابرزها النص على الرقابة القضائية سواء الرقابة الدستورية أو الإدارية إضافة الى رقابة القضاء العادي على الأشخاص الخاصة لتطبيق القانون. إلا أن السلطة التشريعية لم تطبق نصوص الدستور الخاصة بتنفيذ الرقابة القضائية الإدارية (وهي موضوع هذه الدراسة). لذا نرى انه رغم مرور وقت طويل منذ نفاذ دستور ٢٠٠٥ العراقي إلا أن خطوات السلطة التشريعية في تفعيل الرقابة القضائية الإدارية خجولة جداً. ونقصد بتنفيذ الرقابة القضائية التي هي قائمة فعلاً هو جعلها رقابة فعالة تحقق فلسفة الدستور في بناء دولة القانون. والرقابة القضائية الإدارية في العراق يمارسها مجلس الدولة. إن هذه الرقابة التي تنقسم الى وظيفتين هما الرقابة القضائية، والتي تقوم الاعوجاج في أداء السلطة الإدارية وتنظف ساحتها من الأعمال الغير مشروعة، والوظيفة الأخرى وهي الوظيفة الاستشارية (التقنين والإفتاء) والتي لا تقل أهمية عن الوظيفة الأولى بل إن الوظيفة الاستشارية هي التي ظهرت أولاً وهي التي أدت الى فعالية الوظيفة القضائية نظراً لان القاضي الإداري وهو يفصل

في المنازعة الإدارية يمتلك خلفية عن طبيعة عمل الإدارة والخصوصيات التي يتمتع به هذا العمل بسبب الوظيفة الاستشارية التي تجعل القاضي الإداري على تماس مع الإدارة ومشاكلها. ورغم أهمية القضاء الإداري في عمله بالنسبة للإدارة وحسن أدائها والتي تهدف الى تحقيق المصلحة العامة، وكذلك الهدف المهم للقضاء الإداري وهو حماية حقوق وحريات الأفراد وهو هدف كل السلطات العامة، والتي أسسها الدستور من اجل تحقيق هذا الهدف وهو حماية حقوق وحريات الأفراد وتنظيم شؤونهم وإشباع حاجاتهم. وكل ما تقدم لا يتحقق مع قضاء إداري مكبل بالقيود، والتي تمت دراستها في مطالب هذه الدراسة. والسبب في هذه القيود كما توصلت لها هذه الدراسة هو السلطة التشريعية بالدرجة الأولى ثم السلطة التنفيذية.

على السلطة التشريعية أن تستفاد من تجارب القضاء الإداري في فرنسا ومصر في استخدام الأساليب التي تطور هذا القضاء وتزيد من فعاليته. والتي استعرضتها هذه الدراسة ومنها إنشاء مجلس لمفوضي الدولة على غرار فرنسا ومصر. وعلى السلطة التشريعية توسيع سلطة مجلس الدولة وجعل فتاواه لها حجية كحجية فتاوى المحكمة الاتحادية العليا، فكلاهما يراقب سلطة عامة، وكيف لهيئة تراقب سلطة عامة وهي مقيدة السلطات؟^١ كذلك على مجلس النواب احترام النص القانوني الخاص بتوحيد المصطلحات القانونية والصياغة القانونية والذي ورد في قانون مجلس الدولة الذي سنته السلطة التشريعية، فعلى السلطة التشريعية أن تحترم ما أقرته من قوانين. فكيف لنظام يصدر من السلطة التشريعية ان يخالف نص قانوني أقرته السلطة التشريعية هل هذا مشروع؟ ونقصد هنا بالنظام الداخلي لمجلس النواب الذي يجعل لجان المجلس هي المسؤولة على الصياغة.

من ناحية أخرى فان توفير الموارد البشرية الكفؤة والتي تعمل على تحسين فعالية أداء المجلس وتخفيف ضغط الدعاوى عليه يستوجب توفر الموارد المالية اللازمة لذلك، فلا معنى للنص على إنشاء المزيد من المحاكم الإدارية بهدف تخفيف الضغط على مجلس الدولة وفي المقابل لا توجد موارد بشرية ولا مالية

كافية لتنفيذ التوسع في عدد المحاكم. إن هذا الأمر هو من مسؤولية كلا السلطتين التشريعية والتنفيذية، وهذه الأخيرة عليها أن توفر الغطاء المالي لكل إصلاح لمجلس الدولة. إن عدم قيام السلطتين التشريعية والتنفيذية بتطبيق فلسفة الدستور العراقي وضمان تحقيقها يجعل مشروعية هاتين السلطتين محل تساؤل. ويجب الانتباه الى هذا الأمر ودراسته من قبل الدراسات الأكاديمية. ووضع الصورة كاملة أمام الراي العام القانوني للتثقيف عليه في أي انتخابات قادمة لمجلس النواب العراقي الذي تبتق منه السلطة التنفيذية. فمن اهم مقومات دولة القانون هو تفعيل الرقابة القضائية الفعالة على السلطات العامة ومنها رقابة القضاء الإداري على السلطة الإدارية موضوع هذه الدراسة. وقد امتلأت المكتبة القانونية في العراق بالبحوث التي توصي بإصلاحات في القضاء الإداري في العراق لكن الاستجابة كانت خجولة جدا، وهذا واضح في قانون التعديل الخامس سنة ٢٠١٣ وقانون مجلس الدولة سنة ٢٠١٧. بينما نحن في حاجة الى إصلاحات جذرية للقضاء الإداري العراقي لكي يستطيع اللحاق بنظيره الفرنسي والمصري، وبعبارة أخرى سنبقى متخلفين في هذا المجال رغم الجهود التي يبذلها مجلس الدولة العراقي للنهوض بالقضاء الإداري لكن القيود التي تقيد بها السلطتين التشريعية بالدرجة الأولى ثم السلطة التنفيذية تحد من جهود أعضاء مجلس الدولة الحثيثة في ذلك. فلا فائدة في نهاية الدراسة أن نقول نوصي بتعديل المادة كذا والمادة كذا من القانون طالما أن الأذان صماء. لذا فإن الأفضل هو التوجه الى السلطة التشريعية والتنفيذية ومحاسبتهما بخرق الدستور واستخدام كل الوسائل القانونية المتاحة لمسائلة هاتين السلطتين.

الهوامش:

١ انظر القضية المرفوعة أمام المحكمة الاتحادية العليا رقم ٨٤/اتحادية/٢٠١٨.

٢ Code of Administrative Justice، Legislative Part، Preliminary Title، Article L1، Article L111-1.

<https://www.fondation-droitcontinental.org/fr/wp-content/uploads/2014/06/51739-CJA-partie-l%C3%A9gislative-Copie.pdf>.

تاريخ الزيارة للموقع ٢٠٢٠/١/٧

٣ انظر علي محمد بدير، عصام عبد الوهاب البرزنجي، مهدي ياسين السلامي، مبادئ وأحكام القانون الإداري، مكتبة السنهوري، بغداد، ١٩٩٣. ص ٢٨

٤ انظر عبد الناصر علي عثمان، استقلال القضاء الإداري (دراسة مقارنة)، دار النهضة العربية، مصر، ٢٠٠٧.
◦ Hugo Flavier and Charles Froger, Administrative justice in France, Between singularity and classicism, Brics law Journal 3, Issue 2, 2016. P. 83، ٨٨.

٦ المصدر نفسه. ٨٤، ٨٣.

٧ عبد الناصر علي عثمان، استقلال القضاء الإداري (دراسة مقارنة)، دار النهضة العربية، مصر، ٢٠٠٧. ص ٣٤٨

٨ انظر Code of Administrative Justice، Legislative Part، Preliminary Title.

<https://www.fondation-droitcontinental.org/fr/wp-content/uploads/2014/06/51739-CJA-partie-I%C3%A9gislative-Copie.pdf> تاريخ الزيارة للموقع ٢٠٢٠/١/٧

٩ عبد الناصر علي عثمان، استقلال القضاء الإداري (دراسة مقارنة)، دار النهضة العربية، مصر، ٢٠٠٧. ص ٣٤٣

١٠ انظر قانون رقم ١٣٦ لسنة ١٩٨٤، قانون تعديل قانون مجلس الدولة رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٢.

١١ عبد الناصر علي عثمان، استقلال القضاء الإداري (دراسة مقارنة)، دار النهضة العربية، مصر، ٢٠٠٧. ص ٣٤٩

١٢ المصدر نفسه. ص ٣٥٢

١٣ انظر مقالة للرئيس الشرفي لنادي القضاة في مصر المستشار يحيى الرفاعي يدعو فيه الى توحيد القضاء الدستوري والإداري والعادي معا ويقترح نقل الاختصاص الاستشاري لمجلس الدولة الى هيئة قضايا الموظفين ثم يتم توحيد مجلس الدولة مع القضاء الدستوري والعادي.

<https://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/adc6fa9c-cf9a-40d2-b460-2598718df6b7>

تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/٤/٢٦.

١٤ انظر المادة ١٩٠ من الدستور المصري لسنة ٢٠١٤.

- ١٥ انظر المادة الأولى لقانون مجلس شوري الدولة رقم ٦٥ لسنة ١٩٧٩.
- ١٦ انظر المادة الثانية من قانون وزارة العدل لسنة ١٩٧٧ الذي كان ساريا عام ١٩٨٩.
- ١٧ انظر الى دور وزير العدل في قانون مجلس شوري الدولة العراقي لسنة ١٩٧٩ المعدل، وكذلك دور السلطة التنفيذية في قوانين مجلس الدولة المصري حتى التعديل رقم ١٣٦ عام ١٩٨٤.
- ١٨ انظر قرار المحكمة الاتحادية العليا رقم ٨٨ لسنة ٢٠١٠.
- ١٩ المادة ٩١ من الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥.
- ٢٠ المادة ٩٢ من الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥.
- ٢١ انظر على سبيل المثال قرار المحكمة الاتحادية العليا رقم ٨ لسنة ٢٠٠٩ والقرار رقم ٥ لسنة ٢٠٠٩ والقرار رقم ٣٦ لسنة ٢٠٠٩.
- ٢٢ Hugo Flavier and Charles Roger، Administrative justice in France، Between singularity and classicism، Brics Law Journal، 3، 2، 2016. P .82
- ٢٣ المصدر نفسه. ص ٨٣. وانظر ماهر صالح علاوي، الوسيط في القانون الإداري، دار الكتاب القانوني، بيروت- لبنان، ٢٠١٩. ص ٣٣
- ٢٤ انظر المادة ٣ والمادة ٣٣ من قانون مجلس الدولة المصري رقم ١١٢ لسنة ١٩٤٦.
- ٢٥ ذكرت المادة ١٧٢ من الدستور المصري لسنة ١٩٧١ أن مجلس الدولة يختص بالفصل في المنازعات الإدارية والدعاوى التأديبية.
- ٢٦ المادة ٣ من قانون ديوان التدوين القانوني رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٣.
- ٢٧ انظر قرار الهيئة العامة لمجلس شوري الدولة رقم ١٥٣/انضباط/تميز/٢٠٠٨، قرارات وفتاوى مجلس شوري الدولة لعام ٢٠٠٨. وانظر قرار المحكمة الإدارية العليا في مجلس الدولة رقم ٥٤٥/قضاء موظفين-تميز/٢٠١٥، قرارات وفتاوى مجلس الدولة لعام ٢٠١٧.
- ٢٨ انظر قرار الهيئة العامة لمجلس شوري الدولة رقم ١٣٢/انضباط/تميز/٢٠٠٦ والقرار رقم ١٣٤/انضباط/تميز/٢٠٠٦، قرار وفتاوى مجلس شوري الدولة لعام ٢٠٠٦.
- ٢٩ تشير المادة ٩٤ من الدستور العراقي النافذ بان قرارات المحكمة الاتحادية العليا ملزمة للسلطات كافة.

٣٠ تنص المادة الثانية / أولاً من قانون المحافظات غير المنتظمة في إقليم رقم ٢١ لسنة ٢٠٠٨ إلى أن مجلس المحافظة (هو السلطة التشريعية والرقابية في المحافظة وله حق إصدار التشريعات المحلية بما يمكنه من إدارة شؤونها وفق مبدأ اللامركزية الإدارية). وكذلك تنص المادة السابعة/ ثالثاً من القانون بان مجلس المحافظة يختص ب (إصدار التشريعات المحلية والأنظمة والتعليمات لتنظيم الشؤون الإدارية والمالية بما يمكنها من إدارة شؤونها وفق مبدأ اللامركزية الإدارية.....).

٣١ انظر رأي مجلس الدولة في ٢٥/١٠/٢٠٠٩ جواباً على استفسار أمانة مجلس الوزراء حول قانون المولدات ذات النفع العام الصادر من مجلس محافظة بابل. ذكرته يمامة محمد حسن كشكول، أثر الصياغة التشريعية على تطبيق القوانين (دراسة في قانون المحافظات غير المنتظمة في إقليم رقم ٢١ لسنة ٢٠٠٨، مجلة الحقوق، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٢، ص ١٠. كذلك انظر قرار مجلس الدولة رقم ١٠٢ في ٣١/ ١٠ / ٢٠١١، قرارات وفتاوى مجلس شورى الدولة لعام ٢٠١١. والذي صدر بعد طلب وزارة الصحة الراي القانوني حول قانون العيادات الطبية الخاصة رقم ١ لسنة ٢٠١١ الصادر من مجلس محافظة بابل.

٣٢ قام مجلس محافظة البصرة بإصدار قانون العطل الرسمية المحلية سنة ٢٠١٤ والمنشور على موقع السومرية نيوز عام ٢٠١٥.

<http://www.alsumaria.tv/mobile/news/149372/%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%B3-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B5%D8%B1%D8%A9-%D9%8A%D8%B9%D9%84%D9%86-%D8%AA%D8%B9%D8%B7%D9%8A%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%B3%D9%85%D9%8A-%D9%81%D9%8A/ar>
تاريخ الزيارة في ٢٤/٩/٢٠١٦.

كما قام مجلس محافظة ذي قار بإصدار قانون تنصيب أبراج الأنترنت سنة ٢٠١٦ والمنشور في مجلة الوقائع التي يصدرها مجلس محافظة ذي قار رقم ١٠ لسنة ٢٠١٦.

٣٣ انظر مجلس شورى الدولة، وزارة العدل، قرارات مجلس شورى الدولة الصادرة في ضوء قانون المحافظات غير المنتظمة في إقليم رقم (٢١) لسنة ٢٠٠٨، ٢٠١٠، ص ٤

٣٤ Hugo Flavier and Charles Roger, Administrative justice in France, Between singularity and classicism, Brics Law Journal, 3, 2, 2016. P. 85

٣٥ المصدر السابق. ص ٨٣

٣٦ مصطفى أبو زيد فهمي، القانون الإداري - ذاتية القانون الإداري، الدار الجامعية، الإسكندرية، بلا سنة طبع. ص ١٦
٣٧ Administrative Justice in

Europe- Report for France [http://www.aca-](http://www.aca-europe.eu/en/eurtour/i/countries/france/france_en.pdf)

Accessed on 11/3/2020. p. 6، [europe.eu/en/eurtour/i/countries/france/france_en.pdf](http://www.europe.eu/en/eurtour/i/countries/france/france_en.pdf)

٣٨ جورج فيدل، بيار دو فولغيه، القانون الإداري - الجزء الأول، ترجمة منصور القاضي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠١. ص ٨١

٣٩ مصطفى أبو زيد فهمي، القانون الإداري - ذاتية القانون الإداري، الدار الجامعية، الإسكندرية، بلا سنة طبع. ص ٦٩، ٦٧

٤٠ Administrative Justice in Europe- Report for France. [http://www.aca-](http://www.aca-europe.eu/en/eurtour/i/countries/france/france_en.pdf)
europe.eu/en/eurtour/i/countries/france/france_en.pdf, Accessed on 11/3/2020. p. 16

٤١ مجلس الدولة، الدورية العلمية المتخصصة، مركز الدراسات والبحوث القضائية بمجلس الدولة المصري، العدد الأول، آذار، ٢٠١٥. ص ١٠ الهامش.

٤٢ ثروت بدوي، مبادئ القانون الإداري، المجلد الأول - أصول القانون الإداري وأساسه وخصائصه، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦. ص ٨٥

٤٣ انظر المادة ٢٠ من قانون مجلس الدولة رقم ٩ لسنة ١٩٤٩.

٤٤ ثروت بدوي، مبادئ القانون الإداري، المجلد الأول - أصول القانون الإداري وأساسه وخصائصه، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦. ص ٨٣

٤٥ انظر المواد (٧٥ - ٨٠) من قانون مجلس الدولة المصري رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٢.

٤٦ المصدر نفسه.

٤٧ انظر المادة ٧٤ من قانون مجلس الدولة المصري رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٢.

٤٨ انظر حول قلة الموارد الشرية في مصر عبد الناصر على عثمان حسين، استقلال القضاء الإداري- دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧. ص ٤٥٩

٤٩ انظر الماد ٦ من قانون مجلس الدولة المصري رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٢.

٥٠ مجلس الدولة، الدورية العلمية المتخصصة، مركز الدراسات والبحوث القضائية بمجلس الدولة المصري، العدد الأول، آذار، ٢٠١٥. ص ١٤

٥١ انظر حكم لمحكمة القضاء الإداري على الموقع الإلكتروني

<https://www.youm7.com/story/2016/5/30/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AF%D8%A7%D9%84%D8%A9-%D8%AA%D9%86%D8%AA%D8%B5%D8%B1-%D9%84%D8%AD%D8%B1%D9%85%D8%A9-%D8%A5%D9%82%D8%A7%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B9%D8%A7%D8%A6%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D8%A7%D9%83%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%AF%D8%B3%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B6%D8%A7%D8%A1-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%AF%D8%A7%D8%B1%D9%89/2740028>

٥٢ قيس عبد الستار عثمان، الأهمية العلمية للقضاء الإداري، مجلة كلية الحقوق، جامعة النهريين، المجلد الثامن، العدد ١ ب، ٢٠٠٦. ص ٨

٥٣ انظر المادة ١٧ من قانون انضباط موظفي الدولة رقم ٤١ لسنة ١٩٢٩.

٥٤ انظر المادة ٦ من قانون ديوان التدوين القانوني رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٣.

٥٥ انظر المادة ٣٢ من قانون مجلس شوري الدولة رقم ٦٥ لسنة ١٩٧٩ قبل تعديله.

٥٦ انظر المادة ٣ من قانون ديوان التدوين القانوني رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٣.

٥٧ انظر المادة ٢٤ من قانون مجلس شوري الدولة رقم ٦٥ لسنة ١٩٧٩.

- ٥٨ انظر الفصل الأول من الباب الرابع من قانون مجلس الدولة المصري رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٢.
- ٥٩ انظر قرار المحكمة الإدارية العليا رقم ١٣٥٧/ قضاء الموظفين - تمييز/ ٢٠١٧ في ٢١/٨/٢٠١٧.
- ٦٠ Hugo Flavier and Charles Froger, Administrative justice in France, Between singularity and classicism, Brics law Journal 3, Issue 2, 2016. P. 86
- ٦١ انظر عبد الناصر على عثمان حسين، استقلال القضاء الإداري - دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧. ص ٤٧٦ - ٤٧٩
- ٦٢ انظر المصدر نفسه. ص ٤٦٩ - ٤٧٥. وفي الإشارة إلى نقص عدد القضاة انظر الصفحة ٤٧٥ من المصدر.
- ٦٣ قرارات وفتاوى مجلس شورى الدولة لعام ٢٠٠٩، وزارة العدل، مجلس شورى الدولة، العراق. ص ٣٣٤
- ٦٤ قرارات وفتاوى مجلس شورى الدولة لعام ٢٠١٠، وزارة العدل، مجلس شورى الدولة، العراق. ص ٣٤٥
- ٦٥ قرارات وفتاوى مجلس شورى الدولة لعام ٢٠١٣، وزارة العدل، مجلس شورى الدولة، العراق. ص ١
- ٦٦ انظر قراري المحكمة الاتحادية العليا ٤٣ و ٤٤ في ١٢/٧/٢٠١٠. والقرار رقم ٦٤/ اتحادية/ إعلام/ ٢٠١٣.
- ٦٧ انظر قرارات وفتاوى مجلس شورى الدولة لعام ٢٠١٤، وزارة العدل، مجلس شورى الدولة، شركة الأنس للطباعة والنشر، العراق.
- ٦٨ انظر قرارات وفتاوى مجلس شورى الدولة لعام ٢٠١٥، وزارة العدل، مجلس شورى الدولة، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق.
- ٦٩ انظر قرارات وفتاوى مجلس شورى الدولة لعام ٢٠١٦، وزارة العدل، مجلس شورى الدولة، العراق.
- ٧٠ انظر قرارات وفتاوى مجلس الدولة لعام ٢٠١٧، مجلس الدولة، العراق.
- ٧١ انظر قرارات وفتاوى مجلس الدولة لعام ٢٠١٨، مجلس الدولة، العراق.
- ٧٢ في تفصيل ما تم التوصل اليه مما تقدم من النتائج، يرجى مراجعة المبحث الأول من هذه الدراسة.
- المراجع:**
- أولاً- الكتب والبحوث باللغة العربية:
- ١- ثروت بدوي، مبادئ القانون الإداري، المجلد الأول- أصول القانون الإداري وأساسه وخصائصه، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦.

- ٢- جورج فيدل، بيار دو فولفيه، القانون الإداري- الجزء الأول، ترجمة منصور القاضي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠١.
- ٣- عبد الناصر علي عثمان حسين، استقلال القضاء الإداري- دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧.
- ٤- عبد الناصر علي عثمان، استقلال القضاء الإداري (دراسة مقارنة)، دار النهضة العربية، مصر، ٢٠٠٧.
- ٥- علي محمد بدير، عصام عبد الوهاب البرزنجي، مهدي ياسين السلامي، مبادئ وأحكام القانون الإداري، مكتبة السنهوري، بغداد، ١٩٩٣.
- ٦- قرارات وفتاوى مجلس شورى الدولة لعام ٢٠٠٩، وزارة العدل، مجلس شورى الدولة، العراق.
- ٧- قرارات وفتاوى مجلس شورى الدولة لعام ٢٠١٠، وزارة العدل، مجلس شورى الدولة، العراق.
- ٨- قرارات وفتاوى مجلس شورى الدولة لعام ٢٠١٣، وزارة العدل، مجلس شورى الدولة، العراق.
- ٩- انظر قرارات وفتاوى مجلس شورى الدولة لعام ٢٠١٤، وزارة العدل، مجلس شورى الدولة، شركة الأنس للطباعة والنشر، العراق.
- ١٠- قرارات وفتاوى مجلس شورى الدولة لعام ٢٠١٥، وزارة العدل، مجلس شورى الدولة، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق.
- ١١- قرارات وفتاوى مجلس شورى الدولة لعام ٢٠١٦، وزارة العدل، مجلس شورى الدولة، العراق.
- ١٢- قرارات وفتاوى مجلس الدولة لعام ٢٠١٧، مجلس الدولة، العراق.
- ١٣- قرارات وفتاوى مجلس الدولة لعام ٢٠١٨، مجلس الدولة، العراق.
- ١٤- قيس عبد الستار عثمان، الأهمية العلمية للقضاء الإداري، مجلة كلية الحقوق، جامعة النهرين، المجلد الثامن، العدد ١ ب، ٢٠٠٦.
- ١٥- ماهر صالح علاوي، الوسيط في القانون الإداري، دار الكتاب القانوني، بيروت- لبنان، ٢٠١٩.
- ١٦- مجلس الدولة، الدورية العلمية المتخصصة، مركز الدراسات والبحوث القضائية بمجلس الدولة المصري، العدد الأول، آذار، ٢٠١٥.
- ١٧- مجلس الدولة، الدورية العلمية المتخصصة، مركز الدراسات والبحوث القضائية بمجلس الدولة المصري، العدد الأول، آذار، ٢٠١٥.

١٨- مجلس شورى الدولة، وزارة العدل، قرارات مجلس شورى الدولة الصادرة في ضوء قانون المحافظات غير المنتظمة في إقليم رقم (٢١) لسنة ٢٠٠٨، ٢٠١٠.

١٩- مصطفى أبو زيد فهمي، القانون الإداري- ذاتية القانون الإداري، الدار الجامعية، الإسكندرية، بلا سنة طبع.

٢٠- يحيى الرفاعي، المستشار والرئيس الشرفي لنادي القضاة في مصر، في مقالة له على الموقع الإلكتروني:

<https://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/adc6fa9c-cf9a-40d2-b460-2598718df6b7>

تاريخ الزيارة ٢٦/٤/٢٠٢٠.

٢١- يمامة محمد حسن كشكول، أثر الصياغة التشريعية على تطبيق القوانين (دراسة في قانون المحافظات غير المنتظمة في إقليم رقم ٢١ لسنة ٢٠٠٨، مجلة الحقوق، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٢.

ثانيا- المصادر باللغة الإنكليزية:

١- Administrative Justice in Europe- Report for France ,http://www.aca-europe.eu/en/eurtour/i/countries/france/france_en.pdf ,Accessed on 11/3/2020.

٢- Code of Administrative Justice. Legislative Part ,Preliminary Title
<https://www.fondation-droitcontinental.org/fr/wp-content/uploads/2014/06/51739-CJA-partie-l%C3%A9gislative-Copie.pdf> . تاريخ الزيارة للموقع ٢٠٢٠/١/٧

٣- Hugo Flavier and Charles Froger, Administrative justice in France, Between singularity and classicism, Brics law Journal 3, Issue 2, 2016.

٤- Hugo Flavier and Charles Roger ,Administrative justice in France ,Between singularity and classicism ,Brics Law Journal,3,2,2016

ثالثا- قرارات المحاكم:

١- قرار المحكمة الاتحادية العليا رقم ٨ لسنة ٢٠٠٩.

٢- قرار المحكمة الاتحادية العليا رقم ٥ لسنة ٢٠٠٩.

٣- قرار المحكمة الاتحادية العليا رقم ٣٦ لسنة ٢٠٠٩.

٤- قراري المحكمة الاتحادية العليا ٤٣ و ٤٤ في ٢٠١٠/٧/١٢.

- ٥- قرار المحكمة الاتحادية العليا رقم ٨٨ لسنة ٢٠١٠.
 - ٦- قرار المحكمة الاتحادية العليا رقم ٦٤ / اتحادية / إعلام / ٢٠١٣.
 - ٧- قرار المحكمة الإدارية العليا في مجلس الدولة رقم ٥٤٥ / قضاء موظفين - تمييز / ٢٠١٥
 - ٨- قرار المحكمة الاتحادية العليا رقم ٨٤ / اتحادية / ٢٠١٨.
 - ٩- قرار الهيئة العامة لمجلس شورى الدولة رقم ١٣٢ / انضباط / تمييز / ٢٠٠٦.
 - ١٠- قرار الهيئة العامة لمجلس شورى الدولة رقم ١٣٤ / انضباط / تمييز / ٢٠٠٦.
 - ١١- قرار الهيئة العامة لمجلس شورى الدولة رقم ١٥٣ / انضباط / تمييز / ٢٠٠٨.
 - ١٢- القرار الاستشاري لمجلس الدولة رقم ١٠٢ في ٣١ / ١٠ / ٢٠١١.
 - ١٣- القرار الاستشاري لمجلس الدولة في ٢٥ / ١٠ / ٢٠٠٩.
 - ١٤- قرار لمحكمة القضاء الإداري في مصر حول حرمة الكنائس.
<https://www.youm7.com/story/2016/5/30/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AF%D8%A7%D9%84%D8%A9-%D8%AA%D9%86%D8%AA%D8%B5%D8%B1-%D9%84%D8%AD%D8%B1%D9%85%D8%A9-%D8%A5%D9%82%D8%A7%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B9%D8%A7%D8%A6%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D8%A7%D9%83%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%AF%D8%B3%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B6%D8%A7%D8%A1-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%AF%D8%A7%D8%B1%D9%89/274> تاريخ الزيارة ٢١ / ٣ / ٢٠٢٠.
- رابعا- الدساتير والقوانين باللغة العربية:
الدستور والقوانين العراقية:
١- الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥.

- ٢- قانون انضباط موظفي الدولة رقم ٤١ لسنة ١٩٢٩.
 - ٣- قانون ديوان التدوين القانوني رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٣.
 - ٤- قانون مجلس شوري الدولة رقم ٦٥ لسنة ١٩٧٩
 - ٥- قانون وزارة العدل لسنة ١٩٧٧ الذي كان ساريا عام ١٩٨٩.
 - ٦- قانون المحافظات غير المنتظمة في إقليم رقم ٢١ لسنة ٢٠٠٨
- الساتير والقوانين المصرية:
- ١- الدستور المصري لسنة ١٩٧١
 - ٢- الدستور المصري لسنة ٢٠١٤.
 - ٣- قانون مجلس الدولة المصري رقم ١١٢ لسنة ١٩٤٦.
 - ٤- قانون مجلس الدولة رقم ٩ لسنة ١٩٤٩.
 - ٥- قانون مجلس الدولة المصري رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٢.
 - ٦- قانون رقم ١٣٦ لسنة ١٩٨٤، قانون تعديل قانون مجلس الدولة رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٢.

دور محاسبة استهلاك الموارد في ترشيد تكاليف الزبون وتحسين الميزة التنافسية للوحدات الاقتصادية العراقية- دراسة حالة

أ.م. د. عقيل حمزة الحسناوي
الباحث منتظر إسماعيل محمد علي
كلية الإدارة والاقتصاد/ جامعة الكوفة

المقدمة:

أصبحت المنافسة الشديدة من الصفات المميزة لبيئة الأعمال المعاصرة في الوقت الحاضر قياساً بالماضي بشكل خاص بعد تحول منافسة الوحدات الاقتصادية من البيئة المحلية الى البيئة الدولية ولغرض مواجهة هذه التغيرات المحيطة والاستعداد لها ينبغي على الوحدة الاقتصادية أن تقوم بتقديم منتجات ذات أسعار تنافسية تلبي حاجات ورغبات الزبائن مع ضمان تخفيض التكاليف وتحسين مستوى الإنتاجية، ولغرض تحقيق ذلك ينبغي على الوحدة الاقتصادية اتباع مجموعة من الخطط الاستراتيجية لضمان نجاحها وبقائها في ظل هذه البيئة المعاصرة، لذا أصبحت النظم الكفوية التقليدية عاجزة عن توفير المعلومات التي تعمل على تحديد التكاليف بشكل سليم وتخفيض تكاليف المنتج وتحسين الانتاجية وتحديد تكلفة خدمة الزبون لذلك ظهرت الحاجة الى اعتماد عدة مداخل تستخدمها الوحدة الاقتصادية لتحقيق أهدافها ومنها مدخل محاسبة استهلاك الموارد، اذ يمتاز مدخل محاسبة استهلاك الموارد RCA بتقديم المعلومات المتكاملة حول التخصيص الدقيق للتكاليف والاستغلال الامثل للطاقة ودورها في تخفيض التكاليف

المبحث الأول: منهجية الدراسة:

أولاً: مشكلة البحث:

تواجه الوحدات الاقتصادية صعوبة في ترشيد تكاليف الزبائن من خلال تحديد اي من الزبائن يتوجب عليها تطوير علاقة معهم وأي منهم ستعزز العلاقة معهم، ولاسيما أن أغلب الطرائق المتبعة حالياً في مجال التكاليف غير المباشرة لا يحقق العدالة في التخصيص الأمر الذي يؤدي الى عدم اتخاذ قرارات إدارية

صحيحة فيما يتعلق بتخطيط التكاليف، وتحديد تكاليف المنتجات او الخدمات المقدمة. اذ تكمن مشكلة البحث في عجز مداخل التكاليف التقليدية عن توفير معلومات مفيدة في مجال تحديد التكاليف الحقيقية للمنتجات او الخدمات التي تقدمها الوحدات الاقتصادية وكذلك في تحديد تكاليف زبائنها مما يؤثر سلبا في اتخاذ القرارات.

ثانيا: أهمية البحث:

تأتي أهمية الدراسة باقتراحها مدخلا جديدا الا وهو محاسبة استهلاك الموارد وما له من أهمية كبيرة في توفير المعلومات المدراء في مجال تحديد التكاليف الزبون التي تبني عليها القرارات الادارية المختلفة. فضلا عن ذلك فان استعمال محاسبة استهلاك الموارد في مراقبة التكاليف الخاصة بكل مورد من موارد الوحدة الاقتصادية وتحديد الطاقة العاطلة سيؤدي الى ترشيد التكلفة وتوفير المعلومات المتعلقة بالزبائن بالشكل الذي يوفر امكانية لتقييم الزبائن وتحليل ربحيتهم من اجل المحافظة على الزبائن المربحين وزيادة التركيز عليهم ومحاولة تحويل الزبائن غير المربحين الى زبائن مربحين. اذ يحقق تحليل ربحية الزبون باستخدام محاسبة استهلاك الموارد أفضل قيمة مضافة للزبون وكذلك دعم المركز التنافسي للوحدة الاقتصادية.

ثالثا: اهداف البحث:

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

١. تقديم إطار نظري يوضح العلاقة بين محاسبة استهلاك الموارد.
٢. بيان تأثير تطبيق محاسبة استهلاك الموارد في ترشيد تكاليف المنتجات في المعمل عينة البحث.

رابعا: فرضية البحث:

يتبنى البحث فرضية رئيسية:

الفرضية الاولى: يؤدي تطبيق محاسبة استهلاك الموارد الى ترشيد تكاليف الزبون وتحسين الميزة التنافسية مقارنة بالمدخل التكاليف التقليدي

خامسا: أسلوب الدراسة:

تعتمد الدراسة الحالية أسلوب دراسة حالة في معمل أكياس/الحلة التابع لمصنع النسيجية/الحلة. يتم من خلالها تقييم واقع حال التكاليف في المعمل وتطبيق محاسبة استهلاك الموارد بالاعتماد على البيانات الفعلية للمعمل لسنة ٢٠١٨.

سادسا: حدود الدراسة:

الحدود المكانية: معمل نسيج الحلة

الحدود الزمانية: البيانات المالية لمعمل نسيج الحلة لسنة ٢٠١٨

المبحث الثاني: الإطار النظري لمحاسبة استهلاك الموارد:

مفهوم محاسبة استهلاك الموارد:

محاسبة استهلاك الموارد (RCA) هو الجيل الجديد في مجال المحاسبة الادارية الحديثة، اذ ان هذا المدخل يجمع بين مدخل إدارة التكاليف الألمانية (GPK) مع مدخل التكلفة على أساس الأنشطة (ABC) (Balakrishnan et al, 2011: 13).

يستند فلسفة هذا المدخل على ان الموارد التي تملكها الوحدة الاقتصادية هي التي تولد التكاليف وبالتالي ينبغي التركيز على احتساب تلك الموارد بشكل دقيق وتحديد ما يتم استهلاكه منها، وان تجميع وتنظيم هذه الموارد في مجتمعات متجانسة (الحوالي ، ٢٠١٣: ٨٥)، بحيث يكون لكل مجمع مورد مجموعة من المدخلات تستخدم لإنتاج المخرجات التي تستخدمها مجتمعات موارد أخرى او تستخدم في أهداف التكلفة المختلفة (الأنشطة، أو العمليات، أو المنتجات، أو الزبائن) مع مراعاة موضوع تشابك وتداخل العلاقات بين الموارد، فكل مورد قد يفيد مورد ويستفيد من مورد آخر، كما أن هناك بعض الموارد قد تفيد هدف التكلفة بشكل مباشر (خطاب، ٢٠٠٩: ١٨). كما ان هذا المدخل يعتمد على الطاقة النظرية أكثر من اعتماده على الطاقة العملية في تحديد معدلات خاصة بالجزء الثابت من تكاليف الموارد، فالتكاليف غير المباشرة الثابتة تحدد للموارد اعتمادا على الطاقة النظرية وليس الطاقة العملية (الإنتاج المقررة خلال فترة معينة) فهذه العملية تؤدي الى احتساب تكلفة الوحدة الثابتة لهدف التكلفة (كاظم، ٢٠١٩: ٥٨).

وعليه يمكن تعريف محاسبة استهلاك الموارد (RCA) "بأنه مدخل محاسبي جديد لإدارة التكلفة يوفر معلومات ملائمة ويعطي نظره مستقبلية عن كيفية الاستغلال الأمثل للمورد المتاح في الوحدة الاقتصادية في ضوء كل من الرغبات والمتوقعة للزبائن ومنافع الطلب على الخدمات بما يساعد في خفض تكلفة المنتج وتعظيم القيمة المضافة للزبائن واسناد المركز التنافسي للوحدة الاقتصادية" (الصغير، ٢٠١١: ٨٥) يعرف (RCA) "بأنه مدخلاً ديناميكياً ومتكاملاً وقائماً على مبدأ المحاسبة الإدارية الشاملة التي تزود المديرين بمعلومات دعم القرار لتحسين أداء الوحدة الاقتصادية، وهو يتسم بالحدثة والمرونة والشمولية التي تستند إلى حد كبير على مدخل محاسبة التكاليف الألماني GPK ومدخل محاسبة على أساس الأنشطة (Lecturer & Co, 2011: 1).

وتأسيساً على ما سبق يعرف الباحث محاسبة استهلاك الموارد كالآتي:
مدخل لإدارة التكلفة يجمع بين مدخل التكلفة المعياري المرن ومدخل التكلفة على أساس الأنشطة لتحسين دقة قياس تكلفة المنتجات او الخدمات، يتميز بتوفير معلومات شاملة وكافية تساعد في العمل على التخطيط السليم للموارد، واستبعاد الموارد العاطلة وعدم تحميل تكاليفها على المنتجات او الخدمات بغرض تخفيض التكاليف وزيادة الإنتاجية، إذ إنه يساعد على اتخاذ قرارات استراتيجية وتشغيلية صارمة، مما سيزيد من القدرة التنافسية للوحدة الاقتصادية ويوفر أفضل الطرق لإرضاء الزبائن.

المبحث الثالث: الإطار النظري لتحليل تكاليف الزبون:

مفهوم تحليل تكاليف الزبون

وفقاً لـ (كاظم، ٢٠١٤: ٥) فإن تكاليف الزبون تختلف من زبون لآخر حسب استهلاكه لموارد الوحدة الاقتصادية المتاحة، لذا تُمكن المعلومات المتاحة عن التكاليف الزبون ادارة الوحدة في تحديد طريقة استعماله لموارد الوحدة، والأسباب التالية توضح هذا الاختلاف:

أ-الاختلاف في طلبات الزبائن، فهناك زبون مشترياته على شكل دفعات صغيرة وبشكل تكرر، وزبون آخر تكون دفعاته كبيرة وبشكل متباعد (جارسون ونورين، ٢٠٠٢: ٦١٢).

ب-الاختلاف في نمطية الطلبات او طلبات خاصة، فهناك زبون يطلب سلع غير نمطية مما يدفع الى تغيير عملية الإنتاج لتلبية الطلبات او يكلف عمل هندسي خاص للآلات والحاجة لمعدات خاصة، او يطلب تعبئة وتغليف منفردة بالزبون (براهيمي، ٢٠١٥: ٦٦).

ج-الاختلاف في وقت تلبية الطلبات، فهناك زبون يطلب دفعات مستعجلة او خدمات خاصة للنقل والتوصيل (Horngern, 2000: 583).

د-الاختلاف في حجم المشتريات، والتي تسبب اختلاف في مقدار الاعمال الكتابية والاتصالات والمناولة (الجبوري وخضير، ٢٠٠٨: ٣١٢).

وبناء على ما تقدم فان زيادة كلفة الزبون يمكن ان تأتي كنتيجة لـ:

- ♦ كميات طلب اقل.
- ♦ زيادة وتكرار التسليم المنتجات.
- ♦ انتاج وخزن كميات أكبر من المنتجات.
- ♦ تكاليف خزن المنتجات لفترات أطول.
- ♦ زيادة متطلبات خدمات ما بعد البيع.

ان التعامل مع هذه الكلف الإضافية قد يتطلب من الوحدات الاقتصادية ان ترفع من الأسعار لمواجهة هذه الزيادة في الكلف، لذا فان معرفة كلف الزبون امر مهم جدا لاتخاذ القرارات الصحيحة (وناس، ٢٠١٠: ١٠). نتيجة لذلك فان تتبع تكاليف الزبون يمكن ان يقابله بعض المشاكل التي يجب اخذها بعين الاعتبار منها:

أ-الصعوبة في جمع المعلومات الخاصة بالزبون: معظم النظم المحاسبية تصمم لتتبع التكاليف على مستوى السلعة او النشاط ونادرا ما توفر معلومات على مستوى فردي لكل زبون خاصة بمصاريف التسويق والتوزيع وخدمة الزبون.

ب-الصعوبة في تخصيص التكاليف: تواجه الوحدات الاقتصادية مشكلة تخصيص التكاليف على الزبائن وهذه المشكلة تبرز مع وجود تعاملات مختلفة للزبائن مع الوحدة ومن هذه الحالات:

- هناك زبائن لديهم امر واحد، وجميع التكاليف تخصص للأمر الفردي.
- هناك زبائن يمكن ان يكون لديهم عدة أوامر، وجميع التكاليف تخصص للأوامر الفردية.
- هناك زبائن يمكن ان يكون لديهم عدة أوامر، ولا تخصص جميع التكاليف للأوامر الفردية ويمكن تبويب التكاليف على نوعين:

- تكاليف غير مباشرة، وهي تكاليف خاصة بزبون محدد وبأمر معين.

- تكاليف غير مباشرة، وهي تكاليف مساندة للزبون وتتطلب اجراء تخصيص بحسب عدد الأوامر او الطلبيات، او بحسب قيمة مبيعات كل زبون، او غيرها من الأسس (عباس وعبد الكريم، ٢٠٠٩: ٥).

بناء على ما تقدم يمكن القول ان تحليل عناصر إيرادات وتكاليف وفهم أسباب اختلافها يمثل حجر الأساس في توفير المعلومات اللازمة لتحليل ربحية الزبون. فعند توفير المعلومات الضرورية واجراء التحليل الخاص بكل زبون على حدة وإظهار أسباب اختلاف الزبائن في الربحية يمكن الوحدات الاقتصادية من استخدام هذا الاختلاف في تحسين ربحية الزبون وكسب الزبائن الأكثر ربحية. فهذه المعلومات تتيح إمكانية رفاه مستوى الاهتمام من قبل المدراء بالزبائن الذين لهم مساهمة كبيرا في الدخل التشغيلي للوحدات الاقتصادية.

المبحث الرابع: الجانب العلمي للبحث:

١. نبذة عن معمل أكياس الحلة

تم تأسيس هذا المعمل سنة ٢٠٠٥م التابع الى مصنع النسيجية في الحلة هو إحدى تشكيلات وزارة الصناعة والمعادن ويقوم هذا المصنع بإنتاج الأكياس المنسوجة بأحجام مختلفة وكذلك إنتاج أكياس البلاستيكية لأغراض متعددة.

٢. تطبيق محاسبة استهلاك الموارد RCA في معمل الأكياس /الحلة

لغرض تطبيق محاسبة استهلاك الموارد في المعمل سوف نقوم بالخطوات الآتية:

أولاً: تحديد الموارد المتاحة وتكلفة الموارد التي تم صرفها على منتجات. ينبغي أولاً وقبل كل شيء تحديد الموارد المتاحة التي تم صرفها على منتجات، والجدول (١) يبين تكلفة الموارد التي تم استهلاكها خلال هذه الفترة وكالتالي:

جدول (١) التكاليف المصروفة في معمل خلال سنة ٢٠١٨

البيان	المبلغ/ دينار
الرواتب والاجور	1,985,055,273
الاندثار	615,357,992
خامات ومواد الاولية	٣٥٥١٤٨,٥٠٣
ماء	8,422,713
كهرباء	26,677,514
الادوات الاحتياطية	5,831,199
التعبئة والتغليف	419,000
الوقود والزيوت	1,550,306
المتنوعات	5,451,741
تجهيزات العاملين	316,000
خدمات صيانة	1,555,500
دعاية وطباعة وضيافة	608,000
ابحاث واستشارات	3,220,000
نقل وايغاد واتصالات	3,007,000
استئجار موجودات ثابتة	1,250,000

11,963,310	مصروفات خدمية متنوعة
1,235,000	المصاريف التسويقية
197,880,203	المصاريف الادارية
3,018,304,106	المجموع

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على سجلات المعمل

يبين الجدول اعلاه الموارد التي تم صرفها في المعمل خلال سنة ٢٠١٨.

ثانياً: تحديد مجتمعات الموارد:

ان الخطوة الثانية في ظل تطبيق محاسبة استهلاك الموارد RCA تحديد مجتمعات الموارد من خلال تجميع الموارد المتشابهة وذات السمات المتماثلة في مجتمعات خاصة، وكما هو موضح في الجدول (٢) الاتي:

جدول (٢) حصر وتحديد الموارد في المُجَمَّعات المناسبة

التسلسل	مُجَمَّعات الموارد	الموارد	
١	مجمع العمل المباشر	الاجور المباشرة	1409944000
٢	مجمع المواد المباشرة	المواد والخامات المباشرة	148503355
٣	مُجَمَّع العمل غير المباشر	الرواتب والاجور غير المباشرة	٥٧٥,١١١,٢٧٣
٤	مُجَمَّع المواد غير المباشرة	مواد تعبئة وتغليف	٤١٩٠٠٠
		زيوت وشحوم	٥٤٢,٣٠٦
٥	مُجَمَّع القوى المحركة	اندثار	٦١٥,٣٥٧,٩٩٢
		ماء	٨,٤٢٢,٧١٣
		كهرباء	٢٦,٦٧٧,٥١٤
		ادوات احتياطية	٥,٨٣١,١٩٩

١,٠٠٨,٠٠٠	مواد نفطية		
٣١٦,٠٠٠	تجهيزات العاملين	مُجمّع موارد التجهيزات	٦
٣,٨٦٠,٨٤١	لوازم ومهمات		
١,٥٩٠,٩٠٠	قرطاسية		
٣١,٠٠٠	صيانة مباني وانشاءات وطرق	مُجمّع موارد خدمات الصيانة	٧
١,١١٦,٠٠٠	صيانة الآلات والمعدات		
٢٦١,٥٠٠	صيانة وسائل نقل وانتقال		
١٤٧,٠٠٠	صيانة اثاث واجهزة مكاتب		
٦٠٨,٠٠٠	دعاية وطباعة وضيافة	مُجمّع الدعاية والاعلان	٨
٣,٢٢٠,٠٠٠	مصاريف أبحاث واستشارات		
٣٥٨,٧٥٠	نقل عاملين	مُجمّع موارد نقل وايفاد واتصالات	٩
٢,٠٩٧,٠٠٠	السفر والايافاد		
٥٥١,٢٥٠	اتصالات عامة		
١,٢٥٠,٠٠٠	استتجار موجودات ثابتة	مُجمّع موارد بقية المستلزمات الخدمية	١٠
١١,٩٦٣,٣١٠	خدمات مصرفية		
١٩٧,٨٨٠,٢٠٣	مصاريف ادارية	مجمع موارد المصاريف الادارية والتسويقية	١١
١,٢٣٥,٠٠٠	مصاريف تسويقية		

المصدر: من اعداد الباحث

ثالثاً: تحديد عناصر التكاليف المباشرة الى المنتجات:

في ظل تطبيق RCA يتم معالجة التكاليف المباشرة بتحميلها مباشرة الى هدف الكلفة، لذا فقد تم تحديد عناصر التكاليف المباشرة (الأجور المباشرة والمواد المباشرة) التي تم صرفها على كل منتج من منتجات المعمل عينة البحث على أساس الوزن وكما هو موضح في الجدول (٣) الاتي:

جدول (٣) معمل الأكياس\ الحلة توزيع الاجور والمواد المباشرة على المنتجات لعام ٢٠١٨

ت	المنتج	الأجور المباشرة	المواد المباشرة	اجمالي تكاليف الصنع	حجم الإنتاج	التكلفة الصناعية للوحة الواحدة
1	PE41	33222055	3499128	36721183	21456	1711
2	PE45	39866466	4198954	44065419	19350	2277
3	PE46	46510877	4898779	51409656	19323	2661
4	PE5	39866466	4198954	44065419	23301	1891
5	PE1	106310575	11197210	117507785	36360	3232
6	PE42	19933233	2099477	22032710	22482	980
7	PE16	86377342	9097733	95475075	34029	2806
8	PE22	73088520	7698082	80786602	41067	1967
9	PE50	26577644	2799303	29376946	25830	1137
10	PE18	119599397	12596861	132196258	30222	4374

535	37944	20287078	6998256	13288822	PE4	1 1
751	19566	14688473	1399651	13288822	PEM	1 2
3587	29070	104288159	9937524	94350635	PEz2	1 3
5791	41850	242359807	23094246	219265561	PP2/ A	1 4
2041	79166	161573205	15396164	146177041	PP40	1 5
1929	68537	132196258	12596861	119599397	PP13	1 6
1596	11044 7	176261678	16795815	159465862	PP2/1	1 7
2361	66000 0	155844735 5	14850335 5	140994400 0		

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على سجلات المعمل

رابعاً: الفصل بين التكاليف المتغيرة والثابتة في مجموعات الموارد:

يعمل محاسبة استهلاك الموارد على التمييز بين كل من التكاليف المتغيرة والثابتة لكل مجمع مورد لأنه يفترض ان الموارد تستهلك بشكل متغيرة وثابتة اذ توجد علاقة الاستهلاك المتغيرة عندما تتغير كمية المدخلات من الموارد المستهلكة مع مستوى حجم إنتاج هدف الكلفة، اما علاقة الاستهلاك الثابتة فتوجد

عندما لا تتغير كمية المدخلات من الموارد المستهلكة مع مستوى حجم انتاج هدف التكلفة، وعليه سوف يتم تحديد التكاليف المتغيرة والثابتة في مجتمعات الموارد على النحو التالي:

جدول (٤) معمل الاكياس ١ الحلة التكاليف الثابتة والمتغيرة في مجتمعات الموارد

مجمعات الموارد	الموارد	التكاليف الثابتة	التكاليف المتغيرة	الاجمالي
مجمع العمل غير المباشر	العاملين في خدمات الانتاج	٢٨٩,١٥٢,٠٠٠	٥,٨١٦,٠٠٠	٢٩٤,٩٦٨,٠٠٠
	العاملين في الادارة	٢٥٤,١٩٩,٢٧٣	-	٢٥٤,١٩٩,٢٧٣
	العاملين في التسويق	٢٥,٩٤٤,٠٠٠	-	٢٥,٩٤٤,٠٠٠
	المجموع	٥٦٩,٢٩٥,٢٧٣	٥,٨١٦,٠٠٠	٥٧٥,١١١,٢٧٣
مجمع المواد غير المباشرة	مواد تعبئة وتغليف	-	٤١٩,٠٠٠	٤١٩,٠٠٠
	زيوت وشحوم	-	٥٤٢,٣٠٦	٥٤٢,٣٠٦
	المجموع	٠	٩٦١,٣٠٦	٩٦١,٣٠٦
مجمع القوى المحركة	الاندثار	٦١٥,٣٥٧,٩٩٢	-	٦١٥,٣٥٧,٩٩٢
	ماء	٨,٤٢٢,٧١٣		٨,٤٢٢,٧١٣
	كهرباء	٢٦,٦٧٧,٥١٤		٢٦,٦٧٧,٥١٤
	ادوات احتياطية	-	٥,٨٣١,١٩٩	٥,٨٣١,١٩٩
	مواد نفطية	-	١,٠٠٨,٠٠٠	١,٠٠٨,٠٠٠
	المجموع	٦٥٠,٤٥٨,٢١٩	٦,٨٣٩,١٩٩	٦٥٧,٢٩٧,٤١٨

٣١٦,٠٠٠	١٩٤,٢٢٤	٩٦١,٣٠٦	تجهيزات العاملين	مجمع التجهيزات
٣,٨٦٠,٨٤١	—	٣,٨٦٠,٨٤١	لوازم ومهمات	
١,٥٩٠,٩٠٠	—	١,٥٩٠,٩٠٠	قرطاسية	
٥,٧٦٧,٧٤١	١٩٤,٢٢٤	٥,٥٧٣,٥١٧	المجموع	
٣١,٠٠٠	—	٣١,٠٠٠	صيانة مباني وانشاءات وطرق	مجمع خدمات الصيانة
١,١١٦,٠٠٠	٣٦٥,٢١٠	٧٥٠,٧٩٠	صيانة الآلات والمعدات	
٢٦١,٥٠٠	—	٢٦١,٥٠٠	صيانة وسائل نقل وانتقال	
١٤٧,٠٠٠	—	١٤٧,٠٠٠	صيانة اثاث واجهزة مكاتب	
١,٥٥٥,٥٠٠	٣٦٥,٢١٠	١,١٩٠,٢٩٠	المجموع	
٦٠٨,٠٠٠	—	٦٠٨,٠٠٠	دعاية وطبع وضيافة	مجمع البحث والتطوير
٣,٢٢٠,٠٠٠	—	٣,٢٢٠,٠٠٠	ابحاث واستشارات	
٣,٨٢٨,٠٠٠	٠	٣,٨٢٨,٠٠٠	المجموع	

٣٥٨,٧٥٠	-	٣٥٨,٧٥٠	نقل العاملون	مجمع النقل والايافاد والاتصالات
٢,٠٩٧,٠٠٠	-	٢,٠٩٧,٠٠٠	السفر والايافاد	
٥٥١,٢٥٠	-	٥٥١,٢٥٠	اتصالات عامة	
٣,٠٠٧,٠٠٠	٠	٣,٠٠٧,٠٠٠	المجموع	
١,٢٥٠,٠٠٠	-	١,٢٥٠,٠٠٠	استئجار موجودات ثابتة	مجمع بقية المستلزمات الخدمية
١١,٩٦٣,٣١٠	-	١١,٩٦٣,٣١٠	خدمات مصرفية	
١٣,٢١٣,٣١٠	٠	١٣,٢١٣,٣١٠	المجموع	
١٩٧,٨٨٠,٢٠٣	-	١٩٧,٨٨٠,٢٠٣	مصاريف ادارية	مجمع المصاريف الادارية والتسويقية
١,٢٣٥,٠٠٠	٤٣٥٠٠٠	٨٠٠,٠٠٠	مصاريف تسويقية	
١٩٩,١١٥,٢٠٣	٤٣٥٠٠٠	١٩٨,٦٨٠,٢٠٣	المجموع	

المصدر: اعداد الباحث

قام الباحث بتوزيع التكاليف على مجموعات موارد مناسبة وتم تصنيف التكاليف في كل مجمع موارد الى تكاليف متغيرة وتكاليف ثابتة. وتمثل هذه الخطوة احدى الركائز اساسية في الية عمل محاسبة استهلاك الموارد RCA اذ تساعد على استخراج معدلات التكاليف المتغيرة من خلال الطاقة العملية ومعدلات

التكاليف الثابتة من خلال الطاقة النظرية وبالتالي تمكن من تحديد الطاقة العاطلة من خلال فصل التكاليف الثابتة التي لا تضيف قيمة على الأنشطة الرئيسية في المعمل وابقائها في مجموعات الموارد. اذ تعتبر تكاليف فترة ويتم تحميل الأنشطة بالتكاليف المتغيرة والتكاليف الثابتة المستغلة في العملية الإنتاجية.

خامساً: تحديد مسببات الموارد لكل مجمع موارد:

بعد تحديد مجموعات الموارد وفصل التكاليف الثابتة والمتغيرة، فإنه لابد من تحديد مسببات المناسبة لكل مجمع موارد من المجموعات والتي يمكن توضيحها من خلال الجدول التالي:

جدول (٥) مسببات التكلفة لمجموعات الموارد

ت	مجمع الموارد	مسبب التكلفة
١	مجمع موارد العمل غير المباشر	ساعات العمل المباشرة
٢	مجمع موارد المواد غير المباشرة	كمية المواد (كغم)
٣	مجمع موارد القوى المحركة	ساعات تشغيل الماكينة
٤	مجمع موارد التجهيزات	عدد مرات التجهيزات
٥	مجمع موارد خدمات الصيانة	ساعات الصيانة

المصدر: اعداد الباحث

سادساً: تحديد الطاقات النظرية والعملية ونسب مجموعات الموارد:

في هذه الخطوة سنقوم بتحديد طاقات مجموعات الموارد والنسب الثابتة والمتغيرة للتكاليف وكما يلي:

جدول (٦) تحديد الطاقات النظرية والعملية ونسب مجتمعات الموارد.

مُجمّعات الموارد	الطاقة النظرية	الطاقة العملية	معدل التكاليف الثابتة	معدل التكاليف المتغيرة	المعدل الكلي
مُجمّع العمل غير المباشر	٢٢٧٥٢٠ ساعة	١١٣٧٦٠ ساعة	٢٥٠٢ دينار/ساعة	٥١ دينار/ساعة	٢٥٥٣ دينار/ساعة
مُجمّع المواد غير المباشرة	-	٢٥٠٠٠ كغم	-	٣٨ دينار/كغم	٣٨ دينار/كغم
مُجمّع القوى المحركة	١٦٥١٢٠ ساعة	٤٤٥٥٢ ساعة	٣٩٣٩ دينار/ساعة	١٥٤ دينار/ساعة	٤٠٩٣ دينار/ساعة
مُجمّع موارد التجهيزات	٢٠٥ عامل	١٧٧ عامل	٢٧١٨٨ دينار / عامل	١٠٩٧ دينار / عامل	٢٨٢٨٥ دينار / عامل
مُجمّع موارد خدمات الصيانة	١٠٣٢ ساعة	٥٠٢ ساعة	١١٥٣ دينار / ساعة	٧٢٨ دينار / ساعة	١٨٨١ دينار / ساعة
مجمع موارد المصاريف الادارية والتسويقية	١٧٥٠٠٠٠ كغم	٦٦٠٠٠٠ كغم	١١٣,٤ دينار / كغم	٠,٦ دينار / ساعة	١١٤ دينار / ساعة

المصدر: اعداد الباحث

ويتم احتساب معدل التكاليف الثابتة لهذا المورد بقسمة التكاليف الثابتة على الطاقة النظرية (٦٥٠,٤٥٨,٢١٩ دينار/١٦٥١٢٠ ساعة) أي يكون المعدل (٣٩٣٩ دينار/ساعة)، اما معدل التكاليف

المتغيرة لهذا المورد بقسمة التكاليف المتغيرة لهذا المورد على الطاقة العملية (٦,٨٣٩,١٩٩ دينار/٤٤٥٥٢ ساعة) أي يكون المعدل (١٥٤ دينار/ساعة).

اما مجمعات (مجمع البحث والتطوير، مجمع النقل والايفاء والاتصالات، مجمع بقية المستلزمات الخدمية)، توجد فيها تكاليف ثابتة فقط، ولا يتم استخراج معدلات التكاليف فيها، وانما سيتم توزيعها على الأنشطة المستفيدة منها وحسب نسبة استغلال الطاقة.

سابعاً: تحديد وتوزيع تكاليف مُجمّعات الموارد على الأنشطة:

في هذه الخطوة سيتم تحديد مجمعات الموارد المستهلكة وفقاً للأنشطة ثم بعد ذلك توزيع التكاليف هذه مُجمّعات على الأنشطة، اذ سيتم توزيع التكاليف المحصلة في كل مُجمّع من الموارد بقدر ما تستهلك الأنشطة من تلك الموارد وسوف يتم توزيع تكاليف مُجمّعات الموارد على الأنشطة على وفق المعادلة التالية:

$$\text{تكلفة النشاط} = \text{نصيب النشاط من الموارد} \times (\text{معدل التكلفة الثابت} + \text{معدل التكلفة المتغير})$$

أي ان استهلاك الموارد لا يتم من قبل المنتج النهائي مباشرةً وانما الأنشطة تستهلك الموارد والمنتجات النهائية تستهلك الأنشطة، وبمجرد تحديد طاقات الموارد فإنه من الضروري حساب تكاليفها لتحديد مقدار الموارد التي تستخدمها الأنشطة، وتم تحديد الأنشطة التي تستهلك مجمعات الموارد في معمل أكياس /الحلة عينة البحث بالآتي: ١-نشاط الإنتاج ٢-نشاط الصيانة ٣-نشاط القوى المحركة ٤-السيطرة النوعية ٥-التعبئة والتغليف ٦-اداري ٧-تسويقي وكما هو موضح في الجدول الاتي:

جدول (٦) الموارد التي تستهلكها الأنشطة من مجمعات الموارد

الأنشطة	مجمعات الموارد	العمل غير المباشر	المواد غير المباشرة	القوى المحركة	موارد التجهيزات	خدمات الصيانة	الإدارية والتسويقية
الإنتاج	41760	14000	65				
صيانة	14400	2250	22			502	
قوى محركة	5760	2750	44552	9			

		7		1750	4320	السيطرة النوعية
		11		4250	7200	التعبئة والتغليف
528000		56			36000	اداري
132000		7			4320	تسويقي
	502	177	44552	25000	113760	الاجمالي

المصدر اعداد الباحث

يبين الجدول اعلاه الموارد المستهلكة في مجموعات الموارد استنادا الى الطاقة العملية الموجودة في كل مجمع موارد.

وبعد ان قام الباحث بتوزيع تكاليف مجموعات الموارد على الانشطة حسب كمية الموارد المستهلكة سيتم التعرف على الطاقة العاطلة من خلال مقارنة التكاليف المحملة مع التكاليف التي تم توزيعها على الانشطة وذلك من خلال الجدول الاتي:

جدول (٧): تكاليف الطاقة العاطلة في ظل نظام محاسبة استهلاك الموارد

مجموعات الموارد	التكاليف المتحققة	التكاليف الموزعة	تكاليف الطاقة العاطلة
التكاليف المباشرة			
مُجمَع العمل المباشر	١٤٠٩٩٤٤٠٠٠	١٤٠٩٩٤٤٠٠٠	٠
مُجمَع المواد المباشرة	١٤٨٥٠٣٣٥٥	١٤٨٥٠٣٣٥٥	٠
اجمالي التكاليف المباشرة	١٥٥٨٤٤٧٣٥٥	١٥٥٨٤٤٧٣٥٥	٠
التكاليف غير المباشرة			
مُجمَع العمل غير المباشر	٥٧٥,١١١,٢٧٣	٢٩٠,٤٢٩,٢٨٠	284,681,993

11,306	٩٥٠٠٠٠	٩٦١,٣٠٦	مُجمّع المواد غير المباشرة
474,946,082	١٨٢٣٥١٣٣٦	٦٥٧,٢٩٧,٤١٨	مُجمّع موارد القوى المحركة
761,296	٥٠٠٦٤٤٥	٥,٧٦٧,٧٤١	مُجمّع موارد التجهيزات
611,238	٩٤٤٢٦٢	١,٥٥٥,٥٠٠	مُجمّع خدمات الصيانة
2,384,297	١٤٤٣٧٠٣	٣,٨٢٨,٠٠٠	مُجمّع الدعاية والاعلان
1,872,931	١١٣٤٠٦٩	٣,٠٠٧,٠٠٠	مُجمّع النقل والايقاد والاتصالات
8,230,005	٤٩٨٣٣٠٥	١٣,٢١٣,٣١٠	مُجمّع بقية المستلزمات الخدمية
123,875,203	٧٥٢٤٠٠٠٠	١٩٩,١١٥,٢٠٣	مُجمّع م. الادارية والتسويقية
٩٨٩,٧٦١,٠٤١	٥٦٢٤٨٢٤٠٠	١,٤٥٩,٨٥٦,٧٥١	اجمالي التكاليف غير المباشرة
٨٩٧,٣٧٤,٣٥١	٢١٢٠٩٢٩٧٥٥	٣,٠١٨,٣٠٤,١٠٦	اجمالي التكاليف

المصدر: اعداد الباحث

ثامناً: توزيع تكاليف الانشطة على المنتجات:

بعد ان تم بتوزيع تكاليف مُجمّعات الموارد على الانشطة وتحديد تكاليف الطاقة العاطلة سنقوم بتوزيع تكاليف كل نشاط على المنتجات ولغرض القيام بذلك سيقوم الباحث باستخراج معدل تحميل التكاليف الموزعة على الانشطة لغرض استخدامه في توزيع التكاليف على المنتجات وكما هو موضح في الجدول الاتي:

جدول (٨) معدل تحميل الانشطة

ت	الانشطة	التكاليف	موجه النشاط	الوحدة	معدل النشاط	تحميل
١	الانتاج	١٦٦٧٤٣١١٦٠	حجم الانتاج المخطط	١٧٥٠٠٠٠	٩٥٣	

٢	الصيانة	٣٨٤١٥٢٣٢	عدد مرات الصيانة	٦٨	٥٦٤٩٣٠
٣	القوى المحركة	١٩٧٤١٥٦٨١	عدد ساعات الماكينة	٤٤٥٥٢	٤٤٣١
٤	السيطرة النوعية	١١٢٩٣٤٥٥	عدد مرات الفحص	٣٢٥	٣٤٧٤٩
٥	التعبئة والتغليف	١٨٨٥٤٢٣٥	حجم الانتاج المخطط	١٧٥٠٠٠٠	١١
٦	نشاط الإداري	١٥٩٨٠١٣٣٤	حجم الانتاج المخطط	١٧٥٠٠٠٠	٩
٧	نشاط التسويقي	٢٧٧١٨٦٥٨	حجم المبيعات المخطط	٦٤٥٠٠٠	٤٣

المصدر: اعداد الباحث

نلاحظ من الجدول اعلاه بان:

- ♦ موجه تكلفة نشاط الانتاج يتضمن التكاليف المباشرة (الاجور والمواد المباشرة) الموزعة والتكاليف غير المباشرة المخصصة هو حجم الانتاج المخطط،
 - ♦ وموجه تكلفة نشاط الصيانة هو عدد مرات الصيانة،
 - ♦ وموجه تكلفة نشاط القوى المحركة هو عدد ساعات الماكينة،
 - ♦ وموجه نشاط السيطرة النوعية هو عدد مرات الفحص،
 - ♦ وموجه النشاط التعبئة والتغليف هو حجم الانتاج المخطط.
- وعليه تم التوصل الى معدل تكلفة كل نشاط بعد تخصيص وتوزيع التكاليف من خلال قسمة اجمالي تكلفة الانشطة على موجهات تلك الانشطة ومن خلال هذا المعدل سيتم توزيع تكاليف كل نشاط على المنتجات.

وفيما يلي سيتم تجميع التكاليف التي تم توزيعها على المنتجات لغرض استخراج اجمالي التكاليف الموزعة وكما هو موضح في الجدول الاتي:

جدول (٩) اجمالي تكاليف الانشطة الموزعة على المنتجات

ت	المن تجا ت	الإنتاج	الصيانة	القوى المحركة	السيطرة النوعية	التعبئة والتغليف	نشاط الإداري	نشاط التسويقي	المجموع
1	PE 41	64987 877.4 2	16947 89.64 7	31682 57.58 5	48648 7.292 3	73484 1.115 7	62282 34.16 4	88424 6.677 5	78184 733.9
2	PE 45	60974 609.6 8	11298 59.76 5	28580 78.52	41698 9.107 7	68946 1.665 5	58436 15.18 2	79331 2.289 4	72705 926.2 1
3	PE 46	60923 157.5 3	11298 59.76 5	28536 47.39 1	34749 0.923 1	68887 9.877 7	58386 84.16 9	79215 1.973 5	72573 871.6 3
4	PE 5	68503 774.3 8	11298 59.76 5	25833 48.49 2	41698 9.107 7	77459 6.616 9	65651 86.69 1	96353 4.931 8	80937 289.9 8
5	PE 1	93389 464.5 3	22597 19.52 9	10741 057.8	48648 7.292 3	10559 87.99 4	89501 53.11 5	15247 41.06 3	11840 7611. 4

79254 848.6 3	92833 8.682 4	64156 12.64 2	75694 9.052 9	59073 4.569 2	24902 94.77 3	11298 59.76 5	66943 059.1 4	PE 42	6
11015 1007. 6	14245 67.12 3	85244 42.36 1	10057 60.31 2	45173 8.2	75373 51.26 1	22597 19.52 9	88947 428.8 6	PE 16	7
12605 0564. 8	17270 22.80 5	98097 92.97 7	11574 13.00 4	59073 4.569 2	75816 62.55 6	28246 49.41 2	10235 9289. 4	PE 22	8
87891 536.7 1	10722 17.85 6	70270 58.20 4	82909 0.743	69498 1.846 2	38152 02.49	11298 59.76 5	73323 125.8 1	PE 50	9
10338 1468. 8	12609 62.57 8	78291 69.58 5	92372 8.228 8	48648 7.292 3	89287 25.92 1	22597 19.52 9	81692 675.6 3	PE 18	10
11815 0823. 6	15919 53.43 7	92394 39.18 7	10901 19.54 6	55598 5.476 9	70056 15.72 2	22597 19.52 9	96407 990.6 9	PE 4	11
73975 800.4 3	80302 4.563 4	58830 63.28 2	69411 5.968 1	62548 3.661 5	28890 96.42 7	16947 89.64 7	61386 226.8 8	PE M	12

98853	12114	76187	89890	41698	75151	16947	79497	PE	13
499.0	55.76	79.71	5.281	9.107	95.61	89.64	383.8	z2	
1	6	5	7	7	4	7	8		
14333	17606	99527	11742	59073	23179	28246	10385	PP	14
3773.	71.96	92.34	84.85	4.569	238.3	49.41	1401.	2/	
3	6	2	1	2	6	2	8	A	
23687	33643	16767	19783	76448	35081	39545	17496	PP	15
2816.	14.51	817	58.71	0.030	252.1	09.17	2085.	40	
7	2		8	8	7	6	1		
19928	29075	14826	17493	14594	20245	33895	15470	PP	16
5467.	36.81	641.7	28.24	61.87	830.6	79.29	7088.	13	
1	3	1	5	7	4	4	5		
32091	47086	22480	26524	19112	48941	56492	23457	PP	17
8360.	04.96	851.6	13.78	00.07	825.2	98.82	4165.	2/	
2	3	7		7	1	4	6	1	
21209	27718	15980	18854	11293	19741	38415	16674		الم جم وع
29400	658	1334	235	455	5681	232	30805		

المصدر: اعداد الباحث

بعد ان تم التوصل إلى التكلفة الاجمالية للمنتجات سوف يقوم الباحث باحتساب تكاليف الصنع وتكاليف التسويق والإدارية للوحدة الواحدة أي لكل كغم من أكياس النايلون وذلك عن طريق استخراج تكاليف الصنع

وتكاليف التسويقية والإدارية لكل كغم من خلال قسمة اجمالي التكاليف على كمية الانتاج لكل صنف من المنتجات.

جدول (١٠) تكاليف الصنع لكل منتج في معمل أكياس/ الحلة

ت	المنتجات	التكاليف الصناعية الكلية	كمية الإنتاج	تكلفة الصنع لكل منتج
1	PE41	71072253.06	21456	3312
2	PE45	66068998.74	19350	3414
3	PE46	65943035.48	19323	3413
4	PE5	73408568.36	23301	3150
5	PE1	107932717.2	36360	2968
6	PE42	71910897.3	22482	3199
7	PE16	100201998.2	34029	2945
8	PE22	114513749	41067	2788
9	PE50	79792260.65	25830	3089
10	PE18	94291336.6	30222	3120
11	PE4	107319431	37944	2828
12	PEM	67289712.59	19566	3439
13	PEz2	90023263.53	29070	3097
14	PP2/A	131620309	41850	3145
15	PP40	216740685.2	79166.2	2738

2649	68537.2	181551288.6	PP13	16
2659	110446.6	293728903.5	PP2/1	17
2929	660000	1933409408		

المصدر: اعداد الباحث

يبين الجدول (١٠) نصيب كل منتج من منتجات معمل أكياس/الحلة من اجمالي التكاليف الصناعية التي هي مجموع كل من الأنشطة التالية (نشاط الإنتاج ونشاط الصيانة ونشاط القوى المحركة ونشاط السيطرة النوعية ونشاط التعبئة والتغليف) تم توزيعها على المنتجات وفقا لمدخل محاسبة استهلاك الموارد بعد ان تم توزيع التكاليف على مجتمعات موارد مناسبة وفصل التكاليف الثابتة والمتغيرة وفصل الطاقة العاطلة ومن ثم استخراج تكلفة كل صنف من المنتجات.

جدول (١١) تكاليف التسويقية والإدارية لكل منتج في معمل أكياس/الحلة

ت	المنتجات	التكاليف التسويقية والإدارية	كمية الإنتاج	تكلفة التسويقية والإدارية لكل منتج
1	PE41	7112480.841	21456	331
2	PE45	6636927.471	19350	343
3	PE46	6630836.143	19323	343
4	PE5	7528721.623	23301	323
5	PE1	10474894.18	36360	288
6	PE42	7343951.325	22482	327
7	PE16	9949009.483	34029	292
8	PE22	11536815.78	41067	281

314	25830	8099276.06	PE50	9
301	30222	9090132.164	PE18	10
285	37944	10831392.62	PE4	11
342	19566	6686087.846	PEM	12
304	29070	8830235.481	PEz2	13
280	41850	11713464.31	PP2/A	14
254	79166.2	20132131.52	PP40	15
259	68537.2	17734178.53	PP13	16
246	110446.6	27189456.63	PP2/1	17
284	660000	187519992		

المصدر: اعداد الباحث

يبين الجدول (١١) نصيب كل منتج من منتجات معمل أكياس/الحلة من اجمالي التكاليف التسويقية والإدارية التي هي مجموع كل من الأنشطة التالية (نشاط الإداري ونشاط التسويقي) وتم توزيعها على المنتجات وفقاً لمدخل محاسبة استهلاك الموارد بعد ان تم توزيع التكاليف على مجتمعات موارد مناسبة وفصل التكاليف الثابتة والمتغيرة وفصل الطاقة العاطلة ومن ثم استخراج تكلفة كل صنف من المنتجات. ومن خلال مقارنة تكلفة المنتجات المحتسبة وفقاً لمدخل محاسبة استهلاك الموارد مع تلك المحتسبة وفقاً للمدخل التقليدي في المبحث الثاني من هذا الفصل يتضح تحقيق المعمل وفورات تكاليف وكما مبين في الجدول ادناه.

جدول (١٢) مقارنة كلفة المنتج بين المدخل التقليدي ومدخل محاسبة استهلاك الموارد

ت	المنتج	تكلفة الوحدة وفق المدخل التقليدي	تكلفة الوحدة وفق مدخل محاسبة استهلاك الموارد	وفورات التكاليف
1	PE41	3315	3643	-328
2	PE45	4411	3757	654
3	PE46	5153	3756	1397
4	PE5	3663	3473	190
5	PE1	6259	3256	3003
6	PE42	1898	3526	-1628
7	PE16	5433	3237	2196
8	PE22	3810	3069	741
9	PE50	2202	3403	-1201
10	PE18	8472	3421	5051
11	PE4	2347	3113	-766
12	PEM	1454	3781	-2327
13	PEz2	6948	3401	3547
14	PP2/A	11216	3425	7791
15	PP40	3953	2992	961
16	PP13	3735	2908	827
17	PP2/1	3091	2905	186

المصدر: اعداد الباحث

وبناء على ما تقدم يمكن القول بقبول فرضية البحث الأولى والتي تنص على الاتي:
(يؤدي تطبيق مدخل محاسبة استهلاك الموارد الى ترشيد تكاليف الزبون مقارنةً بالمدخل التقليدي للتكاليف)
المبحث السادس: الاستنتاجات والتوصيات:
أولاً: الاستنتاجات:

١. تساعد محاسبة استهلاك الموارد في تخصيص التكاليف غير المباشرة بشكل أكثر دقة وشمولية وتوفر معلومات عن تكاليف الزبائن تساعد في تحليل ربحية الزبون بشكل كفوء وفاعل، وتحقيق الأرباح ودعم الميزة التنافسية للمعمل.
 ٢. ان تحقيق رضا الزبون يؤدي الى الاحتفاظ بالزبون وكسب ولائه المتمثل بتكرار عملية الشراء وتعزيز ارتباطه بالوحدة الاقتصادية وعدم اللجوء الى وحدات اقتصادية اخرى.
 ٣. ان نجاح تحليل تكاليف وربحية الزبون إنما يركز على اختيار الطريقة الملائمة في تحليل تكاليف الزبون، فان محاسبة استهلاك الموارد هو من أكثر المداخل فاعلية ودقة في تطبيق تحليل تكاليف وتحليل ربحية الزبون.
 ٤. نتيجة لغياب الحماية على المنتجات الوطني وزيادة المعروض من المنتجات الاجنبية لم يستطيع المعمل من بيع منتجاتها بالأسعار المناسبة والتي يجب ان تغطي تكاليفها.
 ٥. من خلال مقارنة تكلفة المنتجات المحتسبة وفقاً لمحاسبة استهلاك الموارد مع تلك المحتسبة وفقاً للمدخل التكاليف التقليدي يتضح تحقيق المعمل وفورات تكاليف على مستوى كغم الواحد في معظم منتجاته.
- ثانياً: التوصيات:

١. ضرورة استخدام محاسبة استهلاك الموارد في الوحدات الاقتصادية الانتاجية كافة لما يتمتع به من مميزات تساعد على تخفيض تكاليف الوحدة المنتجة، وتحديد تكاليف الطاقة العاطلة على اساس الطاقة

النظرية، فإن تحديد الطاقة العاطلة بصورة واضحة للإدارة يحقق هدفين؛ الأول مساعدة الإدارة على البحث عن أفضل استخدام لهذه الموارد، والثاني هو عدم تحميل المنتجات أو الخدمات بتكاليف الطاقة العاطلة.

٢. يتطلب من الوحدات الاقتصادية تقديم أفضل الخدمات إلى زبائن من أجل تحقيق رضا الزبون وجذب زبائن جدد المحافظة عليهم، ووضع الاستراتيجية المناسبة كسب ولأهم.

٣. على الوحدات الاقتصادية استغلال مواردها المتاحة، فأستخدام الموارد بالشكل الأمثل يعد أساس في إدارة التكاليف بشكل فعال.

٤. يوصي الباحث بعدم الاعتماد على المعلومات التي يوفرها مدخل التكاليف التقليدي عند اتخاذ القرارات الإدارية لأنها مشوهة ولا تصلح للاعتماد كونه غير قادر على توزيع التكاليف على المنتجات بصورة دقيقة، ويحتسب كلفة الطاقة العاطلة (غير المستغلة) كجزء من كلفة المنتج.

٥. ضرورة اصدار قانون لحماية المنتجات الوطنية من أجل مساعدة الوحدات الاقتصادية في الاقطاع العام ومعمل أكياس/ الحلة من النهوض بمنتجاتها وتقديم أفضل ما لديها حتى تتمكن من المنافسة في السوق المحلية.

المراجع:

أولاً: المراجع العربية:

١. الحوالي، خالد حسين صالح (٢٠١٣) " دور مدخل محاسبة استهلاك الموارد في تدعيم استغلال الطاقة بمنشأة صناعة الاسمنت اليمنية" المجلة العلمية للدراسات التجارية والبيئية -مصر، المجلد ٤، العدد ملحق
٢. خطاب، محمد شحاتة (٢٠٠٩) " إطار مقترح لمتكامل بين نظام التكاليف على أساس النشاط ومحاسبة استهلاك الموارد لتعزيز فلسفة الإدارة على أساس القيمة: دراسة نظرية وميدانية" المجلة العلمية لكلية التجارة-جامعة طنطا، المجلد الاول، العدد الثاني
٣. كاظم، حاتم كريم (٢٠١٤) "استعمال تحليل ربحية الزبون كأداة استراتيجية في إدارة علاقات الزبون وتحقيق الميزة التنافسية" مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والإدارية، العدد ٣٠، المجلد ٧

٤. الصغير، محمد السيد محمد (٢٠١١) " إطار مقترح للتكامل بين مدخل تكلفة المواصفات (ABCII) ومحاسبة استهلاك الموارد (RCA) لأغراض دعم القدرة التنافسية للمنشأة "، مجلة البحوث التجارية، المجلد الخامس والعشرون، العدد الأول
٥. عباس، نزار حبيب وعبد الكريم، عزام عبد الوهاب (٢٠٠٩) "مداخل تحليل ربحية الزبون-دراسة نظرية تحليلية" المجلة العراقية للعلوم الإدارية، العدد ٢٥، المجلد ٦
٦. وناس، خلود عاصم وجميل، احمد نزار وإبراهيم، محمد عبد الله (٢٠١٠) "استعمال مدخلي تحليل الربحية واحتساب قيمة الزبون مدى الحياة في إدارة علاقات الزبون" مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، العدد ٢٣
٧. الجبوري، نصيف جاسم وخضير، بشرى فاضل (٢٠٠٨) "تحليل ربحية الزبون" مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، العدد ٥٢/١٤
٨. براهيم، عبد الرزاق. (٢٠١٥). تأثير تسيير العلاقة مع الزبون على تصميم المنتج في المؤسسة الاقتصادية الجزائرية: دراسة عينة من المؤسسات الاقتصادية" أطروحة دكتوراه في علوم التسيير، جامعة محمد خيضر بسكرة-كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير-قسم علوم التسيير
٩. جارسون، ري ونورين، آريك (٢٠٠٢) "المحاسبة الإدارية" ترجمة د. محمد عصام الدين زايد، الرياض: دار المريخ
ثانياً: المراجع الإنكليزية:
١. Balakrishnan, R., Labro, E., & Sivaramakrishnan, K. (2011) "Product costs as decision aids: An analysis of alternative approaches (Part 1)" Accounting Horizons, 26(1)
٢. Horngern, C.T., Foster, G., & Datar, S.M. (2000). "Cost Accounting: A managerial Emphasis ", Hall International, INC, 6th
٣. Lecturer, T. B. U. A. A., & Co, S. E. F. C. A(2011) "Practical Introduction to Resource Consumption Accounting"

دلالات النوستالجيا في قلعة كركوك

أ.م.د. عامر شاكر الكناني

الباحث صواش خطاب عمر

المقدمة:

إن النوستالجيا تتغذى على الانتقال وعلى الانقطاعات الذاتية التي تولد توقنا للاستمرارية، لكن من المستحيل تقريبا تصور النوستالجيا في عالم من الاستمرارية الكاملة التي لا يمكن تحقيقها ، أي عالم بلا انتقالية كذلك يصعب تصور ذلك في عالم من الانقطاع المستمر إذ إن الشعور بالانقطاع يحب أن يجد في النهاية قاعدته الوجودية كما كانت من الاستمرارية فالعلاقة بين انعدام الهوية والتفاعل مع النوستالجيا ليست مثالية ، فالنوستالجيا تتشكل من الاستمرارية المتعاقبة وانقطاع حياتنا وأوقاتنا. يتضمن البحث عملية فرز وبناء المؤشرات الأولية والمقابلة بينها لبناء المؤشرات النهائية التي تم تطبيقها في الجانب من البحث وتطبيق المؤشرات على منطقة القلعة في كركوك والمقارنة بين النتائج المستحصلة وتحليلها من قبل الباحث.

(١-١) دلالات النوستالجيا:

للتعرف على دلالات النوستالجيا لا بد من البداية التعرف على ما ينتج من تجربة النوستالجيا: أولا: ينبغي ان يكون واضحا بان مادة النوستالجيا مستمدة من الماضي ذي الخبرة الشخصية. ثانيا: اذا ما علمنا بان النوستالجيا تسير بالاتجاه الصحيح فهي تتطلب وجودها في الحاضر وان تكون موجهه نحو المستقبل وهذا ما اكد عليه الكثير من المؤلفين الذين يويدون بانها تعد من العوامل التحفيزية. (F.C.Bartlett, 1932,pp86)

ثالثا: أكد الراحل ريتشارد دالي بمقولة (انا انتطلع الى المستقبل بالنوستالجيا) بحسب العديد من التجارب على اشخاص اجريت معهم مقابلات قالوا ان ذلك ممكن وذلك بتصور أنفسهم في نقطة بعيدة نسبيا في

المستقبل عن نظرهم الى نوستالجيا وتوقعهم الاحداث التي كانت وشيكة والتي يمكن حدوثها في السياق الطبيعي. (Clay routledge,2015,pp84)

(١-١-١) دلالات النوستالجيا لتحقيق الهوية:

(١-١-١-١) الاستمرارية:

النوستالجيا والهوية الذاتية هاله مميزه من الانفصال في العالم ،فهي تؤدي دورا في البحث المستمر عن الهوية الشخصية ومحاولة انقاذ الذات من فوضى التجربة الاولى غير الموحدة ويلبي نداء الاستمرارية وخلق وسائل من الراحة والتوازن فالماضي ممكن ان يكون معيارا رائعا ومحرضا كبيرا ايضا الى تجربة جديدة لمعرفة الفرد الى اين يصل لمقارنه الاهداف وما يمكن ان تحصل عليه. (F.C.Bartlett,1932,pp71) وعند اجراء تحليل اكثر دقة في مفهوم النوستالجيا للوصول الى كيفية تعزيز هذه الظاهرة لاستمرارية الهوية نتوصل الى نقطتان اساسيات

١- ان استحضار النوستالجيا لبعض حالات الماضي يحدث دائما في سياق المخاوف الحالية والقلق من عدم اليقين

٢- ان العواطف والحالات المعرفية التي تشكل خطرا لعدم انتظام الهوية تسعى النوستالجيا خلالها الى تنظيم حالتنا النفسية ورفض الهويات الخارجية المفروضة. (Fred,1979, pp21)

(١-١-٢) الاستنكار:

إن الاستنكار يعد محفزا قويا للنوستالجيا والتي تنقلها تماما كما كانت فهي تعكس تلك الفترات من ماضينا عندما كنا نظن انفسنا مختلفين باعتماد اذواق من سبقونا في الافلام والموسيقى والرسم والعمارة والتي تبعدنا عن الذوق المبتذل واسبتعادنا عن التيارات السائدة الاكثر تشويشا و تعطينا تصورا عن ما يجب ان يكون عليه الحال في هذه المجالات خصوصا واننا سنرى الكثير من الصور التي تبحث في النوستالجيا وتبني على اساسها بما نشترك فيه مع الاخرين ، تلك التجارب المشتركة في وقت سابق والتي ترمز الى ما كان والى عصرنا وجيلنا. (Fred,1979, pp27)

(١-١-٣) تركيب المعايير:

تستخدم النوستالجيا لأغراض الاستمرارية في الهوية من خلال استنباط المواقف التقديرية تجاه الذات والفرز من الذاكرة واعاده الاكتشاف من خلال عملية التطبيع وإعادة التأهيل للجوانب الهامشية وتخطي هذه الابعاد مع كونه عنصراً قابلاً للفصل التحليلي في لغة النوستالجيا وامكاناتها القوية في القياس والاداء وتحديد مكان الذاكرة في نسخته سابقه من الذات والتي يمكن الاستفادة من بعض الظروف الحالية للنفس عاده ما يكون التأثير هو قيادة النوستالجيا الى الاستدلال او ربما الى حد بعيد على بعد القيم الذاتي مثل (انظر الى اي مدى وصلت ؟) والتي تتحقق من خلال النزعة الى تبسيط الماضي واضفاء طابع رومانسي الى على الماضي. (Cf. Edward,1975,pp67)

(١-١-٤) أصالة:

ان النوستالجيا والهوية هي العاطفة التي تتلاعب بنا بغض النظر عن شبهاتنا فاننا نستمر في تبسيط ما لدينا من ماض واضفاء طابع عاطفي عليه وتكميله ، فبالرغم من خلاف المشاعر او اشكال الوعي التي يكون الانسان وريثا لها فان النوستالجيا تعمل بموجب الدستور والقيود المفروضة التي عشناها في الماضي ، فهي تمثل الاماكن الحقيقية والاحداث والحالات المزاجية في ماضينا، فالاصالة هي الوصول الى هذا المستوى الفكري وليس محاكاة التحقق المادي له. اما كون الشكل يقترن بفكر معين نتيجة التعرف اليومي عليه فهي حالة موجودة وتمثل ما يصطلح عليه هوسرل (بالحقيقة المادية الجزئية) وتتصف بأنها عرضية ومؤقتة. (Fred,1979, pp47)

(١-١-٥) الترميز:

يمكن تعريف الرمز اصطلاحاً بكونه "وسيلة تعبيرية ذات بعد صوري، يطرح قيمة استنتاجية لرؤية ما يقبع خارج حدود رؤية الفرد مستثمرة عدة طرق كالحس والتخمين والمماثلة لتحقيق وظيفة الاتصال البشري. الذي يوصل معان ضمنية لأفكار عقلية واخرى مادية متطلباً بذلك فهم التفاعل بين الشكل المادي ومدلولاته الاعتبارية الجمعية. اما الرمزية فهي تمثيل الافكار والانفعالات بالإيحاء غير المباشر

بدلاً من التعبير المباشر، وذلك بتحميل بعض الأشياء والاصوات والالفاظ معان رمزية خاصة.
(Fred,1979, pp30)

(٢-١) موقع مدينة كركوك:

تقع مدينة كركوك في شمال العراق بين بغداد واربيل وتحتل المرتبة الرابعة اهمية بين مدن العراق ، تقع على ارتفاع ٣١٠ م فوق مستوى سطح البحر على خط عرض (٣٥,٢٥) وخط طول (٤٤,٢٥) تبعد عن العاصمة ٢٨٥ كم برا. (KRAMERS ,1967,589) المدينة مبنية على ارض سهليه يمر من خلالها نهر (الخاصة) والذي بدوره يقسم المدينة الى قسمين الاول (اسكي ياقه) اي الشطر القديم يقع شرق النهر والشطر الغربي يعرف (بالقورية) تقع القلعة في الجزء الشرقي والتي تعتبر النواة الاولى للاستيطان في المدينة. (عبد الرزاق الحسني ،١٩٥٦،ص٢١٧) كركوك مدينة لم تتغير لسنوات طويلة الا انها شهدت تغييرات سريعة في الربع الثاني من القرن العشرين (طه باقر ، ١٩٦٥ ، ص ٧-٨) بعد ان اصبحت مركزاً لانتاج النفط الخام.

(١-٢-١) تطور بنيه المدينة:

يمكننا القول بأنه على مر التاريخ فان كركوك ما هي الا عن موقع قلعه منيعة وهي قد حافظت على هذه الهوية لمدة طويلة. لكن اسوار القلعة فقدت اهميتها في القرن الخامس عشر إذ ان الاستيطان بدا في الانتشار خارج الاسوار (kuban 1973 . 206) ان الاستيطان في السهل الخارج عن قلعه بدا في حقبة متأخرة ولاحقه بسبب انعدام الاستقرار السياسي باعتبار المنطقة ساحة لنزاعات طويلة الامد ما بين الدولة العثمانية والایرانية ، الامر الذي جعل من الاستيطان خارج القلعة يتأخر الى ما بعد القرن الثامن عشر . وعند تناول تكوين المدينة فإننا نقسمها الى ثلاثة أقسام ، باعتبار ان هذه الاستيطانات كانت تعيش تطورات يختلف احدها عن الآخر . من ذلك يظهر انها كانت تنقسم الى ثلاث اقسام في تكوينها وهي:

- القلعه والمنطقه الاسفل منها
- وشطر القورية في الطرف الاخر من نهر الخاصة

- منطقة تسين التي كانت قرية بذاتها قديما
ومن الجدير بالذكر إن اتساع قرية تسين ادى الى اندماجها فيما بعد مع شطر القورية (Karmers
١٧ p , ١٩٦٧)
(١-٢-٢) قلعة كركوك:

تقع في مركز مدينة كركوك في العراق وتقوم (القلعة) فوق مستوطن أثري قديم ورد اسمه في الألواح المستخرجة منه وعددها ٥١ لوحاً يعود تاريخها إلى منتصف القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وعثر عليها في سفح القلعة في عام ١٩٢٣. تشير المكتشفات التي عثر عليها الى أن اثار الاستيطان في قلعه كركوك تعود الى الالف الثالث قبل الميلاد. (طه باقر . ١٩٦٥ . ٩٠) وترجع اهمية القلعة بعد ان وقعت تحت سطرة الحكم العثماني . لتصبح مركزاً مهماً للدفاع مقابل الاخطار المحتملة والقادمة من الشرق . وبهذه الطريقة فان الطريق الواصلة ما بين (بغداد - الموصل) والطريق القديم المحاذي لخط سير (بغداد - كفري - داقوق - كركوك - اربيل -موصل) استعادت حيوتها وبذلك فان الطريق الموازية لنهر دجلة قد فقدت اهميتها (590 . 1967 . kramers).

قلعة كركوك إحدى المواقع الأثرية الشهيرة في مدينة كركوك تتميز بما يأتي:-

- أسس قلعة كركوك (٢٦٠٠ق.م) عصر فجر السلالات السومرية.

- أبعاد قلعة كركوك ٤٠٠×٥٠٠م.

- ارتفاع القلعة حوالي ١٨م.

- مساحتها ٢٥ هكتاراً. (ياقوت الحموي . ١٩٦٥ . ٢٥٧)

تتكون القلعة من أربعة أحياء وهي:

أ-محلة حمام: تمت تسمية حي (حمام) بهذا الاسم لوجود حمام كبير فيه لا يعرف تأريخ تشييده بالضبط، ويقع في الجهة الغربية بالقرب من بوابة داش قابي - الباب الحجري، ومن أهم الآثار التاريخية في هذه

المحلة:(أولو جامع – الجامع الكبير، جامع ومرقد النبي دانيال ، يضم أضرحة النبي دانيال وعزير وحنين الوهمية، كنيسة الكلدان أو كنيسة أم الأحزان، مقبرة القلعة).

ب- محلة آغالق: فقد سميت بهذا الأسم نظراً لإقامة قادة الجنود الإنكشاريين فيها، إضافة الى وجود مقرهم هناك. الآثار التاريخية في محلة آغالق:(جامع العريان، جامع حسن مكّي، تكية وجامع سيد نجيب).

ت- محلة ميدان: تقع في الجهة الغربية من القلعة بالقرب من طوب قابي – باب الطوب. أهم الآثار التاريخية في محلة ميدان: (القبة الزرقاء – قيلچيلر بازاري). (طه باقر . ١٩٦٥ . ص٤٣)

ث- محلة زندان: أي محلة السجن، تقع الى الجهة الشرقية من بوابة يدي قيزلر – السبع بنات بمسافة ٥٠م وهو السراي القديم في القلعة.

تتكون من خمسة طوابق وهي من العمارات القديمة جداً وكانت تحتوي على جميع دوائر الدولة في العهد العثماني وبسبب وجود سجن في الطابق السفلي فيه سمي الحي باسمه (السجن- زندان). أهم الآثار التاريخية في هذه المحل: (السبع بنات – مقام يدي قيزلر)، ومسجد فضولي نسبة الى الشاعر التركماني فضولي البياتي. (166 . 1973 kuban)

❑ الدور التراثية في القلعة: (٤٥) دار تراثية.

❑ بوابات القلعة:

❑ بوابة سوق الحلوجية (باب حلوه چيلر): تأريخ بنائها سنة ١٢٤٠هـ.

❑ بوابة يدي قززر: السبع بنات على (جوت قهوة – المقهى المزدوج).

❑ بوابة طوب قابي: بوابة داش قاپو. أي (باب المدفع).

شيدت في ١٨٢٢ من قبل وكيل والي الموصل محمد سري بك. وتظهر الوثيقة التي تحمل توقيع سري بك، أن سبب فتح هذه البوابة هو لتسهيل وصول الأهالي الى أقرب نقطة للجسر، وخاصة في موسم

الشتاء. ويدعم ذلك فتح هذه البوابة على الممر القديم المسمى بـ (درب الجرزني - صجان يولي). وقد تم الانتهاء من فتح البوابة في نفس العام.

__ مدخل تكية سيد نجيب: ممر ضيق.

__ مدخل دمير قاپو: (الباب الحديدي) - سلالم مدرجة

(٣-١) الجانب العملي:

بعد التعرف على تاريخ المدينة اهم المناطق الموجودة فيها ننتقل الى الجانب العملي من البحث إذ تم تحديد اهم المفردات التي وردت في الاطار النظري وبالتالي استحصل عشر مؤشرات تحقق مفردات الهوية التي تم تحديدها في مرحلة المفردات الاولى، هذه المؤشرات تعتبر هي المقياس الذي تم على اساسها بناء اسالة استمارة الاستبيان لسكان منطقة القلعة في كركوك والتي ستحدد الاسلوب الامثل من اساليب الحفاظ للتعامل مع الارث العمراني على اساسها لتحقيق الهوية الكاملة بالاستعانة بمفهوم النوستالجيا .

__ تم احتساب حجم العينة على اساس عدد السكان ونسبة ١٠% منهم إذ ان عدد السكان في المنطقة حوالي ١٧٤٢ تم استبيان ١٨٠ شخص ، استبعاد ٧ منهم لعدم منطقية الاجوبة وبالتالي فان الحصيلة النهائية لاستمارات الاستبيان هي ١٧٣ استمارة وبطريقة العينة العشوائية البسيطة .

__ ملاحظة تم كذلك عرض استمارتين جانبيتين على المستبيين تتضمن الاولى مجموعة من الصور عددها ١٧ لبيان مدى شعورهم بالنوستالجيا عند مشاهدة الصور ومن ثم تحليل اجاباتهم على الصور مع الاجابات على اسالة الاستبيان وكما سيتم توضيحه لاحقا وفي الاستمارة الثانية تم عرض ورقة طلب من المستبيين رسم او ذكر اهم المعالم التاريخية الموجودة في المنطقة والتي تربطهم معها رابطة عاطفية لغرض رسم خارطة ذهنية للسكان في المنطقة.

(١-٣-١) صدق وثبات مقياس الاستبانة:

قبل البدء بتوزيع استمارة الاستبيان تم اختيار عينة عشوائية بسيطة أولية وتم اختبار صدق وثبات مقياس الاستمارة لها ثم بدأت المرحلة الثانية بتوزيع استمارة الاستبانة على العينات العشوائية البسيطة المكونة من سكان المنطقة. وادناه معامل الفا كرونباخ للصدق والثبات:

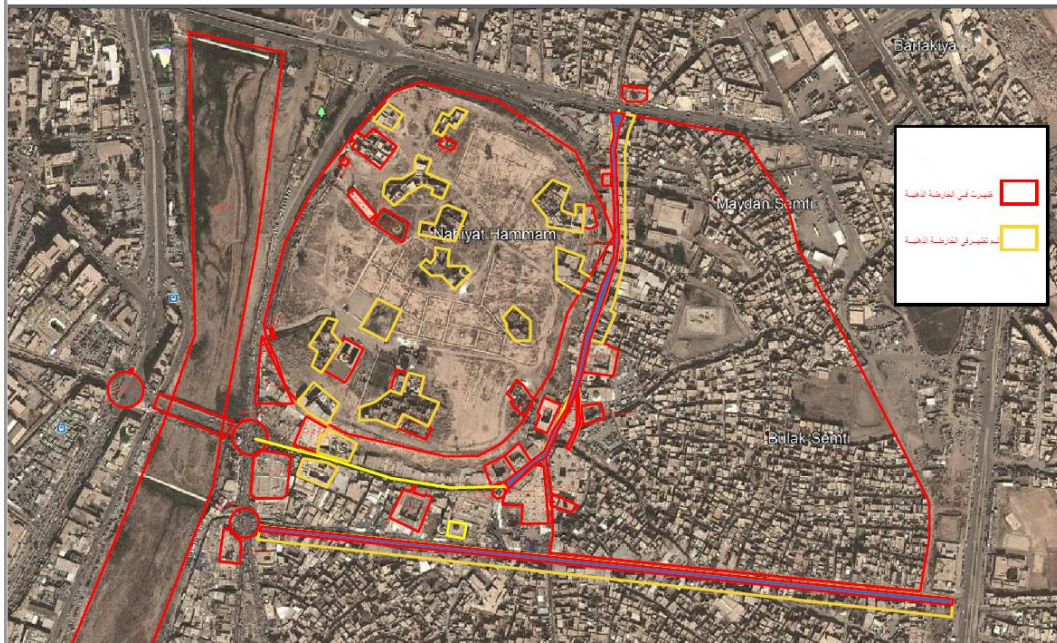
ت	المفهوم	الفا كرونباخ	عدد الفقرات
١	الخبرة ووضوح الإرث	٠,٦٩٧	٢
٢	الذاكرة والسلوك العاطفي	٠,٧٨٢	٣
٣	البنية الحضرية الموروثة والانتماء المكاني	٠,٧٢٥	٢
٤	الإحساس بالماضي وتحقيق الذات	٠,٧٢١	٣
٥	الثقافة والمعنى الدلالي للموروث	٠,٦٦٩	٢
٦	تكرار المشاهد وإدراكها زمنياً	٠,٦٧٥	٣
٧	العاطفة الإيجابية والتواصل الرمزي	٠,٦١٦	٢
٨	الاصالة في البنية الحضرية	٠,٦٥٥	٢
٩	الاستمرارية المكانية وتحولات البنية الحضرية	٠,٦٦٨	٣
١٠	الاستذكار والتحولات العمرانية	٠,٦١٣	٢
	الإجمالي	٠,٧٩٣	٢٤

(٢-٣-١) الخارطة الذهنية لمنطقة الدراسة

طلبت من المستبنيين ايضاً رسم مبسط يوضح فيه اهم وابرز مكونات البنية الحضرية بالنسبة لهم في منطقة الدراسة والتي من الممكن وصفها بالإرث العمراني او ذكرها عن طريق السرد وقمنا بدورنا بتسقيطها على الصورة الفضائية للمنطقة ، عند جمع هذه الصور وتركيبها واحدة فوق الاخرى تم

الحصول على خارطة تمثل الخارطة الذهنية الجماعية للأفراد في منطقة الدراسة وتم تحديد من خلالها اهم مكونات الموروث المدركة من الساكنين كذلك تم تحديد الاماكن الاثرية القديمة التي لم تظهر في الخارطة الذهنية للسكان من خلال هذا الاجراء يمكننا تحديد آلية البدا بعملية الحفاظ على الارث العمراني ووضع اولويات لهذا العمل. فضلا عن تحديد اسلوب الحفاظ او اعادة التأهيل لحفظ وابرار الموروث. وتعد هذه الخطوة هي الاولى في عملية الحفاظ تليها عملية جمع المعلومات المهمة وأبرزها:

- ١- تحديد عمر المبنى والحالة الانشائية له والتي تم الاستحصال عليها من خلال المسح الميداني ومعلومات من دائرة آثار كركوك
- ٢- تحديد وظيفة المبنى الحالية ومطابقتها مع الوظيفة الاصلية لها وتم استحصال هذه المعلومات من خلال المسح الميداني ومن دائرة التخطيط العمراني في كركوك
- ٣- تحديد نوعية المنشأ المراد الحفاظ عليه سواء كان (شخص ،بناية ،شارع، تقاطع او نسيج حضري)
- ٤- اختيار احدى سياسات الحفاظ واعادة التأهيل للتعامل مع المنشأ



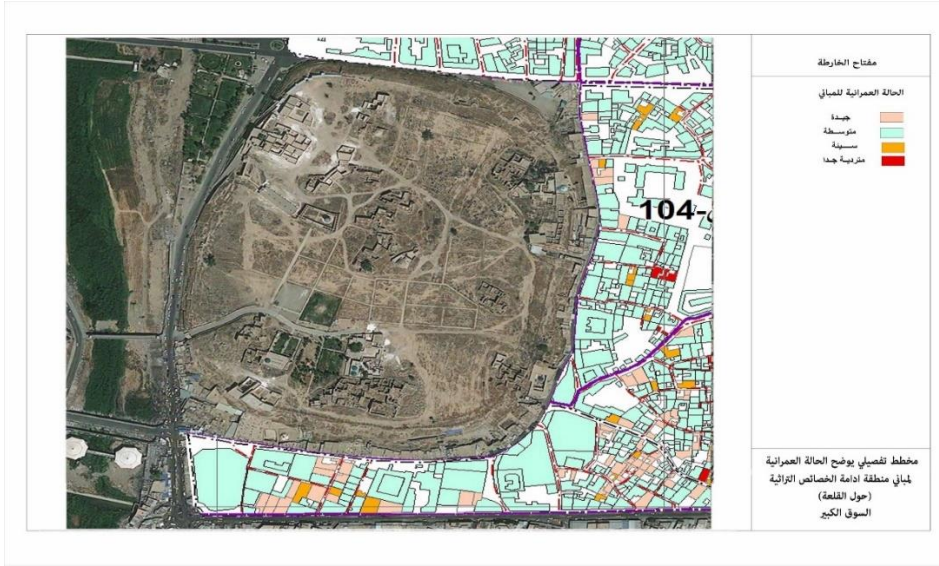
شكل (١٢) يوضح الخارطة الذهنية للساكنين

المصدر: الباحث



شكل (١٣) يوضح واقع حال المنطقة

المصدر : دائرة التخطيط العمراني في كركوك



شكل (١٤) يوضح الحالة الانشائية للابنية في المنطقة

المصدر : دائرة التخطيط العمراني في كركوك

(١-٣-٣) الاستنتاجات الخاصة بتحليل الصور:

في هذا الجزء تم طرح مجموعة من الصور على المستبنيين تظهر فيها لقطات من منطقة الدراسة واخرى من مناطق في كركوك وتم الاستفسار عن مدى شعورهم بالنوستالجيا عند مشاهدة هذه الصور وتحليل اجاباتهم مع الاجابات الخاصة باسالة الاستبيان لمعرفة طبيعة تفكيرهم ومدى تاثير المؤشرات التي تم وضعها في البحث لتعزيز شعور النوستالجيا لديهم وكان التحليل كالآتي:

السؤال ١١ صورة ٤ صورة ١٣

في هذا السؤال طرحنا على الناس معرفتهم بتاريخ اهم المناطق الاثرية في كركوك وتحليل اجابتهم مع صورة تظهر فيها واحده من معالم المنطقة القديمة فكانت النتيجة كالآتي

- اجابه ٦٩ واحد منهم نعم سته منهم فقط لم يستجيبوا لصورة توضح فيها احدى المناطق الاثرية في كركوك في العقود السابقة اما الباقي فانهم شعروا بالنوستالجيا عنده مشاهدتهم الصورة وبنسبة ٩١%

- اما الذين اجابوا بنوعا ما فكانت نسبة ٩٣% منهم انهم شعروا بالنوستالجيا من الصورة
- اما الذين لم يكن لهم درايه في تاريخ الاماكن الاثرية فقد اثرت فيهم الصورة بنسبة ٨٣% منهم تأثيراً ايجابياً



السؤال ١ وصورة ٩

- في هذه الصورة تقصدنا اظهار أحد الحمامات القديمة في كركوك والتي تحولت وظيفتها الى مخازن للألبسة والجزء الامامي منها اصبح محلات لبيع الالبسة لكن عند مقابلتنا مع السؤال الاول الذي يستفسر عن خبرة الانسان في المكان لإدراك وضوحه الارث للمنطقة الساكن فيها كانت نتيجة التحليل
- ان ٨٠% ممن اجابوا بنعم عن السؤال تولد لديهم الشعور بالنوستالجيا عند مشاهدة الصورة
 - ٧٤% ممن اجابوا بنوا عما تولد لديهم الشعور ذاته
 - اما الذين اجابوا بلا وهم ٧ اشخاص فان اربعة منهم فقط استجابوا بشكل ايجابي اي ان ٤٢% منهم كانت نتيجة التحليل معهم سلبية



السؤال ٢٢ مع صورة ٨ صورة ١٤

حين طرحنا سؤال عن فكرة اعادة استخدام الاماكن الاثرية القديمة واعادة وظيفتها الاساسية كالحمامات والمقاهي والخانات ومقارنة الاجابات مع صورة لواحد من اشهر المقاهي القديمة في منطقة القلعة (جوت قهوة) فان التحليل كان كالاتي

- ٨٠% من الذين اجابوا بنعم تفاعلوا بشكل ايجابي مع شعورهم بالنوستالجيا مع الصورة

- ٧٨% ممن اجاب بنوا عما كانت النوستالجيا ظاهرة في اجابته على الصورة

- ٦١% تفاعل بشكل ايجابي مع الصورة مع العلم انه اجاب بلا عند سؤاله عن اعادة وظيفة الاماكن التراثية القديمة



السؤال ٢ وصورة ٦ صورة ١٥

في هذه الصورة اظهرنا صورة قديمة لاحد الازقة القديمة ذات الطراز العمراني الذي تتميز به القلعة إذ يظهر الطاق بشكل واضح فيه وعند مقارنة الاجابات مع اجابات الناس عن سؤال في مضمونه امكانية تذكرهم الاماكن الاثرية القديمة في منطقة القلعة كانت نتيجة التحليل كالاتي

- ٩١% ممن اجابوا بنعم على السؤال كان لديهم حنين الى هذه الصورة
- وبنسبة ٩٠% ممن اجابوا بنوا عما ما ظهرت النوستالجيا بشكل ايجابي في اجاباتهم
- اما الاشخاص الذين اجابوا بلا عن امكانية تذكرهم لهذه المناطق فان جميعهم كانت نتائجهم ايجابية عن مدى شعورهم بالحنين الى مثل هذه الاماكن



السؤال ٦ وصورة ٧ صورة ١٦

استفهمنا في هذا السؤال عن مدى شعور الناس بالانتماء عند تواجدهم في منطقة القلعة وقارنا اجاباتهم مع شعورهم بالحنين لصورة تظهر محلات وخان اثري في واحد من اهم الاسواق في منطقة القلعة (السوق الكبير) فكانت نتيجة التحليل كالاتي

- ٨٣% ممن اجابوا بنعم على مدى شعورهم بالانتماء كانت لديهم مشاعر حنية على الصورة
- و ٥٨% ممن اجاب بنوا عما لديهم هذا الشعور الايجابي
- اما ممن اجاب بلا عن شعوره بالانتماء في منطقة القلعة فان ٣٨% منهم فقط اظهر شعور ايجابي في الصورة



السؤال ١٥ صورة ١ وصورة ٢

طرحنا سؤال عن زيارة الناس الى الاماكن الاثرية في منطقة القلعة وقارنا اجاباتهم مع صورتين تظهر في الاولى القلعة في وقت سابق والثانية في الوقت الحاضر فكان تحليل النتائج كالآتي:

- ان ٩٧% ممن كانت اجابتهم نعم تفاعلوا بشكل ايجابي مع الصورة الاولى و ٥١% فقط منهم تفاعل بشكل ايجابي مع الصورة الثانية

- اما الذين كانت اجابتهم نوعا ما فانه ٩٥% منهم قد ظهر لديهم شعور النوستالجيا على الصورتين

- في حين ان الذين اجابوا بلا عن زيارتهم للاماكن الاثرية فانهم ٧٦% منهم فقط كان يشعر بالنوستالجيا مع الصورة الاولى و ٢٣% منهم مع الصورة التي تظهر فيها القلعة في الوقت الحاضر



السؤال ١٦ مع صورة ٥ صورة ١٧

هذه المرة أعدنا مقارنة الشعور بالنوستالجيا مع الصورة التي تظهر فيها احدى بيوت القلعة القديمة وقارنا الاجابات مع سؤالنا عن الشعور الذي يصاحب الفرد اثناء تواجده في المناطق والاماكن الاثرية لتكون نتيجة التحليل كالآتي:

- ٩٧% ممن وصف شعوره بالايجابي ابدى مشاعر حنينه مع الصورة
- ٤٦% من الذين اجابوا بان تواجدهم في الاماكن الاثرية لا يؤثر في مشاعرهم كانت النوستالجيا ظاهرة في اجابتهم على الصورة
- ٦٦% من الذين اجابوا بشكل سلبي حول شعورهم بالتواجد في هذه الاماكن (وهم ٣ فقط) كانت النوستالجيا ظاهرة في اختيارهم على صورة تظهر فيها احدى البنايات القديمة



السؤال ١٠ مع صورة ٣

تم طرح سؤال على الافراد عن مدى الشعور الايجابي اثناء إدراكهم لنمط الحياة القديمة في الاماكن الاثرية ومقارنة اجاباتهم مع صورة قديمة تظهر فيها احدى الازقة القديمة مع افراد يمارسون حياتهم الطبيعية فيها فكانت نتيجة التحليل كالتالي

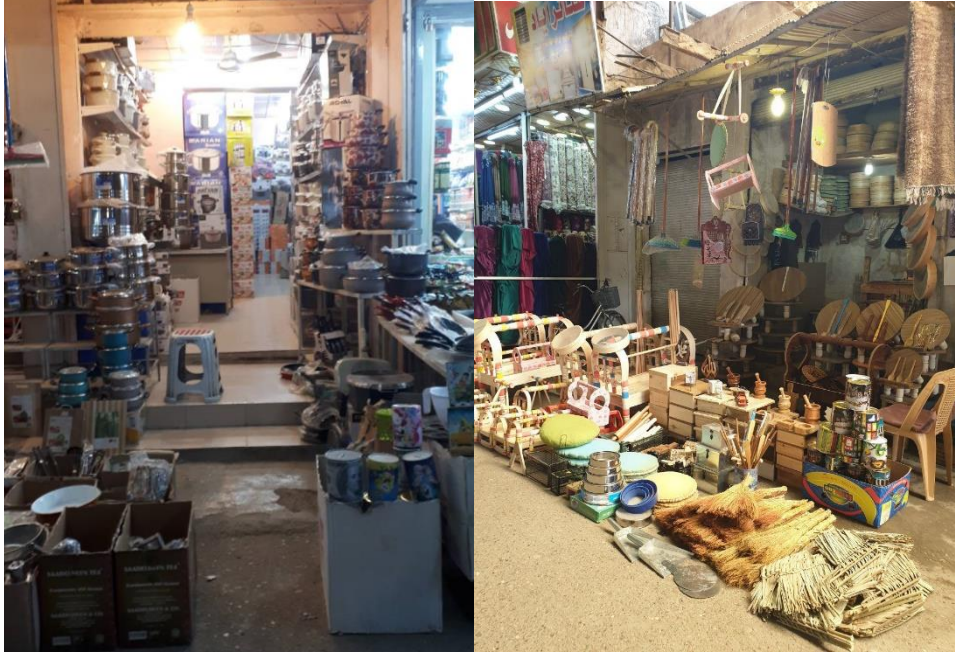
- ٩٢% ممن اجاب بنعم انه شعور ايجابي قد احس بالنوستالجيا عند مشاهدة الصورة
- ٦٨% من الذين اجابوا بنوا عما ظهرت النوستالجيا في إجابته

- اما الذين اجابوا بلا عن شعورهم الايجابي لادراك الحياة القديمة فان ٦١% منهم تفاعل بشكل ايجابي مع الصورة



السؤال ٢١ مع صورة ١٢ صورة ١٨

- التحليل هذه المرة على سؤال طرح على الناس حول تفضيلهم السلع ذات الطابع القديم يدوية الصنع مع صورة تظهر فيها احدى محلات بيع السلع يدوية الصنع فكانت النتيجة كالآتي
- ٩٢% ممن اجابة بنعم كان لديه الشعور بالنوستالجيا عند مشاهدة الصورة
 - ٩٠% ممن اجابة بنوا عما كانت النوستالجيا ظاهرة في تفاعله مع الصورة
 - اما الذين اجابوا بلا عن امكانية اقتنائهم هذه السلع فقد تفاعل ٩٢% بشكل ايجابي مع الصورة



السؤال ١٨ مع صورة ١ وصورة ٢

عند السؤال عن وضوح قوانين البلدية والاثار والجهات الحكومية في المنطقة التراثية في كركوك ومقارنة الاجابات مع صورتين الاولى تظهر فيها القلعة قبل اجراء اعمال الاعمار في المناطق المحيطة منها وصورة ثانية بعد قيام مشاريع جديدة حول المنطقة في الوقت الحاضر كانت الاجابات عن السؤال (٥٣% لا ، ٢٥% نعم و ٢١% نوعا ما) اي غياب وضوح القوانين بشكل عام وعند مقارنة الاجابات مع الصورتين تبين الاتي

- بالنسبة للأشخاص الذين اختاروا (نعم) هناك قوانين واضحة فان ٩٥% منهم ظهر لديه شعور بالنوستالجيا مع الصورة الاولى و ٦٥% منهم فقط مع الصورة الثانية
- الاشخاص الذين كانت اجابتهم بنعم فانهم تفاعلوا بشكل ايجابي مع الصورة الاولى بنسبة ٩٧% و ٥٦% مع الصورة الثانية

- اما الاشخاص الذين لا يرون وضوح القوانين واجابوا بلا فان ٨٧% منهم ظهرت لديه مشاعر الحنين مع الصورة الاولى و ٢٩% منهم فقط تفاعل بشكل ايجابي مع الصورة الثانية



السؤال ١٧ مع صورة ٥ صورة ١٣

تم طرح سؤال عن فكرة اعادة استخدام العناصر التراثية القديمة في الابنية والشوارع الجديدة ومقارنة وتحليل الاجابات مع الشعور بالنوستالجيا لإحدى الصور التي تظهر بها عناصر معمارية قديمة من تراث المنطقة كانت نتيجة التحليل كالتالي

- ٩٦% ممن ايد فكرة اعادة استخدام العناصر تفاعل بشكل ايجابي مع الصورة
- اما الذين اجابوا بنعم فان ٨٨% منهم كانت لديهم مشاعر حنية مع الصورة
- في حين ان ٧١% ممن رفض اعادة استخدام هذه العناصر كان لديه شعور واضح بالنوستالجيا عند مشاهدته هذه الصورة



الاستنتاجات:

- ١) ان المعالم الاثرية في المدينة تثير النوستالجيا في نفس الفرد سواء كان الشخص يمكنه التعرف على أصل هذا المعلم من دونه يقابله في ذلك ان الابنية المشيدة الجديدة في منطقة الدراسة ليس لها ذلك الارتباط مع الافراد وان نسبة التفاعل معها قليلة وربما هذه النسبة النسبة القليلة هي حصيلة التفاعل مع المكان الموجودة فيه
- ٢) ان اعادة استعمال الاماكن الاثرية الى وظيفتها الاصلية يحرك الشعور بالنوستالجيا عند السكان بنسبة كبيرة حتى من اعترض على هذه الفكرة فان نسبة كبيرة كان لها نفس الشعور الايجابي عند مشاهدة صور عن هذه الاماكن ويرجع سبب الرفض لمثل هذه الفكرة اما الى عدم دراية بوجود مثل هذه الفعاليات والوظائف او عدم خوض تجربة ارتياد مثل هذه المرافق
- ٣) ان شعور النوستالجيا رافق نسبة كبيرة من لم يكن له الخبرة المكانية في منطقة الدراسة وظهر هذا الشعور عند مشاهدة لصور ذات قيمة إرثية وهذا يدل على ان هناك احساساً بقيمة الارث على الرغم من عدم الخبرة به
- ٤) ان الطراز العمراني القديم في المنطقة هو أكثر اشارة لعاطفة النوستالجيا عند السكان إذا ما قارناه مع الطراز العمراني الجديد في نفس المنطقة
- ٥) التجديد الحضري مع مراعاة الحفاظ على الصورة القديمة للمنطقة يزيد من شعور الفرد بالنوستالجيا
- ٦) الشعور بالانتماء في المنطقة المحددة مهم لعكس شعور النوستالجيا فلقد اظهرت الدراسة ان النوستالجيا سجلت مستويات متدنية عند الاشخاص الذين لا يشعرون بالانتماء وعكس ما هو موجود عند الذين يشعرون بها

٧) ان للنوستالجيا دورا في زيادة التردد على منطقة الدراسة فلقد بينت الاحصائيات أن الافراد الذين لا يترددون على المنطقة ليس لهم هذا الشعور في الوضع الحالي بسبب التغييرات التي حصلت وان هناك تفاعلاً كبيراً لهم مع صور تظهر فيها المنطقة القديمة

٨) هناك شعور قوي بالنوستالجيا لدى الافراد عند تواجدهم في الاماكن الاثرية القديمة التي تثير الحالة النفسية لهم سواء كان الشعور ايجابياً او سلبياً لكن بنسب متفاوتة تتفوق فيها عند الشعور الايجابي الى انها تسجل مستويات قليلة عندما لا يؤثر المكان في الحالة النفسية للفرد

٩) ان الحرف والصناعات اليدوية تثير ذكريات الحنين عند الفرد اكثر من الصناعات الجديدة والمصنعة حتى عند الاشخاص الذين فضلوا استعمال المواد الجديدة ، ظهر هذا في الاحصائيات عند عرض صور لهاذين النوعين من السلع

١٠) ان تطبيق القوانين من قبل الجهات ذات الصلة في حفظ الارث العمراني وكذلك تنظيم شكل المدينة له دور في تعزيز شعور النوستالجيا بدليل ان من لا يلاحظ وجود مثل هذه القوانين يقل لديه شعور الحنين تجاه المكان الذي يعيش فيه وعلى الغرار نفسه فان من يؤكد وجود القوانين يسجل نسب عالية من النوستالجيا وبحسب ما تم تحليله عند المقارنة بين سؤال عن وجود القانون من عدمه وبين صور ل احد الاماكن المهمة في كركوك تظهر في الماضي والحاضر ، حتى وان كانت النسبة اعلى لصور من الماضي الى ان هذا الفارق يعود الى عوامل اخرى.

١١) ان العناصر المعمارية هي تفاصيل صغيرة في المنشا تجذب انتباه الفرد وتتفاعل معه وتعيد له ذكريات من الماضي تخلق الشعور بالنوستالجيا لديه ، هذا التفاعل يكون ذا تأثير اكبر ويسجل نسب اعلى اذا ما كان مستوحى من الارث العمراني القديم للمدينة حتى وان كان الشخص رافضاً الى استعمال هذه العناصر الا ان للصورة الذهنية القديمة لديه تؤدي دورا في ذلك .

التوصيات:

- (١) قيام دائرة الآثار والتخطيط العمراني وبلدية كركوك بالعمل على تحديد سياسة الحفاظ التي سيتم استخدامها الى الاماكن التاريخية والاثريّة في منطقة القلعة مع الاخذ بنظر الاعتبار اهمية كل مبنى وكل منشأ في المنطقة من الناحية العمرانية والتاريخية والجمالية والاقتصادية بالإضافة الى الحالة الانشائية له ونمط الاستعمال وكما موصى في البحث
- (٢) قيام وزارة الاعلام بتوجيه هيئة الاعلام العراقي الى بث برامج وتقارير ضمن منهاجها عن تاريخ القلعة واهم الاحداث التي مرت بها بالإضافة الى تعريف الساكنين عن طريق هذه البرامج باهمية الارث الموجود فيها
- (٣) العمل من قبل وزارة الصناعة والمعادن على انشاء معامل ومنشآت خارج المنطقة تنتج سلع ومنتجات ذات طابع أثري كالرمزيات والهدايا التي تتجسد صور من تراث القلعة والمنطقة ولزيادة ارتباط الفرد مع المدينة وتعريفها الى العالم بالإضافة الى تصنيع الازياء والادوات القديمة
- (٤) تشجيع الايدي العاملة على البناء بالنمط القديم وفتح ورش عمل لزيادة الخبرة لهذه الايدي يتم من خلال الورش تعريفهم على اسلوب البناء بالنمط العمراني القديم وعلى كيفية انشاء التفاصيل المعمارية التي تشتهر بها المنطقة
- (٥) توجيه وزارة البلديات لغرض فرض القوانين وتشريعها في حال عدم وجودها لغرض منها الحفاظ على الارث العمراني في المدينة وكذلك الى تحديد معايير البناء والتطوير في المنطقة بما يساهم في عملية الحفاظ
- (٦) حث هيئة الاستثمار للبدء بمشاريع استثمارية واستغلال المناطق الاثرية (الممكن منها) بطريقة تعيد من استعمالها وبحسب استعمالات مقارنة لوظيفتها الاساسية

(٧) البدء بأعمال الصيانة والترميم وإعادة التأهيل للمنشآت في منطقة الدراسة بإضافة فعاليات دائمية في المنطقة وعلى اسس وسياسات الحفاظ التي تلائم كل منشأ وتشغيل الحمامات والمقاهي والمطاعم وغيرها من الفعاليات التي تجعل المنطقة حية اطول فترة ممكنة ضمن ساعات اليوم عكس ما هو موجود في الوقت الحالي فان الحياة فيها مستمر كمعدل ١٢ ساعة حد اقصى.

المراجع:

- ١- F.C.Bartlett: Remembering: A Study in Experimental and Social Psychology, 1932
- ٢- Routledge, C., Juhl, J., Abeyta, A., & Roylance, C. (2014). Using the past to promote a peaceful future: Nostalgia proneness mitigates existential threat induced nationalistic and religious self-sacrifice. *Social Psychology*,
- ٣- Fred daveice , Yarning for yesterday , 1979
- ٤- Cf. Edward W. Rosenheim, Jr., "Nostalgia," A Humanities Occasional Paper presented at a Visiting Committee to the Division of the Humanities, 1975
- ٥- Cf. Edward W. Rosenheim, Jr., "Nostalgia," A Humanities Occasional Paper presented at a Visiting Committee to the Division of the Humanities, 1975
- ٦- Becker, F. D., "Housing Messages", Dowden, Hutchinson, Rose, Inc. Pensylvania, 1977
- ٧- cullen , corden , " The Concise Townscape " , the architecture press , London , 1961
- ٨- Rosen, G. (1975). Nostalgia: A "forgotten" psychological disorder. *Psychological*
- ٩- روشكا ، الكسندرو ، " الابداع العام والخاص "، ترجمة غسان عبد الحي ابو فخر ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، ١٩٨٩.
- ١٠- زيور، علي ، " مذاهب علم النفس المعاصر "، دار الاندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧١.
- ١١- شيلتز، دوان " نظريات الشخصية "ترجمة :حمد دلي الكربولي وعبد الرحمن القيسي، مطبعة جامعة بغداد، 1983.
- ١٢- شولز ، نوربيرغ كريستيان ، " الوجود والفناء وفن العمارة "، سامي محمد ، سلسلة عدنان اسود -١- ، العراق ، بغداد ١٩٩٦

- ١٣- صالح ، قاسم حسين ، " سيكولوجية أدراك اللون والشكل "، سلسلة دراسات برقم ٣٠٥ منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ١٩٨٢.
- ١٤- موقدي، عمر جميل احمد" ، إحياء وتطوير مركز ديارستيا التاريخي، "رسالة عماجستير في الهندسة المعمارية ، جامعة النجاح. 2008.

موقف مجلس الشورى الوطني من سياسة استخدام الموظفين الأجانب في إيران ١٩٢٨ - ١٩٣٠ م
أ.م.د. أحمد شاكر عبد العلق
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

المقدمة:

تمثل السلطة التشريعية في إيران أحد أهم مرتكزات سلطة البلاط الملكي وركيزة أساسية من دعائمه منذ افتتاح أول مجلس تشريعي عام ١٩٠٦م عهد الأسرة القاجارية ولغاية نهاية حكم الأسرة البهلوية عام ١٩٧٩م ، وقد زادت سطوة البلاط على المجلس الوطني خلال عهد مؤسس الأسرة البهلوية رضا شاه بهلوي الذي طوع هذه المؤسسة خدمة لأغراضه وتحقيقاً لاستراتيجيته التي كان يهدف من ورائها تحديث منظومة المجتمع الإيراني على جميع الصعد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية ، فعن طريقها كانت تمرر جميع القوانين والتشريعات وتحقق المصادقة على مدى شرعية السلطة التنفيذية وقراراتها .

لقد مارست المجالس النيابية في إيران صلاحياتها وفقاً لدستور البلاد الاساسي ولكن بنسب متفاوتة ، وذلك تبعاً لطبيعة النظام الحاكم والظروف السياسية ، وما يهمنها هو موقف مجلس الشورى الوطني من سياسة استخدام المستشارين الاجانب والاعتماد على مهاراتهم وخبراتهم في تحديث وتطوير مؤسسات الدولة خلال الدورتين التشريعتين السادسة (١٩٢٦ - ١٩٢٨م) والدورة السابعة (١٩٢٨ - ١٩٣٠م) ،

إذا ما علمنا ان النظام السياسي وقتذاك والمتمثل بسلطة الشاه كان يركز على تطويع جميع امكانيات الدولة في سبيل تنفيذ ولو جزء يسير من سياسته التحديثية التي كان ينظر اليها على انها مهمة شاقة تحتاج الى تكاتف الجهود وتوحيد الرؤى واتباع سياسة أكثر حدية نظراً لطبيعة المجتمع الإيراني المغلقة التي كانت تعارض اي توجه غربي. وعليه تعد مسألة استخدام الموظفين والخبراء الاجانب في ايران من بين ابرز المحطات التاريخية التي ميزت عمل المؤسسة التشريعية أولاً ، وسياسة التحديث التي حاول البلاط تحقيق اسسها في ايران ثانياً وهو ما تناوله بحثنا هذا .

قُسم البحث الى مقدمة وثلاثة مباحث ، تناول المبحث الاول موقف المجلس الوطني من سياسة استخدام الموظفين الاقتصاديين الاجانب بمختلف توجهاتهم، فيما تناول المبحث الثاني سياسة المجلس ازاء استخدام الموظفين في القطاعات الاجتماعية (التعليم - الصحة) ، وسلط المبحث الثالث الضوء على الموظفين الاجانب في قطاعات الخدمات التي تمس حياة المواطن اليومية ، فيما تناولت الخاتمة ابرز الاستنتاجات التي خرج بها البحث .

اعتمد البحث بالدرجة الاولى على محاضر مجلس الشورى الوطني (مشروح مذكرات مجلس شورى ملي ايران) للدورتين السادسة والسابعة وقد أثر الباحث ان تكون مادته الاساسية ما احتوته هذه المحاضر ، فبخلاف ذلك لا يمكن ان نحكم على طبيعة مواقف اعضاء المجلس او بيان ردود الفعل او رؤاهم وطروحاتهم ومقترحاتهم دون الاعتماد على ما جاء في تلك المحاضر وتحليل ما جاء في ثناياها بالاعتماد على خطابات النواب ونصوص القوانين والتشريعات المتعلقة بعمل المستشارين الاجانب ، فقد حملت تلك الوثائق مادة تاريخية حية ودقيقة استمد الباحث منها مادته الاساسية ، كما ان قوانين المجلس التي كانت تمثل معيناً نهلاً منه الباحث النص الاصلي لتلك القوانين والتشريعات وبمجموع ما تم الحصول عليه من تلك الوثائق يمكننا القول اننا قد حققنا الغاية الاساسية لموضوع البحث وتمكنا ان نضع اوراق البحث ولو بشكل يسير على الخط الصحيح لمنهج البحث التاريخي الدقيق .

المبحث الاول: موقف المجلس من سياسة استخدام الموظفين الاجانب في القطاعات الاقتصادية:

يمثل مجلس الشورى الوطني في ايران المؤسسة المسؤولة عن إنشاء أو تعديل القوانين والمراسيم والتشريعات التي تنظم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للبلد ، وبشكل عام ينطبق هذا الامر في الأنظمة التي تنتهج المنهج الديمقراطي التي يمارس ممثلو الشعب فيها صلاحياتهم بشكل مطلق وفقاً ما أقر بدستور الدولة ، وبهذه الطريقة تكون هذه المؤسسة مسؤولة عن تنظيم حقوق ومسؤوليات المواطنين بشكل عام .

كان اول تمثيل نيابي شهدته ايران حدث بتاريخ الثاني والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٠٦م حينما افتتح اول مجلس تشريعي مثله (١٥٦) نائب عن مختلف الولايات الايرانية ، ثم توالى عملية انتخاب اعضاء السلطة التشريعية كل سنتين تقريباً وفقاً للنظام الداخلي لمجلس الشورى الوطني^(١) . و وصولاً الى الدورة السادسة موضوع البحث التي باشرت اعمالها يوم الحادي عشر من تموز عام ١٩٢٦م وانتهت يوم الثالث عشر من اب عام ١٩٢٨م ، ثم تلتها الدورة السابعة التي افتتحت يوم السادس من تشرين الاول عام ١٩٢٨م واغلقت بتاريخ الخامس من تشرين الثاني عام ١٩٣٠م .

شهدت ايران عهد رضا شاه بهلوي^(٢) (١٩٢٥ - ١٩٤١م) تغييرات كبيرة في مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية تركت اثراً واضحاً على طبيعة حياة الفرد ومعيشة المجتمع الايراني ، فقد حاول الشاه ان يرسخ قوة البلاط ويثبت مرتكزات حكمه من خلال دعم واسناد قطاعات ومؤسسات معينة على حساب قطاعات اخرى ، منها على سبيل المثال المؤسسة العسكرية التي كان يرى فيها انها تمثل عمود امبراطوريته فبقوة هذه المؤسسة تمكن من فرض سلطته على جميع السلطات الاخرى التشريعية والتنفيذية والقضائية وسواها^(٣) . وفي مثل هكذا ظروف اضحى مجلس الشورى الوطني بيدق بيد الشاه يحركه كيفما شاء ويوجهه كيفما اراد، سيما وان معظم اعضائه كانوا اعواناً للشاه ، حتى وان كانت هنالك معارضة مثلتها بعض الفئات السياسية التقليدية فهي لم تستطيع ان تقف بوجه الاكثريّة النيابية المؤيدة للشاه^(٤) .

مارس المجلس الوطني صلاحياته وفق الدستور الاساسي لايران وكان يراقب جميع تحركات السلطة التنفيذية ويشرع ويصوغ القوانين ويصادق عليها ولعل من بين المسائل المهمة التي عمل اعضاء المجلس التركيز عليها هي مسألة الاستعانة بالموظفين الاجانب مع تنوع اختصاصاتهم وخبراتهم للعمل في مؤسسات الدولة ، اذ لم يشأ المجلس الوطني خلال الدورتين التشريعتين السادسة والسابعة ان يترك قضية الاستعانة بالخبراء والبعثات المالية الاجنبية من دون معالجة تذكر ، بل العكس من ذلك كانت جلساته غنية بمناقشة مثل هكذا مسائل مهمة وقُدمت حينها مشاريع قوانين ومقترحات بهذا الخصوص .

أولاً : الموظفين الماليين :

لقد عانت المؤسسات المالية في إيران من إهمال واضح وتلكؤ متعمد في تنظيم هيكلتها الادارية وطرق ادارتها والتعامل مع الازمات المالية التي كانت تعصف بالبلاد بين الحين والآخر ، مما انعكس سلباً على واقع عمل تلك مؤسسات مهمة للغاية عُدت حينها احد اعمدة تحديث القطاع المالي في ايران كان في مقدمتها مؤسسة البنك الوطني الايراني^(٥) . ففي الثالث من تشرين الثاني عام ١٩٢٧م قدمت وزارة المالية طلباً لرئاسة المجلس الوطني تضمن خطة عمل اقرار قانون الهيكلية الادارية للبنك الوطني وادرج الطلب على جدول اعمال المجلس وتولت اللجنة المالية النيابية اعداد تقرير مفصل بخصوص تطوير عمل البنك الوطني ، جاء فيه "ان ايران بأمس الحاجة لتشريع القانون في الوقت الحالي والتوصية بضرورة الاستعانة بالخبرات الاجنبية المالية لإدارته" ، بحكم ان البلاد كانت تقتقر الى خبرات مالية متخصصة هذا من جهة ، ورغبة الشاه رضا بهلوي بتحديث واقع عمل تلك الدوائر والمؤسسات وفقاً للطرز الاوربية الحديثة من جهة اخرى ، وعليه قدمت اللجنة المالية مشروع قانون ينص على الاستعانة بخبراء اجانب متخصصين بالشؤون المالية والمصرفية لادارة البنك وتمت صياغة قانون من مادة واحدة اتاحت للحكومة الايرانية استقدام خبير بالشؤون المصرفية من المانيا او سويسرا لادارة المصرف لمدة ثلاث سنوات عمل بمرتب مقداره اثنا عشرة الف تومان سنوياً مع اضافة مخصصات مالية تحدد لاحقاً كمصاريف نقل وسكن واطعام ، واشترطت المادة الزام وزارة المالية ان تقدم السيرة العلمية للخبير وان يكون قد مارس عملاً مماثلاً في السابق^(٦) . وحال طرح نص مشروع المادة المذكورة ابدى نواب المجلس اعتراضهم وقدم البعض مقترحاته وؤراه ، فعلى سبيل المثال ابدى النائب سيد يعقوب انواري اعتراضه على طريقة تغيير الهيكلية الادارية للبنك الوطني التي قال انها كانت قد اقرت بقانون فأذا اريد ان تتغير تلك الهيكلية لا بد من الغاء نص القانون السابق برمته وصياغة قانون جديد يحدد شكل النظام الاداري للبنك ، فيما ابدى النائب فيروز ابادي اعتراضه على مبلغ مرتبات الخبير الاجنبي وقال "بدلاً من اعطاء اثنا عشرة الف تومان سنوياً خصصوا جزء يسير من هذا المبلغ للذين خدموا في المصارف الحكومية من الذين قدموا خدمات كبرى لبلدنا ايران" في المقابل ابدى النائب محمد علي كازروني موافقته على نص القانون،

وذلك لعدم توفر البديل المحلي على حسب وصفه بالقول "انا على يقين تام لا يوجد شخص مؤهل في بلدنا لإدارة البنك الوطني" فيما ربط بعض النواب موافقتهم بإضافة مادة أخرى وهي عدم تكفل الدولة بدفع اية نفقات أخرى غير المرتب المشار اليه بنص المادة وبعد الاخذ بملاحظات النواب تم التصويت على نص القانون بواقع ثمانين صوت من اصل ستة وثمانين صوت كان حاضر الجلسة^(٧) .

لقد ورثت إيران عهد رضا شاه بهلوي نظاماً مالياً متعثراً للغاية ومشكلات اقتصادية مستعصية وكان لازماً على ممثلي الشعب ان يأخذوا دورهم ويشمروا عن سواعدهم املاً في ايجاد حل لأغلب تلك المشكلات ، ولعل من بين الحلول التي كان المجلس يرى أنها تساهم في تنظيم الواقع المالي للبلاد هي الاستعانة بالخبرات الأجنبية ، لذا نجد ان العديد من جلسات الدورتين السادسة والسابعة كانتا حافلتين بمناقشة مثل هكذا مقترحات . فخلال جلسة يوم السادس عشر من شباط عام ١٩٢٨م اقر المجلس قانون من ستة عشر مادة بخصوص استخدام اربعة اخصائيين ماليين من سويسرا وألمانيا ، وقد حددت المادة الاولى طبيعة عمل هؤلاء الموظفين وجاءت تفصيلاتها كالآتي (خبير مالي ألماني الجنسية كموظف في احدى المصارف الإيرانية ، خبير مالي سويسري يرأس الخزنة العامة في إيران ، خبير مالي سويسري يرأس مكتب المحاسبة العام و خبير ألماني يرأس قسم الرقابة المالية) وقد حددت المادة الثالثة مهام و واجبات البعثة المالية بناءً على تقرير لجنة المالية النيابية وتداخل نواب المجلس والاخذ بمقترحاتهم وعليه تمت الصياغة النهائية لتلك المهام التي حددت ب :

- ١- دراسة الواقع الاقتصادي للبلاد و وضع الخطط الكفيلة لإنعاشه وتحديثه .
- ٢- اعداد برامج اقتصادية لاستغلال الموارد الطبيعية للبلاد وعلى الخبرات المحلية .
- ٣- اعداد مشاريع قوانين لتطوير الثروة الوطنية خاصة وسائل تحديث وتنظيم اعمال القطاعات التجارية والصناعية وبيان اسباب التلكؤ الحاصل فيها .
- ٤- دراسة الامتيازات الأجنبية وبيان مدى قابلية تنفيذها على ارض الواقع من عدمه واعداد الشروط العامة لمنح الامتيازات في المستقبل لغرض عرضها على المجلس الوطني .

- ٥- دراسة شاملة لزيادة مدخولات البلد وتنويع مصادر الدخل القومي .
- ٦- دراسة مصادر إيرادات والمصروفات وتقديم الاقتراحات بشأن تنظيمها .
- ٧- مساعدة وزير المالية باعداد موازنة الدولة العامة ، في حين وضحت بقية مواد لاقانون تنظيم عمل البعثة ادالياً ومالياً^(٨) .

وحال طرح مشروع القانون للنقاش والتصويت عليه ، ابدى النائب فيروز ابادي معارضته وكان اول من طلب الاذن لبيان رأيه وقال ان ايران ليست بحاجة الى اربعة خبراء فيكفي الاستعانة بخبيرين اثنين فقط ، وعرج الى اهمية توظيف الخبرات المحلية والاستعانة ببناء البلد في ادارة مؤسسات الدولة وفي هذا الخصوص قال ".... اذا طبقنا قانون العقوبات اي معاقبة الخائن ومكافئة النزيه فنحن وقتها لا نحتاج الى اي موظف اجنبي ... ان عدم تنفيذ قوانين المعاقبة والمكافئة يجعلنا تحت رحمة الاجانب الذين يأتون الينا وينجزون جزء من واجبهم على امل ان يتم تجديد عقد عملهم او الاستعانة بموظفين اخرين لاستكمال ما بدؤوه ..."^(٩) واذاف ان ايران لديها رجال يتمتعون بخبرات عالية وعلى جميع المستويات ، في المقابل ابدى النائب اقا رضا رفيع موافقته للمشروع ، بل انه هاجم النائب فيروز ابادي لرأيه وقال بخصوص تنفيذ مبدأ العقوبة والمكافئة ان الدولة هي من تقرر ما اذا كان الشخص المعني يجب ان يعاقب او يكافئ ثم اثنى على اهمية الاستعانة بخبرات الاجانب في مجال تطوير قطاعات ايران المالية ، في حين قدم بعض النواب ومنهم النائب حسن تقي زاده مقترح اضافة مهام استشارية للبعثة المالية ومنها الاشراف على كيفية تقنين نفقات الدولة والاشراف عليها ، وبعد صياغة النص النهائي للقانون والاخذ بمقترحات النواب تم التصويت عليه بموافقة اغلب اصوات المجلس بواقع ٨٣ صوت من اصل ١٠١ صوت^(١٠) .

وبناء على تقرير لجنة الموازنة النيابية التي قدمت مشروعها ذو الرقم (٣٩ - ٨١) بخصوص تعيين موظف فرنسي في وزارة المالية بصفة مسؤول عن قسم الرواتب وذلك خلال جلسة يوم الرابع والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٢٩م اقر المجلس قانون من مادة واحدة سمح بموجبه للحكومة الايرانية بتكليف

المسيو هيس (Hess) بمرتب سنوي قدره خمسة الاف تومان لمدة عمل ثلاث سنوات قابلة للتجديد^(١١) وقد حصل مشروع القانون على تأييد اغلب نواب المجلس وكان على رأس المؤيدين النائب فيروز ابادي الذي اثنى على مقترح الاستقدام وابدى شكره لجهود وزارة المالية للسعي وراء ضبط نفقات ومدخولات الدولة ومراقبة سلم الرواتب لجميع موظفي الدولة^(١٢) . فالمعارضة لم يكن هدفها عرقلة تنفيذ سياسة الاستعانة بالموظفين الاجانب بقدر ما كانوا يرغبون في انتقاء اختصاصات نادرة اي بمعنى التركيز على النوع لا الكم .

واصل المجلس الوطني سياسته ازاء تحديث عمل المؤسسات المالية في ايران ، فخلال جلسة يوم السابع من تشرين الثاني عام ١٩٢٩م ناقش المجلس قانون استخدام متخصص مالي الماني الجنسية لتولي منصب رئاسة مكتب المحاسبة العام^(١٣) ، وادرج مشروع الاستقدام على جدول اعمال المجلس ونوقش من قبل بعض النواب ، بعضهم ابدى معارضته لنص القانون ومنهم النائب سيد يعقوب انواري الذي خشي بحسب وصفه "ان نكون المانيين في يوم من الايام" ، بسبب كثرة من تم توظيفهم من المتخصصين الالمان في جميع الاقسام والفروع والمؤسسات المالية في ايران^(١٤) ، مشدداً على ضرورة تنويع بلدان الموظفين الاجانب العاملين في البلاد ، وفي معرض رده قال محمد تدين^(١٥) رئيس المجلس ان الخبراء الماليين الالمان اكثر من غيرهم دراية وقدرة على ضبط الامور المالية وقال "اني عملت معهم عن قُرب ... ان النمط الحسابي الالمانى فريد من نوعه وهو يتلائم مع طبيعة عمل مؤسساتنا المالية والمصرفية .."^(١٦) واذاف انه يتفق مع مقترح النائب انواري بضرورة تنويع مصادر الخبراء والموظفين الاجانب وان الحكومة الايرانية ماضية بهذه السياسة واعطى امثلة بهذا الصدد حول توظيف مهندسين بلجيك وسويديين ومن سويسرا وفرنسا وغيرها من بلدان العالم الاوربي ، وبسبب كثرة المداخلات وابداء الرأي والرأي الاخر تم التأجيل على التصويت على نص القانون الى الجلسات اللاحقة^(١٧) . وفتح باب النقاش لمناقشة مسائل اخرى .

ثانياً : الموظفون الاجانب في قطاع الصناعة والزراعة :

اولى المجلس الوطني قطاعي الصناعة والزراعة اهمية بالغة ، نظراً لما كانا يشكلانه هذين القطاعين من اهمية بالغة في رفد موازنة الدولة ويعدان محركين لاقتصاد البلد ، سيما وان ايران كانت تشتهر بمواردها الصناعية وكثرة الاراضي الزراعية ، علاوة على رغبة الشاه رضا بهلوي الذي وضع نصب عينيه تحديث جميع مؤسسات البلاد ومنها هذين القطاعين عبر الاستعانة بمجموعة من الخبراء الاجانب .

ففي جلسة يوم السابع من تشرين الثاني عام ١٩٢٦م شرع المجلس قانون استخدام موظفين اثنين الماني وامريكي لغرض التنقيب عن النفط والمعادن النفيسة وقد جاء القانون من اربع مواد نصت المادة الاولى منه على السماح لوزارة الاشغال العامة بالتعاقد مع شخصين اجنبيين احدهما متخصص بالمعادن وخبير في مسائل التعدين الماني الجنسية والاخر متخصص بشؤون النفط امريكي الجنسية خُددت مهامهم بوضع مخططات للتنقيب عن مناجم المعادن النفيسة وبيان الكلفة التقريبية لانشاء مشاريع استغلال تلك المعادن ، وقد حددت المادة الثانية مدة عملهم بثلاث سنوات ومرتب مائة وخمسين الف تومان سنوياً^(١٨) وقد واجه مشروع القانون تأييد من قبل اغلب اعضاء المجلس واثتوا على مسالة التنقيب عن المعادن النفيسة وعدوها خطوة في طريق تنويع مصادر الدخل القومي لايران في حين ابدى كل من النائبين السيد عراقي وشريعت زاده اعتراضهم على مبلغ المرتب السنوي للموظفين وطالبوا بتحديد اربعين الف تومان مرتباً سنوياً لهم ولم يُتخذ اي اجراء بهذا الخصوص خلال هذه الجلسة^(١٩) .

وخلال جلسة يوم الخامس والعشرين من تشرين الاول عام ١٩٢٧م ناقش المجلس مقترح قدم من قبل وزارة الاشغال العامة استقدام الخبير الالماني مسيو مارتين (Monsieur Martin) للعمل في ايران لتأسيس معمل صهر الحديد في العاصمة طهران ، وقد جاء نص المقترح الذي صيغ على شكل قانون من اربع مواد سمحت المادة الاولى لوزارة الاشغال العامة باستقدام الخبير الموماً اليه لمدة عمل سنتين بمرتب عشرة الاف وثمانمائة تومان سنوياً مع ادراج نفقات وتكاليف نقله وسفره ضمن موازنة الوزارة^(٢٠) . وعندما طرح نص القانون للنقاش ابدى معظم نواب المجلس موافقتهم على تشريع نص القانون والموافقة على استقدام المسيو مارتين ، بسبب حاجة ايران الماسة الى استحداث مثل هكذا صناعات جديدة، اذ ادلى

النائب روحاني بخطاب قال فيه انه كان قد اطلع على السيرة العملية للخبير الالمانى وهو احد اشهر الخبراء الالمان في بلده وقد شغلت معظم مناقشات الجلسة ايضاح النتائج الايجابية التي تتبع سياسة استخدامهم على الواقع الصناعى في البلد^(٢١) .

وفي السياق ذاته ناقش المجلس بتاريخ الاول من كانون الثاني عام ١٩٢٨م مقترح قانون استخدام الخبير الالمانى مسيو هوفمان (Hoffman) موظفاً متخصصاً بعلم التعدين وقد حددت مهمته بوضع الخرائط لإجراء مسح شامل لمناطق التعدين والتقيب عن المعادن والنفط في ايران وقد جاء قانون التوظيف من خمس مواد حددت المادة الثانية مدة عمله بثلاث سنوات فقط وبمرتبة ثلاثة الاف تومان سنوياً إضافة الى نفقات النقل والسكن بمعدل ستمائة تومان^(٢٢) وعندما طرح محمد تدين رئيس المجلس مشروع القانون للتصويت ابدى النائب بامداد اعتراضه وقال بالنص "اننا سبق وان استقدمنا خبراء في مجال اجراء المسح وتصميم الخرائط غير انهم لم يقدموا خدمات تذكر في مجال عملهم ... نعم ليس لدينا خبرات في هذا المجال ولكن هذا لا يعني اننا نخصص اموال في غير محلها ... ان جل ما قام به هؤلاء الخبراء لا يعادل مائة تومان ..."^(٢٣) واضاف ان الحكومة لم تبخل عليهم من حيث المأكل والملبس والسكن والمرتبات والمخصصات "حتى اننا خصصنا لهم مرافقين ومترجم ولكن ما النتيجة؟ انهم يجلسون لساعات طويلة خلف مكاتيبهم من دون عمل ..."، في حين طالب النائب ياسائي ان تضمن فقرة ضمن نص القانون تلزم الوزارة المتعاقدة مع اي موظف اجنبي بعدم فسخ عقد خدماته الا بعد موافقة المجلس الوطني لأنه وبحسب قوله ان الكثير من اولئك الخبراء يتم فسخ عقودهم بعد عام تقريباً من ابرام العقد وهو مخالف لنص القانون الذي شرع بهذا الخصوص، وبعد مناقشات مطولة تم التصويت على مشروع القانون بواقع ٧٣ صوت من اصل ٩٣ صوت^(٢٤) .

احتلت الصناعة المرتبة الثانية بعد المؤسسة العسكرية ضمن اولويات رضا شاه وكانت تعد من وجهة نظره احدى الوسائل المهمة لتحقيق استقلال البلد اقتصادياً ، فلا غرو ان تبذل الحكومة الايرانية والمجلس الوطني جهوداً استثنائية لتأمين تحقيق هذه الغاية ، سيما تنفيذ مشاريع ادخال عدد من الصناعات الجديدة

في البلاد ومنها صناعة الورق . فبتاريخ الرابع والعشرين من حزيران عام ١٩٢٨م صوت المجلس بعد مناقشة مطولة على قانون من مادة واحدة تتيح استخدام ماريو رويدا (Mario Rueda) وهو مهندس ايطالي لوضع الخطط اللازمة لإنشاء مصنع ورق في العاصمة طهران لمدة ستة اشهر بمرتب خمسمائة تومان اضافة الى مخصصات نقل وسفر وسكن بمعدل ستمائة تومان^(٢٥) وقد قدم رئيس المجلس قراءة مقدمة لنص القانون جاء فيها "مع اهتمام كبار ساسة البلاد ومتنفيذها بأنشاء مصنع للورق في ايران وبناءً على الدراسات التي اجراها مكتب الاشراف التابع للمجلس الوطني تم تقديم طلب الى نواب المجلس للموافقة على استخدام خبير ايطالي الجنسية متخصص لوضع اسس بناء معمل للورق .."^(٢٦) و اضاف التقرير ان مكتب الاشراف انف الذكر كان قد استحصل الموافقات الرسمية من قبل وزارة المالية لضمان التخصيص المالي للخبير وبناء المصنع ، ويعد تقديم هذا المشروع من بين ابرز واهم المشاريع التي قدمت لمجلس الشورى والذي حصل على موافقة اغلب النواب حتى بالنسبة لنواب المعارضة ومنهم النائب فيروز ابادي الذي بدى متفائلاً ومسروراً لصياغة نص القانون وقال في معرض حديث له ما نصه "انا سعيد جداً وليس لدي ما اقله بخصوص نقد او معارضة القانون" وبالنتيجة تمت الموافقة على نص القانون بواقع ٧٠ صوت من اصل ٧٧ صوت^(٢٧) .

وبعد انقضاء مدة عقد المهندس الايطالي ماريو رويدا المشار اليه اعلاه وخلال جلسة يوم الرابع والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٢٩م ناقش المجلس مشروع قانون من مادة واحدة لتمديد عقده لمدة عمل خمسة اشهر لاستكمال بناء مصنع الورق في العاصمة طهران^(٢٨) وقد عقب النائب سيد يعقوب انواري عبر خطاب قال فيه ان المدة السابقة التي عمل بها الخبير الايطالي لم تصل تقارير حول طبيعة عمله الى مجلس الشورى و اضاف كيف لأعضاء المجلس ان يوافقوا على تمديد عمله ما لم يطلعوا على عمله السابق وتقييمه ، وقد نال مقترحه تأييد بعض نواب المجلس وبالخصوص نواب المعارضة ، في حين اثنى النائب ارباب كيخسرو على عمل ماريو رويدا وقال في معرض دفاعه عن مقترح التمديد ان من بين افضل واهم المشروعات التي صيغت داخل المجلس الوطني كان مشروع انشاء معمل ورق في ايران وانه

كان على اطلاع تام بما قام به بالتعاون مع وزارة الاشغال وقسم حماية الغابات لإجراء مسح كامل لنوعية الاشجار التي من المتوقع استخدامها في صناعة الورق ، و اضاف بهذا نكون قد حققنا اكتفاء ذاتياً وليس لنا حاجة لاستيراد مادة الورق من الخارج ، ووجه كلامه لنواب المعارضة بالقول "اعطوه فرصة جديدة وانا على يقين تام ان ايران سنتمكن من توريد كميات كبيرة من الورق الى الاسواق الخارجية ..."^(٢٩) وفي نهاية المطاف تم التصويت بالإجماع بواقع ٩٧ صوت من اصل ٩٧ كانوا حاضرين الجلسة^(٣٠) .

اما في مجال قطاع الزراعة التي كانت تشكل احد الاعمدة المهمة لدعم الاقتصاد الوطني الايراني وكان لدى الشاه رغبة واضحة في تطوير هذا القطاع وتحسين واقع الفلاح الايراني وطرق الانتاج ، وذلك عن طريق توزيع معظم المساحات الزراعية البور على الفلاحين واستيراد الآلات والمكائن الزراعية وتنظيم العلاقة بين الفلاح والمالك^(٣١) .

كان لمجلس الشورى الوطني دور واضح بخصوص ادخال مشاريع وطرق زراعية جديدة وصنوف نادرة من المحاصيل الزراعية عن طريق الاستعانة بخبرات الموظفين الاجانب ، فخلال جلسة يوم السادس من حزيران عام ١٩٢٩م قدمت لجنة الموازنة النيابية دراسة حملت الرقم (٢٤٨٠) تضمنت تقرير حول ما جاء بتوصية وزارة الاشغال العامة بخصوص توظيف مهندسين اجانب متخصصين بزراعة الشاي وناقش المجلس صياغة قانون استقدام اربعة مهندسين زراعيين من جمهورية الصين متخصصين بزراعة محصول الشاي لمدة ثلاث سنوات عمل في ايران بمرتب مائة وثمانون تومان شهريا لكل شخص^(٣٢) وقد طرح نص القانون المصاغ على جدول اعمال الجلسة لمناقشته وابدى الكثير من النواب ترحيبهم به ، غير ان البعض ابدى مقترحاً اضيف الى نص القانون وكان من بينهم النائب ياسائي الذي اقترح اضافة فقرة تُلزم البعثة الهندسية الصينية تدريب عدد من المزارعين الايرانيين على طرق زراعة الشاي ، في حين رحب النائب فيروز ابادي بالفكرة واعتبرها خطوة بالاتجاه الصحيح في مجال توفير احتياجات البلد والاكتفاء الذاتي من المحاصيل الغذائية مما يقلل من سياسة استيراد هذه المادة وسواها ، وتم تمرير المشروع بواقع ٩٤ صوت من اصل ٩٨ صوت^(٣٣) . وخلال الجلسة ذاتها و وفقاً لتقرير لجنة الموازنة العامة رقم

(٢٤٨٢) الخاص بمقترح توظيف اربعة فرنسيين متخصصين بالأمور الزراعية وتربية الماشية ، وجاء

نص القانون من اربع مواد فصلت المادة الاولى مجالات المتخصصين بالاتي :

١- متخصص في تدريس علم النبات وانشاء الحدائق وتنظيم الغابات .

٢- متخصص بتعليم البستنة والتدريب في مجال التطعيم

٣- طبيب بيطري في علم الحيوان للتوظيف في معهد الاشراف الفني التابع لقسم تدريب وتدجين

الحيوانات

٤- طبيب متخصص بعلم الجراثيم وتصنيع المصول لرئاسة معهد مكافحة الافات الحيوانية وتدريس علم

الجراثيم في معهد الفلاحة واقامة دورات لتدريب الاعضاء فنياً في مجال صناعة المصل .

في حين حددت المادة الثانية من القانون مرتب كل خبير بتسعة عشر الف تومان سنوياً^(٣٤).

واجه المقترح معارضة من قبل بعض نواب المجلس وابدى النائب فيروز ابادي اعتراضه بالقول انه يجب

على الحكومة الايرانية البدء بتحسين وضع الفلاح الايراني قبل الاستعانة بخبرات متخصصين اجانب

لتطوير الواقع الزراعي نظرياً لا عملياً ، كما انه طالب ببيان الموقف المالي وهل ان لجنة الموازنة العامة

النيابية قادرة على تأمين مخصصات البعثة ، وكان جواب اللجنة المالية بأنها قد سلمت وزارة الاشغال

تقريراً بالموافقة المبدئية لتوفير الاعتماد المالي ، عليه وفي نهاية المناقشة تم تمرير القانون بصيغته

النهائية بواقع ٧١ صوت من اصل ٩٥ صوت^(٣٥) .

وخلال جلسة يوم السابع من ايلول عام ١٩٣٠م ناقش المجلس مقترح لوزارة الاقتصاد الوطني^(٣٦)

بخصوص توظيف مهندس فرنسي متخصص بشؤون الغابات لمدة عمل ثلاث سنوات بمرتب سبعة الاف

دولار سنوياً اي ما يعادل عشرة الاف تومان ، وقد عد المبلغ نقطة اعتراض من قبل نواب المجلس

وطالبوا بتخفيضه ، في حين قدم البعض مقترح اضافة محور مهم ضمن نص القانون نص على "الزام

وزارة الاقتصاد الوطني وبالتنسيق مع وزارة المعارف بفتح قسم الفلاحة في المدارس الثانوية لتدريب

المتخصصين في شؤون الغابات وتنظيمها^(٣٧) وبنهاية المطاف تم تمرير نص القانون بعد اجراء تعديل على مواده واخرجه بالشكل النهائي من خمس مواد بواقع ٦١ صوت من اصل ٧٧ صوت^(٣٨) .

شجعت مواقف المجلس الوطني الاخيرة القائمين على وزارة الاقتصاد الوطني بالمُضي قُدماً بتقديم مقترحات قوانين لاستخدام موظفين اجانب لتطوير جميع قطاع الصناعة في ايران فخلال جلسة يوم الثالث من تشرين الثاني عام ١٩٣٠م ناقش المجلس مقترح وزارة الاقتصاد الوطني بخصوص توظيف مهندس الماني متخصص بأمور التعدين والتنقيب وعامل الماني بالتخصص ذاته ، وجاء في مقترح التوظيف ان مدة عمل المهندس ومساعدته عامين اثنين يكون محور عمله التنقيب عن المعادن واستخراجها^(٣٩) وحال مناقشة مواد المقترح اعترض النائب سيد يعقوب انواري على التقرير وقال ان الحكومات السابقة سبق وان قامت بتوظيف خبراء متخصصين بمجال التنقيب عن المعادن والتعدين غير انهم لم يقدموا شيء يذكر بل العكس من ذلك كانوا "بمثابة عبئ على ميزانية الدولة" وطالب ان يوضح نائب وزير الاقتصاد مرتضى قلب بيات الذي كان حاضراً الجلسة عبر دراسة شاملة نوع العمل الذي سيقوم به الموظف الالمانى والنتائج المترتبة على عمله ، في المقابل ابدى النائب فيروز ابادي اعتراضه على توظيف العامل الالمانى وقال ما هي الصفة او الشهادة التي يحملها عامل اجنبي يتم توظيفه للعمل في ايران ، و اضاف اننا لسنا بحاجة الى توظيف عمال فلدينا ما يكفي من الايدي العاملة ، غير انها كانت نقاشات نظرية اكثر منها عملية من الممكن ان تؤخذ بالحسبان ، فبعد مناقشات مطولة بين النواب تم التصويت على نص المشروع بواقع ٥٩ صوت من اصل ٨٢ صوت^(٤٠) .

المبحث الثاني: الموظفون الاجانب في القطاعات الاجتماعية (التعليم - الصحة):

اولاً : قطاع التعليم :

سعت حكومة رضا شاه بهلوي الى تحديث مؤسسات التعليم بمختلف مراحلها واشكاله، والعمل على الغاء ارتباطاته بالمؤسسة الدينية بشكل تام ، فقد اهتم الشاه بالدرجة الاولى بالتعليم الابتدائي و اقر قانون اصبح بموجبه مدة التعليم فيها ست سنوات كما انه قدم الحوافز المادية لكل من يرغب بالالتحاق الى المدارس

العالية والمعاهد المدنية والعسكرية ، علاوة على تغيير بعض مقررات والمواد الدراسية في المدارس الثانوية وادخل مواد تعليمية جديدة منها التربية الرياضية والاهتمام بارسال البعثات الطلابية الى الجامعات الاوروبية وغيرها من القرارات الاخرى التي انعشت الواقع التربوي والتعليمي وحدثت اسس وقواعد بناء منظومة تعليمية اسوة بالدول الاوروبية^(٤١) . ولم يكن بمقدور تلك التشريعات والقرارات ان تأخذ حيزها الطبيعي في دوائر الدولة الحكومية الا بعد الاستعانة بخبرات اجانب متخصصين في مجال تنمية قدرات المعلمين والمدرسين وادخال علوم جديدة كانت ايران تقتقر اليها وكان رضا شاه مدرکاً ان تحديث المجتمع الذي كان يصبوا اليه لا يتم الا بتحديث التعليم وتطوير قدرات وخبرات القائمين عليه ولا يمكن تحقيق ذلك الا بالاستعانة بأصحاب الاختصاص من الاوربيين .

لذا نرى ان اغلب جلسات المجلس بدورتيه السادسة والسابعة كانت قد خصصت لمناقشة الواقع التعليمي وتطوير مؤسساته ، وكان ممثلو الشعب يؤكدون باستمرار أن التعليم هو الأساس الجوهرى للتقدم الحضارى، سيما وان البلاد كانت تعاني في السابق من تخلف وتدهور جميع مؤسساتها التعليمية بالرغم من تشريع قوانين وقرارات تخص الواقع التعليمي في البلاد ، سيما التخصصات النادرة التي كانت تعاني منها المؤسسات التعليمية في ايران .

ففي الاول من اذار عام ١٩٢٧م ناقش المجلس قانون استقدام الفرنسي اندريه هيس (Andre Hess) مديراً لمدرسة الحقوق في العاصمة طهران وقد جاء نص مقترح القانون من خمس مواد نصت المادة الاولى السماح للحكومة الايرانية التعاقد مع الموماً اليه لمدة عام واحد في مدرسة الحقوق بمرتب اربعة الاف تومان سنوياً ، واعطت المادة الخامسة صلاحيات للحكومة الايرانية بتحديد شروط عمل الخبير الفرنسي وفق احكام ومواثيق التعاقد الاجنبي^(٤٢) وعندما طرح المقترح للنقاش كان اول المعارضين لمشروع القانون النائب فيروز ابادي الذي ادلى بخطاب طويل قال فيه انه مع تطوير وتحديث المؤسسة التعليمية في البلاد غير انه كان من الاجدر بحسب رايه ان يكون لمتقفي وتربوي البلد الحصة الاكبر في التوظيف والعمل في مؤسسات الدولة ولفت نظر رئاسة المجلس الى اهمية الابتعاث العلمي وقال "ان ترسل

الحكومة خريجي المدارس والمعاهد الايرانية للتدريب في الخارج افضل من الاستعانة بالأجانب"^(٤٣) ، بعدها توالى ردود افعال بعض النواب ازاء خطاب النائب فيروز ابادي وكان على رأسهم النائب سيرواني عضو اللجنة المالية النيابية الذي ايد مقترح ابادي لكنه عقب بالقول "نعم ان الدولة ترغب في تطوير قدرات خريجي ايران غير ان ذلك يتطلب وقتاً اننا في الوقت الحالي بحاجة ماسة خبرة هؤلاء الاجانب" في حين ابدى النائب محمد علي كازروني اعتراضه على نص مشروع القانون وقال بالحرف الواحد "كما انني كنت معارضاً في السابق لمثل هكذا توجهات انا الان اجعل نفسي في خانة المناهضين لهؤلاء الخبراء الاجانب انني كنت على اطلاع تام بما قدمه هؤلاء الاجانب ... لقد التقيت بالعديد من ابناء تلك المدارس والمعاهد الحكومية وأخبروني انهم لم يستفيدوا من وجود الخبراء الاجانب" ^(٤٤) وفي سبيل انهاء الجدل طرح المشروع للمصادقة وتمت الموافقة عليه بأغلبية اصوات النواب^(٤٥) .

كان توجهه الشاه رضا بهلوي نحو تأسيس نظاماً تعليمياً علمانياً على الطرز الاوربية ابتداءً من شكل المناهج والمقررات الدراسية وطباعتها وانتهاءً بوسائل تحقيقها والابتعاد عن الانظمة التعليمية التقليدية التي كانت تتحكم بمناهجه وطرق تدريسه المؤسسة الدينية ، لذا كان توجه مجلس الشورى الوطني بهذا الخصوص انطلاقاً من دعوة الشاه الى تأييد جميع مشاريع التعليم الاوربي بما فيها الاستعانة بخبرات اجنبية بغض النظر عن مواقف قوى المعارضة .

وبناءً على تقريرين قدما من قبل لجنة الشؤون الخارجية النيابية ولجنة التعليم النيابية بخصوص توظيف الفرنسي المسيو دولابوس (Dolabos) ناقش المجلس الوطني مشروع توظيف الموما اليه خلال جلسة يوم السابع عشر من ايار عام ١٩٢٧م وافر قانون توظيفه للعمل مدرساً في مدرسة الحقوق العليا لمدة عام واحد بمرتب اربعة الاف تومان سنوياً مع اضافة مصاريف قدرها ثلاثمائة تومان كمصاريف نقل وسفر^(٤٦) ، وحال طرح المشروع للتصويت ابدى النائب سيد يعقوب انواري اعتراضه على استخدام موظفين اجانب للتدريس في مدرسة الحقوق التي قال انها الى الان لم تستكمل جميع مراحلها وانه لطالما طالب خلال الدورات السابقة بضرورة تحديث برامج ومقررات المدرسة على اعضاء المجلس^(٤٧) غير انه

وبحسب قوله لم يتم النظر بمقترحاته، كما طالب بضرورة تحديث الهيكلية الادارية للمدرسة واستكمال بنائيتها قبل الشروع باستقدام المعلمين الاجانب للتدريس فيها ، شاركه الرأي النائب فيروز ابادي الذي كرر مطالبته بخصوص الاستعانة بخبرات ابناء البلد عوضاً عن الاستعانة بالأجانب ، في حين وجد مشروع القانون دفاعاً مستميتاً من قبل بعض اعضاء المجلس لتمريره والتصويت عليه وكان على رأس هؤلاء النواب المؤيدين النائب مرتضى قلي بيات الذي اعرب عن ترحيبه لطرح هكذا مشروعات قوانين وقال ان البلاد تمر بثورة حقيقية في مختلف مجالات الحياة وان قطاع التعليم جزء حيوي لا بد من ايلاء اهمية كبرى له و اضاف "اذا اريد لإيران ان تصل لمصاف الدول المتطورة فلا بد من تأسيس قاعدة علمية حديثة نكتسب من ورائها خبرة حضارات كانت قد سبقتنا اشواطاً في مجال التعليم ..."^(٤٨) وفي نهاية المطاف تم التصويت على قبول القانون بواقع ٦٣ صوت من اصل ٩٨ صوت^(٤٩) .

وضع المجلس الوطني في مقدمة اولوياته الاهتمام بجلب الخبرات التعليمية الاجنبية في مجالات تخدم سوق العمل ومنها تطوير قطاع الصناعة الذي لطالما عانى من التخلف والتدهور خلال العقود السابقة ، فخلال جلسة يوم الثامن من ايلول عام ١٩٢٧م اقر المجلس قانون توظيف اثنين من المدرسين الالمان للعمل في المدرسة الفنية الالمانية^(٥٠) واثنين من المدرسين الفرنسيين للعمل في مدرسة الحقوق والعلوم السياسية ، وقد جاء القانون من خمس مواد ، سمحت المادة الاولى لوزارة المعارف باستقدام مدرسين اثنين يحملون الجنسية الالمانية للعمل بصفة مدرسين لمواد الرياضيات وهندسة الآلات ومعلمين اثنين فرنسيين للعمل بصفة مدرسين لمدرسة الحقوق لمدة عمل ثلاث سنوات بمرتب اربعة الاف تومان سنوياً ، وخولت المادة الخامسة من نص القانون وزارة المعارف بتجديد عقد عملهم من عدمه^(٥١) ، وكان الهدف من وراء طرح هكذا مشاريع هو حاجة ايران الماسة لمثل هكذا تخصصات نادرة وبالتالي سوف ينعكس ايجاباً على توفير فرص عمل لخريجي تلك التخصصات وفتح مشاريع صناعية جديدة تنعش السوق أولاً وتقلل من حجم البطالة ثانياً ، وكالعادة كانت المعارضة بالمرصاد ، وكان على رأس المعارضين النائب فيروز ابادي الذي ابدى امتعاضه من كمية التخصيصات المالية وحجم المبالغ المخصصة كمرتبات ومصاريف للبعثة

غير ان اصوات المعارضة كما ذكرنا في السابق لم تؤخذ بعين الاعتبار ، وحال طرح القانون للتصويت تمت الموافقة على نصه بواقع ٦٦ صوت من اصل ٧٤ صوت كان حاضراً الجلسة^(٥٢) .

وفي سياق توظيف خبرات خريجي المدارس الايرانية في سوق العمل ، ناقش المجلس خلال جلسة يوم السابع عشر من نيسان عام ١٩٢٨م قانون من مادة واحدة مضمن باربع فقرات سمح لوزارة المعارف استخدام وتوظيف معلمين اثنين المانيي الجنسية متخصصين بأمر النجارة والحدادة للعمل في المدرسة الفنية الالمانية - الايرانية احدهما يوظف بصفة مديراً فنياً للمدرسة لمدة عمل ثلاث سنوات بمرتب الف واربعمئة تومان سنوياً مع اضافة مبلغ قدره ثلاثمئة تومان كمصاريف نقل وسفر^(٥٣) رحب اغلب نواب المجلس بنص القانون غير ان البعض طالب بتضمين فقرة تنص على الزام البعثة الاجنبية بتدريب الطلاب الايرانيين المتخرجين على ممارسة الاعمال الفنية كالنجارة والحدادة للاستفادة من خبراتهم في المستقبل عوضاً عن الاستعانة بالأجانب ، وبعد تدوين ملاحظات جميع النواب تم التصويت على نص القانون بواقع ٩٢ صوت من اصل ٩٧ صوت^(٥٤) .

واصل المجلس تقديم مشاريع التعاقد مع الخبراء الاجانب لتحديث المؤسسات التعليمية والتركيز على تخصصات علمية دون غيرها ، فخلال جلسة يوم التاسع والعشرين من نيسان عام ١٩٢٨م ناقش المجلس مقترح مقدم من قبل لجنة المعارف النيابية بإدخال تدريس مقررات ومناهج مستحدثة تتعلق بجغرافية وتاريخ ايران وتأسيس متاحف تعنى بالاهتمام بآثار ايران وتاريخها وقد قدمت بهذا الخصوص جملة مقترحات للاستعانة بخبرات اجانب متخصصين بهذه المجالات ، اذ شهدت الجلسة مناقشة قانون من ست مواد سمح للحكومة الايرانية الاستعانة بخبرات خبير فرنسي متخصص بعلم الآثار وادارة المتاحف لمدة عمل خمس سنوات من تاريخ امرار العقد داخل قبة المجلس الوطني بمرتب اثنا عشرة الف تومان سنوياً ، وحدد المجلس مهامه بالإضافة الى ادارة المتاحف مهمة التنقيب عن الآثار^(٥٥) ولم يواجه مشروع القانون اي معارضة تذكر او ابداء رأي او مقترح لذا تم التصويت عليه بأغلبية اصوات النواب^(٥٦) .

وفي السياق ذاته وخلال جلسة يوم الرابع والعشرين من ايار عام ١٩٢٨م اقر المجلس قانون من خمس مواد اتاح لوزارة المعارف استخدام البروفيسور الالماني ارنست هرتسفلد (Ernst Herzfeld) معلماً لمادة تاريخ ايران القديم والآثار والجغرافية التاريخية للتدريس في مدرسة دار الفنون^(٥٧) لمدة عمل ثلاث سنوات من تاريخ المصادقة على نص القانون داخل قبة المجلس بمرتب ستة الاف تومان سنوياً^(٥٨) ، وتم التوصيت على الصياغة النهائية لنص القانون بمعدل ٥٠ صوت من مجموع ٦٨ صوت كان حاضراً الجلسة^(٥٩) .

اولى المجلس الوطني التعليم الثانوي اهمية قصوى وقد قدم الشاه بخصوص تطوير واقع هذه المدارس مجموعة من المغريات من بينها الاعفاء عن الخدمة العسكرية لمن يرغب بمواصلة تعليمه الثانوي ، كما اوعز لوزارة المالية بزيادة المخصصات المالية لتحديث هذه المدارس، وبناءً على ذلك شرع المجلس جملة قرارات من شأنها تطوير عمل المدارس الثانوية في ايران . فخلال جلسة يوم الثالث من حزيران عام ١٩٢٨م وبناء على تقرير لجنة المعارف النيابية تمت مناقشة قانون من مادة واحدة نصت على اجازة وزارة المعارف باستقدام سبعة معلمين فرنسيين كموظفين لادارة المدارس الثانوية في العاصمة لمدة عمل ثلاث سنوات على ان لا تتجاوز مرتباتهم السنوية ٢٦ الف تومان^(٦٠) وقد جرى مناقشة نص القانون خلال الجلسة وابدى النائب سيد يعقوب انواري اضافة مقترح لنص القانون نص على تقسيم اختصاصات المعلمين وفقاً لحاجة المدارس الايرانية من التخصصات النادرة جاء كالاتي (اثنين متخصصين بمجال الطب ، واحد لمدرسة العلوم السياسية ، ومعلم لمادة الاقتصاد ، ومعلمين اثنين لمدرسة المعلمين ، واداري واحد) في حين عارض النائب بإمداد نص المقترح وقال في معرض حديث طويل جاء فيه ان كان ولا بد من استقدام موظفين اجانب للعمل في مدارسنا فالأجدر ان نختار تخصصات نادرة غير متوفرة داخل ملاكاتنا التعليمية والتربوية كعلم الرياضيات مثلاً وغيره من العلوم الاخرى ، غير انه في نهاية المطاف تم التصويت على نص القانون مع تضمين مقترحات بعض النواب بواقع ٥٧ صوت^(٦١) .

ان استمرار سياسة المجلس بالاستعانة بالموظفين المعلمين والمدرسين الاجانب جاء نتيجة لتردي اوضاع المعلمين الايرانيين ، فالكثير من ابناء هذه الشريحة لم تكن مرتباتهم تجري بصورة مستمرة وان حصلوا عليها كانت لا تكفي اجور نقل وسكن وملبس وضرائب ، لذا فقد ادت هذه الاوضاع الى ترك اعداد كبيرة منهم مهنة التدريس^(٦٢) . وليس هذا فحسب ، بل ان المستوى العلمي للكادر التعليمي للايرانيين كان متدني للغاية حتى بالنسبة للمتخصصين والاداريين ، وعليه شرعت الحكومة الايرانية بأعداد خطط لتدريب مهارات وقدرات الكوادر التعليمية عن طريق الاستعانة بالخبرات الاجنبية . فعلى سبيل المثال وخلال جلسة يوم الثاني عشر من اب عام ١٩٢٨م اقر المجلس قانون من مادة واحدة تتيح لوزارة المعارف استخدام ثمانية معلمين فرنسيين متخصصين بمجالات مختلفة لتدريب الكادر التربوي والخريجين الايرانيين واقامة ورش عمل ودورات تنموية في مجال التدريس والقاء المحاضرات وادارة الصف ، وقد الزم مجلس الشورى الوطني وفق القانون موضوع النقاش وزارة المعارف بترجمة جميع الدورات التي تلقيها البعثة الى اللغة الفارسية وتعميمها على جميع ادارات المدارس في عموم الولايات الايرانية ، وقد فصل القانون مدة عمل البعثة لثلاث سنوات بمرتب ٢٢ الف تومان سنوياً تضاف اليها مخصصات لم تحدد كمصاريف نقل وسكن^(٦٣) وحال طرح المشروع للمناقشة والتصويت ابدى اغلب نواب المجلس موافقتهم على مشروع القانون ومنهم النائب شيرواني والنائب احتشام زاده وقد شجعت تلك نائب وزير المعارف الذي ادلى بخطاب قال فيه ان المدارس في ايران بحاجة ماسة الى خبرات وتخصصات علمية نادرة من قبيل تخصص ادارة الصف واقامة الندوات التدريبية في مجال العلوم النفسية والتربوية وهي تخصصات غير متوفرة في ايران ، كما ان الخطط التربوية والتعليمية في المدارس الثانوية بحاجة الى تحديث وتطوير اسوة ببقية الدول الاوربية المتقدمة وعليه كان مشروع القانون المقدم سلفاً لرئاسة المجلس في محله ، وقد شغلت مناقشة نص القانون معظم اوقات الجلسة وفي ختامها تم التصديق على نص القانون بواقع ٥٨ صوت من اصل ٧٦ صوت^(٦٤) .

واصل المجلس رفد المؤسسات التعليمية الإيرانية بمختلف التخصصات العلمية النادرة وفسح المجال امام اكبر قدر ممكن من المتخصصين الاجانب لتحديث انظمة ومقررات ومناهج وزارة المعارف. فخلال جلسة يوم العاشر من اب عام ١٩٣٠م ناقش المجلس قانون مقدم من قبل لجنة المعارف النيابية نص على توظيف كل من الدكتور هنري اشترنك (Henry) ومسيو هونل (Honel) مدرسين المانيين متخصصين بعلم الرياضيات للتدريس في المدرسة الصناعية الحكومية والمدارس الثانوية في مركز العاصمة طهران لمدة ثلاث سنوات عمل قابلة للتمديد بمرتب اربعة الاف وثمانمائة تومان سنوياً^(٦٥) ويبدو ان مثل هكذا مشاريع ومقترحات كانت محل ترحاب من اغلب اعضاء المجلس ، اذ نال المقترح موافقة الاغلبية النيابية بما فيها نواب المعارضة وابدى النائب فيروز ابادي تأييده لمشروع القانون وشد على يد لجنة المعارف بتقديم مشاريع مشابهة سيما وان المشار اليهم في عقد التوظيف يحملون تخصص نادر او من بين التخصصات التي كانت ايران بحاجة اليها ، وقال "انا شخصياً ممتن من عمل جميع اولئك الاجانب الذين يحملون تخصصات غير تقليدية ... انا يوماً من الايام ذهبت الى المدرسة الصناعية الحكومية فرأيت بأمر عيني ما يقوم به المدرسون الاجانب من تلقاء انفسهم من عمل جيد يكافؤن عليه"^(٦٦) ، وحال تقديم نص المواد الخمس للقانون للتصويت حظيت بموافقة ٦٥ صوت من اصل ٨٥ صوت^(٦٧) .

كان من النتائج الفعلية لسياسة المجلس الوطني بخصوص تحديث المؤسسات التعليمية وتطوير مناهجها ان زادت نسب المتعلمين ١٢ مرة عما كان في السابق واصبح عديد المدارس حتى نهاية حكم رضا شاه عام ١٩٤١م ٢٣٣٠ مدرسة اضافة الى المدارس العالية والمعاهد وتطوير قطاع الكليات واضحت الفئات المتخرجة من تلك المدارس من بين ابرز النخب المثقفة التي كان لها وزن اجتماعي وسياسي في البلاد بفضل اطلاعها على مهارات تدريس حديثة ومتطورة مشابهة لمدارس اوربا الحديثة^(٦٨) .

ثانياً : الموظفين الاجانب في قطاع الصحة .

كان الواقع الصحي في ايران خلال العهد القاجاري متدهور للغاية ويعاني الكثير من المشكلات في مقدمتها الاهمال الحكومي ، وان تدني الواقع التعليمي كان قد ادى الى قلة الكوادر المتخصصة ، علاوة

على انعدام الثقافة الصحية كان من بين ابرز الاسباب التي ادت الى انتشار العديد من الامراض والالوبئة^(٦٩) . ولعل ابرز المراكز والمؤسسات الصحية التي شهدتها البلاد كان المستشفى الحكومي عام ١٨٥٠م التي كانت تحوي اربعمائة سرير^(٧٠) ، وكانت ابرز التطورات التي شهدتها ايران على مستوى الخدمات الصحية هو تشكيل مجلس الصحة العام عام ١٩٠٤م الذي حددت مهامه بأنشاء الحجر الصحي ومراقبة حالات انتشار الالوبئة والامراض التي كانت متفشية في ايران^(٧١) .

وعليه فقد اولى المجلس الوطني الايراني الامور الصحية وتطوير المؤسسات الصحية اهمية كبيرة ، ولعل من بين ابرز خطط المجلس كانت الاستعانة بخبرات الاجانب لتحديث هذا القطاع وتطويره ، ولا شك أن تأمين كوادر طبية من أهم المعوقات لأي محاولة لتحسين الجانب الصحي ومكافحة الأمراض وهو ما وقع على اكتاف المجلس الوطني .

فخلال جلسة يوم العشرين من كانون الثاني عام ١٩٢٧م اقر المجلس قانون توظيف الدكتور كراندل (Crandall) فرنسي الجنسية للعمل في معهد باستور الطبي وقد جاء مشروع القانون من ثلاث مواد نصت المادة الاولى السماح للحكومة الايرانية بالتعاقد مع الخبير الطبي الفرنسي للعمل بصفة مديراً فنياً وإدارياً للمعهد فيما حددت المادة الثانية من القانون مرتبه خمسة الاف تومان سنوياً لمدة عمل ثلاث سنوات^(٧٢) ، وكانت مثل هكذا مشاريع محل تشجيع وتقدير من قبل اعضاء المجلس ، وكانوا يبادرون الى تنمين مثل هكذا مقترحات وقوانين كانت ايران بأمس الحاجة اليها ، وقد أضيفت فقرة لنص القانون نصت على تكليف المومأ اليه بالإضافة الى عمله بمهام تدريب وتعليم الكوادر الطبية عن طريق اقامة الدورات وورش العمل والقاء المحاضرات على طلبة المدارس الطبية ، وحال طرح نص القانون للتصويت تمت الموافقة عليه بواقع ٨٣ صوت من مجموع ٩٩ صوت كان حاضراً وتمت اضافة ملاحظة لنص القانون وهي السماح لوزارة المالية بصرف مبلغ مقداره الف تومان كمصاريف سفر ونقل للخبير الفرنسي^(٧٣) .

لم تقتصر مواقف المجلس بتحديث وتطوير المؤسسات الصحية التي تعنى بالطب البشري فحسب ، بل كانت مسألة احتواء الامراض والافات الزراعية والحيوانية من بين اولويات عمل المجلس بهذا الخصوص

، ففي جلسة يوم الثالث عشر من شباط عام ١٩٢٧م اقر المجلس قانون سمح بموجبه التعاقد مع خبير امريكي لم يُسيمه للعمل في معهد مكافحة الافات الحيوانية^(٧٤) وقد جاء القانون من ست مواد نصت المادة الاولى منه على السماح لوزارة المالية بدفع مبلغ قدره ٥١٥٨٤ الف تومان لوزارة الفلاحة والتجارة كجزء من موازنة الوزارة الاخيرة لمعهد الافات الحيوانية ، فيما جاء في المادة الثانية الزام وزارة الفلاحة والتجارة بمكافحة جميع الافات التي كانت قد اصابته الثروة الحيوانية وتحسينها ومنع انتقال العدوى من مدينة لاخرى ، فيما سمحت المادة الثالثة باستقدام الخبير الامريكي وخصصت مهامه بأستخدام الامصال الناجحة بهذا الخصوص بمرتب ٦٥٠٠ تومان سنوياً^(٧٥) . وحال طرح نص القانون للمصادقة عليه ابدى عدد من النواب اعتراضهم على الية تطبيق قوانين التعاقد السابقة ، وكان على راس هؤلاء النواب النائب سيد يعقوب انواري الذي قال انه كان على اطلاع تام بعمل جميع الموظفين المتخصصين بالمجال الطبي الذين سبق وان عملوا في معهد مكافحة الافات الحيوانية وان بعضهم قام بعمل جيد يحسب له غير انهم لم يتلقوا جميع مرتباتهم بموجب عقد التعاقد ، وازاف ان على الدولة ان تدفع جميع مستحقات الموظفين السابقين بعد ذلك تتجه للاستعانة بخبراء جدد مما يؤثر على طبيعة عملهم ويجعلهم متهاونين في تنفيذ المهام المكلفين بها ، وقد رد النائب شيرواني عضو اللجنة المالية النيابية بأن الاطباء البيطريين الذين اشار اليهم النائب يعقوب انواري لم يرسلوا اية تقارير عن طبيعة عملهم ولم يطلعوا الجهات المعنية بما قاموا به من نشاطات وعليه تم الغاء نص التعاقد معهم ، ولم يطول الجدل والمناقشة بخصوص الموافقة على مشروع نص التعاقد لذا تم التصويت عليه باغلبية اصوات النواب بواقع ٨٣ صوت من مجموع ٩٨ صوت^(٧٦).

وفي السادس من تشرين الثاني عام ١٩٢٧م اقر المجلس وبإجماع اصوات النواب بناء على طلب وزارة المعارف قانون توظيف الخبير الفرنسي باباريان (Paparian) المتخصص بعلم الادوية للعمل في مدرسة الطب بالعاصمة طهران لمدة سنتين وتسعة اشهر من تاريخ المصادقة على القانون داخل قبة المجلس^(٧٧) حاول المجلس الوطني تحديث وتطوير عمل الدوائر الطبية في مختلف وزارات الدولة بما فيها الوزارات

الامنية وتشكيل هيئات طبية مستقلة تعنى بالواقع الصحي لمنتسبيها ، فعلى سبيل المثال وخلال جلسة يوم التاسع والعشرين من نيسان عام ١٩٢٨م وبناء على تقرير لجنة الشؤون الخارجية صوت المجلس على تمرير قانون من ثلاث مواد اتاح لوزارة الداخلية توظيف طبيب متخصص الماني او فرنسي كمستشار لقسم الصحة العامة ورئيساً لمستشفى طهران بمرتب اثنا عشرة الف تومان سنوياً^(٧٨) وقد ابدى النواب تجاه طرح مشروع القانون ارائهم وقدموا مقترحاتهم ، فالبعض كالنائب فيروز ابادي والنائب بامداد اقترح ان تحول هذه المبالغ لارسال بعثة طلابية ايرانية لدراسة الطب في الجامعات الاوربية ، في المقابل ابدى النائب سيد يعقوب انواري رأيه بالقول ان فرنسا او غيرها من الدول الاوربية كانت قد سبقت ايران باشواط في مجال المعرفة الطبية ولا يمكننا ان نقارن انفسنا بهم لذا فنحن بحاجة الى خبراتهم "نحن نفتقر الى التطور العلمي الذي هم يمتلكونه" وبنهاية التصويت حصل القانون على ٧٦ صوت من اصل ٩٨ صوت كان حاضراً الجلسة^(٧٩) .

في الخامس من حزيران عام ١٩٢٨م وبعد قراءة تقرير لجنة مجلس الصحة العام بخصوص توظيف الدكتورة بن (Been) ممرضة فرنسية متخصصة بأمراض النساء لمدة عام واحد بمرتب الف وثمانمائة تومان في السنة تكون تحت اشرافه^(٨٠) ، وكان القانون محل نقاش طويل من قبل ممثلي الشعب بين القبول التام والقبول المشروط ، اذ ابدى النائب فيروز ابادي اعتراضه على عقود عمل الاطباء الاخصائيين الاجانب السابقين والقى خطاب طويل امام نواب المجلس ذكر فيه ان الحكومة الايرانية على مدى العقود السابقة كانت قد استقدمت الكثير من الخبراء والمتخصصين الاطباء الاجانب ولم تسجل بحسب قوله اي مؤشرات ايجابية على تطوير اي من قطاعات الصحة التي بقيت على حالها ، ويبدو ان محل اعتراضه لم يكن بخصوص سياسة استخدام خبراء الصحة بل انه استشكل على الالية التي بموجبها يتم تمرير مثل هكذا قوانين وطبيعة عمل هؤلاء الموظفين ما دامت المؤسسات الصحية لم تشهد اي تحسن في اداء عملها ونوعية الخدمات الطبية المقدمة للمواطن ، في المقابل عارض النائب بامداد ما جاء بخطاب فيروز ابادي وقال ان البلاد والمراكز الصحية في ايران بحاجة الى خبرات اجنبية سيما

بعض التخصصات التي تُعنى بتطبيب النساء نظراً لطبيعة المجتمع الإيراني وعاداته الصارمة التي تحرم الى حد ما امتهان الرجال لطب النساء ، علاوة على ندرة وجود نساء متخصصات بهذا مجال مهم وحيوي ، و اضاف وكلامه موجه لفيروز ابادي ولجملة النواب المعارضين "انا اتحدى اي منكم ان يسمي لي مستشفى او مركز صحي تعمل فيه امرأة متخصصة"^(٨١) وكان خطاب بامداد بمثابة قوة اقناع لكثير من النواب وعليه تم التصويت بواقع ٦٠ صوت من اصل ٧٨ صوت^(٨٢) .

وانسجاماً مع توجهات الشاه بتحديث المؤسسة العسكرية وتلبية جميع متطلبات الدعم اللوجستي لها ، جرت خلال جلسة يوم الثالث من كانون الثاني عام ١٩٢٩م مناقشة تقرير رئيس مجلس الصحة العام الدكتور سعيد خان بخصوص اقامة دورات وندوات لتطوير المهارات الطبية لبعض الاطباء التابعين للجيش ، وقال ان مشروع تنمية وتطوير مهارات الكوادر الطبية قد تم التصويت عليه مسبقاً وانه بصدد عرض لائحة قانون لتوظيف طبيب فرنسي لالقاء دورات وندوات و ورش عمل في مجال الطبابة^(٨٣) وعليه اقر المجلس قانون من مادة واحدة نصت على السماح لوزارة الحربية بتوظيف طبيب فرنسي الجنسية بمرتب الف واربعمئة تومان لمدة عمل ثلاث سنوات مع صرف مخصصات مائتان وخمسون تومان كمصاريف نقل وسفر وسكن^(٨٤) وقد نال مشروع القانون ثقة وموافقة اغلب اعضاء المجلس تقريباً واشاد الكثير منهم بما قدمه رئيس مجلس الصحة العامة ، اذ ادلى النائب محمد علي كازروني خطاباً اثنى فيه على جهود الحكومة الإيرانية التي تحاول ان "تحمي حدودنا ومياهنا الاقليمية وتحافظ على مصالح شعبها" ، و اضاف "كنا في الماضي لا يحق لنا المطالبة بحقوقنا في خليجنا الفارسي اما في الوقت الحالي فنحن ندير انفسنا بأنفسنا ان المطالبة بالحقوق تحتاج الى جهود و وسائل للحفاظ على تلك الحقوق"^(٨٥) وبالفعل تم التصويت على مشروع القانون بأغلبية اصوات النواب^(٨٦) .

كانت المواقف الايجابية والتشجيع الذي حظيت به قوانين استخدام ممرضين واطباء اجانب من قبل النواب خلال الجلسات السابقة حافزاً لرئاسة المجلس الوطني لتقديم مشاريع مماثلة ، فخلال جلسة يوم السادس والعشرين من كانون الاول عام ١٩٢٩م ، ناقش المجلس ما ورد بتقرير مجلس الصحة العامة ذو الرقم

(٦٥٩٤) بخصوص استخدام الدكتور ملجارسكي (Maljarski) بولندي الجنسية مديراً فنياً ومعلماً لمادة طب الاسنان في مدرسة الطب بالعاصمة طهران لمدة عمل ثلاث سنوات بمرتب ثلاثة الاف وستمائة تومان سنوياً^(٨٧) وقد اثنى اغلب نواب المجلس على نص المقترح ومنهم النائب يعقوب انواري الذي قال ان البلاد بحاجة الى طبيب متخصص بطب الاسنان فبحسب كلامه "الكثير من الناس يعانون من امراض في اللثة وانتشرت في الالونة الاخيرة امراض الفم نتيجة كثرة تعاطي الدخان والتبناك"^(٨٨) غير ان كثرة المداخلات والمقترحات اضطرت رئاسة المجلس الى تأجيل قراءة نص القانون والبت فيه الى الجلسات اللاحقة^(٨٩).

وبالرغم من قلة المشاريع والقوانين التي نوقشت داخل قبة المجلس بخصوص تطوير الواقع الصحي في البلاد غير انها ساهمت الى حد ما في بتهيئة وسائل صحية و وفرت كوادر طبية متخصصة ومع ذلك فقد ادخلت بعض الانظمة الصحية الحديثة و وصل عديد المؤسسات الصحية نهاية حكم رضا شاه الى ١٥٠ مستشفى ومركز و وحدة صحية^(٩٠).

المبحث الثالث: المستشارون الاجانب في قطاعات الخدمات العامة وقطاع الجيش:

تعد الخدمات العامة ، الخدمات التي تلامس حياة المواطن وتلبية حاجياته الضرورية اليومية من بين ابرز الامور والقضايا التي اولاهها المجلس الوطني جانباً من الاهمية ، اذ كان المجتمع الايراني يفتقر الى ابسط مقومات تلك الخدمات بالرغم من التخصيصات المالية التي كانت قد خصصت لرغد مثل هكذا مشاريع ، ولكن على ما يبدو كان العائق الاكبر كان يكمن في العقول التي كانت تدير هذه المشاريع وطرق التعامل مع الازمات الطارئة .

كان قطاع النقل والمواصلات من الميادين التي وجه الشاه نظره صوب تطويره ، بسبب رغبته بفرض سيطرته على جميع اجزاء البلاد ، وهذا الامر لم يتم الا بعد القيام بمد شبكة واسعة من طرق المواصلات الحديثة التي تربط جميع اجزاء البلاد مع بعضها الاخر ، وقد ساهم مجلس الشورى الوطني بتسهيل مهمة الشاه من خلال طرح ومناقشة جملة من القوانين والتشريعات التي ساهمت الى حد كبير في تحديث

منظومة الخدمات العامة ومنها خدمات قطاع السكك الحديدية . فخلال جلسة يوم السادس عشر من تشرين الثاني عام ١٩٢٦م شرع المجلس قراءة قانون توظيف احد عشر مهندساً امريكياً متخصصاً بأشياء السكك الحديدية وقد جاء مشروع القانون من اربع مواد ، نصت مادته الاولى على السماح لوزارة الاشغال العامة باستقدام احد عشر مهندساً امريكياً وحددت المادة الثانية مجموع مرتباتهم بخمسين الف تومان^(٩١) ، وحال طرح مشروع القانون تمت المصادقة عليه باجماع النواب^(٩٢) .

اسوة بقطاع المواصلات ، تعد مشاريع تحديث قطاع البريد والتلكراف من بين المسائل التي اولى المجلس والحكومة الايرانية اهتمام واضح في تطوير مؤسساتها ودوائرها ، ففي الثامن والعشرين من حزيران عام ١٩٢٧م اقر المجلس قانون من ثلاث مواد اتاح للحكومة الايرانية استقدام ثلاثة مهندسين فرنسيين في مجال التلكراف اللاسلكي ، وقد حددت المادة الاولى من القانون مدة عملهم بعامين فقط قابلة للتجديد اذا لزم الامر بمرتبات لا تتجاوز سبعة الاف وخمسمائة تومان خلال العامين مع اضافة مبلغ الف وثمانمائة تومان كمصاريف نقل وسفر ، فيما خولت وزارة البريد والتلكراف الاشراف على تنفيذ نص القانون^(٩٣) .

واصل المجلس مناقشة تشريعات وقوانين تحديث شبكة النقل والمواصلات في البلاد وخلال جلسة يوم الثالث من اب عام ١٩٢٧م اقر المجلس قانون من تسع مواد يتيح للحكومة الايرانية توظيف اربعة وثلاثين مهندساً متخصصاً بالسكك الحديدية لمدة عامين فصلت جنسياتهم وطبيعة عملهم ومرتباتهم المادة الاولى :

- ١- تسعة اشخاص امريكيين الجنسية للعمل بصفة مساحين بمرتب اثنان وثلاثين الف دولار سنوياً
- ٢- مهندس سكك حديد امريكي الجنسية بصفة نائب مدير الادارة المركزية للسكك الحديدية الايرانية براتب سنوي ٧٥٠٠ دولار سنوياً .
- ٣- مهندس سكك حديد امريكي الجنسية براتب ٧٥٠٠ دولار سنوياً .
- ٤- مهندس ومصمم جسور الماني الجنسية براتب قدره خمسة الاف تومان سنوياً .

٥- ستة مهندسين متخصصين بالسكك الحديدية من سويسرا بمرتب سنوي مقداره اربعة وعشرين لاف تومان .

٦- مهندس بلجيكي مسؤول عن الخطط الفنية براتب سنوي مقداره ثلاثة الاف تومان .

٧- ثلاثة مهندسين المان وهولنديين براتب سنوي مقداره ١٢٤٠٠ تومان .

٨- اثنا عشر مدرباً من المانيا وسويسرا والولايات المتحدة وفرنسا وايطاليا براتب سنوي مقداره اربعين لاف تومان . وقد اضيفت ملاحظة بنص المادة الاولى نصت على ان جميع هؤلاء المهندسين سيتم تحديد طبيعة عملهم بعد الاطلاع على سيرهم العلمية والعملية ، فيما فصلت بقية مواد القانون طرق تعامل الحكومة الايرانية مع المهندسين وكيفية الاستفادة من خبراتهم^(٩٤)

وحال طرح نص القانون للتصويت داخل قبة المجلس الوطني جرت مناقشات وقدمت مقترحات لتعديل بعض مواد القانون سيما تحديد هوية هؤلاء الموظفين وخبراتهم وطالب بعض النواب ضرورة الاطلاع الكامل على ملفاتهم وسيرهم الذاتية^(٩٥)، وتم في نهاية المطاف التصويت على نص القانون وتخويل وزارة البريد والتلكراف بتنفيذ نص القانون^(٩٦) .

كان من بين المشكلات المالية التي ورثتها ايران من العهود السابقة هي مسألة تنظيم عمل ادارة الكمارك العامة من حيث الهيكلية الادارية ومهام موظفي الكمارك وطبيعة عملهم ومعاينة الكثير منهم ممن استغل منصبه للإثراء على حساب المال العام ولطالما كانت ترد الكثير من الشكاوي من قبل التجار وارباب العمل مطالبة وزارة المالية بالإشراف المباشر على عمل الدوائر الكمركية^(٩٧) . فبناءً على طلب مقدم من وزارة الاشغال العامة بخصوص الاستعانة بخبرات اجانب لإدارة الكمارك العامة لإيران اقر المجلس خلال جلسة يوم الثالث عشر من اذار عام ١٩٢٨م قانون من اربع مواد يتيح لوزارة الاشغال العامة استقدام احد عشر مهندساً بلجيكياً لإدارة الكمارك العامة لمدة عمل ثلاث سنوات من تاريخ التصويت عليه داخل قبة المجلس الوطني براتب اربعة الاف تومان سنوياً للشخص الواحد ، كما سمح المجلس بتخصيص مبلغ ٦٦ الف تومان كمصاريف نقل وسفر وتنقل ومسكن للبعثة البلجيكية^(٩٨) . واجه نص قانون ومقترح وزارة

الاشغال العامة بخصوص توظيف الخبرات الاجنبية معارضة من قبل بعض نواب المجلس وكان على رأس من ادلى برأيه النائب ياسائي الذي وجه سؤاله لاعضاء اللجنة المالية ولرئاسة المجلس واعضاء لجنة الاشغال العامة بالقول "انا لست ضد استخدام الخبرات الاجنبية للبلد وتطوير قطاعاتها لكنني اتساءل متى نستغني عن خدمات اولئك الاجانب ...". واضاف "كان البلجيكي يعملون لدينا في السنوات السابقة وقد قدموا عمل جيد يحسب لهم ونحن ممتنون منهم ولكن في النهاية الم تجد الحكومة الايرانية شخص ايراني يستطيع التعامل مع ادارة الجمارك ؟ نعم انا اواقف على توظيف الاجانب ولكن الى متى يتم التعامل معهم ...".^(٩٩) وفي معرض رده قال رئيس المجلس ان مطلب النائب ياسائي هو مطلبنا جميعاً وعلينا ان نكون حريصين في تقليل اعتمادنا على الاجانب في ادارة شؤوننا وان الحكومة تعمل على تكريس مشاريع احتواء الخبرات المحلية ، لكنه استطرد بالقول ان تاريخ عمل البلجيكي في ايران تاريخ حافل بالعمل الجيد والمشرف وهؤلاء الخبراء ما هم الا جزء من الذين سبقوهم في خدمة قطاع الجمارك العامة لايران ، وبعد مناقشات محمومة بين نواب المعارضة واعضاء اللجان النيابية تم التصويت على نص القانون وتمت الموافقة على استخدام البعثة البلجيكية للعمل في ايران بواقع ٧٩ صوت من اصل ١٠٤ نائب كانوا حاضرين الجلسة^(١٠٠) .

واستمراراً لتنفيذ سياسة الشاه بتحديث قطاع الجيش وقوى الامن الداخلي واهتمامه المتزايد بهذه المؤسسة وبناءً على تقرير رئاسة المجلس الوطني بخصوص شراء سفن حربية للعمل في شواطئ الخليج العربي خلال جلسة يوم العشرين من اذار عام ١٩٢٨م والذي جاء في مقدمته "ان حماية سواحل الخليج العربي التي تطل عليه ايران هي من واجبات الحكومة الايرانية وايلاء الاهتمام بها اصبح الشغل الشاغل للمملكة الايرانية ، وبالنظر الى ان عديد البضائع والسفن المهربة تزداد يوماً بعد يوم لذا فان المديرية العامة للجمارك غير قادرة تماماً على وضع حد لظاهرة التهريب هذه وبالنظر الى ان الحكومة الايرانية ليس لديها ما يكفي من المتخصصين والمهندسين في مجال ادامة وصيانة السفن البحرية كما انه لا تمتلك الوقت الكافي لإرسال خبراء ايرانيين لغرض تلقي التدريب الكافي الى اوروبا لذا اصبح من الضروري الاستعانة

بـخبرات الاجانب في هذا المجال^(١٠١) وعليه ناقش المجلس قانون صيغ من ثلاث مواد سمح بموجبه توظيف مهندس ايطالي الجنسية متخصص بشؤون اصلاح السفن البحرية ونصت المادة الاولى من نص القانون تخصيص مبلغ وقدره مائتي الف تومان لغرض شراء سفينة عسكرية لحماية شواطئ ايران المطلّة على الخليج العربي واصلاح السفن التي كانت تمتلكها القوات العسكرية الايرانية ، وحددت المادة الثانية مدة عمله بثلاث سنوات بمرتّب سنوي بلغ بمائة وخمسين الف تومان مع تخصيص مبلغ مالي لم يحدده القانون كمصاريف نقل وسكن واعطت المادة الثالثة صلاحية الاشراف على تنفيذ نص القانون لوزارة المالية والحربية^(١٠٢) . قدمت مقترحات من اجل تعزيز قيمة تنفيذ القانون المذكور من قبل عدد من نواب المجلس واستفهم الكثير منهم عما اذا كان الغرض من تشريعه هو وضع حد لتهريب البضائع ام لأسباب اخرى ، في حين طالب النائب استرابادي ان تهتم رئاسة المجلس والسلطة التنفيذية بالمنافذ البحرية الاخرى اسوة بمنافذ الخليج كمنفذ بحر قزوين^(١٠٣) وقال الاسترابادي في معرض مناقشته لنص القانون ان منفذ بحر قزوين مهم حاله حال منفذ شواطئ الخليج العربي ولطالما كانت ايران تعدّه المنفذ الاهم وكمرر مائي دولي استخدم على مر العصور لتصدير البضائع او الاتصال مع العالم الخارجي واقترح اضافة فقرة لنص القانون تُلزم الحكومة الايرانية انعاش الواقع الملاحي في بحر قزوين اسوة بشواطئ الخليج العربي ، في حين طالب النائب فيروز ابادي ببيان مصير عديد السفن التي تم شراؤها في السنوات السابقة وقال ان سياسة شراء سفن جديدة واهمال السفن القديمة سوف يضع البلاد على حافة الافلاس خلال السنوات القادمة اذا استمرت الدولة في سياستها هذه ، اما النائب اقاوي موقر فقد كان محل اعتراضه ان ايران تمتلك خبرات ملاحية وبحرية على امتداد تاريخها الطويل سيما في مياه الخليج واضاف انه بالإمكان الاستعانة بخبرات البلد المحلية عوضاً عن الاستعانة بالأجانب ، وفي نهاية المطاف تم التصويت على نص القانون مع الاخذ بمقترحات النواب بواقع ٧٦ صوت من اصل ٨٨ صوت^(١٠٤) .

وبسبب رغبة الشاه في التوسع في تطوير شبكة الطرق والمواصلات سيما السكك الحديدية واصل المجلس سياسته بالتعاقد مع مجموعة من الخبراء الاجانب في هذا المجال وظهرت مشاريع انمائية يقودها

اشخاص محسوبين على الحكومة والبلاط الملكي كانت مهمتهم الاستئراء على حساب الدولة حتى اصبحوا جزءاً مهماً من الطبقة البرجوازية وكانوا يدفعون باتجاه تنفيذ مشاريع توظيف الاجانب داخل المجلس الوطني وخارجه . فبناء على مقترح لجنة الموازنة النيابية واستناداً الى تقرير وزارة الاشغال العامة الخاص بتوظيف خبيراً اجنبياً في دائرة السكك الحديدية ، ناقش المجلس خلال جلسة يوم السادس عشر من ايار عام ١٩٢٩م قانون استخدام المهندس الامريكي مستر كارول (Carroll) لمدة عام واحد مستشاراً في معهد الاشراف الهندسي التابع لادارة السكك الحديدية بمرتب اثنا عشرة الف تومان^(١٠٥) وخلال مناقشة نص المقترح قدم بعض النواب ومنهم النائب طاهري طلباً لرئاسة المجلس حول بيان اهم المشاريع والمؤسسات التي سيشرف عليها الخبير الامريكي او التي سيقوم بتنفيذ خططها وطالب وزارة الاشغال ببيان ذلك عبر اعداد دراسة شاملة تقدم الى المجلس الوطني كي يصوت اعضائه على مقترح الوزارة وبيان مدى حاجة ادارة السكك الحديدية الى خبراء اجانب من عدمه ، في حين استغرب النائب ياسائي من الاستعانة بخبراء اجانب للإشراف على مؤسسات هي اصلاً غير مؤهلة وغير متكاملة كمعهد الاشراف الهندسي انف الذكر ، فيما اقترح النائب سيد يعقوب انواري بحذف نص القانون من جدول اعمال الجلسة وتأجيل البت فيه لحين استكمال المعلومات الكاملة التي طالب بها النواب ، غير ان جميع اصوات المعارضة او اصوات النواب التي قدمت مقترحات بخصوص تعديل نصوص مادة القانون لم تؤخذ على محمل الجد وهنا كان للطبقة المنتفعة من تمرير مثل هكذا مشاريع دور كبير وتم التصويت على نص المقترح بواقع ٧١ صوت من اصل ٩٥ صوت^(١٠٦) .

وبناء على مقترح لجنة الموازنة النيابية ذو الرقم (١٦٧٠٥) واستناداً الى تقرير لجنة الخدمات النيابية ، ناقش المجلس خلال جلسة يوم التاسع والعشرين من ايلول عام ١٩٢٩م مقترح تجديد عقد الموظف المهندس الفرنسي موريس بروسيه (Maurice Prusset) للعمل في مصلحة التلغراف اللاسلكي لمدة عامين بمرتب ٤٢٠٠ تومان سنوياً ، وهو من بين المهندسين الذين تم تعيينهم منذ عام ١٩٢٧م^(١٠٧) وقد ناقش المجلس نص المقترح وابدى جميع النواب تقريباً موافقتهم على نص المقترح ومنهم النائب المعارض

فيروز ابادي الذي اعرب عن ترحيبه بل انه طالب بتجديد عقد الخبراء الفرنسيين في المجالات اللاسلكية اكثر من عامين و اضاف "ان ايران بحاجة ماسة الى تعلم مهارات جديدة غير تقليدية" في حين طالب النائب يعقوب انواري باستغلاله مدة العقد الجديد والزام الموظف الفرنسي بألقاء دورات ومحاضرات بشؤون بشؤون البريد والتلكراف على طلبة المعاهد والمدارس الثانوية ، وقد اغلب النواب مقترح النائب انواري وطالبوا بتثبيت نص الملاحظة بعقد الاستقدام وتم التصويت على نص القانون بصيغته النهائية بواقع ٨٥ صوت من اصل ٩٥ صوت^(١٠٨) .

ونظراً لأهمية قطاع النقل والمواصلات ولرغبة الشاه بتحديث جميع الاقسام والهيئات التابعة لوزارة النقل ، اولى المجلس الوطني اهمية واضحة بتقديم مشاريع استعانة بخبرات موظفين اجانب متخصصين بهذا القطاع . فخلال جلسة يوم الثاني والعشرين من تموز عام ١٩٣٠م ، ناقش المجلس مقترح وزارة النقل والمواصلات القاضي بتوظيف المهندس البلجيكي وان درهولست (Wayne Drolhost) لإدارة السكك الحديدية لمدة ستة اشهر من تاريخ المصادقة على نص القانون داخل المجلس الوطني ، وقد تم صياغة مشروع القانون الذي جاء من ثلاث مواد بمرتب الف واربعمئة تومان^(١٠٩) وتم تمرير العقد بواقع ٨٠ صوت من اصل ٩٧ صوت^(١١٠) ، كما شهدت جلسة يوم الثلاثين من ايلول عام ١٩٣٠م مناقشة مقترح وزارة الاشغال العامة بناء على طلب ودراسة وزارة الطرق والنقل قانون لتوظيف المهندس الياباني سوزوكي (Suzuki) كمهندس فني في ادارة السكك الحديدية لمدة ستة اشهر بمرتب ١٤٠ ليرة انكليزية شهرياً علاوة على مصاريف النقل والسفر والسكن والبالغة مائة وخمسين تومان شهرياً^(١١١) وتم التصويت عليه بواقع ٥٦ من اصل ٨٠ صوت^(١١٢) .

حظيت قطاعات الخدمات العامة بأهمية كبرى لدى ممثلي الشعب وكان في مخيلة اعضاء المجلس الوطني تطبيق جميع تعليمات الشاه بهذا الخصوص بما فيها قضية اسناد ادارة بعض مؤسسات الخدمات العامة للخبراء الاجانب ، لذا نجد ان هنالك رغبة واضحة بل واستماتة من قبل عدد كبير من اعضاء المجلس في تمرير مثل هكذا مشروعات والتصويت عليها .

الخاتمة:

ان سياسة الاستعانة بالموظفين الاجانب والاستفادة من خبراتهم كانت قد استشرت في ايران على طول تاريخه الحديث والمعاصر وان الاطلاع على محاضر مجلس الشورى الوطني خلال الدورتين التشريعيتين السادسة والسابعة اكدت تأصيل هذه الظاهرة وتلازمها لعمل المجلس .

تعد مسألة انتقاء الموظفين الاجانب ومنحهم ثقة المجلس للعمل في قطاعات ومؤسسات الدولة في ايران من بين ابرز المسائل المعقدة والاكثر تأثيرا في القطاعات المختلفة ، ففي ايران جرت العادة ان يكون لكل وزارة او قطاع حيوي مجموعة من الموظفين الاجانب سيما في القطاعات التي عكف الشاه على تحديث اسسها ومؤسساتها كقطاع التعليم والصحة والقطاع المالي ومجموع القطاعات التي تُعنى بواقع الخدمات العامة . مع الاعتراف بأن لهذه البعثات دور مهم كلاً حسب تخصصه وخبرته في مجال تخصصه الا انه وبحسب ما طالعتنا محاضر المجلس الوطني بات الكثير من هذه البعثات تشكل عبئاً ثقيلاً على موازنة الدولة العامة أولاً وعلى الهيكلية الادارية والتنظيمية للمؤسسة التي عملت بها ، فبات الترهل الوظيفي صفة لازمت ايران ابان تلك المدة الزمنية ، ثم لا بد من التساؤل ما مدى الفائدة التي حققها هؤلاء الموظفين في مقابل ما كانوا يتمتعون به من امتيازات واستثناءات كالمرتبات العالية وهذا ما لمسناه من ثنايا مناقشات اعضاء المجلس ، نعم كانت ايران بحاجة ماسة الى خبراتهم ومؤهلاتهم العلمية من النواحي الادارية والقانونية وفي كثير من الاحيان تظهر مسائل عاجلة يحتاج فيها المسؤول الى خبير يحمل في جعبته خبرات لم تعدها ايران في مجال التعليم والمال والخدمات بل في جميع قطاعات الحياة ، سيما اذا ما علمنا ان ايران خلال تلك المدة كانت تفتقر الى مثل هذه الخبرات ، لذا تولدت قناعة لدى المجلس الوطني بضرورة تطوير تلك القطاعات عبر استخدام الاجانب والاستفادة من خبراتهم وفق ما هو معمول به في الدول الاوربية وهو ما كان يتوافق مع رؤى وتطلعات رضا شاه بهلوي .

هوامش البحث:

- (١) للتفاصيل ينظر : دفتر مطالعات بنيادين حكومتي ، اشنايي با تاريخ مجالس قانونكذاري در ايران ، دوره اول تا دوره شانزدهم (١٢٨٥ - ١٣٢٨ش) ، (تهران : مركز بزوهشهاي مجلس شوري اسلامي ، بي تا) ، ص ١٢ - ١٨ ؛ عطاء الله فرهنگ قهرماني ، اسامي نمايندگان مجلس شوري ملي از اغاز مشروطيت تا دوره ٢٤ قانونگزارى ونمايندگان مجلس سنا درهفت دور تفنييه ، (تهران : بي جا ، بي تا) ، ص ٣- ١٠ .
- (٢) رضا شاه بهلوي (١٨٧٨ - ١٩٤٤م) : ولد في مازندران يوم السادس عشر من اذار من عائلة تمتهن العمل العسكري ، توفي والده ولديه من العمر ثمانية اشهر فانقلبت به والدته الى العاصمة طهران حيث اخواله ، دخل فرقة القوزاق وهو في الخامسة عشر من العمر ، وتدرج في سلم المناصب العسكرية الى ان اصبح قائداً لهذه الفرقة ، قاد عام ١٩٢١م انقلاباً عسكرياً بعدها تولى حكم البلاد وخلع الاسرة القاجارية ، ازيح عن دست الحكم بعد دخول قوات الحلفاء ايران عام ١٩٤١م ونفي الى عاصمة جنوب افريقيا وتوفي هناك . للتفاصيل اكثر ينظر : حازم عبد الغفور خماس الدليمي ، سقوط النظام الملكي في ايران واثره على الامن القومي العربي ، اطروحة دكتوراه ، (الجامعة المستنصرية : المعهد العالي للدراسات الدولية ، ٢٠٠٥م) ، ص ٧ .
- (٣) للتفاصيل عن اصلاحات رضا شاه بهلوي العسكرية ينظر : جهاد صالح العمر واسعد محمد زيدان الجواري ، ايران في عهد رضا شاه بهلوي ١٩٢٥ - ١٩٤١م ، (جامعة البصرة : مركز الدراسات الايرانية ، ١٩٩٠م) ، ص ٢١ - ٢٣ .
- (٤) للتفاصيل ينظر : عبد الهادي كريم سلمان ، ايران في سنوات الحرب العالمية الثانية ، (جامعة البصرة : مركز دراسات الخليج العربي ، ١٠٨٦م) ، ص ٢٢ .
- (٥) اعلن المجلس خلال جلسة يوم الثالث عشر من كانون الاول عام ١٩٠٦م عن تاسيس البنك الوطني الايراني وجاء في البيان ان هدف المصرف هو تجاوز ظاهرة استقراض المملكة الايرانية . للتفاصيل حول موقف المجلس بخصوص مناقشة الواقع الاقتصادي ينظر : مشروح مذاكرات مجلس شوي ملي ايران ، دوره اول ، جلسته ١٨٢ ، ٨ ايان ١٢٨٦ش ؛ جلسته ١٣ ، ٢١ اذر ١٢٨٥ش ؛ جلسته ١٤ ، ٢٣ اذار ١٢٨٥ش ؛ جلسته ١٥٤ ، ٢١ شهريور ١٢٨٦ش ؛ جلسته ٢٣٩ ، ٢ اسفند ١٢٨٦ش .
- (٦) انظر نص القانون : مجلس شوري ملي ايران ، مجموعه قوانين شمين قانونكذاري ، ص ٣٥٣ - ٣٥٤ .
- (٧) للتفاصيل ينظر : مشروح مذاكرات مجلس شوري ملي ، دوره ششم ، جلسته ١٦٣ ، ١١ ايان ١٣٠٦ش ، ص ٢٦٤٩ - ٢٦٥١ .

- (٨) انظر نص القانون : مجلس شورى ملي ايران ، مجموعه قوانين ششمين قانونكذاري ، اداره كل قوانين ، ص ٣٥٥ - ٣٦١.
- (٩) للتفاصيل ينظر : مشروح مذاكرات مجلس شورى ملي ، دوره ششم ، جلسه ٢١١ ، ٢٦ بهمن ١٣٠٦ ش ، ص ٣٦٣٧ - ٣٦٣٩ .
- (١٠) همان منبع ، ص ٣٦٤٠ - ٣٦٤٨ .
- (١١) انظر نص القانون : مجلس شورى ملي ، مجموعه قوانين موضوعه مصوبه دوره هفتم قانونكذاري ١٤ مهر ماه ١٣٠٧ - ١٤ ابان ١٣٠٩ ش ، اداره كل قوانين ، جاب دوم ، ص ٤١٣ .
- (١٢) للتفاصيل ينظر : مشروح مذاكرات مجلس شورى ملي ، دوره هفتم ، جلسه ٢٣ ، ٤ بهمن ١٣٠٧ ش ، ص ٣٥٧ - ٣٥٩ .
- (١٣) انظر نص القانون : مجلس شورى ملي ، مجموعه قوانين موضوعه مصوبه دوره هفتم قانونكذاري ، منبع قبلي ، ص ٤٣٢ - ٤٣٣ .
- (١٤) بلغ عديد المستشارين الالمان العاملين في ايران منتصف عام ١٩٤٠م ما يقارب ٩٠٠ الماني . للتفاصيل ينظر : خضير مظلوم فرحان البديري ، ايران تقاوم الصراع الدولي واثره في سقوط رضا شاه وعقد مؤتمر طهران ١٩٤١ - ١٩٤٣م ، (النجف الاشرف : دار الضياء للطباعة ، ٢٠٠٧م) ، ص ٦٨ - ٧٦ .
- (١٥) محمد تدين (١٨٨١ - ١٩٥١م) : احد ابرز سياسيي ايران برز دوره ابان احداث الحركة الدتورية الايرانية ، واحد مؤسسي الحزب الديمقراطي ويعد عالماً في مجال علم اللاهوت والفلسفة والادب العربي ، كان تدين احد ابرز انصار رضا شاه بهلوي وزعيم حزب تجدد ، عمل تدريسياً في كلية الاداب بجامعة طهران ثم اصبح رئيساً للجامعة ، توفي يوم السادس عشر من تشرين الثاني . للمزيد عنه ينظر : خضير مظلوم موسوعة الشخصيات الايرانية في العهدين القاجاري والبهلوي ، (بيروت : دار العارف للطباعة ، ٢٠١٥م) ، ص ٤٤٦٧ - ٤٧٠ .
- (١٦) للتفاصيل ينظر : مشروح مذاكرات مجلس شورى ملي ، دوره هفتم ، جلسه ٧٦ ، ١٦ ابان ١٣٠٨ ش ، ص ١١٤٤ - ١١٤٥ .
- (١٧) للتفاصيل ينظر : همان منبع ، ص ١١٤٦ - ١١٤٩ .
- (١٨) مشروح مذاكرات مجلس شورى ملي ، دوره ششم ، جلسه ٢٧ ، ١٥ ابان ١٣٠٥ ش ، ص ٣٣٠ .
- (١٩) للتفاصيل ينظر : همان منبع ، ص ٣٣١ - ٣٣٢ .

- (٢٠) انظر نص القانون : مجلس شورى ملي ايران ، مجموعه قوانين ششمين قانونكذاري ، ص ٣٥٢ - ٣٥٣ .
- (٢١) للتفاصيل ينظر : مشروح مذاكرات مجلس شورى ملي ، دوره ششم ، جلسه ١٦٠ ، ٢ ابان ١٣٠٦ ش ، ص ٢٦٠٥ - ٢٦٠٧ .
- (٢٢) انظر نص القانون : مجلس شورى ملي ايران ، مجموعه قوانين ششمين قانونكذاري ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥ .
- (٢٣) انظر نص القانون : مشروح مذاكرات مجلس شورى ملي ، دوره ششم ، جلسه ١٨٧ ، ١٠ دي ١٣٠٦ ش ، ص ٣٠٦٣ .
- (٢٤) للتفاصيل ينظر : همان منبع ، ص ٣٠٦٤ - ٣٠٦٥ .
- (٢٥) انظر نص القانون : مجلس شورى ملي ايران ، مجموعه قوانين ششمين قانونكذاري ، منبع قبلي ، ص ٣٧٠ - ٣٧١ .
- (٢٦) مشروح مذاكرات مجلس شورى ملي ، دوره ششم ، جلسه ٢٥٨ ، ٣ تير ١٣٠٧ ش ، ص ٤٦٧٥ .
- (٢٧) همان منبع ، ص ٤٦٧٦ - ٤٦٧٨ .
- (٢٨) انظر نص القانون : مجلس شورى ملي ، مجموعه قوانين مصوبه قانونكذاري دروه هفتم ، منبع قبلي ، ص ٤٣٤
- (٢٩) وقد تم تجديد عقده مرة اخرى لمدة شهر ونصف خلال جلسة يوم الخامس من ايار عام ١٩٢٩ م . للتفاصيل ينظر : مشروح مذاكرات مجلس شورى ملي ، دوره هفتم ، جلسه ٢٣ ، ٤ بهمن ١٣٠٧ ش ، ص ٣٥٢ - ٣٥٣ ؛ جلسه ٤٤ ، ١٥ ارديبهشت ١٣٠٨ ش ، ص ٧٠٧ - ٧٠٩ .
- (٣٠) همان منبع ، جلسه ٢٣ ، ٤ بهمن ١٣٠٧ ش ، ص ٣٥٣ - ٣٥٤ ؛ جلسه ٤٤ ، ١٥ ارديبهشت ١٣٠٨ ش ، ص ٧٠٧ - ٧٠٩ .
- (٣١) للتفاصيل حول سياسة الشاه الزراعية ينظر : امال السبكي ، تاريخ ايران السياسي بين ثورتين ١٩٠٦ - ١٩٧٩ م ، (الكويت : سلسلة عالم المعرفة ، ١٩٩٩ م) ، ص ٧٥ - ٧٦ ؛ طاهر خلف البكاء ، التطورات الداخلية في ايران ١٩٤١ - ١٩٥١ م ، (بغداد : بيت الحكمة ، ٢٠٠٢ م) ، ص ١٦ - ١٧ .
- (٣٢) انظر نص القانون : مجلس شورى ملي ، مجموعه قوانين مصوبه قانونكذاري دروه هفتم ، منبع قبلي ، ص ٤٢٨ - ٤٢٩ ؛ مشروح مذاكرات مجلس شورى ملي ، دوره هفتم ، جلسه ٥٢ ، ١٦ خرداد ١٣٠٨ ش ، ص ٨١٤ .
- (٣٣) للتفاصيل ينظر : مشروح مذاكرات مجلس شورى ملي ، دوره هفتم ، جلسه ٥٢ ، ١٦ خرداد ١٣٠٨ ش ، ص ٨١٥ - ٨١٧ ؛ جلسه ١٤٤ ، ١٦ شهريور ١٣٠٩ ش ، ص ٢٣٦٨ - ٢٣٦٩ .

- (٣٤) انظر نص القانون : مجلس شورى ملي ، مجموعه قوانين مصوبه قانونكذاري دروه هفتم ، منبع قبلي ، ص ٤٢٧ - ٤٢٨ .
- (٣٥) للتفاصيل ينظر : مشروح مذاكرات مجلس شورى ملي ، دوره هفتم ، جلسه ٥٢ ، ١٦ خرداد ١٣٠٨ ش ، ص ٨٢٢ - ٨٢٦ .
- (٣٦) صوت المجلس خلال جلسة يوم الثامن عشر من اذار عام ١٩٣٠م على تشكيل وزارة الاقتصاد الوطني وقد حددت مهامها وهيكلتها الادارية . للتفاصيل ينظر : همان منبع ، جلسه ١٠٩ ، ٢٧ اسفند ١٣٠٨ ش .
- (٣٧) همان منبع ، جلسه ١٤٤ ، ١٦ شهريور ١٣٠٩ ش ، ص ٢٣٦٩ - ٢٣٧٠ .
- (٣٨) للتفاصيل ينظر : همان منبع ، ص ٢٣٧٠ - ٢٣٧١ .
- (٣٩) انظر نص القانون : مجلس شورى ملي ، مجموعه قوانين مصوبه قانونكذاري دروه هفتم ، منبع قبلي ، ص ٤٣٢ - ٤٣٣ .
- (٤٠) للتفاصيل ينظر : مشروح مذاكرات مجلس شورى ملي ، دوره هفتم ، جلسه ١٧٢ ، ١٢ ابان ١٣٠٩ ش ، ص ٣٠٢٩ - ٣٠٣٣ .
- (٤١) عن التعليم عهد رضا شاه بهلوي ينظر : نعيم جاسم محمد ، دراسات في الواقع الاجتماعي والاقتصادي الايراني في العهد البهلوي ١٩٢٥ - ١٩٧٩م ، (بغداد : دار ومكتبة عدنان ، ٢٠١٨م) ، ص ٤١ - ٤٣ .
- (٤٢) انظر نص القانون : مجلس شورى ملي ايران ، مجموعه قوانين ششمين قانونكذاري ، منبع قبلي ، ص ٣٤١ - ٣٤٢ .
- (٤٣) مشروح مذاكرات مجلس شورى ملي ، دوره ششم ، جلسه ٢٧ ، ١٥ ابان ١٣٠٥ ش ، ص ٦٧٧ - ٦٧٨ .
- (٤٤) للتفاصيل ينظر : همان منبع ، ص ٦٧٩ .
- (٤٥) للتفاصيل ينظر : همان منبع ، ص ٦٧٩ ؛ جلسه ١٣٧ ، ١٢ مرداد ١٣٠٩ ش ، ص ٢٢٩٣ - ٢٢٩٧ .
- (٤٦) انظر نص القانون : مجلس شورى ملي ايران ، مجموعه قوانين ششمين قانونكذاري ، منبع قبلي ، ص ٣٤٤ - ٣٤٥ .
- (٤٧) من الجدير بالذكر انه خلال الدورة التشريعية الرابعة شرع المجلس الوطني خلال جلسة يوم الثامن والعشرين من كانون الاول عام ١٩٢٢م ، قانون جاء من مادتين نصت المادة الاولى على السماح للحكومة الايرانية بالتعاقد مع ثلاثة فرنسيين للعمل في المدرسة المذكورة غير ان المجلس كان قد رفض توجهات الحكومة وطالب بعض النواب بضرورة استكمال بناء المدرسة ، اذ ابدى نائب وزير العدل الايراني اعتراضه و طالب باعادة التخصيصات المالية لمعهد الحقوق

التي تم تضمينها في موازنة عام ١٩٢١ والبالغة ٣٠٠٠٠٠ تومان وقال ان بهذا مبالغ من الممكن انشاء اقسام اخرى للمعهد ومنها قسماً للفنون بعد اخذ الموافقات الادارية من قبل المجلس الاداري لمعهد الحقوق . للتفاصيل عن الموضوع ينظر : مشروح مذكرات مجلس شورى ملي ، دوره چهارم ، جلسه ١٩٨ ، ٦ جدي ١٣٠١ش ، ص ١٤٠١ .

(٤٨) للتفاصيل ينظر : همان منبع ، دوره ششم ، جلسه ١٠٥ ، ٢٦ اردیبهشت ١٣٠٦ش ، ص ١٤١٠ - ١٤١٢ .

(٤٩) للتفاصيل ينظر : همان منبع ، ص ١٤١٢ - ١٤١٤ .

(٥٠) كانت توجهات المجلس الوطني تقوم على اساس الرغبة في توسيع دائرة وسائل تطوير المؤسسات التعليمية بما يتناسب والثورة العلمية التي يشهدها العالم المتحضر بالاعتماد على خبرات متخصصين اوربيين ، فخلال جلسة يوم التاسع عشر من ايلول عام ١٩٢٢م ، تداول المجلس مشروع قانون انشاء المدرسة الفنية الالمانية في ايران وتمت قراءة لائحة المشروع من قبل اللجنة المالية النيابية والذي نص على (لقد تدارست اللجنة المالية بعناية المشروع المقدم من قبل الحكومة بخصوص انشاء المدرسة الصناعية الایرانیة - الالمانية وتؤيد مقترح الحكومة وفق صياغة قانون من مادتين وطرحهما على اعضاء المجلس للمصادقة عليه) . للتفاصيل عن الموضوع ينظر : همان منبع ، دوره چهارم ، جلسه ١٣٦ ، ٢٧ شهریور ١٣٠١ش ، ص ١٠٨١ .

(٥١) انظر نص القانون : همان منبع ، دوره ششم ، جلسه ٨٦ ، ٢٤ فروردین ١٣٠٦ش ، ص ١٠١٣ - ١٠١٥ ؛ مجلس شورى ملي ايران ، مجموعه قوانين ششمین قانونگذاری ، منبع قبلي ، ص ٣٤٩ - ٣٥٠

(٥٢) لتفاصيل ينظر : مشروح مذكرات مجلس شورى ملي ، دوره ششم ، جلسه ١٤٠ ، ١٦ شهریور ١٣٠٥ش ، ص ٢١٧٠ - ٢١٧٤ .

(٥٣) انظر نص القانون : مجلس شورى ملي ايران ، مجموعه قوانين ششمین قانونگذاری ، منبع قبلي ، ص ٣٦٤ - ٣٦٥

(٥٤) للتفاصيل ينظر : مشروح مذكرات مجلس شورى ملي ، دوره ششم ، جلسه ٢٣٢ ، ٢٨ فروردین ١٣٠٧ش ، ص ٤١٠٨ - ٤١١٠ .

(٥٥) انظر نص القانون : مجلس شورى ملي ايران ، مجموعه قوانين ششمین قانونگذاری ، منبع قبلي ، ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .

(٥٦) مشروح مذكرات مجلس شورى ملي ، دوره ششم ، جلسه ٢٣٦ ، ٩ اردیبهشت ١٣٠٧ش ، ص ٤٢١٣ .

- (٥٧) مدرسة أسسها الصدر الأعظم للشاه ناصر الدين قاجار أمير كبير فى عام ١٨٥١ م ، جلب لها مدرسين من خارج البلاد فى مختلف الاختصاصات علماص ان منهم صاحب خريطة البناء لدار الفنون هو محمد تقى خان معمار باش وهو من الطلبة الذين درسوا فى لندن فى عهد عباس ميرزا نائب السلطنة عهد الشاه فتح على شاه قاجار ، وكان استاذاً فى فن البناء والاعمار ، كانت مدرسة دار الفنون قد ادت دوراً كبيراً فى نهوض ايران فهى تعد بحق منارة العلم والادب ومركز الاشعاع الفكرى فى ظلام ذلك العهد الدامس ، فقد تسنم خريجوها ارفع المناصب الحكومية وساهموا مساهمة فعالة فى يقظة ايران الاجتماعية والفكرية . للمزيد عن الدار ينظر : هند على حسن ، المحاولات الاصلاحية فى ايران خلال القرن التاسع عشر ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٥م ، ص ٧٠ - ٩٠ .
- (٥٨) انظر نص القانون : مجلس شورى ملي ايران ، مجموعه قوانين ششمين قانونكذاري ، منبع قبلې ، ص ٣٦٨ - ٣٦٩ .
- (٥٩) للتفاصيل ينظر : مشروح مذاكرات مجلس شورى ملي ، دوره ششم ، جلسه ٢٤٧ ، ٣ خرداد ١٣٠٧ش ، ص ٤٤٨٠ - ٤٤٨٤ .
- (٦٠) انظر نص القانون : مجلس شورى ملي ايران ، مجموعه قوانين ششمين قانونكذاري ، منبع قبلې ، ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .
- (٦١) للتفاصيل ينظر : مشروح مذاكرات مجلس شورى ملي ، دوره ششم ، جلسه ٢٥١ ، ١٣ خرداد ١٣٠٧ش ، ص ٤٥٥٤ - ٤٥٥٦ ؛ جلسه ٥٧ ، ١٣ تير ١٣٠٨ش ، ص ٩٠٩ ؛ مجلس شورى ملي ايران ، مجموعه قوانين هفتم قانونكذاري ، منبع قبلې ، ص ٤١٤ - ٤١٥ .
- (٦٢) للتفاصيل ينظر : نعيم جاسم محمد ، المصدر السابق ، ص ٤١ .
- (٦٣) انظر نص القانون : مجلس شورى ملي ايران ، مجموعه قوانين ششمين قانونكذاري ، منبع قبلې ، ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .
- (٦٤) للتفاصيل ينظر : مشروح مذاكرات مجلس شورى ملي ، دوره ششم ، جلسه ٢٧٥ ، ٢١ مرداد ١٣٠٧ش ، ص ٤٩٩١ - ٤٩٩٩ .
- (٦٥) انظر نص القانون : مجلس شورى ملي ايران ، مجموعه قوانين دوره هفتم قانونكذاري ، منبع قبلې ، ص ٤١٧ - ٤١٨ .
- (٦٦) مشروح مذاكرات مجلس شورى ملي ، دوره هفتم ، جلسه ١٣٨ ، ١٩ مرداد ١٣٠٩ش ، ص ٢٣١٦ - ٢٣١٨ .

- (٦٧) للتفاصيل ينظر : همان منبع ، ص ٢٣١٨ - ٢٣١٩ .
- (٦٨) للتفاصيل عن الواقع التعليمي في إيران عهد رضا ينظر : ايروند ابراهيميان ، ايران بين ثورتين ، المجلد الاول ، مطبعة جامعة برنستون ، ١٩٨٢م ، العدد ٢٢ ، ص ٢٠١ ؛ نعيم جاسم محمد ، المصدر السابق ، ص ٤٥ - ٤٦ ؛ جهاد صالح العمر واسعد الجواري ، المصدر السابق ، ص ٢٥ .
- (٦٩) للتفاصيل ينظر : محسن كنج بخش زماني ، استفادة ابزاري انكلستان وروسية از توسعه بزشي وبهداشتي در ايران دوره قاجاريه ، "فصلنامه تاريخ بزشي" (مجله) ، تهران ، باييز ١٣٨٩ش ، سال دوم ، شماره چهارم .
- (٧٠) للتفاصيل اكثر ينظر : ويلم فلور ، بيارستان هاي ايران در زمان صفويه وقاجار ، ترجمه ، ايرج نبي بور ، (بوشهر : دانشگاه علوم بزشي وخدمات بهداشتي درماني بوشهر ، ١٣٩٣ش) ، ص ١٩ - ٢١ .
- (٧١) مهدي عليجاني ، جالش هاي بهداشت عمومي در ايران عصر قاجار از ديد سياحان غربي ، "فصلنامه تاريخ بزشي" (مجله) ، تهران ، بهار ١٣٩٣ش ، سال ششم ، شماره هجدهم ، ص ٤٣ .
- (٧٢) انظر نص القانون : مجلس شوري ملي ايران ، مجموعه قوانين ششمين قانونكذاري ، منبع قبلي ، ص ٣٣٩ ؛ مشروح مذاكرات مجلس شوري ملي ، دوره هفتم ، جلسه ٨٦ ، ٢١ اذر ١٣٠٨ش ، ص ١٣٣٩ - ١٣٣٠ .
- (٧٣) للتفاصيل ينظر : همان منبع ، دوره ششم ، جلسه ٥٥ ، ٢٩ دي ١٣٠٥ش ، ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .
- (٧٤) في الثاني من تشرين الاول عام ١٩٢٤م ، ادلى وزير الفوائد العامة بما جاء في تقرير شعبة الصحة العامة عن وجود امراض كمرض طاعون الابقار تفتك بالماشية والثروة الحيوانية وقال ان وزارة الفوائد تخطط لانشاء معهد لمعالجة هذه الامراض وتضمن تقريره اقتراح التعاقد مع احد المتخصصين الاجانب لمعالجة الافات الحيوانية والزراعية التي تصيب الماشية والثروات الزراعية بين الحين والآخر ، وعليه قدم مشروع قانون من اربع مواد جاء في المادة الاولى تحويل وزارة الفوائد العامة بانشاء معهد مكافحة الافات الحيوانية والزراعية تحت اشراف معهد باستور (Pasteur) الالمانى . للتفاصيل ينظر : همان منبع ، دوره بنجم ، جلسه ٦٣ ، ١٠ مهر ١٣٠٣ش ، ص ٤٢٧ .
- (٧٥) انظر نص القانون : مجلس شوري ملي ايران ، مجموعه قوانين ششمين قانونكذاري ، منبع قبلي ، ص ٣٤٠ - ٣٤١ ؛ مشروح مذاكرات مجلس شوري ملي ، دوره هفتم ، جلسه ١٧٣ ، ١٣ ابان ١٣٠٩ش ، ص ٣٠٦٢ - ٣٠٦٤ .
- (٧٦) للتفاصيل ينظر : همان منبع ، دروه ششم ، جلسه ٦٢ ، ٢٢ بهمن ١٣٠٥ش ، ص ٤٥٢ .
- (٧٧) انظر نص القانون : مجلس شوري ملي ايران ، مجموعه قوانين ششمين قانونكذاري ، منبع قبلي ، ص ٣٥٤ ؛ همان منبع ، جلسه ١٦٤ ، ١٤ ابان ١٣٠٦ش ، ص ٢٦٧٤ - ٢٦٧٥ .

- (٧٨) انظر نص القانون : مجلس شورى ملي ايران ، مجموعه قوانين ششمين قانونكذاري ، منبع قبلي ، ص ٣٦٧ - ٣٦٨
- (٧٩) للتفاصيل ينظر : مشروح مذاكرات مجلس شورى ملي ، دوره ششم ، جلسه ٢٣٦ ، ٩ ارديهشت ١٣٠٧ ش ، ص ٤٢١٩ - ٤٢٢٢ .
- (٨٠) انظر نص القانون : مجلس شورى ملي ايران ، مجموعه قوانين ششمين قانونكذاري ، منبع قبلي ، ص ٣٧٠ ؛ مشروح مذاكرات مجلس شورى ملي ، دوره هفتم ، جلسه ١٦١ ، ٢٩ مهر ١٣٠٩ ش ، ص ٢٧١٣ - ٢٧١٥ .
- (٨١) للتفاصيل ينظر : همان منبع ، دوره ششم ، جلسه ٢٥٢ ، ١٥ خرداد ١٣٠٧ ش ، ص ٤٥٧٧ - ٤٥٧٨ ؛ دوره هفتم ، جلسه ٦٥ ، ٢٨ شهريور ١٣٠٨ ش ، ص ١٠١٦ - ١٠١٨ .
- (٨٢) للتفاصيل ينظر : همان منبع ، دوره ششم ، جلسه ٢٥٢ ، همان منبع ، ص ٤٥٧٨ - ٤٥٧٩ ؛ دوره هفتم ، جلسه ٦٥ ، ٢٨ شهريور ١٣٠٨ ش ، ص ١٠١٦ - ١٠١٨ .
- (٨٣) للتفاصيل ينظر : همان منبع ، دوره هفتم ، جلسه ١٨ ، ١٣ دي ١٣٠٧ ش ، ص ٢٥١ .
- (٨٤) انظر نص القانون : مجلس شورى ملي ايران ، مجموعه قوانين موضوعه مصوبه دوره هفتم قانونكذاري ، منبع قبلي ، ص ٤١٩ .
- (٨٥) للتفاصيل : مشروح مذاكرات مجلس شورى ملي ، دوره هفتم ، جلسه ١٨ ، ١٣ دي ١٣٠٧ ش ، ص ٢٥٢ - ٢٥٤ (٨٦) للتفاصيل : همان منبع ، ص ٢٥٥ .
- (٨٧) انظر نص القانون : مجلس شورى ملي ايران ، مجموعه قوانين موضوعه مصوبه دوره هفتم قانونكذاري ، منبع قبلي ، ص ٤١٦ - ٤١٧ .
- (٨٨) مشروح مذاكرات مجلس شورى ملي ، دوره هفتم ، جلسه ٩٠ ، ٥ دي ١٣٠٨ ش ، ١٣٨٤ - ١٣٨٦ .
- (٨٩) للتفاصيل ينظر : همان منبع ، ١٣٨٦ - ١٣٨٨ .
- (٩٠) للمزيد ينظر : طاهر خلف البكاء ، المصدر السابق ، ص ٢٦ - ٢٧ ؛ غزوة سعيد عبود السامرائي ، سقوط رضا شاه بهلوي في ضوء المصادر والمراجع العراقية ، رسالة ماجستير ، (بغداد : معهد التاريخ العربي والتراث العلمي ، ١٩٩٨ م) ، ص ١٨٣ .
- (٩١) انظر نص القانون : مجلس شورى ملي ايران ، مجموعه قوانين ششمين قانونكذاري ، منبع قبلي ، ص ٣٣٨ - ٣٣٩

- (٩٢) للتفاصيل ينظر : مشروح مذكرات مجلس شورى ملي ، دوره ششم ، جلسه ٣٠ ، ٢٤ ابان ١٣٠٥ش ، ص ٣٨٢ - ٣٨٣ .
- (٩٣) انظر نص القانون : مجلس شورى ملي ايران ، مجموعه قوانين ششمين قانونكذاري ، منبع قبلي ، ص ٣٤٥ - ٣٤٦
- (٩٤) انظر نص القانون : همان منبع ، ص ٣٤٧ - ٣٤٩
- (٩٥) بخصوص شروط ومواصفات من يتم التعاقد معهم من الخبراء الماليين الاجانب ، شرع المجلس منذ الدورة التشريعية الرابعة تشريع قانون شروط التعاقد مع المستخدمين الاجانب وجاء القانون من مادتين حددت المادة الاولى شروط واجب توفرها في المستخدم قبل التعاقد معه ، ومنها يجب معرفة جنسية المستخدم ومدة الاستخدام والمنصب الذي سيكلف به بعد اجراءات التعاقد وبيان المرتب السنوي له وكافة المتعلقات المالية ، فيما خولت المادة الثانية الحكومة الايرانية التعاقد مع الاشخاص المعنيين وتقديم سيرة مفصلة عنهم الى المجلس للمصادقة عليه من عدمه بعد طرحه على اعضاء المجلس الوطني . للتفاصيل عن الموضوع ينظر : مشروح مذكرات مجلس شورى ملي ، دوره چهارم ، جلسه ١٦٨ ، ٢٣ عقرب ١٣٠١ش .
- (٩٦) للتفاصيل ينظر : همان منبع ، دوره ششم ، جلسه ١٣٧ ، ١١ مرداد ١٣٠٦ش ، ص ٢٠٨٥ - ٢٠٨٧ .
- (٩٧) للتفاصيل عن عمل الدوائر الكمارك في ايران خلال المدة التي سبقت عهد رضا بهلوي : همان منبع ، دوره چهارم ، جلسه ٩٦ ، ١٥ ارديهشت ١٣٠١ش ، ص ٢٧٠ - ٢٧١ .
- (٩٨) انظر نص القانون : مجلس شورى ملي ايران ، مجموعه قوانين ششمين قانونكذاري ، منبع قبلي ، ص ٣٦١ - ٣٦٢ ؛ همان منبع ، دوره هفتم ، جلسه ٩٠ ، منبع قبلي ، ص ١٣٧١ - ١٣٧٣ .
- (٩٩) همان منبع ، دوره ششم ، جلسه ٢٢٢ ، ٢٢ اسفند ١٣٠٦ش ، ص ٣٩٩٣ - ٤٠٠٢ ؛ دوره هفتم ، جلسه ١٢٧ ، ١١ خرداد ١٣٠٩ش ، ص ٢١١٣ - ٢١٢٠ .
- (١٠٠) للتفاصيل ينظر : همان منبع ، دوره ششم ، جلسه ٢٢٢ ، همان منبع ، ص ٤٠٠٢ - ٤٠٠٤ ؛ دوره هفتم ، جلسه ١٢٧ ، ١١ خرداد ١٣٠٩ش ، ص ٢١١٣ - ٢١٢٠ .
- (١٠١) انظر نص القانون : مجلس شورى ملي ايران ، مجموعه قوانين ششمين قانونكذاري ، منبع قبلي ، ص ٣٦٣ - ٣٦٤ .
- (١٠٢) انظر نص القانون : همان منبع ، ص ٣٦٣ - ٣٦٤ .

(١٠٣) تشغل منطقة بحر قزوين حيزاً مهماً بالنسبة لإيران ، بسبب أهمية المنطقة المتأتية من موقعها الاستراتيجية وما تحتويه من موارد مهمة من بينها أهم مصادر الطاقة النفط والغاز الطبيعي كما يعد منفذاً بحرياً مهماً بالنسبة لعلاقات إيران الخارجية سيما مع روسيا . للتفاصيل أكثر ينظر : مصطفى دسوقي كسبة ، ثروات آسيا الوسطى - قزوين من البترول والغاز ، "امتي في العالم" (مجلة) ، القاهرة ، مركز الحضارات للدراسات السياسية ، العدد ٥ ، ٢٠٠٣م ، ص ٩٤٥ - ٩٤٧ .

(١٠٤) للتفاصيل ينظر : مشروح مذكرات مجلس شورى ملي ، دوره ششم ، جلسه ٢٢٥ ، ٢٩ اسفند ١٣٠٦ ش ، ص ٣٩٩٨ - ٤٠٠٢ .

(١٠٥) انظر نص القانون : مجلس شورى ملي ايران ، مجموعه قوانين دوره هفتم قانونكذاري ، منبع قبلي ، ص ٤٢٣ ؛ همان منبع ، دوره هفتم ، جلسه ١٠٢ ، ٦ اسفند ١٣٠٨ ش ، ص ١٦٠٢ - ١٦١٣ .

(١٠٦) للتفاصيل ينظر : همان منبع ، جلسه ٤٧ ، ٢٦ ارديبهشت ١٣٠٨ ش ، ص ٧٥٠ - ٧٥٥ .

(١٠٧) مجلس شورى ملي ايران ، مجموعه قوانين دوره هفتم قانونكذاري ، منبع قبلي ، ص ٤٢١ - ٤٢٢ .

(١٠٨) للتفاصيل ينظر : مشروح مذكرات مجلس شورى ملي ، دوره هفتم ، جلسه ٦٧ ، ٧ مهر ١٣٠٨ ش .

(١٠٩) انظر نص القانون : مجلس شورى ملي ايران ، مجموعه قوانين دوره هفتم قانونكذاري ، منبع قبلي ، ص ٤٢٤ - ٤٢٥ .

(١١٠) للتفاصيل ينظر : مشروح مذكرات مجلس شورى ملي ، دوره هفتم ، جلسه ١٣٥ ، ٣١ تير ١٣٠٩ ش ، ص ٢٢٥٠ - ٢٢٥٥ .

(١١١) مجلس شورى ملي ايران ، مجموعه قوانين دوره هفتم قانونكذاري ، منبع قبلي ، ص ٤٢٥ - ٤٢٦ .

(١١٢) للتفاصيل ينظر : مشروح مذكرات مجلس شورى ملي ، دوره هفتم ، جلسه ١٥٢ ، ٨ مهر ١٣٠٩ ش ، ص ٢٥٧٥ - ٢٥٨١ .

المصادر والمراجع:

اولاً : محاضر مجلس الشورى الوطنى الايرانى (مشروح مذكرات مجلس شورى ملي ايران) :

١- دوره اول ، جلسه ١٨٢ ، ٨ ابان ١٢٨٦ ش .

٢- دوره اول ، جلسه ١٣ ، ٢١ اذر ١٢٨٥ ش .

٣- دوره اول ، جلسه ١٤ ، ٢٣ اذار ١٢٨٥ ش .

- ٤- دوره اول، جلسه ١٥٤ ، ٢١ شهريور ١٣٨٦ ش .
- ٥- دوره اول ، جلسه ٢٣٩ ، ٢ اسفند ١٣٨٦ ش .
- ٦- دوره چهارم ، جلسه ١٩٨ ، ٦ جدي ١٣٠١ ش .
- ٧- دوره چهارم ، جلسه ١٣٦ ، ٢٧ شهريور ١٣٠١ ش .
- ٨- دوره چهارم ، جلسه ١٦٨ ، ٢٣ عقرب ١٣٠١ ش .
- ٩- دوره چهارم ، جلسه ٩٦ ، ١٥ ارديبهشت ١٣٠١ ش .
- ١٠- دوره بنجم ، جلسه ٦٣ ، ١٠ مهر ١٣٠٣ ش .
- ١١- دوره ششم ، جلسه ١٦٣ ، ١١ ابان ١٣٠٦ ش .
- ١٢- دوره ششم ، جلسه ٢١١ ، ٢٦ بهمن ١٣٠٦ ش .
- ١٣- دوره ششم ، جلسه ٢٧ ، ١٥ ابان ١٣٠٥ ش .
- ١٤- دوره ششم ، جلسه ٢٧ ، ١٥ ابان ١٣٠٥ ش .
- ١٥- دوره ششم ، جلسه ١٦٠ ، ٢ ابان ١٣٠٦ ش .
- ١٦- دوره ششم ، جلسه ١٨٧ ، ١٠ دي ١٣٠٦ ش .
- ١٧- دوره ششم ، جلسه ٢٥٨ ، ٣ تير ١٣٠٧ ش .
- ١٨- دوره ششم ، جلسه ٢٧ ، ١٥ ابان ١٣٠٥ ش .
- ١٩- دوره ششم ، جلسه ١٠٥ ، ٢٦ ارديبهشت ١٣٠٦ ش .
- ٢٠- دوره ششم ، جلسه ٨٦ ، ٢٤ فروردين ١٣٠٦ ش .
- ٢١- دوره ششم ، جلسه ١٤٠ ، ١٦ شهريور ١٣٠٥ ش .
- ٢٢- دوره ششم ، جلسه ٢٣٢ ، ٢٨ فروردين ١٣٠٧ ش .
- ٢٣- دوره ششم ، جلسه ٢٣٦ ، ٩ ارديبهشت ١٣٠٧ ش .
- ٢٤- دوره ششم ، جلسه ٢٤٧ ، ٣ خرداد ١٣٠٧ ش .
- ٢٥- دوره ششم ، جلسه ٢٥١ ، ١٣ خرداد ١٣٠٧ ش .
- ٢٦- دوره ششم ، جلسه ٢٧٥ ، ٢١ مرداد ١٣٠٧ ش .
- ٢٧- دوره ششم ، جلسه ٥٥ ، ٢٩ دي ١٣٠٥ ش .

- ٢٨- دوره ششم ، جلسه ٦٢ ، ٢٢ بهمن ١٣٠٥ ش .
- ٢٩- دوره ششم ، جلسه ١٦٤ ، ١٤ آبان ١٣٠٦ ش .
- ٣٠- دوره ششم ، جلسه ٢٣٦ ، ٩ اردیبهشت ١٣٠٧ ش .
- ٣١- دوره ششم ، جلسه ٢٥٢ ، ١٥ خرداد ١٣٠٧ ش .
- ٣٢- دوره ششم ، جلسه ٣٠ ، ٢٤ آبان ١٣٠٥ ش .
- ٣٣- دوره ششم ، جلسه ١٣٧ ، ١١ مرداد ١٣٠٦ ش .
- ٣٤- دوره ششم ، جلسه ٢٢٢ ، ٢٢ اسفند ١٣٠٦ ش .
- ٣٥- دوره ششم ، جلسه ٢٢٥ ، ٢٩ اسفند ١٣٠٦ ش .
- ٣٦- دوره هفتم ، جلسه ٢٣ ، ٤ بهمن ١٣٠٧ ش .
- ٣٧- دوره هفتم ، جلسه ٧٦ ، ١٦ آبان ١٣٠٨ ش .
- ٣٨- دوره هفتم ، جلسه ٢٣ ، ٤ بهمن ١٣٠٧ ش .
- ٣٩- دوره هفتم ، جلسه ٤٤ ، ١٥ اردیبهشت ١٣٠٨ ش .
- ٤٠- دوره هفتم ، جلسه ٥٢ ، ١٦ خرداد ١٣٠٨ ش .
- ٤١- دوره هفتم ، جلسه ٥٢ ، ١٦ خرداد ١٣٠٨ ش .
- ٤٢- دوره هفتم ، جلسه ١٤٤ ، ١٦ شهریور ١٣٠٩ ش .
- ٤٣- دوره هفتم ، جلسه ٥٢ ، ١٦ خرداد ١٣٠٨ ش .
- ٤٤- دوره هفتم ، جلسه ١٠٩ ، ٢٧ اسفند ١٣٠٨ ش .
- ٤٥- دوره هفتم ، جلسه ١٤٤ ، ١٦ شهریور ١٣٠٩ ش .
- ٤٦- دوره هفتم ، جلسه ١٧٢ ، ١٢ آبان ١٣٠٩ ش .
- ٤٧- دوره هفتم ، جلسه ١٣٧ ، ١٢ مرداد ١٣٠٩ ش .
- ٤٨- دوره هفتم ، جلسه ٥٧ ، ١٣ تیر ١٣٠٨ ش .
- ٤٩- دوره هفتم ، جلسه ١٣٨ ، ١٩ مرداد ١٣٠٩ ش .
- ٥٠- دوره هفتم ، جلسه ٨٦ ، ٢١ آذر ١٣٠٨ ش .
- ٥١- دوره هفتم ، جلسه ١٧٣ ، ١٣ آبان ١٣٠٩ ش .

- ۵۲- دوره هفتم ، جلسه ۱۶۱ ، ۲۹ مهر ۱۳۰۹ ش .
- ۵۳- دوره هفتم ، جلسه ۶۵ ، ۲۸ شهریور ۱۳۰۸ ش .
- ۵۴- دوره هفتم ، جلسه ۱۸ ، ۱۳ دي ۱۳۰۷ ش .
- ۵۵- دوره هفتم ، جلسه ۱۸ ، ۱۳ دي ۱۳۰۷ ش .
- ۵۶- دوره هفتم ، جلسه ۹۰ ، ۵ دي ۱۳۰۸ ش .
- ۵۷- دوره هفتم ، جلسه ۱۲۷ ، ۱۱ خرداد ۱۳۰۹ ش .
- ۵۸- دوره هفتم ، جلسه ۱۰۲ ، ۶ اسفند ۱۳۰۸ ش .
- ۵۹- دوره هفتم ، جلسه ۴۷ ، ۲۶ اردیبهشت ۱۳۰۸ ش .
- ۶۰- دوره هفتم ، جلسه ۶۷ ، ۷ مهر ۱۳۰۸ ش .
- ۶۱- دوره هفتم ، جلسه ۱۳۵ ، ۳۱ تیر ۱۳۰۹ ش .
- ۶۲- دوره هفتم ، جلسه ۱۵۲ ، ۸ مهر ۱۳۰۹ ش .

ثانياً : قوانين مجلس الشورى الوطنى (قانونكدارى مدلس شورى ملي) :

- ۱- مجلس شورى ملي ايران ، مجموعه قوانين ششمين قانونكدارى ، اداره كل قوانين .
- ۲- مجلس شورى ملي ، مجموعه قوانين موضوعه مصوبه دوره هفتم قانونكدارى ۱۴ مهر ماه ۱۳۰۷ - ۱۴ ابان ۱۳۰۹ ش ، اداره كل قوانين ، جاب دوم .

ثالثاً : المصادر الفارسية :

- ۱- دفتر مطالعات بنيادين حكومتى ، اشنايى با تاريخ مجالس قانونكدارى در ايران ، دوره اول تا دوره شانزدهم (۱۲۸۵ - ۱۳۲۸ ش) ، (تهران : مركز بزوهشهاي مجلس شورى اسلامى ، بي تا) .
- ۲- عطاء الله فرهنگ قهرمانى ، اسامى نمايندگان مجلس شورى ملي از آغاز مشروطيت تا دوره ۲۴ قانونكدارى و نمايندگان مجلس سنا در هفت دور تقنينيه ، (تهران : بي جا ، بي تا)
- ۳- وليم فلور ، بيارستان هاي ايران در زمان صفويه وقاجار ، ترجمه ، ايرج نبي بور ، (بوشهر : دانشگاه علوم پزشكى و خدمات بهداشتى درمانى بوشهر ، ۱۳۹۳ ش) .

رابعاً : المصادر العربية والمعربة :

- ۱- امال السبكي ، تاريخ ايران السياسى بين ثورتين ۱۹۰۶ - ۱۹۷۹ م ، (الكويت : سلسلة عالم المعرفة ، ۱۹۹۹ م)

- ٢- ايروند ابراهيميان ، ايران بين ثورتين ، المجلد الاول ، مطبعة جامعة برنستون ، ١٩٨٢م ، العدد ٢٢ ،
- ٣- جهاد صالح العمر واسعد محمد زيدان الجواري ، ايران في عهد رضا شاه بهلوي ١٩٢٥ - ١٩٤١م ، (جامعة البصرة : مركز الدراسات الايرانية ، ١٩٩٠م) .
- ٤- خضير مظلوم فرحان البديري ، ايران تفاقم الصراع الدولي واثره في سقوط رضا شاه وعقد مؤتمر طهران ١٩٤١ - ١٩٤٣م ، (النجف الاشرف : دار الضياء للطباعة ، ٢٠٠٧م) .
- ٥- خضير مظلوم موسوعة الشخصيات الايرانية في العهدين القاجاري والبهلوي ، (بيروت : دار العارف للطباعة ، ٢٠١٥م) .
- ٦- طاهر خلف البكاء ، التطورات الداخلية في ايران ١٩٤١ - ١٩٥١م ، (بغداد : بيت الحكمة ، ٢٠٠٢م) .
- ٧- عبد الهادي كريم سلمان ، ايران في سنوات الحرب العالمية الثانية ، (جامعة البصرة : مركز دراسات الخليج العربي ، ١٠٨٦م) .
- ٨- نعيم جاسم محمد ، دراسات في الواقع الاجتماعي والاقتصادي الايراني في العهد البهلوي ١٩٢٥ - ١٩٧٩م ، (بغداد : دار ومكتبة عدنان ، ٢٠١٨م) .
- خامساً : الرسائل والاطاريح الجامعية :
- ١- حازم عبد الغفور خماس الدليمي ، سقوط النظام الملكي في ايران واثره على الامن القومي العربي ، اطروحة دكتوراه ، (الجامعة المستنصرية : المعهد العالي للدراسات الدولية ، ٢٠٠٥م) .
- ٢- غزوة سعيد عبود السامرائي ، سقوط رضا شاه بهلوي في ضوء المصادر والمراجع العراقية ، رسالة ماجستير ، (بغداد : معهد التاريخ العربي والتراث العلمي ، ١٩٩٨م) .
- ٣- هند علي حسن ، المحاولات الاصلاحية في ايران خلال القرن التاسع عشر ، رسالة ماجستير ، (الجامعة المستنصرية : كلية التربية ، ٢٠٠٥م) .
- سادساً : المقالات والدراسات الفارسية :
- ١- محسن كنج بخش زماني ، استفادة ايزاري انكلستان وروسيه از توسعه بزشيكي وبهداشتي در ايران دوره قاجاريه ، "فصلنامه تاريخ بزشيكي" (مجله) ، تهران ، باييز ١٣٨٩ش ، سال دوم ، شماره چهارم .
- ٢- مهدي عليجاني ، جالش هاي بهداشت عمومي در ايران عصر قاجار از ديد سياحان غربي ، "فصلنامه تاريخ بزشيكي" (مجله) ، تهران ، بهار ١٣٩٣ش ، سال ششم ، شماره هجدهم .

سابعاً : المقالات والدراسات العربية :

١- مصطفى دسوقي كسبة ، ثروات اسيا الوسطى - قزوين من البترول والغاز ، "امتي في العالم" (مجلة) ، القاهرة ، مركز الحضارات للدراسات السياسية ، العدد ٥ ، ٢٠٠٣ م .

إيقاع التكرار أسلوبياً في الأجوبة المسكّنة في كتاب ابن أبي عون (٣٢٢هـ)

أ.م.د. ناهضة ستار عبيد

الباحثة محمد ألينا محمد عبد

كلية الآداب/ جامعة القادسية

المقدمة:

يهدف البحث الى الكشف عن ظاهرة التكرار في الأجوبة المسكّنة لابن أبي عون والتعرف على مستوياته وأنماطه فيها، التي تمثلت في تكرار الصوت، والأدوات، والكلمة، والعبارة، والكشف عن مدى علاقة هذه التكرارات بالحالة النفسية للمتكلم، فضلاً عن معرفة الجوانب الجمالية التي يخلقها ذلك التكرار، والتعرف على قدرته في خلق دلالات جديدة تثير انتباه المتلقي وتدفعه للتفاعل مع النص للوصول الى الغاية التي يهدف إليها الباحث، غير أن تلك التكرارات تسعى لإيضاح وظائف مختلفة تعتمد على القضية التي يريد المؤلف أو الكاتب نقدها، ومن هنا قسم البحث الى مدخل نظري وثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول تكرار الصوت والأدوات في الأجوبة المسكّنة، في حين تناول المبحث الثاني تكرار الكلمة في الأجوبة المسكّنة، أما المبحث الثالث فتناول تكرار العبارة في الأجوبة المسكّنة.

مدخل نظري: مفهوم التكرار في الدرس النقدي الحديث:

قبل أن نشرع بالحديث عن التكرار في النقد الحديث لابد من التطرق لأهميته ومكانته في النقد العربي القديم حيث ان التكرار كغيره من الظواهر والاساليب هناك من استكرهه ودعا الى تجنب الحديث عنه وهناك من دعا اليه مما له من أهمية في العمل الادبي، فهو ظاهرة عرفت في النقد القديم، حيث لم تخل قصيدة او نص نثري منه الا النصوص القليلة الا انهم كانوا ينظرون الى التكرار على انه ظاهرة بسيطة إن لم يحسن استعمالها أصابت النص بالرتابة والسأم والتكلف، أما اذا استعملت في مواضعها الصحيحة رفعت من قيمة النص الجمالية والايقاعية.

وأول من تنبه الى هذه الظاهرة وتحدث عنها من القدماء الجاحظ حيث قال (انه ليس فيه حد ينتهي اليه، ولا يؤتي على وضعه)^(١)، كما انه واصل الحديث عنه مبيناً اهميته وكيفية التعامل معه حتى لا تمجه الاسماع فيقول (ليس التكرار عيا، ما دام لحكمه تقرير المعنى، او الخطاب الغبي او الساهي كما أن تردد الالفاظ ليس بعى ما لم يجاوز مقدار الحاجة ويخرج الى العبث)^(٢).

أي ان الجاحظ لم ينكره ولم يدع الى اجتنابه بل انه وضح بأن التكرار لم يكن عيا أي غير مفهوم او صعب ادراكه، طالما يؤدي وظيفته وهي التوكيد وتقرير المعنى في النفس او في الخطاب مهما كان نوعه، كما ان تكرار الالفاظ ليس عبثاً او متكلفاً ان لم يجاوز حدود المعقول وان لم يكن توظيفه عبثاً لا ينم عن فائدة فهو يستهجن هذا النوع من التكرار لانه يصيب النص برتابة وتكلف تمجه اسماع القراء.

ويرى ناقد اخر انه ((دلالة اللفظ على المعنى مردداً))^(٣)، أي ان المعنى المكرر واللفظ واحد لا اختلاف بينهما، كما ان طبيعة التكرار عنده تتصل بالصيغة التي تتابع بعضها وراء بعض^(٤).

في حين ناقد آخر نجده يعد التكرار ظاهرة فنية ينبغي الحذر عند توظيفها لأنها ((لها مواضع تحسن فيها، ومواضع تقبح فيها فأكثر ما يقع في الالفاظ دون المعاني وهو في المعاني دون الالفاظ وأقل، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخلاف بعينه))^(٥).

أي ان يجب او ينبغي ان يكون اللفظ مناسباً للمعنى ويخدم الفكرة والسياق حتى لا يصبح النص عيا تمجه الاسماع، عما ينبغي التنوع في الاستعمال التكراري والابتعاد عن تردد المعنى واللفظ ذاته لان هذا يصب النص والقارئ بالسأم والملل وذلك ما لا يجوز في هذه الظاهرة.

كما ان ابن رشيق لا يعطى اهتماماً للتكرار من الناحية الصوتية الا اذا ارتبط بأمور دلالية للفظة المكررة وان تستقر في مكانها في التركيب دون ثقل او تنافر، بحيث تكون طبيعة السياق داعية الى ذلك^(٦)، ونجد هناك من النقد من يعول على فائدة التوكيد التي عرف بها التكرار عند القدماء الى جانب السياقات الدلالية، فقد جاء منه في القرآن الكريم وفصيح الشعر شيء كثير، ثم يتابع حديثه عن التكرار الى ان يصل الى موطن يعيبه فيه اذا كان التكرار بكلمة واحدة وفي كلام قصير^(٧).

وما سبق هو حديث مختصر عن التكرار من المنظور القديم وما كان يؤدي التكرار من وظائف في النص الأدبي قديماً أذ اتفقت أغلبها على أن التكرار يقوم بوظيفة التأكيد وتقرير الأمر في النفس. أما المحدثون فقد عنوا بالتكرار كثيراً كذلك في تقسيماته فهو عندهم لم يعد يقتصر على لفظي ومعنوي بل تعددت تقسيماته لديهم فبعد أن كانت هذه الظاهرة ثانوية عند القدماء أصبحت ظاهرة فنية وإساسية عند المحدثين في النص الأدبي كما غدت عنصراً مهماً من عناصر النص، فالكثير من النقاد من أخذ على عاتقه وضع تعريف لهذه الظاهرة فهناك من عرفه على أنه هو ((أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متق المعنى أو مختلف، أو يأتي بمعنى ثم يعيده، وهذا من شرطه اتفاق المعنى الأول والثاني، فإن كان متحد الالفاظ والمعاني فالفائدة في إثباته تأكيد ذلك الأمر وتقريره في النفس، وكذلك إذا كان المعنى متحداً وإن الاتيان به الدلالة على المعنيين المختلفين))^(٨).

أي أن يأتي المتكلم بكلمة ثم يعيدها بغض النظر عن أن كان المعنى لكلا اللفظين مختلف اممتق، أو أن يأتي بمعنى ثم يردده لكن في هذا الأخير شرطه اتفاق كلا المعنيين الأول والثاني، وإن كان اللفظ مختلف أي أن ناقد جمع في تعريفه هذا التكرار (اللفظي والمعنوي) كلما وضعهم تحت وظيفة واحدة وهي التوكيد وتقرير الأمر في النفس،

في حين يراه ناقد آخر بأنه ((تكرار عنصر من عناصر الاتساق المعجمي، وهو يعد حسب شارول من الروابط التي تصل بين العلاقات اللسانية، فقاعدة التكرار الخطابية تتطلب الاستمرارية في الكلام، بحيث يتواصل الحديث عن الشيء نفسه، ويتقدم التكرار لتوكيد الحجة))^(٩).

وعند ناقد آخر نجده يعني ((الاتيان بعناصر مماثلة في مواضع مختلفة في العمل الفني، والتكرار هو اساس الإيقاع: بجميع صوره، فتجده في الموسيقى بطبيعة الحال))^(١٠).

ونلاحظ أنه لا جديد يعول عليه في هذا التعريف عما ذهب إليه مطلوب فهو يعني أن يكرر المتكلم الكلمة أو العبارة في مواضع مختلفة من النص الأدبي، إلا أن ما أضافه وهبه هو أن التكرار أساس الإيقاع وذلك لأن تردد الاصوات ذاتها في بعض الالفاظ يحدث موسيقى ونغماً عند سماعه.

يتوسع ناقد آخر في تعريف التكرار موضحاً الوظائف والاعراض التي يستدعيها التكرار متجاوزاً فائدته التي طرقت الاسماع كثيراً وحفظتها الأذن وهي التوكيد فيقول ((التكرار عنصر بديعي يقوم على ذكر الشيء مرة أو مرات لدواع منها التوكيد، الفصل والاستيعاب، (الشمول) والترغيب، والتلذذ، والتحسر، والتهويل...))^(١١)

ونستنتج مما سبق أن التكرار ظاهرة قديمة عرفت عند اهل البلاغة واولوها عنايةً واهتماماً ووظفوها في كتاباتهم الادبية، حيث كان الاتفاق على ان التكرار وظيفته التي تستدعيه في النص الادبي هي التوكيد وتقرير الامر في النفس الا ان التكرار ووظائفه لا تقف عند هذا الحد بل تمتد لتشغل مواضع اخرى وضحاها المحدثين سنأتي على ذكرها لاحقاً .

وهناك من النقاد من توسع في التكرار ولم يقف عند تعريفه فقط بل أخذ يبين وظائفه وانماطه التي يرد بها في النص الادبي لاسيما النص الشعري حيث اهتم به اهتماماً واسعاً من جميع جوانبه، فقد تناوله من الناحيتين النظرية والتطبيقية وتبعها الكثير من النقاد وساروا على منهاجها ويعني عنده ((الحاح على جهة مهمة في العبارة بها الشاعر اكثر من عنايته بسواها))^(١٢).

كما استعمل التكرار في النصوص الحديثة بحثاً عن نموذج جديد يخلق دهشة ومفاجأة بدلاً من اشباع التوقع^(١٣)، إذ يعد نسقاً تعبيرياً يعتمد عليه في النص الادبي نثرياً كان ام شعرياً حيث يقوم فيها على اساس من الرغبة لدى المتكلم، ونوع من الجاذبية لدى القارئ من خلال معاودة تلك السمات التي تأنس بها النفس والتي تتلهف الى تناص ما وراءها من دلالات مثيرة^(١٤).

فضلاً عن الدور الذي قام به المحدثين في التوسع في مجال وظائف التكرار، فكانت وظائفه عند القدامى تقف عند وظيفة التأكيد وتقرير المعنى في النفس اما عند المحدثين فقد تعددت وظائفه الى تماسك النص وبناء اجزائه وتناسقها وكذلك في جمع ما تفرق من النص ، فضلاً عن ((وظيفته الدلالية في التعبير عن الاهتمام بالخطاب أي في لغة اسماع المتلقي الى ان لهذا الكلام اهمية لا يمكن اغفالها))^(١٥).

فالمتكلم عندما يكرر لفظة ما او عبارة فإنه يعكس أهمية ما يكرره مع الاهتمام بما بعده حتى تتجدد العلاقات وتثري الدلالات وينمو النص، لان التكرار من منظور محمد عبد المطلب ((هو الممثل للبنية العميقة التي تحكم حركة المعنى في مختلف انواع البديع ولا يمكن الكشف عن هذه الحقيقة الا بتتبع المفردات البديعية في شكلها السطحي، ثم ربطها بحركة المعنى))^(١٦).

فعندما يكرر المتكلم لفظة ما فإنه يجعلها وسيلة من وسائل التأثير وطريقة تستجيب للموقف الانفعالي والعاطفي، إذ ان الغاية من تكرار بعض الالفاظ وهو إعادة إنتاج دلالات جديدة تسهم في رسم صورة للحالة الشعورية التي يعايشها المتكلم ويريد ايصالها الى المتلقي من خلال تكرار بعض تلك العبارات والالفاظ.

كما يقوم التكرار بوظيفة تأثيرية إذ يلقي في ضمير القارئ وأفق هزة ومفاجأة وتطريباً لانه يدعوه الى ادراك التكرار بوصفه حاملاً للمعنى العام، إذ يعمل التكرار على تكثيف الدلالة الايحائية، وتحريك ذهن القارئ نحو اكتشاف المعنى المنشود من وراء ظاهرة التكرار^(١٧).

فالنمط التكراري يتحقق معه ((دفع المعنى الى النمو تدريجياً وصولاً الى تحقيق الهدف الدلالي))^(١٨) ومن النقد ومن ربط التكرار بعملية الاختيار التي يقوم بها المتكلم فعندما يكرر بعض المفردات والتراكيب شعراً كانت ام نثراً فإنه يهدف من وراء ذلك الحاح على مدى اهميتها وتأثيرها في ايصال الحالة الشعورية الكائنة في ذاته فهو يختار هذه المفردات بعناية لان التكرار تقنية معقدة إذ ما تعامل معها بشكل دقيق ومتمقن، فضلاً عن التعويض عن ادوات الربط التي تؤدي الى رتابة النص وسقوطه^(١٩).

إذ ينبغي على المتكلم ان يجعل تكراره للعبارات والجمل وغيرها بأساليب مختلفة فضلاً عن ان يكون النظر الى المعنى من جوانب متعددة وعلى هذه الاسس فإن التكرار يؤثر ويقنع لانه من بواعث شد انتباه السامعين، غير ان الكثير من العلماء يدعون الى اجتناب التكرار في الكلام وهذا هو الاصل ولا يلجأ اليه الا لغرض تواصله حتى لا يدفع السامع الى الملل والضجر من قرع اللفظ اكثر من مرة.

كما ان تكرار بعض الالفاظ يدل على الفقر اللغوي الذي ينطوي عليه المتكلم والذي لولاه لأتى المتكلم لكل معنى بلفظ وأسلوب مغاير ومناسب، وقد يعتمد المتكلم الى تكرار المعنى الواحد بصور مختلفة دون القصد الى هدف معين وذلك لافتقاره الى ثراء المعنى^(٢٠).

أي ان المتكلم يهدف الى اثناء معجمه اللغوي بألفاظ جديدة ومبتكرة ويبتعد عن التكرار الذي يدل في اغلب الاحيان الى فقر معجمه اللغوي للألفاظ مما يدل على ضيق ثقافة المتكلم وحيزه اللغوي، فالتكرار في كل خطاب مهما كان نوعه فهو ((لا يعيد الشيء نفسه بل يأتي وي طرح جديداً))^(٢١)

كما ان بنية التكرار ((تفرض نفسها على الصياغة لتحقيق مشاعريتها من ناحية، وتحقيق لها ناتجاً دلاليّاً معيناً من ناحية اخرى))^(٢٢) ، فتشابهت الالفاظ فيما بينها في الشكل الخارجي الا التغيير وقع في البنية العميقة والتحتية فهي التي تشير الى الغاية الحقيقة للتكرار وهي جوهر الموقف ومفتاح الرؤية .

والتكرار يمثل احد البنى اللغوية التي يغلب وقوعها في الخطاب الإقناعي العربي وذلك لان التكرار يزود ذلك الخطاب بأدوات مهمة يتجسد اثرها في الاقناع والاستمالة، كما ان له ارتباط وتأثير على الرسالة والفكرة وذلك انه يمدّها - الرسالة - بتوازن لغوي وموسيقى داخلية وخارجية تكسبها وقعاً حسناً عند السامع^(٢٣)، كذلك فان التكرار لا يقوم ((على مجرد تردد اللفظة في السياق، وانما ما تتركه هذه اللفظة من اثر انفعالي في نفس المتلقي))^(٢٤).

فعندما يشرع المتكلم الى اختيار مفردة ما ثم يعتمد الى تكرارها فهو يريد ان يشد انتباه المتلقي الى ما لهذه اللفظة من تأثير في نفسه وحالته الشعورية التي يحاول بتكرار هذه اللفظة ان يشارك المتلقي بها ومن ثم التأثير فيه لان التكرار ذو وظيفة مزدوجة تجمع المتلقي والمتكلم ضمن سياق النص العام.

والتكرار أسلوب يقوم على شحن الخطاب بقوة إيحائية تعمل على تحفيز العلاقة بين الدال والمدلول ومن ثم تتمظهر انساق جديدة منسجمة مع خصوصية التجربة.

فعندما يعتمد المتكلم الى تكرار كلمة او عبارة كما هي دون احداث تغيير في بنيتها فهو يريد منها تحقيق التماسك النصي الذي يفضي الى تحقيق تماسك دلالي، فان تكرار الاصوات ((الكلمات ليس بالضرورة

تؤديه الجمل وظيفتها المعنوية والتداولية ولكنه (شرط كمال) او محسن) او (لعب لغوي) ومع ذلك فانه يقوم بدور كبير في خطاب الشعر او ما يشبهه من انواع الخطاب الاخرى الاقناعية))^(٢٥).

ويشير الاخير الى ان ليس كل تكرار ينبغي ان يكون وراءه فائدة معنوية او لتأدية وظيفة تداولية ولكن قد يأتي به لإضفاء جمالية على النص ولإظهار براعة المتكلم في التصرف باللغة وكيفية صياغة صور متعددة منها دون الوقوع في مطب الرتابة والتكلف إذ حسن استعماله في مواضعه الصحيحة.

كما يرى محمد عبد المطلب بأن التكرار ليس عملية متوازية بين الدوال والمداولات وانما عملية تتناسب دلالي يجعل انتقال الذهن من الشيء الى ما يجاوره انتقالاً ترابطياً يسمى (مراعاة النظير)، إذ لا يعتمد على المفاجأة وانما يعتمد على التوقع الذي ينتظره المتلقي وهنا يكون التوكيد التكراري إذ يتوقع المتلقي دالاً معيناً ثم يأتي الدال كما توقعه فيحدث التكثيف الدلالي^(٢٦).

كما ان التكرار له علاقة وثيقة في الحالة النفسية للمتكلم، فعندما يكرر المتكلم حروف او عبارات او كلمات فأنها تحمل في ثناياها دلالات نفسية وانفعالية تساعد على تشكيل موقفه وتصويره، كما تكشف موقفه من القضايا التي يعالجها^(٢٧)، فهو يكرر بعض العبارات والالفاظ لدوافع منها فنية واخرى نفسية فان هذا التكرار يهدف من خلاله الكشف عن مشاعره الدفينة والى الابانه عن دلالات داخلية فيما يشبه البث الايحائي، وهذه الدلالات الفنية والنفسية تدل على الاهتمام بموضوع ما ينتقل البال سلباً كان ام ايجاباً، خيراً كان ام شراً ، جميلاً او قبيحاً ويستحوذ هذا الاهتمام على حواس الانسان وملكاته، فالتكرار يصور مدى هيمنة المكرر وقيمه وقدرته^(٢٨).

أي ان المؤلف عندما يختار كلمة ما او عبارة ثم يرددها ضمن السياق النصي فهو يريد منها ايصال حالته النفسية وما يشعر به من انفعالات عاطفية متغيرة متأتية من موضوع النص لتأثير في نفس المتلقي ومشاركة المتكلم بهذه المشاعر والتفاعل معها ومن ثم تشد انتباه المتلقي لمدى اهميتها في نفس المتكلم. والتكرار ((قوة ضاغطة تخرج المنشئ في كثير من الاحيان ليظل مشدوداً الى كلمة بعينها الى ان تبلغ حد الاشباع حينئذ يدعها بعد ان يفرغ كامل شحناته النفسية فيها))^(٢٩)

المبحث الأول: مستويات التكرار في الاجوبة المسكتة:

فالتكرار لا يقف عند مستوى واحد بل يمتد الى مستويات متعددة تبدأ بتكرار الصوت (الحرف) مروراً بتكرار الكلمة ثم العبارة، والجمل والمقاطع والفقرات وتختتم بتكرار القصص كما في القرآن الكريم اما التكرار ومستوياته في الاجوبة المسكتة فهي كالآتي :-

١- تكرار (الصوت):

وهو من اكثر مستويات التكرار انتشاراً في النصوص الادبية، وذلك لان الصوت اصغر وحدة لغوية، كذلك هو المادة التي تشكل منها العبارات والجمل ، كما ان تكرار الحرف اهمية تعبيرية وايحائية، فضلاً عن أهميته في خلق بنية النص وتلاحمها، فهو يسهم في احداث تنوع صوتي بإجراج القول عن نمطية الوزن المألوف ليحدث فيه إيقاعاً خاصاً ويشد انتباه المتلقي اليه وترديده في اللفظة الواحدة يكسبها نغماً وجرساً ينعكسان على الحركة الإيقاعية للنص وكل ذلك من شأنه ان يخصب شعرية النص^(٣٠).

إذ يعبر الصوت المكرر عن الحالة النفسية والشعورية ، فضلاً عما يخفيه هذا الصوت من إيقاع باطني يرتبط بموضوع النص وجوهره^(٣١)، فيكرر المتكلم حرف بعينه يهيمن صوتياً في بنية الجواب^(٣٢). كما يساهم تكرار الاصوات بعينها في النص على ((تكثيف الموسيقى وتنوعه، كذلك يشكل تراكم أصوات معينة اكثر من غيرها ظاهرة تستدعي الانتباه وتحتاج الى التفسير والتأويل))^(٣٣).

أي ان تردد بعض الاصوات داخل النص يؤدي وظيفتين احدهما تصب في الجانب الإيقاعي الصوتي إذ تخلق جواً ينسجم مع الحدث، فضلاً عن الوظيفة الدلالية التي تعمل على ترابط اجزاء النص وتلاحمها مع المعنى العام فعندما يكرر المتكلم صوت بعينه فانه يعبر عن حالته النفسية.

غير ان لكل صوت من أصوات اللغة العربية صفة خاصة به تختلف عن صفات الاصوات الاخرى فمنها ما كان ذا صفة شديدة ، ومنها المهموس واخرى مجهورة وكل صفة من هذه الصفات يعتمد المتكلم الى تكرار الحرف الذي يمثلها لكي يعبر عن حالته الشعورية التي يعيشها يقصدها المتكلم .

كما ان التكرار لبعض الاصوات داخل النص الادبي يوحي لنا باشتراكهما معاً في المعنى، أي ان الاشتراك بين الحروف يؤدي الى الاشتراك في المعنى^(٣٤)، فان تكرار بعض الاصوات ضمن الكلام توحى بالحدث ضمن السياق العام الى جانب الإيقاع الصوتي، إذ ان تكرار الاصوات في كلمة واحدة او عدة كلمات ضمن سياقها التي ترد فيه يؤدي الى خلق جو مناسب ينسجم مع الحدث المراد التعبير عنه^(٣٥).

وحتى تصبح التكرارات الصوتية واضحة لدى القارئ والتعرف على أي الاصوات لها حضور مهيم على الأخرى، نرسم جدولاً يبين نسب ورودها في الاجوبة المسكتة

جدول احصاء تكرار الاصوات في الاجوبة المسكتة

ت	الصوت	عددها في الاجوبة الجدية	النسبة المئوية	عددها في الاجوبة الهزلية	النسبة المئوية
١	الميم	٣٨	٦,٩٩٨	٢٦	٤,٧٨٨
٢	النون	٣١	٥,٧٠٩	١٢	٢,٢٠٩
٣	الراء	٢٢	٤,٠٥١	١٨	٣,٣١٤
٤	الباء	٢٢	٤,٥١	١٠	١,٨٤١
٥	العين	١٩	٣,٤٩٩	١٠	١,٨٤١
٦	الكاف	١٩	٣,٤٩٩	٨	١,٤٧٣
٧	التاء	١٨	٣,٣١٤	٥	٠,٩٢٠
٨	السين	١٢	٢,٢٠٩	١٠	١,٨٤١

٩	الشين	١٥	٢,٧٥٢	٧	١,٢٨٩
١٠	القاف	١٣	٢,٣٩٤	٧	١,٢٨٩
١١	الحاء	١١	٢,٠٢٥	٥	٠,٩٢٠
١٢	الجيم	٧	١,٢٨٩	٩	١,٦٥٧
١٣	الفاء	٦	١,١٠٤	٥	٠,٩٢٠
١٤	الدال	٧	١,٢٨٩	٦	١,١٠٤
١٥	الغين	٤	٠,٧٣٦	٦	١,١٠٤
١٦	الخاء	٣	٠,٥٥٢	٢	٠,٣٦٨
١٧	الضاد	١	٠,١٨٤	١	٠,١٨٤
١٨	الصاد	١	٠,١٨٤	١	٠,١٨٤

نلاحظ هيمنة اصوات الذلاقة على الاصوات الاخرى وذلك لما لها من صفات تتمتع بها تعطى للكاتب مساحة يستطيع ان يؤدي بها غرضه المنشود وتلك الحروف (الميم ، النون ، الراء) فضلاً عن ان (الراء) من الاصوات التي تتفرد عن غيرها بصفة تكرارية ، مما يعطي تكراره نغمة موسيقية تطرب لها النفس .
 إذ نجد ظاهرة تكرار الصوت ودلالته في كثير من الاجوبة المسكتة إذ انها جاءت بألفاظ مختلفة وطريقة توظيف مغايرة الا انها اعتمدت اسلوب تكراري واحد ، يتضح بصورة جلية في النماذج الاتية:

((خطب أعرابي الى قوم، فقال له اهلها : إن لها من المال كذا وكذا من الاثاث، والماشية كذا: فما مالك ؟ قال :إن كان ما ذكرتم لها، فهو يكفيني وإياها ما بقينا ، فما حاجتكم الى مالي؟))^(٣٦).

نجد في هذا الجواب تكرار فونيم (الميم) وهيمنته على النص إذ تحققت بنية التكرار الاسلوبية من خلال هيمنة فونيم (الميم) إذ تكرر ثلاثة عشر مرة رغم قصر الجواب، وهو من الاصوات الذلقية كما يسميها القدماء^(٣٧)، إذ يعد ((الميم صوتاً شفوي المخرج، فلا يتطلب تقطيعه مجهوداً، فهو خاضع الى قانون المجهود الأدنى، كما أنه يتخذ من المفردة التي يرد فيها موقعاً جمالية بوصفه من حروف الذلاقة))^(٣٨)، غير ان وراء تكرار هذا الصوت يهدف المتكلم الى ابراز قوة العلاقة بين الصوت والمعنى المتمثلة بجانب الايقاعي والدلالة الذاتيتعاضدان لرفع قيمة النص الاسلوبية^(٣٩)، ومن ثم التعبير عن حالة المتكلم وهي التخلص من الجواب بذكاء وسخرية وإقناع المخاطب بجوابه وقطع طريق العودة بالسؤال مرة اخرى، لان مال زوجته وما تملكه يكفيهم طول فترة معيشتهم لكثرتهم فما الحاجة الى ماله بوجود هذا المال.

وجاء التكرار في الجواب الاتي ((شهد قوم عند ابن شبرمة على قراح فيه نخل، فسألهم : كم في القراح نخلة ؟ فقالوا : لا نعلم ، فرد شهادتهم ، فقال رجل منهم : أنت تقضي في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة ، فأعلمناكم فيه اسطوانة ؟ فأجازهم))^(٤٠).

نلاحظ في هذا الجواب شيوعاً للأصوات الذلقية (النون ، الميم) إذ تعاضدت هذه الاصوات مع السياق في رفع قيمة النص الصوتية إذ ((تكررت الحروف في الكلام على ابعاد متقاربة ، اكسب تكرار صوته ذلك الكلام ايقاعاً مبهجاً، يدركه الوجدان السليم حتى عن طريق العين، فضلاً عن إدراكه السمعي بالأذن))^(٤١)، إذ يتصف كلاً من (الميم، النون) بصفة الوسيطة أي ان يتوسط كلاهما بين الشدة والرخاوة إذ يعتمد على سياق الحدث عندما يتطلب النص شدة يرتفع وتيرة هذا الصوت ثم تتخف تبعاً له^(٤٢)، فتكرار الالفاظ المكونة لها حروف او اصوات (الميم، النون) لأقناع المخاطب بالحجة وللخروج من المأزق بذكاء فعندما عاد المتكلم على المخاطب السؤال ذاته مع احداث تغير طفيف ولم يستطيع المخاطب ايجاد الجواب او الرد المناسب مما جعله يخضع لشهادتهم ومن ثم ايجازها، أن عودة الحروف في الكلمة اكسبه

الاذن انسياً لفهمها، فضلاً عن اكسابه جرساً موسيقياً ظاهراً وآخر خفياً لا تدركه الأذن بل لعقل والوجدان^(٤٣).

((كان أبو الحارث جمين يبغض الباذنجان، ويقول : قشره يشبه بطن العقرب وأقماعه تشبه أذنان المحاجم، وحبه يشبه حب القمل ، فدعاه قوم وحبسوا عنه الطعام حتى جاع، ثم أتوه بباذنجان فأقبل يأكله بشهوة ونهم، فقيل له : إنه باذنجان ، فقال : قد علمت ولكن، ايها خير هذا أو الموت))^(٤٤).

نلاحظ تكرار لبعض الاصوات بشكل واضح في الجواب هي (الباء، والنون، والجيم) ، وتساهم هذه الاصوات في ابراز مقاصد المتكلم فضلاً عن ما تعطيه وتخلقه من جرساً موسيقياً^(٤٥)، فان تكرار هذه الاصوات لم يكن بشكل مقصود وانما في اغلب الاحيان يأتي عفوي، وان لكل صوت من هذه الاصوات المهيمنة على الجواب صفات ينفرد بها الصوت عن غير من الاصوات إذ ان صوت (الباء) وهو صاحب الحضور الاكثر إذ بلغ (١٧) مرة وهو صوت شديد مهجور كما يصفه ابراهيم انيس، إذ يتكون بأن عبر الهواء أولاً بالحنجرة ، فيحرك الوترين الصوتيين، فعند النطق بالباء تنطبق الشفتان او لا حين انحباس الهواء عندهما، ثم تنفجران فجأة فيسمع صوت الباء^(٤٦).

والصوت (النون) الذي يلي الباء في الحضور إذ بلغ (٩) مرات وهو صوت انساني- لثوي متوسط بين الشدة والرخاوة^(٤٧)، وفي الاخير صوت (الجيم) إذ بلغ (٦) مرات هو صوت مزدوج، يبدأ بدال من الغار ، ثم ينتهي بشين مهجورة وهو صوت غازي، يمتد من اقصى الحنك الى وسطه^(٤٨)، وساهمت هذه الاصوات في التعبير عن حالة المتعلم النفسية بعد ان كان يزديري الباذنجان فقد اكله خوفاً وتهوياً من الموت فقد تابعت هذه الاصوات تحول حالات المتكلم النفسية من الرفض الى القبول مولدة جرساً نغمياً تطرب له الاذن .

((قال العدلي للواثق: ما قمرني فلان الا لأنني كنت سكراناً، فقال لابن أبي دؤاد يا عبد الله ، أقم عليه الحد فقد أقر على نفسه بالسكر، فقال : هذا إقرار افتخار لا إقرار افتجار))^(٤٩).

التكرار لحرف (الراء) وضاح في الجواب، حيث بلغ عشرة مرة ، فضلاً عن تكراره في بعض الكلمات مرتين وعلى ابعاد متقاربة، وهو صوت يتصف بالتكرارية والانفراد ولا يشترك في صفته أي صوت اخر (٥٠)، فهو يكسب النص معنى وقوة وجمال فهو يصور اضطرابات النفس ويدل على انفعالات المتكلم، كما تجاوب صوت الراء مع صوت القاف الذي تكرر عشرة مرة ايضاً، مما أضاف معنى التفاعل والتواصل، وهو صوت لهوي وقفة انفجارية مهموس ويتم النطق به برفع أقصى اللسان حتى يلتقي باللهة ويلتصق بها فيقف الهواء، وعدم السماح له بالمرور من الانف، فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً^(٥١). فعمد المتكلم الى تكرار الالفاظ المكونة لها الحرفين (الراء والقاف) لإبراز مقاصده وتعبير عن حالته النفسية بأنه لو لم يكن سكراناً لما استطاع الاخر ان يقامره واعترافه بذلك ليس تلويحاً منه بالفسوق وانما بيان حجته على ما وقع عليه من استغفال واستغلال فهو كرر الحرفين لوصف شعوره بالتوجع وليس بالسخرية والتهكم والتفاخر بالسكر، إذ ان تكرار حرف بعينه ((او مجموعة من الحروف، يكون لهذا مغزى يعكس شعوراً داخلياً للتعبير.... فيخرج عن قيد الصوت المحض الى دلالة تحرك المعنى وتقويه))^(٥٢).

٢- تكرار الادوات :

يعمد المتكلم الى تكرار الحروف في النص الادبي لما لها من فاعلية وتأثير في لفت انتباه المتلقي وان كانت فاعليتها لا ترتقى بمستوى فاعلية الكلمة والعبارة والجملة الا انها اصبحت اداة موسيقية تمنح النص قيمة جمالية فضلاً عن قيمتها الدلالية فهي تربط اجزاء النص وتلاحمهما ومن ثم تحدث اثراً في نفس المتلقي^(٥٣).

فان تكرار حرف معين يؤدي عدداً من الدلالات والمعاني منها ((توسعة حيز الشيء المقترن به ضمن السياق الذي ورد فيه، وهذا يفضي الى توسعة في حيز الحدث الكلي للنص بشكل تدريجي تزداد التوسعة فيه اطراداً بزيادة التكرار))^(٥٤)، فتؤدي هذه الحروف ومنها حروف العطف التي سماها البلاغيون (حروف المعاني) بوظيفة ربط الجمل والمفردات^(٥٥)، وهناك من يرجع بسبب تقليل من قيمتها الدلالية هو كونها

بسيطة لقلّة ما تحمله من معاني ودلالات وقيم شعورية لا تصل الى المستوى الذي يصل اليه تكرار الالفاظ و العبارات كون هذه التكرارات تأثيرها اكبر في نفس المتلقي عند تحقيق الغاية .

كما تقوم هذه الحروف بدور علائقي رابط لحركة الانسياق فهو يتجاوز دوره الصوتي الى الدخول في الترتيب البنائي للنص من خلال التماسك بين الجمل والانساق، كما تغذي النص موسيقياً وجمالياً^(٥٦)، ولكي نكشف عن اماكن ورود هذه الحروف والادوات ومدى حضورها في الاجوبة المسكّنة قامت الباحثة بأجراء احصاء لها من خلال رسم جدول توضيحي لنسبها في الاجوبة سواء أكانت هزلية ام جدية، فضلاً عن ان هذا التكرار ليس مجرد تكرار بل لها اهمية في ايصال الفكرة وايضاها للقارئ، كذلك تحافظ على بناء النص وتماسك اجزائه كما في الجدول الاتي:

جدول احصاء تكرار الحروف والادوات في الاجوبة المسكّنة

ت	الحرف او الاداة	نوعها	عددها في الاجوبة الجدية	النسبة المئوية	عددها في الاجوبة الهزلية	النسبة المئوية
١	الفاء	حرف	٣٤	٦,٢٦١	٣٠	٥,٥٢٤
٢	الواو	حرف	٢٣	٤,٢٣٥	٢٥	٤,٦٠٤
٣	في	حرف	١٣	٢,٣٩٤	١٢	٢,٢٠٩
٤	من	حرف	١٠	١,٨٤١	٨	١,٤٧٣
٥	لا	حرف	٨	١,٤٧٣	٣	٠,٥٥٢
٦	لم	حرف	٦	١,١٠٤	٣	٠,٥٥٢
٧	على	حرف	٥	٠,٩٢٠	٣	٠,٥٥٢
٨	باء	حرف	٧	١,٢٨٩	٥	٠,٩٢٠
٩	اما	حرف	٨	١,٤٧٣	١	٠,١٨٤

١٠	إذا	اداة	٤	٠,٧٣٦	٥	٠,٩٢٠
١١	الى	حرف	٢	٠,٣٦٨	٢	٠,٣٦٨
١٢	لو	اداة	٢	٠,٣٦٨	١٢	٠,١٨٤
١٣	لولا	اداة	٣	٠,٥٥٢	٢	٠,٣٦٨
١٤	هذا	اسم	١	٠,١٨٤	١	٠,١٨٤
١٥	إن	حرف	٣	٠,٥٥٢	٤	٠,٧٣٦
١٦	كان	فعل	٦	١,١٠٤	٤	٠,٧٣٦
١٧	اين	اسم	١	٠,١٨٤	١	٠,١٨٤
١٨	الا	اداة	١	٠,١٨٤	١	٠,١٨٤

أ-تكرار حروف العطف :

وهو من الانواع الشائعة كثيراً في الاجوبة المسكتة ، يستعين بها المتكلم لربط بين الجمل والعبارات، كما تساعد على بناء النص الادبي وتماسكه كما اشرنا سابقاً، كما يولد هذا التكرار دلالات مختلفة تؤدي دوراً في توجيه الدلالة وتماسك مقاطع النص^(٥٧)، ومن نماذج هذا النمط التكراري هي الاتي :-

((قال ابو الهذيل: قلت لمجوسي : ما تقول في النار؟ قال : ابنة الله ، قلت : فالماء؟ قال : نور الله، قلت : فالبقر : ملايكة قصر الله أجنتها لما غضب عليها وحطها الى الارض يحرق الارض، قلت : فما الجوع؟ قال : هو فقر الشيطان وفاقته ، قلت : فمن يحمل الارض؟ قال : بهمن الملك قال ، فقلت : فما في الدنيا شر من المجوس، أخذوا ملايكة الله فذبجوها ثم غسلوها بنور الله ، ثم شؤونها ببنت الله ، ثم دفعوها الى فقر الشيطان وفاقته ، ثم سلخوها على رأس بهمن أعز الله ملايكة الله ، فانقطع المجوسي مما لزمه))^(٥٨).

يتضح من الجواب تكرار حرفا (الفاء ، وثم) وهم من حروف العطف ولكل منهما عمله ووظيفته التي يؤديها في النص فـ(الفاء) توجب الترتيب^(٥٩) و(ثم) تعنى المهلة والتراخي^(٦٠)، والغرض من التكرار هو التهكم والسخرية من افكار المخاطب (المجوسي) وكررت الفاء لتسلسل الاسئلة والحوار دون احداث خلافية والتعقيب من معاني الغاء ايضاً هو الذي يجعل الحوار مترابط الاحداث وحكماً متعلقاً باخر معطوفاً عليه، فكررت هذه الحروف لكي تقوي الحوار وتلفت الانتباه لهذه الاسئلة ومن ثم الانتباه الى الاجابات التي تدل على عقل المخاطب المحدود ، فكرر (ثم) لتوبيخ المجوسي والسخرية منه ، واختيارها المتكلم في حديثه لأنها تحمل ان يكون هناك فارق زمني بين شيء والشيء الاخر فذبجها وغسلها بينهما فترة زمنية ، كذلك شوبها ودفعها بينهما فترات زمنية ، ولدت هذه التكرارات ايقاعاً موسيقياً متسارعاً انقذ النص من الضعف والرتابة التي قد تصيبه عند اطالته.

ومن النماذج ايضاً:

((كان سائل يمشي وابن له صغير معه فسمع امرأة خلف جنازة : تقول اين يذهبون بك يا سيدي؟ الى بيت ليس فيه وطا ولا رخا ولا غدا ولا عشا ؟ فاقل ابن السائل لأبيه : يا بابا، هذا الى بيتنا يذهبون به))^(٦١).

تكرر حرف العطف (الواو) اربع مرات في هذا الجواب، وهو من الحروف التي تفيد اشتراك وجمع ما بعدها لما قبلها، كما تشاركه في حكمه وتتبعه في الاعراب^(٦٢)، فجميع ما عطف عليه هو مشترك معها في الحكم وهي لا تحتاج الى ترتيب لان الامور التي ذكرتها المرأة متعلقة بعضها ببعض وهذا الغرض من اجله حدث التكرار الا وهو تعدد المعلقات واجتماعهما او اشتراكهما في شيء واحد وهو البيت إذ كل ما ذكرته متعلق بأمور البيت من اكل وسكينة وغيرها، الا ان جواب الولد جاء معبر عن حالتهم المعيشية، فإن بيتهم لا يحتوي على شيء فلذلك توقع الطفل بأنهم يأخذونه الى بيتهم، حيث لفت انتباه المتلقي الى مسألة الفقر الذي يأخذ مساحة من تفكير الصغير والكبير حيث احتوى وكان الجواب ممزوجاً بخليط من التهكم والتوجع، أفضى الى احداث توافقاً صوتياً متناسقاً بين الدلالة والايقاع.

كذلك ما ينبغي ان يعول عليه في هذا الجواب هو التكرار الواضح لأداة النفي (لا) ثلاث مرات، وهي لا النافية للجنس، اما (لا) الثانية فهي مزيدة لتأكيد النفي^(٦٣)، أي تنفي المرأة وجود تلك الاجناس التي ذكرتها في ذلك المكان الذي أخذت اليه الجنازة الا وهو القبر وما بعدها جاءت تأكيداً على انعدام تلك الامور، مما ساعد هذا التكرار على تسارع الايقاع وسهولة انسيابه لاذن المتلقي.

((كان بعض الأكاسرة راكباً فلقية أعور فحبسه ثم رجع فخلاه، فقال له : لم حبستني؟ قال: تشاءمت بك، قال: أنت والله أشأم، خرجت من قصرك فلقيتني فلم تر الا خيراً، وخرجت من منزلي فلقيتك فحبستني))^(٦٤).

تكرر حرف العطف (الفاء) ثمان مرات في الجواب، إذ تفيد (الفاء) (التفرق على مواصلة، أي إن الثاني يتبع الاول بلا مهلة)^(٦٥)، أي ان الفاء تفيد الترتيب والتعقيب^(٦٦)، ان ترتيب الاحداث التي تأتي مصحوبة بالفاء كما تأتي متعاقبة شيء يتبع الاخر دون فاصل زمني، فتكررت في الجواب وذلك لان الفاء تبعة الحبس ثم تبع الحبس الخلاء وهكذا فكل امر مرتبط في الاخر فعندما رآه حبسه دون ان ينتظر منه تفسيراً لذلك الحبس ثم اخلا سبيله دون معرفة سبب الحبس والخلاء، وبعد ان اطلق صراحه بين له ما سبب تلك الافعال.

وهذا التكرار حافظ على تسلسل الاحداث وترابط اجزاء الجواب وتماسكها، كما ان في الجواب ذاته هناك تكرار لبعض الالفاظ والتي هي (لقية، حبسه، لقيتني ، خرجت ، تشاءمت، أشأم) وكلها افعال احدثت فيها تغيير الروابط النحوية التي اتصلت بها فمنها من جاءت مصحوبة بسؤال ومنها بأداة جزم (لم) ومنها كانت مسنده لضمير الغائب (الهاء) ومنها الى ضمير المتكلم (الياء)، اما خرجت فما اسنده لها لا تغيير فيه فهو تكرار معنوي لان كلاً من المنزل والقصر يدلان على ذات الشيء وذات المكان وان اختلفت الامور التي يحتويها كلاً منهما الا انها وجهان لعملة واحدة .

((تكلم رجل بحضرة معاوية فهذر، ثم قال : أسكت يا أمير المؤمنين؟ قال : وهل تكلمت؟ ثم اقبل على بعض جلسائه، فقال: أما ترى تعثر لسانه بكلامه، وتعثر كلامه بلسانه؟))^(٦٧)

تكرر حرف العطف (ثم) مرتين، إذ افاد الترتيب والتراخي^(٦٨)، أي ان بين شيء وآخر فترة زمنية ومهلة أي ان هناك اول وثانٍ، فرجل تكلم هو الفعل الاول وبعد التكلم سكت، أي ان هناك مهلة بين التكلم والسكوت تمثلت بحرف العطف (ثم)، بما ان هناك تكرار لبعض الالفاظ والتي هي ((تعثر، كلامه، لسانه ، اضافة الى تكرار حرف الجر الباء)) الذي يفيد المصاحبة^(٦٩)، مع احداث تغير في تقديم وتأخير تلك الالفاظ، أي ان لسانه تعثر في الكلام فلم يعرف بأن كلامه ليس في محله وانه عبارة عن لغو لا فائدة منه، كما ان الكلام يخرج من لسانه بتعثر وتبعثر وتلكؤ دون السيطرة على اختيار الفاظه فوق موقع السخرية والتهكم من قبل الجالسين.

ب-حروف الجر :-

ويعرفها ابن منظور على انها (الاداة التي تسمى الرابطة، لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل، ك " عن " و " على " و نحوهما)^(٧٠).

كما انها تعد من حروف المعاني لا من حروف المباني، كونها تدل على معنى عند انتظامها في جملة مفيدة^(٧١)، أي ان هذه الحروف ليست جزءاً من كلمة ، بل هي مستقلة بذاتها تؤدي وظيفتها ومعنى يعاضد النص ويماسك اجزاءه.

كما ان هذه الحروف لها معاني تختلف من واحدة الى اخرى والحروف هي ((من ، عن ، الباء ، حتى ، مذ ، منذ وغيرها)) ، ومن النماذج التي وردت فيها هذه الحروف في الاجوبة المسكتة الاتي :-
((خرجت حبي المدينة في جوف الليل فلقيتها إنسان، فقال لها : تخرجين في هذا الوقت ؟ قالت: واي شيء أخاف ؟ إن لقيتني شيطان فانا في طاعته وإن لقيتني إنسان فانا في طلبه))^(٧٢)

تكرر حرف الجر (في) اربع مرات في الجواب بين السؤال والجواب، وجاءت هنا بمعنى الظرفية^(٧٣)، إذ دخلت في الاولى على اسم الاشارة (هذا)، إذ استفهم المتكلم خروج (حبي) في ظرف الليل، اي في وقت متأخر وذلك لمعرفته بما يقع من حوادث وامور في هكذا اوقات، وتكررت (في) مرتين في جواب (حبي) بمعنى (مع) المصاحبة^(٧٤)، أي (مع طاعته) و(مع طلبه)، فحرف الجر (في) هنا ربط بين سبب الخروج

وبين النتيجة لأنها في جميع الظروف مستعدة لما سيحدث وهي على علم تام بالنتيجة وسبب الخروج، غير ان لو لم يتكرر هذا الحرف لأصاب النص اختلالاً في البناء^(٧٥). ومن النماذج أيضاً: ((نظر الى بعضهم، وفص خاتمة ذهب، فقليل له : أليس قد نهى عن التختم بالذهب، قال : إنما قيل: لا تتختم بالذهب ، ولم يقل : لا تتفص به))^(٧٦).

نلاحظ تكرار حرف الجر (الباء) ثلاث مرات، مرتان مصحوبة لفظ نفسه ومرة اخيرة مضاف الى ضمير الغائب (الهاء)، والغرض من التكرار هو التوبيخ والتنبيه لمسألة النهي عن ارتداد الذهب، وجاء (الباء) هنا بمعنى الالتصاق في مواضعها الثلاثة^(٧٧) ، فموضوع الجواب هو مسألة التختم بالذهب واشكالية معرفة حكمها الصحيح، فالمنع جاء لتختم بالذهب ولم يأت المنع التختم بما يطعم بالذهب ، فالتكرار جاء لتوضيح المسألة، غير ان لولا هذا التكرار لأصاب النص الخلل والرتابة ، فقد قام حرف (الجر) بتماسك اجزاء النص وترابط الفكرة وإيضاحها .

((أخذت الخوارج رجلاً، فقالت له : إبرأ من علي وعثمان، فقال : أنا بريء من علي ومن عثمان بريء))^(٧٨)

تكررت (من) ثلاث مرات وهي من حروف الجر، إذ دخلت على اسماء (علي ، عثمان) فجاءت في المرة الاولى بمعنى بيان الجنس^(٧٩)، أي ان تعلن براءتك وتخليك عن طاعتهم، اما في المرة الثانية جاءت بمعنى التبعية^(٨٠)، أي ان المتكلم لم يعلن براءته من علي بل اعلن انه بعض من علي ودليل على ذلك انه يمكن الاستغناء عنها بـ (بعض)، اما في المرة الثالثة جاءت ايضاً بمعنى بيان الجنس، اذ اعلن براءته من شخص عثمان ، وهذا الجواب فيه ذكاء وسرعة بديهية تدل على تمكن المتكلم من الخروج من ذلك المأزق بذكاء وحنكة .

((قيل لأبي حازم : ما مالك ؟ قال : شيئان لا عدم لي معهما : الرضى عن الله والغنى عن الناس))^(٨١) . نجد تكرار الحرف الجر (عن) مرتين في الجواب، واحدة مصحوبة بلفظ الجلالة (الله) والآخرى مصحوبة بلفظة (الناس) بمعنى المجاوزة^(٨٢)، أي ان المتكلم لا يملك سوى رضا الله عنه وعدم الحاجة الى الناس

فهو بذلك غنى، تجاوزت المال وتركته لحصولي على هذين الامرين فلست ببسأل عن المال بوجودهم، ولا ننسى ما لهذا الحرف من دور في تماسك وتناسق اجزاء النص وتتابع الفكرة وافهامها للمتلقي .

ج- ادوات الشرط :

وهو من الادوات التي لها حضور في النصوص الشعرية والنثرية القديمة وكذلك الحديثة، ولكل اداة من هذه الادوات دلالة ووظيفة تؤديها عند دخولها على النص، وهي " ادوات وضعت لتدل على التعلق بين جملتين، والحكم بسببية اولاهما ومسببية الثانية" ^(٨٣) .

غير ان هذه الادوات تقتضي جملتين احدهما تسمى جملة الشرط والثانية تسمى جزاء وجواباً ^(٨٤)، أي فهي كالسؤال وجواب على ذلك السؤال.

كما ان هذه الادوات تساعد او تقوم بدور تماسك النص وتلاحم اجزائه لان لو حذفت هذه الادوات لأصاب النص اختلالاً ومن ثم صعب على المتلقي فهم الغاية المرجوة.

ومن النماذج على هذه الادوات الاتي :-

((قال الموصلي: قلت لأعرابي: من أشعر الناس؟ فقال : الذي إذا قال أسرع، وإذا شاء أبدع وإذا هجا وضع، وإذا مدح رفع)) ^(٨٥).

نجد تكرار اداة الشرط (إذا) واضحاً في الجواب، إذ تكررت اربع مرات وهي في الغالب ((تكون ظرفاً للمستقبل مضمنة معنى الشرط، وتختص بالدخول على الجملة الفعلية..)) ^(٨٦)

وفي الجواب جاء مكررة لتوضح وتأكد على الشروط التي على الشاعر توفرها فيه لكي يكون اشعر الناس فأنت توفرت فيه السرعة في القول والابداع ووضع الامور في مواضعها عند الهجاء ومدح من كان يستحق ذلك بكل مصداقية غير مخل ورافع من قدر الممدوح قيل عنه اشعر الناس، فأهمية هذه الاداة لا تقف عند حدود توضيح الغاية وانما ساعدت ايضاً على تناسق النص دلالياً وإيقاعياً وذلك لإعادتها مع تكرار حروف متقاربة في الالفاظ المصاحبة لها مما خلق جواً موسيقياً ملفت لأذن السامع.

((قال معاوية لأبي ذر بالشام: والله لولا امير المؤمنين عثمان لأضربن عنقك، فقال له ابو ذر: قاتلك الله ، تقول لولا عثمان ولا تقول لولا الله؟))^(٨٧).

تكررت أداة الشرط (لولا) ثلاث مرات، في المرة الاولى جاء بمعنى حرف اقناع شيء لوجود غيره^(٨٨)، أي ان المتكلم اقتنع من ضرب المخاطب (ابا ذر) لوجود عثمان امير المؤمنين، الا انها تكررت مرتين في الجواب بمعنى التوبيخ والتنديم فكررها ابو ذر في جوابه توبيخاً وتنديماً على ما قاله معاوية هو خوفه احتراماً من عثمان كونه امير المؤمنين ولم يقل لولا الله وهو الأحق بذلك الاحترام والخوف، مما احدث هذا التكرار نغماً موسيقياً ينساب بسهولة وجمال الى اذن المتلقى، وكذلك حافظ على ترابط النص وتلاحمه .

((وقيل له: كيف القدوم على الله ؟ قال: أما المحسن فكالغائب يقدم على اهله مسروراً، وأما المسيء فالعبد الآبق على مولاه واجماً خائفاً))^(٨٩).

تكررت أداة الشرط (إما) مرتين في الجواب، وهو حرف يتضمن معنى الشرط والتفصيل وتلازمها الفاء^(٩٠)، فهو فصل حال قدوم الشخص على الله وفق اعماله وافعاله التي قام بها في دنياه فان كانت خير فيكون من الفرحين بلقاء الله متلهفاً لذلك، كلقاء الغائب عن اهله وهو ذو اثر طيب ، اما حال الشخص الاخر صاحب الاعمال المنافية لأوامر الله يكون خائفاً من لقاء الله وخجلاناً من الوقوف امامه لسوء افعاله وشبه بالعبد الذي يخطئ ويقف امام مولاه خائفاً من عقابه منحى الرأس امامه، فتكرار الحرف مع التشبيه اضفى على الجواب طابعاً جمالياً ايقاعياً من خلال تكرار بعض الحروف متقاربة المخرج.

((قال بعض الاكاسرة لبعض مرارته : ما اطيب الملك لو دام ، فقال: لو دام لم يصل اليك))^(٩١).

تكرر حرف الشرط (لو) مرتين في الجواب ، وهو حرف يفيد امتناع الجواب لامتناع الشرط^(٩٢)، أي ان امتنع طيبه وهو الشرط لامتناع دوامه وهو جواب الشرط، فهو يريد عدم ذهاب الملك لما فيه من طيب وحياة مرفهة بعيدة عن كل متاعب الدنيا، الا ان لو دام كما يريد المتكلم لما وصله له فعدم دوامه لمن

سبقه هو الذي جعله يشعر بذلك الطيب فلا تنسى ان شعورك بذلك الطيب والراحة هو نتيجة ذهاب الملك عن سبقك .

المبحث الثاني: تكرار الكلمة في الاجوبة المسكتة:

وهو من ابسط انواع التكرار ، إذ يعتمد فيه الاديبي الى تكرار كلمة او لفظة دون غيرها لعنايته بها ، ولما لها من اهمية في نفس المتكلم ، كما ينبغي ان تكون اللفظة المكررة ذات صلة بالمعنى الكلي للنص إذ ينبغي ((أن يكون اللفظ المكرر وثيق الارتباط بالمعنى العام ، والا كانت اللفظة متكلفة لا سبيل الى قبولها))^(٩٣) .
غير ان تكرار الكلمات ((يعمل على اظهار الفكرة المركزية للنص ومن ثم يشكل ما يعرف مفتاح النص او ربما النواة التي تدور حولها جميع العناصر اللغوية))^(٩٤) ، أي ان تكرار الكلمة يعمل على توضيح الفكرة وافهامها للمتلقى فهو بتكراره لهذه اللفظة يريد لفت انتباه القارئ للمعنى العميق لا للمعنى السطحي .

و((تكرار الكلمات يمنح النص امتداداً وتنامياً في الصور والاحداث لذلك يعد نقطة ارتكاز أساسية لتوالد الصور والاحداث وتنامي حركة النص))^(٩٥) ، فعندما يكرر المتكلم لفظة ما بصيغ مختلفة فانه يسعى لنمو النص واحداث حركة فيه وتنامي احداثه وايضاها ومن ثم تجديد الصور ويأثر التكرار في البنية الدلالية فإنه ((يؤثر في البنية الايقاعية وذلك إذا كان توزيع الالفاظ المكررة ذا ابعاد متساوية او يقل الاحساس بالأثر الايقاعي مع اختلال ابعاد التوزيع))^(٩٦) .
إذ ينبغي على المتكلم ان يحرص على اتباع هندسة مرتبة من شأنها توزيع الالفاظ المكررة وفق تناسب محدد ومعقول كي لا تخرج النص من بنيته الايقاعية التي تؤثر على البنية الدلالية للنص مما تجعل منه نصاً متكلفاً عيأً تمجه الاسماع وتفقده صورته الجمالية .

كما يؤكد محمد عبد المطلب على فاعلية التكرار في مصنف اخر له حيث يقول أن فاعلية التكرار تبرز من خلال ((إنتاج الدلالة أحياناً ، وفي إنتاج الايقاع الخالص أحياناً اخرى ثم مزج الايقاع بالدلالة أحياناً

ثالثة))^(٩٧)، لان البنية الدلالية تؤثر على البنية الايقاعية إذ اصاب احدهم خلاً اصاب الآخر مثله مما يبعد النص عن غايته المنشودة.

ويوفر التكرار طاقة مضافة للخطاب الذي يرد فيه مما يحدث أثراً جليلاً في المتلقي يساعد على نحو فعال في اقناعه او حمله على الازعان، وذلك لان التكرار يساعد أولاً على التبليغ والافهام ويعين المتكلم ثانياً على ترسيخ الرأي او الفكرة في الالذهان^(٩٨)، اما في الدراسات اللسانية فقد تم معالجة التكرار من قبل علماء اللسانيات من منظور السبك المعجمي إذ ((يحيل اللفظ المكرر سابق مرادف او مرادف قريب يرتبط به عن طريق الاحالة المشتركة))^(٩٩).

جدول احصاء تكرار الكلمة (الأفعال والأسماء)

ت	تكرار الاسماء في الجادة	النسبة المئوية	تكرار الاسماء في الهزلية	النسبة المئوية
١	٢٣	٤,٢٣٥	٢٦	٤,٧٨٨
ت	تكرار الافعال في الاجوبة الجادة	النسبة المئوية	تكرار الافعال في الهزلية	النسبة المئوية
١	٣٣	٦,٠٧٧	٢٩	٥,٣٤٠

ونلاحظ من الجدول اعلاه ان النسب في تكرار الافعال والاسماء في الاجوبة المسكتة (هزلية ، الجدية) بينها تفاوت بسيط غير ان ما يميز تكرار الكلمة في الاجوبة ، هو كون الجواب قصيراً موجزاً تكون الكلمة فيه مشبعة بالقوة التأثيرية والدلالة ،فالكاتب عندما يختار كلمة ويكررها من دون غيرها فإنه يرى فيها القدرة على التعبير عن الفكرة الكامنة في ذهنه، فاختياره لهذه الكلمة فيها قوة لأظهار حالته النفسية وموافقته للحدث والموقف فهي مركز الحديث وبؤرته وكل ما يدور في فلكها يساعدها ويعاضدها لرسم صورة للغاية والمعنى الذي يريد الكاتب مشاركة القارئ فيها ومن ثم تفاعله مع القضية.

وبعد الإحصاء الذي أجرته الباحثة توصلت الى حضور واضح وملحوظ لتكرار الكلمة لاسيما بالنسبة لأنماط التكرار الأخرى التي سنتناولها في البحث لاحقاً، إذ جاءت النماذج مختلفة باختلاف الأسلوب والالفاظ مما أوضح الدوافع التي من أجلها سيق هذا التكرار ان كان يقصد من المتكلم او جاء عفوي من دون قصد ولتوضيح هذا النمط ندرج النماذج الآتية :

((قال ابو حنيفة لشیطان الطاق : تحل المتعة ؟ قال : نعم ، قال : فزوجني امك متعة، فقال: يا أحمق ، إن زوجناك اياها فليست متعة، والمتعة أن تزوجك نفسها))^(١٠٠)

نلاحظ في هذا الجواب تكرار واضح للفظ (المتعة) اربع مرات في السؤال وفي الجواب حيث اصبحت بؤرة الحدث، وكل ما حولها جاء لإيضاح دلالات مختلفة يقصدها المتكلم بغية ايصالها الى ذهن المتلقي^(١٠١) ، إذ جاءت اللفظة الاولى بصيغة السؤال لمعرفة وقع هذه اللفظة في نفس المخاطب وهل موقفه مشابه لموقف اقرانه من ذهب الشيعة كون هذا الزواج حلالاً لديهم، الا ان الغرض الذي اراد ايصاله المتكلم الى المخاطب هو التهكم والسخرية وهذا هو الدافع النفسي الذي جعله يقدم على هكذا سؤال، وهذا الدافع يوضحه اللفظ المكرر الثاني فجملة (فزوجني امك متعة) اراده منها السخرية من المخاطب، اما في المرة الثالثة جاء اللفظ لينفي ما تعنيه المتعة من وجهة نظر المتكلم، فأكمل المخاطب حديثه ليعيد اللفظة مرة رابعة موضحاً فيها وشارحاً ما تعنيه لفظة (متعة) عند الشيعة، وهي ان تمنحك المرأة نفسها وهي راضية بذلك لا مجبرة أي ان تكرار اللفظة كان وسيلة مهمة في فهم ما يقصده المرسل الى المتلقي^(١٠٢).

((قال بعض الملحدين لبعض المتكلمين: هل من دليل على حدوث العالم؟ قال: الحركة والسكون، فقال: الحركة والسكون من العالم، فكأنك إنما قلت الدليل على حدوث العالم العالم ، قال : وسؤالك اياي من العالم؟ فاذا جئت بمسألة من غير العالم أجبتك كذلك من غير العالم))^(١٠٣).

نجد تكرار واضح للفظ (العالم) إذ تكررت سبع مرات وبأسلوب ذاته الا ان ما يسند اليها مختلف، فأن لكل لفظة مكررة تخرج دلالات مختلفة والذي يخلق هذه الدلالات المغايرة ليس اللفظ وحده انما ما يسند اليها من الالفاظ اخرى وادوات ربط وغيرها^(١٠٤)، أي ان كل لفظة تذكر مع ما يتناسب ويتسق معها فهي

لكل واحدة منها سياق خاص لا يشبه ما ذكرت سابقاً، فأن لفظة العالم الاولى جاءت مسنده لحرف الاستفهام (هل) وهو طلب معرفة ودليل على خلق هذا العالم، فربما يتوقع المتكلم بأن الرد سيكون دليل اما ملموس او علمي مسند الى قضايا وشروحات الا ان الرد جاء محطماً لذلك التوقع عندما كان الرد (الحركة والسكون) فكررت اللفظة مرة ثانية مصحوبة بحرف جر تدل على ان الحركة والسكون هي جزء من العالم وليس العالم كله.

اما في المرة الثالثة التي تكررت فيها اللفظة جاء لمعنى التأكيد والتأثير في النفس المتلقي تبعاً لأهمية الموضوع، ثم تكررت اللفظة في المرة الخامسة بصيغة سؤال ايضاً لكن اداة السؤال ربما حذفت تاركة أثراً في نفس المخاطب، اما تكررها في المرتين الاخيرتين جلب (اتفاق الدال واختلاف المدلول إذ يميل الى تأكيد المعنى وتبنيه بالإضافة الى تكثيف المعنى الذي يرجع الى الایحاء النابع من اللفظ الاول بتوقع الثاني، كما ان التردد المتمثل في اللفظتين يعطي لونا من الايقاع يتقارب مع الغناء الذي يطلب فيه ترداد بعض الالفاظ بعينها يدركها السامعون على البديهة بمجرد الانشاد))^(١٠٥).

((ضرب رجل ضرباً شديداً فصبر، وضرب ابنه فجزع، فقيل له في ذلك، فقال: ضرب جلدي فصبرت، فلما ضرب قلبي لم أصبر))^(١٠٦)

نجد في الجواب تكرار للفظتين هما (ضرب، صبر) إذ تكررت الاولى خمس مرات مع اختلاف ما اسند اليه من الالفاظ، وتكررت الثانية ثلاث مرات وكذلك مع اختلاف ما اسندت اليه، فأن ((لكل كلمة تكررت لفظاً ومعنى بيد ان ثمة تغييراً في المعنى لا يرجع الى الدلالة المعجمية للكلمة نفسها وانما يرجع الى تغير ما اسندت اليه))^(١٠٧)، فـضرب الاولى جاءت اخبار المخاطب او المتلقي الفعل الواقع على الرجل واللفظة الثانية (ضرباً) جاءت توضح كيفية الضرب وربما يكون قد ترك ذلك الضرب علامات على جسد الرجل، إذا اراد المتكلم وصف الحالة النفسية التي كانت يعايشها بغية لفت انتباه المتلقي له والتأثير به ففي المرة الاولى اسندت اللفظة الى الرجل.

وفي المرة الثانية اسندت الى الابن ودلالات التي جاءت بها المرة الثانية هي الجزع من ضرب ابنه أي التوجع وعدم تحمل ذلك المنظر رغم تحمل الرجل الضرب الذي وقع عليه، وفي المرة الثالثة جاءت مسندة الى لفظة (جلدي) فسكت، وفي المرة الرابعة جاءت مسنده الى لفظة (قلبي) أي استعار بقلبه تلك القطعة التي تحبس في ايمن الصدر بلفظه (ابنه) والعامل هنا الغريزة الابوية ومن ثم مدى حبه لابنه ، (لم أصبر) حيث اسندت اصبر الى اداة الجزم (لم) التي قلبت الحال الى حال اخر وظهرت دلالة اخرى مغايرة لسابقتها وهي عدم قدرة الرجل على السكوت وهو يرى طفله يضرب، وبالتالي فان التكرار لا يهدف الى اظهار المعاني فحسب وانما يظهر الاحاسيس والانفعالات^(١٠٨).

كما ان تكرار اللفظ بصيغ مختلفة يحدث تلويحاً موسيقياً يلفت انتباه السامع^(١٠٩).
((قال المنصور: من بركتنا على المسلمين أن الطاعون رفع عنهم في أيامنا، فقال ابن عياش: لم يكن الله ليجمعكم علينا والطاعون))^(١١٠)

في هذا الجواب كرر المتكلم لفظة (الطاعون) مرتين الاولى في صدر الجواب والثانية في عجز الجواب، إذ ان هذا التكرار في بنيته دون احداث تغير فيه يريد منه تحقيق التماسك النصي الذي يفضي في الاخير الى تحقيق التماسك الدلالي^(١١١)، (فالطاعون) الاولى جاءت توضح الاثر النفسي للمتكلم وتفاخره برفع الطاعون ذلك المرض الفتاك على المسلمين في عهده وان مجيئهم كان خير على الناس الا ان الطاعون الثانية التي كررها ابن عياش في حديثه تدل على معنى مغاير لما جاءت به اللفظة الاولى. إذ دلت على التهكم والسخرية من قبل ابن عباس على كلام المنصور اذ ان الله عز وجل لم يهون بأن يجمع عليهم مصيبتين او بلاتين كل منهما يختلف عن الاخر الا ان تأثيرهما على الناس واحد وذلك بسبب ظلمهم للناس وانتشار الفساد في عهدهم لذا رفع الله الطاعون وابقاهم فهذه تلاحمت الالفاظ فيما بينها وخلقت ايقاعاً متناسقاً ملائماً لتلك الدلالات التي قصدها المتكلم واراد التأثير بها في نفس المتلقي ، غير ان اللفظتان وان اتفقتا في البنية السطحية الا ان المعنى الذي يريده المتكلم يكمن في البنية العميقة التي اشار لها محمد عبد المطلب في كتابه بناء الاسلوب في شعر الحداثة^(١١٢).

المبحث الثالث: تكرار العبارة في الاجوبة المسكتة:

التكرار في الاجوبة المسكتة لا يقف عند تكرار الحرف والكلمة انما يمتد الى تكرار العبارة، وذلك هو التكرار الاقوى تأثير من الانماط التكرارية الاخرى، كون ((الجملة عبارة عن عدد من التمفصلات المتصلة مع بعضها البعض بروابط نحوية))^(١١٣)، فعندما يكرر المتكلم عبارة ما ينبغي ان تكون تلك العبارة تحمل قوة تعبير تختلف عن سالفاتها، فضلاً عن ارتباطها بما قبلها وما بعدها حتى لا يصيب النص الضعف والرتابة ، ويعد ((تكرار العبارة في السياق ذا اثر عظيم في توفير الجانب الموسيقي، ولهذا التكرار من القيمة السمعية ما هو اكبر مما هو لتكرار الحرف الواحد في الكلمة او في الكلام))^(١١٤)، والاجوبة المسكتة قائمة على مبدأي الحجاج والاقناع، حيث تكمن قيمة التكرار الحجاجية في التأثير الذي يولده تكرار العبارة- في المتلقي لتوصله الى الاقتناع بالقضية المطروحة^(١١٥).

جدول احصاء تكرار العبارة في الاجوبة المسكتة

ت	عدد الجمل الفعلية في الاجوبة الجادة	النسبة المئوية	عدد الجمل الفعلية في الهزلية	النسبة المئوية
١	١٢	٢,٢٠٩	٧	١,٢٨٩
ت	عدد الجمل الاسمية في الجادة	النسبة المئوية	عدد الجمل الاسمية في الهزلية	النسبة المئوية
١	٦	١,١٠٤	٧	١,٢٨٩
ت	عدد شبه الجملة في كلا الاجوبة	النسبة المئوية		
١	٥	٠,٩٢٠		

ومن خلال الجدول اعلاه يتضح لنا قلة حضور تكرار العبارة مقارنة بالمستويات والانماط التكرارية الاخرى التي تضمنتها الاجوبة، كما ان لهذا التكرار وقعاً في النفس واثراً على المشاعر، ذلك لانه يتكون من مجموعة من الاصوات ذات الصفات المختلفة والتأثير المغاير ، غير ان حضوره كان يتغير تبعاً – أي الدلالة والمعنى – لما يتصل به من ادوات ربط نحوية التي من وظائفها احداث تغير في العبارة ونقلها من حال الى حال، وحتى نرى هذا التأثير والنسب التي شغلها داخل الاجوبة قامت الباحثة برسم الجدول المدرج اعلى الصفحة .

ومن تلك النماذج التي ورد فيها هذا التكرار هي :

((مر عبد الله بن جعفر بدار في المدينة، فسمع جارية تغني :

قل للكرام ببابنا يلجوا هل في التصابي على الفتى حرج

فتى رحله ودخل الدار، فقال له صاحبها : مثلك – اصلحك الله- يدخل داراً بغير إذن؟ فقال: والله ما دخلت الا بإذن، أليس قلت: قل للكرام ببابنا يلجوا، فولجت))^(١١٦).

فقد تكررت عبارة (قل للكرام ببابنا يلجوا) مرتين في صدر الجواب وعجزه ، فبتكرار العبارة اراد المتكلم ((تحقيق الوظيفة الاقناعية في مقامات معينة، والتي تقيد تثبيت الفكرة في مقامها مما يجعل الحوار مفهوماً أكثر))^(١١٧)، أي ان تكرار هذه العبارة اراد فيها المتكلم اقناع المخاطب بحجته على السماح له بالدخول الى الدار ولم يدخل من ذات نفسه فكرها لأفهام المخاطب الغاية المنشورة مما احدث هذا التكرار اثراً سمعياً في اذن المتلقي من جراء اعادة العبارة على جميع ما اشتملت عليه في المرة الاولى وما يسمى رد العجز، كما يهدف تكرار العبارة ((الى زيادة الفهم بجذب انتباه المستقبل وامتلاكه))^(١١٨).

((قالت امرأة مزيد لمزيد، وكانت حبلى ونظرت الى قبح وجهه : الويل لي إن كان الذي في بطني يشبهك، فقال لها : الويل لي ان كان الذي في بطنك لا يشبهني))^(١١٩).

نلاحظ في هذا الجواب تكرار لعبارة (الويل لي إن كان الذي في بطني يشبهك) مرتين مع احداث تغيير طفيف احدثته بعض الروابط النحوية، فضلاً عن ان كلا العبارتين تبرز حالة المتكلم وتخوفه من الذي

يحدث الا ان الدافع النفسي يختلف بين المتكلم والمخاطب ، فالمرأة خوفها من ان يكون الطفل يشبه وجه والده اما خوف الرجل يختلف عنها فهو يريد ان يكون الطفل يشبهه حتى لا يتهم بان الطفل ليس منه وجاءت مصاحبة لحرف النفي (لا)، والدافع الذي سبق لاعادة هذه العبارة وهو دافع الخوف في نفس كل من المخاطب والمتكلم ، وتكرار هذه العبارة يغلب ان تكون مقتطعة من كلام سمعه المتكلم ووجد تعليقاً مريراً على حالة حاضرة تؤلمه، او اشارة الى حادث مثير يصحبه حزناً قديماً او ندماً نائماً، او سخرية موجعة، عبر هذا التكرار عن كثافة الدفقة الوجدانية وثقل وقعها على اللفظ^(١٢٠)، كما حقق هذا التكرار غاية الافهام وغاية التأثير والتأكيد على موقف ما^(١٢١).

((سأل سليمان بن عبد الملك في أمر فقال : هل علينا عين؟ فقال عمر : نعم، عين بصيرة لا تحتاج الى تحديق ، وسمع نافذ لا يحتاج الى تدقيق))^(١٢٢).

فقد تكرر في هذا الجواب عبارة (لا تحتاج) مرتان مع تغير طفيف احدثته الالفاظ التي جاءت مصاحبة لهذه العبارة، وتكرار الفعل المضارع (يحتاج) يدل على استمرارية هذه العين والسمع و(لا) النافية تنفي انقطاعهما والمراد بكلاً منهما هو الله عز وجل، وتكرار هذه العبارة البسيطة تمثل اضاءة للسامع والقارئ لغرض يقصده المتكلم وهو هناك من يراقب افعال واقوال الجميع.

حيث وردت في سياق اسلوب من الاساليب النحوية المعروفة عند النحويين الا وهو اسلوب النفي^(١٢٣)، فتكراره لهذه العبارة اراد منها الافهام وشرح وإيضاح المسألة للمخاطب^(١٢٤)، نتج عن ذلك نسقاً موسيقياً لاسيما من خلال تقارب الاصوات واعادتها في الكلمات مما لفت انتباه المتلقي الى المعاني والايقاع المتأتي منها، ففي هذا الجواب قام التكرار بوظيفته الدلالية التي وضحت المعاني والدلالات التي من اجلها سبق التكرار و الوظيفة الجمالية او الايقاعية التي نتجت من تناغم الاصوات والعبارات فيما بينه، وباجتماع هاتين الوظيفتين تحققت القيمة الاسلوبية لظاهرة التكرار.

((نظر الى ديو جانس وهو يأكل في الطريق: فقيل له : تأكل في الطريق؟ فقال: جعت في الطريق فأكلت في الطريق))^(١٢٥)

تكررت عبارة (في الطريق) ثلاث مرات ولم يحدث فيها تغير إنما التغير حدث لما جاء قبلها من الألفاظ، فالأولى جاءت للاستفهام عن أكله في الطريق والثانية كانت رداً على ذلك السؤال بأن الدافع لأكله في الطريق هو لشعوره في الجوع والثالثة جاءت تأكيد لفعله وهو الأكل في الطريق، فإن تكرار العبارة يكون بمثابة المنبه الذي يتيح للذهن التوقد والتنبيه لأهمية المعاني التي جاءت قبله وبعده^(١٢٦)، فتكرار جاء لإقناع المخاطب بالحجة وتحقيق الغاية المنشودة وهي عدم وجود مانع يمنع من الأكل في الطريق ان لم يكن ذلك يسبب نوعاً من الازدحام الى الآخرين، مما متع هذا التكرار البصر بالإيقاع وبالزخرفة الصوتية الناتجة عن ذلك التكرار به يطرب السمع، فضلاً عن أهميته الوظيفية المتمثلة في إضاءة العبارة المقترنة به والمتغيرة في كل مرة^(١٢٧)، مما أثاره مشاعر المتلقي، والتنبيه على المعنى المنشود وأهميته لدى المتكلم.

نتائج البحث:

١. يكشف البحث عن ان التكرار ظاهرة بارزة وواضحة في الاجوبة المسكتة كما يعد من أبرز الأسس في الموسيقى الداخلية.
٢. التكرار لم يأت للزينة والزخرفة اللفظية ، بل جاء ليؤدي دلالات جديدة ووظائف متعددة تعتمد على الموقف والقضية المطروحة آنذاك.
٣. ان تكرار الاصوات يدل على صفة الحرف ودلالاته ودوره في بناء النص وتماسك أطرافه ، فضلاً عن أهميته في تكوين الفكرة المرجوة، فكل صوت صفة يتميز وينفرد بها عن الاصوات الاخرى ، فمنها ما يحمل صفة الشدة ومنها ما يحمل صفة اللين والرخاوة فكل هذه الأصوات تكرر في الكلمة بما يناسب الحدث وحالة الكاتب او المتكلم النفسية.
٤. أن تكرار الكلمة لا يأتي عفويّاً بل يكون مقصوداً من قبل المتكلم ذلك لما لها من قوة تأثيرية في المتلقي، فهو عندما يكرر كلمة ويختارها دون غيرها لما لها من وقع في نفسه وقدرة على تجسد المعنى المنشود فهو يراها تخدم النص وترفع من قيمته الاسلوبية اكثر من غيرها.

٥. كل التكرارات تولد إيقاعاً وموسيقى تنثير انتباه المتلقي وتطرب اسماعه مما تجعله يتفاعل مع الحدث والتعرف على الحالة النفسية التي يعيشها المتكلم.
 ٦. تولد التكرارات وأنماطها المختلفة دلالات جديدة في كل مرة يكررها المتكلم تبعاً للقضية التي يحاول الجواب نقدها والتنبيه عليها.
 ٧. للعبارة أهمية في تلك التكرارات فقد تكررت عبارات بعينها إلا أن التغير الذي يطرأ عليها يعود لأدوات الربط التي تصاحبها.
- الهوامش:**

-
- (١) البيان والتبيين: الجاحظ، ١/١٠٥.
 - (٢) نفسه.
 - (٣) المثل السائر: لابن الأثير: ٢/١١٠.
 - (٤) ينظر: جدلية الأفراد والتركيب: ١٤٠.
 - (٥) العمدة في محاسن الشعر: ابن رشيق القيرواني/ ٦٨٣.
 - (٦) جدلية الأفراد والتركيب: ١٤١.
 - (٧) ينظر: المصدر نفسه، ١٤٤.
 - (٨) معجم النقد الأدبي القديم: د. أحمد مطلوب، ٣٧٠، مكتبة لبنان، ط١، ٢٠٠١.
 - (٩) المصطلحات الأساسية في لسانيات النص: د. نعمان بوقرة، ١٠٠، عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠٠٩.
 - (١٠) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، ١١٧-١١٨.
 - (١١) معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها: محمد سعيد أسبر، وبلال جنيدي، ٣٥٢-٣٥٣، ينظر: معجم المصطلحات الأدبية: سعيد علوش، ١٨٨.
 - (١٢) قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة: ٢٤٢.
 - (١٣) ينظر: شفرات النص: صلاح فضل، ١٠٤.
 - (١٤) ينظر: ظواهر أسلوبية في شعر نزار قباني: لحوجي صالح/ ١٦.

- (١٥) لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ١٧٩.
- (١٦) بناء الاسلوب في شعر الحداثة: محمد عبد المطلب، ١٠٩.
- (١٧) ينظر: التشكيل اللغوي في رواية (وطن من زجاج)، ياسمينه صالح، جمعيات منى، ١١٧-١١٨.
- (١٨) إيقاع النثر (في اوراق الورد) عزف البديع : الرافي، ٨٧.
- (١٩) ينظر: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب: محمد بنيس : ١٧٥.
- (٢٠) ينظر: تقنية التكرار من منظور الوظيفة الحجاجية الاتصالية: د. حاكم عمارية، ٢٩-٣٠.
- (٢١) نفسه : ٣٥.
- (٢٢) بناء الاسلوب في شعر الحداثة : محمد عبد المطلب ، ٤٢٧.
- (٢٣) ينظر: تقنية التكرار من منظور الوظيفة الحجاجية : ٢٦-٣٨.
- (٢٤) ظاهرة التكرار في شعر ابي القاسم الشابي، زهير منصور، ١٣٠٤-١٣٠٥.
- (٢٥) ينظر: شعرية الخطاب في المناجاة الصوفية: عبد الحميد جريوي، ١٦١، والتماسك في قصيدة قفا بنك لامرئ القيس : دريم نور الدين، صفية بن زينة، ٤٩، واستراتيجية الخطاب، صلاح فضل ، ٣٩.
- (٢٦) ينظر: بناء الاسلوب في شعر الحداثة : محمد عبد المطلب ، ١٢٠.
- (٢٧) ينظر: النسق الشعري وبنياته : د. طارق ثابت ، ١٧٦.
- (٢٨) ينظر: نفسه ، ١٥٨.
- (٢٩) التكرار وعلامات الاسلوب في قصيدة (نشيد الحياة) للشابي: أ.د احمد علي محمد، ٧٠.
- (٣٠) ينظر: الاسلوبية وتحليل الخطاب : منذر عياشي ، ٧٨.
- (٣١) ينظر: التكرير بين المثير والتأثير: ١٩٥.
- (٣٢) ينظر: اسلوب التكرار في شعر نزار قباني : ١٩٥.
- (٣٣) السمات الاسلوبية في القصة القرآنية : يوسف سليمان، ٥٢.
- (٣٤) ينظر : استراتيجية الخطاب، صلاح فضل : ٢٥١-٢٥٢.
- (٣٥) ينظر: النثر الفني في ثورة التوابين : د. هاشم جبار، ١٣٢-١٣٣.
- (٣٦) الاجوبة المسكتة : ٥١.
- (٣٧) ينظر: الاصوات اللغوية : ابراهيم انيس ، ٦٣، علم الاصوات- برتيل مالمبرج، ١١١-١١٣.
- (٣٨) قصار السور دراسة اسلوبية : ٤٠.

- (٣٩) ينظر: بنية التكرار في شعر ادونيس ، ٧٤.
- (٤٠) الاجوبة المسكتة : ٩٣.
- (٤١) التكرير بين المثير والتأثير: د. عز الدين علي السيد، ٤٥.
- (٤٢) ينظر: دراسة في علم الاصوات : د. حازم كمال ، ٤٣، دروس في علم اصوات جان كافتينو ، ٤٧-٦٠، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ١٦٩.
- (٤٣) ينظر: اسلوب التكرار في شعر نزار: ١٩٥.
- (٤٤) الاجوبة المسكتة : ٢٢٠.
- (٤٥) ينظر: عزف على وتر النص الشعري: عمر محمد طالب، ٥٢٠.
- (٤٦) ينظر: الاصوات اللغوية : ٤٥.
- (٤٧) ينظر: علم الاصوات : ١٨٣.
- (٤٨) ينظر: المدخل الى علم اللغة : د. رمضان عبد التواب ، ٢٢١.
- (٤٩) الاجوبة المسكتة : ١٦٧.
- (٥٠) ينظر: الكتاب : سيبويه ، تح : هارون ، ١٣٦/٤.
- (٥١) ينظر: علم الاصوات : د. كمال بشر، ٢٧٦، ينظر : المنهج الصوتي ، ٢٧-٢٨.
- (٥٢) النثر الفني في ثورة التوابين : د. هاشم جبار، ١٢١.
- (٥٣) ينظر: لغة الشعر العراقي المعاصر: عمران الكبيسي، ١٨٢.
- (٥٤) ينظر: النسق الشعري وتبياناه : أ.د. طارق ثابت ، ١٧٦.
- (٥٥) ينظر: الفصل والوصل في خطب نهج البلاغة : م. د. حسن هادي ، ٢١٥.
- (٥٦) ينظر: ظاهرة التكرار في شعر ابي القاسم الشابي : زهير منصور، ١١.
- (٥٧) ينظر: نسق الشعري وبنياته : ١٧٠.
- (٥٨) الاجوبة المسكتة : ١٥١.
- (٥٩) علل النحو، ٣٧٧، المقتضب، ١/١٤٨، شرح بن عقيل، ٣/٢٢٧، رصف، ٣٧٦.
- (٦٠) شرح بن عقيل ٣/٢٢٧، الصاحبى فقه اللغة، ١٠٦، الغرة في شرح اللمع، ٨٩٧، الفصول ، ٢٣٦.
- (٦١) الاجوبة المسكتة : ٢١٢.
- (٦٢) شرح التسهيل: ٣٥-٣٨، شرح بن عقيل، ٣/٢٢٦، الصاحب ٧٩، الغرة ١/٨٧٢.

- (٦٣) الدرر: ١/١٣١، النحو العربي: ١/٢٨٤، الفصول الخمسون، ٢٠٢، رصف ٢٦٤.
- (٦٤) الاجوبة المسكتة: ٣٩.
- (٦٥) الغرة في شرح اللمع: ٨٩٠، علل النحو، ٣٧٧، الجنى الداني، ١٢١، الفصول الخمسون، ٢٣٧.
- (٦٦) رصف المباني: ٣٧٧، ينظر: منازل الحروف، ٤٤، خصائص الحروف، ١٢.
- (٦٧) الاجوبة المسكتة: ١٥.
- (٦٨) معاني النحو، ٣/٢٣٧، شرح بن عقيل، ٣/٢٢٧، الفصول الخمسون، ٢٣٧، منازل الحروف، ١٠٥، اسرار العربية ٢٢٠.
- (٦٩) شرح الاشموني، ٢/٢٩٣، اوضح المسالك، ٣/٣٢.
- (٧٠) لسان العرب، ابن منظور، ٣/٤٥٧.
- (٧١) فقه اللغة الصاحبى: ٨٧٠.
- (٧٢) الاجوبة المسكتة: ١٧٥.
- (٧٣) شرح الاشموني: ٢/٢٩٢، اوضح المسالك: ٣/٣٤، الجنى الداني، ٢٥٠، اسرار العربية: ١٩٤.
- (٧٤) ينظر: اوضح المسالك، ٣/٣٥، الجنى الداني: ٢٥٠، معاني النحو: ٥٩، جامع الدروس: ٣/١٨٠.
- (٧٥) ينظر: النسق الشعري وبنياته، ١٧٦.
- (٧٦) الاجوبة المسكتة: ١٩١.
- (٧٧) جامع الدروس العربية: مصطفى الغلاييني، ٣/١٦٨، سر صناعة الاعراب، ١٢٣، الاشموني، ٢/٢٩٣.
- (٧٨) الاجوبة المسكتة: ٤٢.
- (٧٩) اوضح المسالك الى الفية ابن مالك، ٣/١٨، شرح الاشموني، ٢/٢٨٧، منازل الحروف ٥٠.
- (٨٠) نفسه، شرح الاشموني، ٢/٢٨٧، منازل الحروف، ٥٠، معاني الحروف، ٩٧.
- (٨١) الاجوبة المسكتة: ١٣٩.
- (٨٢) معاني النحو: فاضل السامرائي: ٣/٥٣.
- (٨٣) شرح التسهيل: ابن مالك، ٤/٦٦.
- (٨٤) ينظر: همع الهوامع: السيوطي، ٢/٥٥٠.
- (٨٥) الاجوبة المسكتة: ١٦٠.
- (٨٦) معاني النحو: فاضل السامرائي، ٢/٢٠٦، ينظر: الصاحبى، ٩٨.

- (٨٧) الاجوبة المسكتة : ٦٥.
- (٨٨) ينظر: الصاحبى في فقه اللغة ، ١١٩، ينظر : شرح بن عقيل ، ٥٢/٤، منازل الحروف، ١٢٤، المغنى ١/١٩٩.
- (٨٩) الاجوبة المسكتة : ١٢٨.
- (٩٠) ينظر: شرح بن عقيل ، ٥٢/٤، ينظر : الصاحبى في فقه اللغة، ١٠٣، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ٣٥٩، منازل الحروف، ١٣٠.
- (٩١) الاجوبة المسكتة : ٣٣.
- (٩٢) ينظر: معجم حروف المعاني، محمد حسن الشريف، ٩٤٧، الصاحبى في فقه اللغة، ١١٩، وشرح بن عقيل ، ٤٧/٤، منازل الحروف، ٦٠، معاني الحروف ١٠١.
- (٩٣) قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة.
- (٩٤) التكرار وعلامات الاسلوب في قصيدة (نشيد الحياة) : ٦٩.
- (٩٥) حركية الايقاع في الشعر العربي: حسن الغرفي ، ٨٤.
- (٩٦) بناء الاسلوب في شعر الحداثة : محمد عبد المطلب، ١٣٥.
- (٩٧) البلاغة العربية قراءة اخرى: ٤٠٤.
- (٩٨) ينظر: الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه، سامية الدريدي، ١٦٨.
- (٩٩) تقنية التكرار من منظور الوظيفة الحجاجية: ٣٠.
- (١٠٠) الاجوبة المسكتة : ٣١.
- (١٠١) ينظر: مفهوم التكرار عند ابن رشيق القيرواني : هاجر فراحي ، ٣٧.
- (١٠٢) نفسه : ٣٩.
- (١٠٣) الاجوبة المسكتة : ١٤٤.
- (١٠٤) ينظر: قضية التكرار في كتاب الله ، فضل حسن ، ٤٣.
- (١٠٥) بناء الاسلوب في شعر الحداثة : محمد عبد المطلب ، ١١٤.
- (١٠٦) الاجوبة المسكتة : ١٠٨.
- (١٠٧) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : د. جميل عبد المجيد، ٩٤.
- (١٠٨) ينظر: التكرار وعلامات الاسلوب في قصيدة (نشيد الحياة): أ. د. احمد علي ، ٦٧.
- (١٠٩) ينظر: مفهوم التكرار عند ابن رشيق القيرواني : هاجر فراحي، ٤٠.

- (١١٠) الاجوبة المسكتة : ٨.
- (١١١) ينظر: التماسك النصي في قصيدة قفا نبك : دريم نور الدين، ٤٩.
- (١١٢) ينظر: بناء الاسلوب في شعر الحداثة : محمد عبد المطلب، ٤٢٧.
- (١١٣) جمالية التكرار ودينامية المعنى في الخطاب الشعري: عبد القادر علي رزوقي، ٢٧.
- (١١٤) التكرير بين المثير والتأثير: عز الدين علي السيد، ٨٠.
- (١١٥) ينظر: حاجية التكرار في الياذة الجزائر، حرفي خيرة ، ٨
- (١١٦) الاجوبة المسكتة : ١٠٢.
- (١١٧) مدخل الى التحليل اللساني للخطاب الشعري، د. نعمان بوقرة ، ١٠٥.
- (١١٨) النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الاقناع: محمد العبد، مجلة فصول، ٦٥.
- (١١٩) الاجوبة المسكتة : ١٨٠.
- (١٢٠) التكرير بين المثير والتأثير: ٢٨٣.
- (١٢١) نفسه: ٢٨٢.
- (١٢٢) الاجوبة المسكتة : ١٠٢.
- (١٢٣) ينظر: الايقاع وعلاقته بالدلالة في الشعر الجاهلي: احمد حساني، ٨٦.
- (١٢٤) ينظر: الخطاب القرآني في شخصية الرسول (ص): د. عدنان جامس الجميلي، ٥٧.
- (١٢٥) الاجوبة المسكتة : ١١١.
- (١٢٦) جماليات التكرار ودينامية المعنى في الخطاب الشعري: عبد القادر علي رزوقي ، ١٤١.
- (١٢٧) نفسه : ١٤٠.

المصادر والمراجع:

- ١-القرآن الكريم.
- ٢-الأجوبة المسكتة: لابن أبي عون ، تحقيق: د. مي احمد يوسف، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط١، ١٩٩٦م.
- ٣- أسرار العربية: الأنباري، تحقيق، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٧م.
- ٤-أسلوب التكرار في شعر نزار قباني: د. مصطفى صالح علي، مجلة جامعة الانبار، العراق، العدد ٣٢، لسنة ٢٠١٠.

- ٥- الأسلوبية وتحليل الخطاب : منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط١، ٢٠٠٢م.
- ٦- الأصوات اللغوية : د. إبراهيم انيس ،مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة محمد عبد الكريم حسان، د.ط ، ١٩٩٩م.
- ٧- اوضح المسالك ، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، د.ت ، د.ط، دار الفكر العربي.
- ٨- إيقاع النثر (في أوراق الورد) عزف البديع : الرافعي ، دراسة وصفية تحليلية نقدية، محمد مصطفى ابو طاحون، دار البشير للثقافة، العلوم، ط. د، ٢٠١٧.
- ٩- الإيقاع وعلاقته بالدلالة في الشعر الجاهلي، احمد حساني، دكتوراه كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر.
- ١٠- البلاغة العربية قراءة أخرى: د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العامة للنشر والوعمان، مصر، ط١، ١٩٩٧م.
- ١١- بناء الاسلوب في شعر الحداثة: د. محمد عبد المطلب، دار المعارف - مصر - القاهرة- ط١، ١٩٩٥.
- ١٢- بنية التكرار في شعر أدونيس: د. محمد مصطفى كلاب، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الانسانية، الجامعة الاسلامية بفلسطين، غزة، المجلد ٢٣، العدد ١، يناير ٢٠١٥م.
- ١٣- البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط٧، ١٩٩٨.
- ١٤- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص): د. محمد مفتاح، دار التنوير، بيروت، ط٤، ١٩٩٥م.
- ١٥- التشكيل اللغوي في رواية (وطن من زجاج) ، ياسمينه صالح، تأليف: جميان منى ، دار غيداء للنشر، ط١، ٢٠١٦.
- ١٦- تقنية التكرار من منظور الوظيفة الحجاجية الاتصالية: د. حاكم عمارية، مجلة كلية دلنا للعلوم والتكنولوجيا - العدد الثاني، سبتمبر ٢٠١٥م.
- ١٧- التكرار وعلامات الاسلوب في قصيدة (نشيد الحياة) للشاببي: أ.د احمد علي محمد، مجلة جامعة دمشق، سوريا، مجلد ٢٦، العدد ٧٢، ٢٠١٠م.
- ١٨- التكرير بين المثير والتأثير: د. عز الدين علي السيد، عالم الكتب، مصر، القاهرة، ط١، ١٩٨٧.
- ١٩- التماسك في قصيدة قفا بنك لامرئ القيس: دريم نور الدين، صفية بن زينة، جامعة حسيبة بن بو علي، مجلد ٢، العدد ٩، ١٠ جوان ٢٠١٨.
- ٢٠- ثغرات النص :د. صلاح فضل: عيد للدراسات الانسانية والاجتماعية ، ط٢، ١٩٩٥.
- ٢١- جدلية الافراد والتركيب: محمد عبد المطلب، الشركة المصرية، مصر، القاهرة، ط١، ١٩٩٥.
- ٢٢- جمالية التكرار ، دينامية المعنى في الخطاب الشعري، عبد القادر على رزوقي، مجلة الاثر، العدد ٢٥، جوان، ٢٠١٦م.

- ٢٣- الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، تحقيق: طه محسن، ساعدت جامعة بغداد على نشره، د.ط ، ١٩٧٦م.
- ٢٤- الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، اربد، الاردن، ط٢، ٢٠١١م.
- ٢٥-حجاجية التكرار في إلياذة الجزائر، خرفي خيرة، رسالة ماجستير، جامعة وهران، ٢٠١٥م.
- ٢٦-حركية الإيقاع في الشعر العربي، حسن الغرفي، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ٢٠٠١م.
- ٢٧-خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس ، اتحاد الكتاب العرب، ط١، ١٩٩٧م.
- ٢٨-الخطاب القرآني في شخصية الرسول (ص واله) ،د. عدنان جاسم الجميلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٢م.
- ٢٩- دراسة في علم الأصوات : د. حازم كمال ، مكتبة الاداب، القاهرة ، ط١، ١٩٩٩م.
- ٣٠- الدرر السنية: زكريا الأنصاري، تحقيق: د. وليد بن احمد بن صالح، دار ابن حزم، ط١، ٢٠١١م.
- ٣١-دروس في علم اصوات جان كافيتينو: ترجمة: صالح القرعاوي، دار النشر، مركز الدراسات الاقتصادية والبحوث، ١٩٩٦م.
- ٣٢-رصف المباني في شرح حروف المعاني، الامام المالقي، تحقيق: احمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٨٥م.
- ٣٣-السمات الاسلوبية في القصة القرآنية : م. د. يوسف سليمان، مجلة ابحاث لكلية التربية الاساسية، جامعة الموصل، المجلد ١٠، للعدد ٣.
- ٣٤- شرح ابن عقيل، لابن عقيل، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ت ، د.ط
- ٣٥- شرح الاشموني على الفية ابن مالك ، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- ٣٦- شرح التسهيل الفوائد، لابن مالك ، تحقيق : د. عبد الرحمن السيد، هجر للطباعة، والنشر، ط١، ١٩٩٠م.
- ٣٧-شعرية الخطاب في المناجاة الصوفية: عبد الحميد جريوي، رسالة دكتوراه - جامعة الحجاج لخضر باتته - كلية الاداب واللغات، ٢٠١٤م.
- ٣٨-الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب، لابن فارس، شرح: احمد صقر، نشر المكتبة الفيصلية العربية، السعودية، د.ط، د.ت
- ٣٩-ظاهرة التكرار في شعر ابي القاسم الشابي، زهير منصور، مجلة ام القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، مجلد ١٣، العدد ٢١، ٢٠٠٠م.

- ٤٠- ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب: محمد بنيس : دار التنوير - بيروت، ط٢، ١٩٩٥.
- ٤١- ظواهر اسلوبية في شعر نزار قباني: د. لحوشي صالح، مجلة كلية الآداب واللغات العدد الثامن- جانفي ٢٠١١- جامعة محمد خيضر - الجزائر
- ٤٢- عزف على وتر النص الشعري: عمر محمد طالب، اتحاد الكتاب العرب، ط١، ٢٠٠٠م.
- ٤٣- علل النحو: ابن الوراق، تحقيق: محمود جاسم محمد، مكتبة الرشيد، الرياض، السعودية، ط١، ١٩٩٩م.
- ٤٤- علم الاصوات : د. كمال بشر، دار غريب، مصر، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
- ٤٥- علم الاصوات- برتيل مالمبرج، تعريب: د. عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب، شارع اسماعيل ستري بالمنيرة، د.ط. ، ١٩٨٤م.
- ٤٦- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران ، دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٩٧م.
- ٤٧- العمدة في محاسن الشعر: ابن رشيق القيرواني، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١هـ .
- ٤٨- الغرة في شرح اللمع: لابن الدهان، تحقيق: د. فريد بن عبد العزيز، دار التذمية، ط١، ٢٠١١م.
- ٤٩- الفصل والوصل في خطب نهج البلاغة : م. د. حسن هادي، مجلة الآداب، جامعة بغداد، المجلد ٢، ٢٠١٢م.
- ٥٠- الفصول الخمسون، يحيى بن عبد المعطي المغربي، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عيسى البابي الحلبي، د.ط، ١٩٩٧م.
- ٥١- قصار السور دراسة اسلوبية : كريم طاهر البعاج، رسالة ماجستير ، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠٠٧م.
- ٥٢- قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ٢٠٠٧.
- ٥٣- قضية التكرار في كتاب الله، د. فضل حسن عباس، د.ت ، د.ط١.
- ٥٤- الكتاب : سيبويه ، تح : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي، ط٣، ١٩٨٨م.
- ٥٥- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: د. جميل عبد الحميد، الهيئة المصرية.
- ٥٦- لسان العرب ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٤م.
- ٥٧- لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب، محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ، لبنان- بيروت- ط٢، ١٩٩١.
- ٥٨- لغة الشعر العراقي المعاصر: عمران الكبيسي، عمران الكبيسي، ١٩٨٢، وكالة المطبوعات، ط١.
- ٥٩- المثل السائر: لابن الاثير، تحقيق :محمد عويضة، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨.
- ٦٠- مدخل الى التحليل اللساني للخطاب الشعري، د. نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠٠٩م.

- ٦١- المدخل الى علم اللغة : د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي، مصر، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
- ٦٢- المصطلحات الاساسية في لسانيات النص : د. نعمان بوقرة، ١٠٠، عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠٠٩.
- ٦٣- معاني النحو، فاضل السامرائي، دار الفكر العربي، الاردن، ط١، ٢٠٠٠م.
- ٦٤- معجم المصطلحات الادبية : سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٣.
- ٦٥- معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، مجدي وهبة، مكتبة لبنان، ط١.
- ٦٦- معجم النقد الادبي القديم : د. احمد مطلوب ، ٣٧٠، مكتبة لبنان ، ط١، ٢٠٠١.
- ٦٧- معجم حروف المعاني في القرآن الكريم: محمد حسن الشريف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- ٦٨- معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها : محمد سعيد أسبر، وبلال جنيدي، دار العودة، ط١، ٢٠٠٤م.
- ٦٩-المغنى اللبيب عن كتب الاعاريب، لابن هشام الانصاري، تحقيق: د. مازن المبارك، انتشارات كلستان، دت، د.ط.
- ٧٠- مفهوم التكرار ، محمد ابن رشيق القيرواني، هاجر فراحي، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح- الجزائر، ٢٠١٤-٢٠١٥م.
- ٧١- المقتضب، المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب ، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
- ٧٢- منازل الحروف، للرمانى، تحقيق: د. عبد الفتاح اسماعيل، دار الشروق للنشر والتوزيع، جدة، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ط، ٢٠٠٨م.
- ٧٣-المنهج الصوتي للبنية الصرفية ، رؤية جديدة في الصرف العربي، د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، ١٩٩٨م.
- ٧٤-النثر الفني في ثورة التوابين وإمارة المختار الثقفي، دراسة لغوية اسلوبية: د. هاشم جبار الزرفي، مؤسسة وارث الانبياء، ط١، ٢٠١٦م.
- ٧٥-النحو العربي، أ. د. ابراهيم بركات، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.
- ٧٦-النسق الشعري وبنياته : د. طارق ثابت ، مركز الكتاب الاكاديمي، ط١، ٢٠١٨.
- ٧٧-النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الاقناع، محمد العبد ربه، مجلة فصول الهيئة العامة للكتاب، العدد ٦٠، صيف - خريف، ٢٠٠٢م.
- ٧٨- همع الهوامع، السيوطي، تحقيق: عبد الله الهنداوي، دار الكتب العلمية، د.ط، ١٩٩٦م.

الصراع السياسي بين تيمور لنك والمماليك والعثمانيين وأثره على البلدان التي دار فيها هذا الصراع
أ.م.د. علي زهير الصراف
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

المقدمة:

إن تاريخ المسلمين لا يختلف عن تواريخ باقي الأمم والممالك في رغبة كل طرف في الاستمرار في الحكم من خلال إضفاء الشرعية على نفسه وحكمه ونزعه من خصومه وبالتالي محاولة إبعادهم عن المنافسة السياسية بشتى الوسائل وصولاً حذفهم من الساحة بواسطة بوسائل مختلفة أيضاً آخرها وأهمها الخيار العسكري.

وفي هذا السياق وفي نهاية القرن الثامن ومطلع القرن التاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر للميلاد ومع ظهور تيمور لنك القائد العسكري السّاح المتفنن في الحيل السياسية من منطلق قوته العسكرية الهائلة وكثافة جيشه المتجحف الذي كان عدده يقارب المليون نسمة بحسب المصادر التاريخية ورغبة تيمور الجامعة في الصدام مع خصومه وافتتاح المزيد من البلدان وضمها لمملكته الواسعة وجشعه وحرصه في اقتناء المزيد من الأموال والتحف والهدايا لا مناص من حدوث أزمات سياسية من خلال افتعال تيمور لتلك الأزمات أو احتكاك الآخرين من منافسيه به، فكان سرعان ما يختار الحسم العسكري ومن نوعه المدمر. وكانت لكثرة هذه الحروب الأثر البالغ في هدم ما تبقى من حضارة المدن في المشرق وبلاد الشام والأناضول بعد أن دخل تيمور في صراع مع المماليك المسيطرين على البلاد الشامية والعثمانيين الناشئين حديثاً في آسيا الصغرى.

ويحاول هذا البحث إلقاء نظرة شاملة على طبيعة هذا الصراع بين تيمور والمماليك والعثمانيين وأسبابه ومقوماته مع نظرة لما آل إليه وضع البلدان التي دار فيها هذا الصراع حضارياً واقتصادياً وثقافياً وغيرها من الجوانب.

أولاً: تسلّم تيمور لنك مقاليد السلطة في المشرق وأثر حكمه على الأوضاع الاجتماعية والثقافية فيه:

شهد العصر الذي تلا سقوط الدولة الایلخانية عام ٧٣٦ هـ / ١٣٣٦ م بشكل عام فوضى سياسية في المشرق (العراق وإيران) شملت تشكيل كيانات سياسية إسلامية صغيرة وكبيرة هنا وهناك حتى توحيد العراق وإيران وبلاد الشام لبرهة من الزمن تحت لواء تيمور لنك (الأعرج) (حكم: ٧٧١ . ٨٠٧ هـ / ١٣٧٠ . ١٤٠٥ م) الذي غزى فيها العالم الإسلامي طويلاً وعرضاً في سلسلة غزوات مدمرة كان عددها خمسة واستمرت منذ عام ٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م حتى وفاته عام ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م. أما في مصر والشام فنلاحظ استمرار حكم المماليك (٦٤٨ . ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ . ١٥١٧ م) قبل انتزاع بلاد الشام منهم على يد تيمور نفسه لبعض الوقت وقد عاد لحضنهم من جديد فيما بعد.

وإذا ما استطلعنا أسباب سقوط الدولة المغولية في المشرق التي لم تستمر لمدة قرن من الزمن، نستطيع تلخيصها في أن أعباء الحكم ومشاكله كانت أكبر من طاقة الایلخانيين جميعاً حتى أننا لا نجد بينهم إيلخاناً واحداً طال حكمه أكثر من عشر سنوات سوى أباقا خان (حكم: ٦٦٣ . ٦٨٠ هـ / ١٢٦٥ . ١٢٨١ م)، أما أبي سعيد فلا عبرة لما استغرقه من زمن حكمه فأغلب أيامه كان قاصراً محجوراً عليه. والأمر الآخر هو طبيعة الطفرة السريعة التي نقلتهم من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار، فلم تولد لهم سوى الكسل والرخاء والسلطان؛ فاندفعوا بغير روية كالمحرومين وراء عواطفهم وشهواتهم وانغمسوا في الترف والفجور حتى أصبحت الخمرة والجنس أهم ما يشغل بال أحدهم في حياته، كما أن للخلافات الداخلية والصراع على

السلطة التي وقع بين أبناء الأسرة الواحدة دور مهم في سقوط الإيلخانيين من خلال عدم وجود قانون لتنظيم وراثته العرش، ولم يكن قانون "الياسا" الجنكيزي قانوناً ملائماً يعني بالغرض لتنظيم هذا الأمر الخطير وأصبح العرش بعد ذلك ولمدة طويلة من الزمن من نصيب كل طامع فيه من أبناء الأسرة يستطيع امتلاك القوة التي تفرض التغيير الملائم لأحكام الياسا لتبرير استيلائه عليه. كما كان لانعزال المغول عن الشعوب الخاضعة لهم وتكوينهم طبقة عسكرية حاكمة على البلاد الإسلامية بسبب طبيعتهم العسكرية وإخضاعهم لتلك الشعوب بالقوة القاهرة فلم يستطيعوا أن ينالوا ثقة المحكومين ليرضوا بهم. والعامل الآخر هو الاختلاف الحضاري الكبير بين هؤلاء الحكام البدويين ومدنية المحكومين وانعكس ذلك على سلوك كل منهما في حياته وعلاقاته إذ تسبب في عجز المغول في مجارة الشعوب الذي يحكمونها؛ فبقوا نتيجة لذلك طبقة عسكرية حاكمة منعزلة عن المحكومين الذين لا يهمهم سوى الطاعة ودفع الضريبة.^(١)

فبعد أربعة أشهر ونصف على موت أبي سعيد آخر إيلخانات فارس ولد تيمور لنك في ٢٥ من شعبان من عام ٧٣٦ هـ / ٧ نيسان ١٣٣٦ م. وبعد ٤٦ عاماً أي في عام ٧٨٢ هـ / م بدء تيمور بأول غزواته على بلاد فارس واستطاع من الاستيلاء على إيران والعراق وبلاد الشام وأجزاء من بلاد الأناضول بحلول العام ٨٠٤ هـ / ١٤٠٢ م وبذلك أكمل السيطرة على إمبراطوريته الواسعة التي شملت هذه المناطق شرقاً وغرباً ومن بلاد الهند جنوباً حتى أطراف موسكو في روسيا شمالاً.^(٢) وخلال المدة بين عامي ٧٣٦ هـ / ١٣٣٦ م - عام سقوط الدولة الإيلخانية - وعام ٨٠٤ هـ / ١٤٠٢ م - أي سنة تكوين إمبراطورية تيمور الشاسعة - وهي ما تقارب السبعين عاماً حكمت سلالات مختلفة في المشرق وهم حسب قدم تأسيس دولهم كالآتي:

١. آل كرت وهم عمّال بنو جغتاي بن جنكيز خان (ت ٦٣٩ هـ / ١٢٤٢ م) (٦٤٣ . ٧٩١ هـ / ١٢٤٥ . ١٣٨٩ م) في هرات وبلخ وغزنه وسرخس.

٢. بنو إينجو (٧٠٣. ٧٥٤ هـ / ١٣٠٤. ١٣٥٣ م) في شيراز.
٣. بنو المظفر (٧١٣. ٧٩٥ هـ / ١٣١٣. ١٣٩٩ م) في فارس وكرمان وكردستان.
٤. بنو جوبان (٧١٨. ٧٥٦ هـ / ١٣١٨. ١٣٥٥ م) في أذربيجان
٥. آل جلائر (٧٣٦. ٨٣٥ هـ / ١٣٣٦. ١٤٣٢ م) في العراق
٦. السربداريون (٧٣٧. ٧٨٣ هـ / ١٣٣٧. ١٣٨١ م) في خراسان ودامغان.
٧. بنو طغا تيمور (٧٣٧ هـ / ٨١٢ هـ / ١٣٣٧. ١٤٠٩ م) في إسترآباد ومازندران. (٣)

وكانت هذه الدول تتصارع فيما بينها على توسيع مناطق نفوذها. فمن الواضح من هذا المختصر مدى التشرذم السياسي الذي عاشه المشرق الإسلامي في هذه الأعوام السبعين من خلال الصراعات السياسية بين هذه الدويلات وتبين أن ليس بإمكان أي من هذه الدويلات المقاومة أمام غزوات تيمور المدمرة الفتاكة كما سنرى.

أما عن تيمور وغزواته وضراوتها وقسوتها فهي كسلفه جنكيز خان بل فاقته، فكان سلطاناً متجبراً متكبراً ظالماً لا يهتم حياة البشر جميعاً إذا تقاطعت مع رغباته وأهدافه ونزواته. وقد كانت مجموع غزواته على أرجاء العالم خمسة حملات:

١. غزواته الأربع على بلاد الخوارزم التي استمرت نيفاً وعشر سنين من عام ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م حتى عام ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م.

٢. غزوه الأول لبلاد فارس الذي شمل خراسان وسجستان وجرجان ومازندران بين عامي ٧٨٢ . ٧٨٨ هـ / ١٣٨٠ . ١٣٨٦ م، كما غزى العراق وكرستان (الجبالي) وأذربيجان وقتل أهل أصفهان بسبب انتفاضاتهم ضده فكان مجموع القتلى سبعين ألف شخص.
٣. حرب السنين الخمس بين عامي ٧٩٥ . ٧٩٩ هـ / ١٣٩٣ . ١٣٩٨ م إذ قضى خلالها على دولة بني المظفر في فارس عام ٧٩٥ هـ / ١٣٩٣ م، ثم غزى الجزيرة بهدف إسقاط الحكم الجلائري الذي قر سلطانتها إلى دولة المماليك فاستجار بهم ورفض سلطان مصر آنذاك تسليمه لتيمور . كما غزى تيمور في هذا الحرب آسيا الصغرى (الأناضول) أيضاً واستولى على الرها وتكريت وماردين وآمد ثم أغار على بلدان الشمال التي شملت أرمينية والكرج وروسيا حتى وصل إلى موسكو.
٤. غزو الهند بين عامي ٨٠٠ . ٨٠١ هـ / ١٣٩٩ . ١٤٠٠ م حتى وصل إلى دلهي فخرّبها وقتل ثمانين ألفاً من أهلها.
٥. حرب السنين السبع بين عامي ٨٠١ . ٨٠٧ هـ / ١٤٠٠ . ١٤٠٦ م ضد الجلائريين والمماليك والعثمانيين؛ إذ سار إلى بلاد الكرج والأناضول ثم دخل بلاد الشام واستولى على حلب ثم حماة وحمص وبعبك وهزم سلطان مصر السلطان ناصر الدين فرج بن برقوق (حكم: ٨٠١ . ٨٠٨ هـ / ١٤٠٠ . ١٤٠٧ م) وسقطت مدينة دمشق فأعمل فيها السلب والنهب، كما غزى بغداد عام ٨٠٣ هـ / ١٤٠١ م وأوقع في أهلها مقتلة عظيمة ثم حارب السلطان بايزيد الأول (حكم: ٧٩٢ . ٨٠٥ هـ / ١٣٩٠ . ١٤٠٣ م) فانتصر عليه في معركة أنقرة الشهيرة في ١٩ ذو الحجة عام ٨٠٤ هـ / ٢١ تموز ١٤٠٢ م ووقع بايزيد في أسر تيمور .^(٤) ومع تحمّل تيمور لسفك كثير من الدماء والدمار الهائل الذي أحدثه في البلاد الإسلامية وغيرها إلا أن أولاده وأحفاده كانوا مسالمون قد جنحوا إلى التحضر ودعم العلم والعلماء بشكل عام ممّا يجعلنا أن نعتبر

عصر خلفاءه عصر ازدهار للعلوم والفنون والآداب. ويعدّ وفاة تيمور سياسياً بمثابة بداية تفكّك إمبراطوريته الكبرى وصراع الأبناء والأحفاد على إدارة البلاد خاصة بعد وفاة شاهرخ (حكم: ٨٠٧ . ٨٥٠ هـ / ١٤٠٤ . ١٤٤٦ م). ويمكن أن نقسّم تاريخ بني تيمور إلى عهدين متميزين؛ ففي الأول أصبحت الإمبراطورية التي قسّمت بين أولاد تيمور وأحفاده مملكتين كبيرتين؛ فكان الغرب مملكة ميرانشاه وولديه أبي بكر ومحمد عمر، وفي الشرق مملكة شاهرخ. وكانت تشمل كل البلاد التي حكمها تيمور تقريباً. وكانت في أول أمرها لا تتعدى خراسان ثم ضمّ إليها بعد سنوات قلائل بلاد ما وراء النهر. وكان هذا العهد زاهراً سعيداً بالقياس إلى غيره من العهود، فقد كان شاهرخ يميل إلى السلام وسعى إصلاح ما خرّبه أبوه، ولم يدّخر وسعاً في تقريب العلماء. وأخذت الإمبراطورية تتصدّع في العهد الثاني الذي بدأ بموت شاهرخ، فكان في ذلك الضربة القاضية على سلطان بني تيمور، إذ نزع كل اميرٍ إلى الاستقلال بمملكته فتمكن الأعداء الذين كانوا يهدّدون الإمبراطورية المتداعية من جميع الجهات. ^(٥)

ومن المفارقات العجيبة أن النهضة العلمية التي اتسم بها عهد شاهرخ أول خلفاء تيمور ظلّت محتفظة بكل بهائها في عهد خلفائه حتى نهاية حكمهم وكان القرن الخامس عشر الميلادي/ التاسع الهجري بأسره عهداً ذهبياً للأدب والفنّ، فقد كان بلاط حسين بايقرا (حكم: ٨٧٨ . ٩١٢ هـ / ١٤٧٣ . ١٥٠٦ م) آخر بني تيمور لا يقل شأناً عن بلاط شاهرخ. ^(٦) فكثرة الحروب خاصة في زمن تيمور نفسه والتنافس الداخلي على السلطة في عهد خلفائه والحروب الخارجية وكثرة القتل والسلب والنهب مما يفضي إلى نوع من عدم الاستقرار وفقدان الأمن والطمأنينة اللازمتين المهمتين في انشغال الناس بالعلم وبالتالي قلة المصنّفات والنتائج العلمية وعدم الرقي العلمي؛ إلا أن هذه الفترة لم تكن كذلك بل على العكس تماماً فهي عهد الرقي العلمي وتشعّب الفنون والآداب المختلفة بسبب دعم السلاطين والأمراء التيموريين للعلم والعلماء والأدباء. وحتى

تيمور نفسه كان يجلّ ويحترم العلماء ويأخذ من يشاء من الحرفيين والصنّاع والفنانين والعلماء عند غزوه لكل مدينة إلى مركزه سمرقند وهكذا درج عليه أولاده وأحفاده. ومن مميّزات هذا العصر كثرة المدارس والمنشآت العلمية التي استحدثها السلاطين والأمراء هنا وهناك؛ فمن أهمّها: مدرسة أمير فرمان شيخ (ت ٨٣٤ هـ / ١٤٣١ م) من المقرّبين من شاهرخ ومدرسة جلال الدين فيروز شاه ومدرسة "كوهر شاد بيكم" زوجة شاهرخ والمدرسة البيكمية التي أسستها "سلطان بيكم" زوجة السلطان حسين بايقرا كلها في دار ملكهم مدينة "هراة"، ومدرسة السلطان حسين بايقرا في هرات أيضاً، ومدرسة "ملكت آغا" من نساء شاهرخ في بلخ، ومدرسة كوهر شاد زوجة شاهرخ في مشهد ومدرسة الميرزا "ألغ بيك" في سمرقند والمدرسة الحافظية ومدرسة الأمير جخماق الشامي في مدينة يزد وغيرها من المدارس والمراصد الفلكية والمكتبات ودور العلم. (٧) كما وجدت الكثير من الأوقاف لتعليم العلوم الشرعية احتوت على مدارس ومساجد ومساكن للطلاب وعمل فيما خدم تلك الأماكن في قبال تقاضي أجور من واردات تلك الأوقاف والمبرّات في الكثير من مدن المشرق الإسلامي. إلا أن اللافت في تحليل الجانب العلمي في هذه الفترة هو عدم وجود الإبداع والابتكار في المصنّفات العلمية واقتصارها على نقل أفكار العلماء الماضين وشرح وتفسير أقوالهم وآثارهم، فالحقيقة هي أن هذه الفترة شهدت توسّع ورواج وانتشار العلوم المختلفة من حيث الكمّ وليس من حيث الكيف والعمق. وعلى أي حال فإن المصنّفات العلمية وعلماء هذه الحقبة هي أفضل بكثير من مصنّفات وعلماء العصور اللاحقة كما أننا نلاحظ بعض المصنّفات الممتازة في هذا العصر تفوق مثيلاتها السابقة في نفس الموضوع (٨)

وكان لهذا الازدهار العلمي أسباب اجتماعية ودينية هامة. أما من الجانب الديني كان تيمور وخلفائه قد خالفوا سياسات الإيلخانيين السابقة في عدم التعصّب تجاه المذاهب الإسلامية وعدم تبني أي منها. فجنكيز

نفسه وأغلب خلفائه لم يكونوا مسلمين أساساً، وأن من أسلم من الإيلخانيين السلطان أحمد تكودار (حكم: ٦٨٠ . ٦٨٣ هـ / ١٢٨٢ . ١٢٨٥ م) ومحمود غازان (حكم: ٦٩٤ . ٧٠٣ هـ / ١٢٩٥ . ١٣٠٤ م) ومحمد خدابنده ألبايتو (حكم: ٧٠٣ . ٧١٦ هـ / ١٣٠٤ . ١٣١٦ م) وأبي سعيد بهادر خان (٧١٦ . ٧٣٦ هـ / ١٣١٦ . ١٣٣٥ م) لم يكونوا متدينين ومتعصبين لأحد المذاهب الإسلامية بل مناصرين لعموم المسلمين وعقائد الإسلام، إلا أننا نجد أن الروحية المذهبية مهيمنة في هذه الفترة على مختلف الصعد الاجتماعية وأن تيمور وخلفائه حكموا وفق قواعد الشريعة الإسلامية وكانوا متدينين حقيقياً أو كذباً. وهذا ما أثر على تقوية الدين وتطبيقه في المجتمع، أضف إلى ذلك النكبات التي كانت تتلاقها الشعوب الإسلامية في المشرق جراء غزو المغول ومن بعده تيمور وظلم السلاطين والملوك وولاتهم وتقسيم البلاد إلى ممالك متناحرة مما أدى كثرة الحروب والنزاعات كل ذلك تسبب في تقوية الوازع الديني في المجتمع. فالتيموريين ومع ظلمهم وبطشهم ضد رعاياهم إلا أنهم كانوا يرعون علماء المذاهب والمشايخ وكانوا يجلبونهم ويتواضعون أمامهم وكانوا في نفس الوقت يبحثون عن سبب شرعي ليجعلوه حجة في توسعاتهم في كافة البلدان، فمثلاً نجد أن تيمور كان قد عنون حربه الأخير ضد الصين الذي لم يوفق في إنجازه بسبب موته بالجهاد وقد اعتبر مؤرخه شرف الدين علي اليزدي (ت ٨٥٨ هـ / ١٤٥٤ م) هذا الحرب كفارة لما قام به سيده من سفك لدماء المسلمين في توسعاته السابقة.^(٩) وفي نفس الوقت نجد تيمور كان قد رعى الكثير من المجالس والمحافل الدينية وناقش العلماء في المباحث الكلامية الشرعية، وكان يزور علماء الدين والمشايخ الأحياء والأموات وقبور ومراقد الأئمة والعلماء الأموات.^(١٠) وفي هذا السياق كان شاهرخ ابن تيمور وخليفته ممن أبدى اعتقاداً راسخاً وتعصباً في تطبيق الشرع وكان يقرب العلماء ومشايخ الصوفية والعرفاء من نفسه حتى عرف بـ "مجدد الدين".^(١١) وسعى تيمور وخلفائه وراء استحصال لقب "الخليفة"، وكانت بوادر خجولة قد

حصلت منهم في هذا الشأن، فمثلاً تيمور نفسه قد لُقِّبَ بـ "صاحب الخلافة"، كما وصف ولده وخليفته شاهرخ بـ "الشمس الساطعة" في سماء الخلافة وعرف السلطان أبي سعيد ميرزا بن محمد بن ميرانشاه بن تيمور (حكم: ٨٥٥ . ٨٧٢ هـ / ١٤٥١ . ١٤٦٨ م) كجده تيمور بـ "صاحب الخلافة".^(١٢) فنتيجة لتوجهات تيمور وخلفائه الدينية ورعايتهم للعلماء ورجال الدين توسّعت العلوم الدينية وازداد أرباب المذاهب من العلماء والفقهاء وشيّدت الكثير من المدارس العلمية والمساجد ودور العلم والزوايا والخانقاهات الصوفية، فقد كانت هذه المؤسسات الدينية تدار من قبل أرباب المذاهب وبقصد كسب أتباع ومريدين لهم وإشاعة مذاهبهم وطرقهم والعلوم الدينية المختلفة وأن العلوم كانت تقتصر على العلوم الدينية عدى النزر اليسير في الطب والرياضيات ومشتقاتها من الفلك والهيئة وغيرها التي يمكن اعتبارها من توابع العلوم الدينية أو أنها وجدت لصالحها في تعيين المواقيت الشرعية وغيرها من الأمور القريبة من هذا الاتجاه.^(١٣)

وعن التشيع ومعطيات علاقة تيمور وخلفائه بهذا المذهب وأتباعه تنبئنا المصادر التاريخية أن التيموريين كانوا على الاعتقاد بالمذهب الحنفي من مذاهب أهل السنة الأربعة وأن علماء البلاط وأغلب أهل مملكتهم في بلاد فارس وخراسان وما وراء النهر كانوا من أتباع هذا المذهب إلا أن عدد الشيعة في مملكتهم كان عدداً لا بأس به وكان تمرّكهم في خراسان وأذربيجان والعراق دون شرقي خراسان وما وراء النهر. ومما صدر عن تيمور من اهتمام بالشيعة وعلمائها وقضاء حوائجهم يمكن اعتباره استغلالاً سياسياً واجتماعياً لهذا المذهب وأتباعه في سبيل توسّعاته في المنطقة، فكان تيمور يظاهر بحبّ الإمام علي (عليه السلام) حتى يمنع أي ممارسة عدائية تجاهه ويطمئن الشيعة لتقبّل حكمه.^(١٤) وبشكل عام فإن الصراع السني الشيعي كان لا يزال قائماً في المشرق في العهد التيموري لكن بوتيرة أقل من العصر الصفوي وأن التشيع كان نتيجة منحا تصاعدي في المشرق في مقابل ضعف وتيرة الإقبال على المذاهب السنية هناك. وليس

لدينا أي دليل تاريخي دالّ على ممارسة أي من الضغوطات من قبل الطرفين على الآخر أو من جانب السلطات لترويج مذهب معيّن على حساب باقي المذاهب، بل على العكس نلاحظ أن بعضاً من الحكام والأمراء التيموريين كانوا على جانب كبير من التسامح والحرية المذهبية. وبشكل عام فإن الشيعة في هذا العصر كانوا أحراراً في معتقداتهم وفي الدعوة لها خاصة في نهاية العصر التيموري وفي ظل حكم السلطان حسين بايقرا ووزيره الشيعي الأمير علي شير نوائي. (١٥)

أما على الصعيد الاجتماعي وعلاقته بالحركة العلمية في عصر التيموريين فهناك ظاهرة مهمة امتاز بها هذا العصر وهي تطوّر واتّساع الحركات الصوفية والتدين بهذا الأسلوب. والأهم من ذلك ولأول مرة في تاريخ التشيع أن يحدث امتزاج لبعض عقائد الصوفية مع أفكار وعقائد شيعية لتكوين حركات فكرية. سياسية كان لإحداها قصب السبق فيما بعد واستطاعوا من الوصول إلى السلطة عام ٩٠٧ هـ / ١٥٠٢ م وتكوين دولة باسم طريقتهم "الصفوية". وكان هذا الأمر نتيجة توسّع وانتشار التشيع في المنطقة بموازاة التوجهات الصوفية التي دعمتها السلطة التيمورية أيضاً، فكانت هذه الفترة ذات طابع خاص في التواصل بين التصوف والتشيع بدأ معهما كل من هذين المشربين، وقد فقد أحدهما تميّزه لصالح الآخر مع زيادة في تركيز العنصر الفلسفي في تركيب العقيدتين. (١٦)

ولهذا التوسّع أسباب أهمها تظاهر تيمور في كونه تابع للعلماء ومن مريدي الطرق الصوفية ودرج على هذا الأمر خلفاؤه من الولاة والأمراء؛ وعليه فإن التصوف أصبح من معالم هذا العصر وسائداً في مختلف أنحاء الحياة الاجتماعية، فالتصقت الطريقة الصوفية بالشرعية في الزوايا والخانقاهات والمدارس والمساجد حتى أصبح التمايز بينهما أمراً صعباً؛ ولذا زاد احترام الناس لأقطاب الصوفية ومشايخها وكثر مريدوهم إثر توسّع تشكيلات التصوف الدينية التعبدية؛ فنشأت الكثير من السلاسل الصوفية وطرقها المختلفة بأرائها وعقائدها

في هذا العصر. ومع دخول أصول التصوف والعرفان في المآثر والكتب وتصنيف الرسائل والمقالات المختلفة في كيفية التعبد به أصبح التصوف علماً يدرّس في المدارس الدينية وصار من الأمور الشعبية المتداولة ودخل في مجال الأدب وصار من المعارف العامة. وما كان يدعم هذا الأمر هو كثرة عناية الأمراء والملوك بأحوال المشايخ والعرفاء والصوفية وكثرة الموقوفات لغرض التبرّك وما شابه. (١٧)

ثانياً: الصراع السياسي بين تيمور لنك والمماليك:

أما عن وضع بلاد الشام في هذا العصر وهو المكان الذي دار فيه هذا الصراع فكان في بادئ الأمر تحت حكم دولة المماليك (٦٤٨ . ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ . ١٥١٧ م) والمماليك هم في الأصل عبيد استخدموا كفرق عسكرية خاصة عند الأيوبيين (٥٦٤ . ٦٤٨ هـ / ١١٦٨ . ١٢٥٠ م) بهدف الاعتماد عليهم في تدعيم نفوذهم. ويعود جذور استخدام العبيد داخل الدولة العربية الإسلامية لزمان المعتصم العباسي (حكم: ٢١٨ . ٢٢٧ هـ / ٨٣٣ . ٨٤٢ م) وكان مصدرهم آنذاك بلاد ما وراء النهر ومدنها من المصادر الرئيسية لتصدير الرقيق البيض ذوي الأصول التركية. (١٨) ثم كان للعنصر التركي الذي أسلم، أدوراً هامة في الدولة العربية الإسلامية منذ عصر المعتصم، فقد أصبحوا قادة للجيوش والأمراء الحقيقيين في البلاط العباسي بعد أن ضعفت سلطة الخلفاء. ونشأت دول عديدة بعد أن استقلّت الكثير من بلدان الشرق والغرب عن جسد الدولة العباسية وهي من ذوي أصول تركية ممن كانوا يُسترقّون سابقاً. وكان هؤلاء الحكام الأتراك يستخدمون بدورهم أتراكاً آخرين دخلوا البلاد الإسلامية حديثاً كعبيد بعد أن يربّون تربية إسلامية بالقرب من السلاطين والأمراء. وقد درج على هذا الأمر الدويلات الإسلامية المختلفة سيّما السلاجقة الذين أقطعوا الإقطاعات لهؤلاء الأتراك المماليك بهدف الحفاظ على استمرارية الدولة نتيجة اعتناء المقطعين بإقطاعاتهم، ثم اتّبَعُوا

هذه الإقطاعات الزراعية بالقلاع والمدن مقابل تقديم الخدمات العسكرية وقت الحرب وتولي شؤون تربية أبنائهم وتأديبهم. وقد عرف هؤلاء الأمراء بالأتابكة ومعناها "مربي الأمير".^(١٩) وقد درج على هذا الأمر كما أسلفنا الأيوبيين في مصر والشام واستخدموا المماليك في إدارة الدولة والأمور العسكرية. وقد بلغوا مبلغاً من القوة ممّا دفع الأيوبيين لاستشارتهم والنزول عند إرادتهم في كثير من الأحيان. وبعد وفاة صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٩ هـ/ ١١٩٣ م ازداد الخلاف بين خلفائه واستعان كل منهم بمماليكه وزادوا من شرائهم وأنشؤهم تنشئة عسكرية خاصة ليكونوا سنداً لهم. وسرعان ما أضحى لهؤلاء من النفوذ ما كان له تأثير قوي في مجرى الأحداث التي تعرّضت له المنطقة. وراح هؤلاء المماليك في مصر ينصبّون الملوك الأيوبيين ويخلعون آخرون. وفي عصر الصالح نجم الدين أيوب (حكم: ٦٣٧ . ٦٤٧ هـ / ١٢٤٠ . ١٢٤٩ م) قد ساندوه توطيد سلطانه فأكثر من شرائهم لدرجة لم يبلغها غيره من أهل بيته حتى أضحى معظم جيشه منهم. واستغل المماليك الصالحية سطوتهم في مضايقة الناس والعبث بممتلكاتهم وارزاقهم حتى ضجّ الشعب من عبثهم واعتدائهم، فأبعدهم الصالح أيوب عن العاصمة وبنى لهم قلعة خاصة في جزيرة الروضة في نهر النيل لتكون مقراً لهم. وسرعان ما أثبت هؤلاء المماليك كفاءتهم العسكرية من جديد وتصدّوا لخطر الصليبيين في حملتهم على دمياط والمنصورة. وفي ظل مثل هذه الظروف الحرجة توفي الملك الصالح أيوب وتولّت زوجته شجرة الدرّ مقاليد الأمور، فأخفت موت زوجها ودعت ولده الملك المعظم تورانشاه من حصن كيفا ليصبح ملكاً على مصر. وحين قدومه أساء إلى المماليك ولشجرة الدر نفسها، فقادت هي وكبير المماليك آنذاك عزّ الدين آيبك ثورة داخلية ضده أدّت إلى قتله. وبعد ما وجدت معارضة من قبل الخليفة في بغداد لحكمها خلعت نفسها وتزوجت من الأمير عز الدين آيبك وبذلك أصبح المماليك على رأس

السلطة. ^(٢٠) وقد عرف هؤلاء المماليك باسم "المماليك البحرية" الذين كونوا الدولة الأولى التي استمرت حتى عام ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م نسبة لبحر النيل الذي أحاط بثكناتهم العسكرية في جزيرة الروضة. ^(٢١)

أما "المماليك البرجية" أو "الشركسية" فهم عناصر قوقازية الجنس، وقد خدموا في الجيش المملوكي زمن الدولة الأولى، ويطلق عليهم في المصادر العربية اسم الجركس أو الشركس أو الشراكسة وفي القليل الجهار كس مع أنهم من الجنس التركي العام. ^(٢٢) وتشير المصادر العربية إلى أنهم أعداء الأتراك ويعود تواجدهم في جيش المماليك البحرية إلى أوائل حكم السلطان المنصور سيف الدين قلاوون الألفي (حكم: ٦٨٩.٦٧٨ هـ/ م) فقد جعلهم في أبراج القلعة وسمّاهم البرجية. ^(٢٣)

وفي زمن الأشرف خليل (حكم: ٦٨٩ . ٦٩٣ هـ / ١٢٩٠ . ١٢٩٤ م) سمح لهم بمغادرة أبراجهم وطبقاتهم بالقلعة والنزول إلى القاهرة ومصر. وتسبب هذا الأمر بانغماس المماليك البرجية في الحياة العامة ومشاكلها بعد أن خرجوا من عزلتهم واختلطوا بغيرهم من طوائف المماليك وعامة الناس وأنهم لم يلبثوا أن استثاروا حقد بقية طوائف المماليك بسبب ما اختصوا به من رعاية السلطان لهم، ^(٢٤) كما أنهم قاموا بأداء وظيفتهم السياسية خير أداء فحافظوا على مصالح أسيادهم البحرية. وقد أدى دفاع الشراكسة عن مصالح أبناء المنصور قلاوون البحريين إلى كثرة النزاعات في ذلك العصر وتحول النزاع بين الأمراء بعضهم البعض، أو بين أنصار بيت قلاوون وخصومه إلى نزاع بين الشراكسة والأتراك ^(٢٥) وكانت نتيجة هذا الصراع خلع آخر سلاطين المماليك البحرية السلطان صلاح الدين حاجي الثاني (حكم: ٧٨٣ . ٧٨٤ هـ / ١٣٨١ . ١٣٨٢ م) لتبدأ دولة المماليك البرجية التي دامت ١٣٤ سنة، تعاقب على عرش السلطنة خلال مدة حكمهم ٢٥ سلطاناً وكان جميعهم من الشراكسة ما عدا إثنين من أصل يوناني هما الظاهر سيف الدين خشقدم (حكم: ٨٦٥ . ٨٧٢ هـ / ١٤٦١ . ١٤٦٨ م) والظاهر تمربغا (حكم: ٨٧٢ هـ / ١٤٦٨ م) ولم يظهر

بينهم سلطان عظيم، إذ كان عهدهم عهد قلق واضطراب؛ إذ كثر فيه تغيير السلاطين حتى كان فيهم من حكم ليلة واحدة أو بضعة الشهر أو بضعة أيام. ^(٢٧) وكان أول من حكم منهم الظاهر سيف الدين برقوق اليلبغاوي من سنة ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م حتى عام ٨٠١ هـ / ١٣٩٩ م تخلّته ثورة البحرين الذين عادوا للسلطة من خلال عودة آخر ملوكهم الصالح صلاح الدين حاجي خلال عامي ٧٩١ . ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ . ١٣٩٠ م، إلا أن برقوق تمكن من خلعه وزجّه إلى السجن. ^(٢٨) وكان برقوق قوي الشخصية واسع الحيلة قد تحمّل المشاق والمصاعب، وقد طفح عهده بالفتن والثورات. ^(٢٩)

ومع تخلّصه من الثورات وجلوسه على عرش مصر في جمادى الآخرة من سنة ٧٩٢ هـ / ١٣٩٠ م لم تكد مصر والشام لتهدأ حتى ظهر خطراً هدد المشرق الإسلامي، وهو تيمور لنك (الأعرج) الذي بدأت أخباره تتصل بالشام ومصر والمماليك عندما افتتح بغداد في شوال من سنة ٧٩٥ هـ / وهرب السلطان غياث الدين أحمد بهادر بن أويس الجلائري (حكم: ٧٨٤ . ٨١٣ / ١٣٨٢ . ١٤١٠ م) إلى السلطان برقوق المملوكي في القاهرة. ^(٣٠) وتستمر الأخبار عن صراع تيمور مع المماليك في بلاد الشام حتى وفاة تيمور سنة ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م في زمن الناصر ناصر الدين فرج بن برقوق (حكم: ٨٠١ . ٨٠٨ هـ / ١٣٩٩ . ١٤٠٥ م). وقد اتسمت العلاقة بين تيمور لنك والمماليك بالاحتدام والتأزم نتيجة طغيان تيمور وجشعه في جمع الأموال وطغيان سلاطين المماليك في مصر أيضاً وعدم إدراكهم لحقيقة ظروف عصرهم. وكان برقوق قد قتل رسل تيمور عند ما بعثهم تيمور في بادئ الأمر مزودين بهدايا عديدة وقيمة وكتاب إلى السلطان برقوق احتوى على نوع من التهديد وطالب فيه بطرد أحمد بن أويس الجلائري وبين في كتابه أن حدود بلاده أصبحت تمتد من سمرقند إلى حدود العراق العربي المتاخمة لحدود دولة الناصر فرج نفسه، وأن أهالي هذه المناطق يتمتعون بحمايته وأن على السلطان المملوكي أن يرعى حدود الجوار وأن يقوي أواصر الصداقة بتبادل

الرسل معه، وأن يمكّن تجارَهُ من ممارسة عملهم والانتقال من مكان لآخر آمينين. ^(٣١) وخالف بدوره السلطان الناصر برقوق القواعد الدبلوماسية بين الدول وقتذاك وأمر بقتل رسل تيمور وأعلن العداء الصريح له. ^(٣٢) وبالرغم من غضب تيمور من عمل برقوق هذا وما قام به بعض جيران المماليك وممن احتموا بهم من اشتباكات مع الولاة والأمراء المقربين من تيمور إلا أنه لم يقوم بشن حملة واسعة على مصر بل قام بمناوشات على أطراف بلادهم منها حصار ماردين واكتساح أرمينيا، ثم إنّه عرّج على بلاد السلطان قرا يوسف التركماني، ^(٣٣) كما أن نواب المماليك في حلب والمطية اشتبكوا مع طلائع جيش تيمور عند الرها وتمكنوا من هزيمتهم وأسر عدد كبير من اللنكية وهرب الباقون. ^(٣٤) ومع انتصارات المماليك هذه بدء برقوق يستعدّ للخروج إلى الشام، فورده كتاب آخر من تيمور يهدّده فيه إن لم يعلن تبعيته له. كما اتهمه بظلم الرعية وأخذه للرشا من الحكام، ثم عتّقه على قتله لرسله السابقين ^(٣٥) وأنكر عليه إيواؤه لأحمد بن أويس الجلّثري ثانية ^(٣٦) فأجابه الناصر برقوق برسالة أخرة أقوى تعبيراً وأشدّ تهديداً ^(٣٧) وخرج برقوق إلى الشام فوصل إلى دمشق ثم حلب ثم عبر نهر الفرات وهاجمت قواته جيش تيمور وألحقت به الهزيمة. ^(٣٨) إلا أن ظروفاً أجبرت تيمور على الانسحاب عن حدود بلاد الشام والعودة إلى سمرقند عام ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ م. ومن بعده قام تيمور بالتوجه إلى الهند في حملة وصل بها إلى دلهي وألحق الهزيمة بناصر الدين محمود شاه الثاني التغلّقي (حكم: ٧٩٥ . ٧٩٧ هـ / ١٣٩٣ . ١٣٩٥ م و ٨٠١ . ٨٠٢ هـ / ١٣٩٩ . ١٤٠٠ م) في ربيع الأول من عام ٨٠١ هـ / ١٣٩٩ م ^(٣٩) واستولى على كثير من الأقاليم الهندية الأخرى وأقيم له الدعاء في مساجد الهند. ^(٤٠)

وعند عودة تيمور من الهند كان السلطان برقوق المملوكي قد توفي في شوال عام ٨٠١ هـ / حزيران ١٣٩٩ م وخلفه ابنه الصغير الناصر فرج بن برقوق كما أسلفنا سابقاً، فحدثت بعض الاضطرابات والتقلّبات منها

استيلاء السلطان بايزيد الأول بن مراد الأول العثماني (حكم: ٧٩٢ . ٨٠٥ هـ / ١٣٩٠ . ١٤٠٣ م) على المملطية ^(٤١) وأسر الأمير قرا يوسف التركماني (حكم: ٧٩٠ . ٨٠٢ هـ / ١٣٨٨ . ١٤٠٠ م و ٨٠٩ . ٨١٠ هـ / ١٤٠٦ . ١٤٠٧ م) الأمير المغولي أطلمش المقرب من تيمور خلال غزوه لأرمينيا سنة ٧٩٨ هـ / ١٣٩٦ م وأرسله محبوساً إلى القاهرة، وحينها طلب تيمور إطلاق سراحه فرفض برقوق آنذاك. ^(٤٢) واستغل أحمد بن أويس الجلائري الذي عاد إلى بغداد نائباً عن سلطان مصر فرصة عدم تواجد تيمور في المنطقة فأغار على أذربيجان التي كانت بيد الأمير ميرانشاه بن تيمور سنة ٨٠٠ هـ / ١٣٩٨ م. ^(٤٣) وعند وصول تلك الأنباء أدرك تيمور أن الوقت قد حان للهجوم على الشام والانتقام من المماليك، ^(٤٤) فدخل الشام من ناحية سيواس على رأس قواته، ثم اتجه نحو المملطية والبهنسا وعينتاب بعد أن أحرق ضياعها وقتل معظم سكانها ^(٤٥) ثم اتجه صوب حلب، فاستنجد دمرداش المحمدي نائب حلب بنواب المدن الشامية الأخرى مثل دمشق وطرابلس وحماة وصفد وغزة، فخرجوا متحدين إلى ظاهر حلب بعد أن تأخرت قوات السلطان الناصر فرج ^(٤٦) واشتبكوا مع تيمور إلا أن تيمور استطاع هزيمتهم في ١١ من ربيع الأول عام ٨٠٣ هـ / ٢ تشرين الثاني ١٤٠٢ م وأشعل فيها النيران وأبيحت المدينة لأربعة أيام ووضع السيف في كل السكان، كما أسرت قوات تيمور لنك الأمراء المماليك الذين اجتمعوا بقلعة المدينة وأمر تيمور لنك بحبسهم جميعاً. ^(٤٧)

ولم يكن السلطان الناصر فرج بن برقوق على مستوى المسؤولية من أحداث الشام في تلك الفترة واتسم موقفه بالعجز الشديد والقصور عن إدراك السليم لجسامة الخطر الذي يهدد مملكته، ومع أن نواب البلاد الشامية أرسلوا التحذيرات المتتالية إلى القاهرة منذ وصول طلائع قوات تيمور إلى عينتاب إلا أنه لم يضع الخطط الفورية لمعالجة الغزاة ^(٤٨) بل تشاغل السلطان عن ذلك "بشرب الخمر وسماع الزمور حتى تمكّن تيمور من البلاد وعمّ فيها الفساد". ^(٤٩) ومع تكرار تحذيرات نواب الشام فقد اجتمع بقواد العسكر والعلماء

والقضاة للتشاور فأرسل الأمير "أسنبغا الدودار" مبعوثاً خاصاً إلى بلاد الشام لتعبئة قوات الشام. ومع عودة المبعوث وإخبار السلطان فرج بن برقوق باحتلال تيمور لحلب^(٥٠) تحرّك السلطان فرج مؤخراً بقواته في ربيع الآخر سنة ٨٠٣ هـ/ تشرين الثاني ١٤٠٠ م، في حين كان تيمور قد تحرّك صوب دمشق لانتزاعها من يد المماليك. واستطاع جواسيس تيمور وحيله الفذة من إيقاع خلاف بين أمراء جيوش السلطان فرج بن برقوق واختفى بعضهم للانقلاب على السلطان المملوكي في القاهرة ممّا استدعى السلطان فرج العودة إلى القاهرة مسرعاً.^(٥١)

وواجه سكان دمشق بعد رحيل الناصر فرج بن برقوق موقفاً حرجاً. ومع سلسلة من الحيل والأكاذيب السياسية والعسكرية استطاع تيمور من الاستيلاء على المدينة بين صلح في بادئ الأمر ثم دخلها عنوة، فنهبها وأحرقها كما فعل بحلب. وقد هلك معظم سكان المدينة وهم خلق لا يحصى كما عبّر المؤرخون.^(٥٢) وأخيراً عاد من دمشق إلى سمرقند وقد اصطحب معه كل الحرفيين والعمّال المهرة الذين حفلت بهم دمشق.^(٥٣) هذا باختصار ما فعله تيمور بالشام جرّاء حبّه في التوسّع وعدم اكتراثه بالأنفس البشرية وحبّه للجاء والمال وتشرذم المماليك وصراعهم على السلطة وغفلتهم عن رعاية مصالح المسلمين وانشغالهم بأمور الدنيا واللهو وحبّ التسلّط واقتناء الأموال والجاء والمقام وغيره من الأمور الدنيوية ممّا جعل الأبرياء عرضة للقتل والسلب والنهب وغيرها من الكوارث والبلايا.

ثالثاً: الصراع السياسي بين تيمور لنك والعثمانيين:

أما عن وضع البلاط العثماني وعلاقاته الخارجية بالمماليك وتيمور وخلفائه وبعد توجّه تيمور نحو القضاء على سلطة المماليك في بلاد الشام اتجه هذه المرة نحو منافسه الآخر وهو بايزيد الأول العثماني وأخذ يلتمس الأسباب لتعجل الصدام بينه وبايزيد، فطلب منه ابتداءً استرداد أحمد بن أويس الجلائري وقرأ يوسف

التركماني اللذين احتميا به؛ وفي المقابل رفض بايزيد طلب تيمور هذا، فكان هذا الرد الفرصة المناسبة لخروج تيمور لحربه في المحرم من سنة ٨٠٥ هـ/ تموز ١٤٠٢ م^(٥٤) واستخدم الحيلة أيضاً معه، فسار في طريق مختصر عبر الجبال إلى أنقرة في طريق غير الذي توقّعه بايزيد^(٥٥) ودارت رحى معركة طاحنة وقع فيها السلطان العثماني في أسر تيمور^(٥٦) وتقدّم التتار حتى احتلوا بورصة العاصمة الثانية للعثمانيين^(٥٧) وأعادوا جميع أمراء السلاجقة إلى أملاكهم التي استولى عليها العثمانيون.^(٥٨)

كما نلاحظ اهتماماً أوروبياً بتحركات تيمور هذه ضدّ العثمانيين والمماليك وهما القوتان الإسلاميتان الجارتان لهما والخصمين اللدودين المهدّدين لمصالحها في المشرق. وعليه حاولت أوروبا النيل من المماليك والعثمانيين من خلال التقرب إلى تيمور، فأرسل "مانويل الثاني"^(٥٩) (حكم: ١٣٩١ . ١٤٢٥ م) إمبراطور بيزنطة في القسطنطينية وملك مملكة جنوة عرضاً للمساعدة بإرسال قوة من المشاة والفرسان والأموال اللازمة للحرب.^(٦٠) كما بعث هنري الثالث^(٦١) ملك إسبانيا وفداً سياسياً سنة ١٤٠٢ م/ ٨٠٤ هـ لتهنئة تيمور لنك بعد انتصاره في معركة "أنقرة" ولبحث سبل الارتباط معه بأي نوع من أنواع التحالف لدعم علاقات بلده مع تيمور، فعاملهما تيمور معاملة طيبة، ثم أعادهما إلى إسبانيا مع رسول من عنده يدعى "محمد القاضي"، وحمله خطاباً ودياً وهدايا من جملتها جواهر وجوارٍ. وشجّع هذا الود هنري الثالث على محاولة الارتباط بأي نوع من التحالف مع تيمور لنك فأرسل في ٢٢ من أيار سنة ١٤٠٣ م/ الأول من ذي القعدة سنة ٨٠٥ هـ بعثة أخرى برئاسة "كلافيوخو"^(٦٢) مندوبه الخاص الذي دوّن ملاحظاته في كتاب وصل إلينا.^(٦٣) وبالرغم من أن الهدف من إيفاد الرسل إلى تيمور وتحريضه لقتال العثمانيين كان إزالة خطر العثمانيين أو التخفيف من حدّته، ومع وقوع القتال في وقت حاسمٍ من تاريخ توغلات بني عثمان في أوروبا إلا أنه لم يتضح في أي مصدر تاريخي ما يدلّ على قيام أي نوع من التحالف بين تيمور لنك وبين القوى الغربية.^(٦٤)

وأهم نتيجة من نتائج غزوة تيمور المدمرة هذه للعثمانيين هو استجابة السلطان الناصر فرج بن برقوق لطلبه مباشرة عندما كتب له تيمور كتاباً أنبأه فيه بغزوه للدولة العثمانية وطلبه بإطلاق أطمش ووعدته بالإفراج عما بحوزته من أسرى من الأمراء ونواب المماليك وإن امتنع فإنه سيعود ليخرب مصر. ^(٦٥) فقد أحضر فرج بن برقوق أطمش وخلع عليه وأطلقه مصحوباً ببعثة من أمرائه. ^(٦٦) وهكذا تمّ الصلح المهيّن بين السلطان فرج بن برقوق وتيمور لنك، ولو قدر لبلاد السلطان أن يحسن الانتفاع بالقوة ويحالف السلطان العثماني وغيره من أمراء المشرق الذين فاوضوا السلطان فرج في أمر تيمور لنك قبل انهيار جمهرة جيوشه على بلادهم، ولو نظم الأمراء قواتهم وانفقوا في تلك الظروف لأمنت بلادهم عادية تيمور لنك وجيوشه. ^(٦٧)

رابعاً: أثر الصراع السياسي بين تيمور لنك والمماليك والعثمانيين على البلدان التي دار فيها هذا الصراع: أما فيما يتعلّق بأثر هذا الصراع على البلدان التي دار فيها هذا الصراع فيتلخص هذا الأمر في جانبي الاقتصادي والاجتماعي، فقد عرف عن تيمور شدة جشعه ونهمه لجمع الأموال والسيطرة السياسية على مزيد من المناطق وضّمّها تحت سيطرته. ففيما يتعلّق ببلاد الشام وما وصلنا مما ذكره المؤرخون في هذه الحقبة نجد أن ما أحدثه تيمور في بلاد الشام من حروب ومعارك ومجازر قد أخلت بالاستقرار الذي نعمت به بلاد الشام على مر العصور الإسلامية المتلاحقة، فكانت استباحته لكبريات مدنها حلب ودمشق على أوسع نطاق وبأشد أشكالها وصورها بعد أن كانت "كثيرة الميرة والرزق". ^(٦٨) ومن أبشع صورها أنه أحلّ لجيشه جميع ما فيها من متاع وأموال فأطلق عليها لفظ الغنيمة من "المأكول والمشروب والدواب والملابس والتحف" وما عبّر عنه بـ "الطغزات" بالتركية ^(٦٩) وكان يطلب من أهالي دمشق الأموال للصلح عوضاً عن غزوها فطرح بين يديه "ألف ألف دينار، فغضب ولم يرض به وفرض عليهم ألف تومان - والتومان عبارة

عن عشرة آلاف دينار من الذهب - فرضاً عن أجرة أملاكهم وألزموا كل إنسان من ذكر وأنثى، حرٍ وعبدٍ بعشرة دراهم، وألزم كل وقفٍ بجمل مالٍ له جِزْم، فنزل بالناس باستخراج هذا منهم ثانياً بلاء عظيم وعوقب كثير منهم بالضرب، فغلت الأسعار، وعزَّ وجود الأقوات، وبلغ المدّ القمح - وهو أربعة أقداح - إلى أربعين درهماً فضة...^(٧٠). فضلاً عن إلزام الدمشقيين بإخراج أموال من فرّ منهم^(٧١)، وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدلّ على ثراء دمشق والدمشقيين قبل غزو تيمور وعلى نكاء تيمور وأيضاً شدة جشعه وحبّه في حيازة الأموال بغير وجه حق.

ونتيجة للسلب والنهب التي تعرضت لها الأراضي الشامية وإجراءات تيمور التعسّفية لحق بالبلاد أزمة اقتصادية حالكة نتيجة ما ولّاه تيمور لأمرأه جيشه على حارات دمشق المختلفة ليكثروا من السلب والنهب فندرت الأقوات في الأسواق فضلاً عن المدن فلحق بالناس بلاء عظيم كما وصف الحلة ابن تغري بردي وغيره من المؤرخين "فقلّت الأرزاق وعزّ وجود الأقوات، وبلغ مدّ القمح - وهو أربعة أقداح - إلى أربعين درهماً فضة".^(٧٢) كما يجدر الإشارة إلى وصف ابن عربشاه لشدة السلب والنهب وجشع جيش تيمور في أخذ مختلف النفائس وسلب ونهب أي شيء فقال في بعض ما كتب واصفاً تلك الأيام: "ثم ارتحل ذلك الفتان، وأقلع صيّب بلائه الهتان، يوم السبت ثالث شعبان، وقد أخذوا من نفائس الأموال فوق طاقتهم، وتحمّوا من ذلك ما عجزت عنه قوى استطاعتهم، فجعلوا يطرحون ذلك في الدروب والمنازل، ويلقونه شيئاً فشيئاً في أوعار المراحل، وذلك لكثرة الحمل وقلة الحوامل، وأضحت القفار والبراري والجبال والصحاري من الأمتعة والأقمشة كأنها أسواق الدهشة، وكأن الأرض فتحت خزائنها، وأظهرت من المعادن والفلزات كامنها...".^(٧٣) وقد عمل عسكر تيمور على إنزال أشد أنواع البلاء بأهل حلب ودمشق من ألوان القهر والظلم ما لا يوصف ونقشعر له الأبدان وتندى له جبين الإنسانية وقد سجّله مؤرخو تلك السنين من الاستيلاء على الأموال

والضرب والعصر والإحراق بالنار والتعليق منكوساً و. واستمر هذا العذاب النفسي والجسدي لمدة تسعة عشر يوماً فهلك في هذه المدة بدمشق بالعقوبة والجوع خلق لا يعلم عددهم كما وصف ابن تغري بردي. (٧٤)

أما من الناحية الاجتماعية فقد أحدث هذا الغزو تحولاً اجتماعياً في الشام ومصر لبرهة من الزمن نتيجة هروب الفارين من العلماء والأعيان وأهالي بلاد الشام إلى مصر مركز الدولة المملوكية مما تسبب في أن تستجيب الدولة المملوكية تجاه هذا التحرك السكاني الشامي نحو مصر لإيواء هؤلاء الفارين وتوفير فرصة عمل لهم. كما دعا البعض من المصريين لطرد العنصر الأعجمي من البلاد رغبة من الانتقام لما لحق بالشاميين والمصريين جراء حروب تيمور وعساكره الأعجمية "حتى لهج الناس بالكتابة على الحيطان: من نصرة الإسلام قتل الأعجام". (٧٥) ولعل هذا الاضطرابات الاجتماعية هي التي تسببت في تمكّن الفرنجة من السطو على "سنة مراكب موسقة قمحاً، سار بها المسلمون من دمياط إلى سواحل الشام، لبيع بها، من كثرة ما أصابها من القحط والغلاء من نوبة تمر لنك". (٧٦)

ومن جملة ما تأثرت به المنظومة الاقتصادية الشامية والمصرية جراء غزو تيمور لبلاد الشام وتأثر مصر بها كونها بالجوار وتحكم الشام أيضاً هو فقدان التوازن في تواجد كميات الدنانير والدراهم مع الفلوس النحاسية نتيجة أعمال النهب التي شهدتها هذه المناطق، فقد عرفنا جشع تيمور الشديد ونهمه وحبه في تملك وحياسة الأموال وأنه طلب من أهل دمشق أن يحضروا له ألف تومان. والتومان كما ذكرنا يعادل عشرة آلاف دينار. ثمناً للمصالحة معهم أي أنه طلب عشرة آلاف ألف. أي عشرة ملايين. دينار، وبعد إحضار هذا المبلغ لم يكتف بذلك بل طلب منهم ما تركته العساكر المصرية من سلاح وأموال، وبعد استيفاء هذه الأموال لم يكتف بذلك أيضاً وطلب بإخراج أموال من فرّ من دمشق (٧٧) عدى ما سيطر عليه جنوده في

آخر أيام تواجد عسكره في دمشق من نهب الدور والمحال التجارية والأوقاف والمساجد والأماكن العامة.^(٧٨) فبعد كل هذا نقول هل بقي في المدينة شيء؟ ودمشق مركز بلاد الشام وأكبر مدنها وأكثرها ازدهارا على مَرَّ العصور الإسلامية المختلفة. فكانت الناس في الشام ومصر تعاني من نقصان العملة الذهبية والفضية فكثُر الطلب عليهما في وقت كثر فيه العملات النحاسية (الفلوس).

أما البعد الحضاري الآخر الهام الذي تأثر بهذا الغزو الجائر فهو التهجير القسري للعلماء وأرباب الفنون والآداب من دمشق إلى مدينة سمرقند حاضرة تيمور، فعلى الرغم من توحشه في الجانب العسكري نراه يهتم بالفنون والآداب؛ وقد أبقى على الفنانين الشاميين وحرص على نجاتهم من القتل وهتك الحرمات. قال ابن عربشاه: "وأخذ من دمشق أرباب الفضل وأهل الصنائع وكل ماهر في فن من الفنون بارع من النساجين والخياطين والحجارين والنجارين والإقباعية والبياطرة والخيمية والنقاشين والقواسين والباذارية، وفي الجملة أهل أي فنٍ كان، وجمع كل ذكر السودان، وأمرهم أن يوصلوهم إلى سمرقند... وأخذ من الفقهاء والعلماء وحفاظ القرآن والفضلاء وأهل الحرف والصناعات والعبيد والنساء والصبيان والبنات ما لا يسع الضبط ولا يحل الربط".^(٧٩)

أما بالنسبة للصراع السياسي بين تيمور والعثمانيين فقد نجم عنه خسارة السلطان بايزيد الأول العثماني الذي كان لتوّه كَوْن امبراطورية في آسيا الصغرى وكان جاهزاً للانقضاض على القسطنطينية مركز الدولة البيزنطية في معركة أنقرة الطاحنة وأسرته وصارت الدولة العثمانية الناشئة على وشك أن تنهار بعد أن احتل تيمور "بورصة" عاصمة العثمانيين الثانية، وأعيد جميع الأمراء السلاجقة إلى أملاكهم التي استولت عليها الدولة العثمانية.^(٨٠)

وكانت معركة أنقرة قد خلّفت عدة نتائج هامة انعكست على واقع حال بلاد الأناضول والدولة العثمانية الفتية فيه، فقد أخرجت هذه المعركة بقاء الإمبراطورية البيزنطية التي كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة مدة كانت قرابة الخمسين عاماً، كما أن هزيمة العثمانيين هذه لم تشكل الضربة التي أنهت العثمانيين، إذ أنهم كانوا في دور التكوين ومن الممكن للدول وهي في هذا الدور أن تمتصّ الضربات وتعاود النهوض من جديد، وكان لعودة تيمور من ساحة الصراع مع العثمانيين وعدم اهتمامه بالأناضول وإسقاط الدولة العثمانية الأثر الأساسي في استمرارية الدولة العثمانية، لكن مع هذا استطاع تيمور من إعادة إحياء الإمارات التركية التي قضى عليها العثمانيون، كما أن لسياسات خلف بايزيد الأسير سليمان في انقاذ ما تبقى من وجاهة ومكانة للدولة العثمانية ومهادنة تيمور تقديم فروض الولاء والطاعة له وبالتالي قبله تيمور أن يصبح والياً له على الأملاك العثمانية، كما كانت معركة أنقرة بمثابة تجميد تاريخي لانتشار وتوسع الدولة العثمانية وخاصة خلال الفجوة الزمنية التي عاشتها من واقع الصراع على السلطة حيث أطلق عليها المؤرخون "دور الفترة".^(٨١)

على أن السلطان فرج بن برقوق صالح تيمور لنك بعد ما رأى ما فعله تيمور بخصمه بايزيد الأول العثماني، بعد أن أرسل تيمور لنك كتاباً إلى السلطان فرج أنبأه فيه بغزوه للدولة العثمانية وطالبه بإطلاق أطمش نائبه على بعض القلاع القريبة من تبريز^(٨٢) في مقابل إطلاق تيمور لما لدين من الأمراء والنواب والمماليك المأسورين. وأما إذا امتنع السلطان فرج عن تنفيذ مطالبه فإنه سيعود لتخريب مصر.^(٨٣) فقبل السلطان فرج الصفقة خائفاً خاضعاً وأطلق سراح أطمش فخلع عليه السلطان فرج وأنعم عليه بخمسة آلاف درهم وأطلقه مصحوباً ببعثة من أمرائه.^(٨٤) وكان هذا الصلح المذل نتيجة طبيعية لأفعال السلطان فرج بن برقوق ولو قدر لبلاد السلطان أن يحسن الانتفاع بالقوة ويحالف السلطان العثماني وغيره من أمراء الشرق الذين

فاوضوا السلطان فرج في أملا تيمور لنك قبل انهيار جمهرة جيوشه على بلادهم، ولو نظم الأمراء قواتهم واتفقوا في هذه الظروف الحرجة لأمنت البلاد عادية تيمور لنك وجيوشه.

الخاتمة:

وبعد هذه الرحلة في الصراع الدامي على السلطة بين تيمور مع المماليك والعثمانيين يمكننا أن نختم بحثنا من خلال القول:

استطاع تيمور الأعرج (لنك) من الوصول إلى دقة الحكم مستغلاً الفوضى السياسية والعسكرية الناتجة عن سقوط الدولة الإيلخانية في بلاد فارس والعراق وكثرة الدول المحلية التي كانت تتصارع من أجل توسيع مناطق نفوذها، فغزى المشرق الإسلامي والعراق وبلاد الشام والأناضول وشرق أوروبا والهند وكان يخطط لغزو الصين إلا أن الموت أدركه. وخلف من خلال سلسلة غزواته هذه التي عداها مؤرخو عصره فجعلوها خمسة حملات سلسلة من النكبات ودمار هائل في مختلف المدن وحواضر البلدان الإسلامية مثل أصفهان وبغداد وحلب ودمشق وأنقرة وغيرها من المدن، إلا أن خلفاؤه استطاعوا أن ينهضوا بهذه البلدان التي خربها سلفهم فقد كانوا مسالمين قد جنحوا إلى التحضر ودعم العلم والعلماء مما يجعلنا أن نعتبر عصر خلفائه عصر ازدهار للعلوم والفنون والآداب، فقد كان بلاط السلطان حسين بايقرا آخر ملوك بني تيمور لا يقل شأنًا عن بلاط شاهرخ خليفة تيمور بعد وفاته. وحتى تيمور نفسه مع شدته في الحسم العسكري إلا أنه كان يجلّ ويحترم العلماء ويأخذ من شاء من الحرفيين والصنّاع والفنّانين والعلماء عند غزوه لكل مدينة إلى سمرقند. وامتاز عصر خلفاء تيمور بكثرة المدارس والمنشآت العلمية التي استحدثها السلاطين والأمراء، كما وجدت الكثير من الأوقاف لتعليم العلوم الشرعية احتوت على مدارس ومساجد ومسكن للطلاب وكانت أجور الطلاب والخدم تدفع من تلك الأوقاف والمبذّرات.

كما أن تيمور وخلفائه كانوا قد خالفوا سياسيات الايلخانيين في الحياد الديني بل إلا أننا نجد أن الروحية المذهبية مهيمنة في هذه الفترة على مختلف الصعد الاجتماعية وأن تيمور وخلفائه حكموا وفق قواعد الشريعة الإسلامية وكانوا متدينين حقيقياً أو كذباً، وهذا الأمر مع كثرة النكبات التي كانت تتلاقها الشعوب الإسلامية في المشرق جراء غزو المغول ومن بعده غزوات تيمور وظلم السلاطين والملوك وولاتهم أدى إلى تقوية الوازع الديني في المجتمع. فالتيموريين ومع ظلمهم وبطشهم ضد رعاياهم إلا أنهم كانوا يرعون علماء المذاهب والمشايخ وكانوا يجلسونهم ويتواضعون أمامهم وكانوا في نفس الوقت يبحثون عن سبب شرعي ليجعلوه حجة في توسعاتهم في كافة البلدان.

وجراء هذه السياسة الدينية التي اتخذها التيموريين وتنامي النكبات وظلم السلاطين والملوك تنامت ظاهرة اجتماعية هي الحركة الصوفية واتساع التدين بهذا السلوب. والأهم من ذلك هو الإمتزاج الحاصل بين بعض العقائد الصوفية مع أفكار وعقائد شيعية لتكوين حركات فكرية سياسية مثل الطريقة "الصفوية". وكان هذا الأمر نتيجة توسع والانتشار التشيع بموازاة التوجهات الصوفية التي دعمتها السلطة التيمورية أيضاً. وبالنسبة لتوسعات تيمور وصراعه على السلطة السياسية مع المماليك فقد بدأت أخباره تتصل بالشام ومصر والمماليك عندما افتتح بغداد وهروب السلطان غياث الدين أحمد بهادر بن أويس الجلائري إلى السلطان برقوق المملوكي في القاهرة. وتستمر الأخبار عن صراع تيمور مع المماليك في بلاد الشام حتى وفاة تيمور سنة ٨٠٧ هـ/ م في زمن الناصر ناصر الدين فرج بن برقوق (حكم: ٨٠١.٨٠٨ هـ/ م). وقد اتسمت العلاقة بين تيمور لنك والمماليك بالاحتدام والتأزم نتيجة طغيان تيمور وجشعه في جمع الأموال وطغيان سلاطين المماليك في مصر أيضاً وعدم إدراكهم لحقيقة ظروف عصرهم. فما كان من هذه الظروف إلا أن تنتج تدمير حاضرتي بلاد الشام أي حلب ودمشق ونهبها من قبل قوات تيمور.

أما بالنسبة لاحتكاك تيمور مع العثمانيين فإنه كان يلتمس أبسط الأعداء لهذا الشأن أيضاً فمخالفة بايزيد الأول لتسليم الأميرين الجلائري والقره قويونلو كان السبب وراء غزوه لبلاد العثمانيين في معركة أنقره الشهيرة كان نتائجها أسر السلطان العثماني بايزيد الأول على يد تيمور وإعادة أمراء السلاجقة إلى أملاكهم الذي استولى عليها العثمانيون. كما نتج عن هذا التبعثر في أملاك الدولة العثمانية وتحركات تيمور ضد المماليك وهما القوتان الإسلاميتان العظيمتان آنذاك تحرك أوروبا للنيل منهما من خلال التقرب لتيمور فأرسلت وفودها فكان تيمور قد تعامل مع جلها تعاملأً سمحاً إلا أنه ليس هناك أي نصّ إلّا على استغلاله لهذه العلاقات ضدّ المسلمين. كما أن هذه الهزيمة النكراء دعت سلطان مصر آنذاك الناصر فرج بن برقوق لمصالحة تيمور والاستجابة لشروطه.

وبشكل عام إذا ما استطلعنا سريعاً نتائج وأثر هذا الصراع على البلدان التي دار فيها هذا الصراع، نجد أنه اقتصادياً تعرضت الأراضي الشامية لأزمة اقتصادية حالكة نتيجة لكثرة السلب والنهب، فندرت الأرزاق في الأسواق فضلاً عن المدن، ولحق بالناس بلاء عظيم حسب وصف المؤرخين، حتى أن ابن عريشاه ذكر أنه من كثرة ما حمل جيش تيمور من المواد المسلوقة والمنهوبة أخذ الجند يطرحون الزائد منها في الطرقات والمراحل التي يمر بها الجيش. وتعرضت بلاد الشام إلى فقدان التوازن في تواجد كميات الدنانير والدرهم مع الفلوس النحاسية نتيجة أعمال النهب التي شهدتها هذه المناطق وما جلبه تيمور من أموال من الشاميين من أجل المصالحة بلغت الأموال المستحصلة من دمشق خمسة ملايين دينار.

كما أن أهل الشام تحديداً قد تعرضوا لشتى أنواع العذابات الجسدية والنفسية على يد جنود تيمور عند غزوه لكبريات مدن الشام سيما حلب ودمشق تندى لها جبين الإنسانية من الضرب والعصر والإحراق بالنار والتعليق منكوساً.

ومن الناحية الاجتماعية أحدث هذا الغزو تحولاً اجتماعياً في الشام ومصر لبرهة من الزمن نتيجة هروب الفارين من العلماء والأعيان وأهالي بلاد الشام إلى مصر مركز الدولة المملوكية ممّا تسبب في أن تستجيب الدولة المملوكية تجاه هذا التحرك السكاني الشامي نحو مصر لإيواء هؤلاء الفارين وتوفير فرصة عمل لهم. كما تعرض بلاد الشام تحديداً لنقص في أرباب المهن والصناعات والعلماء نتيجة لترحيلهم القسري على يد تيمور إلى مركزه في سمرقند في إجراء تعسفي آخر بحق البلدان التي نكبت جراء غزو تيمور وإهمال رعاتها المماليك.

أما فيما يخص بأثر هذا الصراع على بلاد الأناضول فقد أدى إلى كسر شوكة العثمانيين مؤقتاً وارجاع بلادهم على ما كانت عليه قبل معركة أنقرة وتأجيل افتتاح القسطنطينية لخمسین عاماً. كما سأل لعاب الملوك والأمراء المسيحيين في أوروبا لهذه النكبات التي تعرضت لهما دولتا المماليك والعثمانيين فأرسلوا الوفود لتيمور لانتفاخ عليه واستغلاله لغرض القضاء على هاتين الدولتين الإسلاميتين الكبيرتين، إلا أن النصوص التاريخية لا تفيد باستجابة تيمور سياسياً وعسكرياً لهذه الجهود الأوروبية في الانفتاح عليه عدى الرد الدبلوماسي على هذه الوفود بالكرم وحفاوة الاستقبال والارجاع.

الهوامش:

- ١ . الجاف: موسوعة تاريخ إيران، ج ٢، ص ٣١٣ . ٣١٤.
- ٢ . م. ن.، ص ٣٩١.
- ٣ . زامبور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٣٧٧ . ٣٨٣.
- ٤ . جمع من المستشرقين: دائرة المعارف الإسلامية، ج ٦، ص ١٦٠. ١٦٣، (مادة: تيمور لنك)

- ٥ . م . ن . ج ٦ ، ص ١٦٤ ، (مادة: تيمور: بنو).
- ٦ . م . ن . ، والصفحة.
- ٧ . مير جعفري: تاريخ تحولات سياسي واجتماعي واقتصادي وفرهنگي إيران در دوره تيموريان وترکمانان، ص ١٣٨.١٣٧.
- ٨ . م . ن . ، ص ١٣٩.١٣٨
- ٩ . يزدي: ظفرنامه، ج ٢، ص ٤٤٧؛ مير جعفري: تاريخ تحولات، ص ١٦٥.١٦٤.
- ١٠ . مير جعفري: م . ن . ، ص ١٦٥.
- ١١ . م . ن . ، والصفحة، نقلاً عن: عبد الرزاق السمرقندي: مطلع السعدين ومجمع البحرين، ج ٢، ص ٧٣٩.
- ١٢ . م . ن . ، والصفحة.
- ١٣ . م . ن . ، ص ١٦٦.
- ١٤ . للمزيد من التفاصيل ينظر: الشيبني: الصلة بين التصوف والتشيع، ج ٢، ص ١٤٣ وما بعدها.
- ١٥ . ينظر: مير جعفري: تاريخ تحولات، ص ١٦٧.
- ١٦ . الشيبني: الصلة، ج ٢، ص ١٥٣؛ وللمزيد من التفاصيل عن هذه الحركات الصوفية الشيعية في العصر التيموري ينظر: م . ن . ج ٢، ص ١٥١ وما بعدها.
- ١٧ . صفا: تاريخ ادبيات إيران، ج ٤، ص ٧١.٦٩؛ مير جعفري: تاريخ تحولات، ص ١٧٧.١٧٦.
- ١٨ . طقوش: تاريخ المماليك في مصر والشام، ص ١٦.١٥.
- ١٩ . م . ن . ، ص ٢١.
- ٢٠ . م . ن . ، ص ٤٣.٢١.
- ٢١ . المقرئزي: المواعظ والاعتبار، ج ٣، ص ٧٦٤؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٢٩٤؛ ابن أياس: بدائع الزهور، ج ١، قسم ١، ص ٢٦٩.
- ٢٢ . ابن خلدون: العبر، ج ١٠، ص ١٠١١.

- ٢٣ . المقرئزي: المواعظ والاعتبار، ج ٣، ص ٧٨٠؛ السلوك في ذكر دول الملوك، ج ١، قسم ٣، ص ٨٠٠؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٣٣٠.
- ٢٤ . عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ص ١٤٣.
- ٢٥ . م. ن.، ص ١٤٤.
- ٢٦ . طرخان: مصر في عهد دولة المماليك الجراكسة، ص ٥٦.٥٥؛ متروك: الحياة العلمية في بلاد الشام في عصر المماليك الجراكسة، ص ٣٢.
- ٢٧ . طرخان: م. ن. والصفحة؛ متروك: م. ن. والصفحة.
- ٢٨ . القلقشندي: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج ٢، ص ١٤٢؛ السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج ٢، ص ١٠٥.١٠٤؛ صُصْرِي: الدرة المضيئة في أخبار الدولة الظاهرية، ص ٢٩.٢٨، ٧٥.٧٣.
- ٢٩ . طرخان: مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص ١٥.
- ٣٠ . صُصْرِي: الدرة المضيئة، ص ١٥٧.١٥٦.
- ٣١ . شامي: ظفر نامه، ص ٢٢٢.٢٢١؛ عبد السيد: قيام دولة المماليك الثانية، ص ١٢٥.
- ٣٢ . شامي: م. ن.، ص ٢٢٢؛ ميرخواند: تاريخ روضة الصفا في سير الأنبياء والملوك والخلفاء، ج ٩، ص ٤٩٦٣.
- ٣٣ . عبد السيد: قيام دولة المماليك الثانية، ص ١٢٦.
- ٣٤ . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ٤٣.
- ٣٥ . صُصْرِي: الدرة المضيئة، ص ١٦٥.١٦٤؛ المقرئزي: السلوك، ج ٣، قسم ٢، ص ٨٠٥.٨٠٣.
- ٣٦ . ابن حجر العسقلاني: إنباء العُمَرِ بانباء العُمَرِ، ج ٣، ص ٢٠٦.
- ٣٧ . المقرئزي: السلوك، ج ٣، قسم ٢، ص ٨٠٧.٨٠٥.
- ٣٨ . ابن أياس: بدائع الزهور، ج ١، قسم ٢، ص ٤٦٩.
- ٣٩ . مير خواند: روضة الصفا، ج ٩، ص ٤٩٠.٤٨٩٧.

- ٤٠ . مير خواند: م. ن.، ج ٩، ص ٤٩٠٦.٤٩٢٢؛ سليمان: تيمور لنك ودولة المماليك الجراكسة، ص ٢١.
- ٤١ . ابن أياس: بدائع الزهور، ج ١، قسم ٢، ص ٥٤٧.
- ٤٢ . ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٣١٤.
- ٤٣ . م. ن.، ج ٣، ص ٣٩٤.٣٩٥.
- ٤٤ . سليمان: تيمور لنك ودولة المماليك الجراكسة، ص ٢٢.
- ٤٥ . المقرئزي: السلوك، ج ٣، قسم ٣، ص ١٠٢٨.
- ٤٦ . ابن عربشاه: عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص ٩٥؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٤، ص ١٩٥؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ١٧٨.١٧٧؛ المقرئزي: م. ن.، ج ٣، قسم ٣، ص ١٠٣٢؛ ابن أياس: بدائع الزهور، ج ١، قسم ٢، ص ٥٩٦.
- ٤٧ . ابن تغري بردي: م. ن.، ج ١٢، ص ١٨٠؛ المقرئزي: م. ن.، ج ٣، قسم ٣، ص ١٠٣٣؛ ابن أياس: م. ن.، ج ١، قسم ٢، ص ٥٩٨.
- ٤٨ . سليمان: تيمور لنك، ص ٢٧.
- ٤٩ . ابن أياس: بدائع الزهور، ج ١، قسم ٢، ص ٦٠١؛ السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج ٦، ص ١٥٢.
- ٥٠ . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ١٨٣؛ المقرئزي: السلوك، ج ٣، قسم ٣، ص ١٠٧٣؛ ابن أياس: م. ن.، ج ١، قسم ٢، ص ٦٠٢.٦٠١.
- ٥١ . ابن تغري بردي: م. ن.، ج ١٢، ص ١٨٨؛ المقرئزي: م. ن.، ج ٣، قسم ٣، ص ١٠٤٥؛ ابن أياس: م. ن.، ج ١، قسم ٢، ص ٢٣٧.٢٣٦.
- ٥٢ . ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص ١١٧.١١٦؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٤، ص ٢٠٩.
- ٥٣ . سليمان: تيمور ودولة المماليك، ص ٣٧.
- ٥٤ . المقرئزي: السلوك، ج ٣، قسم ٣، ص ١٠٩٢؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص ١٣٦.١٣٥؛ ابن أياس: بدائع

- الزهور، ج ١، قسم ٢، ص ٦٦٠؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٥، ص ٦١.
- ٥٥ . عبد السيد: قيام دولة المماليك الثانية، ص ١٤٢.
- ٥٦ . المقرئ: السلوك، ج ٣، قسم ٣، ص ١٠٩٢؛ ابن عريشاه: عجائب المقدور، ص ١٣٦.١٣٥؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ٢٨٠؛ ابن أبياس: بدائع الزهور، ج ١، قسم ٢، ص ٦٦٠؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٥، ص ٥٦.٥٥.
- ٥٧ . المقرئ: م. ن.، ج ٣، قسم ٣، ص ١٠٩٢؛ ابن أبياس: م. ن.، ج ١، قسم ٢، ص ٦٦٠.
- ٥٨ . عبد السيد: قيام دولة المماليك الثانية، ص ١٤٣.
- ٥٩ . Manuel II
- ٦٠ . عبد السيد: قيام دولة المماليك الثانية، ص ١٤٤.١٤٣؛ كلافيخو: سفرنامه كلافيخو، ص ١٨.
- ٦١ . Henry III
- ٦٢ . Clavijo
- ٦٣ . عبد السيد: قيام دولة المماليك الثانية، ص ١٤٤.١٤٣؛ كلافيخو: سفرنامه كلافيخو، ص ٤١.٤٠.
- ٦٤ . عبد السيد: م. ن.، ص ١٤٤؛ جمع من المؤلفين: العصر المملوكي من تصفية الوجود الصليبي إلى بداية الهجمة الأوروبية الثانية، ص ٩١.
- ٦٥ . ميرخواند: روضة الصفا، ج ٩، ص ٥٠٦٦.٥٠٦٥.
- ٦٦ . ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٥، ص ٦٣.٦٢؛ ميرخواند: م. ن.، ج ٩، ص ٥٠٦٦.٥٠٦٥.
- ٦٧ . عبد السيد: قيام دولة المماليك الثانية، ص ١٤٥.
- ٦٨ . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ١٩١.
- ٦٩ . م. ن. والصفحة.
- ٧٠ . ابن تغري بردي: م. ن.، ج ١٢، ص ١٩٢؛ المقرئ: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ٣، قسم ٣، ص ١٠٤٨.١٠٤٧.

- ٧١ . ابن تغري بردي: م. ن.، ج ١٢، ص ١٩٣؛ المقرئزي: م. ن.، ج ٣، قسم ٣، ص ١٠٤٩.
- ٧٢ . النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ١٩٢.
- ٧٣ . ابن عربشاه: عجائب المقدور في نوائب تيمور، ص ١٨١.
- ٧٤ . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ١٩٤؛ وينظر: المقرئزي: السلوك، ج ٣، قسم ٣، ص ١٠٥١.١٠٥٠.
- ٧٥ . المقرئزي: م. ن.، ج ٣، قسم ٣، ص ١٠٥٨.
- ٧٦ . المقرئزي: م. ن.، ج ٣، قسم ٣، ص ١٠٥٩.
- ٧٧ . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ١٩٣.١٩٤؛ المقرئزي: م. ن.، ج ٣، قسم ٣، ص ١٠٤٩.١٠٤٧.
- ٧٨ . ابن تغري بردي: م. ن.، ج ١٢، ص ١٩٥.١٩٤؛ المقرئزي: م. ن.، ج ٣، قسم ٣، ص ١٠٥١.
- ٧٩ . ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص ١٢٠.١٢١.
- ٨٠ . فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ١٤٧.
- ٨١ . طقوش: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ص ٧٣.٧٥.
- ٨٢ . ابن شاهين الظاهري: نيل الأمل في ذيل الدول، ج ٩، ص ٨٥؛ المقرئزي: السلوك، ج ٣، ق ٢، ص ٨٥٠؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج ١، ص ٥٠٩؛ ويذكر ابن أياس أن أطلمش كان نائباً لتيمور على الرها في أثناء أسره. ينظر: ابن أياس: بدائع الزهور، ج ١، ص ٣٠٦.
- ٨٣ . العسقلاني: إنباء الغمر، ج ٥، ص ٦٣.٦٢.
- ٨٤ . نفسه.

المصادر والمراجع:

أ. المصادر العربية:

ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفي المصري (ت ٩١٣ هـ / ١٥٢٤ م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، حققه وكتب له المقدمة والفهارس: محمد مصطفى، دار الكتب والوثائق القومية، ط٣، (القاهرة . ٢٠٠٨).

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، (القاهرة . ١٩٩٢).
ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م): إنباء الغمر بأبناء العمر، حقق بإشراف: محمد عبد المعيد خان، دار الكتب العلمية، ط٢، (بيروت . ١٩٨٦).
ابن خلدون، أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، (القاهرة وبيروت-١٩٩٩).

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ضبطه وصححه: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، (بيروت . ٢٠٠٣).
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضير (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م): حسن المحاضرة في تاريخ ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، (القاهرة . ١٩٩٨).
ابن شاهين، زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين (ت ٩٢٠ هـ / ١٥١٤ م): نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، (صيدا وبيروت . ٢٠٠٢).
ابن صصري، محمد بن محمد بن أحمد (توفي بعد ٨٠١ هـ / ١٣٩٩ م): الدرّة المضيئة في أخبار الدولة الظاهرية، تحقيق: عارف أحمد عبد الغني، دار سعد الدين ودار كنان، (دمشق . ٢٠١٤).

- ابن عربشاه، شهاب الدين أبو محمد أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم (ت ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م): عجائب المقدور في نوائب تيمور، مطبعة وادي النيل، (القاهرة . ١٢٨٥).
- القرماني، أحمد بن يوسف بن أحمد بن سنان الدمشقي (ت ١٠١٩ هـ / ١٦١٠ م): أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، دراسة وتحقيق: فهمي سعد وآخرون، عالم الكتب، (د. م. . ١٩٩٢).
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م): مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد الفزاج، مطبعة حكومة الكويت، ط ٢، (الكويت . ١٩٨٥).
- المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م): السلوك لمعرفة دول الملوك، حققه وقدم له ووضع حواشيه: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق القومية، ط ٢، (القاهرة . ٢٠٠٧).
- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، قابله بأصوله وأعدّه للنشر: أيمن فؤاد السيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، (لندن . ٢٠١٣)، ص ٧٦٤.
- ب. المصادر الفارسية:
- شامي، نظام الدين عبد الواسع (ق ٩ هـ / ١٥ م): ظفر نامه: تاريخ فتوحات امير تيمور كوركاني، انتشارات بامداد، (تهران . ١٣٦٣ ش.).
- ميرخواند، محمد بن برهان الدين خاوندشاه بن كمال الدين محمود (ت ٩٠٣ هـ / ١٤٩٨ م): روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء، به تصحيح وتحشيه: جمشيد كيان فر، انتشارات اساطير، ط ٢، (تهران . ١٣٨٥ ش.).
- يزدي، شرف الدين علي (ت ٨٥٨ هـ / ١٤٥٤ م): ظفر نامه، تصحيح وتعليق: سيد سعيد مير محمد صادق، عبد الحسين نوائي، كتابخانه موزه ومركز اسناد مجلس شوراي إسلامي، (تهران . ١٣٨٧ ش.).

ج. المراجع العربية والمعرّبة:

الجاف، حسن كريم:

موسوعة تاريخ إيران السياسي، الدار العربية للموسوعات، (بيروت . ٢٠٠٨).

جمع من المستشرقين:

دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية: محمد ثابت الفندي وآخرون، انتشارات جهان، (طهران . د.ت).

جمع من المؤلفين:

العصر المملوكي من تصفية الوجود الصليبي إلى بداية الهجمة الأوروبية الثانية (ضمن سلسلة مشروع العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، (د.م . ١٩٩٦).

زامباور، إدوارد فون:

معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه: زكي محمد حسن بك وآخرون، مطبعة جامعة فؤاد الأول، (القاهرة - ١٩٥١).

سليمان، أحمد عبد الكريم:

تيمور لنك ودولة المماليك الجراكسة، دار النهضة العربية، (القاهرة . ١٩٨٦).

الشبيبي، كمال مصطفى:

الصلة بين التشيع والتصوف، دار الأندلس، ط ٣، (بيروت . ١٩٨٢).

طرخان، إبراهيم علي:

مصر في عهد دولة المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة . ١٩٦٨).

طقوش، محمد سهيل:

تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، دار النفائس، ط ٢، (بيروت . ٢٠٠٨).

تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، دار النفائس، ط ٢، (بيروت . ١٩٩٩).

عاشور، سعيد عبد الفتاح:

العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، (القاهرة . ١٩٧٦).

عبد السيد، حكيم أمين:

قيام دولة المماليك الثانية، تقديم: محمد مصطفى زيادة، الدار القومية للطباعة والنشر، (القاهرة . ١٩٦٦).

فريد بك، محمد:

تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقّي، دار النفائس، ط١٠، (بيروت . ٢٠٠٦).

متروك، عادل محمد دوينع:

الحياة العلمية في بلاد الشام في عصر المماليك الجراكسة (٧٨٤ . ٩٢٣ هـ / ١٣٨٢ . ١٥١٧ م)، وزارة الثقافة، (عمّان . ٢٠١١).

د. المراجع الفارسية:

صفا، ذبيح الله:

تاريخ ادبيات در ايران، انتشارات فردوسي، ط٣، (تهران ١٣٦٤ ش.).

د كلاويخو، روي كونسالس:

سفرنامه كلاويخو، ترجمه: مسعود رجب نيا، شركت انتشارات علمي وفرهنگي، ط٤، (تهران . ١٣٨٤ ش.).

مير جعفري، حسين:

تاريخ تحولات سياسي اجتماعي اقتصادي وفهنگي ايران در دوره تيموريان وترکمانان، سازمان مطالعه وتدوين كتب علوم

انساني دانشگاهها (سمت) ودانشگاه اصفهان، (تهران واصفهان . ١٣٧٩ ش)

اني: م. ن.، ج ٥، ص ٦٤.

الارتجال الاستراتيجي ودوره في تحقيق التميز التنظيمي

أ.م.د. هاشم فوزي العبادي

أ.م.د. عبد الامير عبد كاظم زوين

الباحث علي زيدان فنجان

كلية الادارة والاقتصاد/ جامعة الكوفة

المقدمة:

أولاً: الغرض: يهدف البحث الى تحليل طبيعة العلاقة بين الارتجال الاستراتيجي والتميز التنظيمي في جامعة الكوفة.

ثانياً: التصميم/ المنهجية: تم الاعتماد على العينة العشوائية وقد تم توزيع (٣٨) استبانة على موظفي جامعة الكوفة وبالتحديد كليات (التربية للبنات، التربية الاساسية، التربية المختلطة)، وكانت عدد الاستبانات المسترجعة هي (٣٥) اما الاستبانات الصالحة للتحليل الاحصائي فقد كانت (٣٣) استبانة وكان معدل الاستجابة (٨٢%) وقد استخدم الباحثون برامج (Smart PLS ، SPSS v23)

ثالثاً: النتائج النظرية: هنالك فجوة معرفية لتفسير طبيعة العلاقة بين متغيرات الارتجال الاستراتيجي والتميز التنظيمي في المؤسسات بشكل عام وفي قطاع التعليم بشكل خاص.

رابعاً: أهمية الدراسة: هنالك ندرة نسبية في تحديد العلاقة بين متغيرات الدراسة (الارتجال الاستراتيجي، التميز التنظيمي) حيث جاءت هذه العلاقة لمعالجة مشاكل واقعية تؤثر بشكل عام على قطاع التعليم.

المبحث الاول / الجانب النظري:

اولاً : مفهوم الارتجال الاستراتيجي:

يُعد الارتجال الاستراتيجي هو أحد المفاهيم الجديدة التي تعزز الميزة التنافسية للمؤسسات التي تكافح من أجل البقاء في بيئة اليوم المضطربة لأنها تتيح المرونة والقدرة على التكيف مع البيئة الديناميكية

المضطربة (Ibrahim & Bakar,2016:745)، وقد تم الاعتراف بشكل متزايد بالارتجال الاستراتيجي (SI) كاستراتيجية مهمة لتحقيق واستدامة الميزة التنافسية لمعظم المنظمات. ويتفق الباحثون مع رأي (Pavlou & El Sawy,2010) حيث ان الارتجال في جوهره يخضع للتخطيط وهو يؤدي عملاً هاماً في معالجة أي ظرف غير متوقع يحدث نتيجة للتغير السريع في البيئة. كما يحدث الارتجال الاستراتيجي عندما يكون الوقت والموارد محدودة (Kamoche & Cunha,2003). ويمكن تصور الارتجال الاستراتيجي كقدرات ديناميكية، إذ عادة ما يتم تعريفها بأنها "قدرة المنظمة على (دمج، بناء، وإعادة تكوين الموارد والقدرات) الداخلية والخارجية لمعالجة البيئات المتغيرة بسرعة" (Teece et al.,1997:517). فالقدرات الديناميكية هي إجراءات تهدف إلى تغيير الموارد التنظيمية والقدرات لتطوير قدرات جديدة للقادة تدعم بشكل أفضل الاستراتيجيات المتغيرة في البيئات الديناميكية (Eisenhardt & Martin,2000:4). ولكونه قدرة القادة على استخدام قدرات منظماتهم على نحو سريع ومبدع في اغتنام الفرص يمكن كذلك عد الارتجال الاستراتيجي قدرة ديناميكية. وفي دراسة (Ibrahim & Bakar,2016:745) تم تعريف الارتجال الاستراتيجي على أنه (قدرة القادة على الاستجابة للظروف غير المتوقعة بذكاء وفعالية من أجل حل مشكلة أو استثمار فرصة معينة). فمن حيث الجوهر، فإن الارتجال الاستراتيجي هو العمليات التي تم التخطيط لها ويتم عرض العمل استراتيجياً عند ظهور السلوك. في حين اشار (Levallet & Chan,2015:1) إلى الارتجال الاستراتيجي بأنه (قدرة قادة المنظمة على دمج الموارد والقدرات الداخلية والخارجية بشكل عفوي وإبداعي، من أجل استغلال الفرص ومواجهة التهديدات الاستراتيجية التي لا يمكن التنبؤ بها وذات التغير السريع).

وكذلك تم تعريف الارتجال الاستراتيجي على أنه (عملية تكرارية لتحويل الأفكار من خلال دمج السياق الاجتماعي والتقني للمنظمة لمواصلة التجارب والتعامل مع الأخطاء عن طريق التعلم) (Teoh & Wickramasinghe, 2011:1).

رابعاً- أهداف الارتجال الاستراتيجي:

الارتجال الاستراتيجي ليس مخصصاً وبدون أهداف، فهناك اتجاه واضح في الدوافع المختارة والفرص التي يتم استخدامها. إذ يحدث الارتجال الاستراتيجي عندما يتم الجمع بين هذه الأجزاء الثلاثة التي وضحتها كل من (Falkheimer & Sandberg, 2018:10)

كما يهدف الارتجال الاستراتيجي إلى تحقيق مجموعة من الأهداف أهمها الآتي:

١) يمكن الارتجال الاستراتيجي المنظمة من التكيف مع المرونة ويوفر لها قدرات للتكيف مع المتطلبات البيئية المتغيرة بسرعة وبدون عناء (Mahmood & Bakar 2016:2536). لأنه يحدث في ظروف معينة تتطلب التعلم السريع والتكيف مع البيئة يوفر قيمة للمنظمة.

٢) يؤدي الارتجال الاستراتيجي إلى زيادة الأداء، ومع ذلك لا تزال هناك ندرة في الدراسات التي تدرس العلاقة المباشرة بين الارتجال الاستراتيجي وأداء المنظمة ككل (Bakar et al., 2015:484).

٣) يعمل الارتجال الاستراتيجي على إيجاد حلول مبدعة للمشكلات المستندة إلى الوقت المناسب (McKnight & Bontis, 2002).

٤) يساعد الارتجال الاستراتيجي المديرين على تحديد مجموعة ممتازة من قدرات تكنولوجيا المعلومات والذاكرة التنظيمية للتركيز على التطوير من أجل اغتنام الفرص أو تجنب المشاكل (Levallet & Chan, 2015:3).

٥) يولد الارتجال الاستراتيجي قيمة للشركة من حيث الإدارة المتابعة للتغيير والتعديل لاعتماد أفضل الممارسات، فضلاً عن إضافة المرونة والابتكار (Arshad et al., 2015:2).

سادساً- الارتجال الاستراتيجي والتخطيط الاستراتيجي:

منذ مدة طويلة كان التخطيط الاستراتيجي يعدُّ أفضل طريقة لضمان الميزة التنافسية من قادة المنظمات في أواخر الستينات (Mintzberg,1994). ومع ذلك فإن المنظمات التي تكافح من أجل البقاء والتي تحتاج إلى التكيف مع بيئة اليوم السريعة التغير تتحول إلى ارتجال. وعدت (Ciborra 1999 : 78) الارتجال بوصفه عملية التغلب على الظروف المضطربة التي تواجه المنظمات باستخدام المعلومات والهيكل المتاح لها. كما تم تحديد الارتجال لكونه التقارب المدروس والموضوعي لعملية التصميم والتنفيذ (Ibrahim et al.,2018:1).

الارتجال الاستراتيجي يمكن أن يكون بديلاً أو مكماً للتخطيط الاستراتيجي التقليدي. فالتخطيط الاستراتيجي مناسب في الظروف التي تسمح بالتصميم الدقيق للاستراتيجية قبل تنفيذها. ومن ناحية أخرى، فإن الارتجال الاستراتيجي ينطبق على الظروف عندما يكون هناك وقت قليل لتصميم الاستراتيجية وتنفيذها. ولا يعدُّ الارتجال الاستراتيجي فحسب مكماً مفيداً للتخطيط الاستراتيجي في بيئة اليوم المضطربة، بل إن استخدامه يوفر أيضاً فوائد ملموسة من حيث زيادة الأداء التنظيمي (Levallet & Chan,2015:3). إذ يمكن للمؤسسات التي طور فيها كبار المديرين تطوير القدرة على الارتجال الاستراتيجي أن تتوقع وجود مرونة محسنة.

إنَّ مفهوم الارتجال الاستراتيجي هو مجال دراسي ناشئ في علوم الإدارة يتعامل مع توفير حلول حول كيفية تكيف المنظمات مع ديناميكية بيئة اليوم (Hadida & Tarvainen,2104). إلى جانب ذلك تم تحديد الالتزام الجيد بالتخطيط الاستراتيجي على أنه عائق أمام الإبداع والتطور وتطوير خطة مناسبة للمنظمة (Dickson& Slotegraaf,2004).

وفي ضوء ذلك، لا يمكن المبالغة في معدل التسارع الذي تحدث فيه التغيرات في البيئة مما يجعل من الصعب على المنظمات أن يكون لديها الوقت الكافي للتخطيط. بما أن مثل هؤلاء الموظفين يضطرون

في كثير من الأحيان إلى التصرف قبل أن يتمكنوا من تحليل جميع الخيارات المتاحة بشكل كامل (Ibrahim et al.,2018:5). وبالتالي، فإن القادة يرتجلون عندما يواجهون مواقف معقدة وديناميكية لا يمكن إدارتها باستخدام الإجراءات المتاحة. وإن قدرة القادة على الارتجال لن تحل المشكلة فحسب، بل ستمنحهم أيضاً القدرة على الاستفادة من الفرص التي من شأنها تحريك المنظمات إلى الأمام كنتيجة لقراراتها المبتكرة الجديدة ولتوضيح اوجه الاختلاف بين الارتجال الاستراتيجي والتخطيط الاستراتيجي لخص الباحثون جدولاً بذلك.

الجدول (١) مقارنة بين الارتجال الاستراتيجي والتخطيط الاستراتيجي

ت	الارتجال الاستراتيجي	التخطيط الاستراتيجي
١	يوفر حلول مثلى كيف يمكن للمؤسسات ان تتكيف مع البيئة الديناميكية المضطربة (Bakar et al.,2015)	يحدد مسار العملية ويضع خطط واليات لإدارة المنظمة بشكل مهيك (Baker & Nelson,2005)
٢	يُنظر إلى الارتجال الاستراتيجي كنموذج جديد للتعلم السريع والتكيف والتجديد الاستراتيجي (Fisher & Amabile,2009).	الالتزام بالتخطيط الاستراتيجي وهذا يُعد عائق أمام الإبداع والتطور وتطوير خطة مناسبة للمؤسسة (Slotegraaf,2004 & Dickson).
٣	الارتجال أمر حاسم في بيئة تنافسية مضطربة (Vera & Crossan,2007)	يحدث التخطيط فقط في "بيئات مستقرة (غير مضطربة) (Pavlou & El Sawy,2010)
٤	يتم التخطيط للأنشطة وتنفيذها في نفس الوقت (انياً) للاستجابة لتعقيد وديناميكية	يعد مناسب في الظروف التي تسمح بالوقت الكافي بالتصميم الدقيق للاستراتيجية قبل تنفيذها

او اضطرابات) & Moorman (Levallet & Chan,2015).	او اضطرابات) & Moorman (Miner,1998).

سابعاً : أبعاد الارتجال الاستراتيجي :

١- اليقظة الاستراتيجية

تعد اليقظة الاستراتيجية عملية استراتيجية تقوم بتزويد المنظمات بالمعلومات التي تساعد في مواجهة المشاكل التي تتعرض لها المنظمة ووضع الحلول المثلى لها من خلال اتخاذ القرارات الاستراتيجية الهادفة بالاعتماد على اسس ومقاييس علمية، حيث تشير اليقظة الاستراتيجية إلى البحث والتمحيص بالمعلومات عن طريق المراقبة للبيئة الخارجية ومعرفة المنافسين. (Reix & Rowe,2016:1) كما عرفت اليقظة الاستراتيجية بأنها (نشاط المنظمة لجمع وتحليل البيانات المتعلقة ببيئتها الخارجية من أجل توفير المعلومات اللازمة لتمكين المنظمة من استغلال الفرص وتجنب التهديدات للحفاظ على البقاء والنمو) (Fadhiela Dawood & Ali Abbas:3,4).

٢- خفة الحركة الاستراتيجية:

تشير خفة الحركة الاستراتيجية على نطاق واسع إلى قدرة المنظمة على التكيف باستمرار مع البيئات المتغيرة وغير المؤكدة، حيث تكون الميزة التنافسية في كثير من الأحيان مؤقتة وتتطلب خطوات استراتيجية متكررة وتتميز خفة الحركة بأهمية خاصة في البيئات التي تتميز بكثافة تنافسية عالية. وهكذا ، من منظور القدرة الديناميكية ، يمكن فهم خفة الحركة على أنها القدرة الرئيسة للشركة في البيئات الديناميكية. المنظمات قادرة على خلق محافظ ديناميكية من المنتجات والخدمات أو نماذج الأعمال التجارية من أجل المنافسة. كما تعمل المنظمات التي تتميز بخفة الحركة الاستراتيجية على دمج المعرفة من جميع أنحاء العالم في دعم الابتكار المستمر، والذي يربط المرونة مع وجهة النظر القائمة على

المعرفة، حيث تتطلب خفة الحركة القدرة على اتخاذ قرارات سريعة من خلال التفكير في أكبر عدد ممكن من البدائل (Junni & Weber, 2015:3).

وتعد خفة الحركة الاستراتيجية بنية معقدة ومتنوعة يمكن أن تتخذ أشكالاً متعددة ولكنها تستوعب قدرة المنظمة على تطوير قدرات مرنة وديناميكية وتطبيقها بسرعة. تشترك هذه السمات التنظيمية في جذور مشتركة ويتم بناؤها من موارد ومهارات وكفاءات مكملية. وتمكّن القدرات الاستراتيجية والمرونة معاً المنظمات من الاستعداد لظروف متغيرة ، واستعادة حيويتها بعد الصدمات الصادمة، وتصبح أكثر كفاءة نتيجة للتجربة. تساعد القدرة المرنة المنظمات على التنقل بين الأشكال المختلفة للخفة الاستراتيجية والاستجابة بفعالية للظروف المتغيرة. (Lengnick–Hall & Beck, 2009:3)

كما عرفت خفة الحركة الاستراتيجية بأنها قدرة المنظمة على تجديد نفسها والبقاء مرنة دون التضحية بالكفاءة ((Junni & Weber, 2015:4).

ويبين كل من (Stacey & Mohn, 2018:4) أن خفة الحركة الاستراتيجية هي (ممارسة التكيف المستمر وتكييف التوجه الاستراتيجي في الأعمال الرئيسية في تدفق الاستراتيجية التجريبية بمرور الوقت، كطلب للطموحات الاستراتيجية والظروف المتغيرة).

٣- الهيكلية الصغرى:

المنظمات التي تمتلك هيكلية صغرى هي ذات التنظيم البسيط التي تمكنت من الوصول إلى حالة متناقضة حيث تتعايش الحرية الواسعة والسيطرة القوية. في هذه الحالة ، تُفهم السيطرة والحرية على أنها مفاهيم مختلفة بدلاً من القطبين في سلسلة متصلة واحدة. وبالتالي ، يمكن للمؤسسة تسجيل درجات عالية في كليهما. هذا المزيج من الحرية مع قصد تنظيمية واضحة للإستراتيجية والتصميم والعملية التي تسمح بالارتجال الاستراتيجي. (Pina & Vieira ,2006:842)

توفر القواعد البسيطة مساحة للاكتشاف وتحفيز الأساليب الارتجالية اللازمة للتعامل مع عدم القدرة على التنبؤ بالأسواق الديناميكية للغاية. (Pina & Vieira, 2006:840) وقد أشار كل من (Cunha & Kamoche, 2012:269) إلى الهياكل الصغرى (بأنها توفر التوازن المناسب بين القواعد والحرية التي تدعم الارتجال الاستراتيجي وتسهل تقارب الإجراءات المرتجلة مع القصد الاستراتيجي للمؤسسة)، وكذلك توجيه العمل على استراتيجية طارئة، أظهر الباحثون كيف أن التغييرات الرئيسية ليست مخططة بل تتطور من تغييرات طفيفة حيث يصارع المديرون مع مشاكل غير متوقعة ويتكيفون مع التكنولوجيا الجديدة.

٤- بناء الحل:

ويعني بناء الحل تحيزاً نحو العمل الذي يحتوي على نشر وتكامل الموارد بطرق جديدة بدلاً من التوافق مع المعايير والممارسات القياسية التي كانت مخصصة في الأصل لهذه الموارد وبالتالي على النقيض من المنظور التقليدي المخطط له حيث يتم الحصول على الموارد واستخدامها وفقاً لمخطط (Baker, ٢٠٠٧:٨)، فإن بناء الحل غير مخطط له وغالباً ما تقدم نتائجه درجة الصدفة في قدرتها على توليد النمو. ويوفر بناء الحل أساساً نظرياً للطرق التي يمكن بها توظيف الاستعدادات للموارد التي تمتلكها المنظمة في وقت معين في تشكيل استراتيجيات التوسع المستقبلية. (Tasavori & Pruthi, 2018:2) ويتم تطبيق بناء الحل على السياق الإداري للمؤسسة والشرط الواجب اتخاذه مع المواد التي يتم تقديمها، وكثيراً ما يتطلب الارتجال الاستراتيجي في نطاق المنظمة إجراءات سريعة لتلبية المتطلبات غير المتوقعة، فمن المنطقي أنه في مثل هذه الحالات، هناك فرصة ضئيلة لتعبئة موارد إضافية. (Duymedjian & Rüling, 2010:4) كما يمكن لبناء الحل بالطبع أن يحدث في سياقات غير ارتجالية، وليس كل الارتجال سيشمل بناء الحل. ومع ذلك، هناك دليل على أن الارتجال الناجح غالباً

ما يكون أكثر فعالية إذا كان المرتجل (مدير أو عضو فريق في سياق المنظمة) هو بناء الحل الفعال (Leybourne, 2009:3).

ثانياً- التميز التنظيمي

مفهوم التميز التنظيمي:

التميز يعني الكمال. المعنى الحرفي للتميز هو "الجودة العليا". لكن مصطلح "الجودة" له معاني مختلفة في الأدب الإداري وقد تم تعريفه بشكل مختلف على أنه التميز ، القيمة ، ملاءمة الاستخدام ، مطابقة للمواصفات ، مطابقة للشرط ، تجنب الخسارة، تجنب العيوب ، تلبية أو تجاوز توقعات العملاء ، وما إلى ذلك ، والتي تُظهر جوانب مختلفة من الجودة أو التميز. تعتبر الجودة حجر الأساس للتميز من قبل بعض العلماء. في حين اعتبر خبراء بارزون آخرون أن هناك حاجة ماسة لمنظمة الأعمال. (Parasuraman et al. ,1985 ؛ Gronroos ,1983)

نشأ مفهوم التميز التنظيمي كموضوع للبحث الأكاديمي والنقاش مع (Peters & Waterman 1982) خلال العشرين عامًا الماضية ، خضع كل من تحديد واستمرارية تقييمات التميز إلى تغييرات متكررة. (Antony & Bhattacharyya, 2010:2)

ومع ذلك، مع تقدم الأبحاث التنظيمية، تطورت نظريات ونماذج الإدارة المختلفة وتمارس لتحقيق التميز. ولكن توجد نماذج إدارة مناسبة في بيئة معينة فقط. وقد أدى ذلك إلى تطوير نموذج إدارة آخر للتغلب على أوجه القصور في النماذج السابقة. لذلك هناك عدد من نماذج الأعمال المتاحة في الأدب لتقييم التميز التنظيمي. (Agarwal & Vrat, 2016:4)

يمكن تعريف التميز التنظيمي بأنه الاتجاه التنظيمي الشامل في محاولته لاستغلال جميع الفرص الحرجة باستخدام التخطيط الاستراتيجي الفعال الذي يعتمد على رؤية تنظيمية مشتركة تدعمها وضوح الأهداف وكفاية الموارد المتاحة (Burkhart,1993). المنظمات الممتازة في بحث مستمر عن النصر والتميز

باستخدام أفضل الممارسات العالمية. إنهم مرتبطون بدعم العملاء وتفاعلهم ودعم علاقاتهم (Gilgeous & Gilgeous,1999).

ترى المؤسسة الأوروبية لإدارة الجودة المنظمات المتميزة على أنها أي منظمة تحقق وتحافظ على مستويات عالية من الأداء تلي أو تتجاوز توقعات أصحاب المصلحة فيها. وفقاً لذلك، ستهتم المؤسسة المتميزة بجميع الجوانب التنظيمية من أجل مساعدة المديرين على الوصول إلى وضع أفضل مقارنة بخصومها (Meyer & Herscovitch,2001). يُنظر إلى المنظمات التي تسعى إلى التميز على أنها تلك المنظمات التي تركز اهتماماتها ومعتقداتها حول مفهوم التطور وتهدف إلى القيام بذلك عن طريق تحديد المستوى الحالي للتنمية وتحديد الفجوة بين هذا المستوى والمستوى المطلوب. بعد ذلك، يسعون إلى التخلص من جميع الصعوبات التقنية وغيرها من الصعوبات التي تؤخر تنفيذ هذا التطور.

الاهمية :

تسببت العولمة في ضغوط هائلة على المنافسة والبقاء على المنظمات في البلدان النامية. من أجل أن تظل قادرة على المنافسة ، تحتاج المنظمات في هذه البلدان إلى إعادة تصميم نفسها نحو التميز باستخدام أدوات الإبداع والابتكار. (Antony & Bhattacharyya, 2010:2)

يعتبر التميز التنظيمي أحد أهم مفاهيم الإدارة فضلاً عن كونه هدفاً رئيسياً لمؤسسات الأعمال اليوم. يساعد المؤسسات على تحقيق ميزة تنافسية استراتيجية من خلال تقديم أنواع متفوقة من الخدمات للآخرين يحدد التميز قدرة المؤسسات على تحقيق الجودة والأداء الفائقين بالمقارنة مع المنافسين. -AI (Adaileh,2017:4)

تقييم التميز التنظيمي:

وفقاً لـ (Hillman,1994)، فإن تقييم التميز هو عملية تقييم المؤسسة مقابل نموذج للتحسين المستمر من أجل إبراز ما تم تحقيقه وما يحتاج إلى تحسين. تعتبر المؤسسة الأوروبية لإدارة الجودة (إرشادات

1999, EFQM) بمثابة التميز "كممارسة متميزة في إدارة المؤسسة وتحقيق النتائج - كل ذلك يعتمد على مجموعة من تسعة مفاهيم أساسية، وهي: التوجه، والنتائج، وتركيز العملاء، والقيادة، وثبات الهدف، اما الإدارة من خلال العملية والحقائق، وتنمية الأفراد ومشاركتهم، والتعلم المستمر، والابتكار والتحسين، وتطوير الشراكة والمسؤولية العامة. "

في نماذج التميز مثل EFQM، يتم استخدام طريقة المتوسط المرجح لحساب التميز في الأداء. ومع ذلك، تشير الأدبيات إلى أن هذه التدابير مرتبطة ببعضها البعض بطريقة معقدة في المنظمات، ونادراً ما تسمح بحساب التميز التنظيمي على أساس متوسط التدابير وحدها. (Antony & Bhattacharyya, 2010:2)

ويعد التميز المؤسسي هو مصطلح له تاريخ طويل في الأدب. تشير الأدبيات إلى أن التميز التنظيمي يحقق في نجاح المؤسسات على المدى الطويل. تعتبر جائزة مالكولم بالدريدج الوطنية للجودة (MBNQA) مثالاً على نماذج التميز المؤسسي.

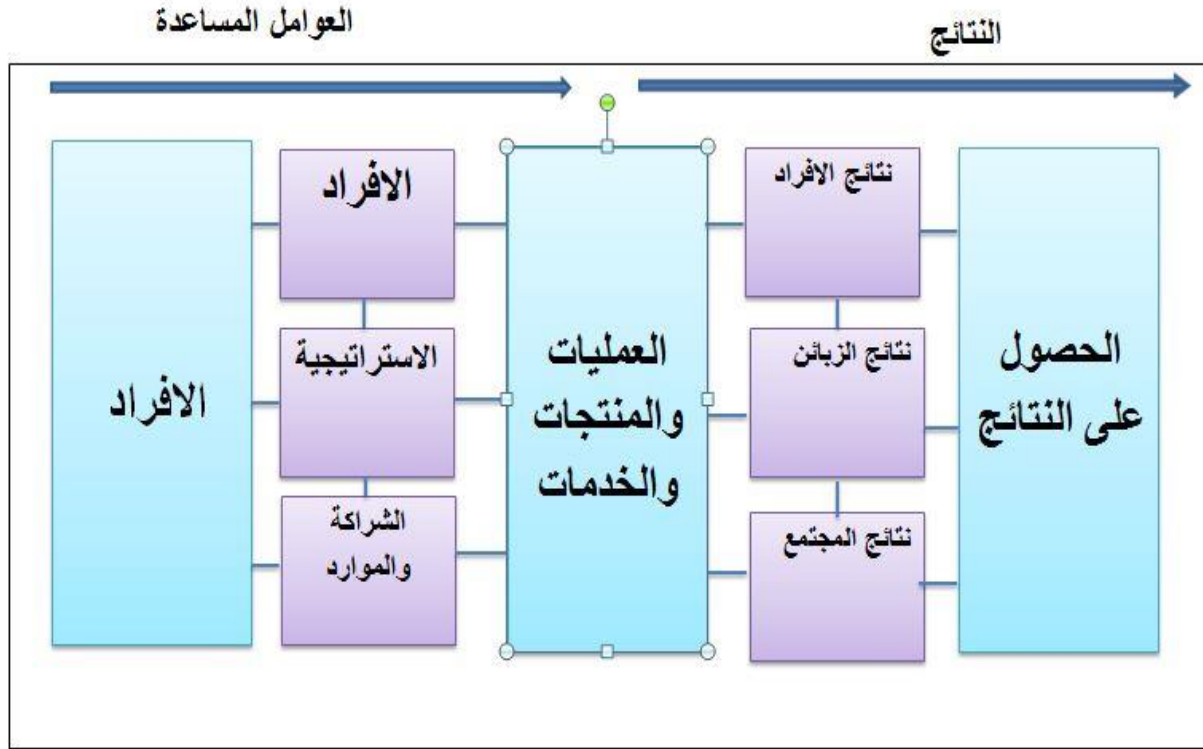
تعد MBNQA هي جائزة سنوية تمنح من قبل المعهد الوطني للمعايير والتكنولوجيا (NIST) للمؤسسات التي تعتبر تحقيقاً متميزاً في الأداء. وفقاً لـ (NIST, 2011)، يشير مصطلح "التميز في الأداء" إلى نهج متكامل لإدارة الأداء التنظيمي ينتج عنه الاتي :

(١) تقديم قيمة دائمة التحسين للعملاء وأصحاب المصلحة، مما يساهم في الاستدامة التنظيمية ، (٢) التحسين الفعالية والقدرات التنظيمية الشاملة.

(٣) التعلم التنظيمي والشخصي.

وضعت NIST مجموعة من المعايير التي يجب تلبيتها حتى تكون المؤسسة مؤهلة للفوز بالجائزة. توفر هذه المعايير إطار عمل وأداة تقييم لتحديد القدرات والفرص التنظيمية لمزيد من التحسينات. صنفت

NIST متطلبات معايير التميز في الأداء في سبعة مجالات، هي القيادة، والتخطيط الاستراتيجي، وتركيز العملاء، وإدارة القياس والمعرفة، وتركيز القوى العاملة، وتركيز العمليات، والنتائج. تقدم العديد من أنظمة الجودة والجوائز الوطنية للجودة قائمة مماثلة من المعايير. يوفر عمل Hui & (Chuan,2002) ملخصًا موجزًا لمتطلبات تسعة نماذج مختلفة من التميز المؤسسي. نموذج آخر يهتم بتميز الأداء هو المؤسسة الأوروبية لنموذج التميز في إدارة الجودة (EFQM EM)، والذي كان أنشئت بين عامي ١٩٨٩ و ١٩٩١ لمعالجة الاحتياجات المختلفة لمختلف النماذج لإدارة الجودة الشاملة (TQM). وفقًا ل (Hillman 1994)، "يوفر EFQM إطار عمل مجرب ومختبر، وأساس مقبول للتقييم ووسيلة لتسهيل المقارنات داخليا وخارجيا." يصور الشكل (٢) مكونات مختلفة من نموذج EFQM.



الشكل رقم (١) نموذج (EFQM)

كما هو موضح في الشكل السابق، تتمثل العناصر الرئيسية لنموذج التميز في EFQM في القيادة والسياسة والاستراتيجية والأفراد والشراكة والموارد والعملية. لا تأخذ EFQM العمليات والممارسات المناسبة لإدارة العمليات في الاعتبار فحسب، بل أيضًا حسابات القدرات والموارد التنظيمية الأخرى التي تعتبر ضرورية للنجاح التنظيمي.

يمثل الجدول (٢) ملخصاً لمعايير التقييم المحددة في نموذج EFQM. يتم استخراج قائمة المعايير في هذا الجدول من مجموعة مختارة من الدراسات التي قارنت معايير التقييم لنماذج التميز المختلفة. ومن الأمثلة على ذلك أعمال (Conti, 2004)، Russell (2000), and Karapetrovic and Willborn (2002), and Hui and Chuan (2001). في هذا الجدول ، يمثل "K" ما إذا كان كل معيار من بين معايير التقييم الرئيسية لنموذج (EFQM) ، و "C" يمثل ما إذا كان كل معيار مشمول بنموذج EFQM في أي مستوى من مستويات التقييم (وليس بالضرورة كمعيار رئيسي).
جدول رقم (٢) معايير التقييم لنموذج (EFQM)

EFQM	المعايير
K	القيادة
K	السياسة ، الاستراتيجية والتخطيط
C	العملاء ورضا العملاء والتركيز على السوق
C	البيانات والمعلومات والمعرفة والتعلم
K	إدارة العمليات ، نظام الجودة
K	الافراد / تنمية الموارد البشرية
C	الابتكار
K	الشراكة
K	الموارد
C	الأداء التنظيمي / الأعمال
–	الإدارة البيئية

C

التأثير على المجتمع

، يغطي نموذج EFQM معظم المعايير التي تغطيها العديد من نماذج التميز، ويأخذها في الاعتبار إما كعامل تقييم رئيسي أو كجزء من عوامل التقييم الرئيسية. إن اكتمال طريقة EFQM ونهجها الشامل في المحاسبة عن الخصائص التنظيمية الأساسية يجعل نموذج EFQM نموذجًا مناسبًا لدراسات التميز المؤسسي.

فهم النموذج الحيوي المستوحى من التميز المؤسسي:

وفقًا لـ (Witzel, 2002)، في جسم الإنسان ، "قام المصمم الكبير بترتيب الأجزاء والعلاقة بينهما بحيث يتم من خلال التنسيق الصحيح بين الوظائف والأجزاء السيطرة على الجسم ككل، أو التحكم في أجزاء معينة من الجسم أداء نفس الوظائف الرئيسية. لقد عمل الباحثون والعلماء على إيجاد أوجه تشابه بين منظومة جسم الإنسان والشركات أو المنظمات. لقد صور (Szego, 2001) مكان العمل كجسم الإنسان والموظفين كخلايا الخاصة به لشرح تأثير الموظفين على الأداء الفعال للمنظمة.

وفقًا لما قاله (Wang, 2006)، فإن الكبد والطحال والرئتين في الإنسان يؤديان عمليات البحث والتطوير والعمليات والمحاسبة الخاصة بالمؤسسة، على التوالي. كما انها الأجهزة الرئيسية المسؤولة عن التكيف مع البيئة المتقلبة. تشبيهه يقترح استراتيجية ضد التغييرات الخارجية. طور (Sampad, 2008) نموذجًا يمكن أن يفسر كل جانب من جوانب الأعمال الحديثة مثل التسويق والمبيعات والتصميم والوسائط الاجتماعية المستوحاة من جسم الإنسان حيث يعمل كل جزء جنباً إلى جنب لتحقيق الاتساق في التنمية والبقاء على قيد الحياة. (Agarwal & Vrat, 2016:4)

الابعاد:

١- التميز الاداري

يتمثل التميز في الاداري في تحسين الطريقة التي تخلق بها المؤسسة وتقدم قيمة لعملائها من خلال جهود التطوير المستمر والاستغلال الفعال للتكنولوجيا المتاحة والاستخدام الفعال لمواردها والتكيف المستمر مع القوى البيئية الخارجية. (Almajali, Md Dahalin, 2011:2)

٢- تميز الموظفين

مستوى المهارات والمعرفة التي يمتلكها الموظفون وقدرتهم على المشاركة بفعالية في عمليات التي تساعد على تحقيق التميز التنظيمي. كما أنه يمثل مستوى الولاء والالتزام. (Bhatnagar, 2007)

٣- التميز في الهيكل التنظيمي

قدرة المؤسسة على فرض التدفق السلس للمعلومات والمواد والعمليات التجارية بطريقة يمكن أن تسهل الأداء التنظيمي وتعزز القدرة على التكيف التنظيمية وتحقيق الأهداف التنظيمية. (Al-Adaileh, 2017:3)

٤- التميز الاستراتيجي

توفر الاستراتيجية الداعمة التي يمكن أن تشجع الانفتاح على التغيير، وتبادل المعلومات، والابتكار، والعمل الجماعي، والتميز فيما يتعلق بالعمليات التجارية وكذلك بيئتها الخارجية. Bhatnagar, (٢٠٠٧:٣)

المبحث الثاني / منهجية الدراسة:

أولاً: مشكلة الدراسة:

تواجه الجامعات منافسة شديدة فيما يتعلق بجودة التعليم بسبب تطوير وسائل التعليم. في هذا السيناريو، يتعين على الجامعات أن تسعى جاهدة لتحقيق التميز التنظيمي، وهذا يعتمد بشدة على مهارات الموظفين (organisational excellence, and this heavily depends on employees ' skills)

الأخيرة، كانت هناك حاجة لدراسة الارتجال الاستراتيجي وتوضيح ما اثر الارتجال الاستراتيجي على التميز التنظيمي. (Qawasmeh, & Qawasmeh, 2013:2)

وفي ضوء ما ذكر فقد تم تحديد مشكلة الدراسة من خلال اثارة التساؤلات الاتية :

- (١) ما هو دور الارتجال الاستراتيجي في تعزيز التميز التنظيمي؟
 - (٢) ما مدى إدراك العينة لأهمية وجود الارتجال الاستراتيجي في الجامعات؟
 - (٣) هل لدى ادارة الجامعة عينة البحث استراتيجيات لتحقيق التميز التنظيمي من خلال الارتجال الاستراتيجي؟
 - (٤) ما طبيعة العلاقة بين الارتجال الاستراتيجي والتميز التنظيمي؟
 - (٥) هل تتبنى ادارة الجامعة المبحوث الارتجال الاستراتيجي في قراراتها الادارية لمعالج الاضطرابات غير المتوقعة ؟
 - (٦) كيف يمكن للارتجال الاستراتيجي من معالجة الاضطرابات الخيارات الانية المناسبة ؟
- ثانياً: اهمية الدراسة :
- يمكن تلخيص أهمية الدراسة بالاتي:
- (١) حداثة الدراسة الذي تناولت متغيرات الدراسة (الارتجال الاستراتيجي، التميز التنظيمي)، لكونهما من الموضوعات الحديثة التي ظهرت في السنوات الماضية، ولم يحظ بالاهتمام الكافي من الدارسين والباحثين. وهو ما يدعو إلى ضرورة الخوض التجريبي لدراسة العلاقة بينها.
 - (٢) ندرة الدراسات التي تناولت الارتجال الاستراتيجي وعلاقته بالتميز التنظيمي من حيث طبيعته واتجاه ومدى قوته. وهذا يعد مساهمة جديدة لإثراء الفكر الإداري.
- ثالثاً: أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية نحو تحقيق هدف أساسي، وهو تحديد الربط بين الارتجال الاستراتيجي والتميز التنظيمي للجامعة عينة البحث، وانعكاس ذلك الربط على تحقيق خدمات تعليمية ذات جودة عالية، وعليه يتفرع عن هذا الهدف مجموعة من الأهداف الفرعية التي يمكن تحديدها بالآتي:

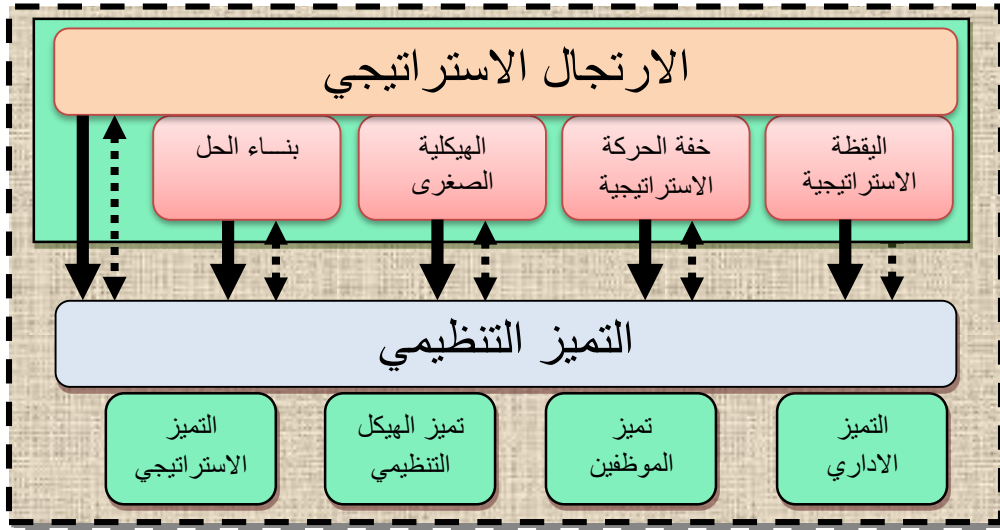
(١) تسعى الدراسة إلى توضيح المفاهيم والمضامين المتعلقة بالارتجال الاستراتيجي ومكوناته لغرض تسليط الضوء على التميز التنظيمي للجامعة عينة الدراسة من خلال تحليل وبيان الأهداف المنفذة من قبل إدارة الجامعة.

(٢) تحديد مستويات تبني الارتجال الاستراتيجي وتهيئة المناخ الذي يسهم في تعزيز التميز التنظيمي في الجامعة المبحوث.

(٣) دراسة طبيعة العلاقة المتداخلة بين متغيرات الدراسة في الجامعة المبحوث وتحليلها والاستفادة من نتائج هذه العلاقة، لغرض الاعتماد عليها والخروج باستنتاجات عملية ورفع توصيات تخدم المطار عينة الدراسة.

خامساً: مخطط الدراسة الفرضي:

جرى صياغة مخطط الدراسة الفرضي على وفق ما جاء من مسح للنتاجات الفكرية للأدبيات ذات الصلة بموضوع الارتجال الاستراتيجي ودوره في تعزيز التميز التنظيمي .



الشكل (٢) المخطط الفرضي للدراسة

الم ← علاقة ارتباط
أو علاقة تأثير

١: وصف وتشخيص بيانات متغير الارتجال الاستراتيجي

بشكل عام سجلت النتائج الوصفية ان هنالك توجه ايجابي مرتفع حول متغير الارتجال الاستراتيجي، فقد سجل اهمية نسبية بلغت (٨١,١١٪) والوسط الحسابي الموزون قراءة بلغت (٤,٢٢) وهي اكبر من الوسط الفرضي للدراسة البالغ (٣)، وانحراف معياري موزون (٠,٧٧).

ومن خلاصة التحليل الوصفي يتضح بان بعد اليقظة الاستراتيجية هو الاكثر اهمية وان البعد بناء الحل هو الاصغر اهمية، وكما موضح في الجدول رقم (٣) الذي يوضح تسلسل الاهمية للأبعاد.

جدول رقم (٣): ترتيب ابعاد الارتجال الاستراتيجي بحسب الاهمية النسبية

الترتيب الاهمية	الاهمية النسبية	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي الموزون	البعد
الاول	٨٨,٤٦%	0.833	4.42	اليقظة الاستراتيجية
الثالث	٨٦,٣٦%	0.782	4.32	خفة الحركة الاستراتيجية
الثاني	٨٧,٦٦%	0.829	4.38	الهيكيلية الصغرى
الرابع	٨٥,٣٩%	0.861	4.27	بناء الحل
	٨١,١١%	0.77	4.22	الارتجال الاستراتيجي

المصدر : نتائج الحاسوب اعتماداً على برنامج (SPSS)

كما ويمكن تقديم نظرة شاملة حول تمركز الاجابات ضمن الشكل رقم (٢) والذي يشير الى ان الاجابات متمركزة عند مستوى الاتفاق وبشكل واضح.

٢: وصف وتشخيص بيانات متغير التميز التنظيمي

بشكل عام سجلت النتائج الوصفية ان هنالك توجه ايجابي مرتفع حول متغير التميز التنظيمي، فقد سجل اهمية نسبية بلغت (٧٧٪) والوسط الحسابي الموزون قراءة بلغت (٤,٠) وهي اكبر من الوسط الفرضي للدراسة البالغ (٣)، وانحراف معياري موزون (٠,٧٠).

ومن خلاصة التحليل الوصفي يتضح بان بعد تميز الموظفين هو الاكثر اهمية وان البعد التميز الاداري هو الاصغر اهمية، وكما موضح في الجدول رقم (٤) الذي يوضح تسلسل الاهمية للأبعاد.

جدول رقم (٤): ترتيب ابعاد التميز التنظيمي بحسب الاهمية النسبية

الترتيب الاهمية	الاهمية النسبية	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي الموزون	البعد
الخامس	85.59	0.848	4.28	التميز الاداري
الرابع	86.82	0.824	4.34	تميز الموظفين
الاول	90.61	0.697	4.53	تميز الهيكل التنظيمي
الثالث	88.07	0.803	4.40	التميز الاستراتيجي
	77.00	0.70	4.0	التميز التنظيمي

المصدر : نتائج الحاسوب اعتماداً على برنامج (SPSS)

ثانياً: اختبار علاقات الارتباط بين متغيرات الدراسة

بشكل عام يمكن اختبار الفرضيات وكالاتي :

الفرضية الرئيسة الاولى(H0): لا توجد علاقة ارتباط معنوية بين الارتجال الاستراتيجي والتميز التنظيمي.

(H1): توجد علاقة ارتباط معنوية بين الارتجال الاستراتيجي والتميز التنظيمي. من متابعة نتائج الارتباط ضمن مصفوفة الارتباط في الجدول رقم (٥) يتضح وجود علاقة ارتباط بلغت قيمتها (٠,٦٥٥) وهي ذات دلالة احصائية وان الدلالة الاحصائية مقبولة بالاعتماد على القيمة المحسوبة لاحصاءة (T) والتي ظهرت قيمتها (١٤,٢٢) وهي قيمة أكبر من القيمة الجدولية المقابلة لدرجة الحرية ومستوى الدلالة. هذه النتائج تدعم رفض فرضية العدم الصفرية وقبول الفرضية البديلة التي تشير الى وجود علاقة ارتباط معنوية وإيجابية بين الارتجال الاستراتيجي والتميز التنظيمي.

جدول رقم (٥): نتائج علاقة الارتباط بين الارتجال الاستراتيجي والتميز التنظيمي

المتغيرات	قيمة (T) المحتسبة	قيمة الارتباط	قيمة (P) المحتسبة
التعاون	11.102	0.590**	0.000
التدريب والتعليم	11.110	0.581**	0.000
الموارد البشرية السياحية	7.453	0.427**	0.000
التدابير المادية	9.594	0.521**	0.000
التكهن	10.949	0.594**	0.000
التميز التنظيمي	14.22	0.655**	0.000
$P \leq 0.05$ $N = 212$ $T (0.05, 1, 210) = 1.66$			

نتائج الحاسوب اعتماداً على برنامج (SPSS)

المراجع:

- [1] Adam, I. (2015). Backpackers' Risk Perceptions And Risk Reduction Strategies In Ghana. *Tourism Management*, 49, 99–108.
- [2] Al-Saffar, Ahmed Abd Ismail (2017) " The Implications Of Strategic Intelligence And Vigilance Strategy To Make Decisions And Their Impact On The Strategy Of The Ministry Of Foreign Affairs Which Is A Requirement For Promotion, "A Thesis For The Purposes Of Promotion To The Rank Of Minister Plenipotentiary, Ministry Of Foreign Affairs, Institute Of Foreign Service.

- [3] Arshad, D., Razalli, R., Julienti, L., Ahmad, H., & Mahmood, R. (2015). Exploring The Incidence Of Strategic Improvisation: Evidence From Malaysian Government Link Corporations. *Asian Social Science*, 11(24), 105.
- [4] Avraham, E. (2015). Destination Image Repair During Crisis: Attracting Tourism During The Arab Spring Uprisings. *Tourism Management*, 47, 224–232.
- [5] Bakar, H. A., Mahmood, R., & Ismail, N. N. H. N. (2015). Fostering Small And Medium Enterprises Through Entrepreneurial Orientation And Strategic Improvisation. *Mediterranean Journal Of Social Sciences*, 6(4), 481.
- [6] Breda, Z., & Costa, C. (2006). Safety And Security Issues Affecting Inbound Tourism In The People's Republic Of China. *Tourism, Security, And Safety: From Theory To Practice*, 187–208.
- [7] Crossan, M. M., Cunha, M. P. E., Vera, D., And Cunha, J. 2005. "Time And Organizational Improvisation," *Academy Of Management Review* (30:1), Pp. 129–145.
- [8] Cunha, J.V., Cunha, M.P. And Faia-Correia, M. (2001). Scenarios For Improvisation: Long Range Planning Redeemed. *Journal Of General Management*, 27(2), 67–80.
- [9] D. Arshad, L. A. B. Julienti, H. Ahmad, And S. Hassan, "Unraveling The Link Between Environmental Factors And Organizational Improvisation," In *E-Proceeding Of The International Conference On Social Science Research*, 2015, No. June, Pp. 647–655.
- [10] Eisenhardt, K. M., And Martin, J. A. 2000. "Dynamic Capabilities: What Are They?," *Strategic Management Journal* (20:10/11), Pp. 1105–1121.

- [11] Falkheimer, J., & Sandberg, K. G. (2018). The Art Of Strategic Improvisation: A Professional Concept For Contemporary Communication Managers. *Journal Of Communication Management*, 22(2), 253–258.
- [12] Ibrahim, N. A., Mahmood, R., & Bakar, M. S. (2018). Strategic Improvisation And Heis Performance: The Moderating Role Of Organizational Culture. *Psu Research Review*.
- [13] Junni, P., Sarala, R. M., Tarba, S. Y., & Weber, Y. (2015). The Role Of Strategic Agility In Acquisitions. *British Journal Of Management*, 26(4), 596–616.
- [14] Kale, E., Aknar, A., & Başar, Ö. (2018). Absorptive Capacity And Firm Performance: The Mediating Role Of Strategic Agility. *International Journal Of Hospitality Management*.
- [15] Kordić, N., Živković, R., Stanković, J., & Gajić, J. (2015). Safety And Security As Factors Of Tourism Destination Competitiveness. In *Book Of Proceedings: Singidunum University International Scientific Conference Tourism Destination Competitiveness, Sitcon*.
- [16] Korstanje, M. E. (2015). *A Difficult World: Examining The Roots Of Capitalism*. New York, Ny: Nova.
- [17] Korstanje, M. E., & Taylor, P. (2012). *Being Lost: Tourism, Risk And Vulnerability In The*
- [18] Kovari, I., & Zimányi, K. (2011). Safety And Security In The Age Of Global Tourism (The Changing Role And Conception Of Safety And Security In Tourism). *Apstract: Applied Studies In Agribusiness And Commerce*, 5.
- [19] Levi-Strauss, Claude. 1967. *The Savage Mind*. Chicago, Il: University Of Chicago Press. Lewin, Arie Y. 1998. "Introduction—Jazz Improvisation As A Metaphor For Organization Theory." *Organization Science* 9 (5): 539–539.

- [20] Leybourne, S. A. (2009). Improvisation And Agile Project Management: A Comparative Consideration. International Journal Of Managing Projects In Business, 2(4), ٥١٩-٥٣٥.
- [21] Mcknight, B., & Bontis, N. (2002). E-Improvisation: Collaborative Groupware Technology Expands The Reach And Effectiveness Of Organizational Improvisation. Knowledge And Process Management, 9(4), 219-227.
- [22] Mcknight, B. And N. Bontis, 2000. Eirnpovisation: Collaborative Groupware Technology Expands The Reach And Effectiveness Of Organizational Improvisation. K.R1owl. Process Manage, 9: 219-227.
- [23] Mendonça, S., E Cunha, M. P., Kaivo-Oja, J., & Ruff, F. (2004). Wild Cards, Weak Signals And Organisational Improvisation. Futures, 36(2), 201-218.
- [24] Mintzberg, H. (1994). Rise And Fall Of Strategic Planning. New York: The Free Press.
- [25] Paraskevas, A. (2013). Aligning Strategy To Threat: A Baseline Anti-Terrorism Strategy For Hotels. International Journal Of Contemporary Hospitality Management, 25(1), 140-162.
- [26] Paraskevas, A. (2013). Aligning Strategy To Threat: A Baseline Anti-Terrorism Strategy For Hotels. International Journal Of Contemporary Hospitality Management, 25(1), 140-162.
- [27] Payam, M. M., & Selçuk, N. (2018). Improved Safety, Security And Surety For A Better Turkic World Tourism6. Yerelden Globale Stratejik Aras,Tirmalar lii Strategic Researches lii: From Local To Global, 49.

- [28] Tarlow, P. (2014). Tourism Security: Strategies For Effectively Managing Travel Risk And Safety. Elsevier.
- [29] Tasavori, M., Kwong, C., & Pruthi, S. (2018). Resource Bricolage And Growth Of Product And Market Scope In Social Enterprises. Entrepreneurship & Regional Development, 30(3-4), 336-361.
- [30] Teece, D. J., Pisano, G., And Shuen, A. 1997. "Dynamic Capabilities And Strategic Management," Strategic Management Journal (18:7), Pp. 509-533.
- [31] Wol, K., & Larsen, S. (2014). Can Terrorism Make Us Feel Safer? Risk Perceptions And Worries Before And After The July 22nd Attacks. Annals Of Tourism Research, 44, 200-209.

دراسة وظيفية في ديوان (في البدء كانت الأنثى) لسعاد الصباح على ضوء نظرية التواصل لرومان جاكبسون

أ.م.د. مهدي شاهرخ

جامعة مازندران، ايران. (الكاتب المسؤول)

د.م. فرحان گل مغاني زاده

جامعة تشمران أهواز، ايران

د.م. علي بابايي دمطسوج

جامعة ياسوج، ايران

المقدمة:

حاولت النظريات الوظيفية منذ تأسيسها إلى ربط اللغة بوظيفتها الأصلية التي تتمثل في التواصل بين البشر، فكان من الطبيعي أنها تتجاوز حدود اللغة؛ لأنّ اللغة هي «مؤسسة جماعية ذات قواعد تفرض نفسها على الأفراد، وتتناقل بطريقة جبرية من جيل إلى آخر» (بياجيه، ١٩٨٠: ٦٣) حيث لا يمكن للمتكلم أن يُدخل تغييراً على هذا النظام لأنه أساس من أسس الاتصال. وبما أنّ اللغة بُنيت مترابطة ومقتنة، فإنّها تمثّل صورة عن أفرادها وتعبيراً عن أفكارهم، لهذا تنظيماؤها وأشكالها متعددة ومختلفة. والوظيفة الأصلية التي وُجد الشكل الخارجي من أجلها هي تبليغ الأفكار وإيصالها عبر كل مركب تتفاعل فيه العناصر فيما بينها. إنّ التواصل اللساني هو صورة نموذجية لتحديد نُظم اللغة وبُنيتها حيث تتحد عناصر هذه اللغة ووحداتها؛ لأنّ الإنسان «يتعامل عند الكلام مع بنية اللغة تعاملاً كاملاً، ممّا يؤكد أنّ عملية تلقّي الخطاب اللغوي تركز على مبدأ الإدراك الشمولي الذي تحصل بموجبه في ذهن الانسان صورة عن الكلّ خارج نطاق صورة الأجزاء متميّزة بعضها عن بعض» (المسدي، ١٩٩٥: ١٣)، وهذا يعني أنّنا نفهم فحوى الرسالة وهي مترابطة الأجزاء، بمعنى أنّنا ندرك الكلّ قبل الجزء.

بسبب أهمية اللغة في إيجاد التواصل بين المتخاطبين، بدت في اللسانيات الحديثة تحديدات ودراسات متعدّدة للوظيفة التي تؤديها اللغة بواسطة عناصرها داخل التركيب، وهكذا الوظيفة التي تقوم بها الأصوات، وإبراز وظيفة الدليل اللغوي، والوظيفة الحاصلة من العناصر الأصلية للخطاب في التواصل المباشر بين المتكلم والمتلقي. وكانت بداية هذه البحوث والدراسات من أفكار وآراء اللغوي الشهير (دي سوسير) الذي حدّد اللغة وعزّفها بأنّها نتاج اجتماعي وأنّها نظام من العلامات (مؤمن، ٢٠٠٥: ١٣٦). فجاءت هذه الدراسات متمثلة في آراء أقطاب اللسانيات البنيوية الأوروبية من جهة والأمريكية من جهة أخرى. ومن الدراسات الوظيفية للغة عند أقطاب اللسانيات البنيوية الأوروبية نرى أسلوب مدرسة (براغ) في درس نظام اللغة الكلي بمختلف مستوياتها الصرفية والنحوية والصوتية والدلالية درساً وظيفياً محضاً، وقد اشتملت نشاطاتها دراسة الصوتيات الوظيفية الآنية والصوتيات الوظيفية التاريخية، والأسلوبية اللسانية الوظيفية، ودراسة الوظيفة الجمالية للغة ودورها في الأدب والفنون والمجتمع (حساني، ٢٠١٣: ٥٤). وفي وقت كان دي سوسير قد رأى أنّ اللغة نظام من العلامات، فإنّ مدرسة براغ تذهب أنّ اللغة نظام من الوظائف، وأنّ كلّ وظيفة نظام من العلامات (حساني، ٢٠١٣: ٥٩). فمن هذا المنطلق فالمدرسة الوظيفية ترى أنّ اللغة نظام من وسائل التعبير، والتي تخدم غرض التواصل المتبادل، فركز هؤلاء على الجانب الوظيفي للغة (حساني، ٢٠١٣: ٥٧)؛ لأنّ نظرتهم الوظيفية للغة قد نبعت من هذه الفكرة أنّ اللغة أدوات ووسيلة أكثر منها موضوعاً وهدفاً في ذاتها فانصبت جلّ اهتمامها بالجانب العلمي لها الحاصل في الكلام، كما ركزوا على منظور الاتصال الوظيفي الذي يقوم على العناصر: (المتكلم + المتلقي + نصّ الخطاب). وكلّ عنصر من هذه العناصر يقدّم وظيفة محددة (حساني، ٢٠١٣: ٥٩). «من بين اللسانيين الوظيفيين الذين أولوا اهتماماً كبيراً بعملية التواصل اللساني "رومان جاكبسون" أحد أقطاب المدرسة الوظيفية حيث يرى أنّ أيّ حدث لغوي تواصل يضمن هذه العناصر: المرسل، والمرسل إليه (أو المتلقي)، ومضمون الرسالة، وقناة الإتصال، والشفرة (الرموز) المستعملة فيها، والمجال أو السياق وهو الذي تدور في فلكه الرسالة. وكلّ عامل من هذه العوامل الستة المتصلة بكيفية التواصل

اللساني يوجد وظيفة لغوية مختلفة» (گل مغاني زاده وكريمي فرد وبستاني وأبدانان مهديزاده، ١٤٤١ق: ٥٩٤)

١- أهمية البحث وأهدافه:

تعتبر اللغة أهمّ طريق للتواصل بين أبناء البشر لنقل المعلومات وتبادل الآراء والأفكار فيما بينهم وإبراز مشاعرهم والشعر بسبب عنصر الخيال المستخدم فيه يُعدّ أداة ذات تأثير كبير في عملية انتقال الآراء والأفكار والترويج للقيم وإيقاظ وعي الشعوب ومعالجة القضايا الاجتماعية. فلذلك نظراً لأهمية رسالة الشعر وتأثيره في المجتمع، فمن الضروري أن يولي الشاعر أهمية بالغة للنصّ الشعري، لكي تتجسّد عملية التواصل والتأثير على المتلقي، وهذا ما أحس به البلاغيون العرب منذ القديم وقاموا بدرستها حيث نرى معالجتهم هذا الموضوع في قضية مطابقة الكلام لمقتضى الحال بشكل خاص قبل أن يتناولوه اللسانيون الغربيون ويدرسونه ضمن دراساتهم اللسانية بقرون. يهدف هذا البحث أن يظهر أثر نظرية التواصل لرومان جاكسون في كشف وإبراز الإبداعات التي وظّفتها الشاعرة سعاد الصباح من أجل إيصال رسالتها الشعرية ونقل أفكارها وآراءها وأحاسيسها إلى المخاطب لاسيّما في ديوانها المسمّى بـ "في البدء كانت أنثى".

٢- أسئلة البحث:

يحاول هذا البحث أن يجيب على هذه الأسئلة:

- ما هي الوظائف التواصلية الأكثر استخداماً في شعر سعاد الصباح؟
- ما هي الوظائف التواصلية التي لم تستخدم في ديوان (في البدء كانت الأنثى)؟
- هل هناك تداخل بين هذه الوظائف التواصلية الست وكيف؟
- كيف يمكن الفصل بين هذه الوظائف التواصلية؟

٣- فرضيات البحث:

– بما أنّ رسالة الشاعرة، تمتاز بطابع اجتماعي ذي نكهة نسوية، تعكس هموم المرأة في المجتمع وهواجسها والتحديات التي تواجهها، يفترض أن يكون الخطاب على الأعم الأغلب موجّهاً إلى شريحة النساء.

– لا شك أنّ الخيال والعاطفة يشكلان نبعاً ثراً للشعر، لهذا يفترض أن يأخذ الشعر منحى ذاتياً تجيش فيه المشاعر بما ينضوي تحته من آمال وآلام وهموم مكدّسة وطموح، ليترك أثراً عميقاً في المخاطب.

– يفترض أن يكون حضور الوظائف الشعرية والمرجعية وما فوق الاتصال، حضوراً شاحباً.

٤- خلفيات البحث:

هناك بعض الدراسات تناول نظرية التواصل لرومان جاكبسون في الأعمال الأدبية منها:

– مقال (قراءة في قصيدة "مدينة سندباد" لبدر شاكر السياب في ضوء نظرية رومان جاكبسون) أبو الحسن أمين مقدسي وحسين إلياسي، ٢٠١٧، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية بجامعة بابل العراقية، العدد ٣٢.

– (نظرية التواصل اللساني، المفهوم والرؤية) علي جواد الذبحاوي وبشرى محمد طه البشير، ٢٠١٨، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية بجامعة بابل العراقية، العدد ٣٨.

– مقال (دراسة شعر نظامي وفق نظرية التواصل لياكبسون) زينب نوروزي، ١٣٩١ش، مجلة دراسات اللغة الفارسية وآدابها، العدد ٢٤. (بالفارسية)

– مقال (التواصل اللساني والشعرية مقارنة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون)، نعيم عمار، ٢٠٢٠، عبر موقع www.crdp.org/mag-description?id=7400

– مقال (عوارض التركيب في بناء الجملة العربية، دراسة بلاغية وظيفية في القرآن الكريم في ضوء نظرية التواصل لرومان جاكبسون؛ فرحان گل مغاني زادة، وغلامرضا كريمي فرد، وقاسم بستانبي، ومحمود آبدانان مهديزاده؛ ١٤٤١ق، مجلة اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران برديس فارابي بقم، السنة ١٥، العدد ٤).

كما هناك بعض البحوث ركز على دراسة شعر سعاد الصباح ومن أهمها:
(الف) الكتب:

- «سعاد الصباح الشعر والشاعرة» (فاضل خلف، بيروت: ١٩٩٢) درس التجربة الشعرية في شعر سعاد الصباح
- «عزف على أوتار مشدودة، دراسة في شعر سعاد الصباح» (نبيل راغب، القاهرة: ١٩٩٣) درس قضايا المجتمع والمرأة في شعر الشاعرة.
- «قراءة مسافر في شعر سعاد الصباح» (محمد التونجي، بيروت: ١٩٩٣) درس شعر سعاد في ثلاث مستويات وطنية واجتماعية وشخصية ويرى أنّ الشاعرة لم تكن شاعرة المرأة والعواطف الأنثوية فحسب بل شاعرة عملاقة في مجال حبّ الوطن.
- «سعاد الصباح شاعرة الانتماء الحميم» (فضل الأمين، بيروت: ١٩٩٤) درس انتماءات الشاعرة للأرض وللوطن.
- «قراءة نقدية في شعر سعاد الصباح» (فرحات، بيروت: ١٩٩٤) درس ثلاثة دواوين شعرية للشاعرة حسب ثلاث مدارس أدبية هي التقليدية والرومانسية وأدب المهجر ويرى أنّ الشاعرة رومانسية في موضوع الحبّ وتقليدية في موضوع الوطن والحرية وتميل إلى أدب المهجر في رثائها لولدها الميّت.
- «لغة التماس في شعر سعاد الصباح» (محمود حيدر، بيروت: ١٩٩٥) درس اللغة الشعرية لإظهار المعنى في شعر الشاعرة
- «سعاد الصباح رحلة في أعمالها الغير كاملة» (عبداللطيف الأرنؤوط، بيروت: ١٩٩٥) يحلّل قصائد سعاد الصباح وفق مقارباتها التطبيقية التخصصية وعلاقاتها ببعضها ببعض.
- «هدم وبناء» (مها خير بك، بيروت: ٢٠٠٠) رأت أن شعرها يدور حول فكرتين: هدم التقاليد البالية حول المرأة والقومية وبناء رؤية جديدة حول هذه القضيتين.

- «قراءة في شعر سعاد الصباح» (فوزي عيسى، ٢٠٠٢)؛ درس قضايا اجتماعية مثل الوطن والمجتمع أو أبعاد رومانسية وقضايا النساء في شعر سعاد الصباح.
- «لغة الشعر العربي المعاصر» (فاطمة حسين العفيف، ٢٠١١) حيث درست مؤلفته مواضيع موضوعية وأسلوبية وبنوية في شعر نازك الملائكة وسعاد الصباح ونبيلة الخطيب.
- ب) الأطاريج والرسائل الجامعية:
 - «البناء اللغوي والفني في شعر سعاد الصباح» تيسير رجب النسور، ٢٠٠١، أطروحة ماجستير بكلية الآداب جامعة اليرموك/الأردن.
 - «البنى الأسلوبية في شعر سعاد الصباح»، محمد سامي سعيد أبوهديبة، ٢٠١٨، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك/الأردن، الأستاذ المشرف: يوسف أبو العدوس.
 - «جمالية الموت في شعر سعاد الصباح دراسة في النمط والتشكيل، ديوان "إليك يا ولدي" نموذجاً» زين العابدين أحمد محمود محمد، ٢٠٢٠، رسالة دكتوراه، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، جامعة الأزهر المصرية، العدد ٢٤، الجزء الأول.
 - «المرأة في شعر سعاد الصباح»، محسن خدادادي، ١٣٨٨ش، أطروحة ماجستير، جامعة اصفهان، الأستاذ المشرف: محمد خاقاني اصفهاني (بالفارسية).
 - «مكانة الرجل في شعر سعاد الصباح» جاسم نژادنادري، ١٣٨٩ش، أطروحة ماجستير، كلية اللغات الأجنبية بجامعة إصفهان، الأستاذ المشرف: محمد خاقاني اصفهاني؛ (بالفارسية).
 - «دراسة في أدب سعاد الصباح» مريم فرهمند، ١٣٩٠ش، أطروحة ماجستير، كلية الآداب جامعة فردوسي مشهد، الأستاذ المشرف: حسين ناظري (بالفارسية).
 - «سعاد الصباح والمرأة من وجهة نظرها» سمية أسدي ارزنه اي، ١٣٩٠ش، أطروحة ماجستير، كلية الالهيات والمعارف الإسلامية بجامعة حكيم سبزواري الإيرانية، الأستاذ المشرف: حسن مجيدي (بالفارسية).

- «صورة الشرق في الشعر العربي المعاصر، نزار قباني وعبد الوهاب البياتي وسعاد الصباح نموذجاً» علي محمدي، ١٣٩٢ش، أطروحة ماجستير، كلية الآداب جامعة كردستان الإيرانية، الأستاذة المشرفة: كبرى خسروي، (بالفارسية).
- «المضامين الاجتماعية في أشعار سعاد الصباح» حليلة فولاد، ١٣٩٣ش، أطروحة ماجستير، كلية الآداب جامعة سيستان وبلوشستان، الأستاذ المشرف: رضا رضائي، (بالفارسية).
- «دراسة المضامين الاجتماعية في أشعار سعاد الصباح وبروين اعتصامي دراسة مقارنة» فريبا غني، ١٣٩٤ش، أطروحة ماجستير، كلية الآداب جامعة كاشان الإيرانية، الأستاذ المشرف: محسن سيفي، (بالفارسية).
- «دراسة المفاهيم والقيم الإنسانية في أشعار سيمين بهبهاني وسعاد محمد الصباح» فهيمه واحدي، ١٣٩٤ش، أطروحة ماجستير، كلية أصول الدين بقم الإيرانية، الأستاذ المشرف: حسن مقياي، (بالفارسية).
- «صورة الرجل في أشعار الشاعرات العربيات المعاصرات» معصومه قهرمان پور، ١٣٩٤ش، أطروحة ماجستير، كلية الآداب جامعة الشهيد مدني بأذربيجان الإيرانية، الأستاذ المشرف: علي قهرماني، (بالفارسية).
- «دراسة قصائد سعاد الصباح وسيمين بهبهاني من منظار النقد النسوي»، فاطمة عباسي، ١٣٩٥ش، أطروحة ماجستير، كلية اللغات الأجنبية بجامعة كردستان الإيرانية، (بالفارسية).
- «مظاهر الحب في شعر سعاد الصباح»، مسلم عباسي، ١٣٩٥ش، أطروحة ماجستير، كلية الآداب جامعة رازي كرمانشاه الإيرانية، الأستاذ المشرف: علي سليمي، (بالفارسية).
- «دراسة مقارنة للمضامين الشعرية بين فروغ فرخزاد وسعاد الصباح» سليمة فراست، ١٣٩٥ش، أطروحة ماجستير، كلية الآداب بجامعة الشهيد باهنر كرمان الإيرانية، الأستاذ المشرف: عنايت الله شريف پور، (بالفارسية).

- «دراسة مقارنة للأفكار في أشعار طاهر صفارزادة وسعاد محمد الصباح»، فرحناز چراغي، ١٣٩٥ش، أطروحة ماجستير، كلية الآداب بجامعة الشهيد باهنر كرمان الإيرانية، الأستاذ المشرف: عنايت الله شريفپور، (بالفارسية).
- «معرفة تيارات الشعر النسوي المعاصر في إيران والعالم العربي، بالاعتماد على أشعار بروين اعتصامي وفروغ فرخزاد وطاهرة صفارزادة وسيمين بهبهاني ونازك الملائكة وغادة السمان وفدوى طوقان وسعاد الصباح»، لعبت بيژني فر، ١٣٩٦ش، رسالة دكتوراه، كلية الآداب جامعة الزهراء الإيرانية، الأستاذة المشرفة: مهين پناهي، (بالفارسية).
- «دراسة مقارنة للجوانب الرومانسية في أشعار سعاد الصباح وسيمين بهبهاني» سهيلا اكبري، ١٣٩٦ش، أطروحة ماجستير، كلية الآلهيات والمعارف الإسلامية بجامعة حكيم سبزواري الإيرانية، الأستاذ المشرف: حجت اله فسنقري، (بالفارسية).
- «دراسة اللغة الأنثوية في شعر سعاد الصباح وسيمين بهبهاني وفق رؤية اجتماعية اللغة» جواد رمضاني، ١٣٩٨ش، أطروحة ماجستير، كلية الآداب جامعة كاشان الإيرانية، الأستاذ المشرف: روح الله صيادي نژاد، (بالفارسية).
- ج) مقالات المجالات المحكمة والمؤتمرات:
- «الوظيفة اللغوية في تحليل النصوص ونقدها» (سمير استيتية، ١٩٩٦، مجلة البحوث بجامعة حلب، العدد ٢) حيث ركز على قصائد الشاعرة في تحليل الوظيفة اللغوية لترابط العمل الفني.
- «التناص الديني في أدب المرأة الكويتية شعر سعاد الصباح نموذجاً» ذوالقدر، ٢٠١٠، مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، جامعة تربيت مدرّس الإيرانية، العدد ١٦.
- «سعاد الصباح البدوية العاشقة، قراءة في ديوانها "والورود تعرف الغضب"» عدنان محمود عبيدات وزهير محمود عبيدات، ٢٠١٢، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٨، العدد ٣ و٤

- «الرومانسية الاجتماعية في أشعار سعاد الصباح وسيمين بهبهاني، دراسة مقارنة» حجتاله فسقري، وسهيلا اكبري؛ ٢٠١٦، بحوث في الأدب المقارن، جامعة رازي كرمانشاه الإيرانية، السنة ٦، العدد ٢٣.
- «توظيف اللون في شعر سعاد الصباح وفقاً لنظرية ماكسس لوشر» الهه تميمي وعلي بيراني شال، ٢٠١٨، آداب الكوفة، السنة ١، العدد ٣٧.
- «أسلوبية الانزياح في قصيدة فيتو على نون النسوة لسعاد الصباح» (محمد سامي أبوهديبة، ٢٠١٨، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة اليرموك بالأردن، المجلد ٢، العدد ٤) درس الانزياح أسلوبياً على هذه القصيدة للشاعرة
- «استعارة الزمن المفهومية وتصاميمها التصويرية في أشعار سعاد الصباح، "الشعر والنثر لك وحدك" أنموذجاً»، علي بيراني شال وصغرى فلاحتي وزهرة ناعمي وفاطمة خرميان، ٢٠٢٠، دراسات الأدب المعاصر، جامعة الحرة الإسلامية بجيرفت الإيرانية، السنة ١٢، العدد ٤٥.
- «الإنتماء وطبيعة التشكيل الرومانسي في شعر سعاد الصباح» ليلي عبدة شبيلي، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، مصر، المجلد الأول، العدد ٣٢.
- «فروغ فرخزاد وسعاد الصباح مثلث الحب والسياسة والكتابة الأنثوية» پورخالقي چترودي وتقي آبادي، ١٣٩٠ ش، درس الجوانب السيرالية في قصائد الشاعرتين الإيرانية والكويتية بشكل مقارن. (بالفارسية)
- «دراسة مقارنة لبعض المضامين النسوية المشتركة في أعمال الشاعرات المعاصرات الإيرانيات والعربيات، فروغ فرخزاد وسيمين بهبهاني وغادة السمان وسعاد الصباح نموذجاً» على اصغر حبيبي، ومليحة صحرانورد، وحيدة اميرحاجلو، المهرجان الوطني السادس للدراسات الأدبية، جامعة الشهيد بهشتي الإيرانية، ٦٥ شهر دي ١٣٩١ ش. (بالفارسية).
- «دراسة الطريقة التطبيقية للثراء المعاصر، مراثي سعاد الصباح نموذجاً» روشنفر ومتقي زاده وپروين وسراج، ١٣٩١ ش، (بالفارسية).

- «دراسة اجتماعية مقارنة للغة الشعرية في مراثي ابن الرومي وسعاد الصباح وفق متغيرات جنسية» روشنفكر وبروين ودسب، ١٣٩١ش، فصلية بحوث الأدب المقارن، جامعة رازي كرمانشاه الإيرانية، السنة ٢، العدد ٥، (بالفارسية).
 - «دور المنهج الأسلوبي في تعليم النص الأدبي المعاصر، دراسة ديوان إليك يا ولدي لسعاد الصباح نموذجاً» اميري وبروين، ١٣٩٢ش، مجلة بحوث في اللغة العربية وآدابها، العدد ٨.
 - «مقاربة سعاد الصباح وبروين اعتصامي تجاه القضايا الاجتماعية» سيفي وغني، ١٣٩٤ش، فصلية المرأة والثقافة جامعة طهران، السنة ٧، العدد ٢٠٥. (بالفارسية).
 - «دراسة مقارنة في المضامين الشعرية لسعاد الصباح وبروين اعتصامي، بالاعتماد على مدرسة أوروبا الشرقية للأدب المقارن» على أصغر حبيبي، وليلا شكيباي، ووحيد شمشيري؛ ١٣٩٤ش، فصلية لسان مبین (بحوث الأدب العربي)، جامعة الإمام الخميني الدولية بقزوين الإيرانية، السنة ٦، العدد ٢٠. (بالفارسية)
 - «صورة التكرار في أشعار سعاد الصباح ونادر نادريور» اميرحسين رسولنيا، ومهوش حسنپور؛ ١٣٩٥ش، مجلة الأدب المقارن بجامعة الشهيد باهنر بكرمان الإيرانية، السنة ٨، العدد ١٥؛ (بالفارسية).
 - «الجمالية المعنوية لأشعار سعاد الصباح وزاله فراهاني بالتركيز على المرأة والعواطف الأنثوية» مجيد محمدي وأفسانة ملكي؛ ١٣٩٦ش، فصلية المرأة والثقافة جامعة طهران، السنة ٩، العدد ٣٣؛ (بالفارسية).
 - «تصوير الجنس الآخر في شعر سيمين بهبهاني وسعاد الصباح دراسة مقارنة» رمضان رضائي وعلي قهرماني، ومعصومه قهرمانپور؛ ١٣٩٨ش/٢٠١٩، بحوث الأدب المقارن جامعة رازي كرمانشاه الإيرانية، السنة ٩، العدد ٣٥. (بالفارسية).
- ولكن رغم كثرة هذه البحوث لم يتطرق أحد باستخدام نظرية التواصل لرومان جاكبسون في درس شعر سعاد الصباح وهذا هو الذي يكون هذا المقال بصده.

■ نظرية التواصل لرومان جاكبسون:

«كان التواصل البشري وما يزال موضوعاً خصباً للفكر الإنساني وذلك منذ أن وجد الإنسان نفسه محاطاً بالعديد من القضايا خاصة حاجته إلى إحداث تفاهم بين أفراد المجتمع من أجل التآلف والتجانس داخل منظومته الاجتماعية فاهتدى إلى التواصل من أجل التفاهم ونقل المعلومات وخدمة لهذه الغاية أوجد لنفسه وسائل متنوعة وكانت اللغة أرقى هذه الأشياء لتحقيق هذا التواصل» (الذبحاي وطه البشير، ٢٠١٨: ١٧١٨)

يمثل الاحتكاك الحاصل بين اللسانيات والتواصل من الخطوات الرائدة حيث أصبح موضوع التواصل في اللسانيات ولاسيما لدى جاكبسون من المواضيع الأهم كما شكل التواصل اللساني من الفروع التي تمّ درسها في نظرية التواصل وتمّ تحديد دقيق لمفاهيم عديدة كثيرة كما تمّ تحديد التواصل كموضوع بحثي تأملي في الميزات الخاصة في كلّ نظام من العلامات والذي يُستعمل بين طرفين بهدف الوصول إلى غايات تواصلية (الغزالي، ٢٠٠٣: ٢٤) «من أهم الاتجاهات اللسانية الاتجاه الوظيفي عند مدرسة براغ التي ظهر مع بزوغ فجرها مفهوم التواصل اللساني وإنّ أهم سمة ميّزت هذا الاتجاه هي النظر إلى اللغة عن طريق تحديد وظيفة المكونات التي يتألف منها الحدث التواصلية» (سامسون، ١٩٩٤: ١٠٥)

المدرسة الوظيفية تعتبر من أهم المدارس اللسانية و"رومان جاكبسون" أحد أقطاب هذه المدرسة من بين العلماء اللسانيين الذين أهتموا إهتماماً كبيراً بعملية التواصل اللساني لأنّه حسب آرائه كان من أهمّ الوظائف اللغوية هي «وظيفة التواصل التي تُتيح للإنسان الاتصال بغيره من بني جنسه، إلا أنّ لهذه الوظيفة طابعاً ثنائياً أيضاً يكمن في وجود شكلين من التواصل: التواصل بالكلام، والتواصل بالكتابة. فالتواصل بالكلام أو التواصل اللفظي بمعناه الأكثر شيوعاً، هو التواصل بالوسائل اللفظية بين فردين، وهو من هذا المنطق يشمل عمليتي بثّ واستقبال مُرسلة، لها مدلولات معيّنة تحدّد بالتواضع والاصطلاح المسبق بين المرسل والمرسل إليه وتتم عملية التواصل هذه تبعاً للدوافع النفسية الفيزيولوجية للمتكلم كما تحقق عبر القناة السمعية» (الطبال بركة، ١٩٩٣: ٤٩).

«قد اهتمت اللسانيات الوظيفية بالتحقيق الفعلي للنظام اللغوي في التواصل لأنها معينة بوظيفة اللغة فيها وإن جاكبسون من أهم رواد المذهب الوظيفي في تحليل الخطاب» (أمين مقدسي والياسي، ٢٠١٧: ١٢٧)

■ أركان التواصل اللساني لدى جاكبسون:

يعتقد جاكبسون أن الوظيفة الأصلية للغة هي التواصل «فإن كل فعل تواصل لفظي أو كل سيرورة لسانية تتكوّن من مجموعة من الفواعل المنظمة للتواصل، هي في مجموعها ستة فواعل» (أوكان، د.ت: ١٥):

– المُرسِل: هو الطرف الأول والأساسي في عملية التواصل ومصدرها والمسؤول عن إرسال الرسالة (الطبال بركة، ١٩٩٣: ٦٦)

– المُرسَل إليه: هو الطرف الآخر في عملية التواصل المُستقبل لمضمون الرسالة (الشهري، ٢٠٠٤: المقدمة) فهو المستجيب للنص والمستقبل والفاهم والمتقبّل والمخاطب والسامع والقارئ (مبارك، ١٩٩٩: ٢٩-٣٠)

– الرسالة: هي ثمرة العملية التواصلية بين الطرفين والمحتوى الشامل للمعلومات والأفكار والفرضيات الموجودة في ذهن المتكلم والذي يقصد المتكلم إيصاله إلى المتلقي فهي كتلة بنيوية واحدة متماسكة الأجزاء (بدوح، ٢٠١٢: ٣٤)

– السياق أو المرجع: هو «الظروف المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة أو دراسة الكلام في المحيط الذي يقع فيه ويشمل السياق الخارجي الظروف المحيطة بالحدث الكلامي مثل العصر ونوع القول وجنسه واللغة واللهجة المستخدمة والمتكلم أو الكاتب والمستمع أو القارئ والعلاقة بين المرسل والمتلقي من حيث الثقافة والجنس والعمر والألفة والطبقة الاجتماعية» (كنوش المصطفى، ٢٠٠٧: ٧٦)

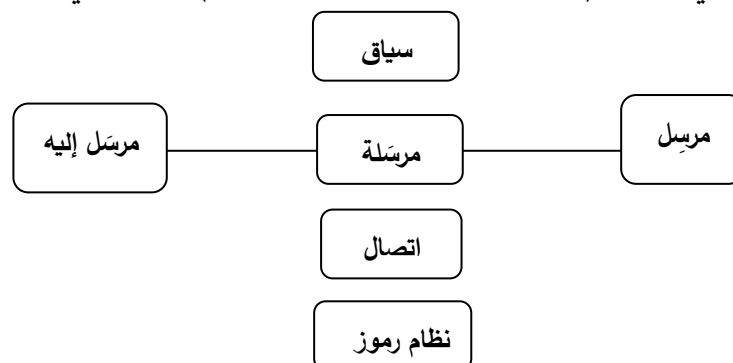
– السنن: هو النسق القاعدة المشتركة بين المتكلم أو المتلقي الذي بدونه لا يمكن فهم الرسالة وتأويلها (رايص، ٢٠١٤: ٢٣٢) فالسنن عند جاكبسون «يُحيل على نظام ترميز مشترك كلياً أو جزئياً بين

المخاطبين ونجاح التواصل في وضع تخاطبي ما يعتمد في الأساس على هذا النظام المشترك» (بوقرة، ٢٠٠٣: ٩٩)

– القناة هي «الأداة التي من خلالها يتم نقل الرسالة» (عبدالمجيد والهنداوي، ٢٠١٢: ٢٣) فهي الوسيلة للتواصل بين الأشخاص.

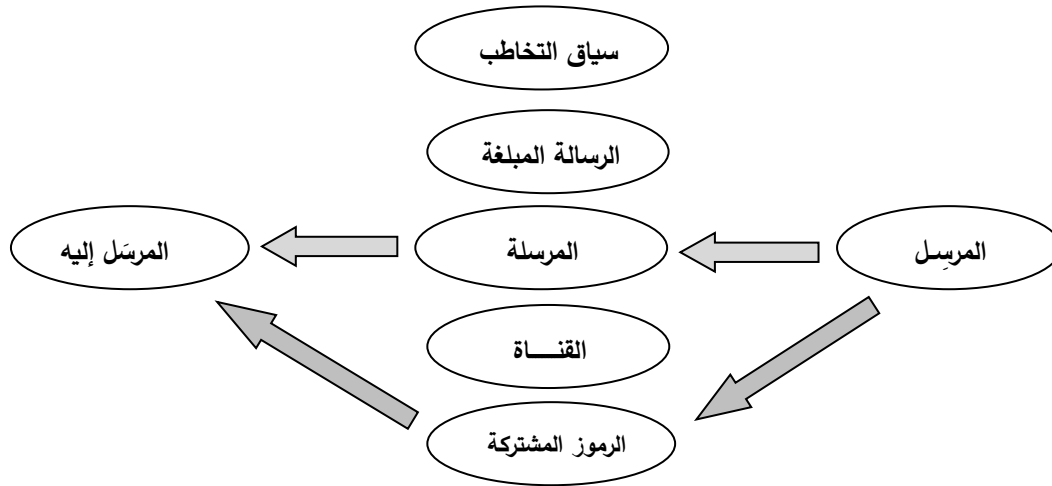
وقد حدّد جاكبسون المناهج الأساسية للسياقات في: ١-الموجودات بتعبيرها اللغوي يعني الأسماء ٢- الأحداث التي تعبّر عنها بواسطة الأفعال ٣-كيفية الوجود والتي تعبّر عنها في اللغة بواسطة الصفة والحال (بومزير، ٢٠٠٧: ٢٦)

استفاد جاكبسون كثيراً من نظرية "دي سوسير" ولكنه أضاف إضافة عملية جديدة ونظّمه تنظيمًا جديداً حيث أدغم هذه النظرية في أعمال المهندسين وتقنياتهم. فاستطاع استعمال مفاهيم (المرسل) و(المُرسل إليه) و(المرسل) و(الرمز) بشكل مكثف متواصل في تطوّر نظريته وفي دراساته، كما استطاع وضع هذه المفاهيم في رسم بياني مشهور (الطبال بركة، ١٩٩٣: ٦٤ و ١٠٤) وهو التالي:

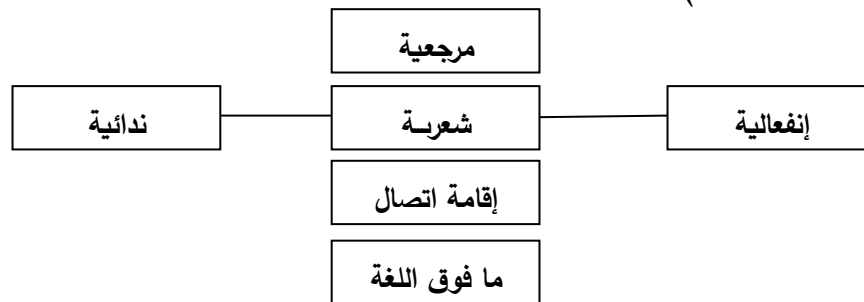


وهكذا يرى جاكبسون أنّ أيّ حدث لغوي يتضمن رسالة وأربعة عناصر لغوية تتعلّق بها وهي: الباث، والتلقّي، ومضمون الرسالة، والشفرة المستعملة فيها. والعلاقة بين هذه العناصر مختلفة، حيث تارةً تعمل وظائفها المختلفة بشكل منعزل، لكن المعروف تنظيم هذه الوظائف في مراتب بشكل متماسك مترابط، ممّا ينبغي لنا التعرف على الوظائف الأساسية والوظائف الثانوية (فضل، ١٩٨٠: ٣٩٣).

وقد شرح مخططه الذي انتهجه واختلف مع نهج سوسير في كتابه "أصول اللسانيات العامة" وهذا المخطط كالتالي:



وهكذا من التأمل في هذا المخطط يتّضح لنا الفروق بين الرسالة وبين الشفرة التي تضم رموزاً مشتركة، فقد ذكر جاكسون في تحليله بعض الظواهر المغفولة من قبل "سوسير" المرتبطة بعمليات التخاطب ولا سيما "القناة" والمقصود بها القاعدة الفيزيائية المساعدة على التعبير ونقل إشاراته، والسياق أو المقام أو الظروف المحيطة بالإبلاغ (أيلول، ١٩٨٠: ٤٩-٥٠)، وقد قابل جاكسون هذه الظواهر بوظائف لغوية بحيث كلّ عنصر من هذه العناصر الستة التي تتصل بكيفية التواصل اللساني، ينتج وظيفة لغوية مشتركة، حيث المرسل تقابله الوظيفة الانفعالية، والمحتوى تقابله الوظيفة المرجعية وفق المخطط التالي: (مرتاض، ٢٠٠٠: ٣٩-٤٠)



بعدما تناول العوامل الستة المشتركة المذكورة علينا أن نعرف الوظائف التي تؤديها المرسلات اللغوية وفق نظرية جاكبسون حيث ذكر بأن الوظيفة تكون إشارية لما يكون العامل المهيمن الذي تتجه نحوه الرسالة وهو السياق، وتكون انفعالية لما يتجه الانتباه نحو الباث، وتكون طلبية عندما تكون الهيمنة للسامع الذي يطلب الانتباه من أجله... (الطبال بركة، ١٩٩٣: ١٨٢) وهذه الوظائف هي:

١- الوظيفة الانفعالية (Emotive Function):

الوظيفة الانفعالية أو التعبيرية مرتكزة على المرسل «وتهدف إلى تعبير مباشر عن موقف الشخص تجاه ما يتكلم عنه، وهي تميل إلى إعطاء الشعور ببعض الانفعال، حقيقياً كان هذا الانفعال أم مصطنعاً، من أجل ذلك فإن تسمية هذه الوظيفة بالانفعالية، التي اقترحها "مارتي" تبدو أفضل من تسميتها بـ (الوظيفة المثيرة للانفعال). وتظهر الطبقة الخاصة في اللغة في حروف التعجب، وهذه الأخيرة تبتعد عن أساليب اللغة المرجعية بتصويرها الصوتي نجد فيها تشابهاً صوتياً خاصاً أو حتى أصواتاً غير معهودة في أي سياق آخر» (الطبال بركة، ١٩٩٣: ١٨٠). وهنا لا بد للمتكلم تقديم ما في شعوره وإحساسه بالطريقة التي يراها أنها تحافظ على المحتوى الذي يرسله إلى المخاطب لأن هذا المتلقي هو الذي يستقبل المرسلات الكلامية والمثيرات التي تحملها في سياقات محددة حتى يمكن إدراك المعنى وتحديد ضمن الشفرات التي تحملها الرسالة. وتارةً معناه هذا «يجعلنا ننسى الشرط الأساسي للتواصل من خلال اللغة وهو الإفهام، وكل إفهام لابد أن يعتمد على إجراءات تحليلية أي أنه كلما كان التعبير عاطفياً كلما نزع إلى الشكل الإجمالي المركز، والصيغ المتناثرة المفككة» (فضل، ١٩٨٠: ٢٨-٣٠)، وهكذا حالة كل متأمل في تشكيل النص وهذا هو الذي يُقصد من فن الأساليب وحسن صيغ العبارات والألفاظ دون الاهتمام بفحوى النص وهو المراد. ويمكن أن يكون لمحتوى الرسالة صيغ عديدة، فما يكون في بال الباث فقد يتم التعبير عنه بعدة أحاسيس مثل الفرح والغضب والاستياء والتوسل والاستعطاف وغيره؛ وقد تُنقل المراسلة بشكل آهات أو تعجبات وقد تعبر عن غضب أو صمود أو استغراب ودهشة أو استخفاف واستهزاء موظفة التعبيرات والمناهج التي تعبر عنها اللغات الطبيعية.

٢- الوظيفة الندائية (Conative Function):

أو التنبيهية والتي تخصّ المخاطب أو السامع لنص الرسالة؛ حيث تتحقق عندما يوجّه الخطاب إلى المخاطب (المتلقي أو المرسل إليه) لإثارة وجدانه وردود أفعاله كحالة المهرجانات السياسية والوعظ والإرشاد في المساجد. وقد يقدم من قام بهذه المرسلات إلى ما يثير الانتباه والطلب، ومن ثمّ تدخل الجمل الأمرية والندائية. ويمكن أن يتوجّه هذا النداء أو الطلب إمّا إلى نكاء أو عاطفة المتلقي «بحيث يتضح التمييز على هذا المستوى بين الموضوعي والذاتي، والمعرفي والعاطفي، علاقة تبرّر التعارض القائم بين الوظيفة المرجعية والوظيفة العاطفية [وتسمّى أيضاً الانفعالية أو التعبيرية]، وتتدرج ضمن الوظيفة المرجعية كلّ أنظمة الرموز التأشيرية والبرامج العملياتية (عمل، تكتيك عسكري...) التي تهدف إلى تحريك مشاركة المستقبل، وهذه الوظيفة اتخذت لها أهمية كبيرة مع الإعلام (الأخبار) الذي انعدم فيه محتوى الرسالة المرجعي إزاء الإشارات الهادفة إلى إثارة المستقبل، سواء كانت تلك الإثارة تتمّ عبر محاولة تشريطة متوسّلة التكرار، أم كانت في توجيه تفاعلات عاطفية لاواعية» (طالب الإبراهيمي، ٢٠٠٦: ٣١). وهكذا نرى هذه الوظيفة في الرسائل الموجهة إلى المخاطب لكي نشير انتباهه أو لطلب القيام بعمل معيّن وهكذا تدخل الجمل الأمرية ضمن هذه الوظيفة الندائية.

فالوظيفة الندائية خاصيتها في تعبيرها النحوي الأسلوبي الخالص في النداء والأمر، إذ هذان الأسلوبان يختلفان عن الجمل الإسمية والفعلية من حيث السياق والصرف وغالبية الصوتيات؛ لأنّه لا يمكن إخضاع جملات الأمر لاختبار الحقيقة، عكس الجمل الخبرية التي يمكن ذلك لها (الطبال بركة، ١٩٩٣: ١٨٤). أوضح بعضُ الباحثين أنّ التنبيه ليس مقصوداً على الإشارات أو بعض الحروف، وإنما هناك أساليب كثيرة للتنبيه في اللغة العربية لعلّ من أبرزها: الاستفهام، والإشارة، والنداء، والدعاء، والتوكيد، وأمور كثيرة أخرى، والتي نستطيع إدراجها ضمن الأساليب السابقة مثل أسلوب التوكيد في العربية والذي يأتي بأشكال وطرائق متعددة منها: تقديم ما حقّه التأخير بغرض توكيده أو لحصر الحكم فيه أو لغرض بلاغي أو نفسي آخر في بال المتكلم.

٣- الوظيفة الشعرية (Poetique Function):

تظهر في المرسلات الكلامية التي تعبّر عن شعور المتكلم وتنقله إلى المخاطب في «أحسن تصوير للجانب الجمالي الموجود في اللغة والمتجسّد في المظهر الفنّي البلاغي الذي يستغلّه الشعراء أيّما استغلال، والاهتمام هنا منصبّ على الخطاب نفسه» (طالب الإبراهيمي، ٢٠٠٦: ٣١)، وهذا أفضل للرسالة؛ لأنها تُعتبر من أوجه الخطاب وغاية في ذاتها ولها تعبير داخلي في نفسها؛ إذ إنّها العنصر الأساسي الذي يُهتم به.

ولكن كيف نصل إلى الشعرية حسب نظرية جاكسون؟ وللوصول إلى الجواب علينا التركيز على محورين مهمّين: الاختيار والتأليف، فعلى سبيل المثال إذا كان المتلقي حاملاً رسالة تضمن كلمة "الطفل" فهو يقوم بعملية اختيار من بين مجموعة واسعة من الأسماء المترادفة لمفردة "طفل" مثل: الصغير، والوليد، والرضيع، والغلام... وتُعد هذه سلسلة اسمية. فيختار لها من بين السلسلة الفعلية أفعال نحو: نام، ورغد، وغفا، غيرها وتنظم الكلمتان المختلفتان في سياق كلامي، فعملية الاختيار كما رأيناها قائمة على التعادل والتماثل والتناظر والترادف والتضاد. بينما عملية التأليف تقوم على المجاورة ولهذا فالوظيفة الشعرية تسقط مبدأ التعادل المحوري للاختيار على مبدأ محور التأليف (بوحوش، لاتا: ١٧٣-١٧٤). وهكذا ندرك تعريف الشعرية عند جاكسون عندما يجعلها علماً مستقلاً قائماً بذاته ضمن فروع اللسانيات ويحدّدها بوصفها الدراسات اللسانية الوظيفية الشعرية في سياق الرسائل اللفظية بشكل عام وفي الشعر بشكل خاص (جاكسون، ١٩٩٨: ٣١).

٤- الوظيفة المرجعية (Referential Function):

هذه الوظيفة ترتبط «بالمرسلات ذات المحتوى الذي يتناول موضوعات وأحداث معينة تشكل التعبير الأساسي لعملية التواصل، بهدف الإشارة إلى أننا نتكلم بهدف الإشارة إلى محتوى معيّن نرغب في إيصاله إلى الآخرين وتبادل الآراء معهم حوله» (زكريا، ١٩٨٦: ٥٣-٥٤). وتحدّد هذه الوظيفة بحالات والظروف والملابسات المحاطة بالرسالة، سواء كانت تاريخية أو اجتماعية أو ثقافية. تعتبر هذه الوظيفة

أساس كلّ تواصل لأنها هي التي تحدّد العلاقات بين المرسل والمرسلة والشيء، كما أنّها تُعدّ أبرز الوظائف وأكثرها أهميّة في عملية التواصل نفسها. وتارةً تُسمّى "تعيينية" أو "تعريفية" لأنّها تعتبر العمل الأساس في المرسلات المتعدّدة، بينما غيرها من الوظائف تكون ثانوية في مثل هذه المرسلات (الطبال بركة، ١٩٩٣: ٦٧). وهي تعتبر قاعدة كلّ تواصل لأنّها «تحدّد العلاقات القائمة بين الرسالة والموضوع الذي ترجع إليه، لأنّ المسألة الأساسية تكمن في صياغة المعلومة الصحيحة عن المرجع، وتكون موضوعية ويمكن ملاحظتها والتأكد من صحّتها. ذلك هو هدف المنطلق وسائر العلوم التي هي بمثابة أنظمة إشارات تبقى مهمّتها الأساسية تجنّب أيّ التباس بين العلامة والشيء ذاته، بين الرسالة والحقيقة المرمزة» (رايخ، ٢٠٠٧: ١٠٤).

٥- وظيفة إقامة إتصال (Phatic Function):

هذه الوظيفة ترتبط بالقناة الموصلة للرسالة. فهي تقيم التواصل وتؤمن استمراره، وتحافظ على فحوى الرسالة كما تعمل على عدم حدوث أيّ التشويش إلى المرسلات الكلامية وتسرّبه إليها، وذلك «لمّا يقيم المرسل اتصالاً مع المرسل إليه ويحاول الإبقاء على هذا الاتصال، وهنا تظهر ألفاظ مثل "ألو"، "ها" وغيرها من الألفاظ التي لا تملك أيّ معنى أو هدف سوى إبقاء الاتصال. ومصطلح إقامة التواصل هذا أوجده "مالينوفسكي" للدلالة على أهميّة اللسان الذي يقوّي ويشدّ وشنج الصلة بين الناس عبر تبادل الكلمات البسيطة دون أن تكون النية منه تبادل الأفكار» (الطبال بركة، ١٩٩٣: ٦٦). فمثل هذه المفردات تساعد على ديمومية الفهم للسامع واستمراريته والبقاء في دائرة السياق الحاكم لهذه المرسل اللغوية. وهذا وقد أخذ "رومان جاكبسون" هذه الوظيفة عن "مالينوفسكي" فإنّها تتيح للمرسل أن يقيم التواصل أو يقطعه، ومن ثمّ فإنّها تلعب دوراً مهمّاً في جميع أشكال التواصل كالاقتفالات والأعياد والطقوس والخطب والأحاديث بأنواعها المختلفة. وقد أكد جاكبسون أنّ الاتصال ذاته هو المرجع في رسالة إقامة الاتصال، حيث كل رسالة يتمّ استخدامها بشكل أساس لإقامة التواصل أو إطلاته أو قطعه، وللتحقّق من عمل

المدار الكلامي وللفت انتباه المخاطب وغيرها من القضايا المحافظة على استمرارية التواصل وديموميته (رايخ، ٢٠٠٧: ١٠٦-١٠٧).

٦- وظيفة ماوراء اللغة (Metalinguistique Function):

هذه الوظيفة تخصّ بالوظيفة نفسها وما يرتبط بها وما يشمل رموزها حيث هي ظاهرة في المرسلات المتمحورة على اللغة ذاتها وتختص بالوصف لها وتشمل عناصر البنية اللغوية وتعريف المفردات (زكريا، ١٩٨٦: ٥٤). وقد ذكر منطق الكلام بين مستويين من اللغة وهما: اللغة المادية المتمثلة في الكلام عن الأمور المحسوسة، كما أنّ هناك اللغة الماورائية أو تعدّي اللغة التي تخص اللغة ذاتها، أي بحث عناصرها بالوصف والتعريف (الطبال بركة، ١٩٩٣: ٦٧). وتتعلق مكونات كلّ مرسلة تعلقاً ضرورياً بالسُنن أو الشفرة من خلال ارتباط داخلي، وبالمرسلة من خلال ارتباط خارجي.

كما تهتمّ باللغة في مختلف مظاهرها بنوعي الارتباط المذكورين، سواء يكون تبادل الرسائل أو تبادل الاتصال ذي اتجاه واحد من المتكلم إلى المخاطب؛ حيث لا بدّ من وجود نوع من المجاورة بين المشتركين في أيّ حدث كلامي لضمان نقل المرسلة. أما الفاصل في الزمان والمكان فهو في غالب الأحيان يتمّ بين الأفراد، هو المرسل والمتلقّي ويتمّ ردمه من خلال ارتباط داخلي (ماوراء اللغة)؛ حيث لا بدّ من وجود تسامٍ معيّن بين الرموز التي يستخدمها المرسل والرموز المؤولة لدى المرسل إليه، وهي مختارة من مستودع جميع الأجزاء المكوّنة (الشفرة)، ومن دون هذا التساوي تتحوّل المرسلة منقطعة وخالية من أيّ دلالة ولا تؤثر في المخاطب ولو وصلت إليه (جاكسون ومورس هالة، ٢٠٠٨: ١١٥-١١٦).

■ سعاد الصباح حياتها وشعرها:

سعاد الصباح شاعرة كويتية معاصرة ذاع صيتها في عالم الأدب والفن العربي بسبب شعرها الأنثوي الفريد من نوعه. «ولدت الشاعرة سعاد محمد الصباح في ٢٢ مايو ١٩٤٢ في العراق وهي الابنة البكر لوالدها الشيخ محمد الصباح الذي حمل اسم جدّه حاكم الكويت من العام ١٨٩٢-١٨٩٦م» (ذوالقدر، ٢٠١٠: ١٨) فهي «كويتية تزوّجت من الشيخ عبدالله المبارك الصباح في ١٥ سبتمبر ١٩٦٠» (تميمي وبيبراني

شال، ٢٠١٨: ٦٦٠) درست حتى نهاية مرحلة الثانوية في دولة الكويت ثم سافرت إلى عدة دول طلباً للعلم فهي «حاصلة على بكالوريوس اقتصاد من جامعة القاهرة وماجستير من جامعة لندن عام ١٩٧٦ والدكتوراه في الإقتصاد من جامعة ساري جلفورد اللندنية عام ١٩٨١» (المصدر نفسه) بعد التخرّج تفرغت الشاعرة لمباشرة نشاطها الثقافي والاقتصادي وعملت كأستاذة في العلوم الاقتصادية والآداب. كما بدأت بالكتابة في ١٣ من عمره، ثم جمعت قصائدها في ديوان نشرته عام ١٩٦٤ تحت عنوان "من عمري" وكان أول ديوان لامرأة خليجية يصدر في ذلك الحين (ذوالقدر، ٢٠١٠: ١٩) فإنّها بصفتها شاعرة وأكاديمية اقتصاد «تهتم بقضايا حرية الرأي وحقوق الإنسان والتخطيط والتنمية واقتصاديات العمالة والنفط والمرأة والطفل، شاركت في عدد من الأمسيات الشعرية العربية والأجنبية ولها مشاركات حولية في مهرجان المربد بالبصرة. أسست دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع» (سعود البابطين، لا تا: ٤٣٣) كما «إنّها رصدت جملة من الجوائز باسمها واسم الشيخ عبدالله المبارك الصباح لتشجيع الإبداع الفكري والعلمي والأدبي» (المصدر نفسه: ٤٣٦)

تأثرت الشاعرة في بداياتها الشعرية بالمتنبي وأبي تمام ثم بشعراء المهجر اللبنانيين وبأحمد شوقي ثم تأثر بشكل خاص بنزار قباني في أواخر الخمسينيات حيث كانت تعد نفسها تلميذة في مدرسته (خلف، ١٩٩٢: ٤٢)

من دواوينه المنشورة: «ومضات باكرة ١٩٦١؛ من عمري ١٩٦٣؛ أمنية ١٩٧١؛ إليك يا ولدي ١٩٨٢؛ في البدء كانت الأنثى ١٩٨٨؛ حوار الورد والبنادق ١٩٨٩؛ برقيات عاجلة إلى وطني ١٩٩٠؛ هل تسمحون لي أن أحبّ وطني ١٩٩٠؛ آخر السيوف ١٩٩٢؛ قصائد حبّ ١٩٩٢؛ امرأة بلا سواحل ١٩٩٤؛ خذني إلى حدود الشمس ١٩٩٧؛ القصيدة أنثى والأنثى قصيدة ١٩٩٩؛ الورود تعرف الغضب ٢٠٠٥؛ رسائل من الزمن الجميل ٢٠٠٦، كلمات خارج حدود الزمن ٢٠٠٨، الشعر والنثر لك وحدك ٢٠١٦، قراءة في كفّ الوطن ٢٠١٨، للعصافير أظافر تكتب الشعر ٢٠١٨» (أحمد محمود محمد، ج ١، ٤٣٣: ٢٠٢٠)

«لا تقتصر كتاباتها على القضايا الاجتماعية والاقتصادية فحسب، إذ تعتبر إحدى أشهر الشاعرات على مستوى العالم العربي. وقد نشرت أشعارها في عدة مطبوعات يومية وأسبوعية وشهرية وتمّ توثيقها في خمسة عشر كتاباً ورغم أنّ إنتاجها الشعري يغطي سلسلة كبيرة من المواضيع تتراوح بين الرومانسية والوطنية إلا أنّها تدور حول محور مشترك فالحرية تسيطر على كتاباتها سواء كانت حرية الرجل أو المرأة، حرية الإنسان دون التمييز بينهم، وتجذب أمسياتها الشعرية جمهوراً عريضاً وتحظى دائماً بتغطية صحافية مسهبة» (عبدة شبيلي، ٢٠١٦: ٤٢٩) من المواضيع الهامة في شعر سعاد الصباح: قضية تحرير المرأة العربية وتصوير واقعها في مجتمع رجولي وقضية أحزان الشعوب العربية لاسيما الشعب الفلسطيني في نضاله ضدّ الاحتلال الصهيوني (الأمين، ١٩٩٤: ٨) فرغم أنّ الشاعرة ترعرت في بيت رغد وترف ولكنها ليست كأغنياء غافلين عن آلام المجتمع بل هي شاعرة تكتب عن آلام الفقراء بشعور وأحاساس مرهف ويصوّر آمالهم وآلامهم (فسنقري واكبري، ٢٠١٦: ٩١) فهي تقول:

«بِنَثْرِي وَصُراخِي وَانْفِجَارَاتِ دِمَائِي/ أَتَحْدِي أَلْفَ فِرْعَوْنَ عَلَى الْأَرْضِ/ وَأَنْضُمُ لِحِزْبِ الْفُقَرَاءِ»

«مما أثر في شعرها تأثيراً هاماً معاناة الشاعرة وآلامها لفقدان ولدها وزوجها ومشاكل الحياة في المجتمع العربي وقضية المرأة والنسوية وقلق الشاعرة للمرأة العربية وثالوثها الشعرية يعني الحبّ والمرأة والوطن» (بيبراني شال وفلاحتي وناعمي وخرميان، ١٣٩٩: ٩٨) اشتهرت سعاد الصباح بخنساء المعاصرة نظراً للعاطفة الصادقة التي صوّرها في مرثيها الحزينة في ديوانها "إليك يا ولدي" الذي أنشد قصائدها في رثاء ولدها الميت بلغة ساذجة بعيدة عن التكلف (روشنفكر وبروين ودسب، ٢٠١٢: ٦٢) كما جاء ديوانها الورود تعرف الغضب «حصيلة فقدان الشاعرة لزوجها، ملهمها ومعلمها وسيدها الذي أخلصت له كلّ الإخلاص وجسّدت في زوجها عبدالله المبارك الصباح المثال الإنسان الذي يحق للشاعرة أن تبكيه بدموع كالأنهار وتفقّد الأمان بعده» (النسور، ٢٠٠١: ٨٨) تعترف الشاعرة بأنّها تعلمت كيف تكون أميرة بين الرجال والنساء لأنّ زوجها كان أميراً خاصاً في ذوقه ولباسه وأناقته ونفسيته:

«لَكَ الشُّكْرُ يَا سَيِّدِي/فَمِنْكَ تَعَلَّمْتُ كَيْفَ أَتَقَفُ ذَوْقِي/وَمِنْكَ تَعَلَّمْتُ كَيْفَ أَتَقَفُ عَقْلِي/وَكَيْفَ يَكُونُ كَلَامِي عَلَى مُسْتَوَاكِ/وَشَكْلِي عَلَى مُسْتَوَاكِ/وَكَيْفَ إِذَا مَا ذَهَبْنَا مَعًا لِلْعِشَاءِ/أَكُونُ حَبِيبِي عَلَى مُسْتَوَاكِ/وَكَيْفَ أَكُونُ أَمَامَ الرِّجَالِ أَمِيرَةً/وَبَيْنَ النِّسَاءِ أَمِيرَةً» (الصباح، ٢٠٠٥: ٤١)

«الشاعرة لم تكن لتتناقض مع نفسها في موقفها من الرجل المتمثل بعلاقتها مع زوجها من جهة وفي تمرد لها ومطالبتها بحقوق المرأة العربية من جهة أخرى فقد كانت سعاد الصباح عاشقة مطيعة تقبل الرجل/الزوج وكانت تريد في علاقتها معه أن تكون أنموذجاً رائداً لكل علاقة زوجية لابد أن تقوم على التقدير واحترام الرأي الآخر، فأرادت أن تعمم تجربتها لتؤسس لعلاقة عشق بين الإنسان/الرجل والإنسان/المرأة» (محمود عبيدات، ٢٠١٢: ١٨٩) تقول:

وَيَرْفَعُ رَأْيَاتِهِ عَلَى أَقَالِيمِ أُنُوثَتِي/وَأَيْتُهَا الْحَاكِمُ بِلَا مَرَاسِيمٍ وَلَا بَرْلَمَانٍ.. وَلَا اسْتِفْتَاءٍ شَعْبِيٍّ/وَأَيْتُهَا الْإِسْتِعْمَارِيُّ الْكَبِيرُ/يَا أَجْمَلَ الْبَرَابِرَةِ/وَأَعْدَلَ الطُّغَاةِ/أُحِبُّكَ.. وَأَعْرِفُ أَنَّكَ مُعْتَصِبٌ لِلسُّلْطَةِ/أُحِبُّكَ.. وَلَا أَعْرِفُ لَا شَرْعِيَّةَ احْتِلَالِكَ/أُحِبُّكَ.. وَأَعْرِفُ عِبْنِيَّةَ الصِّرَاعِ مَعَكَ/وَمَعَ هَذَا.. لَا أَطَالِبُ بِخَلْعِكَ عَنِ الْعَرَضِ» (الصباح، ٢٠٠٥: ٩٣)

رغم أن الشاعرة أميرة وزوج أمير في دولة الكويت ولكنها لم ترض عن ظروف النساء في العالم العربي عامة والكويت خاصة حيث خاطب رجال مجتمعها بلغة شجاعة تنم عن ثأر أليم وقريب وحاسم للنساء في وطنه العربي لأن المرأة يُنظر إليها كبضاعة استهلاكية ولا فرق بينها وبين الحيوانات في هذا المجتمع العربي الرجولي وأن الفتيات يتم شراءهن عند الزواج والطلاق كأنها أحشام للبيع (حبيبي وشكيباوي وشمشيري، ١٣٩٤ش: ٧٥) تقول الشاعرة:

«سَأُثَارُ؟.. لِلْحَائِرَاتِ، وَلِلصَّابِرَاتِ../وَلِلْقَاصِرَاتِ اللَّوَاتِي اشْتَرَيْتِ صِبَاهُنَّ/اشْتَرَيْتِ صِبَاهُنَّ/مِثْلَ الْبَذَارِ../سَأَصْرُخُ: بِاسْمِ الْعَذَارَى اللَّوَاتِي/تَرَوُجْتَهُنَّ/وَطَلَّقْتَهُنَّ كَمَا تُشْتَرَى وَتُبَاعُ الْخُيُولُ/وَلَنْ أَتَرَاجَعَ عَمَّا أَقُولُ» (الصباح، لاتا، ب: ١٤٩-١٥٠)

استخدمت سعاد الشعر كأداة ذات تأثير كبير للتعبير عن رفضه التقاليد الخاطئة وتعسفات النظام الرجولي السائد لكي يوفّر الأرضية لتحقيق أهم ما تبتغي في الحياة أي إسقاط هذه التعسفات بتنوير أذهان الناس تجاه حقوق المرأة مستخدمة تعابيرها الأنثوية اللطيفة وذوقها الشعرية الرائعة (محمدي وملكي، ١٣٩٦ش: ٨١)

الشاعرة سعاد الصباح «طرحت في أغلب شعرها قضية مهمة شغلت بال المرأة العربية والمهتمين بها زمناً طويلاً وهي العلاقة بين الرجل والمرأة وحاولت أن تصوّر نفسها ثائرة رافضة لسلطة الرجل المستعمر الذي نصّب نفسه وينصّبها سيّداً متسلّطاً على الطرف الأهم في المعادلة الحياتية وهي المرأة» (محمود عبيدات، ٢٠١٢: ١٨٦) فعبرت عن هواجس النساء وهموم جيلها بجرأة واسعة الصدى (الأمين، ١٩٩٤: ٣٣) كما استفاد من الطبيعة مكوناتها ومفرداتها في التعبير عن أحاسيسها ومشاعرها بشكل لافت بل إنّها خلعت أحاسيسها على الطبيعة (مكي، ١٩٩٩: ٢٨)

«تواجه سعاد الصباح الموانع وتأخذ تجاه الحواجز والمشاكل موقف المقاومة وهي تلح على عقائدها خاصة في موضوع المرأة وتحريرها. الظروف تخالف ميولها ومن هذه الظروف هي التقيدات التي فرضها الرجل الشرقي على المرأة الشرقية والعربية خاصة. فهي لا تسمح للظروف أن تؤثر فيها. فهي تحبّ الاستقلال والحرية كما تخاطب حبيبها أن يمنح الحرية لها وأن يخرجها من القيود» (تميمي وبيراني شال، ٢٠١٨: ٦٧٩)

تقول: «إنّني ألجأ إلى الشعر لأتحرّر من الخوف الذي تشعر به الأنثى في هذه المنطقة ألجأ إليه لأنّه يحميني ويقويني ويستمتع بقلب كبير إلى أسراري الصغيرة وهمومي الكبيرة، إنّه الصديق الرائع الذي أستطيع أن أبوح له بكلّ شيء.. ومن دون أن يخونني.. ألجأ إلى الشعر لأنّه المكان الوحيد الذي أستطيع أن أصرخ بحريّة وأغنّي بحرية وأضحك بحرية وأبكي بحريّة» (فوزي، ٢٠٠٠: ٤٠)

تخاطب سعاد السلطة الرجولية التي سبّب عدم اعتزازهن بأنفسهن حيث أنّ أصبح أكبر أمنيات النساء إسقاط هذا النظام السلطوي الرجولي من المجتمعات لذلك الرجل الذي تنقده سعاد هو الرجل الذي لم يرى

المرأة نصفه الكامل طيلة التاريخ بل يعتقد بأفضلية جنسه على الجنس الأنثوي (رضائي وقهرماني وقهرمان بور، ١٣٩٨ ش: ٣٦) تقول سعاد:

«يَرْضَعُ الطِّفْلُ مِنْ ثَدْيِ أُمِّهِ/يَشْبَعُ/وَيُقَرَّدُ عَلَى ضُوءِ عَيْنِهَا حَتَّى يَتَعَلَّمَ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ/وَسِيرِقُ مِنْ كَيْسِ ثُقُودِهَا/لِيَشْتَرِيَ عُلبِي السَّجَائِرِ/وَيَشْمِي فَوْقَ عِظَامِهَا النَّحِيلَةَ/حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الْجَامِعَةِ/وَعِنْدَمَا يُصْبِحُ رَجُلًا يَضَعُ سَاقًا فَوْقَ سَاقٍ فَيَأْخُذُ الْمَقَاهِي الْمُتَقَفِّينَ/يَعْقُدُ مُؤْتَمَرًا يَقُولُ فِيهِ: إِنَّ الْمَرْأَةَ بِنَصْفِ الْعَقْلِ/بِنَصْفِ الدِّينِ/فَيَصَقُّ لَهُ الذَّبَابُ» (الصباح، ١٩٩١: ١٠٦).

■ ملامح التواصل الوظيفي في ديوان (في البدء كانت الأنثى):

تبين لنا من خلال تقصينا لهذا الديوان أن هناك محاور رئيسية خيِّمت على نفسية الشاعرة وكان لها دور فاعل في إثراء الخطاب التواصلية بشحنات وجدانية ودفعات عاطفية تتميز بالصدق، كما أنها أسهمت في تحديد ملامح التواصل الوظيفي وتبيين نوعية الوظائف التواصلية، وهي كما يلي:

١- الاستغراب والدهشة:

تقول سعاد الصباح:

يَقُولُونَ؛/إِنَّ الْكِتَابَةَ شَيْءٌ عَظِيمٌ.../فَلَا تَكْتَلِبِي/وَأَنَّ الصَّلَاةَ أَمَامَ الْحُرُوفِ...حَرَامٌ/فَلَا تَقْرِي. /وَأَنَّ مِدَادَ الْقَصَائِدِ سُمٌّ.../فَيَاكَ أَنْ تَشْرِبِي (الصباح، لاتا، الف: ١)

تضعنا الشاعرة في هذه الأسطر أمام حالة من رفضها الصارخ لما ينسجه ذوو الضمائر الساذجة وتحوكه ألسنتهم حول ما تقوم به المرأة من نشاطات اجتماعية وثقافية دون أن يكون لهم أي برهان عقلي أو حجة دينية، فالكتابة عندهم مقصورة على الرجال، وأما النساء فلا تحتل حسب زعمهم هذا الأمر العظيم، وليس من شأن المرأة أن تتشد الشعر لأن ذلك محرّم عليها إذ يتسبب في الإخلال بالفرائض الدينية لديها كالصلاة أو يؤدي إلى غضب الله وإحباط الأعمال عنده جلّ وتعالى. ولكن سعاد لا تُقيم وزناً لأي من هذه الترهات والمزاعم، بل ترمي بها عرض الحائط وتتحدّى هذا المجتمع الرجولي المتغطرس قائلة:

وَهَا أَنْذَا قَدْ شَرِبْتُ كَثِيرًا/ فَلَمْ أَتَسَمَّ بِجَبْرِ الدَّوَاةِ عَلَى مَكْتَبِي/ وَهَا أَنْذَا قَدْ كَتَبْتُ كَثِيرًا/ وَأُضْرِمْتُ فِي كُلِّ نَجْمٍ حَرِيقًا كَبِيرًا/ فَمَا غَضِبَ اللَّهُ يَوْمًا عَلَيَّ/ وَلَا اسْتَاءَ مِنِّي النَّبِيُّ... (المصدر نفسه)

حاولت الشاعرة أن تفنّد حجج أنصار المجتمع الرجولي السائد وتثبت أنّ المرأة يمكنها أن تكتب وتتشد الشعر وتبدي رأيها وتواصل نشاطها الاجتماعي والثقافي كما فعلت هي. يلاحظ أنّ الشاعرة في هذه الأسطر توجه رسالتين: رسالة احتجاج وتحدّ إلى مجتمع يناويء فكرة حضور المرأة في الساحة الثقافية والاجتماعية والسياسية، والرسالة الثانية إلى المرأة العربية عامة والخليجية خاصة من أجل أن تثق بقدراتها وتنهض بواجبها كفرد من أفراد المجتمع، شأنها شأن الرجل. وعلى ذلك فيلاحظ أنّ الرسالة تتجه نحو المخاطب ليكون بؤرة الاهتمام، كما أنّ الشاعرة استخدمت في هذه الأسطر ما يلفت نظر جهتي الخطاب ويعمل على إثارة انتباه كلّ منهما والتأثير فيهما، حيث كرّرت في الأسطر الأوائل - للمخاطب الأول وهو المرأة العربية على سبيل التلويح- فعل (يقولون) ثلاث مرّات؛ الفعل الأول ذكر نصاً والثاني والثالث حذف على قرينة سبق الذكر، وكررت حرف المشبهة (إنّ) ثلاث مرّات. وأما في الأسطر الأواخر فقد كرّرت الشاعرة حرف التنبيه (ها) والضمير المتصل بحرف الإشارة (أنذا)، كما أنّ صيغة التكلّم وضمير التكلّم ذكرا أكثر من مرّة: (قد شربت- لم أتسمم- أضرمْتُ- قد كتبتُ/مكتبتني-عليّ-مَنّي). وعليه فالوظيفة التواصلية ههنا ندائية (تنبيهية) إذ تكرّس التركيز على المخاطب من أجل التأثير فيه.

المرسل	المرسل إليه	الأداة	الوظيفة	مفهوم الوظيفة
الشاعرة	المرأة العربية- المجتمع الرجولي	التكرار- دلالة السياق	ندائية (تنبيهية)	الرفض والاحتجاج وتحديّ الخصم- محاولة التأثير في المخاطب (المرأة) وشحذ همّته

تقول سعاد الصباح في قصيدة:

«وَأَسْخَرُ مِمَّنْ يُرِيدُونَ فِي عَصْرِ حَرْبِ الْكَوَكِبِ../ وَأَدَّ النِّسَاءَ.../ وَأَسْأَلُ نَفْسِي؛/ لِمَاذَا يَكُونُ غِنَاءُ الذُّكُورِ
حَلَالًا/ وَيَصْبِحُ صَوْتُ النِّسَاءِ رَذِيلَةً؟/ لِمَاذَا؟/ يُقِيمُونَ هَذَا الْجِدَارَ الْخُرَافِيُّ؟/ بَيْنَ الْخُقُولِ وَبَيْنَ الشَّجَرِ/ وَبَيْنَ

الغُيُومَ وَبَيْنَ الْمَطَرِ/وَمَا بَيْنَ أُنْثَى الْغَزَالِ، وَبَيْنَ الذَّكَرِ؟/وَمَنْ قَالَ؛ لِلشَّعْرِ جِنْسٌ؟/وَلِلنَّثْرِ جِنْسٌ؟/وَلِلْفِكْرِ جِنْسٌ؟/وَمَنْ قَالَ إِنَّ الطَّبِيعَةَ/تَرْفُضُ صَوْتَ الطُّيُورِ الْجَمِيلَةِ؟» (الصباح، لاتا، الف: ٢)

تعكس الشاعرة في هذا النصّ عبارات توحى الاستغراب والغضب والدهشة معاً، الحالة الاجتماعية المزرية وما تلاقيه المرأة في العالم العربي من كبتٍ وتهميشٍ، الأمر الذي أفقد المرأة العربية-على حدّ قول الشاعرة-كثيراً من حقوقها وأغمط حرّيتها وحال دون نشاطها وحيويتها. تنهال كلمات الشاعرة في هذه الأبيات سيطاً لاذعة لتستنكر وتشجب هذه الرؤية الخاطئة تجاه المرأة، محطّمة الجدار الذي تصفه بالوهمي الخرافي الذي يفرّق بين الرجل والمرأة. نستشفّ بوضوح ثورة الغضب لدى سعاد الصباح في تكرار كلمتي (لماذا؟) و(من؟) التين خرجتا من دلالتهما الاستفهامية لتدّلا على الاستغراب الناتج عن موقف الرفض الذي تمتاح منه الشاعرة. ولا شك أنّ حالة الاستغراب التي طغت على هذه المقطوعة وتوظيف كلمة (لماذا؟) من قبل الشاعرة لا يُقصد بها الحصول على ردّ للأسئلة المتوالية، إذ هي أسئلة استفهامية في الظاهر استنكارية في الباطن، لم تأت بها الشاعرة إلا لتعبّر عن إحساسها ومشاعرها، ممّا يصحّ لنا أن نقول إنّ المخاطب هو المتكلم (الشاعرة) نفسه الذي أصبح بؤرة الاهتمام. ولكنّا لا نتجنّب الصواب إذا اعتبرنا في الوقت نفسه أنّ الضمير (أنا) هنا ليست أنا الشاعرة فحسب، بل يشمل المرأة العربية البدوية التي تعيش القهر في مجتمع ذكوري يلغي دورها، ولا يستمع لأريها، ولا يسمح لها أن تقرر مصيرها، هي امرأة تطيع ما تحب وما تكره، وهي المرأة المنجبة المطيعة وكفى، كما ترى سعاد الصباح. إذن الوظيفة التي أدّتها هذه الرسالة عبر هذا النصّ وظيفة انفعالية تنطوي على ما يجيش في صدر الشاعرة من حالة الاستغراب والدهشة الممزوجة بالغضب والاستياء والرفض.

المرسل	المرسل إليه	الأداة	الوظيفة	مفهوم الوظيفة
الشاعرة	المجتمع الذكوري	التكرار-دلالة السياق	ندائية(تنبيهية) وانفعالية	بيان حالة الاستياء والغضب

كما نرى في الأبيات التالية هذا التوجّه الاستنكاري الراض الذي تقمّص حالة من الدهشة والسخرية لدى الشاعرة تجاه الإزدراء الذي تتنّ تحت وطأته المرأة العربية في كثير من المجالات ولاسيّما المجال الثقافي حيث كتابة الشعر تُعدّ شناراً لا يُغتفر وعاراً يحطّ من شأن المرأة:

«يُؤْلُونُ؛/إِنَّ الأديباتِ نوعٌ غريبٌ/من العُشبِ.. ترفضُهُ الباديةُ/وإنَّ التي تكتبُ الشعرَ.../ليستِ سوى غانيه!!»

تستغرب الشاعرة هذه الرؤية الخاطئة والنظرة الوضيعة السافلة تجاه المرأة وتلجأ بذكاء فائق إلى استخدام صورة رائعة تمثّل موقفها الراض بل المستهزيء الساخر وذلك بإقحام كلمتي "العُشب" و"البادية" اللتين لهما دلالة واضحة على بساطة البدوي وتخلّفه الفكري المنطقي، فكما أنّ البدوي لا يعنيه إلاّ تلبية حاجاته المادية من شرب وأكل لأسرته وأهله، وحصول على العشب والكلأ لغنمه وبعيره، كذلك الشاعرة تعيش بيئة ثقافية وفكرية ضحلة تسودها السطحية ويحكمها التخلف، لا تقيم وزناً لمتطلبات المرأة الفكرية والثقافية ولا تعير اهتماماً لمواكبة عصر التطور ومستلزماته. فهي تقول:

«وأضحكُ من كلّ ما قيلَ عني/وأرفضُ أفكارَ عصرِ التنكِ/ومَنطِقَ عصرِ التنكِ/وأبقى أغنيَ على قِمَمي العالِيه/وأعرفُ أنّ الرُّعودَ سَنَمضي.../وأنّ الرُّوابعَ تَمضي.../وأنّ الخفافيشَ تَمضي.../وأعرفُ أنّهم زائلون/وإني أنا الباقيّة» (الصباح، لاتا، الف: ٣)

نلاحظ في هذا المقطع الشعري حضوراً مكثفاً لضمير (أنا) وضمير (ي) المتكلم نحو: (أضحكُ-أرفضُ-أبقى-أغني-أعرفُ)، ما يعني أنّ الشاعرة تمّتاح من عواطف ذاتية وتصدر من مشاعر وجدانية، والأمل يحدوها في تغيير الواقع المأساوي وتذليل الصعوبات. ويبدو أنّ تفاعلات الشاعرة هذه، لا تخرج من كونها بثّ شكوى وإظهار هموم متلبّسة بحالة من الاستغراب دون أن تهدف الشاعرة التأثير في المخاطب. وعليه فإنّ الرسالة هنا تحمل وظيفة انفعالية.

المرسل	المرسل إليه	الأداة	الوظيفة	مفهوم الوظيفة
الشاعرة	المجتمع	تكرار الضمير-استخدام		بثّ الشكوى وإظهار

الاستغراب المصحوب بحالة الرفض	انفعالية (تعبيرية)	كلمات ذات دلالة عاطفية - دلالة السياق	الرجولي

٢- الصمود:

رغم أنّ الشاعرة تعيش ماضيها الحزين وتجترّ ذكرياتها المؤلمة في غالب قصائدها، ورغم سيطرة الشعور بالاستغراب وهيمنة حالة الرفض على القصيدة هذه، إلا أنّ الشاعرة لم تضرب أبداً بأوتار الحزن ونغمات الإحباط، بل أمسكت القلم بأنامل الرونق وروح المثابرة واثقة بنفسها، فخورة بما قامت به في سبيل استيفاء حقوق المرأة العربية الخليجية فنقول:

«يَقُولُونَ إِنِّي كَسَرْتُ رَحَامَةَ قَبْرِي.../وهذا صَحِيحٌ/وَأَنِّي دَبَحْتُ خَفَافِيشَ عَصْرِي.../وهذا صَحِيحٌ/وَأَنِّي اقْتَلَعْتُ جُذُورَ النِّفَاقِ بِشِعْرِي/وَحَطَّمْتُ عَصَرَ الصَّفِيحِ» (المصدر نفسه: ٢-٣)

استخدمت الشاعرة القبر لترمز به إلى الظروف الاجتماعية المحفوفة بالذعر والخوف، والمصير المظلم المجهول الذي ينتظر المرأة العربية في ظلّ سلطة الرجل، ورمزت بالخفافيش إلى الوشاة أو الجواسيس الذين يرقبون النساء ويرصدون أنشطة المرأة ويعكسونها إلى أولياء السلطة لتضليل المجتمع وتشويه سمعة المرأة والنيل منها. تقرّ الشاعرة هنا بكلّ فخر واعتزاز أنّها وقفت بوجه الظلم وتصدّت للقهر وعبرت عن حقها في مزاوله نشاطها بحرية ومطالبة الحقوق دون أيّ خوف من المصير المجهول، وأكدت على قتلها الجواسيس والوشاة وتعني بالقتل ههنا-على ما نظنّ-إحباط مخطّطهم بتوعية النساء وتثقيفهنّ من خلال الشعر. ويمكن قراءة هذا الاعتداد بالنفس وهذه المفاخرة على أنّها تمثّل خارطة طريق لإنهاء الوضع الاجتماعيّ المأساوي ونسف هيمنة الرجل الذي جعل المرأة تترجح تحت تبعات التهميش والإهمال والتجريح الهادف. وتذكر سعاد الصباح بأنّ الطريق نحو هذه الحرية المنشودة ليس معبداً ولا مفروشا بالورود، بل هو طريق وعر كثير المتاهات، لا يُقطع إلّا بالكدّ والصبر والصمود والتضحية:

«فإن جرحوني.../فأجمل ما في الوجود غزال جريح/وإن صلبوني فشكراً لهم/لقد جعلوني بصفّ المسيح...» (المصدر نفسه: ٣)

يلاحظ في هذه الأسطر أنَّ الشاعرة استخدمت أسلوب التكرار لترسخ المعنى في ذهن المخاطب وتلوح على فكرة الصمود والثبات في الموقف ثانياً. فتكرر الفعل الماضي بصيغة التكلم: (كسرتُ)، (ذبحتُ)، (اقتلعتُ)، (حطمتُ)، كما تكررت جملة (وهذا صحيح). وعليه فقد جاء التركيز في الرسالة على الجانب النفسي للشاعرة من جهة، لهذا فإنَّ الوظيفة التواصلية ههنا انفعالية (تعبيرية). ومن جهة أخرى حاولت الشاعرة محادثة المرأة العربية وإثارة روح الصمود فيها بشكل غير مباشر ولهذا فإن هناك وظيفة ندائية يمكن رصد ملامحها في هذه الأسطر.

المرسل	المرسل إليه	الأداة	الوظيفة	مفهوم الوظيفة
الشاعرة	المرأة العربية- المجتمع الرجولي	التكرار - الكلمات ذات إيحاء يلائم الموقف - دلالة السياق	انفعالية - ندائية	التعبير عما تشعر به الشاعرة من صمود والاعتداد بالنفس - إثارة روح الصمود لدى المرأة العربية

وتقول في قصيدة "رجل تحت الصفر":

«يا هُلاكو هذا العصر/ ارفع عني سيف القهر/ إنَّك رَجُلٌ سوداوي.../ مأساوي/ عدواني/ لست تُفَرِّقُ بين دماي/ وبين نُقاطِ الحبر..» (الصباح، لاتا، الف: ٧)

يتعالى الخطاب الغاضب وتشتد نبرات الرفض لسلطة الرجل في مجتمع يتحاشى عن إقامة العدالة بين الرجل والمرأة ويغض الطرف بكل استهتار عن متطلبات المرأة، مستخدماً القهر والقمع بكل شراسة وعدوانية تجاه الطرف الآخر من الحياة (المرأة) دون وازع. تستحضر الشاعرة سعاد الصباح شخصية هلاكو ليمثل حالة الكبت المخيم والاضطهاد التي كانت تنن المرأة تحت وطأته. والشيء اللافت للنظر أنَّ الشاعرة قامت باستحضار شخصية هلاكو وهي شخصية غير عربية وغير اسلامية بينما كان من الممكن أن يقع اختيارها على شخصية عدوانية شرسة من الموروث العربي أو الاسلامي، ولعلَّ السبب في ذلك أنَّ سعاد الصباح حاولت تسليط الضوء على الهوية السحيقة التي تفصل بين المرأة وبين هذا المجتمع الذكوري المسيطر الذي لا يأبه لدور المرأة ولا يسمح لها أن تقرّر مصيرها ولا يصغي إلى صوتها

المتهدج، حاله حال عدو غاشم أو محتل ظالم لا يبيض قلبه بقطرة من الرحمة، ولا تجمع به بأبناء المجتمع فكرة أو ثقافة أو عاطفة، ولا تربطه بهم جذور الوطن وأصول الدم، كما تصرح الشاعرة سعاد بهذا المعنى في الأسطر الشعرية التالية:

«يا هُلاكو/ليس هناك ما يُجمعنا/لا أشياء القلب/ولا أشياء الفكر/أنت تُحبُّ ثبات البر/وأنا أشرس من سَمَكَةِ البحر/أنت تُمارِسُ فنَّ القتل/وإنِّي أُنقِنُ فنَّ الصبر» (المصدر نفسه)

المعروف في أساليب اللغة العربية أن تكرار حرف النداء (يا) يأتي في كثير من الأحيان للتلذذ ولكننا نشاهد هنا توظيفاً مغايراً لتكرار هذا الحرف إذ استخدم لإفادة معنى التبرم والاستياء المفهوم من كلمة (هلاكو) وهو رمز للعنجهية والقهر كما أن الشاعرة عزت إلى هلاكو زمانها (المجتمع الرجولي) شتى أقسام العار ووصمته بأنواع صفات الشنار. تعالج الشاعرة سعاد قضية حقوق المرأة وسلطة الرجل وهي ظاهرة اجتماعية أثبت أن تتراجع عنها قيد أنملة بل كلّفت نفسها بالتصدّي لها ورفضها:

«يا هُلاكو الأول.../يا هُلاكو الثاني.../يا هُلاكو التاسع والتسعين/لن تُدخِلني بيت الطاعة/فأنا امرأة.../تتفر من أفعال النهي.../وتتفر من أفعال الأمر» (المصدر نفسه)

نستشف في هذه الأسطر تصاعد ثورة الغضب كلما تكرر نداء هلاكو، كما أن هذا التكرار الذي قامت بتصنيفه بدءاً بهلاكو الأول والثاني وانتهاء بهلاكو التاسع والتسعين، يُعطينا صورة من استمرار سلطة الرجل وهيمنة المجتمع رداً من الزمن. وعليه فالوظيفة التواصلية هنا تعبيرية (انفعالية) كونها تعكس حالة الغضب والامتناع والتحدي الموجّه إلى السلطة الغاشمة، وندائية (تنبيهية) لأنها موجّهة إلى المرأة العربية من أجل بث روح الإباء والصمود في سبيل المطالبة بالحرية.

المرسل	المرسل إليه	الأداة	الوظيفة	مفهوم الوظيفة
الشاعرة	المجتمع الذكوري-المرأة العربية	تكرار حرف النداء- استحضار شخصية هلاكو- دلالة السياق	إنفعالية-تنبيهية	إظهار حالة الرفض والغضب-بث روح الإباء والصمود

ثم تقول:

«لا تَتَحَدَّثْ عَنْ إِحْسَائِكَ نَحْوِي/إِنَّكَ آخِرُ مَخْلُوقٍ يَتَعَاطِي الشَّعَرَ.../لَيْسَ هُنَاكَ مَا يُبْقِينِي/إِنَّ شِفَاهَكَ مِثْلَ الشُّوكِ/وَأَنَّ سَرِيرَكَ مِثْلُ الْقَبْرِ» (المصدر نفسه)

تطالعنا سعاد في هذه الأسطر وكأنها امرأة حسيّة تقرأ أمر هذا الرجل المسيطر من أقصاه إلى أقصاه، وتخبر دُخائل أموره، وتعني تماماً أنّ مشاعره جوفاء، وإحساسه خلو من الصدق، وأنّ المرأة عند هذا الرجل ليست إلاّ ألعبة بيده يحاول التصرف فيها كيف يشاء، تستهوي نظره لسويّعات ثمّ يرمي بها غير عابيء بمشاعرها. ولكن على هذه المرأة أن تمتنع عن الرضوخ له، فتعود شاعرتنا إلى استحضار شخصية هلاكو قائلة:

«يا هُلاكو/لا تَتَضَايِقْ مِنْ كَلِمَاتِي/إِنْ أَفْشَيْتُ إِلَيْكَ هَذَا السِّرَّ/إِنِّي فِي حَالِ الْعَلْيَانِ/وَإِنَّكَ رَجُلٌ تَحْتَ الصِّفْرِ» (المصدر نفسه)

يلاحظ أنّ الشاعرة وإن رمزت إلى هذا الرجل المسيطر بـ (هلاكو) وهو اسم يبعث الذعر في النفوس ويزرع الخوف في القلوب، إلا أنّنا نفهم من السياق وكأنّنا أمام هلاكو آخر يستحق الاستعطاف، فهلاكو هذا لا يحرك ساكناً ولا يقيم مائلاً ويتضايق إن أفشي إليه سرّاً. ولعل الشاعرة تحاول أن تتخذ من التهكم وسيلة لتبدأ حرباً نفسية وهو لاشك من أنواع الصمود وفنون المقاومة. وعليه فإنّ الوظيفة التواصلية هنا ندائية إذ انصب اهتمام الرسالة على المخاطب وهو هلاكو زمانها من أجل التأثير فيه.

المرسل	المرسل إليه	الأداة	الوظيفة	مفهوم الوظيفة
الشاعرة	المجتمع الرجولي	التكرار - دلالة السياق	ندائية	إيصال رسالة إلى المخاطب تعبيراً عن صمود الشاعرة وتحريض المرأة العربية على اتّخاذ هذا الموقف المقاوم

٣- المرأة العاشقة:

تقول سعاد الصباح في قصيدة تحت عنوان "يا أكثر من حبيبي":

«عادية.. /كُلَّ التَّعَابِيرِ التي أَقُولُهَا/ عَنْ حُبِّكَ الْعَظِيمِ.. /يا حَبِيبِي./ فَهَلْ هُنَاكَ كَلِمَةٌ ثَانِيَّةٌ؟/ لَمْ يَكْتَشِفْهَا أَحَدٌ/ تُخْرِجُنِي مِنْ وَرْطَتِي/ يَا مَلِكَ الْمُلُوكِ.. /يا أَكْثَرَ مِنْ حَبِيبِي...» (الصباح، لاتا، الف: ٤)

ترسم لنا الشاعرة في هذه الأسطر الشعرية صورة عاشقة هائمة قد شَقَّها الوجد وصهرها في وَهْجِه اللاهب، لا تجد ما يَخْلَصُها من نار الكَلَف، لهذا تلجأ إلى خيالها المَحَلَّق محاولةً منها لوصف معاناتها علَّها تجد بالكلمات متنقِّساً. ولكن أول ردِّ يأتي من الشاعرة نفسها إذ تقرُّ بأنَّ كلَّ التعابير لا يمكن أن تفي بالغرض فتتشد قائلة: «عادية كلَّ التعابير التي أقولها عن حُبِّكَ العظيم». الشيء اللافت للنظر ههنا استخدام الشاعرة لكلمة (العظيم) التي فيها دلالة إلى قداسة شيء مع قدرته وسلطانه، ما يدلُّ على أنَّ هذا الحبَّ شيء مستحسن محبَّب لدى الشاعرة، تتلذَّذ به وتهواه وتتحمَّل مغبَّاته وإن كانت باهظة غير محمودة. ويؤيد هذا القول تكرارُ (يا) الذي لم يكن ههنا حرف نداء فحسب، بل لعب دوراً نفسياً وأدَّى غرضاً بلاغياً عاطفياً؛ إذ جعل الشاعرة تُحسِّ بمحبوبها وكأنَّه ماثل أمامها تتاجيه ويناحيها وتتاديه بصفات مختلفة لتخفِّف من وطأة الألم الذي أثقل قلبها عبر هذا التنفيس العاطفي: «يا حبيبي»، «يا ملك الملوك»، «يا أكثر من حبيبي». إذن الوظيفة التواصلية ههنا لا تكون إلا انفعالية تعكس ما يدور في خلد الشاعرة من عواطف ومشاعر صادقة لا يشوبها كتمان أو مراوغة. إلى ذلك نلاحظ في هذا النصِّ الشعري تقديم الخبر (عادية) على المبتدأ (كلَّ التعابير)، وتكرار كلمة (لماذا) وحرف النداء (يا)، كلَّ هذه الظواهر والأساليب اللغوية عملت على تمهيد الأرضية لتفجير دفعة عاطفية وبلورة الجانب الإنفعالي من هذه الوظيفة التواصلية.

المرسل	المرسل إليه	الأداة	الوظيفة	مفهوم الوظيفة
الشاعرة	الزوج أو الحبيب	تكرار الاستفهام والنداء	انفعالية (تعبيرية)	إظهار المشاعر المشبوبة بالحب

وتقول في قصيدة "إلى واحد لا يُسمَّى":

«أَسْمَيْكَ/رَغَمَ اقْتِنَاعِي بِأَنَّكَ لَسْتَ تُسَمَّى -/(حَبِيبِي)/وَأَعْرِفُ أَنَّ اللُّغَاتِ تَضِيقُ عَلَيَّ/وَأَنَّ قَمِيصِي يَضِيقُ عَلَيَّ/وَأَنَّ جَمِيعَ الْمَعَاجِمِ مِنْ دُونِ جَدْوَى» (المصدر نفسه: ٥)

نشاهد في هذه الأسطر جانباً مختلفاً من شخصية سعاد الصباح وكأنما تقف كلمات الشاعرة على الطرف النقيض لما عهدناه منها وهي تؤنّب الرجال وتتقلب على المجتمع المنحاز المتآمر ضدّ المرأة وحرّيتها، وها هي الآن تغربل أحاسيسها وتفجّر عاطفتها نهراً جارفاً منحدرّاً لتعبّر عن حبّها لرجل عشقته إلى حدّ الجنون إلى الأمير عبدالله المبارك الصباح إما قبل الزواج منه أو بعده. فهل هناك تناقض أو ازدواجية في شخصية الشاعرة سعاد؟ وهل الشاعرة لم تكن صادقة في موقفها الرافض لسلطة الرجل على المرأة؟ أو هل تراوغ وتمثّل في شعورها للرجل الذي تحبّه؟ نحن نعتقد أنّ الشاعرة سعاد صادقة في كلا الموقفين بل هناك وجوه في شخصية سعاد الصباح يجب أن يعبر كلّ منها عن الموقف الذي يناسبه؛ فهي محبة للرجل ومطبعة لأوامره، تؤثره على نفسها وتحتضنه بعاطفتها المتدفقة عندما تنطلق من موقف الحبيبة أو الزوجة أو الأم، وهي مبغضة للرجل ورافضة له عندما يحاول فرض سلطته على الطرف الآخر من الحياة أي المرأة (محمود عبيدات، ٢٠١٢: ٢). ورغم أنّ ظاهر الخطاب يتوجه -بحسب دلالة الصيغ المستخدمة- إلى حبيبها، لكنّ الشاعرة لا تريد أن تثبت لحبيبها مدى الحب الذي تكّنه له، بل تصدر الشاعرة من عاطفة جيّاشة ولوعة صادقة وشعور عفوي يخالغ نفسها، وعليه فالوظيفة التواصلية وهنا انفعالية تعكس إحساس الشاعرة.

المرسل	المرسل إليه	الأداة	الوظيفة	مفهوم الوظيفة
الشاعرة	الحبيب أو الزوج	تكرار كلمة الحبيب - دلالة السياق - استخدام كلمات ذات دلالة	انفعالية	إظهار ما تعانیه الشاعرة من الحب والغرام

لكن لم تلبث هذه العاشقة المستهامة أن عادت إلى موقفها الرافض للرجل الذي يستقبح ويستنكر للمرأة أن تظهر الحبّ والغرام، وتبلغ به أنانيته وعنجهيته إلى أقصى الحدود فيقوم بقمع أحاسيس المرأة ممّا يقوم هذا

الأمر خير دليل على حالة الانطواء في الذات التي كانت تعيشه المرأة في ظل سلطة المجتمع الذكوري الذي رمزت إليه الشاعرة بـ(قريش) و(كليب) قائلة:

«أَسْمِيكَ/رَغَمَ احْتِجَاجِ قُرَيْشٍ/(حَبِيبِي)/وَرَغَمَ احْتِجَاجِ كُلَيْبٍ/(حَبِيبِي)» (الصباح، لاتا، الف: ٥)

تختلف الوظيفة التواصلية وهنا باختلاف موقف الشاعرة من المرأة المحبة لزوجها إلى المرأة الراضية التي تتحدى سلطة المجتمع الذكوري المتمادي في غيّه، وقد لا نتجنب الصواب إذا قلنا إن هناك تداخل بين الوظيفتين التواصليتين الانفعالية والندائية (التبهيية) كما يشي بهذا الأمر اصطدام الحب في البغض وتداخل الغرام بالاحتجاج.

المرسل	المرسل إليه	الأداة	الوظيفة	مفهوم الوظيفة
الشاعرة	الزوج- المجتمع	التكرار-حرف النداء- دلالة السياق	الإنفعالية- الندائية	إظهار حبّ الشاعرة لزوجها بصفاتها حبيبة- إظهار الرفض والتحدى للرجل المسيطر بصفاتها امرأة تطالب بحقوقها وحرّيتها

وتقول سعاد الصباح في قصيدة عنوانها "أعلى شجرة في العالم":

«عِنْدَمَا كُنْتُ طِفْلَهُ.../كُنْتُ أَتَصَوَّرُ أَنَّ الشَّجَرَةَ/هِيَ أَعْلَى مَكَانٍ فِي الْعَالَمِ.../وَعِنْدَمَا أَصْبَحْتُ امْرَأَةً/وَتَسَلَّقْتُ عَلَى كَتْفَيْكَ/عَرَفْتُ أَنَّكَ أَكْثَرُ ارْتِفَاعاً مِنْ كُلِّ الشَّجَرِ.../وَأَنَّ النَّوْمَ بَيْنَ ذِرَاعَيْكَ.../لَذِيذٌ...لَذِيذٌ/كَالنَّوْمِ تَحْتَ ضَوْءِ الْقَمَرِ» (المصدر نفسه: ٢٠)

يبدو أنّ الماضي بالنسبة إلى سعاد الصباح يعتبر نبعاً ثراً من الصور التي تعجّ بالذكريات والخواطر وتعيد إلى ذاكرة الشاعرة كثيراً من المشاعر والعواطف. واتخذت سعاد من الماضي أداة طيعة في خلق صور شعرية ذات إحياء مؤثر. وهذا ما حصل في كثير من أشعارها ويمكن ملاحظة هذا الأمر بوضوح في هذه القصيدة. تنطلق الشاعرة في هذه القصيدة من موقف المرأة الزوجة وما ينتابها من شعور أنثوي تجاه رجل حياتها، من خلال الربط بين الماضي المنصرم والحاضر المعاش، والجمع بين الصور الجميلة التي عفا عليها الزمان وبين المتخيّل الواقعي لتصف زوجها بالسند الذي يحميها والخيمة التي تؤويها

والشجرة الباسقة التي تظللها، فالرجل ههنا هو الزوج الذي يُنسيها كلّ الهوم عندما تقترب حزنه وتتوسد ذراعيه.

يلاحظ في هذه الأسطر أنّ الشاعرة تزجي إحساسها وشعورها نسيماً بليلاً يداعب الخمائل وتهتزّ له أعطاف الزهور وتتجاوب له الطيور ممّا يدلّل على أنّ الشاعرة تمتاح من عاطفة صادقة، وعليه فالرسالة ههنا تحمل الوظيفة التعبيرية والدليل على ذلك أنّ سعاد الشاعرة هي التي أصبحت في دائرة الاهتمام وجاءت الرسالة مركّزة على ما يختلج في خلد الشاعرة من شعور وإحساس.

المرسل	المرسل إليه	الأداة	الوظيفة	مفهوم الوظيفة
الشاعرة	الزوج	دلالة السياق	تعبيرية	وإن كانت الرسالة موجهة إلى الزوج إلا أنّ الشاعرة حاولت التعبير عن مشاعرها وإحساسها الصادق

وفي قصيدة أخرى تتخذ سعاد موقفاً مشابهاً تجاه الرجل الزوج. فهذا الرجل الذي أحبته يعني لها أكبر نعمة في الحياة، يعني لها الهدوء والراحة والسعادة. تعيش بصحبته أجمل الأوقات، وتمضي معه الساعات والأيام دون أن تشعر بالملل:

«أنا في حالة عشق... يا حبيبي/نعمةٌ كبرى بأن أفتح عيني صباحاً/أأرى في جانبي من أناديّه (حبيبي).../نعمةٌ أن أشرب القهوة مابين ذراعيك/وأن أسكن طوال الليل في بستانٍ طيب.../نعمةٌ أن تشعر الأنثى بإنسانٍ يُعطّيها.../ويحميها.../ويُعطيها مفاتيح الغُيوب.../أنا في كلّ لغات الأرض أهواك.../فهل عندك اسمٌ آخر.../غير حبيبي؟؟» (المصدر نفسه: ١٠)

وفي الحقيقة هذه هي المشاعر العفيفة والعاطفة النزيهة والحب المتفاني الذي أودعه الله جلّ وعلا في نفس الأنثى كي تغمر الرجل بهذا العطاء الذي لا ينضب، وتسحّ حنائها مطراً لا ينقطع. أمّا الوظيفة التواصلية لهذه الرسالة فهي تعبيرية إذ المرسل ههنا يشكّل المحور التي تقوم عليه هذه الرسالة، فقد عبّرت الشاعرة عمّا يعتلج في صدرها من مشاعر وأحاسيس.

المرسل	المرسل إليه	الأداة	الوظيفة	مفهوم الوظيفة
الشاعرة	الزوج	السياق - دلالة الكلمات ذات الإيحاء العاطفي	تعبيرية	تعبير الشاعرة عن حبها الصادق لزوجها

وفي موقف آخر ترسم الشاعرة سعاد لوحة رائعة من الحب الصادق والتفاني في الحبيب إلى حدود بعيدة، إذ صوّرت مشهداً وجدانياً حاولت من خلاله إحداث مفارقة جميلة بينها وبين النساء، فعندما يكتبون الآخرون بنار الفارقة، تحترق هي في لهيبه:

«عِنْدَمَا أَوْدَعُكَ فِي الْمَطَار.../وَيَغِيْبُ وَجْهُكَ فِي الْمَجْهُول.../تَنْتَشِرُ رَائِحَةُ حَنِينِي إِلَيْكَ/وَيَشْمُ النَّاسُ فِي قَاعَةِ الْمُسَافِرِينَ/رَائِحَةَ غَرِيبَةٍ.../رَائِحَةَ امْرَأَةٍ تَحْتَرِقُ» (المصدر نفسه: ٢٢)

إنّ تخيل مشهد تودّع فيه المرأة زوجها أو حبيبها المسافرين وهي تذرف الدموع، شيء مألوف، لكن عندما تنتقل الشاعرة مشهد الوداع هذا إلى قاعة الانتظار في المطار حيث مئات النساء يودّعن الأحبة ويذرفن الدموع، ثم تعبّر عن احتراقها بالنار ألباً على هذا الافتراق، يصبح المشهد مؤثراً، ويزداد تأثير هذا المشهد عمقاً أكثر عندما تزعم أنّ رائحة هذا الحريق تنتشر في القاعة فيشّم الناس هذه الرائحة. وعليه فالرسالة تحمل وظيفة الانفعال حيث عمدت الشاعرة سعاد إلى بيان شدّة لوعتها وعبرت عن شعورها العميق تجاه حبيبها (زوجها) فالتركيز ههنا منصب على المرسل أي الشاعرة دون أن ترمي إلى التأثير في المخاطب.

المرسل	المرسل إليه	الأداة	الوظيفة	مفهوم الوظيفة
الشاعرة	الزوج	الصورة الوجدانية المستخدمة - دلالة السياق	التعبيرية (الانفعالية)	التعبير عن شدة الألم بالعاطفة الجياشة

٤ - الحزن والألم:

تقول سعاد الصباح في قصيدة لها تحت عنوان "ليت":

«لَيْتَ أُمِّي سَاعَةَ الْمِيلَادِ كَانَتْ وَأَدَّتَنِي..وَلَدَّتَنِي .. لِأُعَانِي قَدْرِي إِذْ وَلَدَّتَنِي..لَيْتَهَا بَيْنَ رُؤْيِ أَحْلَامِهَا نَشَدَّتَنِي../الْمَآسِي حَطَمْتَنِي..الرِّزَايَا بَدَّدَتَنِي..لَيْتَ رَبِّي حِينَ قَدَّرَ لِي هَذِي الْحَيَاةَ..لَمْ يَضْعِنِي بَشَرًا يَحْمِلُ فِي الْقَلْبِ أَسَاهُ..بَلْ فَرَّشًا فِي الْفَيَافِي أَوْ نَبَاتًا فِي الْفَلَاةِ..لَيْتَهُمْ يَوْمَ زَفَافِي..كَانَ لِلْقَبْرِ زَفَافِي..لَيْتَهُمْ سَلُّوا عُيُونِي.. لَيْتَهُمْ أَنَّهُوَ مَطَافِي» (الصباح، لاتا، الف: ٢٥)

تتوالى حشرات الشاعرة في هذه الأبيات مراراً وتكراراً متمثلة بكلمة (ليت): «لَيْتَ أُمِّي... وَأَدَّتَنِي» و«لَيْتَهَا... نَشَدَّتَنِي» وكأنها آهات تتصاعد من سويداء القلب أو تنهّدات تُطلق المآسي حمماً متناثرة. كما أنّ الكلمات تعبّر بوضوح تامّ عن هذا الفضاء المشحون بالحزن والألم لدى الشاعرة عند قولها: "وَأَدَّتَنِي"، "الرِّزَايَا"، "الْمَآسِي"، "أُعَانِي"، "القبر"...، كلّ هذه الكلمات وما تحمله من طاقات دلالية فائضة تجعل المخاطب يتناغم مع إحساس الشاعرة. وأمّا الوظيفة التواصلية هنا فهي انفعالية (تعبيرية) إذ لم تقصد الشاعرة إلا بيان مشاعرها الذاتية، يفهم ذلك أولاً من سياق الكلام، وثانياً من دلالة بعض الكلمات-كما أشرنا آنفاً-وتكرار كلمة ليت.

المرسل	المرسل إليه	الأداة	الوظيفة	مفهوم الوظيفة
الشاعرة	النفس	تكرار كلمات ذات دلالة حزينة-دلالة السياق	انفعالية (تعبيرية)	إظهار الحزن والتحسّر

وتقول في قصيدة لها تحمل عنوان "أنا والغيب":

«كَيْفَ يَا قَلْبُ تَقَرَّدْتَ بِالْوَانِ الْعَذَابِ؟/وَأَحْتَمَلْتَ الْعَيْشَ مُرًّا وَشَرِبْتَ الْكَأْسَ صَاب../لِمَاذَا أَوْصَدَ الْغَيْبُ بِوَجْهِي كُلِّ بَابٍ؟/وَسَقَانِي الْهَمَّ وَاللَّوْعَةَ مِنْ غَيْرِ حِسَاب../رَبِّي.. غُفْرَانُكَ إِنْ كُنْتُ تَجَاوَزْتُ الصَّوَاب../وَأَسَأْتُ الظَّنَّ بِالْغَيْبِ وَأَخْطَأْتُ الْخَطَاب../يَا إِلَهِي.. هَلْ قَضَى أَمْرُكَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ؟/أَنْ أَرَى أَحْلَامَ عُمْرِي فِي رُؤْيِ الْوَهْمِ سَرَاب!/وَأَمَانِي نُجُومًا تَائِهَاتٍ فِي السَّحَاب!/أَكْذَا يَنْتَحِرُ الْعُمْرُ وَيَنْفُضُ الشَّبَابُ؟/وَأَرَى قَلْبِي الَّذِي مَازَالَ كَالْبُرْعَمِ شَاب!/وَأُخِيالَاتِي عَلَى الْأَيَّامِ تَهْوِي كَالشَّهَاب!/يَا إِلَهِي.. كَمْ أُنَادِيكَ فَهَلْ لِي مِنْ جَوَاب؟» (الصباح، لاتا، الف: ٢٦)

و في قصيدة "أمطري يا سماء" حيث تقول:

«أَجَلْ . أمْطري يا سَماءَ/فَمَأسائُنَا في اللَّيالي سَواءَ/أَجَلْ . ارعدي . اسمعيني صدى أساتي/فإنِّي فَقَدْتُ
الرَّجاءَ../أَجَلْ . حَطَمِي كُلَّ شَيْءٍ هُنا/أَجَلْ . أمطري دَوِّبيني أَسَى../أَجَلْ أمطري.. زَلْزلي الكَوْنَ/إِنَّ بَقْلِي
زَلْزَلْ هَوْجاءَ تُلَبِّي النِّداءَ/وَأَمْسَيْتُ أَشْتاقُ حِضْنَ الفَناءَ../كَرِهْتُ الحَياءَ وَمَا في الحَياءِ/كَرِهْتُ الصِّداقَةَ
وَالأَصْدِقاءَ.../أَجَلْ أمطري . هاتي سُيولَكَ/وَحُذِني بِسَيْلِكَ قَطْرَةَ ماءَ.» (الصباح، لاتا، الف: ٢٦-٢٧)

يبلغ الحزن والأسى ذروته لدى الشاعرة في هذه الأبيات وتتبو بها الحال إلى أقصى درجات الاستياء، فتقرّ نفسها عن كلّ شيء في هذه الحياة، ولم تعدّ تسعد بصحبة الأصدقاء ولم يعدّ يستهوي نظرها أي شيء من جمال الطبيعة، وكأنّني بها تريد أن تضمدّ جراح نفسها بعلاج اليأس والخيبة بدل أن تُحيي في نفسها ميّت الأمل: «وَأَمْسَيْتُ أَشْتاقُ حِضْنَ الفَناءَ../كَرِهْتُ الحَياءَ وَمَا في الحَياءِ/كَرِهْتُ الصِّداقَةَ
وَالأَصْدِقاءَ...» تجعل الشاعرة من السماء مخاطباً وهمياً وتدعوها بأن تهطل أمطارها فتحطم كلّ شيء وتُذيبها حزناً وأسى. ولكن موقف الشاعرة هذا يثير شيئاً من الدهشة والاستغراب والتساؤل حول سبب اختيارها المطر لتحطيم كلّ شيء؟! لماذا لم تختار بلاءً طبيعياً آخر ليحلّ بها ويقضي عليها؟ إذ إنّ المعروف لدى الشعراء أنّهم اتخذوا من المطر مبعث إلهام لما تعنيه كلمة المطر من مفاهيم ودلالات كالبركة والخير وما تبعثه من حيوية وأمل في نفوسهم، لاسيّما في البيئة العربية التي تتّصف جغرافياً بقساوة الأرض وجفاف رقعتها غالباً.

نعتقد أنّ الشاعرة استخدمت السماء والمطر مجازاً إذ كانت تعني بالسماء القضاء والقدر كما أنّها قصدت بالمطر المكارة والمصائب التي حلّت بساحتها وحالت دون آمالها وأمانيتها، فرمزت إلى هذين المفهومين بمعناهما البعيدين حتّى لا يؤخذ عليها ذلك. نلاحظ في هذا النصّ أنّ الشاعرة عكست همومها ومآسيها، مستخدمة أسلوب التكرار وذلك في كلمة (أجل)، وتكرار صيغ فعل الأمر نحو (أمطري)، و(اسمعيني)، و(زلزلي)، وكذلك كثرة استخدامها لكلمات ذات إيحاء نفسي نحو: (الأسى، المأساة، حطمي، زلزي،

ذوّبي، الفناء) من أجل التعبير عما يخالجه من الحزن والكمد المبرح أو بثّ ما تعانيه من هول وفزع، وعليه فالوظيفة التي يؤديها هذا النص إنفعالية.

المرسل	المرسل إليه	الأداة	الوظيفة	مفهوم الوظيفة
الشاعرة	نفس الشاعرة-الله جلّ وعلا	التكرار-كلمات ذات إيقاع نفسي ودلالات عاطفية	إنفعالية (تعبيرية)	إظهار الحزن والمعاناة وبثّ الشكوى

وتقول في قصيدة عنوانها: "قلمي":

«قَلَمِي بِلِسْمِ هَمِّي وَضَمَادٍ لِأَنِينِي../يَبْعُثُ النَشْوَةَ وَالْأَمَالَ فِي قَلْبِي الْحَزِينِ../قَلَمِي يَا وَلَدِي الرُّوحِي يَا أَحْلَى عَطَاءٍ../قَلَمِي يَا رَاحَةَ نَفْسِي وَيَا لَمَحَ السَّمَاءِ../قَلَمِي أَنْتَ صَدِيقُ الْعُمْرِ يَا نِعَمَ الصَّدِيقِ../أَنْتَ لِي خَيْرُ رَفِيقٍ أَيْنَمَا عَزَّ الرَّفِيقُ../أَنْتَ الْفِعْلُ يَجْرِي صَعْدًا فِي كَلِمَاتِي../أَنْتَ مَنْ تَعْرِفُ آلَمِي وَأَسْرَارَ حَيَاتِي../يَا أَمِينَ الْعَهْدِ كَالْأَبْرَارِ وَالرُّسُلِ الْهُدَاةِ../يَا مَلَاكَ يَغْمُرُ النَّفْسَ بِقَيْضِ الرَّحْمَاتِ/قُلْ لِمَنْ كَانَ بِالْمُنَى يَلْقَانِي.../وَيُعْنِي بِالْبَشْرِ حِينَ يَرَانِي.../كَيْفَ بِاللَّهِ غَيَّرْتَهُ اللَّيَالِي؟/قَطَوَانِي فِي غَمْرَةِ النَّسِيَانِ!/شَغَلْتَهُ شَوَاغِلُ الدَّهْرِ عَنِّي.../بَعْدَ أَنْ كُنْتُ حُبَّهُ الْفَانِي.../أَيْنَ شَوْقُ الْهُوَى وَهَمْسُ الْأَمَانِي؟/إِنَّمَا يَرْتَوِي الْأَزَاهِرُ بِالْمَاءِ كَمَا يَرْتَوِي الْهُوَى بِالْحَنَانِ» (الصباح، لاتا، الف: ٢٧)

تصوّر لنا الشاعرة في هذا النصّ الشعري مشهداً حافلاً بالحزن والكآبة. نتبين مدى هذا الحزن الممض الذي أخذ يسري في عروقها ويدبّ في شرايينها، في مخاطبتها لقلمها الذي جعلت منه انساناً يعي ما تقول ويستمع إلى ما تشكو ويعرف آلامها ويلازمها طيلة حياتها ويتفاعل معها. ونحن نرى أنّ النصّ ههنا خلوّ من أيّ مخاطب وإنما أرادت الشاعرة أن تبثّ همومها المتكدّسة وتشكو أحزانها المتراكمة عبر كوّة، فاختلفت لذلك مخاطباً وهمياً وهو القلم، وقامت بهذا النوع من التشخيص والتجسيد من أجل تعميق الإحساس والشعور بالحزن. استخدمت سعاد الصباح إلى ذلك من أساليب اللغة العربية ما يحمل شحنة

عاطفية ويفجّر طاقات موحية كتكرار الضمير (أنت) وحرف النداء (يا) وأدوات الاستفهام نحو: (كيف) و(أين).

المرسل	المرسل إليه	الأداة	الوظيفة	مفهوم الوظيفة
الشاعرة	القلم	تكرار الضمير وحروف النداء والاستفهام	إنفعالية	بثّ الهموم المتكدّسة والأحزان المتراكمة

الخاتمة:

١- طغت الوظيفة الندائية (التعبيرية) على أغلب قصائد هذا الديوان، ويقوم هذا الأمر خير دليل على أنّ الشاعرة فرضت شخصيتها على خطابها الشعري إذ إنّ شعرها مملوء بهواجس ذاتية وطموحات وآمال شخصية.

٢- رغم انطواء الشاعرة على ذاتها وتعبيرها في أغلب الأحيان عن مشاعرها الفردية إلا أنّ الشاعرة نجحت في مزج هذا النوع من المشاعر وصهرها في قضايا اجتماعية ذات صلة بالمرأة العربية ما جعل شعرها أكثر تأثيراً.

٣- إنّ الوظيفة التعبيرية وإن كان المرسل هو المحور الرئيس فيها، ولكن قد ترتبط ببعض الوظائف الأخرى كالوظيفة الندائية، أي يمكن للنص أن يمثل وظيفتين في آنٍ واحد ضمن عملية التواصل.

٤- يمكننا القول أنّ الوظائف التواصلية في هذا الديوان لم تقتصر على الوظيفة التعبيرية، بل هناك وظيفة أخرى لا يمكن التحاشي عنها وهي الوظيفة الندائية رغم أنّنا لانستطيع رصد ملامحها الغائبة في ديوان (في البدء كانت الأنثى)، بيد أنّ النص الشعري يصبح عقيماً بدونها، لأنّ الشعر يجب أن تكون له رسالة موجّهة للمخاطب.

المراجع:

- أحمد محمود محمد، زين العابدين، (٢٠٢٠)، جماليات الموت في شعر سعاد الصباح دراسة في النمط والتشكيل، ديوان إليك يا ولدي نموذجاً، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا-جامعة الأزهر، العدد ٢٤، الجزء ١، مصر، صص ٤٢٨-٥١٨
- امين مقدسي، أبو الحسن؛ والياسي، حسين؛ (٢٠١٧)، قراءة في قصيدة مدينة سندباد لبدر شاكر السياب في ضوء نظرية رومان جاكبسون، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية جامعة بابل العراقية، العدد ٣٢، صص ١٢٧-١٣٨
- الأمين، فضل، (١٩٩٤)، سعاد الصباح شاعرة الانتماء الحميم، بيروت: شركة النور
- أوكان، عمر، (د.ت)، اللسانيات والتواصل، عبر موقع محمد عابد الجابري وعنوانه: http://www.aljabriabed.net/n36_08ucan.htm
- بدوح، حسن، (٢٠١٢)، المحاور مقارنة تداولية، ط١، إربد الأردن: عالم الكتب الحديث
- بوحوش، رابع (لاتا)، «الخطاب والخطاب الأدبي وثورته اللغوية على ضوء اللسانيات وعلم النص»، مجلة اللغة والأدب.
- بوقرة، نعمان، (٢٠٠٣)، المدارس اللسانية المعاصرة، ط١، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة
- بومزبر، طاهر، (٢٠٠٧)، التواصل اللساني والشعرية مقارنة تحليلية لنظرية جاكبسون، ط١، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- بياجيه، جان (١٩٨٠)، «البنوية»، ترجمة: عارف منيمة وبشير أوبري، ط٢، بيروت: منشورات عويدات.
- پیرانی شال، علي؛ وفلاحتي، صغری؛ ناعمی، زهره؛ خرمان، فاطمة؛ (١٣٩٩ش)، استعارة الزمن المفهومية وتصاميمها التصويرية في أشعار سعاد الصباح، "الشعر والنثر لك وحدك" أنموذجاً، دراسات الأدب المعاصر، السنة ١٢، العدد ٤٥، صص ٩٥-١٢٤
- التميمي، الهه، وپیرانی شال، علي؛ (٢٠١٨)، توظيف اللون في شعر سعاد الصباح وفقاً لنظرية ماكس لوشر، مجلة آداب الكوفة، المجلد ١، العدد ٣٧، صص ٦٥٥-٦٨٤
- جاكبسون، رومان (١٩٩٨)، «قضايا الشعرية»، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنوز، الدار البيضاء: دار توبقال.

- حبيبي، علي أصغر؛ وشكيباي، ليلا؛ وشمشيري، وحيد؛ (١٣٩٤ش)، واكاوي تطبيقي مضامين شعري سعاد الصباح وپروين اعتصامي، براساس مكتب ادبيات تطبيقي اروپاي شرقي، مجلة لسان مبین (بحوث الأدب العربي)، السنة ٦، العدد ٢٠، صص ٦٧-٩٣
- حساني، أحمد (٢٠١٣)، «مباحث في اللسانيات»، ط٢، دبي، منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية.
- خلف، فاضل، (١٩٩٢)، سعاد الصباح الشعر والشاعرة، الكويت: منشورات شركة النور.
- الذبحاوي، علي جواد؛ وطهالبشير، بشرى محمد، (٢٠١٨)، نظرية التواصل اللساني المفهوم والرؤية؛ مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية بجامعة بابل العراقية، العدد ٣٨، صص ١٧١٨-١٧٣٢
- ذوالقدر، فاطمة، (٢٠١٠)، التناص الديني في أدب المرأة الكويتية، شعر سعاد الصباح نموذجاً، مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد ١٦، صص ١٥-٣٢
- رايص، نور الدين (٢٠٠٧)، نظرية التواصل واللسانيات الحديثة، فاس: مطبعة ساس.
- رايص، نورالدين، (٢٠١٤)، اللسانيات المعاصرة في ضوء نظرية التواصل، ط١، إربد الأردن: عالم الكتب الحديث
- رضائي، رمضان؛ قهرماني، علي، قهرمانپور، معصومه؛ (١٣٩٨ش)، «بررسی تطبیقی تصویر دگرجنسیتی از منظر سیمین بهبهانی وسعاد الصباح»، مجلة بحوث الأدب المقارن، جامعة رازي کرمانشاه الإيرانية، السنة ٩، العدد ٣، صص ٢٣-٤٢
- روشنفکر، کبری؛ وبروين، نورالدين؛ ودسب، علي؛ (٢٠١٢)، جامعهشناسي تطبیقي زبان شعري در مرثیههاي ابن رومي وسعاد الصباح با توجه به متغیر جنسیت، مجلة بحوث في الأدب المقارن، جامعة رازي کرمانشاه الإيرانية، السنة ٢، العدد ٥، صص ٥٣-٨١
- سامسون، جفري، (١٩٩٤)، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ترجمة: محمد زياد كبة، المملكة العربية السعودية: منشورات جامعة الملك سعود.
- سرحان، مكي، (١٩٩٩)، الدكتوراة سعاد الصباح، ط١، بيروت: المؤسسة العربية للنشر والإعلان.
- السعاد، صباح(لاتا، الف)، ديوان في البدء كانت الأنثى.
- سعود البابطين، عبدالعزيز، (د.ت)، معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، المجلد ٢، الكويت، مؤسسة سعود البابطين للإبداع الشعري.
- الشهري، عبدالهادي بن ظافر، (٢٠٠٤)، استراتيجية الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ط١، بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة

- الصباح، سعاد، (١٩٩١)، القصيدة أنثى وأنثى القصيدة، الكويت: دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع
- الصباح، سعاد، (٢٠٠٥)، والورود تعرف الغضب، ط١، الكويت: دار الصباح للطباعة والنشر.
- الصباح، سعاد، (لاتا، ب)، امرأة بلا سواحل، الكويت: دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع
- طالب الإبراهيمي، خولة (٢٠٠٦)، مبادئ اللسانيات، ط٢، الجزائر: دار القصة للنشر.
- الطبال بركة، فاطمة (١٩٩٣)، النظرية الأسنوية عند رومان جاكسون دراسة وتصور، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
- الطبال بركة، فاطمة، (١٩٩٣)، النظرية الأسنوية عند رومان جاكسون دراسة ونصوص، ط١، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات.
- عبدة شيلي، ليلي، (٢٠١٦)، الانتماء وطبيعة التشكيل الرومانسي في شعر سعاد الصباح، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، المجلد الأول، العدد ٣٢، صص ٤٢١-٤٦٩
- الغزالي، عبدالقادر، (٢٠٠٣)، اللسانيات ونظرية التواصل رومان جاكسون نموذجاً، ط١، اللاذقية سوريا: دار الحوار.
- فسقر، حجت اله؛ اكبري، سهيلا، (٢٠١٦م)، «دراسة الرومانسية الاجتماعية في أشعار سعاد الصباح وسيمين بهبهاني، دراسة مقارنة»، مجلة بحوث في الأدب المقارن، جامعة رازي كرمانشاه الإيرانية، السنة ٦، العدد ٢٣، صص ٨٥-١٠٧
- فوزي، مفيد، (٢٠٠٠)، مفاتيح قلب شاعرة: لقاء مع سعاد الصباح، بيروت: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- كنوش المصطفى، عواطف، (٢٠٠٧)، الدلالة السياقية عند اللغويين، ط١، لندن: دار السياب
- گل مغاني زاده، فرحان؛ وكريمي فرد، غلامرضا؛ وبستاني، قاسم؛ وآبدانان مهديزاده، محمود، (١٤٤١ق)، عوارض التركيب في بناء الجملة العربية؛ دراسة بلاغية وصفية في القرآن الكريم في ضوء نظرية التواصل لرومان جاكسون، مجلة اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران برديس فارابي قم، السنة ١٥، العدد ٤، صص ٥٩١-٦١٢
- مبارك، محمدرضا، (١٩٩٩)، استقبال النص عند العرب، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر
- محمدي، مجيد؛ وملكي، افسانة، (١٣٩٦ش)، زيبايي شناسي معنایي اشعار سعاد الصباح وژاله فراهاني با محوریت زن وعواطف زنانه، مجلة زن وفرهنگ، جامعة طهران، السنة ٩، العدد ٣٣، صص ٦٥-٧٧
- محمود عبيدات، عدنان؛ ومحمود عبيدات، زهير، (٢٠١٢)، سعاد الصباح البدوية العاشقة؛ قراءة في ديوانها والورود تعرف الغضب، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٨، العدد ٤٣، صص ١٨٥-٢١٧
- مرتاض، عبدالجليل، (٢٠٠٠)، اللغة والتواصل؛ اقتراحات لسانية للتواصلين: الشفهي والكتابي، الجزائر: دار هومة.

- المسدي، عبدالسلام (١٩٩٥)، قضية البنيوية دراسة ونماذج، تونس: دار الجنوب للنشر.
- مؤمن، أحمد (٢٠٠٥)، اللسانيات نشأة وتطور، ط٢، الجزائر: ديوان المطبوعات الجزائرية.
- النسور، تيسير رجب، (٢٠٠١)، البناء اللغوي والفني في شعر سعاد الصباح، رسالة ماجستير، الأردن: قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة اليرموك.

أنماط المساحات النصية للأسماء التراثية ديوان ما دونته نور على خد العذراء أنموذجاً

م.د. علي صادق جعفر
كلية الزراعة/ جامعة الكوفة

المقدمة:

ينبغي على الشاعر أن لا يحشد في نصه اللغة الدالة، القريبة، الحاضرة في ذهنه، بل يتوقف طويلاً عند الألفاظ، يتأملها وينقيها، ثم يعيد تشكيلها وصوغها بما يتناسب مع الدلالة الوجدانية لا الاتصالية، وقد يغير من أبعاد صياغتها فنياً، وقد يحطم من نسقها ليخلق لنفسه نمطاً جديداً يحقق رغبته ورغبة جمهوره في المتعة الفنية المتوقعة من إبداعه، فمن أهم خصائص التعبير الشعري أنه تعبير بالصورة، يمتاز بدقة تحديده للتجارب ومفرداتها، وييسر له ذلك قدرته على التحدث بلغة مرئية مشخصة، تكاد تعادل حدوث الأشياء والتجارب ذاتها، بما يحقق له القدرة على استيعاب الحياة من حوله.

فالقصيدة الجيدة بدورها صورة، والصورة هي التي تكسب الشعر قدرته على التأثير والتجاوز، كما تمنحه ميزة تجاوز محاولات شرحه وتحليله، فضلاً عن إعادة تركيبه بعبارات نثرية، وإن حاولت الحفاظ على المعنى (١)، فيقبض الشاعر بوساطتها على المعاني الكثيرة، والأسئلة الكبرى، والمساحات التي لا حُدَّ لاتساعها في وجدان المتلقي، ويحشدها في بضعة أسطر، فالشعر الحديث يمتاز بتشكله من أسراب من الصور المترابكة التي يصعب علينا أن لا نحكم بنهاية إحداها وبداية الأخرى؛ ويبرر (كولردج) ذلك بأن الشاعر يرى أن هدفه الرئيس وأعظم خاصية لفنه هو الصورة الجديدة المؤثرة (٢)، وهو رأي صدق على الشعر في عصر (كولردج) ويصدق على الشعر حتى اليوم، وللصورة اليوم أثر أهم مما كانت عليه بالأمس. فشاعر العصر الحديث قد "وجد نفسه ووعى ذاته، واعتز بكرامة عقله، وفكره ولسانه، فلم يساوم عليها في سوق النفعية والنفاق، فبلغ الذاتية الاجتماعية حين نطق بلسان الجماعة، وتمرد نيابة عنها على

الطغيان والنفاق والرق المادي والمعنوي، وضرب لنا مثلاً فذاً رائعاً في الالتزام في الأدب، ورسالة الأديب الذي لا يفقد وعيه في دوامة الأبصار، ولا يخطئ طريقه في دواجي الظلمات، ولا تغفل عينه والناس نيام" (٣) .

إنّ دراسة ذلك الأثر وتلك الوظيفة اللذين تضطلع بهما الصورة الفنية في الشعر بمقدورهما أن يلقيا من الضوء على الشعر ما لا تلقيه دراسة أي جانب آخر من عناصره؛ فالصورة كما يراها (سي دي لويس) في كتابه "الصورة الشعرية" هي العنصر الثابت في الشعر كله، وكل قصيدة إنّما هي في ذاتها صورة. (٤) ويفسر ذلك بقوله: إنّ الاتجاهات تجيء وتذهب، والأسلوب يتغير، وأنماطاً لأوزان تتبدل، ولكن التعبير بالصورة هو الخاصية الأساسية منذ تكلم الإنسان البدائي شعراً. ولعل هذا الرأي يستند إلى أن المجاز هو اللغة الإنسانية الأولى، وهو الرأي الذي ألحت عليها الدراسات النقدية منذ قرر (أرسطو) أن الاستعارة أعظم أسلوب، لأنها وحدها هي "آية الموهبة" (٥)، وفي الثقافة العربية منذ أن رأى (الجاحظ) أن الشعر " صياغة (أو صناعة) وضرب من النسج وجنس من التصوير" (٦). فالتصوير كما يرى (أرسطو) صورة متسامية عن الحقيقة، وإذا لم يطابق التصوير الحقيقة، فذلك أن الشاعر إنما مثل الأشياء كما ينبغي أن تكون، كما كان (سوفوكليس) يقول: "إنه يصور الناس كما ينبغي أن يكونوا، في حين أنّ (أوريبيدس) يصورهم كما هم" (٧).

انطلاقاً ممّا تقدم، يحق لنا أن نطرح السؤال التالي: ما أنماط المساحات النصية للأسماء التراثية الموظفة داخل النص؟ ومن ثمّ ما أبعاد وحدود المساحات النصية للأسماء التراثية المستدعاة في ديوان "ما دونته نور على خد العذراء"؟

المساحات النصية:

تُقسم المساحات النصية الموظفة من جهة الأعلام التراثية في النص الأدبي على أقسامٍ عدة منها:
أولاً : الشخصية المستدعاة، التي تشغل جزءاً من النص .

ثانياً: الشخصية المستدعاة ،التي تشغل محور النص(٨). وهذا يعني أنَّ الصورة الموظفة والمستدعاة من الأديب مهما كان جنسها ونوعها ستكون إمّا صورة كلية أوصورة جزئية،أو مركبة من صورٍ جزئية وكلية ومن ثمَّ فالمساحة التي ستشغلها تلك الصوري: إما مساحة جزئية من النص أو مساحة كلية .
أولاً : المساحات النصية الجزئية:

تقسم المساحة الجزئية التي تشغلها الشخصيات المستدعاة إلى النص على:

١-الجزء المحصور داخل حركة واحدة من النص .

٢- جزء محصور مندمج في النص .

٣-جزء محصور مستقل بعنوان فرعي.(٩)

ولا بدّ من التفريق بين أنماط الصور الموظفة التي تشغل مساحة جزئية من النص وبين أبعادها وحدودها، من جهة أنَّ الجزء المحصور داخل حركة واحدة من النص، ينقسم على:

أ- جزء محصور عن صورة جزئية في أول النص.

ب- وجزء محصور مندمج في النص وجزء محصور مستقل بعنوان فرعي.

إنَّ المساحات النصية الجزئية التي توظف الشخصيات التراثية تنقسم على قسمين فهي إمّا أن تكون:

أ- صورة جزئية من النص.

ب- أو محوراً مساعداً .

إنَّ الشخصية المستدعاة كمحور مساعد تتماز عن الشخصية الموظفة كجزء من النص في أنَّها تمتد خلال أكثر من حركة واحدة داخل القصيدة. وتختلف أيضاً عن المساحة النصية لتوظيف الشخصية التراثية المستدعاة بوصفها محوراً للنص في أنَّها لا تظهر في كل حركات القصيدة ولا تمثل بؤرة اهتمام الشاعر الرئيسة إذ تعد الشخصية التراثية المُستدعاة في هذا النسق محوراً مساعداً لشخص آخر،أو لحادثة أو لفكرة،تقع في بؤرة اهتمام النص(١٠).

ثانياً: المساحات النصية الكلية :

تُقسم الأسماء التراثية المستدعاة في النصوص التي تشغل مساحات نصية كلية من الناحية الفنية على قسمين رئيسيين، انطلاقاً من صوت المتكلم في سياق النص الأدبي هما :

أولاً: أن يكون الراوي هو صوت الشخصية التراثية نفسها .

ثانياً: أن يكون هو صوت الشاعر .

هذا من جهة الراوي ،أمّا من جهة صوت الشاعر فيكون على قسمين وفقاً لتوجهات الخطاب هما:

أولاً: أن يتوجه بالخطاب إلى عامة القراء، وبذا يكون النص حديثاً عن الشخصية.

ثانياً: أن يتوجه بالخطاب إلى الشخصية التراثية ذاتها فيكون النص حديثاً إلى الشخصية.(١١)

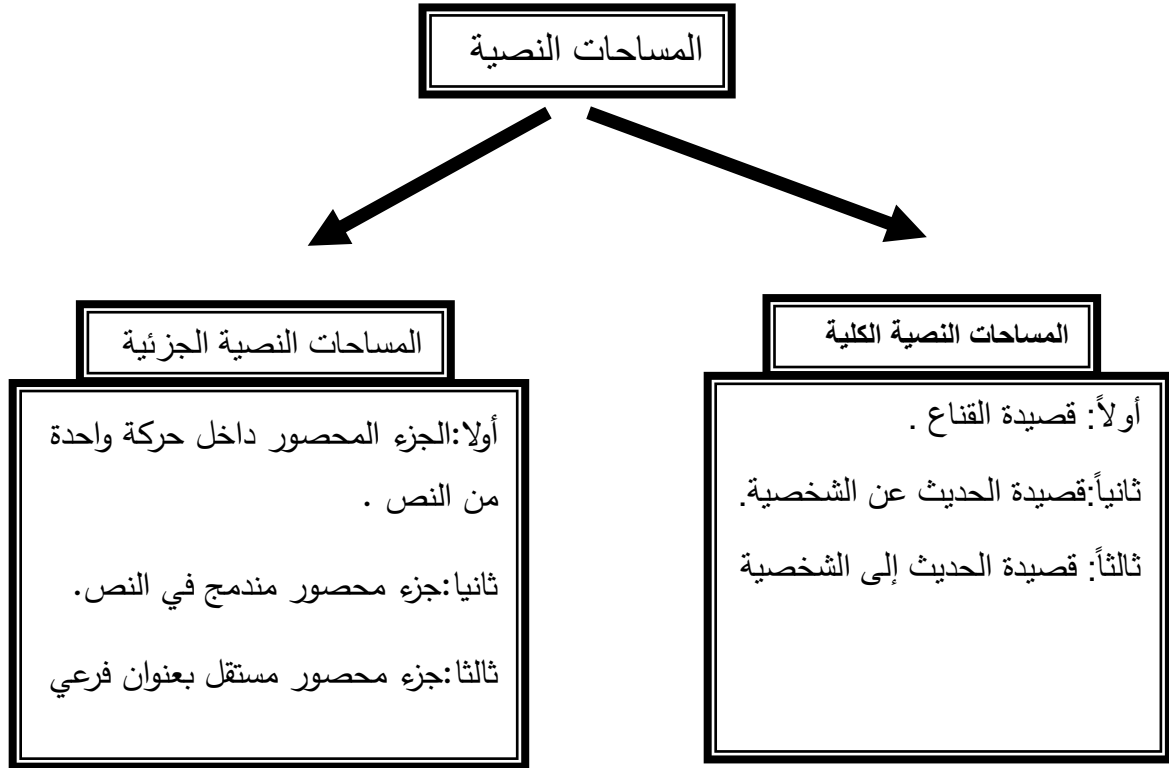
من ذلك نخلص إلى أن الأسماء التراثية التي تشغل مساحات كلية من النص التي تمثل شخصياتها محور القصيدة تكون على ثلاثة أنواع هي :

أولاً: قصيدة القناع .

ثانياً : قصيدة الحديث عن الشخصية.

ثالثاً : قصيدة الحديث الى الشخصية(١٢).

والمخطط الآتي يبين لنا أنماط المساحات النصية:



شكل رقم (١)

بعد العرض النظري ننتقل إلى ديوان "ما دونته نور على خد العذراء" لبيان أنواع المساحات النصية التي صنعها الشاعر من توظيفه للأسماء التراثية التي تمّ استدعائها:

أولاً: المساحات الجزئية:

نجد الشاعر صباح عنوز في خلق صورة حركية من خلال التوظيف الجزئي للشخصيات التراثية المستدعاة، ولبيان أثر التوظيف الذي قام به الشاعر لا بُد من بيان الكيفية التي يتم من خلالها ذلك التوظيف، ومن ثم بيان أثره.

١- آلية التوظيف بوساطة عملية الاستدعاء (١٣).

يقوم الشاعر أو الأديب من خلال مخزونه الجمعي المكون من مجموع تجاربه الثقافية، والدينية، والاجتماعية، وتجارب الحياة الأخرى في الإفادة من التراث وصوره المتنوعة كما ونوعاً وسبيل الشاعر إلى ذلك مجموعة من الآليات منها: استدعاء الأعلام التراثية .

٢- توظيف العلم التراثي المستدعاة توظيفاً أساسه رؤية الشاعر أو الأديب، لخلق صورة جديدة يتواصل بها مع الآخر من خلال الصورة التي يعمل الشاعر على صناعتها بإطار يفرض على المتلقي الاتجاه نحوه وتعطيل جميع الصور الأخرى التي يمكن للمتلقي أن يتصورها أو يتأولها للعلم التراثي المستدعاة ، ولا فارق في ذلك العمل في التوظيف الجزئي أو الكلي (١٤) .

ولبيان تلك الآلية على سبيل الاستقصاء نأخذ الأعلام التراثية : الإمام علي (ع)، عنترة العبسي... الخ. إنَّ استدعاء شخصية الإمام علي (ع) في أي نص تجد الغرض منه يختلف من نص إلى آخر ، الاختلاف هذا سببه توظيف الشاعر لجزئية من جزئيات الشخصية المستدعاة نحو: استدعاء صورة الشجاعة والفروسية فقط وتخدير باقي صور الشخصية الأخرى ، وفي نص آخر يتم تخدير جميع الصور وإظهار صورة العدل ، وهكذا تعمل آلية الاستدعاء في كافة أنواع النصوص الأدبية.

ومن صور الاستدعاء للأعلام التراثية في ديوان (ما دونته نور على خد العذراء) نجد الشاعر وظف شخصية الإمام علي (ع) وعنترة العبسي وشغل بهما مساحة جزئية في قصيدة (سفوح الكلمات والدمع النازل) (١٥) ، و(صور في ذاكرة الظل) (١٦) ، يقول الشاعر في قصيدته (سفوح الكلمات والدمع النازل):

قال الإمام علي (غ):

(أيها الناس كل امرئٍ لاقٍ ما يفر في فراره والأجل مساقُ النفس).

نلاحظ في بداية القصيدة قيام الشاعر باستدعائه للعلم التراثي-الرمز الديني- الإمام علي (غ) وتوظيفه في النص الشعري من خلال آلية الاستدعاء بوساطة القول، فالشاعر بوساطة قول الإمام علي (غ) عمل على تخدير جميع ما تحمله هذه الشخصية الفذة من إحياء وتوجيه المتلقي حول صفات هذه الشخصية على المستوى الثقافي والديني والاجتماعي والأخلاقي والعسكري... الخ، ومن ثم توجيه المتلقي وتحديد بقوله (غ) في فهمه وتأويله للنص من خلال ما يطرحه قول الإمام (غ) من حكمة وبلاغة، وكأنَّ الشاعر علق سفوح كلماته بحكمة الإمام علي (غ) وعلى الرغم من قلق الشاعر ومعاناته ودورانه في دائرة الغربة والمعاناة بين ذاته من جهة وبين واقعه الذي يعيش فيه ينبجس قول الإمام (غ) ليقود تجربة الشاعر إلى الاطمئنان بعد معاناة وصراع وألم .

ونجد الأمر نفسه في قصيدة (صور في ذاكرة الظل)، من خلال استدعائه للعلم التراثي (عنتره العبسي)، يقول الشاعر:

وأي سرور تمسك نفسك وتشيد فيها عنتره العبسي:

ثم تهاوى في الأفق رحاب فضي

كشر عن نابيه الغيب

نلاحظ قيام الشاعر باستدعاء العلم التراثي في قصيدته مرة واحدة، وكأنَّ الشاعر يُريد تشبيه نفسه بـ(عنتره العبسي)، فكلاهما تعرض لخيبة الأمل، فـ(عنتره العبسي) خاب أمله في قومه، والشاعر في واقعه الذي وقف أمام تحقيق أحلامه، يقول الشاعر (١٧):

(والعاصفة الخرسى تغزر اظفارها رعونتها في وقتي المتجمع تحت حوافر قلقي)

نجد في هذا السطر الشعري، وضوح قسوة الألفاظ التي صاغها الشاعر، فالعاصف خرساء رعناء تغرز أظفارها، والقلق صار له حوافر، كما نجد فيه المجاز الذي استعمله الشاعر في صناعة صوره عن طريق التشبيه الذي يسهم في صنع إطار يظهر عمق المعنى .

ثانياً: المساحات النصية الكلية.

وتبين للبحث أنّ الشاعر صباح عنوز وظف أنماط المساحات النصية الكلية الثلاثة في نصوص ديوانه - وإن كانت بنسب متفاوتة - وتلاحظ براعة هذا التوظيف جليا في العديد من القصائد، نذكر منها على سبيل الاستقصاء:

أ- قصيدة القناع .

من الأمثلة على هذا النوع من القصائد قصيدة " يوميات نجم البقال" (١٨) ، هذا النص الذي سحب زمن (نجم البقال) إلى زمن الشاعر الذي وظف فيها الجانب القصصي داخل النص ، ولابدّ من الإشارة إلى أسلوب الشاعر وبراعته في استدعاء (نجم البقال) في العنوان وعقد المفارقة بين عصر (نجم البقال) وعصر (صباح عنوز) ، وقد استعمل الشاعر القناع بشكل واضح في القصيدة من خلال دلالة الأسماء ومنها على سبيل الاستقصاء لا الحصر:

- نجم البقال: بوصفه رمزا للثورة والنضال.
- الحلم: بوصفه رمزا لحالة اللاوعي التي تعيشها القصيدة ، ويعيشها البلد.
- الباب: بوصفه رمزا للوطن.
- الانتظار: بوصفه رمزا للأمل والخلاص.
- الشارع: بوصفه رمزا للتيارات الثقافية و السياسية والاجتماعية ، المتنوعة والمختلفة.
- الوقت: بوصفه رمزا لزمن الشاعر.
- العودة: بوصفها رمزا للنصر والمقاومة ، فالشاعر قد انتصر على ذاته وواقعه.

- الباب والحلم : بوصفهما رمزاً للنهاية التي رسمها الشاعر، فـ
(كان غيثك حلما وكان آخرك الباب)
 - قراء في قصيدة (يوميات ... نجم البقال) (١٩)
من دلالات العنوان أنه يتحدث عن الماضي القريب، فاليوميات يوميات الحاج (نجم البقال)، إذن على المتلقي أن يهيئ نفسه لتلقي أحداثاً يفرضها عنوان القصيدة، لاسيما ما يستدعيه العلم التراثي (نجم البقال) من ملازمة ثنائية الأطراف ضمن معادلة الثوار والاستعمار، هذه المعادلة التي تفرض واقعاً جهادياً للثوار ومن ثمّ عنواناً للمقاومة ومن جهة أخرى واقعاً غازياً مغتصباً ومن ثمّ عنواناً للاحتلال .
إنّ يوميات ... نجم البقال، لا يمكن حصرها أو تصويرها، لذا على المتلقي التوصل إلى اليوميات التي قصدها الشاعر من خلال الإسقاط على الحاضر المعيش في زمن الشاعر.
بعد العتبة الأولى من القصيدة (يوميات ... نجم البقال)، لا بدّ من تحديد جنس القصيدة وإطارها الفني وصياغتها :
 - القصيدة تنتمي إلى نمط القصيدة النثرية، وهذا النمط يتيح للشاعر حرية الحركة والتنقل السريع بين الأحداث وصورها.
 - القصيدة مقسمة على مقاطع، وكل مقطع يحمل عنواناً فرعياً.
 - تتألف القصيدة من (١٣٦) سطراً شعرياً .
 - زمن إنتاج القصيدة سنة ١٩٩٤م.
 - المكان النجف الأشرف، موطن الشاعر ومحل إقامة (نجم البقال).
- قراءة في نص القصيدة:

تُعد القصيدة متوسطة الطول، ولأنّ كتابة مثل هذا النوع من البحوث تفرض على الباحث سياقات وضوابط محدّدة لا بدّ من الالتزام بها، لذا فالباحث يكتفي بعثتين من عتبات القصيدة هما: عتبة العنوان وعتبة الصورة الأولى.

من النص نجد الشاعر يمارس الإسقاط على الحاضر الأليم الذي يعيشه البلد_ وهو من أجل ذلك يعتبر هذا النص خطاباً؛ لأنّه موجّه من وإلى رمز من رموز الثورة والمقاومة في مدينة النجف الأشرف خصوصاً والعراق عموماً، ومنه إلى الضمير النائم الميت_ وعبر هذا الخطاب رسم لشاعر بعض المشاهد والصور المشتركة بين الزمنيين، زمن الشاعر وزمن الثائر (نجم البقال).

وبالبحث يرى أنّ المقاربة بين الشاعر والثائر (نجم البقال) يكمن في الثورة، ف(نجم البقال) قد ثار على الاستعمار، بينما ثورة شاعرنا على واقعه وذاته، فهو كالشعراء في التمرد والهيجان الدائم، وقد وصل الأمر بالشاعر في تمرده أن قاد تمرداً على تمرده.

الصورة الأولى: صورة الحلم:

كان الثائر (نجم البقال) يحلم في طرد المحتل، لذا انتمى إلى (جمعية النهضة الإسلامية) التي تأسست في مدينة النجف سنة ١٩١٨م التي تضم في صفوفها نخبة من رجالات الدين ورؤساء العشائر والشباب الثائر (٢٠)، إذا (نجم البقال) يحلم في طرد المحتل، فما هو حلم الشاعر؟ يقول الشاعر (٢١):

الحلم

جريح تمدد في احتفال الذاكرة

والأمني يمامة كسيرة الجناح

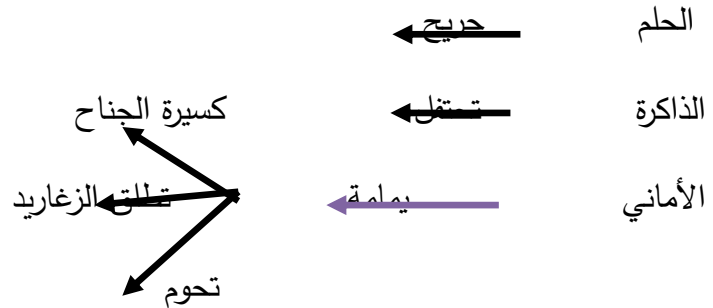
تلف اذرعها

تحوم

تطلق الزغاريد في وجه الجنون

الجنون ضياع تهشمه الأمنية

يبدو أنَّ الشاعر يمارس لعبة المفارقة واللعب في الكلمات ،ويمكن تلمس ذلك من المقاربة التالية:



شكل رقم (٢)

فجعل كل أمانيه أمنية واحدة وكأَنَّها يمامة ،فجمع في أفراد ،فلم يقل: الأمني يمام ،ولكي نفهم حلم الشاعر لا بدَّ من تفكيك الصورة وجمعها من جديد لتظهر لنا حقيقة ذلك الحلم.

إنَّ الشاعر يصور حلمه لنا على هيئة جريح، تكوّن في ذاكرته الجمعية بما تحمله من مخزون ثقافي ومعرفي ،ولا بدَّ أن يكون ذلك الحلم مرتبطاً بواقع (نجم البقال) ولكن المفارقة بين الشاعر و(نجم البقال) تكمن في تحقق حلم (نجم البقال) ،بينما حلم الشاعر هو حلم جريح لا يستطيع تحقيقه فحلمه مثل يمامة مكسورة الجناح والذي يوضح ذلك التكامل في الصورة التي رسمها الشاعر لحلمه ،الانتقال من الإجمال إلى التفصيل ،فحلم الشاعر جريح وهذا الأمر يشير إلى العمومية في تكوين الصورة ،ثمَّ ينتقل إلى تفصيل الصورة العمومية كما بينا ذلك سابقا.

بين عتبة العنوان وعتبة الصورة الأولى.

يمكن لنا أن نلمح المقاربة بين عتبة العنوان وعتبة الصورة الأولى من جهة الرابط بين الشاعر وبين (نجم البقال) المتمثل بـ(اليوميّات) ،فيوميّات الشاعر وفيوميّات (نجم البقال) بينهما قاسم مشترك وعلى الأساس

هذا جاءت القصيدة على شكل فقرات وصور ،وكأنها تقول للمتلقي هذه الصور هي أرشيف الشاعر اليومي وأول الأرشيف هو الحلم الجريح والأمني الضائعة التي جعلت من الشاعر ييوح بيومياته بصورة رمزية دلالة على أن ذلك البوح هو مجموعة من الأحلام المذبوحة في ذاكرة الشاعر .

ب-قصيدة الحديث عن الشخصية: لا يظهر في هذا النوع سوى صوت الشاعر بوصفه راويا للقصيدة ،وتتماز هذه القصيدة بأسلوبها الحكائي الموجه إلى متلق غائب ،وكذا الضمائر المستعملة هي ضمائر الغيبة ،ويمكن لنا لحاظ هذا النوع من القصائد في ديوان (ما دونته نور على خد العذراء) ،قصيدة (وشم على خد العذراء)(٢٢) ،يقول الشاعر:

مشى يتذكر قولتهم:

ماذا غير سديم يخفي الأشياء ، ينتحر سديم ترتفع الشمس ،القمر،نجوم

الكون فتهبط احجار ورماد اشجار من(يورانوس) إلى جايا

سنة آلهة تسكن اوليموس ، نشروا الأحفاد على صدر العالم

يمتلك كل منهم عدة اذرع ، او عين واحدة ،لكنهم هزموا

ت- قصيدة الحديث إلى الشخصية: في هذا النمط يظهر صوت الشاعر في الأعم الأغلب بوصفه راوياً في النص الذي يمتاز باستعمال ضمائر الخطاب الموجهة في الأعم الأغلب باتجاه شخصية معينة يحددها النص بشكل مباشر(٢٣) .،ومن الأمثلة على هذا النمط في الديوان قوله في قصيدة (ما دونته نور على خد العذراء)(٢٤):

من عين الوادي يشرق (سمنار)

يومي نحوي:

حرمت عليكم نوم الفجر

انطلقوا في حنجرة القلق موائد صيف

بعد هذا العرض يخلص الباحث إلى أنَّ الشاعر في ديوانه (ما دونته نور على خد العذراء) استعمل أربعة أنواع وليس ثلاثة أنواع، ويمكن بيان ذلك من نصوص قصائده في الديوان، إذ عمل على المزوجة بين قصيدة الحديث عن الشخصية و قصيدة الحديث إلى الشخصية ،ففي قصيدة (بائعة النارج) يقول الشاعر(٢٥):

أما جاءك دبران...

قالت: صاحبنا صوت ضح به الحرمان

وفي قصيدة (سفوح الكلمات والدمع النازل) يقول الشاعر(٢٦):

وجدتك ما تزال بازغا ومضيئا كلما اسود الخراب تناسل في

الضجيج دويا

قال صاحب:

تذكرتك ذات يوم حين باع الطريق سالكي

مما تقدم يمكن أن نبين أشكال المساحات النصية في الجداول الآتية.

١- قصيدة (ما دونته نور على خد العذراء).

القسم الأول: صوت العناء.

العلم التراثي	اسم مباشر	المساحة النصية	الشكل
سنمار	سنمار	مس ج	ج ح

٢- قصيدة (بائعة النارج).

العلم التراثي	اسم مباشر	المساحات النصية	الشكل
العيوق العيوق العيوق	العيوق العيوق العيوق	مس ج	ج ج
الدبران الدبران الدبران دبران	الدبران الدبران الدبران دبران	مس ج	ج ج

٣- قصيدة (صور في ذاكرة الظل).

العلم التراثي	اسم مباشر	المساحات النصية	الشكل

عنقرة العبسي	عنقرة العبسي	مس ج	ج ح

٤-قصيدة (وشم على خدا العذراء)

العلم التراثي	اسم مباشر	المساحات النصية	الشكل
سديم	سديم	مس ج	ج ح
يورانوس	يورانوس	مس ج	ج ح
جايا	جايا	مس ج	ج ج
جايا	جايا		
جايا	جايا		
اوليموس	اوليموس	مس ج	ج ح
زيوس	زيوس	مس ج	ج ج
زيوس	زيوس		
زيوس	زيوس		
تافايوس	تافايوس	مس ج	ج ح

ج ح	مس ج	جايثوس	جايثوس
ج ح	مس ج	كروزوس	كروزوس
ج ح	مس ج	آيو	آيو
ج ح	مس ج	آيو	آيو
ج ح	مس ج	هيرا	هيرا
ج ح	مس ج	الغول	الغول
ج ح	مس ج	إنشار	إنشار
ج ح	مس ج	كيشار	كيشار
ج ح	مس ج	لخمو	لخمو
ج ح	مس ج	لخامو	لخامو
ج ح	مس ج	اماكاندو	اماكاندو
ج ح	مس ج	دامو	دامو

ج ح	مس ج	أنالي	أنالي
ج ح	مس ج	نينازو	نينازو
ج	مس ج	نيفخار	نيفخار
ج ح	مس ج	أناليلي	أناليلي
ج ح	مس ج	مزكال	مزكال
ج ح	مس ج	نيسابا	نيسابا
ج ح	مس ج	قابيل	قابيل
		هابيل	هابيل

٥-قصيدة (يوميات...نجم البقال).

العلم التراثي	اسم مباشر	المساحات النصية	الشكل
نجم البقال	نجم البقال	مس ك	ج ح
عمر المختار	عمر المختار	مس ج	ج ح

الخاتمة:

برع الشاعر صباح عباس عنوز في استعمال الاسم التراثي وتوظيفه في نصوص ديوانه من خلال تنوع المساحات النصية التي يشغلها الاسم التراثي، وهو أمر أدى إلى إثراء النص بالمعاني وفتح جسور التواصل بين النص ومتلقيه، بما تنتجه المساحات النصية المتنوعة من صور شعرية تعمل على مشاركة المتلقي في إنتاج المعنى .

وكذا، أسهمت المساحات النصية المتنوعة للأسماء التراثية في خلق دلالات ومعان جديدة من خلال الإسقاط الحاصل بين الماضي والحاضر، كان قصد الشاعر من ورائها بيان فلسفته الشعرية والشعرية للحياة.

ثبت الرموز

ت	الرمز	
١	مس ك	مساحة نصية كلية
٢	مس ج	مساحة نصية جزئية
٣	ج ح	جزء محصور داخل حركة واحدة في النص
٤	ج ج	جزء محصور ومقيد في النص

الهوامش:

- ١ - ظ، الصورة الفنية؛ ضمن كتاب: مشكلات علم الجمال الحديث.. قضايا وآفاق، ميخائيل أوفيسيا نيكوف: ١٦٤، و الصورة والبناء الشعري، محمد حسن عبد الله: ٧، ٨.
- ٢ - ظ، جدلية الخفاء والتجلي كمال أبو ديب: ٥٨
- ٣ - قيم جديدة في الأدب العربي، عائشة عبد الرحمن: ٦٤
- ٤ - الصورة الشعرية، سي دي لويس: ٢٣
- ٥ - كتاب أرسطوطاليس في الشعر، شكري محمد عياد: ١٢٨.
- ٦ - الحيوان، الجاحظ: ١٣٢٣:
- ٧ - كتاب أرسطوطاليس في الشعر: ١٤٤.
- ٨ - ظ، أشكال التناص، أحمد مجاهد: ٢٢٣، ٢٢٥
- ٩ - ظ، المصدر نفسه: ٢٣٢، ٢٢٧
- ١٠ - ظ، أحمد مجاهد: ٢٢٧، ٢٢٥
- ١١ - ظ، المصدر نفسه: ٢٦٣
- ١٢ - ظ، المصدر نفسه: ٣١٥، ٢٩٩
- ١٣ - ظ، دلالة التناص، شعر أمل دنقل، علي صادق: ٨٢
- ١٤ - ظ، المصدر نفسه: ٧٠
- ١٥ - الديوان: ٥٣-٥٦
- ١٦ - المصدر نفسه: ٢٣-٢٤
- ١٧ - المصدر نفسه: ٢٣
- ١٨ - المصدر نفسه: ٣٣-٣٩
- ١٩ - المصدر نفسه: ٣٣-٣٩
- ٢٠ - ظ، كريم وحيد صالح-نجم البقال ص ٢
- ٢١ - الديوان: ٣٣
- ٢٢ - المصدر نفسه: ٢٧

٢٣- ط، احمد مجاهد: ٣١٥، ٢٩٩

٢٤- الديوان نفسه: ١١

٢٥- المصدر نفسه: ١٨

٢٦- المصدر نفسه: ٥٤

المراجع:

- ١- أشكال التناص، أحمد مجاهد، دراسة في توظيف الشخصيات التراثية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.
 - ٢- جدلية الخفاء والتجلي، كمال أبو ديب، ط١، ١٩٧٩م، بيروت.
 - ٣- الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة الذخائر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م.
 - ٤- الصورة الشعرية، سي دي لويس، ترجمة، احمد نصيف الجنابي، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٢م.
 - ٥- الصورة الفنية؛ ضمن كتاب: مشكلات علم الجمال الحديث.. قضايا وآفاق، ميخائيل أوفيسيا نيكوف، ترجمة فريق من دار الثقافة الجديدة، القاهرة ١٩٧٩م.
 - ٦- قيم جديدة في الأدب العربي، عائشة عبد الرحمن، دار المعارف المصرية، ١٩٧٠م.
 - ٧- كتاب أرسطوطاليس في الشعر، شكري محمد عياد، هيئة الكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.
 - ٨- ديوان (مادونته نور على خد العذراء)، صباح عباس عنوز، دار الضياء، النجف الاشرف، ٢٠٠٧م، رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٢٤٣ لسنة ٢٠٠٧م.
 - ٩- نجم البقال قائد ثورة النجف الكبرى ضد الاحتلال الانكليزي عام ١٩١٨ حياته ودوره في الاحداث، كريم وحيد صالح، النجف الاشرف، مطبعة النعمان، ١٩٨٠م.
- الرسائل:
- دلالة التناص، شعر أمل دنقل انمذجا، دراسة في تحليل النص، رسالة ماستر، جامعة بيروت العربية، قسم اللغة العربي، ٢٠١١-٢٠١٢م.

الزخارف الهندسية لجامع الحيدر خانة في مدينة بغداد

م.د. علاء حسين اللامي

كلية الآثار/ جامعة الكوفة

المقدمة:

تعرف الزخرفة من المختصين بأنها من الفنون الانسانية التي تخلق متعة للنفس البشرية فيما تبعثه من انفعالات جمالية وابداعية الى جانب كونها فناً تشكليلاً شأنها في ذلك شأن الفنون الاخرى من الرسم والنحت وما الى ذلك، وتعرف أيضاً بأنها فن تزيين الاشياء بالنقش أو التطريز أو التطعيم وغير ذلك. ويتميز الجامع بالنضج في الاسلوب الزخرفي الهندسي وجمالية تنفيذه على مختلف المواد البنائية، اذ احتوى البحث على تمهيد لأهمية الزخارف الهندسية في الحضارة الاسلامية وما قبلها من حضارات، والامثلة الزخارف الهندسية المستخدمة في الجامع الحيدر خانة التي اقتصر على اثني عشر مثالا لم تتغير معالمها بسبب اعمال الصيانة التي جرت على الجامع.

التمهيد:

تعد الزخرفة ^(١) الهندسية من الزخارف المنسوبة الى الفنون السابقة قبل الاسلام في حضارة وادي الرافدين اذ اكتشفت في الالف الاول الميلادي نماذج منها كالزخارف النجمية والطبقية وزخارف الفسيفساء على جدران المعابد والقصور وهي اشكال قوامها مسدسات منتظمة متجاورة يحصر كل واحد منها في داخله نجوما سداسية الرؤوس ^(٢).

كشفت التنقيبات الاثرية في منطقة وادي الرافدين لاسيما الجزء الجنوبي منه آثارا تثبت بأن الفنان العراقي القديم استخدم الاصداف البحرية، فكان من السهل تقطيعها وتكوين عناصر زخرفية هندسية على شكل (مثلثات، ومستطيلات، ومربعات، ومعينات) ^(٣) هذه البقايا الأثرية (كالأواني الفخارية والعاجية والمعدنية) تحتوي على رصيد كبير للأفكار الزخرفية التي قدمها لنا العراقيون القدماء (السومريون والبابليون والاشوريون) المتمثلة بفكرة التجريد الزخرفي للأشكال الزخرفية الهندسية المتنوعة.

تتوزع تنفيذ بعض الزخارف من المواد الانشائية بتقنيته رائعة ،اذ نجد بعضها منفذاً على الاجر التي عرفتھا العمارة السومرية في عصر الوركاء (٣٥٠٠-٣٠٠٠ ق م) كما رجح جميع المختصين في اثار العراق القديمة^(٤) ، وفي العصر البابلي الحديث (٦١٢-٥٣٩ ق م) اصبح للزخرفة دور كبير و متميز بمبانيها العامة والخاصة، وربما خير مثل عليها بوابة عشتار ، وشارع الموكب في مدينة بابل، والمحفوفة اكبر اقسامها في الوقت الحاضر في متاحف الدولة في برلين^(٥).

وهناك الكثير من النماذج القديمة التي وصلت الينا من الزخارف الجصية اكتشف بعضها في تزيين بعض مباني مدينة اشور المتأخرة، التي تعود الى القرن الأول، أو بداية القرن الثاني الميلادي، ومثلها التي وجدت في معبد كاريوس بمدينة الوركاء، التي تعود أيضاً الى القرن الأول، أو مطلع القرن الثاني الميلادي^(٦).

كما وجد في البيت العراقي القديم الزخرفة الهندسية التي تستند في اساسها على المثلث ،والمعين ،والمستطيل ، والمربع، والمثلث (ويتم التعبير فيها عن التشابك والتقاطع وذات قواعد مبسطة ومعقدة في نفس الوقت)^(٧) كالزخارف التي استخدمت في بوائق الابواب والاجزاء الداخلية للقباب والجدران ، وترك فنانون تلك الحضارات زخارفا ذات طابع هندسي تعتمد بشكل أساسي على خط أو اكثر من الخطوط المتكسرة بزوايا قائمة ، والمتضمنة شكل الصليب المعقوف (Swastika)^(٨) ، ويمكن القول ان اكثر النماذج الهندسية التي عثر عليها الآثاريين ،ليس لأنه يكشف شيئاً عن نشاطات وتقنية الشعب التي صنعها ودقة التفكير والمهارة العظيمة في الاداء، بل ومدى البراعة الفنية التي توصل اليها الانسان في مختلف العصور في نسج مكونات اللبنة الاولى لبناء حضارة بين النهرين ، وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على المقدرة الفنية الكبيرة المتوارثة لدى الانسان العراقي وكيف تمكن من نقل هذه الصور واللوحات الى اقصى بقاع الارض.

اما عن الحضارة العربية الاسلامية فان اهم ما يميزها هو الاهتمام بالجانب الفكري والثقافي والفني للمجتمعات الاسلامية ، فقد حاول المفكرون والفنانون العرب من وضع دعائم نهضة الازدهار ، فقد اهتم

المسلمون منذ البداية بزخرفة البناء ، على الرغم من موقف المسلمين من الزخرفة المرتبط بأسباب تتعلق بالتبذير وحياة الترف غير المستحبة.

فكانت بداية توسع الفن الزخرفي هي عندما قام الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بتوسيع المسجد النبوي الشريف ثم تبعه الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) (من خلال ادخال اعمدة الحجارة المنقوشة وجعل سقفه من خشب الساج)^(٩).

وفي العصر الاموي ازداد اقبال الفنانين والمزخرفين العرب على ادخال عناصر زخرفية جديدة في المساجد كزخارف (الآجر المزجج)^(١٠) كعنصر اساسي في البناء والزخرفة^(١١) ، كما في الجامع الاموي في دمشق الذي بناه الوليد بن عبد الملك في حدود سنة ٨٨هـ/٦٧٠م^(١٢).

كما وصلنا من العصر الاموي ، اثارا زخرفية في عدد من المباني الدينية (أساسها زخارف هندسية تقوم على اساس تكرار المربع) ، وهي زخارف فسيفسائية في احد القصور الاموية في فلسطين وكذلك اطباق نجمية على غرار مشبكات نوافذ الجامع الاموي في دمشق) قد زاد هذا التوجه واصبحت الزخرفة الهندسية مكملا معماريا للأبنية ، وعنصراً مساعداً للقباب والاقواس والعقود والاعمدة والتيجان^(١٣).

خطى الفن العربي الاسلامي في العصر العباسي خطوات كبيرة ، أذ تمكن الفنانون والمزخرفون العرب من ادخال عناصر زخرفية وبنائية جديدة ، لم تكن مبتكرة من قبل ، وانما جاءت لتضفي معطيات جمالية وفنية رائعة ، حققت مع مرور الزمن ابعاداً اكدت ان الفن الاسلامي كان رائداً وما يزال في مسيرة النهضة الابداعية في العالم.

فمن بغداد عاصمة الدولة العباسية التي بناها المنصور سنة (١٤٥-١٤٩هـ)^(١٤)، شيد فيها المسجد الجامع ولم يبق منه أي معلم سوى محراب الجامع الذي سمي بمحراب جامع الخاصكي^(١٥) ومن امثلة الزخرفة الهندسية هي الزخارف الهندسية الموجودة على مدخل باب بغداد^(١٦)، اذ نفذت على شكل تربيعات من تقاطع الخطوط فتشكل عنصر الصليب المعقوف ومربعات مستقلة.

وهناك توافق فني بين زخارف سامراء وبغداد ازاء الخلافة العباسية فقد كشفت التنقيبات عن "كتابات كوفية بتراكيب هندسية في أحد الدور ونقوش هندسية مرسومة على الجص في الزاوية الجنوبية الشرقية من الدار بالإضافة إلى الزخارف الجصية في القصور العباسية في سامراء"^(١٧).

وبما ان صناعة الآجر تعد اختراعاً عراقياً إلى حد كبير في بلاد الرافدين ، وانتشرت صناعته في الأقاليم المجاورة ولاسيما تلك التي تقتقر إلى الصخور وتسد في أرضها التربة الرسوبية^(١٨).

فقد كان استخدامه في العراق على نطاق واسع ومنذ العصر السومري على الأقل^(١٩)، إذ تشير الأدلة الأثرية إلى أن أقدم استخدام له تم في بعض منشآت الطبقة الخامسة لموقع الوركاء^(٢٠).

وبسبب بعض المباني في مدينة بغداد لم تكن مقتصرة في الزخرفة على الجص فقط والسبب (الجدران الخارجية السمكية بالجص تتطلب الإصلاح او اعادة اكساء الجدران بالجص بين آونة واخرى ، مما يؤدي بالتالي الى حدوث بعض التشقق في الاكساء الجصي مما يسمح معه الى دخول مياه الامطار فيسبب انتفاخ الجص وتساقطه مما يتطلب اعادة عملية الاكساء)^(٢١) ، ولهذا السبب اعتمد المعمار العراقي مادة الآجر كمادة اساسية في البناء لطواعيتها على التشكيل بأساليب متنوعة ، حتى اصبحت صفوف الآجر المرصوفة افقياً تتكسر بزوايا مختلفة لتشكل زخارفا هندسية متناسقة مركبة مع بعضها مع الخطوط المستقيمة المتداخلة ومنها الصلبان المعقوفة المترابطة وغير ذلك من تشكيلات هندسية. واستخدام الزخرفة الهندسية في نسخ القرآن الكريم ، ولكن قلة منها فقط تماثل في روعتها هذا الإنجاز المبكر الذي يمثل أول كتاب يمكن نسبته إلى بغداد. ولهذا اخترت توثيق الامثلة الزخرفية الهندسية في جامع الحيدر خانه^(٢٢) في بغداد الذي يعتبر متميزا في زخارفه الهندسية في العمارة البغدادية والمحافظ عليه الى قتنا الحاضر.

أمثلة الزخارف الهندسية المستخدمة في الجامع:

المثال الاول :

شكل هندسي منفذ على مادة الآجر المزجج في كوشة عقد ذي الاربعة مراكز في الفناء الداخلي للجامع (لوح رقم ١)، اعتمد الاسلوب التصميمي لهذا المثال على شكل سداسي منتظم كأساس فني وكوحدة للتكرار، إذ يتم رسم شكل سداسي يقاطع الشكل السداسي الاول مما يؤدي الى تقسيم محيط الدائرة الى اثني عشر قسما متساوياً، اذ يهيئ المجال الى رسم توصيلات داخلية على طريقة المربع ، وفي المرحلة الاتية يصار الى تحقيق التوصيلات الداخلية التي تؤدي الى انجاز تفاصيل وحدة التكرار الاساسية ، وعمد المعمار الى استخدام الخطوط المستقيمة فهي ترسم حدود المفردات التصميمية وباتجاهات افقية وعمودية ومائلة.

اما اللون فقد اقتصر على الالوان الباردة المتوازنة من حيث الجانب الجمالي، ومكرر بإيقاع رتيب ومتناوب، والوحدات ذات ملمس مسطح يتلاءم مع صبغة الآجر المزجج، وقد استند الفنان على اساس الربع الزخرفي في التصميم وتكرار العناصر بشكل متقابل ، مما ادى الى خلق انسجام وتوافق بالاتجاه والشكل واللون والمساحة الزخرفية المتحققة بالتوازن المحوري بكلا الجانبين، فتناسب العناصر الزخرفية مع العنصر العماري المتمثل بباطن العقد الذي خلق نوعا من الهيمنة في اللون الازرق الغامق للعنصر النجمي، كما ان التنوع في اللون والشكل ادى الى تحقيق وحدة تصميمية زخرفية وبأسلوب تصميمي فني. المثال الثاني :

شكل هندسي منفذ بطريقة الحفر على الآجر في كوشة عقد ذي اربعة مراكز (لوح رقم ٢)، إذ يعتمد الاسلوب التصميمي لهذا المثال على الشكل السداسي المنظم كأساس فني وكوحدة للتكرار، وتمر مرحلة تصميم وحدة التكرار الاساسية بمراحل عدة ، تبدأ برسم شكل سداسي منتظم ومن ثم شكل يقاطعه عموديا، ومن ثم انجاز التوصيلات الداخلية بهدف الحصول على دائرتين يتم الاعتماد عليهما في رسم التوصيلات المطلوبة للشكل السداسي الوسطي، والذي يحوي النجمة ذات اثني عشر زاوية ، إذ يصار الى تقسيمها الى عشرة اقسام متساوية ، مبتدئين من احدى نهايتي القطر العمودي للدائرة ، ثم بعد ذلك

يتم رسم نجمة خماسية تحيط بالشكل السداسي يتم التوصل الى تحديد زواياها بواسطة امتدادات قطرين او اكثر من اقطار المسدس الاساسي وبعدئذ يتم استكمال التوصيلات النهائية للشكل. اعتمد المعمار على الخطوط المستقيمة داخل الشكل لملء الفضاء ، فضلا عن ادخال اشكال خماسية صغيرة وسط الاشكال الكبيرة للغرض نفسه وبأتجاهات عمودية وافقية ومائلة، اما اللون فقد اقتصر على الازرق الغامق المتوازن مع الارضية، في حين ظهر الملمس بارزا على مساحة التصميم والمنفذ بطريقة الارباع الزخرفية.

اعتمد المعمار على التكرار التناظري والتقابل في الايقاع الرتيب في حين اظهر الشكل الزخرفي علاقة انسجامية ، اما التباين بالعناصر التصميمية فقد انتج بدوره تنوعاً بالوحدة، ولو مررنا خطأ وهمياً على كل مقطع سنجد متوازناً محورياً من حيث اللون والشكل، والعلاقة التناسبية بين الشكل والارضية. فكل هذا ساهم في تكوين نوع من الهيمنة في اللون والشكل وكذلك بين الملمسين البارز والغائر والتنوع في الوحدة الزخرفية.

المثال الثالث:

شكل هندسي منفذ بطريقة الحفر على الحجر في كوشة عقد ذي اربعة مراكز المطل على الفناء الداخلي للمسجد (لوح رقم ٣)، إذ يعتمد الاسلوب التصميمي لهذا المثال على الشكل السداسي المنتظم كأساس فني وكوحدة للتكرار، ويتم التوصل الى تصميم التفاصيل الداخلية لوحدة التكرار بعد رسم دائرة يقسم ضلعها الى ستة اقسام متساوية ، ومن ثم تضاعف الى اثني عشر قسماً متساوياً، ثم يتم بناء المسدس المنظم الذي يستوعب التفاصيل الداخلية المتحققة في الخطوات السابقة.

احتوى الشكل طبقاً نجمياً^(٢٣) ذا اثني عشر ضلعاً في داخله شكل نجمي يحمل عدد اضلاع الشكل الرئيس، وهناك فضاء متكون استغله المصمم بإضافة عناصر مثل الشكل الثماني والاشكال الهندسية المتنوعة.

استخدم المعمار الخطوط المستقيمة التي اتخذت اتجاهات افقية وعمودية ومائلة بكلا الجانبين.

ومن حيث اللون فإنه بصورة عامة متوازن لاسيما في اللونين (الاخضر والاسود) ، كما ظهر الملمس متمثلا بالبارز والغاثر، فالوحدات او العناصر ذات اللون الاسود تبين للمشاهد بأنها بارزة الى الامام مما يدل بأنها مطابقة للملمس الحسي، والمساحة مقسمة على اساس الربع الزخرفي ، وقد اعتمد المعمار التكرار التناظري والتقابل في الايقاع الرتيب في حين اظهر علاقة انسجامية. اما التباين بالعناصر التصميمية فإنه انتج بدوره تنوعا بالوحدة، فضلا عن التوازن المحوري، والعلاقة التناسبية منسجمة بين الشكل الزخرفي العقد.

المثال الرابع:

شكل هندسي منفذ بطريقة الحفر على الحجر في كوشة عقد ذي اربعة مراكز (لوح رقم ٤)، إذ يعتمد الاسلوب التصميمي لهذا المثال على المستطيل كأساس فني وكوحدة تكرر، ويتطلب التوصل الى تحديد بعدي المستطيل الى المرور بمراحل عدة ، إذ تبدأ برسم دائرة يقسم محيطها الى عشرة اقسام متساوية ، وتوصل نقاط التقسيم ببعضها، بعد ذلك يتم التوصل الى رسم التشكيلة الهندسية التي تتسوط وحدة المستطيل، وتحدد هذه التشكيلة عرض المستطيل ، اما طوله فيتحدد مع امتدادات المماسات الخارجية لبعض الزوايا الخارجية للتشكيلة المتحققة بعد ذلك يتم استكمال التوصيلات التكميلية.

احتوى المثال على اطباق عشرية وترتبط بها عدد من الاشكال السداسية ، فضلا عن الشكل المعيني^(٢٤) الذي عمل كرابط بين الوحدات المتنوعة ذات التوازن المحوري عملت الخطوط المستقيمة على ابراز الشكل الزخرفي وقد نتجت عن هذه الخطوط اتجاهات افقية وعمودية ومائلة. وبكلا الجانبين. اما من حيث اللون فهو متوازن، مع الملمس الذي ظهر بارزا، في حين عملت المساحة التصميمية وفق الارباع الزخرفية.

اعتمد المعمار في زخرفته على التكرار التناظري ذي الايقاع الرتيب، في حين ان اللون (الاخضر) حقق علاقة انسجامية مع لون الحجر الاصفر، كما ان التباين في الملمس، ادى الى اثراء الوحدة الزخرفية، اما

التوازن فهو اتزان محوري ساهم في جعل الشكل العام للتصميم متناسباً مع العنصر العماري لملء الفضاء واضفاء مبدأ التعدد في الوحدات التي جعلت الشكل يوحي بالاستقرار والثبات. فيما يخص الهيمنة فأنها ظهرت في اللون الاخضر للتصميم العام، فعملت بدورها تحقيق وحدة بصرية في الخط والاتجاه ، ووحدة وهمية في المساحة والملمس ، كل هذه العناصر جعلت الشكل ذا اتجاه فني يحقق الهدف الجمالي.

المثال الخامس :

شكل هندسي منفذ بطريقة الحفر على الحجر على كتف مدمج لعقد ذو اربعة مراكز في واجهة الجامع الخارجية (لوح رقم ٥) ، والاسلوب التصميمي لهذا المثال هو الزخرفة الحصرية^(٢٥) ، اذ احتوى الانموذج على شكل ذا اثني عشر ضلعا ومتسلسل يشغل مساحة الكتف لملء الفضاء، فقد عمد المصمم على استخدام طريقة الرصف في ربط العناصر وبشكل متتابع، مما حقق اختلافاً في نسب التكوين. فالخطوط التي استخدمها المعمار في الانموذج هي خطوط مستقيمة ذات اتجاهات عمودية ومائلة مع الابتعاد عن مبدأ التنوع في الوحدات الداخلة ، ولكن بشكل عام الشكل يوحي بالصلابة والاستقرار ، والملمس بارز قياساً بالأرضية او المساحة المنفذ عليها العمل، وبطريقة المساحة المستطيلة، لما يتطلبه مقتضى التصميم.

المثال السادس:

شكل هندسي منفذ بطريقة الحفر على الحجر في احدى واجهات الجامع الداخلية (لوح رقم ٦) ، اعتمد الاسلوب التصميمي لهذا المثال على الشكل السداسي المنتظم كأساس فني وكوحدة للتكرار تم رسم المسدس المنتظم الاساسي ومن ثم مضاعفته برسم مسدس يقاطعه عمودياً وافقياً ثم انجاز التوصيلات على طريقة المثالث.

بهدف الحصول على دائرتين يتم الاعتماد عليهما في رسم التوصيلات المطلوبة للمسدس الوسطي الذي يتمركز في وحدة التكرار ، ثم بعد ذلك نبدأ بتحديد مركز الدائرة التي يساوي نصف قطرها قطر الدائرة

التي تحتوي النجمة ذات اثني عشر زاوية ثم نجري بعد ذلك اجراء التوصيلات التكميلية للشكل المحدد، وقد احتوى الشكل اطباقاً نجمية عشرية كبيرة وصغيرة متمازجة بعضها مع البعض اذ تعطي شكلاً يوحي بالشمولية ، في حين ان العناصر الثانوية في الشكل هي ذات مساحة وحجم ثابت مع العناصر او الوحدات الرئيسية الثابتة وتحيط بالشكل اشربة تحتوي على نجمة سداسية وبمستوى واحد.

الخطوط في التكوين هي خطوط مستقيمة بالاتجاهات كافة ، كما ان اللون متكرر ومتوازن في حين ان الملمس هو ملمس بارز بالنسبة لطريقة حفر القطع الصغيرة والملمس الغائر للقطع الأجرية الكبيرة باستخدام طريقة الربع الزخرفي ، فالوحدات ذات تكرار تناظري وتقابل في ايقاع ترتيب ومنسجمة مع الوحدات والعناصر في الاشربة الزخرفية التي تحيط بالتصميم.

اما مبدأ التباين فقد ظهر في اللون والملمس، فضلاً عن ظهوره في الشكل والحجم، مع تناسب الوحدات لتحقيق مبدأ الهيمنة في الشكل لاسيما الطبقة العشرية الكبير الذي يعطي احياءً بصرياً يتيح التنقل من مكان لآخر بحرية مربحة للعين، فضلاً عن تعدد الالوان التي اعطت تنوعاً لكسر الرتابة الناتجة من تمازج الوحدات.

كما ظهرت مواءمة بين الوحدات الزخرفية والعنصر العماري او ارضية التكوين والمتمثلة بالمساحة المربعة فقد جاءت العناصر بشكل متناسق وذي انسجام يوحي بالاستقرار، وكل المقومات ساهمت في تحقيق الوحدة الزخرفية كوحدة الشكل ووحدة الخط والاتجاه، يضاف اليها التدرج اللوني للمفردات الزخرفية التي ادت الى تنوع الوحدة واثرائها.

المثال السابع:

ترسيمات أجرية هندسية منفذة بطريقة الحفر على قاعدة بدن المنارة في الجامع (لوح رقم ٧)، عمد المصمم الى تقسيمها الى قسمين الاول قطع مربعة صغيرة وقد احتوت الشكل الهندسي ذا الشكل المعيني، والثاني قطع كبيرة مستطيلة ساعدت في ربط القطع فيما بينها. كما ساهمت في اخراج الشكل وكأنه يوحي بهيئة السجادة.

الخطوط هي خطوط مستقيمة وباتجاهات مختلفة فمنها العمودي والمائل مع ظهور اللون المتوازن وهو الاخضر والاسود، في حين ظهر الملمس بشكل بارز وهذا ما يمكن ادراكه بصرياً وحسياً وقد عملت الاشكال الزخرفية على اساس المساحة المستطيلة.

وفيما يخص التكرار اعتمد المصمم تكراراً تناظرياً، بإيقاع رتيب، مما حقق انسجاماً شكلياً ولونياً، فالتنوع التبايني بالعناصر التصميمية للعمل الزخرفي يحقق وحدة تصميمية زخرفية ، وهذا ينطبق مع التوازن المحوري والشعاعي لارتفاع المنارة ومساحة الشكل، مما يؤمن اتساقاً رؤيويًا، اما الهيمنة فكانت ظاهرة للشكل المعيني وكذلك سيادة الملمس.

المثال الثامن:

شكل هندسي منفذ مادة الحجر بطريقة الحفر (لوح رقم ٨)، احتوى على عنصر رئيس واحد وهو الطبق النجمي العشري الذي اعطى مفهوماً بصرياً للناظر يوحي بتفاصيل تحليلية لخطوات اعداد الاساس الفني للشكل المربع، كأساس فني وكوحدة التكرار في بنائه وانتشاره ، ويتم التوصل الى تصميم تفاصيل الوحدة الاساسية برسم نجمة ثمانية داخل المربع الاول، ومن ثم يستفاد من نقاط تقاطع اضلاع النجمة الثمانية ببعضها ومع محاورها في استحداث مستقيمات جديدة تساهم بدورها في التوصل الى تصميم التفاصيل الداخلية للوحدة الاساسية تلقائياً، فالخطوط التي استخدمت هي خطوط مستقيمة وباتجاهات عمودية ومائلة مع تحقيق التوازن باللون الاخضر للوحدات ذات الملمس البارز عن طريق الارباع الزخرفية.

تكرار العناصر والوحدات ذات تكرار تناظري ذي ايقاع رتيب مع وجود التباين في اللون والملمس والتوازن المحوري للشكل اعطت تناسباً طردياً ، في حين نجد الهيمنة قد تحققت في الشكل واللون وساهمت في تحقيق الوحدة الزخرفية الانشائية.

المثال التاسع:

شكل هندسي منفذ على مادة الأجر بطريقة الحفر (لوح رقم ٩)، احتوى على عنصر هندسي واحد وهو الطبقة العشري توسطه نجمة عشرية، كما زجت الخطوط المستقيمة فيما بينها وتراكبت بعضها باتجاهات مختلفة كانت بالنتيجة أساساً لرسم أو تصميم التكوين ، إذ أن هذا النموذج يعتمد على المستطيل كأساس فني ، وكوحدة للتكرار ، ويتم التوصل إلى تحديد بعديه برسم دائرة يقسم محيطها إلى عشرة أقسام متساوية حيث توصل ببعضها ومن ثم يتم مد التوصيلات المتحققة إلى الخارج حيث تلتقي جميعها في نقاط خارج الدائرة الأساس ، إذ يمكن الاستفادة من نقطتي تقاطع يحدد بموجبها طول المستطيل ، وهما النقطتان اللتان تقعان على امتدادات المحور الأفقي للدائرة الأساس ، وعند مد المحورين المجاورين للمحور الأفقي للدائرة الأساس ، فأنهما سيلتقيان مع العمودين المقامين على نقطتي التقاطع، وبذلك نحصل على أربع نقاط بموجبها عرض المستطيل، ثم إضافة التوصيلات التكميلية بعد رسم ربعين بأنصاف أقطار متساوية لنصف قطر الدائرة الأساس.

الخطوط التي استخدمت في التكوين هي خطوط مستقيمة وباتجاهات متعددة مع توازن اللون الأسود مع لون الأرضية، في حين أن الملمس هو ملمس بارز.

أما الوحدات فهي ذات تكرار تناظري منسجمة بالشكل والحجم واللون، مع ظهور التباين في الملمس، مع التأكيد على مبدأ الهيمنة في الشكل العشري، لتحقيق الوحدة الزخرفية.

المثال العاشر:

شكل هندسي منفذ بطريقة الحفر على كوشة عقد ذي أربعة مراكز (لوح رقم ١٠) احتوى عناصراً وأشكالاً مثل شكل الطبقة العشري ، ويعتمد هذا النموذج على الشكل الخماسي المنتظم كأساس فني وكوحدة للتكرار والانتشار ، ويعد هذا النموذج من النماذج ذات الأساس الفني المعقد، إذ يتطلب تصميم تفاصيل وحدة التكرار المرور بمراحل عدة، إذ نبدأ برسم الخمس المنتظم الأساسي، ومضاعفته برسم خمسين يقاطعه عمودياً ومن ثم انجاز التوصيلات الداخلية على طريقة المثلث، بهدف الحصول على دائرتين يتم الاعتماد عليهما في رسم التوصيلات المطلوبة للخمس الوسطي الذي يتمركز في وحدة التكرار ومن ثم

تبدأ بتحديد مركز الدائرة التي يساوي نصف قطرها نصف قطر الدائرة التي تحتوي النجمة ذات عشرة زوايا والتي تم انجازها في المرحلة الاولى ، إذ يصار تقسيمها الى عشرة اقسام متساوية، تبدأ من احدى نهايتي القطر العمودي للدائرة ، والاهم من ذلك هو رسم مضلع خماسي غير منتظم يحيط بالدائرة وتوصيلاتها الداخلية، يتم التوصل الى تحديده اعتمادا على امتدادات قطرين من اقطار المسدس الاساسي ومن ثم يتم استكمال ما يجاور الجهات للمخمس الاساس، الخطوط التي استخدمت في الشكل هي خطوط مستقيمة وباتجاهات عمودية ومائلة في حين ان اللون الاسود والاخضر متوازن مع الارضية والوحدات ذات ملمس بارز اعتمدت على الربع الزخرفي ، العناصر ذات تكرار تناظري ذي ايقاع رتيب منسجمة بالشكل والملمس واللون، مع وجود التباين في الشكل واللون والملمس ، وتتاسب العناصر الزخرفية مع العناصر العمارية، وعنصر الهيمنة موجود في الشكل واللون والملمس، بينما الوحدة هي ذات مدلولات جمالية ووظيفية.

المثال الحادي عشر:

شكل هندسي منفذ على احدى واجهات الجامع احتوى على عدد من العناصر والوحدات ابتدأت من الشكل المربع انتهاءً بالمثلث المنتظم (لوحة رقم ١١) ، اذ اعتمد هذا الانموذج على المستطيل كأساس فني وكوحدة للتكرار ويتم التوصل الى تحديد ابعاد المستطيل عن طريق المربع الذي بداخله نجمة ثمانية مع محاورها، إذ يصار في الخطوة اللاحقة رسم دائرتين مركزهما نقطتا تقاطع القطر الافقي للنجمة الثمانية مع الضلع العمودي للمربع الاساسي، اما انصاف اقطارهما فتساوي ضلع احد المربعين الذين تتشكل منهما النجمة الثمانية، وبعدئذ تضاف العديد من التوصيلات التي تستكمل التفاصيل المطلوبة لوحدة التكرار الاساسية.

فالخطوط التي استخدمت هي خطوط مستقيمة وباتجاهات عمودية وافقية ومائلة، مع توازن اللون الاخضر مع الارضية، والعناصر ذات ملمس بارز.

اما ما يخص التكرار فالوحدات هي ذات تكرار تناظري ومتقابل منسجمة بالشكل والحجم والملمس، مع وجود التباين في الاتجاه والملمس والحجم ، والعناصر ذات توازن محوري متناسب مع العنصر الزخرفي للشكل الاساسي وهو المثلث المنتظم، في حين ان الهيمنة ظهرت في الملسم البارز والغائر لإضفاء حس بصري غير وهمي مع تحقيق الوحدة في الخط والاتجاه والشكل واللون والملسم والمساحة والحجم. المثل الثاني عشر:

شكل هندسي منفذ بطريقة الحفر في كوشة عقد ذي اربعة مراكز (لوح رقم ١٢) احتوى على عنصر الطبق العشري او النجمة العشرية.

ان هذا المثل الهندسي الذي بني على اساس فني قوامه المسدس المنتظم يتغير اساسه الفني الى المربع الذي يصح وحدة التكرار الرئيسية في الحد الاعلى والاسفل من المساحة. وفي هذه الحالة يدخل الى جانب النجمة الاثني عشرية وتشكيلاتها نجمة ثمانية مرتبطة معها من خلال تفرعاتها الشعاعية. وتدل هذه المزاوجة بين نظامين مختلفين من نظم التكرار على مهارة عالية وخبرة متقدمة في مجال التصميم الهندسي للزخارف. ويمكن القول ان هذا المثل بمثابة نموذجين متواشجين لولا تنفيذهما بصيغة نسيج واحد.

الخطوط التي اعتمدها المصمم هي خطوط مستقيمة بحتة وباتجاهات مختلفة مع تداخل اللون الاخضر والابيض المتوازن مع الملسم البارز للربع الزخرفي في حين ان الوحدات ذات تكرار تناظري ذي ايقاع رتيب منسجمة بالشكل والحجم والملسم، مع ظهور التباين في اللون والملسم فقط.

اما مبدأ التناسب، فالعناصر الزخرفية متناسبة مع العنصر العماري من ناحية التوازن والانسجام الزخرفي، وقد ظهرت الهيمنة في اللون بدرجة اساسية وهذا الهدف الذي كان قد اعتمده المزخرف لتحقيق الوحدة الجمالية.

الخاتمة:

الزخرفة من الفنون الانسانية التي تخلق متعة النفس البشرية فيما تبعثه من انفعالات جمالية وابداعية وخيالية الى جانب انها فن تشكيلي شانها في ذلك شأن الفنون الاخرى من الرسم و النحت وما الى ذلك . ومنذ القدم كانت الطبيعة وما فيها من مرتبات اساساً لكل زخرفة صحيحة، فهي وحي الفنان ومصدر الهامه وخياله، منها يستمد اسسها ونظمها وعناصر تكوينها، فاندفع الفنان وراء خياله ولكنه أخضع هذا الخيال الى القواعد الفنية من توازن وتقابل وتمائل واشعاع وهي جميعاً من الاسس الرئيسة التي يقوم عليها فن الزخرفة عامة .

وبذلك فقد اكد الفنان المسلم ان النضوج والابتكار في الفن هو ان يجعل من الطبيعة وما فيها من عناصر ووحدات مواضيع زخرفية، فيلبسها ثوباً جديداً بلمساته الفنية وابداعاته، إن ما يميز فن الزخرفة عن سواه من الفنون الاخرى هو تأثرها بالبيئة المحيطة التي هي حصيلة التطور الفكري والمادي للإنسان والتي تمثل اخر مستويات هذا التطور بوصفه فكراً منتجاً، إذ تعتمد على مبدأ الاعداد والتكرار والنمو والتطور، والوحدة الموضوعية، والتنوع والتشكيل والايقاع والتوازن، وكل ذلك ما يضمن استمرارية الحركة الشعورية للإنسان في متابعة العلاقات التكوينية بين وحدات تلك الزخرفة وعناصرها وكغيره من الفنانين المسلمين كان للطبيعة تأثيراً واضح على الفنان او المعمار المبدع الذي نفذ الزخارف الهندسية في الجامع ، كونها مصدر الهام في اقتناء عناصره الزخرفية ، فضلاً عن الموروث الحضاري، ثم وضع لمساته الفنية وابداعاته الحسية على هذه العناصر بعد إخضاعها إلى القواعد الفنية والأساسية في فن الزخرفة.

أما أبرز الاستنتاجات فتتلخص بما يأتي:

الاستنتاجات:

١. يعد عنصر الزخرفة الهندسية عنصراً عراقياً بحتاً ، فهو لم يكتشف الا في وادي الرافدين منذ اقدم العصور وهذا ما دللنا عليه التنقيبات في المواقع الاثرية العراقية ، وما استخدمه العرب في ابنياتهم الاثرية والتراثية وتاريخية من زخارف هندسية انما هو استمرار حضاري في بلاد وادي الرافدين.

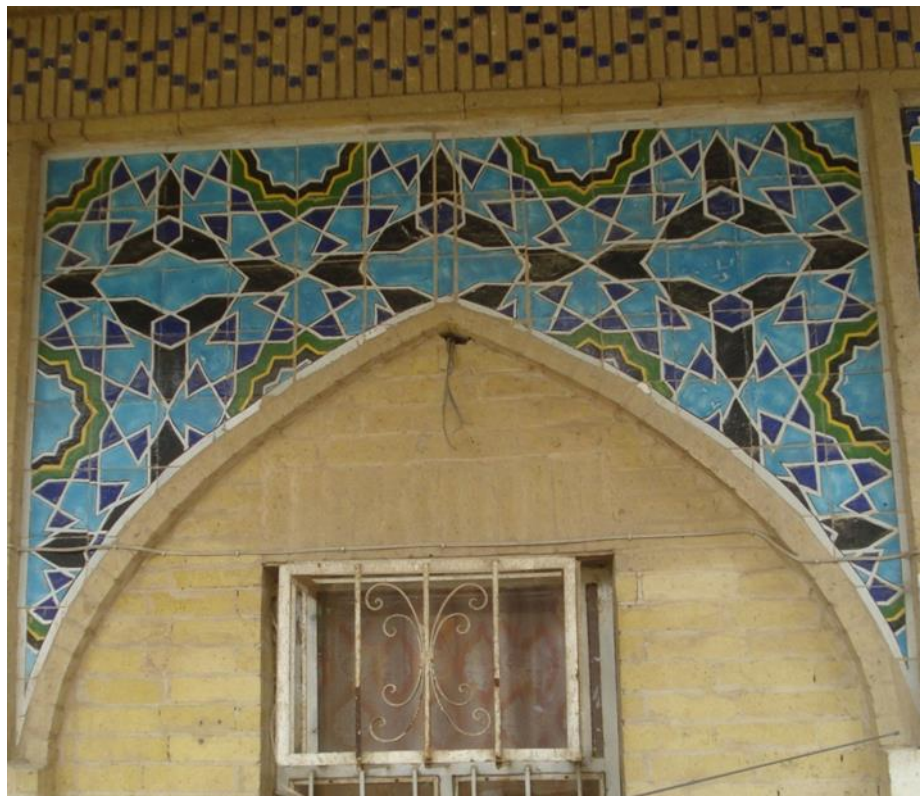
٢. المكونات الزخرفية في تصاميم الاجر ضمت المضلعات المنتظمة (مربع، منتظم ، غير منتظم ، سدس منتظم ، غير منتظم ، خمس ،منتظم ،غير منتظم) .
٣. لاحظ الباحث من خلال تحليل العينات ان الزخارف المنفذة في جامع حيدر خانة ، قد نفذت على عناصر بنائية اشتملت معظمها على كوشات العقود ذات الاربعة مراكز بالإضافة الى بدن المأذنة في الجامع.
٤. اعتماد التبادل الوظيفي للمفردات فأحيانا يلجأ المصمم الى استخدام اساس تصميم ودمجه مع اساس تصميمي اخر كتصرف ابتكاري لملء المساحات الكبيرة داخل التصميم.
٥. الاسس والعناصر التصميمية التي تعتمد عليها الزخارف الهندسية التي اشتهرت فيها الزخارف الهندسية الاسلامية هو عنصر التكرار ، لما له من اهمية في ابراز الشكل واظهاره وتنفيذه بواسطة المساحة المستطيلة والارباع الزخرفية.
٦. استخدم المعمار تقنية الحفر الغائر والبارز على الآجر مكونا توليفات تزيينية تقنن فيها المزخرف في اخراجها من خلال مستويات قطع الآجر واوضاعها.
٧. التنظيم الزخرفي والمكاني للمفردات داخل الفضاء وعلاقتها بالإخراج اللوني ولد اهمية في مركز الاستقطاب او الهيمنة وخاصة في اللون الازرق والاصفر.



اللوحة رقم (١)



اللوحة رقم (٢)



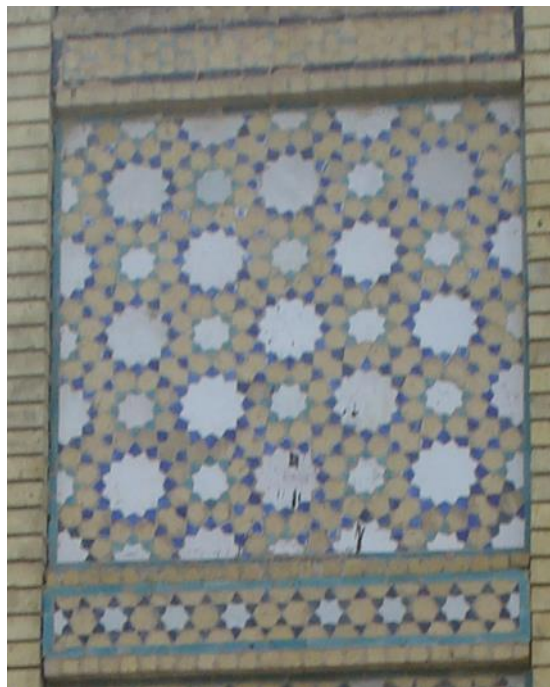
اللوحة رقم (٣)



اللوحة رقم (٤)



اللوحة رقم (٥)



اللوحة رقم (٦)



اللوحة رقم (٧)



اللوحة رقم (٨)



اللوحة رقم (٩)



اللوحة رقم (١٠)



اللوحة رقم (١١)



اللوحة رقم (١٢)

الهوامش:

١ تعرف الزخرفة لغوياً على انها الزينة ؛ (ابن منظور ، لسان العرب ، ج / ٢ ، ص ١٣٢). كما تعرفها (د. سليمة عبد الرسول) بانها اشكال يستمدّها الفنان العربي المسلم من تشكيلات فنية متناسقة لملاً الفضاء الذي احدثه غياب الصور الآدمية ، وتقديمها في اطر فنية تنسجم مع طبيعة المواد المستخدمة في الاعمال الفنية كالطين والأجر والحجر، والعظم والمعادن والاختشاب (عبد الرسول، سليمة، الاصول الفنية لزخارف القصر العباسي ،بغداد، وزارة الثقافة والاعلام، المؤسسة العامة للآثار والتراث، ١٩٨٠م، ص٣)، كما عرفها (الالفي)عناصر واشكال هندسية بسيطة مثل المثلثات والمربعات والعصائب والجدائل المزدوجة والخطوط المتكسرة والخطوط المتشابكة، (الالفي ، ابو صالح ، الفن الاسلامي) اصوله وفلسفته، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٩م، ص١١٤).

٢ القصيري ، اعتماد يوسف احمد ، الميزات الفنية للزخارف الجصية القائمة على واجهات البيوت العراقية وتأثيرها على زخارف بيوت دول الخليج، بغداد ، ٢٠١٨، ص ٨

٣ عبو ، فرج، علم عناصر الفن ، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، ج ١-٢، ١٩٨٢م، ص ٦٢

٤ الجمعة ، احمد قاسم : الزخرفة الاجرية ، موسوعة الموصل الحضارية ، دار الكتب ، جامعة الموصل ، ط ١ ، ١٩٩٢ ، مج ٣ ، ص ٣٦٢ .

٥ حميد ، عبد العزيز : الزخرفة في الاجر ، حضارة العراق ، بغداد ، سنة ١٩٨٥ ، ج ٩ ، ص ٤٠٥ .

٦ الصالحي ، واثق اسماعيل : العمارة في العصر السلوقي والفري ، حضارة العراق ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ج ٢ ، ص ٢١٦-٢٢٠ م ; حميد ، عبد العزيز : الزخرفة الجصية ، موسوعة الموصل الحضارية ، دار الكتب ، جامعة الموصل ، ط ١ ، سنة ١٩٩٢ ، مج ٣ ، ص ٣٨٣

٧ مرزوق، محمد عبد العزيز، العراق مهد الفن الاسلامي، وزارة الثقافة ، بغداد ، ١٩٧١م ، ص ٣٥.

٨ الصليب المعقوف: عنصر من عناصر الزخرفة الهندسية في الفن العربي الاسلامي ، يعد الصليب المعقوف (Swastika) واحداً من مجموعة عناصر زخرفية استعين بها في الفن العربي الاسلامي ضمن زخارفه الهندسية ، وهذا لا يعني ان العنصر قد ابتدعه الفنانون المسلمون فقد عرف منذ اقدم العصور فقد عرف عند الكثير من الشعوب علامة او تعويذة ضد الشر في اقليم تمتد من اقصى الشرق الى اقصى الغرب وقد يكون الآريون البدائيون اول من استعملها. (القزويني ، بلقيس محسن هادي، الصليب المعقوف ، عنصر من عناصر الزخرفة الهندسية في الفن العربي الاسلامي ، مجلة الاكاديمي ، ع ٢٠، مج ٦، ١٩٩٨م، ص ٨٠) .

- ٩ حميد ، عيسى سلمان ، العمارات الدينية، موسوعة حضارة العراق ، ج ٩، دار الحرية للطباعة ١٩٨٥م، ص ٣٧٠
- ١٠ الأجر المزجج: او ما يسمى (البلاط المزجج) وقد أطلق عليه الباحثون تسميات عديدة فمنهم ما أطلق عليه تسمية القاشاني (خضر ، عوف عبد الرحمن ، التناسب في العمارة الاسلامية ، مجلة افاق عربية ، ع ٢ ، ١٩٨٤م ، ص ٥٦) وهناك ما أطلق عليه تسمية البلاطات ذات البريق المعدني . (٥، ص ١٧٦) ووردت تسميات أخرى كالآجر المزجج . (الدوري ، عياض، دلالات اللون في الفن العربي الاسلامي ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠٠٢م، ص ٦٨) ، وقد سماها باحث اخر بأسم القراميد العمارية.
- ١١ الاعظمي ، خالد جليل ، الزخارف الجدارية في اثار بغداد ، بغداد ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٠م، ص ١١٧
- ١٢ حميد ، عيسى سلمان ، المصدر السابق ، ص ٣٧٠
- ١٣ عبد الخالق، فريال داود، الزخرفة بالعاج، مجلة افاق عربية ، ع ١٨ ، ١٩٨٨م، ص ٤٥٣
- ١٤ اللامي ، علاء حسين جاسم ، المباني التراثية البغدادية (القصور والدور) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة جامعة بغداد ، ٢٠١٦م، ص
- ١٥ جامع الخاصكي اليوم : يقع في محلة رأس القرية ، أي بين شارع النهر والشارع العام في بغداد انشأه محمد باشا السلحدار والي العراق عام (١٠٦٧-١٠٦٩هـ) ومحرايه هو محراب المسجد الجامع لمدينة بغداد
- ١٦ باب بغداد: هو احد مداخل مدينة الرافقة التي بناها المنصور على طراز بغداد بجانب مدينة الرقة القديمة بالشام سنة ١٥٥٠هـ. (الاعظمي ، المصدر السابق ، ص ٢٨)
- ١٧ رجب ،غازي ، العمارة العربية الاسلامية ، جامعة بغداد ، ١٩٨٧م ، ص ٩١
- ١٨ التميمي، عباس علي، الطابوق، صناعته، قياساته في العراق القديم، سومر، ١٩٨٢م، ج (١-٢)، م (٣٨)، ص ٢٧٦.
- ١٩ حميد، عبد العزيز، الزخرفة في الأجر، ص ٤٠٥.
- ٢٠ الجادر، وليد، العمارة حتى عصر فجر السلالات، حضارة العراق، ج ٣، ص ٨٣.
- ٢١ حميد ، عيسى سلمان، المصدر السابق ، ص ٤٠٧
- ٢٢ قام بتشيد هذا الجامع داود باشا والي بغداد في العهد العثماني (١٢٣٢-١٢٤١هـ / ١٨١٦-١٨٢٥م) لكن البناء تم سنة ١٢٤٢-١٨٢٦م ، ويشغل الجامع مساحة من الارض منحرفة الشكل يحيطها سور ضخيم يشكل جدران الجامع الخارجية وتؤدي اليه ثلاث مداخل كبيرة بهيئة أولوين اثنان منها يطلان على شارع الرشيد ، اما المدخل الثالث فمفتوح في

الجدار الشمالي الغربي ، ويقع بيت الصلاة في القسم الجنوبي الغربي من الساحة الداخلية ويتكون من مصلى مغلق يتقدمه رواق مفتوح على الصحن ومساحة المصلى (٣٠ × ٢٧ م) يتألف من ثلاث اساكيب اكبرها الاسكوب الاوسط وهي تولف ثلاث بلاطات اكبرها بلاطة المحراب ، اما الرواق المفتوح على الصحن بثلاث فتحات امامية اكبرها الفتحة الوسطية وفتحتان جانبيتان ، ويضم هذا الجامع مصلى صيفي اخر مكشوف يشغل الصحن المجاور للمسقف في الجهة الشمالية الغربية يسمى المصلى الصيفي وتقام فيه الصلاة صيفا على وجه الخصوص ، وقد شيد هذا الجامع بالأجر والجص ويمتاز بضخامة جدرانه وامتانتها وسمكها الذي يبلغ اكثر من مترين ليتمكن من حمل القبة الضخمة التي تغطي بلاطة المحراب ويفصل بين اساكيب المصلى وبلاطاته اكتاف ضخمة مربعة الشكل طول ضلعها حوالي ٢م مبنية بالأجر ومغطاة بطبقة من الجص ، ومحرايه يتوسط جدار القبلة ، ويعلوه المسجد قبة ضخمة قطر رقبته ١١م تغطي بلاطة المحراب وترتفع عن ارضية المصلى ١٨م وهي بصليية الشكل محشوه من الخارج بالواح الخزف الازرق وبقيّة سقف بيت الصلاة مغطاة بقباب صغيرة قليلة الارتفاع على نفس الطريقة العثمانية في التسقيف والبناء . (النقشبندي، اسامة، جامع الحيدر خانة عمارته وموقعه، مجلة سومر، مج ٢٩، ١٩٧٣م ، ص ٢٤٥-٢٥٦)

٢٣ الاطباق النجمية تعد من الزخارف الهندسية المبتكرة التي أختص بها الفن الإسلامي " إن هذه الزخارف لا فضل لأحد في أبتكارها وتطويرها سوى الفنان العربي المسلم ، وليس هناك أي طراز من الفنون قد وصلت فيه أساليب الزخارف الهندسية الى القمة مثل ما وصلت اليه في الفن الاسلامي " (المختار ، المصدر السابق ، ص ١٧٣). يسمى الطباق النجمي في العراق (الربع) لأن الشكل الزخرفي كان يرسم في ربع المساحة المطلوب زخرفتها ثم يكرر هذا العمل حتى يغطي كامل المساحة ، وعُمت هذه التسمية على هذا النوع من الزخرفة من باب إطلاق تسمية الجزء على الكل ، وقد سميت النجمة بـ (الشمسة) ويسمى الطباق النجمي مثلاً بالعشري او الاثني عشري تبعاً لعدد اضلاع النجمة او الشمسة (الجنابي ، كاظم ، "حول الزخارف الهندسية الاسلامية" ، مجلة سومر ، العدد ٣٤ ، ١٩٧٨ ، ص ١٤٤)، هناك عدة أنواع من الاطباق النجمية منها الكاملة وغير الكاملة والتي تعتمد على المسدس المنتظم وغير المنتظم ؛ (الكواري ، عيسى سعد ، المفهوم الهندسي لفن الزخرفة الاسلامية ، أعمال الندوة الدولية حول آفاق تنمية الفنون الزخرفية في حرف العالم الاسلامي اليدوية (الارابيسك) ، دمشق ، ١٩٩٧م ، ص ٩٨).

٢٤ المعينات : وهي أشكال هندسية زخرفية ذات أربعة أضلاع (مضلعة)، ناتجة عن امتداد الخطوط المستقيمة والمتوازية وتقاطعها مع بعضها البعض ، والتي ينبثق عنها أشكالاً هندسية جديدة تمثلت بالأشكال المعينية ، وقد تنوع

استخدمها من قبل الفنان العراقي فنجه مرة يستخدمها بشكل سلسلة متصلة من المعينات التي تأخذ شكل الاطار الخارجي لتشكيلاته الزخرفية المختلفة التي نفذها على الآجر.

٢٥ الزخرفة الحصرية تعرف هي زخارف ذات طابع هندسي تتشكل أما من تجميع وترتيب قطع الآجر المستطيلة أفقياً وعمودياً بما يشبه نسيج الحصر، أو من ترتيب قطع الآجر المستطيلة بشكل أفقي تتخللها مربعات مشغولة بوحدة زخرفية محفورة تتراصف زواياها من جهة لتشكل التصميم الزخرفي المطلوب. (مرزه ، مؤمل سليم عزيز ، الزخرفة الحصرية في الفن الاسلامي العصر العباسي والعهد العثماني في العراق انموذجا ، وقائع اعمال المؤتمر العلمي الاول لعلوم الاثار ، كلية الاثار ، جامعة الكوفة ، ٢٠١٧ ، ص ٦٠٣).

المصادر والمراجع:

١. ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم أبن منظور الأفريقي المصري (ت ٦٣٠ هـ)، لسان اللسان، تهذيب لسان العرب ،هذه بعناية ،المكتب الثقافي لتحقيق الكتب، تحت إشراف عبد أحمد علي مهنا، ط ١، دار الكتب العلمية ،بيروت، ١٩٩٣، ج ٢.

٢. الاعظمي ، خالد جليل ، الزخارف الجدارية في اثار بغداد ، بغداد ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٠م.

٣. الالفي ، ابو صالح ، الفن الاسلامي (اصوله وفلسفته) ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٩م

٤. التميمي، عباس علي، الطابوق، صناعته، "قياساته في العراق القديم"، مجلة سومر، بغداد ، ١٩٨٢م، ج (٢-١)، م (٣٨).

٥. الجادر، وليد، "العمارة حتى عصر فجر السلالات"، حضارة العراق، بغداد، ١٩٨٥م، ج ٣.

٦. الجمعة ، احمد قاسم ، الزخرفة الاجرية ، موسوعة الموصل الحضارية ، دار الكتب ، جامعة الموصل ، ط ١ ، ١٩٩٢ ، مج ٣ .

٧. الجنابي ، كاظم ، "حول الزخارف الهندسية الاسلامية" ، مجلة سومر ، بغداد ، ١٩٧٨م، العدد ٣٤.

٨. حميد ، عبد العزيز، الزخرفة في الاجر ، حضارة العراق ، بغداد ، سنة ١٩٨٥ ، ج ٩ .

٩. حميد ، عيسى سلمان ، العمارات الدينية، موسوعة حضارة العراق ،دار الحرية للطباعة ١٩٨٥م، ج ٩.

١٠. خضر ، عوف عبد الرحمن ، التناسب في العمارة الاسلامية، مجلة افاق عربية ،دار الحرية للطباعة، ١٩٨٤م، ع ٢.

١١. الدوري ، عياض، دلالات اللون في الفن العربي الاسلامي ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠٠٢م.

١٢. رجب ،غازي محمد، العمارة العربية الاسلامية في العراق، جامعة بغداد ، ١٩٨٧م .

١٣. الصالحي ، واثق اسماعيل ، العمارة في العصر السلوقي والفرثي ، حضارة العراق ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ج ٢ .
١٤. عبد الرسول، سليمة، الاصول الفنية لزخارف القصر العباسي ،بغداد، وزارة الثقافة والاعلام، المؤسسة العامة للآثار والتراث، ١٩٨٠م
١٥. عبو ، فرج، علم عناصر الفن ، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، ١٩٨٢م، ج ١-٢.
١٦. القزويني ، بلقيس محسن هادي، الصليب المعقوف ، عنصرا من عناصر الزخرفة الهندسية في الفن العربي الاسلامي ، مجلة الاكاديمي ، ١٩٩٨م، ع ٢٠، مج ٦ .
١٧. القصيري ، اعتماد يوسف احمد ، الميزات الفنية للزخارف الجصية القائمة على واجهات البيوت العراقية وتأثيرها على زخارف بيوت دول الخليج، بغداد ، ٢٠١٨.
١٨. الكواري ، عيسى سعد ، المفهوم الهندسي لفن الزخرفة الاسلامية ، أعمال الندوة الدولية حول آفاق تنمية الفنون الزخرفية في حرف العالم الاسلامي اليدوية (الارابيسك) ، دمشق ، ١٩٩٧م .
١٩. اللامي ، علاء حسين جاسم ، المباني التراثية البغدادية (القصور والدور) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة جامعة بغداد ، ٢٠١٦م.
٢٠. لمختار، فريال داود، الزخرفة بالعاج، مجلة افاق عربية ،دار الحرية للطباعة ، بغداد، ١٩٨٨م، ع ١٨.
٢١. مرزه ، مؤمل سليم عزيز ، الزخرفة الحصيرية في الفن الاسلامي العصر العباسي والعهد العثماني في العراق انموذجا، وقائع اعمال المؤتمر العلمي الاول لعلوم الآثار، كلية الآثار ، جامعة الكوفة ، ٢٠١٧م.
٢٢. مرزوق، محمد عبد العزيز، العراق مهد الفن الاسلامي، وزارة الثقافة ، بغداد ، ١٩٧١م .

أثر استراتيجية يواي في تحصيل طالبات الصف الثاني متوسط

في مادة علم الاحياء والتمثيل المعرفي لديهن

م. رشا عبد الهادي صالح

كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة

المقدمة:

يهدف البحث الحالي الى التعرف على أثر استراتيجية يواي في تحصيل طالبات الصف الثاني متوسط في مادة علم الاحياء والتمثيل المعرفي لديهن ولتحقيق هدف البحث اعتمدت الباحثة التصميم التجريبي ذا الضبط الجزئي، اذ بلغت عينة البحث (٦١) طالبة بواقع (٣٠) طالبة للمجموعة التجريبية و (٣١) طالبة للمجموعة الضابطة ، وقد كافأت الباحثة احصائيا بين المجموعتين في المتغيرات الاتية (العمر الزمني للطالبات محسوبا بالشهور، درجات مادة علم الاحياء للكورس الاول، مستوى الذكاء، مقياس التمثيل المعرفي)، أما أداتي فقد اعدت الباحثة مقياسا للتمثيل المعرفي ومكون من (٤٠) فقرة ،اختبار تحصيلي مكون من (٥٠) فقرة من نوع الاختيار من متعدد ذي أربعة بدائل، واستعملت الباحثة الوسائل الاحصائية الاختبار التائي (T – test) لعينتين مستقلتين ومربع كاي ومعامل الارتباط بيرسون ومعادلة سبيرمان ومعامل الصعوبة ومعامل التمييز ومعادلة فعالية البدائل.

الفصل الأول: التعريف بالبحث:

أولاً: مشكلة البحث:

ان الانفجار المعرفي وثورة المعلومات والتجدد فيها أدى الى بناء عقول سليمة وتحديد الأهداف وسبل تحقيقها وتنظيم الوقت للحصول على المعرفة ذات مستوى عال بأقل جهد وأقصر وقت ليتحقق لهم التوازن والنجاح في حياتهم المدرسية. ان عملية اكتساب المعلومات والمعارف والخبرات تحتاج الى جهد وتركيز، مما يجب اتباع أساليب واستراتيجيات تصلح للتعامل مع هذا الاتجاه. إن التربية تستند الى اجراءات وممارسات وأنشطة تمارس في المؤسسة التربوية من قبل العاملين فيها وذلك للوصول الى هدف معين.

لذا فان استراتيجية التدريس هي خطوات متجانسة يمكن للمعلم تحويلها الى طرائق ومهارات تدريسية تلام طبيعة المتعلم والمقرر الدراسي وظروف الموقف التعليمي لتحقيق هدف او أهداف. فالأسلوب المعتمد في مادة العلوم هو الحفظ والتلقين في المراحل الدراسية كافة ومن ضمنها المرحلة المتوسطة وهذا لا يساعد على التفكير ذا ان مادة العلوم له علاقة بحياة الفرد . (ياسين ،٢٠١٢: ٣٤)

هناك مؤشرات على ضعف طالبات المرحلة الثانية في مادة علم الاحياء وهذا ما اكده العديد من الدراسات العراقية في هذا المجال أشارت في نتائجها الى انخفاض مستوى التحصيل للدراسي لدى الطلبة في مادة علم الأحياء كدراسة الركابي (٢٠١٢) وعبد الخالق (٢٠١١) والعيسوي (٢٠١٠) وللتأكد من انخفاض في التحصيل زارت الباحثة عددا من المدارس المتوسطة في مركز محافظة النجف الأشرف للاستفسار عن واقع تدريس مادة الأحياء ومستوى الطالبات وعند الاستفسار كانت الإجابة بان السبب هو قلة الدورات التأهيلية للكوادر التدريسية وصعوبة المناهج الدراسية وتري الباحثة استخدام استراتيجية حديثة والابتعاد عن طريقة التدريس التقليدية التي تركز على الحفظ وتلقين المعلومات واستعمال استراتيجيات حديثة تساعد على تنمية التفكير الذهني وجعل الطالب محور العملية التعليمية ومن خلال ما سبق يمكن ان نحدد مشكلة البحث من خلال الاجابة على السؤال الآتي ((أثر استراتيجية يوادي في تحصيل طالبات الثاني متوسط في مادة علم الأحياء والتمثيل المعرفي لديهن)).

ثانيا: أهمية البحث:

ان العصر الحالي يتسم بالتقدم العلمي الهائل الذي يزداد تعجيلا كل يوم تاركا اثارا ايجابيه في تحقيق الرفاهية للإنسان وهذا لا يعني عدم وجود بعض الآثار السلبية لهذا التقدم ،غير ان سبب هذه الآثار السلبية ليس العلم وتطبيقاته بل سوء استخدام الإنسان للعلم وتطبيقاته. وهذا ما جعل لتدريس العلوم اهمية عظمى خاصة في المراحل للدراسة (المتوسطة والاعدادية) باعتباره جزءا لا يتجزأ من الثقافة الانسانية . أن تدريس العلوم في أي مرحلة دراسية أنما هو يمهد لدرسته في مرحلة لاحقة هذا يعني أعداد كوادر متخصصة في العلوم تسهم في تصميم الخطط . وهناك الكثير من الاساليب والاستراتيجيات التي تساعدنا

في تحقيق اهدافنا في تدريس العلوم والمعرفة العلمية (السامرائي، ٢٠١٢ : ٤٨) ويساعد تدريس العلوم في المرحلة المتوسطة الى مساعدة الطلبة على استيعاب المعرفة والعمليات العقلية . ولهذا اصبحت العملية التعليمية تهتم بعرض المواقف التعليمية وتهيئتها على شكل مشكلات تتطلب من المتعلم التفكير فيها واستخدام عملياته العقلية في معالجة ما تتضمنه من معلومات وتنسيقها وتبويبها بحيث يصبح العقل معالجا ومنظما لها على نحو فعال وايجابي ومن هنا أصبحت الحاجة الى اكتساب الطلبة استراتيجيات التعلم والاستدكار التي تضمن اكتساب المعلومات العقلية في الذاكرة لدى المتعلم ثم استرجاعها وتطبيقها في مواقف مختلفة (جابر ، ١٩٩٨ : ٣٨) . وان استخدام استراتيجية في التدريس يسير عملية الاتصال بين الطالب والمعلم وتساعدهم على تحقيق الاهداف التربوية المنشودة. كما ان لاستراتيجية تدريس مكانة عالية في تدريس وذلك كونها أحد الوسائل التعليمية التي تساعد في ترجمة المنهج الدراسي الى مكونات معرفية. والتعلم المعرفي يتضمن تنظيم موقف التعلم واعادة بنائه كي يتمكن المتعلم من التفاعل مع المتغيرات البيئية وبذلك تتحدد وظيفة المعلم في هذا النوع من التعلم بمعرفته للأبنية العقلية للمتعلم ومساعدته على تطوير ابنيه معرفية جديدة ووصفها في بنى منظمة يسهل عليه استدكارها (قطامي ١٩٩٠ : ٤٥) والمعرفة هي تشير الى جميع العمليات السيكلوجية التي بوساطتها تتطور المدخلات وتختصر وتختزن في عقل المتعلم حتى يستدعيها العقل كي تستخدم في المواقف المختلفة وتمثل هذه العمليات الادراك والتفكير والتخيل والتذكر (الخزن والاسترجاع) وغيرها من العمليات السيكلوجية وتفسر هذه العمليات في اطار ما يعرف بمعالجة المعلومات وهو مفهوم يمكن ان يستوعب كل الأنشطة والعمليات العقلية التي تبدأ من لحظة تمثل المثير وحتى حدوث الاستجابة التي تتناسب مع المواقف التي يتعرض لها الفرد ،(قطامي ، ١٩٩٨ : ١٧) ويحدد الاتجاه المعرفي العمليات العقلية للمتعلم وأنظمتها في عملية التعلم والإدراك ويؤكد أسلوبه وتميزه وفرديته فان ما يظهره المتعلم من استراتيجيات ترتبط بالأنشطة الذهنية التي يطورها باستمرار في المواقف التي يواجهها فيقوم بتنظيم المعرفة بطريقة تسهل عليه الترميز والخزن والاسترجاع لذلك ينظر العلماء المعرفيون للمتعلم بانه نشط وحيوي في تنظيم بنيته المعرفية

وضبطها وينظرون للتعلم بأنه عملية توليد المعرفة .(الموسوي ،٢٠١٢ : ٣٦) وان عملية تمثيل المعلومات وتخزينها في مخططات توضح توقعاتنا السائدة عن منبه معين وفي استحضار خبراتنا عن ظهور المنبه فنتذكر الكثير من صفاته ونضع من التنبؤات عن كل ما يتعلق بذلك المنبه ويرى الباحثون ان فهم المادة مقروءة دون استخدام المخطط المناسب شبيه بالسير في مدينة من غير توافر خارطة .وان استخدام استراتيجيات تدريس حديثة يمكن ان تساعد او تساهم في معالجة تلك المشكلة وتهدف استراتيجية يواي على تعليم اكثر من تعلم وتركز على معرفة الإجرائية وتستند هذه الاستراتيجية الى النظرية المعرفية لتي تساعد المتعلم على إعادة تنظيم معلوماته حول موضوع الاتجاه وإعادة تنظيم البنى المعرفية المرتبطة به في ضوء المعلومات والبيانات .(الهادي ، ٢٠١٠ : ٢٠) وأهمية المرحلة المتوسطة بوصفها حلقة وصل ما بين المرحلة الابتدائية ومرحلة الاعدادية ،أي ان هذه المرحلة تتسم فيها تغيرات في جوانب الشخصية مثل تغيرات عقلية والنفسية واجتماعية .(زهران ، ١٩٩٥ : ٣٤٣)

وتتجلى أهمية البحث الحالي :

- أهمية طرائق التدريس الحديثة والاساليب التدريسية من استراتيجيات ترتبط بالأنشطة الذهنية التي بوصفها الاساس في تحقيق الاهداف .
 - أهمية مادة علم الأحياء لان لها علاقة بحياة الفرد التي تسهم في تنميه القيم لدى الطلبة اضافة الجانب المعرفي .
 - قد تتخذ استراتيجية يواي مسارا بعيدا عن المسار التقليدي الذي يعتمد على الحفظ والتلقين .
 - أهمية المرحلة المتوسطة لانها مرحلة انتقالية ما بين المرحلة الابتدائية والمرحلة الاعدادية وما تتطلبه هذه المرحلة من تغيرات كاملة في جوانب الشخصية.
- ثالثا: هدف البحث :-

يهدف البحث الحالي الى التحقق من (أثر استراتيجية يواي في تحصيل طالبات الثاني متوسط في مادة علم الأحياء والتمثيل المعرفي لديهن)

رابعاً : فرضيتا البحث :-

- لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (٠,٠٥) بين متوسط درجات المجموعة التجريبية اللواتي يدرسن مادة العلوم باستخدام استراتيجية يواي ودرجات طالبات المجموعة الضابطة اللواتي يدرسن وفق الطريقة الاعتيادية في اختبار التحصيلي للمادة علم الاحياء .
- لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (٠,٠٥) بين متوسط درجات المجموعة التجريبية اللواتي يدرسن مادة العلوم باستخدام استراتيجية يواي ودرجات طالبات المجموعة الضابطة اللواتي يدرسن وفق الطريقة الاعتيادية في مقياس التمثيل المعرفي .

خامساً : حدود البحث:

- الحد البشري: طالبات الصف الثاني متوسط في احدى المدارس المتوسطة النهارية التابعة لمديرية النجف الإشراف
 - الحد المعرفي: الفصول الأخيرة للعام الدراسي ٢٠١٦-٢٠١٧ للفصل الدراسي الثاني ط٦ (٢٠١٥)
 - الحد المكاني: متوسطة أوراس للبنات في مركز محافظة النجف الإشراف
- سادساً : تحديد المصطلحات:

أولاً -الأثر: -عرفها (النجار وحسن ٢٠٠٣)

"أنة محصلة تغير مرغوب فيه يحدث في المتعلم نتيجة لعملية التعليم المقصودة "

(النجار وحسن ،٢٠٠٣: ٤٤)

تعريف الاجرائي: هو التغير الحاصل في درجات طالبات عينة البحث (التجريبية والضابطة) في التحصيل والتمثيل المعرفي .

ثانياً-استراتيجية يواي :عرفها قطامي (٢٠١٣)

"بأنها كلمات اجرائية وادوات متتابعة لكي تؤدي الى حل المشكلات اذ تركز على المعرفة الإجرائية وتذكرها لتسهيل اكتساب مهارة وعمليات التسلسل". (قطامي ،٢٠١٣: ٢٨٨)

التعريف الإجرائي: الإجراءات والأدوات المتتابة التي تتبعها الباحثة في تدريس موضوعات من علم الاحياء للصف الثاني متوسط للمجموعة التجريبية وتساعدن على تنظيم المحتوى الدراسي لهن.

ثالثا: التحصيل : عرفها أبو جادو (٢٠٠٨):

"محصلة ما يتعلمه الطالب بعد مرور مدة زمنية محددة ، ويمكن قياسه بالدرجة التي يحصل عليها في اختبار تحصيلي لمعرفة مدى نجاح الاستراتيجية التي يضعها ويخطط لها المدرس لتحقيق أهدافه وما يصل إليه الطالب من معرفة تترجم إلى درجات " (أبو جادو ، ٢٠٠٨ : ٤٢٥) .

- التعريف الإجرائي :

"محصلة ما تتعلمه طالبات الصف الثاني متوسط بعد مرور مدة البحث المحددة ويمكن قياسه بالدرجات التي تحصل عليها الطالبات في اختبار تحصيل مادة علم الاحياء الذي أعدت الباحثة لأغراض هذا البحث " .

رابعا : التمثيل المعرفي :عرفها زيتون (٢٠٠٨)

"العملية التي يقوم بها الفرد بإعادة صياغة المعلومات أو إعادة التعبير عنها بصورة تظهر العلاقات المهمة في عناصرها عن طريق تحويلها إلى أشكال تخطيطية أو مخططات جداول ، رموز ، أشكال بيانية ونحو ذلك من صور إعادة الصياغة " (زيتون ، ٢٠٠٨ : ٢٨) .

التعريف الاجرائي:

"الدرجة التي تحصل عليها طالبات الصف الثاني متوسط على مقياس التمثيل المعرفي المعد لأغراض هذا البحث.

الفصل الثاني: خلفية النظرية:

اولا: الاستراتيجية :

ان مصطلح الاستراتيجية مشتق من الكلمة اليونانية (استراتيجوس) ويعني في اللغة العربية (فن القيادة) ويرد لفظ (استراتيجية) في باب الوسائل التي يقابلها المقاصد او الغايات في السلوك والافعال الاجتماعية

فكل سلوك له في النهاية قصد او غاية تعبر عن حاجة اساسية (عبد الله، ٢٠١٥: ٤٢) والاستراتيجية سلوك انساني مركب ومتكامل تضع في الحسبان جميع معطيات الموقف التي ستعالجه لأجل تحقيق غرض معين بقليل من الخطأ او المصادقة او هي خط السير الموصل الى الهدف او الإطار الموجه لأساليب العمل والدليل الذي يرشد حركته. (قلادة، ٢٠٠٩: ١٠٥) اما في التدريس فقد عرفت استراتيجية بأنها مجموعة متجانسة من الخطوات المتتابعة يمكن للمعلم تحويلها الى طرائق ومهارات تدريسية تلائم طبيعة المعلم والمتعلم والمقرر الدراسي وظروف والموقف التعليمي والامكانات المتاحة لتحقيق هدف او اهداف محددة مسبقا او انها مجموعة تحركات المعلم داخل الصف التي تحدث بشكل منتظم ومتسلسل تهدف الى تحقيق مخرجات تعليمية مرغوبة من خلال الربط بين المهارات التدريس التخطيط والتنفيذ والتقييم (قطامي، ٢٠١٣: ٨٧) ولهذه فان استراتيجية التدريس تتصل بجميع الجوانب التي تساعد على حدوث التعلم بما في ذلك طرائق التدريس وأساليب أثارة الدافعية لدى المتعلمين وكيفية توظيفها واستثمارها بطريقة تراعي ميول المتعلمين واستعداداتهم وتوفير مستلزمات التعليم وأساليبه الملائمة (عطية، ٢٠١٥: ٣٨) ولا يمكن القول بان هناك استراتيجية معينة افضل من غيرها بشكل مطلق ولكن هناك استراتيجية تحقق بعض جوانب التعليم افضل من غيرها كما قد تفضل استراتيجية ما عن غيرها من الاستراتيجيات في ظروف تعليمية معينة وفي حدود امكانات مادية معينة وعلى المعلم ان يضع كل ذلك في نظر الاعتبار عن تخطيطه للتدريس واختياره استراتيجيات التدريس التي سيتبعها بحيث تكون الاطار الموجه لأساليب عمله باستخدام مجموعة من الاجراءات الارشادية التي تحدد وتوجه مسار عمل المعلم للوصول الى مخرجات او نواتج تعلم محددة منها ما هو عقلي معرفي او وجداني او نفس حركي. (المسعودي، ٢٠١٥: ١٩٢)

مواصفات الاستراتيجية الجيدة :

- الشمول بحيث تتضمن جميع المواقف والاحتمالات المتوقعة في الموقف التعليمي .
- المرونة : والقابلية للتطوير بحيث يمكن استخدامها من صف لآخر .

- ان تراعي الامكانيات المتاحة بالمدرسة.
- ان تعالج الفروق الفردية بين الطالب .
- ان تراعي نمط التدريس ونوعه (فردى ،جماعى).
- ان تربط باهداف تدريس الموضوع الأساسية. (ياسين ،٢٠١٢: ٦٧)
- مكونات استراتيجيات التدريس :
- الأهداف التدريسية
- التحركات التي يقوم بها المدرس وينظمها لىسير وفقا لها فى تدريسه .
- الأمثلة والتدريبات والمسائل والوسائل المستخدمة للوصول الى الأهداف .
- الجو التعليمى والتنظيمى الصفى للدرس .
- استجابات الطلاب بمختلف مستوياتهم والنتيجة عن المثيرات التى ينظمها المعلم ويخطط لها (زيتون ، ٢٠٠١: ٢٩٢)

استراتيجية يواي :

استراتيجية يواي أحد استراتيجيات مساعدات التذكر فقد طورها ياباني تربوي يدعى Masachikan Nakane لأغراض التدريس وقد استعملها لأكثر من ٧٠ عاما فى العديد من المدارس اليابانية بما فيها معهد Japan Ryoyo Istitute of Kyoto ويعد هذا المركز مدرسة تجريبه تضم الطلبة من المرحلة الروضة وحتى الثانوية وتفترض هذه الاستراتيجية ان الرموز والكلمات الموجودة فى المشكلة تلميحات لاستخلاص جوهر المشكلة للوصول للحل وان يكتسب الطالب الاجراء المطلوب من دون رهبة التعرض لمعلومات جديدة (شمران ،٢٠١٧: ٣٤)

خطوات استراتيجية يواي تتمثل بما يأتى :

- أ- يذكر المدرس المفهوم
- ب- يكرر الطلبة المفهوم من قبل كل الصف بصوت عال .

ت- يكتب احد الطلبة المفهوم على السبورة.

ث- رسم التشبيهية استعمال صورة .

ج- القيام بإجراءات الاستراتيجية .

ح- الوصول الى التعميم . (القطامي ، ٢٠١٣ : ٣٠١)

ثانيا: التمثيل المعرفي : Cognitive Representation

إن عملية التمثيل المعرفي للمعلومات هي عملية ذهنية موازية لعمليات التمثل البيولوجية ، إذ تتمثل في دمج عناصر الخبرات الجديدة في نظام البنية المعرفية العضوية للفرد . ومثال ذلك عملية هضم الطعام أو عملية التمثيل الضوئي لدى النبات. وكما هو الحال في التمثيل البيولوجي فان التمثيل المعرفي في الحياة العقلية يتضمن إدماج البيانات الجديدة بالأبنية المعرفية الداخلية الأصلية. وهذه العملية ليست عملية سلبية لنسخ الواقع أو مجرد ربط المثير بالاستجابة ولكنها عملية تقوم بها الأبنية المعرفية الداخلية لتتقيا المنبهات والمثيرات الداخلة خلال أنشطة تقوم بها الأبنية المعرفية (قطامي ، ٢٠٠٥ : ٢٥٩) .

ان النظرية المعرفية تستند الى مساعد المتعلم على تنظيم معلوماته حول موضوع وإعادة تنظيم البنى المعرفية المرتبطة به في المعلومات والبيانات المستجدة (الهادي ، ٢٠١٠ : ٢٠٠) .

النظريات التي فسرت التمثيل المعرفي:

١- نظرية بياجيه :

ينظر بياجيه الى التطور المعرفي من زاويتين هما البنية العقلية والوظائف العقلية ويرى ان النمو المعرفي لا يتم لا بمعرفتهما ويشير البناء العقلي الى حاله التفكير التي توجد لدى الفرد في مرحلة تطوره اما الوظائف فتشير الى عمليات التي يلجا اليها الفرد عند تفاعله مع مثيرات البيئة التي يتعامل معها ويهتم بياجه بتطور التراكيب او الأبنية حيث يؤكد ان الوظائف العقلية عند الانسان موروثة وبالتالي فهي ثابتة لا تتغير. اما لأبنية العقلية تغيير مع مرور الزمن نتيجة تفاعل مع البيئة. ويرى بياجيه ان هناك وظيفتين اساسيتين التفكير ثابتتين لا يتغيران مع التقدم العمر هما التنظيم والتكيف وتمثل وظيفة التنظيم نزعة الفرد

الى ترتيب العمليات العقلية وتنسيقها في أنظمة كلية متناسقة ومتكاملة اما وظيفة التكيف فتمثل نزعة الفرد الى التلاؤم مع البيئة التي يعيش فيها (توق وآخرون ٢٠٠٣: ٢٠٠) وتكيف عبارة عن تغيرات في العضوية تحدث استجابة لمطالب بيئية وتعتبر عملية التكيف وظيفة على درجة كبيرة الاهمية .ويحدث التكيف من خلال عمليتين هما التمثيل والمواءمة والتمثيل فهو عبارة عن عملية تعديل المعلومات الجديدة بما يتناسب مع ما لدى الفرد من أبنية معرفية اما المواءمة فتعني تغير او تعديل ما لدى الفرد من أبنية معرفية لتناسب مع المعلومات او الخبرات الجديدة التي يواجهها الفرد (Peterson, ١٩٩١, ٤٤) . وقد اطلق بياجة على التطور المعرفي اسم البنائية لانه كان يعتقد ان اكتساب المعرفة العلمية مستمرة من البناء الذاتي بمعنى ان المعرفة ليست موجود خارج الفرد في انتظار اكتشافها كما انها ليست داخل الفرد جاهزة للانطلاق بمجرد تطور الفرد (Dembo, 1994, ٥٧)

٢- نظرية اوزيل

توصل اوزيل إلى نظرية معرفية على التعلم اللفظي ذي المعنى مفترضا ان المفهوم او التصور الذهبي لخبرة ما يكتسب معنى سيكولوجيا حقيقيا اذا ارتبط بالمخزون المعرفي للمتعلم ويفترض ان الناس يتعلمون عن طريق تنظيم المعلومات الجديدة في نظامهم التسجيلي فيسمى المفاهيم العامة بالتضمين لان المفاهيم الاخرى تتطوي تحته كما يفترض ان المتعلم ينمو ويتقدم بطريقة استنتاجية من فهم المفاهيم العامة الى فهم مفاهيم الاكثر تحديداً. (قطامي ١٩٩٨: ٤٤) وان التعلم من وجهة نظره هو العملية التي يتم بوساطتها ربط المادة الجديدة بالمعرفة الموجودة لدى المتعلم في بنتيه المعرفية من خلال بعدين رئيسيين هما التعلم بالاستقبال والتعلم بالاكشاف يرتبط كل منهما بأسلوبين هما المعنى واسلوب الحفظ اللذان يدخل بهما المتعلم المعلومات الجديدة الى بنائه المعرفي (التركيب المعرفي) وهذا التركيب هو الذي يمهد او يسهل عملية التعلم والاستنكار .(أبو حطب ١٩٨٤، ٦٧) . يؤكد على اهمية البنية المعرفية عند الانسان فهو ينصح المعلم بعدم تقديم ايه مادة تعليمية جديدة للطلاب ما لم يكن الطلاب في دراية لما لديهم من معلومات عن موضوع الدرس.

وتتأثر فاعلية البنية المعرفية من وجهة اوزبل بعدة عوامل :

- التنظيم : أي التنظيم الهرمي للبنية المعرفية من المستوى الاكثر عمومية الى المستوى الاقل عمومية.
- التمايز : بمعنى ان فئات المعلومات في مستويات تنظيمها السابقة أي عند كل مستوى معين تتمايز داخل البنية المعرفية بحيث تكون هذه الفئات ووحداتها اقل قابلية للفقد او النسيان واكثر قابلية للاحتفاظ والاسترجاع .

- الترابط : بمعنى ان تكون البنية المعرفية بوحداتها وفئاتها ومستوياتها مترابطة معرفيا بحث يودي هذا الترابط الى علاقات حية وفعالة وعالية .

- التضمين او الدمج: هي عملية تهتم بدمج المعلومات الجديدة بما هو موجود في البنية المعرفية لدى المتعلم بطريقة يتم بها تعديلها فينتج عنها مفاهيم وافكار جديدة تهتم في البنية المعرفية وتطويرها .
(المانع، ١٩٩٦، ٤٦)

ثانيا: دراسات سابقة :

دراسة شمران (٢٠١٧)

هدفت الدراسة الى (اثر استراتيجية يواي في اكتساب المفاهيم التاريخية والاحتفاظ بها لدى طالبات الصف الاول متوسط) ولتحقيق ذلك وضعت الباحثة الفرضيتين الصفرتين اقتصر البحث على طالبات الصف الاول المتوسط في مدارس المتوسطة النهارية للبنات التابعة للمديرية العامة للتربية محافظة بابل للعام الدراسي (٢٠١٥_٢٠١٦) واستعملت الباحثة التصميم التجريبي ذا الضبط الجزئي للمجموعتين وبلغ عدد الطالبات (٦١) طالبة بواقع (٣٣) طالبة للمجموعة التجريبية و(٣٢) طالبة للمجموعة الضابطة ولمعالجة البيانات احصائيا استعملت الباحثة الوسائل الاحصائية (الاختبار التائي (T – test) لعينتين مستقلتين ومربع كاي ومعامل الارتباط بيرسون ومعادلة سبيرمان ومعامل الصعوبة ومعادلة قوى التمييز ومعادلة فعالية البدائل الخاطئة . وبعد تحليل النتائج توصلت النتائج الدراسة الى تفوق المجموعة التجريبية التي درست مادة تاريخ الحضارات القديمة باستعمال (استراتيجية يواي) على طالبات المجموعة

الضابطة التي درست المادة ذاتها (بالطريقة التقليدية) في اكتساب المفاهيم التاريخية والاحتفاظ بها .
(شمران ،٢٠١٦، ٤)

دراسة السلطاني (٢٠١٦)

هدف الدراسة الى (اثر نموذج أدي وشاير في تحصيل طالبات الصف الخامس العلمي في مادة الاحياء والتمثيل المعرفي لديهن) ولتحقيق ذلك وضعت الباحثة الفرضيتين الصفرتين واعتمدت الباحثة التصميم التجريبي ذا الضبط الجزئي وتكونت عينية الدراسة من طالبات الصف الخامس العلمي وبلغ عددهن (٦٠) طالبة بواقع (٣٠) للمجموعة التجريبية و(٣٠) للمجموعة الضابطة. واعدت الباحثة مقياس التمثيل المعرفي واختبار التحصيل ولمعالجة البيانات احصائيا استعملت الباحثة الوسائل الاحصائية (الاختبار التائي (T – test) لعينتين مستقلتين ومعامل الارتباط بيرسون ومعادلة سبيرمان ومعامل الصعوبة ومعادلة قوى التمييز ومعادلة فعالية البدائل الخاطئة واسفرت نتائج الدراسة تفوق المجموعة التجريبية التي درست وفق نموذج ادي وشاير على المجموعة الضابطة التي درست بالطريقة التقليدية . (السلطاني. ٢٠١٦: ٣)

دراسة (الفنراوي ٢٠١١) :

هدفت الدراسة الى (كفاءة التمثيل المعرفي للمعلومات وعلاقتها بالدافعية الاكاديمية الذاتية لدى طلبة الصف الرابع الإعدادي) واعتمدت الباحثة المنهج بالأسلوب المسحي والمقارن وكانت عينة البحث من طلبة الصف الرابع الإعدادي والبالغ عددهم (٤٥٠) طالب وطالبة بواقع (٢٥٠) من الذكور و(٢٠٠) من الاناث واستخدمت الباحثة الوسائل الاحصائية والتي من اهمها الاختبار التائي لعينة واحدة واختبار ، وتحليل التباين التائي ، معامل الارتباط بيرسون ،والاختبار الزائي، وظهرت النتائج ارتفاع مستوى التمثيل المعرفي وكذلك الدافعية الاكاديمية الذاتية لعينة البحث وكذلك وجود فرق معنوي في كفاية التمثيل المعرفي في متغير الجنس لصالح الذكور وكذلك اظهرت وجود فرق معنوي في الدافعية

الاكاديمية في متغير الجنس لصالح الاناث . كما اظهرت نتائج البحث وجود علاقة ارتباطية موجبة بين كفاءة التمثيل والدافعية الاكاديمية . (الفنراوي، ٢٠١١ : ٣٨)

جوانب الافادة من الدراسات السابقة :

١- وجهت الدراسات السابقة نظر الباحثة إلى طبيعة الإجراءات التي اتبعتها الباحثة في دراساتهم لأجل الإفادة منها في البحث الحالي .

٢- تم الاستفادة من الدراسات السابقة في اعداد اداة البحث وحددت الباحثة خطوات بنائها ولاسيما فيما يتعلق باختبار التحصيل والتمثيل المعرفي .

٣- تم الاستفادة من الوسائل الاحصائية التي استخدمها الباحثون واختيار الوسائل المناسبة لمعالجة الدراسة

الفصل الثالث: منهج البحث وإجراءاته:

أولاً : التصميم التجريبي

يعد التصميم التجريبي مخططاً يساعد الباحث في عمل إجراءات البحث ويعطي ضماناً لإمكانية تدليل الصعوبات التي تظهر عند إجراء التحليل الاحصائي، أي إنه (تخطيط الظروف والعوامل المحيطة بالظاهرة التي ندرسها بطريقة معينة وملاحظة ما يحدث) (القيم، ٢٠٠٧، ٥٦) وقد اعتمدت الباحثة التصميم التجريبي ذا الضبط الجزئي ملائمة لظروف البحث الحالي لمجموعتي تجريبية وضابطة

جدول (١) التصميم التجريبي للبحث

المتغير التابع		المتغير المستقل	المجموعة
التمثيل المعرفي	التحصيل	استراتيجية يواي	التجريبية
		الطريقة الاعتيادية	الضابطة

ثانيا: مجتمع البحث وعينته:

من متطلبات البحث الحالي اختيار احدى المدارس المتوسطة في مركز محافظة النجف الاشراف، وحصلت الباحثة على أسماء المدارس البالغ عددها (٣٥)* ويبين ملحق (١) أسماء المدارس المتوسطة . واختارت الباحثة عشوائية مدرسة (اوراس) من بين مدارس مديرية تربية النجف الاشراف لتتمكن الباحثة من اداء التجربة بنفسها .لقد تم اختيار الشعبة (أ) بالتعيين العشوائي لتكون المجموعة التجريبية والشعبة (ب) لتكون المجموعة الضابطة وبعد استبعاد الطالبات الراسبات في كل مجموعة البالغ عددهن (٣) طالبات أصبح عدد الطالبات (٣٠) طالبة في المجموعة التجريبية التي ستعرض طالباتها الى المتغير المستقل (استراتيجية يوادي) عند تدريس مادة علم الاحياء و(٣١) طالبة في المجموعة الضابطة التي ستدرس طالباتها المادة نفسها من دون التعرض للمتغير المستقل وبذلك بلغ عدد أفراد العينة النهائي (٦١) طالبة . جدول (٢) .

جدول (٢) توزيع طالبات عينة البحث للمجموعتين التجريبية والضابطة

المجموعة/ الشعبة	المتغير المستقل	عدد الطالبات قبل الاستبعاد	عدد الطالبات المستبعدات	عدد الطالبات بعد الاستبعاد
التجريبية / أ	استراتيجية يوادي	٣١	١	٣٠
الضابطة / ب	الطريقة الاعتيادية	٣٣	٢	٣١
المجموع		٦٤	٣	٦١

ثالثا / تكافؤ مجموعتي البحث :

لقد حرصت الباحثة قبل الشروع بتطبيق التجربة على تكافؤ مجموعتي البحث إحصائياً في بعض المتغيرات والتي قد تؤثر في نتائج البحث وهذه المتغيرات هي :-

١- العمر الزمني للطالبات محسوبا بالشهور ٢- درجات مادة علم الأحياء للكورس الأول ٣- مستوى الذكاء ٤- مقياس التمثيل المعرفي

وقد كافأت الباحثة مجموعتي البحث في المتغيرات الآتية

١-العمر الزمني للطالبات محسوبا بالشهور

ان مجموعتي البحث التجريبية والضابطة متكافئتان احصائيا في العمر الزمني محسوبا بالشهر يوضح ذلك الجدول (٣)

الجدول (٣) نتائج اختبار t test للعمر الزمني للطالبات مجموعتي البحث محسوبا بالشهور

المجموعة	عدد الطالبات	المتوسط الحسابي	التباين	درجة الحرية	القيمة التائية		الدلالة الإحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥)
					المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	٣٠	١٦٧,٣	١٥٣,٥١	٥٩	٠,٤٩٠	٢,٠٠٠	غير دالة
الضابطة	٣١	١٦٨,٨١	١٣٥,٢٦				

- تحصيل الدراسي السابق للمادة علم الاحياء

تم الحصول على درجات نهائية للكورس الأول لطالبات عينة البحث في مادة علم الاحياء للصف الثاني متوسط للعام الدراسي (٢٠١٦-٢٠١٧) من إدارة المدرسة حيث وجد ان مجموعتي البحث التجريبية والضابطة متكافئتان في درجات النصف السنة وجدول (٤) يوضح ذلك.

جدول (٤) نتائج اختبار t test لطالبات مجموعتي البحث في التحصيل الدراسي مادة علم الاحياء

المجموعة	عدد الطالبات	المتوسط الحسابي	الرتباين	درجة الحرية	القيمة التائية		الدلالة الإحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥)
					المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	٣٠	٦٧٠,٧٧	٢٤٥,٥٥	٥٩	٠,٨٨٩	٢,٠٠٠	غير دالة
الضابطة	٣١	٧١,٣٥	٢٥٠,٩١				

- مستوى الذكاء

تسعى اختبارات الذكاء الى الكشف عن المستوى العقلي العام للفرد من خلال أدائه لمهام عقلية معينة ، يفترض أنها تمثل الوظائف التي ينطوي عليها مفهوم الذكاء (ميخائيل ، ١٩٩٧ ، ٢٤٥) حيث طبقت الباحثة اختبار (رافن، ١٩٨٣ ، ٢١-٣١). للمصفوفات المتتابعة بوصفه الاختبار الملائم للفئة العمرية (عينة البحث) ولكونه يتصف بدرجة من الصدق والثبات وصلاحية الاستعمال للبيئة العراقية. وجدول (٥) يوضح ذلك .

جدول (٥) نتائج اختبار t test لطالبات مجموعتي البحث في اختبار الذكاء

المجموعة	عدد الطالبات	المتوسط الحسابي	التباين	درجة الحرية	القيمة التائية		الدلالة الإحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥)
					المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	٣٠	٣٢,٩	١٠٩,٢٠	٥٩	١,٠٦٩	٢,٠٠٠	غير دالة
ضابطة	٣١	٣٠,٢٣	٨١,٩٠				

-مقياس التمثيل المعرفي :

ويبدو ان مجموعتي البحث متكافئان احصائيا في درجات مقياس التمثيل المعرفي يوضح الجدول (٦)
الجدول (٦) نتائج اختبار t test لطالبات مجموعتي البحث في مقياس التمثيل المعرفي

المجموعة	عدد الطالبات	المتوسط الحسابي	التباين	درجة الحرية	القيمة التائية		الدلالة الإحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥)
					المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	٣٠	٩,٨١	١٤,٥	٥٩	٠,٨٦	١,٦٧	غير دالة
ضابطة	٣١	٩,٠٢	١٣,٣٣				

ضبط المتغيرات الدخيلة :

تم التأكد من السلامة الداخلية من اجراء التكافؤ بين طالبات مجموعتي البحث في (العمر بالأشهر و درجات نهاية الكورس في مادة علم الاحياء والاختبار الذكاء و مقياس التمثيل المعرفي) وتم التأكد من السلامة الخارجية لمتغيرات البحث وكما يأتي:

- ١- لضبط تأثير الخبرة التدريسية قامت الباحثة بنفسها بتدريس مجموعتي البحث طيلة فترة التجربة.
 - ٢- تم تطبيق اداة البحث الاختبار التحصيلي والتمثيل المعرفي تحت اجراءات وظروف متشابهة.
 - ٣- تم تنظيم جدول الدروس الاسبوعي لمجموعتي البحث لضمان تكافؤ الوقت المخصص لكل الدروس.
 - ٤- لم تتعرض مجموعتي البحث الى حوادث مصاحبة، اندثار تجريبي وعامل النضج التي تعرقل سير التجربة وتؤثر في المتغيرات التابعة.
 - ٥- الفترة الزمنية :- استغرقت التجربة (١٠) اسابيع للفترة من الاحد الموافق ١٩ / ٢ / ٢٠١٧ ولغاية الاثنين ٢٤ / ٤ / ٢٠١٧ ولكلتا المجموعتين.
- خامسا /تحديد المادة العلمية:
- حددت الباحثة المادة العلمية التي ستدرس في اثناء المدة التجربة والمتمثلة بالفصول الأخيرة اختارتها من كتاب علم الاحياء المقرر تدريسه لطالبات الصف الثاني المتوسط للعام الدراسي ٢٠١٦_٢٠١٧
- سادسا /صياغة الاهداف :
- يقصد بالأهداف السلوكية العبارات (التغيرات الايجابية) التي يسعى المدرس وطلاب إلى تحقيقها عند تدريس درس معين، ويظهر أثرها الايجابي في سلوك الطلاب (الزاملي وآخرون، ٢٠٠٩، ٢٢٩). وهي تمثل نشاط يزاوله كل من المدرس والدارسين وهو سلوك قابل للقياس والتقييم (الدريج، ٢٠٠٤: ٨١) . وان تحديد الأهداف السلوكية بدقة يتيح للمدرس إمكانية اختيار عناصر العملية التعليمية ويسمح بأجراء تقييم لإنجازات الطلاب (الجلبي، ٢٠٠٥، ٤١) واستنادا الى ما تقدم فقد صاغت الباحثة مجموعة من الأهداف السلوكية (ملحق ١) مصنفة بحسب تصنيف بلوم الى مستويات الثلاثة الاولى (تذكر، فهم، تطبيق) ثم عرضت قائمة الاهداف السلوكية على السادة المحكمين (ملحق ٢) للتأكد من صياغة الهدف السلوكي والمستوى الذي يقيسه وفي ضوء ارائهم تم تعديل بعض الاهداف وأصبح العدد النهائي الكلي (٤٠) هدفاً بواقع (١٣) هدفاً لمستوى التذكر، و(١٩) هدفاً لمستوى الفهم، و (٧) هدفاً لمستوى التطبيق موزعة على الفصول الاخيرة.

سابعاً / اعداد الخطط التدريسية :

التخطيط هو عملية اقتراح سلسلة من الإجراءات والخطوات لغرض تحقيق هدف أو مجموعة أهداف وهو مكون من أربع عناصر هي (الأهداف، والمحتوى، والأنشطة، والتقويم) (الحيلة، ٢٠٠٨، ٣٦٨). وتمثل الخطة اليومية " تصور المدرس لما سيقوم به من أداء في مدة تتراوح من (٤٠-٤٥) دقيقة موزعاً الخطوط العامة على الزمن آخذاً بعين الاعتبار التناسق مابين الناحية النظرية والإجرائية. (سلامة، ٢٠٠٣، ١٢٣). وقد اعدت الباحثة خططا تدريسية لموضوعات مادة علم الاحياء التي ستدرس في التجربة في ضوء محتوى الكتاب والأهداف السلوكية المصوغة وعلى وفق استراتيجية (يوادي) بالنسبة الى طالبات المجموعة التجريبية وعلى وفق الطريقة لاعتيادية بالنسبة الى طالبات المجموعة الضابطة. وعرضت الباحثة هذه الخطط على مجموعة من الخبراء والمتخصصين في طرائق التدريس والعلوم النفسية والتربوية لاستطلاع آرائهم وملاحظاتهم ومقترحاتهم لغرض تحسين صياغة بشأن ملائمتها لمحتوى المادة والأهداف السلوكية الخاصة بها وبناءً على ذلك تم إجراء بعض التعديلات التي أخذت الباحثة بها وأجراؤها على النماذج الأخرى وتم إخراجها بصيغتها النهائية وأصبحت جاهزة للتنفيذ (ملحق ٣) .

ثامناً : أداة البحث :

يتطلب البحث الحالي إعداد أداتان لقياس المتغيرين التابعين وهما اختبار تحصيلي ومقياس التمثيل المعرفي للتعرف على مدى تحقيق اهداف البحث وفيما يأتي توضيح الاختبار التحصيلي :

ويعد الاختبار التحصيلي جزءاً مهماً من العملية التعليمية التي هي برمتها عملية منظمة ومخطط لها مسبقاً وتسير على وفق أهداف محددة وإن الاختبار الذي يجريه المدرس يهدف من خلاله معرفة ما تحقق من الأهداف التعليمية ولابد أن يكون الاختبار مخططاً ومعداً له مسبقاً (العجيلي وآخرون ، ٢٠٠١ ، ١٨) ومن متطلبات البحث الحالي اعداد الاختبار التحصيلي يستخدم لقياس تحصيل عينة البحث في مادة علم الاحياء لذا تم اعداد اختبارا تحصيليا للفصول الأخيرة من كتاب المقرر للصف الثاني

المتوسط (ملحق ٤) وعلى وفق محتوى المادة الدراسية والاهداف السلوكية التي تم تحديدها في المجال المعرفي لمستويات بلوم (التذكر، الفهم، التطبيق، التحليل) وقد اتبعت الباحثة الخطوات الاتية :

١- تحديد الهدف من الاختبار حددت الباحثة الهدف من الاختبار هو قياس مستوى تحصيل طالبات عينة البحث لمادة علم الاحياء

٢- تحديد المادة العلمية : حددت الباحثة المادة العلمية بالفصول الاربعة الاخيرة لكتاب علم الاحياء للصف الثاني متوسط المقرر تدريسه للعام الدراسي (٢٠١٦-٢٠١٧)

٣- تحديد فقرات الاختبار ونوعها :تحقيقا لهذا الغرض تم اعداد اختبار تحصيلي يتكون من (٥٠) فقرة وضعت في الخارطة الاختبارية التي هيئتها الباحثة للاستعانة بها في تصميم الاختبار وقد صاغت الباحثة الفقرات الاختبارية في ضوء محتوى المادة والاهداف السلوكية والمستويات الاربعة في المجال المعرفي لتصنيف بلوم وكان الاختبار من نوع الاختيار من متعدد لأنه يقيس المستوى المعرفي لدى المتعلمين.

٤- اعداد الخارطة الاختبارية :

وقد أعدت الباحثة جدول مواصفات تمثلت فيه موضوعات المقرر بتدريسها من مادة علم الاحياء والأغراض السلوكية للمستويات الاربعة ضمن المجال المعرفي لتصنيف بلوم وتم حساب أوزان محتوى الموضوعات في ضوء عدد صفحات فصول الكتاب وعلى النحو الآتي يوضح الجدول (٧) ذلك

جدول (٧)

ت	المستويات العقلية المحتوى الدراسي	التذكر ٤٢%	الفهم ١٦%	التطبيق ٨%	التحليل ٥%	عدد الاسئلة
	عدد الصفحات					

١٤	١,٤	٢,٤	٤,٨٤	٥,٨٨	%٢٨	٣٠	الفصل السابع
١٢	١,٢	١,٩٢	٣,٨٤	٥,٠٤	%٢٤	٢٦	الفصل الثامن
١٧	١,٦٥	٢,٦٤	٥,٢٦	٦,٩٣	%٣٣	٣٥	الفصل التاسع
٧	٠,٧٥	١,٢	٢,٤	٣,١٥	%١٥	١٦	الفصل العاشر
٥٠	٥	٨	١٦	٢١	%١٠٠	١٠٧	المجموع

٥-صياغة فقرات الاختبار :

وهي التعليمات التي توضح طريقة الاجابة عن كل فقرة من فقرات الاختبار وبنبغي ان تشمل هذه التعليمات الامثلة التوضيحية والزمن المحدد الاجابة عليها .

وقد تم وضع ورقة تعليمات مرافقة لورقة (ملحق ٥) تضمنت معلومات تخص الطالبات وتوضح الهدف من الاختبار وعدد فقراته وزمن الاجابة وتوزيع الدرجات على فقراته مع التأكيد على عدم ترك أي فقرة دون الاجابة او اختيار أكثر من اجابة للفقرة الواحدة وتتم الاجابة عن كل فقرة بوضع دائرة حول الحرف الدال على الاجابة الصحيحة

٦-تعليمات التصحيح الاختبار:-

وضعت الباحثة أنموذجاً اعتمدت عليه في تصحيح الاختبار إذ تعطى درجة (واحدة) عن الإجابة الصحيحة و(صفر) عن الإجابة الخاطئة أما الفقرات المتروكة والفقرات التي لم تكن الإشارة الى بدائلها

واضحة والفقرات التي كانت هناك أكثر من إشارة الى بدائلها فقد عوملت معاملة الإجابة الخطأ. وبذلك تراوحت الاجابة الكلية (صفر_٥٠) صدق الاختبار:

ويكون الاختبار صادقاً اذا قاس السمة التي وضع من أجلها ويكون قادراً على التمييز بين الأشخاص الذين يملكون قدرات عالية وبين الأشخاص الذين لا يملكون تلك القدرات او يملكون قدرات منخفضة في تلك المواضيع (الهويدي ، ٢٠٠٤ : ٤٧) تم عرض مقياس على مجموعة من الخبراء والمحكمين من ذوي الاختصاص والخبرة في مجال العلوم التربوية والنفسية لمعرفة مدى صلاحية الفقرات (ملحق ٦)، واعتمدت الباحثة نسبة اتفاق (٨٠%) من آراء الخبراء ،وفي ضوء آرائهم تم تعديل بعض الفقرات ،من اجل الوصول إلى صورتها النهائية ،لذا فإن الاختبار يتمتع بالصدق وبهذا أصبح المقياس يتكون من (٥٠) فقرة.

تطبيق الاختبار التحصيلي :

١- التطبيق الاستطلاعي الاول للاختبار التحصيلي :

لغرض معرفة الوقت الذي تستغرقه الإجابة عن اختبار وضوح فقراته طبقت الباحثة الاختبار على عينة استطلاعية مشابهة لعينة البحث وكان عددها (٤٠) طالبة من متوسطة (رقية) ، فأتضح ان الفقرات كانت واضحة وغير غامضة لدى الطالبات وان متوسط الوقت المستغرق في الاجابة هو (٤٥) دقيقة .

٢- التطبيق الاستطلاعي الثاني للاختبار التحصيلي :

تم تطبيق الاختبار على عينة مكونة من (١٠٠) طالبة من طالبات الصف الثاني متوسط من مدرسة (الصالحات) وتم اختيارها بطريقة عشوائية ،وبعد تصحيح الاجابات حللت الباحثة إجابات المجموعتين العليا والدنيا إحصائيا لاستخراج الخصائص السايكومترية للاختبار كالآتي :

أ- معامل صعوبة الفقرات:

بعد ان حسبت الباحثة معامل الصعوبة كل فقرة من الفقرات الاختبار وجدتها تتراوح بين

(٠,٤١_٠,٧٠) ويرى (ابيل) ان الفقرات الاختبارية تعد مقبولة اذا كان معدل صعوبتها بين (٠,٢٠) و(٠,٨٠) وهذا يعني ان فقرات الاختبار جميعها تعد مقبولة (Bloom,1971,p;66)

ب : قوة تميز الفقرات:

وقد قامت الباحثة بحساب القوة التمييزية لكل فقرة من فقرات الاختبار وجدتها تتراوح بين (٠,٣٣-٠,٦٧) وبذلك تعد فقرات الاختبار التحصيلي مميزة اذا تعد الفقرة جيدة اذا كانت القوة التمييزية لها (٠,٣٠) فاكث (الكبيسي :٢٠٠٧، ١٨١)

ج: فعالية البدائل :

يقصد بفعالية البديل الخاطئ قدرته على جذب انتباه الطلاب ذوي المستوى الأدنى لاختياره بديلاً يمثل الإجابة الصحيحة (الظاهر وآخرون ،١٩٩٩، ٣٧٩). ويكون البديل الخاطئ أكثر فعالية كلما ازدادت قيمته في السالب. كذلك يعد البديل غير الصحيح فعالاً عندما يكون عدد الطلاب الذين اختاروه في المجموعة الدنيا أكبر من عدد الطلاب الذين اختاروا البديل نفسه في المجموعة العليا (الصمادي ،٢٠٠٤:١٥٥). وبعد ان اجرت الباحثة العمليات الاحصائية اللازمة لذلك وجد ان جميع الفقرات الاختبار التحصيلي سالبة، وهذا يدل ان هذه بدائل قد جذب عددا من الطالبات المجموعة الدنيا اكثر من طالبات المجموعة العليا مما يؤكد على فعالية البدائل الخاطئة لاختبار التحصيلي .

ثبات الاختبار التحصيلي :

يقصد به أن يعطي الاختبار النتائج نفسها ، إذا ما أعيد تطبيقه على الأفراد وتحت الظروف نفسها (عبد الرحمن ، ١٩٩٨ : ٨٦) وقد استعملت الباحثة طريقة التجزئة النصفية لحساب معامل الثبات ، وتم ذلك بتجزئة الفقرات الى قسمين (فردى وزوجي)، اذ بلغ معامل الارتباط بيرسون (٠,٨١) وبعد تصحيحه بمعادلة سبيرمان-براون وبلغ (٠,٨٩) وهو معامل ثبات جيد بالنسبة الى الاختبارات.

ب مقياس التمثيل المعرفي :

قامت الباحثة بإعداد مقياس مستوى التمثيل المعرفي ليتناسب مع الفئة العمرية لعينة البحث وذلك من خلال اطلاع الباحثة على عدد من الدراسات السابقة وعلى غرار المقاييس التي اطلعت عليها. ومن خلال هذه المقاييس كونت الباحثة مقياس بصورته الأولية مكون ٤٣ فقرة وبعد الحذف اصبح المقياس بصورته النهائية مكون من (٤٠) فقرة (ملحق ٧) وقد اعتمدت على البدائل (دائما، احيانا، ابدأ) صدق المقياس :

وذلك من خلال اعتماد الصدق الظاهري بعد عرض فقرات المقياس على مجموعة من الخبراء ومحكمين* من ذوي الاختصاص والخبرة في مجال العلوم التربوية والنفسية لمعرفة مدى صلاحية الفقرات واعتمدت الباحثة نسبة اتفاق (٨٠%) من آراء الخبراء ، وفي ضوء آرائهم تم تعديل بعض الفقرات ، من اجل الوصول الى صورتها النهائية ،لذا فان الاختبار يتمتع بالصدق الظاهري.

التطبيق الاستطلاعي الاول للمقياس :

لغرض الكشف عن فقرات الغامضة ومدى وضوح عبارات المقياس وحساب الزمن المستغرق في الاجابة على فقرات هذا المقياس قامت الباحثة بتطبيق مقياس على (٣٠) طالبة من متوسطة (سيدة النساء) تم اختيارهن بطريقة عشوائية من مجتمع البحث. وقد تبين ان جميع الفقرات واضحة ومفهومة وان الزمن المستغرق الاجابة (٤٠) دقيقة.

التطبيق الاستطلاعي الثاني للمقياس :

لعرض تحليل فقرات مقياس التمثيل المعرفي والتأكد من خصائصه السايكومترية تم تطبيق الاختبار على عينة مكونة من (١٠٠) طالبة من متوسطة (الخنساء) لمعرفة العمليات الاحصائية الاتية

أ- صعوبة الفقرة الاختبار: بعد ان طبقت الباحثة معادلة معامل الصعوبة وجد انه يتراوح بين (٠,٢٣ - ٠,٧٨) وبهذا تكون جميع الفقرات مقياس مقبولة .

ب- قوة تمييز فقرات : تم حساب القوة التمييزية لكل فقرة باستخدام معادلة القوة التمييزية ووجد ان مستوى التمييز يتراوح بين (٠,٢٤ - ٠,٨٣)

ت- فعالية البدائل الخاطئة: تم حساب فاعلية كل بديل خاطئ ولكل فقرة باستخدام معادلة البدائل الخاطئة وجد ان جميع القيم سالبة .

ثبات المقياس :

لغرض ايجاد ثبات المقياس التمثيل المعرفي المعد فقد اعتمدت الباحثة طريقة اعادة الاختبار على المجموعة نفسها بعد أسبوعين من التطبيق الاول ثم وجد ان معامل الارتباط بيرسون بين التطبيقين هو (٠,٨٣) .

اجراء تطبيق التجربة :

■ تم تطبيق الاختبار التحصيل على مجموعتي البحث في يوم الثلاثاء ٢٥/٤/٢٠١٧ وتم ابلاغ الطالبات بموعد قبل أسبوع

■ وتم تطبيق مقياس التمثيل المعرفي على مجموعتي البحث في يوم الخميس ٢٧/٤/٢٠١٧ ولم تحدث حالات غياب.

الوسائل الاحصائية:

-معامل ارتباط بيرسون الحساب معامل الثبات بطريقة التجزئة النصفية .

٢ -معامل ارتباط سبيرمان -براون

-الاختبار التائي (T-test) لاحتساب الفروق بين متوسط الدرجات

٤-معادلة معامل الصعوبة لفقرات الاختبار ٥-معادلة قوة تمييز فقرات الاختبار

٦-معادلة فعالية البدائل الخاطئة لفقرات الاختبار

(البياتي وزكريا، ١٩٧٧: ١٨٣)

الفصل الرابع: عرض النتائج وتفسيرها:

اولا : عرض النتائج:

١- النتائج الخاصة بالفرضية الصفرية الاولى:

(لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (٠,٠٥) بين متوسط درجات المجموعة التجريبية اللواتي يدرسن مادة العلوم باستخدام استراتيجية يواي ودرجات طالبات المجموعة الضابطة اللواتي يدرسن وفق الطريقة الاعتيادية في اختبار التحصيلي للمادة علم الاحياء) وباستخدام الاختبار التائي (t – test) لعينتين مستقلتين وللمقارنة بين متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية ومتوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة في الاختبار التحصيلي كما مبين في الجدول (٨)

جدول (٨) نتائج الاختبار التائي لعينتين مستقلتين للاختبار التحصيلي

المجموعة	عدد الطالبات	المتوسط الحسابي	التباين	درجة الحرية	القيمة التائية		مستوى الدلالة
					المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	٣٠	٣١,٤٠	٥٢,١٥	٥٩	٣,٠٣١	٢,٠٠٠	دالة
الضابطة	٣١	٢٥,٧٨	٥٣,٧١				احصائيا عند مستوى ٠,٠٥

يبين الجدول (١٠) أعلاه ان المتوسط الحسابي لدرجات طالبات المجموعة التجريبية يساوي (٣١,٤٠) وبتباين بلغ (٥٢,١٥) بينما المتوسط الحسابي لطالبات المجموعة الضابطة يساوي (٢٥,٧٨) وبتباين بلغ (٥٣,٧١) وان القيمة التائية المحسوبة بلغت (٣,٣١) وهي اكبر من القيمة الجدولية البالغة (٢,٠٠٠) عند درجة حرية (٥٩) ومستوى دلالة (٠,٠٥) وهذا يعني ان الفروق ذات دلالة احصائية بين متوسطي درجات مجموعتي البحث في الاختبار التحصيلي والصالح المجموعة التجريبية

٢- النتائج الخاصة بالفرضية الصفرية الثانية:

(لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (٠,٠٥) بين متوسط درجات المجموعة التجريبية اللواتي يدرسن مادة العلوم باستخدام استراتيجية يواي ودرجات طالبات المجموعة الضابطة اللواتي يدرسن وفق الطريقة الاعتيادية في مقياس التمثيل المعرفي .
وللتأكد من تحقق هذا الفرضية طبقت الباحثة مقياس المعرفي على عينتي البحث وباستخدام الاختبار التائي (t – test) لعينتين مستقلتين وللمقارنة بين متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية ومتوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة في مقياس التمثيل المعرفي

جدول (٩) نتائج الاختبار التائي لعينتين مستقلتين في مقياس تمثيل المعرفي

المجموعة	عدد الطالبات	المتوسط الحسابي	التباين	درجة الحرية	القيمة التائية		مستوى الدلالة
					المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	٣٠	١٠٦,٧٧	١٣٩,٧٨	٥٩	٢,٥٨٨	٢,٠٠٠	دالة احصائيا عند مستوى ٠,٠٥
الضابطة	٣١	٩٧,٤٥	١٨٠,٦٦				

ثانيا : تفسير النتائج:

يبين الجدول (١١) أعلاه ان المتوسط الحسابي لدرجات طالبات المجموعة التجريبية يساوي (١٠٦,٧٧) وبتباين بلغ (١٣٩,٧٨) بينما المتوسط الحسابي لطالبات المجموعة الضابطة يساوي (٩٧,٤٥) وبتباين بلغ (١٨٠,٦٦) وان القيمة التائية المحسوبة بلغت (٢,٥٨٨) وهي اكبر من القيمة الجدولية البالغة (٢,٠٠٠) عند درجة حرية (٥٩) ومستوى دلالة (٠,٠٥) وهذا يعني ان الفروق ذات دلالة احصائية بين متوسطي درجات مجموعتي البحث في مقياس التمثيل المعرفي ولصالح المجموعة التجريبية .

ثانيا: تفسير النتائج:

أظهرت النتائج الخاصة بالفرضية الأولى تفوق الطالبات المجموعة التجريبية على طالبات المجموعة الضابطة في الاختبار التحصيلي. وهذا التفوق يعزى الى الأسباب الآتية

- ان التعليم باستخدام استراتيجية (يوادي) اثار اهتمام الطالبات واثاحة فرصة واسعة امام الطالبات لممارسة العمليات العقلية وهذا ما اتاحة فرصة للمشاركة في الدرس هذا انعكس أثره ايجابيا على مستوى التحصيل

- التعلم باستراتيجية يوادي اسهم بعرض المادة التعليمية بصورة متسلسلة ومتدرجة وقد تم عرض المحتوى الى مستويات (التعريف، تميز، تطبيق) ساعدت على تنظيم المادة وفهمها بشكل افضل من الطريقة الاعتيادية في التدريس .

- تساعد استراتيجية يوادي في تركيز وانتباه الطالبات وإثارة اهتمامهن للدرس وجعل الدرس أكثر تشويقاً تحفيزاً وزاد تركيزهن لمادة الدرس.

- استراتيجية يوادي تستند الى النظرية المعرفية والتي ساعدت على تركيز وعلى ربط الخبرات الجديدة بالخبرات السابقة للمتعلم باعتباره نشطا حيويًا وقادراً على تنظيم ابنيته المعرفية التي تناسب اسلوبه في التعليم على العكس الطريقة الاعتيادية .

الفصل الخامس: الاستنتاجات والتوصيات:

اولا: الاستنتاجات:

- في ضوء النتائج التي توصلت اليها الباحثة يمكن استنتاج ما يلي
- ١- اظهرت النتائج أثر استراتيجية يواي في التحصيل طالبات الصف الثاني متوسط في مادة علم الاحياء تساعد الطالبات على المشاركة الفعالة في الدرس
 - ٢- تسهم استعمال استراتيجية في تنظيم عملية التدريس بطريقة متسلسلة ومتراطة ومتكاملة ورفع قدراتهم في التعلم
 - ٣- ان استخدام هذه الاستراتيجية ساعد انتباه الطالبات واثارة التشويق لهن وساعد على بناء تمثيلات معرفية لدى المشكلات التي تعترضه وبقاء التعلم لمدة اطول من خلال دمج المعلومات الجديدة التي تصادفه.

٤- ثانيا: التوصيات:

- ١- مراعاة الفروق الفردية بين الطالبات ومعاملة كل طالبة على وفق نوع ذكائها ومحاولة الوصول بها الى مستوى المتوقع منه في ضوء امكاناتها في ضوء استراتيجية يواي
 - ٢- اعتماد استراتيجية يواي في تدريس مادة العلوم للاثره الايجابي في تحصيل الطالبات وتمثيلهن المعرفي للمادة العلمية .
 - ٣- تدريب مدرسي العلوم على استخدام استراتيجيات والنماذج حديثة في التدريس .
- ثالثا: مقترحات :

- ١- إجراء دراسة مماثلة على مراحل دراسية أخرى في مواد أخرى
- ٢- أجراء دراسة مماثلة للبحث الأخر تتناول متغيرات أخرى مثل التفكير الابداعي والتفكير العلمي والميول
- ٣- أجراء دراسة مماثلة للدراسة الحالية على جنس الذكور .

المراجع:

- ١- أبو جادو، صالح محمد علي (٢٠٠٨) . علم النفس التربوي ، ط ٦ ، دار المسيرة ، عمان .

- ٢- ابوحطب ،فواد وأمال صادق ،(١٩٨٤):علم النفس التربوي ،ط٣، مكتبة الانجلو المصرية ،القاهرة.
- ٣- البياتي ،عبد الجبار توفيق ،زكريا اثناسيوس (١٩٧٧) :الاحصاء الوصفي والاستدالي في التربية وعلم النفس ،مطبع دار الصادق ،بغداد
- ٤- جابر ، جابر عبد الحميد ،(١٩٩٨) :استراتيجيات التدريس والتعلم ،ط١، دار الفكر العربي ،القاهرة
- ٥- الجلبي،سوسن شاكر،(٢٠٠٥) :اساسيات بناء الاختبارات والمقياس النفسية والتربوية ،ط١،مؤسسة علاء الدين للطباعة والتوزيع ،دمشق سوريا
- ٦- النجار، زينب، حسن شحاتة ،(٢٠٠٣): معجم المصطلحات التربوية والنفسية ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة.
- ٧- الحيلة ومرعي ،وتوفيق احمد،(٢٠٠٨) : تصميم التعليم نظرية وممارسة ،ط٤،دار المسيرة ،عمان الاردن
- ٨- الدريج ، محمد (٢٠٠٤) : "التدريس الهادف(من نموذج التدريس بالأهداف إلى نموذج التدريس بالكفايات)" ، ط١، دار الكتاب الجامعي ، العين
- ٩- رافن ، جي ، سي (١٩٨٣) .اختبار المصفوفات المتتابعة القياسية ، المجموعات(أ، ب، ج، د، هـ) ، ترجمة : الدكتور فخري الدباغ وآخرون ، مطابع جامعة الموصل ، العراق.
- ١٠- الركابي ،رشا عبد الكاظم ، (٢٠١٢) :فاعلية التدريس باستخدام استراتيجية دي بونو في تحصيل طالبات الصف الثاني المتوسط في مادة علم الأحياء وتنمية تفكيرهن العلمي، رسالة غير منشورة ،كلية التربية الاساسية .جامعة بابل .
- ١١- الزاملي ،علي عبد جاسم وآخرون ،(٢٠٠٩) : مفاهيم وتطبيقات في التقويم والقياس التربوي ،ط١،مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ،الكويت
- ١٢- زيتون ، حسن حسين (٢٠٠٨) . تعليم التفكير رؤية تطبيقية في تنمية العقول المفكرة . ط ٣ ، عالم الكتب ، القاهرة
- ١٣- زيتون ،حسن،(٢٠٠١):التدريس رؤية في طبيعة المفهوم ،ط١،دار عالم الكتب ،القاهرة
- ١٤- السامرائي ،نبيه صالح (٢٠١٢): الاستراتيجيات الحديثة في طرائق تدريس العلوم المفاهيم والمبادئ والتطبيقات ،ط١،دار المناهج ،الاردن ،عمان .
- ١٥- السلطاني ، نسرين حمزة (٢٠١٥) : اثر نموذج أدي وشاير في تحصيل طالبات الصف الخامس العلمي في مادة الاحياء والتمثيل المعرفي لديهن، مجلد (٦) ،العدد (٣) كلية التربية الاساسية _ جامعة بابل
- ١٦- سلامة ، عبد الحافظ (٢٠٠٣) : " أساليب تدريس العلوم والرياضيات "، الطبعة الأولى ، دار اليازوري، عمان ، الأردن

- ١٧- شمران ،نضال علي (٢٠١٦) :اثر استراتيجية يوادي في اكتساب المفاهيم التاريخية والاحتفاظ بها لدى طالبات الصف الاول متوسط ، رسالة غير منشورة ، كلية التربية الاساسية جامعة بابل
- ١٨- الصمادي ،عبد الله والدرايع ماهر، (٢٠٠٤) : القياس والتقويم النفسي والتربوي بين النظرية والتطبيق، ط١، دار وائل ،عمان،الاردن
- ١٩- الظاهر ،زكريا محمد وآخرون (١٩٩٩) :مبادئ القياس والتقويم في التربية ، ط١ ، دار الثقافة ،مطابع الارز،عمان الاردن .
- ٢٠- عبد الله ،سامية محمد محمود،(٢٠١٥): استراتيجية التدريس الاسس _النماذج _التطبيقات ،ط١،دار الكتاب الجامعي ،الامارات ،العين
- ٢١- العجيلي ، صباح حسين وآخرون (٢٠٠١) . مبادئ القياس والتقويم التربوي . دار الصادق ، بغداد .
- ٢٢- عدس ،عبد الرحمن وآخرون (١٩٩٣)، علم النفس التربوي ،ط١،عمان منشورات ،جامعة القدس المفتوحة.
- ٢٣- عطية ،محسن علي ،(٢٠١٥) البنائية وتطبيقاتها _استراتيجيات تدريس حديثة ،ط١،دار المنهجية ،الاردن ،عمان
- ٢٤- العيساوي ،وفاء سويدان علي ، (٢٠١٠): فاعلية انموذج التحري الجماعي في تحصيل طالبات الصف الثاني المتوسط في مادة علم الاحياء ومهارتهن في التفكير العلمي ، رسالة غير منشورة،كلية التربية / ابن الهيثم جامعة بغداد.
- ٢٥- الفهراوي ، نور فاضل عبيس (٢٠١٢) : كفاءة التمثيل المعرفي للمعلومات وعلاقته بالدافعية الاكاديمية الذاتية لدى طلبة الصف الرابع الاعدادي، رسالة غير منشورة،كلية التربية ،جامعة بابل .
- ٢٦- قطامي ، يوسف محمود (١٩٩٠) . تفكير الأطفال تطوره وطرق تنميته . الأهلية للنشر ، عمان .
- ٢٧- قطامي ،يوسف ،(٢٠١٣):استراتيجيات التعلم والتعليم المعرفيه،ط١،دار المسيرة ،الاردن ،عمان
- ٢٨- قطامي ،يوسف ،(١٩٩٠):تفكير الاطفال وطرق تعلمه ،دار الاهلية للنشر والتوزيع ،عمان،الاردن
- ٢٩- قطامي ،يوسف وقطامي نايفه ،(١٩٩٨):نماذج التدريس الصفي ،ط١،دار الشروق للنشر والتوزيع ،عمان ،الاردن
- ٣٠- قطامي، يوسف (٢٠٠٥) :علم النفس التربوي والتفكير ،ط٢،دار الحنين للنشر والتوزيع ، عمان الاردن.
- ٣١- قلادة ،فواد سلمان ،(٢٠٠٩): النماذج التدريسية وتفعيل وظائف المخ البشري ،ط١،دار المعرفة الجامعية ،عمان الاردن
- ٣٢- القيم، كامل حسون (٢٠٠٧) مناهج وأساليب البحث العلمي في الدراسات الإنسانية، المكتبة الوطنية، بغداد، العراق
- ٣٣- الكبيسي ،عبد الواحد حميد ،(٢٠٠٧): القياس والتقويم ،تجريدات ومناقشات ،دار
- ٣٤- المانع ،عزيزه،(١٩٩٦)،تنمية قدرات التفكير عند التلاميذ اقترح برنامج الكورت ،رسالة الخليج العربي

- ٣٥- المسعودي ،محمد حميد مهدي ،واخرون،(٢٠١٥) :المناهج وطرائق تدريس في ميزان التدريس ،ط١،دار الرضون ،الاردن ،عمان
- ٣٦- الموسوي ،محمد علي حبيب ،(٢٠١٢):بحوث في المناهج الدراسية ،ط١، دار ومكتبة البصائر ،بيروت ،لبنان.
- ٣٧- ميخائيل ، امكانيوس (١٩٩٧): القياس والتقويم في التربية الحديثة، منشورات جامعة دمشق، دمشق
- ٣٨- الهويدي ،زيد ،(٢٠٠٤) :اساسيات القياس والتقويم ،ط١، دار الكتاب الجامعي للنشر ،العين ،الامارات
- ٣٩- الهادي ،نبيل عبد (٢٠١٠): تشكيل السلوك الاجتماعي ،ط١، دار اليازوري ،عمان ،الاردن.
- ٤٠- ياسين ،وائل عبد الكريم وزينب، حمزة راجي،(٢٠١٢) :المدخل البنائي نماذج واستراتيجيات في التدريس المفاهيم العلمية ، ط١،مكتبة نور الحسن،العراق ،بغداد عمران ، عدي محمد (٢٠١١) . أثر دمج مهارات التفكير ضمن المحتوى المعرفي في تحصيل مادة الكيمياء والتفكير العلمي لدى طلاب الصف الأول المتوسط . (رسالة ماجستير غير منشورة) ، كلية التربية ابن الهيثم – جامعة بغداد ، بغداد .

المراجع الأجنبية:

- 41-Bloom, B.S,(1971) : *Hand book on for mative and Summatvie Evaluation of studet learning* . New York . megrow Hall
- 42-Peter sonG.(1991); *Introdu ction psycholog* New yourk: Hapercolins Publishers Inc
- 43-Dembo,M(1994);*Applying educational Psycholog*5th,ed New York long Man Publishing Croup.

الإفصاح المحاسبي في القوائم والتقارير المالية الحكومية نموذج حديث مقترح للوحدات الحكومية في العراق

م.م. تيسير جواد كاظم

م.م. حيدر كريم كاظم

م.م. عبد الزهرة سلمان الروازق

مديرية التربية/ النجف الأشرف

المقدمة:

تؤدي الحكومة العراقية والوحدات الإدارية التابعة لها والداخلية ضمن الموازنة العامة للدولة دوراً أساسياً في تقديم الخدمات العامة ذات الأبعاد المختلفة السيادية ، الاجتماعية والاقتصادية لجمهور المواطنين في الدولة وهذا يتطلب ضمانات كبيرة في حجم الإنفاق وما يترتب عنه من أبعاد اقتصادية في الوقت الذي توجد فيه مجموعة من التحديات والتغيرات المحلية والدولية غير المسبوقة في المجالات الاقتصادية والمعلوماتية والتي بدأت تداعياتها تتعاظم في سوق الأعمال لذا كان الإفصاح المحاسبي يستوجب ضرورة تصميم مجموعة من القوائم والتقارير المالية الحكومية القادرة على إنتاج المعلومات المحاسبية الملائمة لدعم اتخاذ مجموعة من القرارات الاستراتيجية لأغراض قياس إنتاجية فاعلية الإنفاق الحكومي وقياس كفاءة تخصيص الموارد الإنتاجية فضلاً عن الإفصاح المحاسبي الكافي لمقابلة هذه التحديات وعلى كافة الأصعدة المحلية والدولية.

هيكلية ومنهجية البحث:

أولاً: مشكلة البحث: إن أسلوب وسياسية الإفصاح المحاسبي الحالي في عملية إعداد التقارير والقوائم المالية الحكومية لا يلبي الاحتياجات الأساسية للوحدات ولا ينسجم مع متطلبات معايير المحاسبة الحكومية الدولية.

ثانياً: فرضية البحث: يستند البحث على فرضية مفادها إن الإفصاح المحاسبي المقترح ينسجم مع متطلبات معايير المحاسبة الحكومية الدولية ويضمن إنتاج قوائم وتقارير مالية حكومية ملائمة وموثوقة.

ثالثاً: أهمية البحث: تتبع أهمية البحث من ضرورة التركيز على الإفصاح المحاسبي المتوافق مع المعايير المحاسبية الحكومية الدولية للحاجة الماسة الملحة ويُعد بمثابة أساس للوحدات الحكومية في تنظيم سياسات الإفصاح عن عناصر القوائم المالية وتوفير المعلومات الملائمة التي تغطيها التقارير المالية الحكومية .

رابعاً: هدف البحث: يهدف البحث إلى تسليط الضوء على صياغة نموذج حديث يركز على دور الإفصاح المحاسبي المتوافق مع المعايير المحاسبية الحكومية الدولية ودوره في إنتاج مخرجات تتوافر فيها كافة المقومات والركائز التي تساعد المستخدمين في التعرف على المعلومات المهمة والملائمة إذ تظهر المعلومات المهمة في صلب القوائم أما بقية المعلومات الملائمة الأخرى فتظهر على شكل إيضاحات يتم الإفصاح عنها في الملاحظات .

الإطار النظري:

المبحث الأول: الإفصاح المحاسبي:

١ - ١ مفهوم الإفصاح المحاسبي :

يشكل الإفصاح المحاسبي أحد المبادئ الهامة في تكوين الإطار النظري بصورة عامة والنظام المحاسبي الحكومي كمنشأ متفرع منها بصورة خاصة بحكم موقعه في هذا الإطار فهو يكوّن مع بقية المبادئ والفروض والمحددات (المستوى الثالث) في البناء النظري العام للإطار الفكري للنظرية ، ويؤدي مبدأ الإفصاح دوراً كبيراً مركزياً في الإطار الفكري للمحاسبة وكذلك في الممارسات المحاسبية فهو يمثل المدخل الإعلامي للنظرية المحاسبية (الخاقاني ، ٢٠٠٥ : ٦) ، والإفصاح هو بمثابة وزارة الأعلام الناطقة بأسم الحكومات المعاصرة ومتى كانت هذه الوزارة فعالة كان ذلك دليل على رقي وتقدم الحكومة وكذلك الإفصاح متى ما كان موجهاً ومركزاً لشريحة محددة وينقل المعلومات بشفافية وصدق كان له

الأثر البالغ والكبير في التأثير الواضح لقرارات هذه الشريحة ، وقد بدأ الاهتمام الواضح بمبدأ الإفصاح المحاسبي ودوره في عملية نقل المعلومات في القوائم والتقارير المالية المنشورة نتيجةً للتحول التاريخي الذي حدث لوظيفة المحاسبة بعد ما تحولت وظيفة المحاسبة منذ مطلع الستينات من القرن الماضي إلى ما يطلق عليه الباحثون المختصون (مدخل الملكية) إلى ما يعرف اليوم بـ (مدخل المستخدمين) (مطر ، ٢٠١٠ : ٣٢٢) ، وإن هذا التحول الهام في الوظيفة التي تمثل حقل المحاسبة من الوظيفة التقليدية والتي كانت تركز على كونها نظام تقليدي لمسك السجلات والغاية منه حماية مصالح المالكين إلى دور حديث ورائد يعد المحاسبة بمثابة نظام معلومات غايته الأساسية تقديم المعلومات المفيدة لغرض المساعدة في عملية إتخاذ القرارات الرشيدة ولكي تؤدي المحاسبة هذه الوظيفة بإتقان وبشكل جيد كان لا بد من الإرتقاء ببعض المبادئ المحاسبية المتعارف عليها والتي تحكم الإطار النظري للمحاسبة وفي مقدمتها (مبدأ الإفصاح) (الخاقاني ، ٢٠٠٥ : ٦) .

إن مفهوم الإفصاح بإعتباره مبدأ محاسبي " هو عملية عرض المعلومات المالية وغير المالية الخاصة بالوحدة في سبيل التشغيل الأمثل لأسواق رأس المال الفعالة " (هندركسن ، ١٩٩٠ : ٦١٤) ، بينما يرى البعض الآخر بأن لفظة الإفصاح تشير إلى المعلومات المالية في التقارير بأكملها وليس مقتصرًا فقط على القوائم المالية إذ يختص هذا المبدأ بعرض وتقديم المعلومات المقدمة سواء في القوائم المالية ذاتها أم إستعمال الأساليب الأخرى المكملة لعملية الإفصاح مثل الملاحظات الهامشية والقوائم الإضافية والكشوفات الملحقة وتقرير المدقق الخارجي وتقارير الإدارة وتحليلها لأنشطة الوحدة والتنبؤات المالية (الوقاد ، ٢٠١١ : ١٩٠) ، وكما ويُشترط في الإفصاح ضرورة شمول القوائم المالية والتقارير على جميع المعلومات اللازمة والضرورية لإعطاء مستخدمي هذه التقارير صورة واضحة ومقبولة عن الوحدة المحاسبية وذلك من خلال التأثير على القوائم المالية أو بإضافة كشوفات ملحقة أو ضمن تقرير الإدارة وذلك وفقاً للقاعدة المحاسبية العراقية المعمول بها والتي نصها " الإفصاح عن المعلومات المتعلقة بالبيانات المالية والسياسات المحاسبية " (ديوان الرقابة المالية ، ٢٠١١ : ٨) ، كما ويتوجب في التعبير

عن الإفصاح ضرورة أن تتضمن القوائم المالية كافة المعلومات التي يحتاجها مستخدمو هذه المعلومات وبالتالي يصبح الإفصاح عن معلومات محددة أمراً حيوياً إذا ترتب على عدم الإفصاح عن تلك المعلومات بأن تكون القوائم المالية مظلمة وغير مفهومة (الخطيب والمهايني ، ٢٠٠٨ : ٢٨) ، ويُشير مفهوم الإفصاح أيضاً إلى تقديم المعلومات للمستخدمين بشكل ومضمون صحيحين وملائهم لمساعدتهم في إتخاذ القرارات (حنان ، ٢٠٠١ : ٢٩٨) ، في حين إن القاعدة المحاسبية العراقية رقم (١٠) تنص على إنه ينبغي الإفصاح عن السياسات المحاسبية التي تم إستخدامها في عملية إعداد القوائم المالية والمتغيرات الجارية عليها وهذا الإفصاح ممكن أن يكون في صلب القوائم المالية أو بين الأقواس أو في الهوامش أو غيره من الوسائل الأخرى للإفصاح (التميمي ، ٢٠٠٩ : ٥٨) ، وقد أكد الباحثون أيضاً على إنه يجب أن تكون هنالك زيادة ملحوظة في جودة الإفصاح المحاسبي القائم والخاص بوحدات القطاع الحكومي وهو يعكس قدرة هذه الوحدات على قياس صافي قيمة الأصول والخصوم ويعكس أيضاً قدرتها على توضيح حقيقة أداء الأنشطة المالية الخاصة بالوحدة (إبراهيم ، ٢٠٠٦ : ١٦) ، وينص المعيار المحاسبي الحكومي الدولي رقم (٢٢) والذي يحمل عنوان " الإفصاح عن المعلومات المالية حول القطاع الحكومي العام " على إنه من المفترض على كافة الوحدات الحكومية أن تختار وسائل وطرق الإفصاح وتطبيق المعايير المحاسبية الدولية في القطاع العام بخصوص الإفصاح عن المعلومات المالية وإجراء عملية المقارنة بين معلوماتها ومعلومات القطاع الحكومي العام بأكمله (الإتحاد الدولي للمحاسبين ، ٢٠٠٨ : ٦٦٨) ، وبناءً على ما تقدم يُمكن اعتبار الإفصاح موضوعاً واسعاً لدرجة تكفي بأنه يتضمن كافة مجالات القوائم والتقارير المالية الحكومية ولكي تصبح هذه القوائم والتقارير ذات معنى وفائدة للمستخدمين لا بد أن تضم المعلومات الضرورية والأساسية التي تؤثر بشكل أو بآخر على سير إتجاه القرار المتخذ من قبل المستخدمين .

١-٢ مستويات الإفصاح المحاسبي :

يُعد الغرض الرئيسي للإفصاح المحاسبي هو توفير وتقديم معلومات ملائمة ومناسبة لمستخدمي المعلومات الواردة ضمن القوائم المالية بهدف إتخاذ مجموعة من القرارات الرشيدة ولعله وبسبب الاختلاف في وجهات النظر حول مبدأ الإفصاح المحاسبي لإحتدام الاختلاف بين أصحاب المصالح كان من الصعب تحديد مستوى ومفهوم ونوع محدد للإفصاح وبصورة عامة يُمكن إستعراض أنواع أو مستويات الإفصاح طبقاً لتحديد القدر الممكن من المعلومات الذي يتعين الإبلاغ عنها ولعل أهم مستويات هذا الإفصاح ما يأتي :

- ١- الإفصاح المثالي : ويُناسب هذا المستوى كافة رغبات المستخدمين .
 - ٢- الإفصاح الممكن : ويختص هذا المستوى من الإفصاح بأفقية التقرير عن مجمل المعلومات الضرورية والكفيلة بجعلها غير مظلمة .
 - ٣- الإفصاح العادل : وهو الإفصاح الذي يهتم بالرعاية المتوازنة لإحتياجات كافة الأطراف المعنية (الشيرازي ، ١٩٩٠ : ٣٣١) .
 - ٤- الإفصاح الكاف : ويُشير الإفصاح الكاف إلى عرض الحد الأدنى الواجب إشهاره من المعلومات المحاسبية (حنان ، ٢٠٠٩ : ١٥) .
 - ٥- الإفصاح الكامل : وينص هذا المبدأ أن تكون المعلومات والقوائم التي تحتويها كاملةً إذ يشمل الإفصاح الكامل المعلومات الضرورية الكاملة لغرض التعبير الصادق (الخطيب والمهاني ، ٢٠٠٨ : ٢٨) .
- وهناك أيضاً مستويات أخرى للإفصاح لا بد من التعريف بها وهي (الإفصاح الشامل ، الإفصاح الوقائي والإفصاح الإعلامي) (الشيرازي ، ١٩٩٠ : ٣٢٢ - ٣٣٠) ، وإن تعدد أنواع الإفصاح هذا يرجع إلى جملة من الأسباب (كيسو وويجانت ، ٢٠٠٩ : ١٣٣٩) ومنها ما يأتي :-
- ١- تعقد بيئة الأعمال .
 - ٢- الحاجة الماسة لمعلومات ضرورية وفورية .

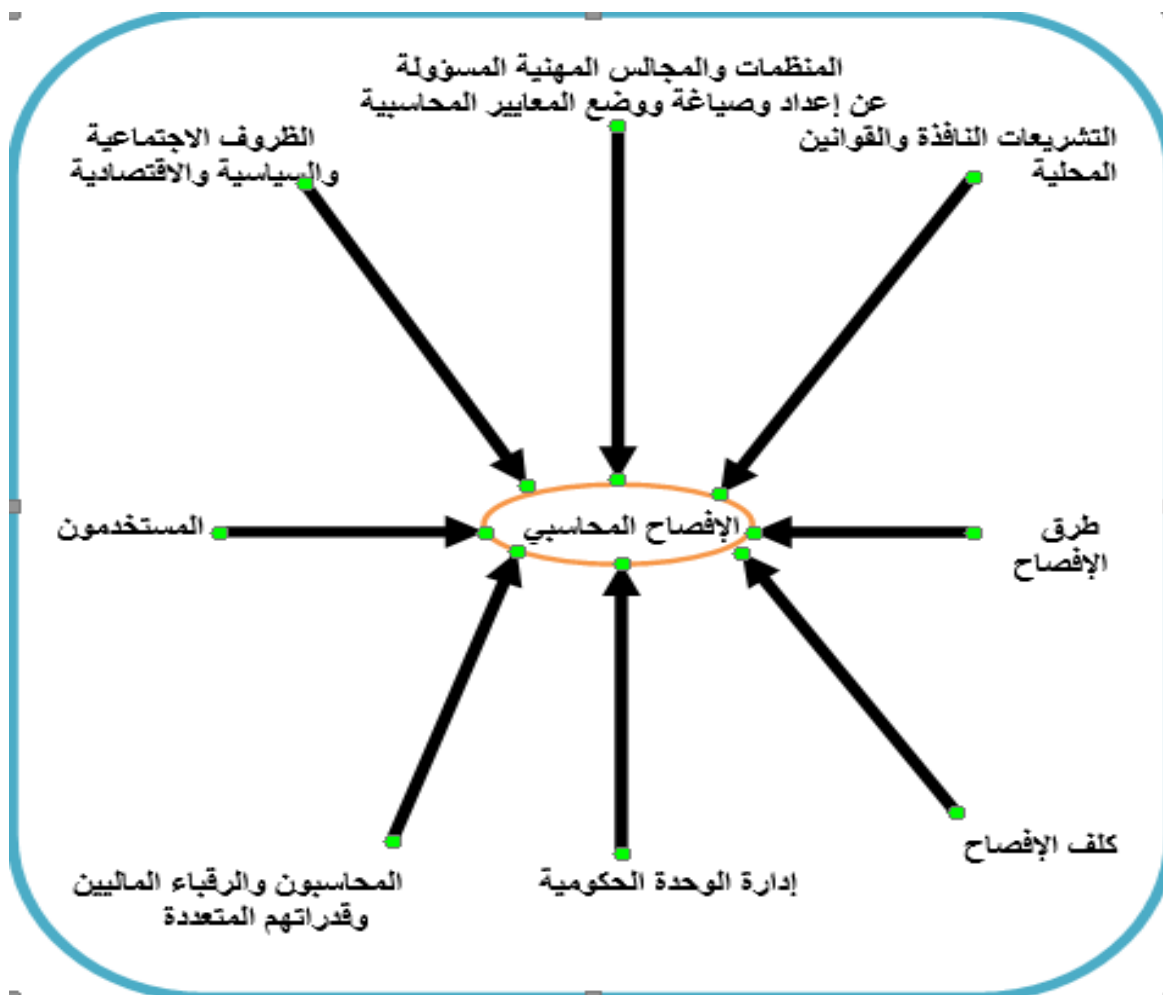
- ٣- إستخدام المحاسبة كأداة للإشراف والرقابة .
 - ٤- إزدیاد أعباء التطبيق وعدم القدرة الكافية على الإستيعاب (الشيرازي ، ١٩٩٠ : ٣٣٢) .
 - ١- ٣ قواعد الإفصاح المحاسبي :
- تتطلب قواعد الإفصاح المحاسبي الحكومي مجموعة من المحددات الواجب مراعاتها عند عملية الإبلاغ وهذه القواعد هي ما يأتي :
- ١- قواعد الإفصاح العام : وتتضمن مجموعة القواعد المختصة بالنظام المحاسبي الحكومي المطبق ، المدة المحاسبية ، السياسات المحاسبية ، نوع العملة المستخدمة ، الإيرادات ، المصاريف والأساس المحاسبي المستخدم في عملية إعداد وتنفيذ الموازنة العامة فضلاً عن البيانات الفعلية للسنوات السابقة .
 - ٢- قواعد الإفصاح عن مجمل الأداء المالي والتدفقات النقدية .
 - ٣- قواعد الإفصاح عن المركز المالي مقسم بحسب الأصول والخصوم وحصة الحكومة من أرباح شركات القطاع العام .
 - ٤- قواعد الإفصاح الأخرى : وهي مجموعة القواعد التي تقتضي الإفصاح والتقرير عن المعلومات الأخرى مثل طرق تمويل الموازنة من القروض الخارجية ، مساهمة صندوق النقد الدولي فيها والديون المشطوبة من الدول الدائنة فضلاً عن معلومات هامة تتعلق بقواعد لا تدخل ضمن القواعد الثلاث المذكورة انفاً .
- ١- ٤ طرق ووسائل الإفصاح المحاسبي :
- توجد هنالك مجموعة من الطرق والوسائل المستخدمة للتعبير عن الإفصاح المحاسبي وطبيعة ونوعية المعلومات المحاسبية وكذلك أهميتها النسبية وقد حددت القاعدة المحاسبية السادسة الصادرة من مجلس المعايير والقواعد المحاسبية والتدقيق في العراق والتي تتعلق بخصوص الإفصاح عن المعلومات المتعلقة بالبيانات المالية والسياسات المحاسبية والتي أقرها المجلس بجلسته المنعقدة بتاريخ ٩ / ١١ / ١٩٩٥ م مجموعة لوسائل الإفصاح (القاعدة المحاسبية العراقية ، ١٩٩٥ : ٢٩ - ٣٤) منها ما يأتي :

- ١- القوائم المالية الأساسية .
 - ٢- الكشوفات التحليلية .
 - ٣- تقرير الإدارة .
 - ٤- تقرير مراقب الحسابات الخارجي .
 - ٥- الهوامش والمصطلحات .
 - ٦- مجموعة النماذج والرسوم البيانية والأشكال وعرض الصور الفوتوغرافية فضلاً عن إعداد التقارير الوصفية .
- ١-٥ العوامل المؤثرة في عملية الإفصاح المحاسبي :
- تلعب بعض العوامل دوراً كبيراً في التأثير المباشر على درجة ومستوى الإفصاح المحاسبي في التقارير المالية الحكومية ومن هذه العوامل ما يأتي :
- ١- عوامل بيئية : إذ تختلف التقارير المالية الحكومية من حكومة إلى أخرى وذلك لأسباب عديدة منها إقتصادية ، إجتماعية وسياسية فضلاً عن عوامل أخرى تتعلق بحاجة المستخدمين إلى مزيد من المعلومات الإضافية عن التغييرات الحاصلة في البيئة وأثرها في الوحدة المحاسبية وكذلك على مستوى الحكومة ككل وذلك بغرض عقد المقارنات بين الوحدات الحكومية مع بعضها البعض .
 - ٢- عوامل ذات علاقة مباشرة بالمعلومات : تتأثر درجة الإفصاح في التقارير إلى حد ما بالمعلومات التي يتم الإبلاغ عنها وتوافر مجموعة من الخصائص أو السمات للحكم على مدى فاعليتها وكفاءتها وأهم هذه الخصائص أن تكون المعلومة ملائمة للقرارات التي سيقوم بإتخاذها أغلب المستخدمين فضلاً عن ذلك فإن المعلومة يجب أن تتحلى بثقة مستخدميها وأن تكون قابلة للتحقق والمقارنة .
 - ٣- القوانين المحلية والتشريعات النافذة : تؤدي القوانين المحلية والتشريعات النافذة في بيئة الوحدات المحاسبية الحكومية دوراً رئيساً في مجال الإفصاح فضلاً عن الدور الهام الذي تلعبه القواعد المحلية ،

المعايير المحاسبية المحلية ومعايير التدقيق المحلية فهي أيضاً تؤثر بدرجة كبيرة في مستوى الإفصاح المحاسبي ودرجته وزيادته .

٤- المعايير المحاسبية الحكومية الدولية : تشكل المعايير المحاسبية الحكومية الدولية والتي تقوم المنظمات المهنية واللجان المختصة بإصدارها ومنها المعايير التي تصدرها " GSAB " والمعايير المحاسبية الدولية في القطاع العام حيزاً كبيراً في التأثير المباشر على أهمية وزيادة مستوى الإفصاح وذلك لكون هذه المنظمات واللجان تفرض متطلبات معيارية خاصة تتعلق بعملية الإفصاح عن المعلومات في التقارير المالية الحكومية والشكل التالي أدناه يوضح تفاعل وتداخل هذه العوامل في تكوين علاقة تكاملية بين مجموعة هذه العوامل المؤثرة في مستوى الإفصاح المحاسبي .

الشكل (١) : يوضح العلاقة التكاملية بين مجموعة العوامل المؤثرة في الإفصاح المحاسبي



المصدر : (إعداد الباحثين) .

١-٧ إمكانية تحديث الإفصاح في النظام المحاسبي الحكومي العراقي عبر تحديث التشريعات والقوانين والأنظمة والتعليمات المالية القائمة :

تُعد التشريعات والقوانين والأنظمة والتعليمات المالية الصادرة في العراق الأساس الذي يعتمد عليه نظام الموازنة العامة للدولة والنظام المحاسبي.

إن القواعد والأسس والإجراءات المحاسبية المُتبعة في النظام المحاسبي الحكومي في تخطيط ، إعداد ، تنفيذ والرقابة على الموازنة العامة للدولة تعتمد على التشريعات ، القوانين ، الأنظمة والتعليمات المالية الصادرة من الجهات المسؤولة وبناءً على ذلك فإن أي دعوة لتحديث وتطوير النظام المحاسبي الحكومي يجب ان تبدأ أولاً بتحديث التشريعات ، القوانين ، الأنظمة والتعليمات المالية بما ينسجم مع طبيعة التحديثات المطلوب إجراؤها في الموازنة العامة للدولة والنظام المحاسبي الحكومي لغرض الإيفاء بمتطلبات الإفصاح المطلوب تحديثه على وفق المعايير المحاسبية الحكومية الدولية (الخاقاني ، ٢٠٠٥ : ١٣٩) .

المبحث الثاني: القوائم والتقارير المالية الحكومية:

٢-١ طبيعة النظام المحاسبي الحكومي : من المعروف إن عناصر أي نظام محاسبي هي : المدخلات ، العمليات والمخرجات وسوف يتم التركيز على مخرجات النظام المحاسبي الحكومي المتكامل بإعتبار إن بيئة هذا النظام هي مزيج من البيئة الإدارية ، الثقافية ، السياسية والإقتصادية فضلاً عن البيئة التكنولوجية (المبيضين ، ١٩٩٩ : ١٠١) ، ولكي يلبي النظام بمتطلبات هذا المزيج المتداخل من البيئة لا بد من أن تكون مخرجاته المتعلقة ب (القوائم والتقارير المالية) قادرةً على عرض النتائج بصورة عادلة وإفصاح كاف وإن النتائج الخاصة بالعمليات المالية للأموال الحكومية ومجموعة الحسابات للوحدة الحكومية قد تم إعدادها طبقاً للمبادئ المحاسبية المُتعارف عليها ووفقاً لمتطلبات المعايير المحاسبية الحكومية الدولية ، المحلية والقواعد المحاسبية المحلية ومن ثم التعرف على مدى إلتزام الوحدة المحاسبية الحكومية بالقواعد والتشريعات النافذة وكافة النظم المالية والمحاسبية (الإبراهيمي ، ٢٠٠٧ : ٤٠) ،

٢-٢ مفهوم القوائم والتقارير المالية الحكومية :

إن التقارير المالية هي أحد عناصر النظام المحاسبي الحكومي المهمة وتُساعد على متابعة تحصيل الإيرادات ومدى كفاءة أجهزة التحصيل ومتابعة الصرف ومدى الالتزام بقواعد تنفيذ التخصيصات المُعتمدة في الموازنة العامة للدولة ولذا فهي تُعدّ الوعاء الذي يتم فيه تجميع البيانات ، المعلومات وعرضها بطرق مناسبة لمساعدة متخذي القرارات أياً كان موقعهم لتحقيق فوائد متنوعة منها خدمة التخطيط ، الرقابة ، تقييم المركز المالي للوحدة الإقتصادية وتقييم أدائها (الرماحي ، ٢٠٠٩ : ٧٣) ، وإن منفعة النظام المحاسبي الحكومي تتحدد في ضوء ما ينتجه هذا النظام من معلومات تُساهم في إتخاذ القرارات عن طريق تقديم معلومات تتميز بكونها مؤثرة وتظهر بشكل تقارير مالية حكومية ذات مغزى مفيد ومهم (السلطان وأبو المكارم ، ١٩٩٠ : ٧٧٣) ، وفي الوقت الذي تكون فيه التقارير المالية المنتج النهائي للنظام المحاسبي الحكومي بشكل عام فهي تقوم بتوصيل المعلومات للمستخدمين وإن شكل ومضمون هذه التقارير التي تُصدرها تنظيمات قطاع الأعمال يختلف عنه في الوحدات الحكومية ويرجع السبب في ذلك إلى عدة أسباب تتعلق بطبيعة النشاط ، طرق التمويل وأهداف ودوافع مستخدمي المعلومات المحاسبية بسبب الإهتمام بالتقارير المالية في الوحدات الحكومية بإعتبارها وسيلة للإتصال في النظام المحاسبي الحكومي والتي تعمل على مساعدة الأطراف المُهتمة بالمعلومات التي يُوفرها هذا النظام في تحقيق أهداف التخطيط والرقابة المالية ويُمكن إستخدام هذه المعلومات في تقييم أداء الوحدات الحكومية وأيضاً في تقييم أداء الإدارة العليا في كيفية إستخدام الموارد المالية المتاحة (إلهامي والسقا ، ٢٠٠٩ : ٢٨٤ ؛ السلطان وأبو المكارم ، ١٩٩٠ : ٥٠) .

٢-٣ مكونات القوائم والتقارير المالية الحكومية :

ينبغي أن يكون النظام المحاسبي الحكومي قادراً على تقديم نوعية من التقارير التي تُساعد في تقديم المعلومات بصورة مناسبة بالإعتماد على مجموعة معايير تتوفر في هذه الأنواع ، ويقوم هذا النظام على

مجموعة من التقارير التي ترمي للمساعدة على توفير المعلومات الضرورية لتحقيق الرقابة على موارد الدولة ونفقاتها (سنون ، ١٩٩١ : ٢٠٩) ، وهناك ثلاثة أنواع تم تقديمها في البيان المرقم (٤) لإطار المعايير المحاسبية الحكومية الصادر عن لجنة معايير المحاسبة التابعة لـ " INTOSAI " وهذه الأنواع هي القوائم المالية ذات الغرض العام ، تقارير المطابقة وتقارير الأداء وهي مجتمعةً وبتقرير واحد تُعطي نظرة عامة على نشاط التصرف المالي للوحدة الحكومية وهي بمثابة معلومات مناسبة على مستوى الوحدة الحكومية والحكومة ككل (أحمر ، ٢٠٠٣ : ٣١٧-٣١٨) ، وفيما يلي إستعراض لهذه الأنواع التي يتضمنها التقرير السنوي فضلاً عن تقارير أخرى لأجل إستكمال إعداد التقرير السنوي الشامل :

أولاً : القوائم المالية ذات الغرض العام " General Purpose Financial Statements " :
إن القوائم المالية ذات الغرض العام تُعطي معلومات عن المركز المالي للحكومة ونتائج العمليات بالإعتماد على أساس محاسبي مناسب وقد تُوفر معلومات عن مدى المطابقة والأداء بشكل إجمالي (السعدي ، ٢٠١٢ : ٢٨) ، وعليه تكون الوحدة الحكومية هي المسؤولة عن إعداد هذه القوائم .

ثانياً: تقارير المطابقة " Compliance Reports " :
تصف تقارير المطابقة هذه وضع الحكومة المالي بشكل عام ونتائج العمليات وذلك وفقاً للأساس المحاسبي المستخدم ويُمكن أن يتضمن معلومات عن المطابقة والأداء بشكل إجمالي (الخزعلي ، ٢٠٠٧ : ١٥٧) .

ثالثاً : تقارير الأداء " Performance Reports " :
وتحتوي هذه التقارير معلومات عن مدى تحقيق البرامج والأنشطة للأهداف المنشودة (الفاعلية) مع مراعاة أوجه الإقتصاد والكفاءة ويُمكن أن تتضمن هذه التقارير المؤشرات ومعايير المقارنة المالية وغير المالية كما تُساعد المُستخدمين لها على فهم الحاضر والتخطيط للمستقبل على إنه يجب أن تُظهر التقارير مستوى النجاح والإخفاق بجانب المعلومات المذكورة أعلاه .

رابعاً : تقارير مالية خاصة : وهي تقارير خاصة بالوحدة الحكومية ، أنشطتها وبرامجها المالية .

٢- ٤ الخصائص النوعية للتقارير المالية الحكومية :

ان أسلوب ومبدأ الإفصاح المحاسبي ونتيجة لتحديث أساليب الرقابة على المال العام ولإظهار العلاقة التكاملية بين النظم المحاسبية الحكومية الأساسية والتي هي كل من : (النظام المحاسبي الحكومي المستخدم ، نظام الموازنة العامة للدولة وأسلوب الرقابة الحديث على المال العام) يقتضي ضرورة ملحة وأساسية تستوجب تقديم تقارير مالية وقوائم مالية ذات خصائص نوعية وسمات محددة لغرض أن تُساهم في تزويد مستخدمي التقارير المالية الحكومية بالمعلومات التي يحتاجونها وان الخصائص النوعية التي سوف يتم عرضها هي عبارة عن خصائص قدمتها المنظمة الدولية للأجهزة العليا للرقابة والمحاسبة (INTOSI) من خلال البيان رقم (٣) والصادر عن لجنة معايير المحاسبة في أيلول سبتمبر ١٩٩٥ م وفيما يلي نص البيان المذكور أنفاً " إن الخصائص النوعية للتقارير المالية الحكومية يجب فيها أن تتصف المعلومات التي تحتويها التقارير المالية الحكومية " (أحمر ، ٢٠٠٣ : ٣١٤) ، ولعل من أبرز هذه الخصائص ما يأتي :-

١- القابلية للفهم : ان المعلومات لكي تكون مفيدة من وجهة نظر مستخدميها يجب أن تكون مفهومة بالنسبة لمن يستخدمها فالمعلومات المحاسبية التي تشتمل عليها القوائم المالية والتي تنشر على جمهور المستخدمين يتم إعدادها أصلاً لتكون مفهومة بالنسبة للمستخدمين الذين لديهم درجة معقولة من الفهم للأعمال والأنشطة الاقتصادية والذين يملكون في الوقت نفسه الرغبة الفعلية في دراسة هذه المعلومات بدرجة معقولة من التمعن (عبد الله ، ٢٠٠٢ : ٣٦) .

٢- القابلية للمقارنة : تُعد المعلومات قابلة للمقارنة عندما تُساعد مستخدمي المعلومات على تحديد أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بين هئتين حكوميتين أو أكثر خلال مدة زمنية معينة أو أوجه الاختلاف والشبه في أداء نفس الهيئة الحكومية خلال مدد زمنية مختلفة (محمود ، ٢٠١١ : ٢٦) .

٣- الإعتدالية : يُقصد بها أن يتوفر للمعلومات المحاسبية قدر من الموضوعية تجعل مستخدم المعلومة يثق بها ويعتمد عليها (مصطفى ، ٢٠٠١ : ٢٤٢) .

٤- التوقيت المناسب : يجب أن تُنشر التقارير المالية بعد وقوع الأحداث مباشرة لغرض مساعدة المستخدمين على القيام بالأنشطة وإن خاصية توفر المعلومات في الوقت المناسب بمفردها لا تجعل المعلومات مفيدة إلا إن مرور الوقت بعد الأحداث التي أُعد من أجلها التقرير يقلل بصفة عامة من فائدة هذه المعلومات (أحمد ، ٢٠٠٦ : ٥٤) .

٥- الإستمرارية في إتباع نفس الأسس : لكي تكون التقارير المالية الحكومية مفهومة يجب أن تُعد على نفس الأسس المحاسبية قدر الإمكان وتسمح خاصية الإستمرارية في إتباع نفس الأسس لهؤلاء الذين يستخدمون التقارير المالية الحكومية أو مجموعة منها عن الحكومة التي تسمح بعملية التنقل بين البيانات المعروضة بطريقة إجمالية إلى البيانات المفصلة وأيضاً عملية التنقل من تقرير إلى آخر بسهولة وبكل ثقة ميسرة (الخزعلي ، ٢٠٠٧ : ١٠١) .

٦- متعلقة بالموضوع : تُعد المعلومات متعلقة بالموضوع إذا ساهمت في مساعدة مستخدمي المعلومات على القيام بواجباتهم لذلك يتوجب على القائمين بعملية إعداد التقارير المالية الحكومية بأن يأخذوا بنظر الإعتبار كافة الأنشطة والمعلومات التي يحتاج المستخدمون إليها عند تحديد ما يتعلق بموضوع التقرير المالي الحكومي (أحمر ، ٢٠٠٣ : ٣١٥) .

٧- أساسية : المعلومات الأساسية هي التي يتوقع أن تؤثر في الأنشطة التي يقوم بها مستخدمو المعلومات وربما قد تؤثر هذه الصفة في أحد البنود نتيجةً إلى حجمه أو إلى طبيعته وهي مسألة قد تخضع للحكم الشخصي وتشمل العوامل التي يرغب مُعدو المعلومات في أخذها بنظر الإعتبار عند تحديد توفر السمات الفرعية ومنها : الغرض من التقرير ، أنشطة المستخدمين ، طبيعة ونوع المعلومات وطبيعة الوحدة المحاسبية الحكومية المسؤولة (الأسدي ، ٢٠١٥ : ٤٦) .

٢-٥ محتوى (عناصر) القوائم والتقارير المالية الحكومية:

إن القوائم المالية الحكومية تتضمن عناصر محددة وذلك بحسب الإطار النظري (الفكري) للمحاسبة المالية بشكل عام والنظام المحاسبي الحكومي بصورة خاصة بإعتبار إن النظام المحاسبي الحكومي نشاط

خدمي خاص ينطوي تحت نشاط المحاسبة المالية في حين تشمل التقارير المالية الحكومية معلومات قد يكون البعض منها غير مالي تُفصح عن بعض السياسات المحاسبية المُستخدمة في عملية إعداد الموازنة العامة للدولة وكذلك التقرير عن الأساس المحاسبي المُستخدم في عملية إعداد وتنفيذ الموازنة فضلاً عن معلومات تتعلق بفترة التقرير ومعلومات مركزة أخرى حسب متطلبات وحاجة التقرير المالي الحكومي .

إن القوائم المالية تُقرر وبمجرد استخدام أساس محاسبي معين وفي قوائمها المعتمدة والتي يتم إصدارها والمتمثلة بـ (قائمة المركز المالي ، قائمة الأداء المالي وقائمة التدفقات النقدية) والتي تُعرف بالقوائم المالية ذات الغرض العام عن عناصر الأصول والخصوم والإيرادات والمصاريف وعن النقدية المتولدة بحسب الأنشطة المكونة لها فضلاً عن الإبلاغ عن مجموعة من السياسات المحاسبية والمعلومات الأخرى المكملة لعملية إعداد هذه القوائم فتشمل قائمة المركز المالي عناصر الأصول والخصوم (المطلوبات + الاحتياطي العام) ومصنفةً بحسب عنصر السيولة المالية إلى متداولة وثابتة وطبقاً للمعايير المحاسبية الحكومية الدولية ويظهر الإحتياطي العام الفرق بين الأصول والمطلوبات في حين تعرض قائمة الأداء المالي عناصر الإيرادات والمصاريف والفرق بينهما فيظهر صافي الفائض أو العجز خلال المدة أما قائمة التدفقات النقدية فيتم الإفصاح فيها عن كافة التدفقات النقدية المتولدة خلال السنة المالية مقسمةً وفق الأنشطة الرئيسة الثلاثة المُتعارف عليها (التشغيلية ، الإستثمارية والتمويلية) وتُساهم هذه القوائم المالية أعلاه في مساعدة الحكومة على تفسير الهيكل التمويلي لها ولوحداتها وتغييراته وأثارها وتُساعد أيضاً على عملية التحليل المالي والمقارنة بين الأداء وفضلاً عن القوائم الأساسية المذكورة أنفاً يُمكن إصدار قوائم مالية إيضاحية أخرى بحسب الحاجة ومنها : قائمة بالديون ، القروض المدينة والدائنة ، قائمة بالمستحقات والإلتزامات ، قائمة تُقارن المُقدر بالموازنة التخمينية مع المتحقق الفعلي ، قائمة إيضاحية بتفاصيل الإيرادات والمصاريف ، قائمة خاصة بالمشاريع (البرامج) التي نفذت خلال السنة وقائمة تُوضح السياسات والأسس المحاسبية التي صاحبت عملية إعداد القوائم المالية بموجبها وأية

إيضاحات وجداول وأشكال أخرى تقتضيها حاجة مُستخدمي القوائم المالية الحكومية (أحمر ، ٢٠٠٣ : ٣٠٣ - ٣٠٥)

الإطار العملي " الأنموذج المقترح للقوائم والتقارير المالية للحكومة العراقية ووحداتها " يستند الأنموذج الحديث الحالي المقترح على مجموعة من (الأطر ، القوائم ، الأشكال والجداول المقترحة) والمُنتقاة من أهم المعايير المحاسبية الحكومية الدولية وكذلك نظام إحصاءات مالية الحكومة الـ " GFS " العالمي .

أولاً قطاع الحكومة العامة :

يتألف قطاع الحكومة العامة الذي هو محور البحث من جميع الوحدات الحكومية والمؤسسات غير الهادفة لتحقيق الربح والتي تسيطر عليها وتمولها بصورة رئيسية وحدات حكومية ويُتيح نظام الـ " GFS " الحكومي لأغراض التحليل الخاص بقطاع الحكومة العامة أساليب مُعينة وقد يكون هناك أكثر من مستوى واحد للحكومة داخل البلد وقد قام الباحثون بتقسيم قطاع الحكومة في العراق بحسب التقسيم المعروف طبقاً للقوانين النافذة والتقسيمات المُتبعة بحسب الأسلوب البديل الذي أتاحه النظام والشكل أدناه يوضح تقسيم قطاع الحكومة العراقي المقترح وقطاعاته الفرعية منسجماً مع محور البحث .

ثانياً الإطار العام المقترح للتقرير المالي السنوي الشامل للحكومة العراقية :

يُشكل الإطار المقترح للأقسام الخمسة والتي تُعنى بالإفصاح المحاسبي في القوائم والتقارير المالية الحكومية والذي تقع مسؤولية إعدادهِ على عاتق وزارة المالية والوحدات الحكومية الداخلة ضمن الموازنة العامة للدولة ويكون هذا الإطار على شكل ملف نصي مُتاح لكافة المُستخدمين ويجب أن يتم إعداد هذا الإطار والتقرير والإفصاح عنه بصورة دورية ومنتظمة وبعد مدة وجيزة من نهاية السنة المالية وتحديد المدة اللازمة لإصدار هذا التقرير والشكل التالي يبين طبيعة الإطار العام المقترح للتقرير المالي السنوي والشامل للحكومة العراقية .

١- قائمة الأداء المالي :- ويُفصح فيها بالتقرير عن عمليات ومعاملات وحدات قطاع الحكومة العامة خلال مدة محاسبية وذلك فيما يتعلق بالإيرادات والمصروفات فضلاً عن صافي إكتساب الأصول المالية وغير المالية وصافي تحمل الخصوم .

الجدول رقم (١) : نموذج مُقترح لقائمة الأداء المالي للحكومة العراقية للمدة المُنتهية في ٢٠١٢/٣١/٢٠١٢ .

(مع توضيح تصنيف المصاريف حسب الوظيفة) - (المبالغ بالآف وحدات العملة).

البيان	٢٠١٢ (المبالغ)	٢٠١١ (المبالغ)
الإيرادات:		
	xxx	xxx
الضرائب	xxx	xxx
الرسوم والغرامات والتراخيص	xxx	xxx
الإيراد من معاملات الصرف	xxx	xxx
التحويلات من منشآت حكومية أخرى	xxx	xxx

البيان	٢٠٢٢ (المبالغ)	٢٠٢١ (المبالغ)
إيرادات أخرى	xxx	xxx
إجمالي الإيرادات	xxx	xxx
المصاريف :	xxx	xxx
الخدمات العامة	xxx	xxx
الدفاع	xxx	xxx
النظام العام والسلامة	xxx	xxx
التعليم	xxx	xxx
الصحة	xxx	xxx
الحماية الإجتماعية	xxx	xxx
الإسكان وأسباب راحة المجتمع	xxx	xxx
الأنشطة الإستجمامية والثقافية والدينية	xxx	xxx
الشؤون الإقتصادية	xxx	xxx
الحماية البيئية	xxx	xxx
مصاريف أخرى	xxx	xxx
تكاليف التمويل	(xxx)	(xxx)
ينزل : إجمالي المصاريف	xxx	xxx
الحصة من فائض الشركات الزميلة	xxx	xxx

البيان	٢٠٢٢ (المبالغ)	٢٠٢١ (المبالغ)
فائض أو عجز المدة		

المصدر : (إعداد الباحثين بالاعتماد على الاتحاد الدولي للمحاسبين ، ٢٠٠٨ : ٧٤) .
الجدول رقم (٢) : نموذج مُقترح آخر لقائمة الأداء المالي للحكومة العراقية للمدة المنتهية في
٢٠٢٢/١٢/٣١ . (مع توضيح تصنيف المصاريف حسب الوظيفة) - (المبالغ بالآلاف وحدات العملة)

البيان	٢٠٢٢ (المبالغ)	٢٠٢١ (المبالغ)
الإيرادات:		
الضرائب	xxx	xxx
الرسوم والغرامات والتراخيص	xxx	xxx
الإيراد من معاملات الصرف	xxx	xxx
التحويلات من منشآت حكومية أخرى	xxx	xxx

البيان	٢٠٢٢ (المبالغ)	٢٠٢١ (المبالغ)
إيرادات أخرى	xxx	xxx
إجمالي الإيرادات	xxx	xxx
المصاريف:	xxx	xxx
	xxx	xxx
الأجور والرواتب ومنافع الموظفين	xxx	xxx
المنح ودفعات التحويل الأخرى	xxx	xxx
مواد التمويل والمواد المستهلكة المُستخدمة	xxx	xxx
مصرف الاستهلاك والإطفاء	xxx	xxx
إنخفاض قيمة الممتلكات والمصانع والمعدات		
مصاريف أخرى		
تكاليف التمويل	(xxx)	(xxx)
	xxx	xxx
	xxx	xxx
ينزل : إجمالي المصاريف		
الحصة من فائض الشركات الزميلة		
فائض أو عجز المدة		

المصدر : (إعداد الباحثين بالإعتماد على الاتحاد الدولي للمحاسبين ، ٢٠٠٨ : ٧٥) .

٢- قائمة المركز المالي :- ويتم فيها التقرير والإفصاح عن أرصدة الأصول والمطلوبات وحقوق الملكية وصافي القيمة (صافي الأصول) في نهاية كل مدة محاسبية للوحدة الحكومية المؤسسية .
الجدول رقم (٣) : نموذج مُقترح لقائمة المركز المالي للحكومة العراقية كما في ٢٠١٢/٣١/٢٠١٢.

البيان	٢٠١٢ (المبالغ)	٢٠١١ (المبالغ)
الأصول :		
الأصول المتداولة		
النقد والنقد المعادل	xxx	xxx
الذمم المدينة	xxx	xxx
المخزون	xxx	xxx
الدفعات المسبقة	xxx	xxx
أصول متداولة أخرى	xxx	xxx
الأصول غير المتداولة	xxx	xxx
الذمم المدينة	xxx	xxx
الإستثمارات في الشركات الزميلة	xxx	xxx
الأصول المالية الأخرى	xxx	xxx
البنية التحتية والممتلكات والمصانع	xxx	xxx
المعدات والأبنية	xxx	xxx
الأصول غير الملموسة	xxx	xxx
أصول غير مالية أخرى	xxx	xxx
إجمالي الأصول		

		الإلتزامات :
		الإلتزامات المتداولة
		الذمم الدائنة
xxx	xxx	إقتراضات قصيرة الأجل
xxx	xxx	الجزء المتداول من الإقتراضات طويلة الأجل
xxx	xxx	مخصصات قصيرة الأجل
xxx	xxx	منافع الموظفين
xxx	xxx	معاشات التقاعد
xxx	xxx	الإلتزامات غير المتداولة
		الذمم الدائنة
		إقتراضات طويلة الأجل
		مخصصات طويلة الأجل
		إجمالي الإلتزامات
xxx	xxx	صافي الأصول
xxx	xxx	صافي الأصول / حقوق الملكية
xxx	xxx	رأس العامل المساهم به من قبل منشآت حكومية أخرى
xxx	xxx	الإحتياطيات
xxx	xxx	الفائض / العجز المتراكم
		حصص الأقلية
xxx	xxx	إجمالي صافي الأصول / حقوق الملكية
xxx	xxx	

xxx	xxx	
xxx	xxx	
xxx	xxx	

المصدر : (إعداد الباحثين بالإعتماد على الإتحاد الدولي للمحاسبين ، ٢٠٠٨ : ٧٣) .

٣- قائمة التدفق النقدي :- وفيها يتم الإفصاح والتقرير عن صافي التغير في الرصيد النقدي بفعل الجمع الجبري لصافي التدفقات النقدية من الأنشطة الثلاثة والتي تُبأشرها الوحدة الحكومية المؤسسة .
الجدول رقم (٤) : نموذج مُقترح لقائمة التدفق النقدي بإستخدام الأسلوب المباشر للحكومة العراقية للسنة المُنتهية في ٢٠X٢/١٢/٣١ (المبالغ بالآف وحدات العملة) .

٢٠X١ (المبالغ)	٢٠X٢ (المبالغ)	البيان
		التدفقات النقدية من الأنشطة التشغيلية :
		المقبوضات
		الضرائب
xxx	xxx	مبيعات السلع والخدمات
xxx	xxx	المنح
xxx	xxx	الفائدة المقبوضة
xxx	xxx	مقبوضات أخرى
xxx	xxx	يُنزل : المدفوعات
		تكاليف الموظفين
xxx	xxx	معاشات التقاعد
xxx	xxx	الموردون

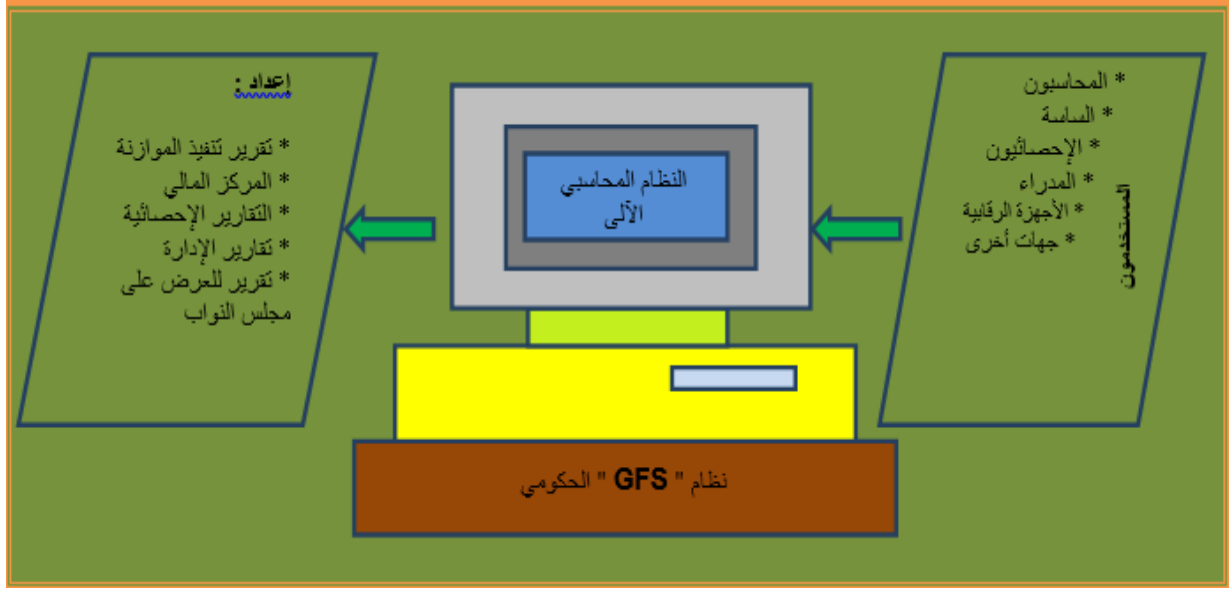
xxx	xxx	الفائدة المدفوعة
xxx	xxx	دفعات أخرى
xxx	xxx	
xxx	xxx	صافي التدفقات النقدية من الأنشطة التشغيلية
		التدفقات النقدية من الأنشطة الإستثمارية :
xxx		المقبوضات
xxx	xxx	عائدات بيع المصانع والمعدات
	xxx	عائدات بيع الاستثمارات
		يُنزل : المدفوعات
xxx	xxx	شراء أوراق مالية بعملة أجنبية
xxx	xxx	شراء المصانع والمُعدات
xxx	xxx	صافي التدفقات النقدية من الأنشطة الإستثمارية
		التدفقات النقدية من الأنشطة التمويلية :
		المقبوضات
		عائدات الاقتراض
xxx	xxx	يُنزل : المدفوعات
		تسديد الاقتراض
xxx	xxx	توزيع أرباح الأسهم للحكومة
xxx	xxx	صافي التدفقات النقدية من الأنشطة التمويلية
xxx	xxx	صافي الزيادة / الإنخفاض في النقد والنقد المُكافئ

xxx	xxx	النقد والنقد المكافئ في بداية المدة
xxx	xxx	النقد والنقد المكافئ في نهاية المدة
xxx	xxx	

رابعاً :- الملاحظات على القوائم والجداول المالية : تتضمن هذه الملاحظات فضلاً عن البيانات المالية والمعلومات والكشوفات والجداول التفصيلية والتحليلية للعمليات المالية والمركز المالي للحكومة إفصاحاً إضافياً عن أهم السياسات المحاسبية المتبعة في إعداد هذا التقرير المالي والعمليات المالية والإفصاح عن الموجودات التراتبية والموجودات الأخرى بإستخدام الإفصاح الوصفي (وحدات القياس غير المالية) والإفصاح عن التعهدات والأحداث المُحتملة غير القابلة للقياس بإستخدام الإفصاح الوصفي ، والإفصاح عن كافة الإلتزامات البيئية ، النظامية والإفصاح عن كافة العمليات الأخرى التي لا يتم تضمينها في القوائم والجداول المالية .

إن نظام إحصاءات مالية الحكومة الـ " GFS " يُعد أداة فاعلة في حصر التقارير المراد إعدادها للمستخدمين وذلك بمساعدة نظم الحاسب الإلكتروني وذلك بهدف التوحيد ، العرض ، التقرير والإفصاح بحسب المتطلبات الضرورية للمستخدمين لكونه نظام ينسجم في عملية إعداد تقاريره مع المعايير المحاسبية الحكومية الدولية وذلك وصولاً إلى صيغة محددة في عملية العرض والإفصاح في كل من نظام الـ " GFS " والمعايير المحاسبية الحكومية الدولية والشكل التالي يوضح كيفية تفعيل الإفصاح المحاسبي في ظل نظام إحصاءات مالية الحكومة " GFS " إلكترونياً فضلاً عن عملية تصميم وإعداد التقارير المالية الحكومية الموحدة .

الشكل (٢) : يُفصح عن النظام المحاسبي الحكومي الآلي " GFS " وعملية إعداد التقارير المالية الحكومية الموحدة .



المصدر : (www.imf.org بتصرف من الباحثين) .

وتُساهم القوائم المالية ذات الغرض العام والتقارير المالية الحكومية المُعدة طبقاً لنظام الـ " GFS " في تحقيق الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية والمُتمثلة بـ : الملائمة ، التمثيل الصادق ، القابلية للمقارنة ، التوقيت المناسب ، القابلية على التحقق والقابلية على الفهم وهي بلا شك بمُجملها تُساعد المُستخدمين باتخاذ القرارات الإقتصادية أو المالية للمساهمة بترشيد القرارات وإدارة الموارد المالية بكفاءة وفاعلية وبما يُعزز ثقة المجتمع الدولي بالبيانات المالية التي تُقدّمها التقارير كما يُقدم الدليل المتطلبات الأساسية لنظام المحاسبة الحكومية الهادف لتحقيق الكفاءة والفاعلية لما يُوفّره من أساس قياس محاسبي مناسب يُساهم في عملية إصلاح ، تطوير وتصميم المخرجات (التقارير المالية الحكومية) (علي بيج ، ٢٠١٣ : ١٤٥ - ١٤٦) .

ويُقصد بالمعادلة المحاسبية التي يُقدمها القانون بموجب نظام الـ " GFS " الذي يُعنى بالوحدات المحاسبية الحكومية المؤسسية بأن مجموع قيم الأصول يساوي مجموع قيم الخصوم زائد صافي قيمة هذه

الوحدة والنتيجة عن التغير في الأصول والخصوم (بالزيادة أو النقص) أو بفعل المقابلة بين الإيرادات والمصاريف .

ويمكن تمثيل هذه المعادلة خطأً وعلى شكل علاقة رياضية إذ إن :

الموارد = الإعتمادات المالية + رصيد المال العام .

$$S1 = S0 + F \text{ أو}$$

إذ تُمثل كل من ($S1$, $S0$) قيمة أرصدة الأصول والخصوم في بداية ونهاية المدة المحاسبية بينما تمثل (F) صافي قيمة جميع التدفقات خلال المدة والمؤثرة على ذلك الرصيد (إبراهيم ، ٢٠٠٦ : ٣٥) .

ويمكن نظام إحصاءات مالية الحكومة الـ " GFS " مُعدي البيانات المالية في تركيز الإفصاح عن عناصر محددة وذلك لعرضها في القوائم المالية الأربعة المكونة لهذا النظام وذلك بهدف تكريس إطار نظري فكري خاص بالنظام المحاسبي الحكومي بإعتباره جزء من المحاسبة المالية وبهدف ضرورة تحديد التقرير عن عناصر محددة في محتوى القوائم المالية الحكومية إذ تمثل هذه القوائم المالية الأداة الأساسية للتوصيل والإفصاح عن طبيعة ، مقدار ونوعية المعلومات التي تقدمها عناصر القوائم المالية الحكومية من فائدة للمستخدمين فيسأهم النظام في تقديم معلومات مالية نافعة وكافية عن عناصر قائمة المركز المالي والمُتمثلة بـ : الأصول المالية ، الأصول غير المالية والخصوم فضلاً عن عناصر قائمة الأداء المالي والتي تضم الإيرادات والمصروفات ومما يجعل هذه المعلومات نافعة لكون الإفصاح عنها يراعي كافة القواعد المحاسبية الواردة بهذا الخصوص في النظام الصادر عن " IMF " لعام ٢٠٠١ م (علي بيج ، ٢٠١٣ : ١٤٦) .

الاستنتاجات والتوصيات:

الاستنتاجات:-

١- ان الأنموذج المُقترح للإفصاح المحاسبي هو أكثر تعبيراً ووضوحاً عن الأداء والوضع المالي للحكومة ووحداتها ويُعبر عن جميع العمليات التي سوف تقوم بها وبالشكل الذي يُساهم في عرض وتقديم

- معلومات ملائمة وقابلة للمقارنة ومفيدة تلبي قدر الإمكان معظم إحتياجات المُستخدمين لكونه يستند على قاعدة أساسية مبنية على صياغة الإفصاح المحاسبي على وفق المعايير المحاسبية الحكومية الدولية .
- ٢- ان هذا الأنموذج المُقترح ليس بالضرورة أن يُعد مشروعاً نهائياً لأسلوب الإفصاح المحاسبي وآلياته وإنما يقتضي ويستلزم إضافة كافة الإمكانيات العلمية ، العملية ، التنظيمية والمالية ويقتضي مساعدة ودعم الجهات الأخرى ذات العلاقة في سبيل إنجازه وتحقيق كافة الأهداف المرجوة منه .
- ٣- إن القوائم المالية المُقترحة والتقارير المالية الحكومية المُقترحة مُعدة وفق نظام الـ " GFS " الحكومي والمعايير المحاسبية الحكومية الدولية المُنبثقة من النظام وبالتالي فإن تطبيقها يُمكن جمهور المُستخدمين من الإستفادة القصوى في عملية إتخاذ القرارات لكون هذه القوائم والتقارير تُفصح عن البيانات المالية والمعلومات الأخرى بدقة وبوضوح وموضوعية ومعها يُمكن عقد المُقارنات المحلية والدولية .
- ٤- يحدد هذا الأنموذج الهيكل والمحتوى العام للتقارير المالية الحكومية والتأكيد التام على إن البيانات المالية محل الإفصاح المحاسبي في صلب هذه التقارير من ناحية وتحديد طبيعة البيانات المالية الأخرى التي يستوجب الإفصاح عنها في الإيضاحات المُتممة بهذه التقارير والتي تُعد ضرورية لاستكمال عملية إصدار التقرير المالي الحكومي بشكله الأمثل .
- ٥- يوفر الإفصاح المحاسبي الذي يعتمد على المعايير المحاسبية الحكومية الدولية معلومات مفيدة لمُستخدمي المعلومات المحاسبية الحكومية في الإختصاصات التي تُعد فيها الحكومة البيانات وفقاً للمعايير المحاسبية الحكومية الدولية والمعلومات المالية المُعدة وفقاً لنظام الـ " GFS " الحكومي لإعداد التقارير المالية الحكومية لكون الإفصاح الذي يستند عليه يُساعد المُستخدمين على فهم العلاقة بين الحكومة كقطاع ووحداتها الحكومية بشكل أفضل .

التوصيات :

- ١- ضرورة تحسين وتطوير النظم المحاسبية الحكومية والخاصة بإعداد الموازنة ، النظام المحاسبي الحكومي المستخدم ونظام الرقابة على المال العام بما يواكب التطور الحاصل في تطبيق المعايير المحاسبية الحكومية الدولية ومعايير التدقيق والمعايير المهنية .
- ٢- تبني إستخدام أنظمة المحاسبة ولكافة العمليات المحاسبية والأحداث الإقتصادية وضرورة إعداد البيانات المالية وعرضها والإفصاح عنها بالشكل التقليدي الأمثل مع ضرورة الإعداد والعرض والإفصاح الإلكتروني .

- ٣- الإفصاح المحاسبي وفق الأنموذج المقترح يتطلب مزيداً من الشفافية والعرض بصورة دورية ومستمرة من قبل وزارة المالية العراقية وعليه يجب إنشاء موقع إلكتروني في الشبكة العنكبوتية يتم فيه الإفصاح عن كافة البيانات المالية والمعلومات المالية الأخرى وذلك بإصدار قوائم وتقارير مثالية ومعيارية على أن يكون الولوج في هذا الموقع متيسراً ومتاحاً لجمهور مُستخدمي المعلومات المحاسبية الحكومية كافة .

المصادر والمراجع :

أ (الكتب العربية :

- ١- [أحمرو ، ٢٠٠٣ م] ، إسماعيل حسين ، المحاسبة الحكومية من التقليد إلى الحداثة ، ط١: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، (عمان) .
- ٢- [إلهامي، ٢٠٠٩ م] ، محمد عادل والسيد أحمد السقا ، المحاسبة الحكومية والمحاسبة الإقتصادية القومية ، كلية التجارة ، (جامعة طنطا) .
- ٣- [حنان ، ٢٠٠١ م] ، رضوان حلوة ، تطور الفكر المحاسبي - مدخل نظرية المحاسبة ، ط١: دار الثقافة للنشر والتوزيع ، (عمان) .
- ٤- [حنان ، ٢٠٠٩ م] ، رضوان حلوة ، تطور الفكر المحاسبي - مدخل نظرية المحاسبة ، ط٢: دار الثقافة للنشر والتوزيع ، (عمان) .

- ٥- [الخطيب ، ٢٠٠٨ م] ، خالد شحادة ومحمد خالد المهاني ، المحاسبة الحكومية ، ط١: دار وائل للنشر والتوزيع ، (عمان) .
- ٦- [الرماحي ، ٢٠٠٩ م] ، نواف محمد عباس ، المحاسبة الحكومية ، ط١: دار صفاء للنشر والتوزيع ، (عمان) .
- ٧- [السلطان ، ١٩٩٠ م] ، سلطان محمد ووصفي حسن أبو المكارم ، المحاسبة في الوحدات الحكومية والتنظيمات الإجتماعية الأخرى : دار المريخ للنشر ، (الرياض) .
- ٨- [الشيرازي ، ١٩٩٠ م] ، عباس مهدي ، نظرية المحاسبة ، ط ١: ذات السلاسل ، (الكويت)
- ٩- [كيسو ، ٢٠٠٩ م] ، دونالد وجيري ويجانت ، المحاسبة المتوسطة ، تعريب : د.أحمد حامد حجاج ، تقويم : د.سلطان المحمد سلطان ، ج ٢ ، الطبعة العربية الثانية : دار المريخ للنشر ، (الرياض)
- ١٠- [المبيضين ، ١٩٩٩ م] ، عقلة محمد يوسف ، النظام المحاسبي الحكومي وإدارته ، ط١: دار وائل للنشر ، (عمان) .
- ١١- [محمود ، ٢٠١١ م] ، رأفت سلامة ، المحاسبة الحكومية ، ط ١ : دار المسيرة للنشر والتوزيع ، (عمان) .
- ١٢- [مطر ، ٢٠١٠ م] ، محمد ، نظرية المحاسبة ، ط ١ : الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات ، (القاهرة) .
- ١٣- [هندركسن ، ١٩٩٠ م] ، الدون س ، النظرية المحاسبية : المكتب الجامعي ، ترجمة : كمال خليفة أبو زيد ، (الإسكندرية) .
- ١٤- [الوقاد ، ٢٠١١ م] ، سامي محمد ، نظرية المحاسبة ، ط١: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، (عمان) .

ب) الدوريات والمقالات العربية :

١- [إبراهيم ، ٢٠٠٦ م] ، محمد عبد الفتاح محمد ، نموذج مقترح للإفصاح المحاسبي عن صافي قيمة القطاع الحكومي لتدعيم إعتبارات الشفافية الدولية ، بحث منشور: المنظمة العربية للتنمية الإدارية ، (القاهرة) .

٢- [مصطفى ، ٢٠٠١ م] ، شاكِر محمود ، محددات إستخدام المعلومات المحاسبية وفقاً لنظرية كفاءة السوق ، بحث منشور: مجلة تنمية الرافدين ، مج ٣ ، العدد الخامس والستون ، (جامعة الموصل)
ج) الوثائق الرسمية :

١- [الإتحاد الدولي للمحاسبين ، ٢٠٠٨ م] ، معايير المحاسبة الدولية في القطاع العام ، ج ١: جمعية المجمع العربي للمحاسبين القانونيين .

٢- [الإتحاد الدولي للمحاسبين ، ٢٠٠٨ م] ، معايير المحاسبة الدولية في القطاع العام ، ج ٢: جمعية المجمع العربي للمحاسبين القانونيين .

٣- [ديوان الرقابة المالية ، ٢٠١١ م] ، النظام المحاسبي الموحد ، ط ٢ : دار الكتب والوثائق ، (بغداد)

٤- [مجلس المعايير المحاسبية والرقابية ، ١٩٩٥ م] ، القاعدة المحاسبية السادسة بعنوان " الإفصاح عن المعلومات المتعلقة بالبيانات المالية والسياسات المحاسبية " ، (بغداد) .

د) الرسائل والأطاريح الجامعية :

١- [الإبراهيمي ، ٢٠٠٧ م] ، أمل عبد الحسين كحيط ، معايير المحاسبة الحكومية في الإسلام - محاولة لتأصيل المعايير المحاسبية الحكومية المعاصرة على وفق النظام الإسلامي الاقتصادي ، إطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الإدارة والاقتصاد (جامعة البصرة) .

٢- [أحمد ، ٢٠٠٦ م] ، أشرف عبد ربه ، مدى تأثر الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية بالقوة التنظيمية ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الإدارة والاقتصاد (جامعة البصرة) .

- ٣- [الأسدي ، ٢٠١٥ م] ، عماد عبد الرضا حسن ، أثر النظام المحاسبي الموحد على جودة المعلومات المحاسبية في التقارير المالية ورأي المدقق الخارجي ، بحث دكتوراه غير منشور مقدم إلى مجلس المعهد العالي للدراسات المحاسبية والمالية (جامعة بغداد) .
- ٤- [التميمي ، ٢٠٠٩ م] ، بتول يونس صبيح ، مدى التزام المصارف العراقية بضوابط الإفصاح وفق معايير المحاسبة الدولية والمحلية والقوانين ذات العلاقة ، بحث ماجستير غير منشور مقدم إلى مجلس المعهد العالي للدراسات المحاسبية والمالية (جامعة بغداد) .
- ٥- [الخاقاني ، ٢٠٠٥ م] ، ميثم مالك راضي ، الإفصاح في النظام المحاسبي الحكومي دراسة لعينة من الدول ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الإدارة والاقتصاد (جامعة بغداد)
- ٦- [الخزعلي ، ٢٠٠٧ م] ، الآء شمس الله ، أنموذج حديث مقترح لهرمية المعلومات المحاسبية الحكومية ، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الإدارة والاقتصاد (جامعة بغداد) .
- ٧- [السعدي ، ٢٠١٢ م] ، حوراء إحسان خليل ، تأثير معايير الإنتوساي على النظام المحاسبي الحكومي في العراق - إطار مقترح ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الإدارة والاقتصاد (جامعة الكوفة) .
- ٨- [عبد الله ، ٢٠٠٢ م] ، إيمان محمد ، تقييم المعلومات المحاسبية باستخدام نموذج " إقتصاديات المعلومات " لأغراض اتخاذ القرارات ، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الإدارة والاقتصاد (جامعة بغداد) .
- ٩- [علي بيج ، ٢٠١٣ م] ، تيسير جواد كاظم ، توظيف فاعلية دليل إحصاءات مالية الحكومة " GFS " في تحسين جودة المعلومات المحاسبية في التقارير المالية الحكومية ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الإدارة والاقتصاد (جامعة الكوفة) .

١٠- www.imf.Org .